BOBST LIBRARY
3 1142 02771 6078

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

al-Tabari

Min kitab jāmi' al-bayan

31.783/A

V.10-13

الجـــزء العـاشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سـنة ١٣٢٧ هجريه

Near East
BP
130
.4
.T28
V.10-13
c.1

2993-1-10

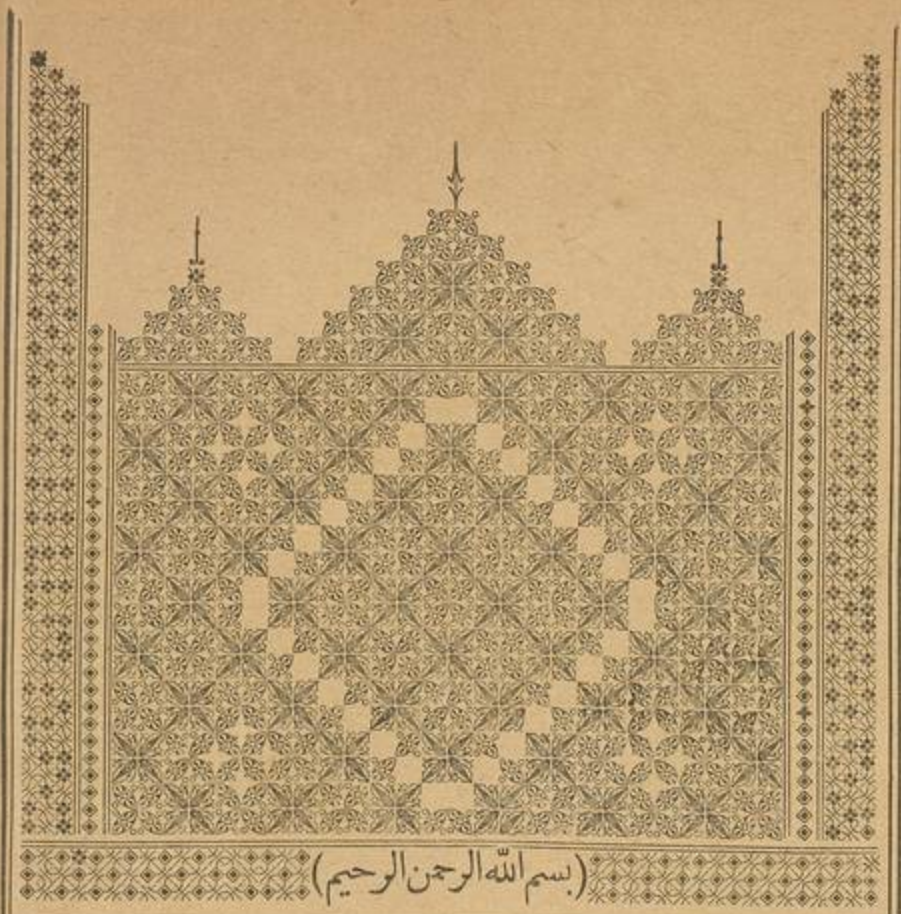

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿واعلموا أنما غنمتم من شئ﴾ قال أبو جعفر وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم اذا غنموها يقول تعالى ذكره واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة واختلف أهل العلم فى معنى الغنيمة والفئ فقال بعضهم فيهما معنيان كل واحد منهما غير صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح قال سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وهذه الآية ما أفاء الله على رسوله قال قلت ما الفئ وما الغنيمة قال اذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة وأما الارض فهى فى سواد ناهذا فئ

* وقال آخرون الغنيمة ما أخذ عنوة والفئ ما كان عن صلح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان الثورى قال الغنيمة ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهدها والفئ ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس هو لمن سمى الله

* وقال آخرون الغنيمة والفئ بمعنى واحد وقالوا هذه الآية التى فى الانفال ناسخة قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال كان الفئ فى هؤلاء ثم نسخ ذلك فى سورة الانفال فقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر وجعل الخمس لمن كان له الفئ فى سورة الحشر وسائر ذلك لمن قاتل عليه وقد بينا فيما مضى الغنيمة وأنها المال يوصل اليه من

﴿ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء

دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴾ القرا آت بالعدوة بكسر العين فى الحرفين ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيي بياءين أبو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزى ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزى وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما أبو عمرو وعلى وحمزة فى رواية خلاد وابن سعدان وهشام الى أرى انى أخاف بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير ﴿ الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ماقبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير ٥ أسفل منكم ط فى الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حى عن بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ٥ مفعولا ط الامور ٥ تفلحون ٥ ج للآية وللعطف واصبروا ط الصابرين ٥ ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ٥ حارلكم ط أخاف الله ط العقاب ٥ دينهم ط حكيم ٥ ﴿ التفسير لما أمر سبحانه بالقتال فى قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة أعاد حكم الغنيمة ببيان أوفى وأشفى فقال واعلموا أنما غنمتم أى الذى حزتم من أموال الكفرة قهرا وقوله من شئ بيان ما أى من كل مايقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط وقوله فأن لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفى عن أبى عمرو فان لله بالكسر قال فى الكشاف والمشهور آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حتى لازم كان أقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبى ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام لنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة واعلم أن الآية تقتضى أخذ الخمس من الغنائم واختلفوا فى كيفية قسمة ذلك الخمس على أقوال أشهرها أن ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين

مال من خول الله ماله أهل دينه بغلبة عليه وقهر بقتال فأما الفيء فانه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك وهو ما رده عليهم منها بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب وقد يجوز أن يسمى ما ردته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيأ لان الفيء انما هو مصدر من قول القائل فاء الشئ يفيء فيأ اذا رجع وأفاءه الله اذا رده غير أن الذى ورد حكم الله فيه من الفيء بحكمه فى سورة الحشر انما هو ما وصفت صفته من الفيء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب لعلل قد بينتها فى كتابنا كتاب لطيف القول فى أحكام شرائع الدين وسنبينه أيضا فى تفسير سورة الحشر اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى وأما قول من قال الآية التى فى سورة الحشر فلا معنى له اذ كان لا معنى فى احدى الآيتين ينفى حكم الاخرى وقد بينا معنى النسخ وهو نفى حكم قد ثبت بحكم خلافه فى غير موضع مما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله من شئ فانه مراد به كل ما وقع عليه اسم شئ مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ قال المخيط من الشئ حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد بمثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم قوله فأن لله خمسه مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة وما فيهما وانما معنى الكلام فأن للرسول خمسه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس فى خمسة ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول قال وقوله فأن لله خمسه مفتاح كلام لله ما فى السموات وما فى الارض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فأن لله خمسه قال لله كل شئ حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال لله كل شئ ونحس لله ورسوله ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ويقسم الخمس الباقى على خمسة أخماس فخمس لله والرسول حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا أبان عن الحسن قال (١) أوصى أبو بكر رضى الله عنه بالخمس من ماله وقال ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عبد الملك عن عطاء واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه

(١) الذى فى ابن كثير عن ابن جرير أوصى الحسن وحرر اه كتبه مصححه

بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد وأما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله ويصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة الأهم فالأهم وواحد لذوى القربى يعنى أقارب رسول الله من أولاد هاشم والمطلب ابنى عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف أيضا لما روى عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بنى عبد شمس وجبير من بنى نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه يستوى فى هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا أن للذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة أخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين أبى حنيفة والشافعى الا ان أبا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فأن لله خمسه وللرسول فأن لرسول الله خمسه كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وعن أبى العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة أسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لذوى القربى فاجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى ان أبا بكر منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيأ وروى عن زيد بن على أنه قال ليس

وللرسول قال نحس الله وخمس رسوله واحد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويصنع فيه ماشاء **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أصحابه عن ابراهيم واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال كل شئ لله الخمس للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل * وقال آخرون معنى ذلك فان لبيت الله خمسه وللرسول ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع بن الجراح عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذى قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الى آخر الآية قال فكان يجاء بالغنيمة فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم فيجعل أربعة بين الناس ويأخذ سهما ثم يضرب بيده فى جميع ذلك السهم فما قبض عليه من شئ جعله للكعبة فهو الذى سمى لله ويقول لا تجعلوا لله نصيبا فان لله الدنيا والآخرة ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم سهم للنبى صلى الله عليه وسلم وسهم لذوى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل * وقال آخرون ما سمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانما هو مرادبه قرابته وليس لله ولا لرسوله منه شئ ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة فربع لله والرسول ولذى القربى يعنى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ والربع الثانى لليتامى والربع الثالث للمساكين والربع الرابع لابن السبيل * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال قوله فأن لله خمسه افتتاح كلام وذلك لاجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم وانما اختلف أهل العلم فى قسمه على خمسة فما دونها فأما على أكثر من ذلك فلا نعلم قائلا قاله غير الذى ذكرنا من الخبر عن أبى العالية وفى اجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا فأما من قال سهم الرسول لذوى القربى فقد أوجب للرسول سهما وان كان صلى الله عليه وسلم صرفه الى ذوى قرابته فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم وقد **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الآية قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا غنم غنيمة جعلت أخماسا فكان خمس لله ولرسوله ويقسم المسلمون ما بقى وكان الخمس الذى جعل لله ولرسوله لرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكان هذا الخمس خمسة أخماس خمس لله ورسوله وخمس لذوى القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبى عائشة قال سألت يحيى بن الجزار عن سهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال هو خمس الخمس **حدثنا** ابن وكيع

لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روى عن علي عليه السلام انه قيل له ان الله تعالى قال والبتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن أنس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان رأى أعطى بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فذا فعند هذا يكون معنى قوله فأن لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن العمل والطاعة أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة و (يوم الفرقان) يوم بدر لانه فرق فيه بين أهل الحق وأهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي أنزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد والله على كل شئ قدير) فبذلك نصر القليل على الكثير (اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان (بالعدوة) بالكسر والضم شط الوادي أي جانبه وحافته وقال أبو عمرو هي المكان المرتفع و (الدنيا) تأنيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا وأما القصوى تأنيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا أيضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة (والركب) يعني الاربعين الذين كانوا يحرسون العير (أسفل منكم) بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ أي مكانا أسفل من مكانكم والفائدة

قال ثنا ابن عيينة وجرير عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمسه لذوي القربى وخمسه لليتامى وخمسه للمساكين ولابن السبيل خمسه وأما قوله ولذي القربى فان أهل التأويل اختلفوا فيهم فقال بعضهم هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة فجعل لهم خمس الخمس **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزني عن السدي عن ابن الديلمي قال قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشام أما قرأت في الأنفال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية قال نعم قال فانكم لأنتم هم قال نعم **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قال هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن عطاء عن ابن عباس أن نجدة كتب اليه يسأله عن ذوي القربى فكتب اليه كتابا زعم أنا نحن هم فأبى ذلك علينا قومنا * قال **حدثنا** الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمس لذوي القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين ولابن السبيل خمسه * وقال آخرون بل هم قريش كلها ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب نجدة الى ابن عباس يسأله عن ذي القربى قال فكتب اليه ابن عباس قد كنا نقول انا هم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا قريش كلها ذو قربى * وقال آخرون سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار من بعده لولي الامر من بعده ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده * وقال آخرون بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة وممن قال ذلك الشافعي وكانت علته في ذلك ما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم

ذكر مراكز الفرق الثلاث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رأفته ونصره حتى كان ما كان

قد كان ان العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كانت في مكان فيه الماء وكانت أرضا لا بأس بها وأما العدوة الدنيا فهي رخوة تسوخ بها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وجدتهم ولهذا كانت العرب

تخرج الى الحروب بعيالهم وأثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه
(ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على موضع تتلاقون فيه (لاختلفتم في الميعاد) فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة
الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من (٦) التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه (ولكن ليقضي الله) أي ليظهر (أمرا كان مفعولا) مقدرا

وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام وذلك أن وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات ما يكون الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة أي لا شك في كفره وعناده كما أنه لم يبق شك للمسلمين في حقية دين الاسلام وفي قوله ليقضي وليهلك دلالة على أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بنياتكم (اذ يريكهم) منصوب باذكر أو بدل آخر من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم تدابيركم اذ يريكهم (في منامك) أي في رؤيالك (قليلا) أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك أي في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف (ولو أراكهم كثيرا) على ما هم عليه (لفشلتم) والفشل الجبن والخور (ولتنازعتم في الامر) أمر الحرب والاقدام (ولكن الله سلم) عصم من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) بعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام (واذ يريكموهم) ببصركم اياهم (اذ التقيتم في أعينكم قليلا) نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث (ويقللكم في أعينهم) الحكمة في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي وأما تقليل المؤمنين والخمس

وبنو المطلب شيء واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه احداهما بالاخرى * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لان حليف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين أعني سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يصرفان في معونة الاسلام وأهله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذي القربى فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبي صلى الله عليه وسلم لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال قائلون سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر ابن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان علي رضي الله عنه يقول فيه قال كان علي أشدهم فيه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين الآية قال ابن عباس فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس أربعة بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة لله وللرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم رد أبو بكر رضي الله عنه نصيب القرابة في المسلمين فجعل يحمل به في سبيل الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي جعل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون سهم ذوي القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ولي أمر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمر ابن ثابت عن عمران بن طيبان عن حكيم بن سعد عن علي رضي الله عنه قال يعطى كل انسان نصيبه من الخمس ويلي الامام سهم الله ورسوله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذوي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده * وقال آخرون سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس

منين آداب اللقاء فى الحروب فقال (اذا لقيتم فئة فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم غلب فى القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات فى القتال لا ينافى الرخصة فى التحرف والتحيز فلعل الثبات فى الحرب لا يحصل الا بهما (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة (٧) وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له أن يفتر عن

والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك قول جماعة من أهل العراق * وقال آخرون الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار قال ثنا المنهال بن عمرو قال سألت عبد الله بن محمد ابن على وعلى بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلى ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقالا يتامانا ومساكيننا * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود فى الخمس والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ما روى عن ابن عباس للقرابة سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل سهم لان الله أوجب الخمس لاقوام موصوفين بصفات كما أوجب الاربعة الاخماس لآخرين وقد أجمعوا أن حق الاربعة الاخماس ان يستحقه غيرهم فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم فغير جائز أن يخرج عنهم الى غيرهم كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التى جعلها الله لمن سماه فى كتابه بفقد بعض من يستحقه الى غير أهل السهمان الاخر وأما اليتامى فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل المجتاز سفرا قد انقطع به كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال الخمس الرابع لابن السبيل وهو الضيف الفقير الذى ينزل بالمسلمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتم من شئ فقسوم القسم الذى بينته وصدقوا به ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق بين الحق والباطل ببدر فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم وذلك يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين والله على اهلاك أهل الكفر واذلالهم بأيدى المؤمنين وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شئ أراده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يعنى بالفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير * واسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله يومئذ المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن مقسم يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عثمان الجزرى عن مقسم فى قوله يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يوم التقى

ذكر به فى أى شغل وعمل كان ولو أن رجلا أقبل من المغرب الى المشرق منفقا أمواله لله والآخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه فى سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجرا وقيل المراد من هذا الذكر أن يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم (وأطيعوا الله ورسوله) فى سائر ما يأمر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات (ولا تنازعوا فتفشلوا) منصوب باضمار أن أو مجزوم لدخوله فى حكم النهى ويظهر التقدير ان فى قوله (وتذهب ريحكم) على القراءتين والريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأى نحو ما وقع لهم بأحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضى غالبا الى النزاع المنهى عنه وكذا القائلون بأن النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال أهل السير ان أهل مكة حين نفروا لحماية العير أتاهم رسول أبى سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ننحر بها الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) الآية وصفهم بأوصاف ثلاثة أولها البطر وهو الطغيان فى النعمة ويقال أيضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله

فيها فذلك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذلك هو البطر وثانيهما رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية أو هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثهما قوله (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن قبول دين (٨) محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم أو يكون الكل أحوالا على تأويل بطرين مرائين صادين أو يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بأنه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح له كون الكلمة معطوفة على جنسها وكان من الواجب عليه أن يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان أبا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرياء فذكرا بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما وأما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان (والله بما يعملون محيط) فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار أقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار (واذ زين) معناه واذكر اذ زين أو هو معطوف على ما قبله من النعم وأقربهما قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان أحدهما أن الشيطان زين بوسوسته من غير أن يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجرئهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت بكسر جنود الله وثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين أرادوا المسير الى بدر ذكروا الذي بينهم وبين بني كنانة من الحرب فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين

الجمعان يوم بدر وبدر بين المدينة ومكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنى يحيى ابن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب قال قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم التقى الجمعان قال ابن جريج قال ابن كثير يوم بدر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أي يوم فرق بين الحق والباطل ببدر أي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وذاكم يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل ﴿القول في تأويل قوله﴾ (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم ان كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر اذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله اذ أنتم حينئذ بالعدوة الدنيا يقول بشفير الوادي الأدنى الى المدينة وهم بالعدوة القصوى يقول وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادي الاقصى الى مكة والركب أسفل منكم يقول والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم الى ساحل البحر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذ أنتم بالعدوة الدنيا قال شفير الوادي الأدنى وهم بشفير الوادي الاقصى والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وهما شفيرا الوادي كان نبي الله على الوادي والمشركون بأسفله والركب أسفل منكم يعني أبا سفيان انحدر بالعير على حوزته حتى قدم بها مكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى من الوادي الى مكة والركب أسفل منكم أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا لم يشعروا بأصحاب بدر ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقيا على ماء بدر من يسق لهم كلهم فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر منازل القوم والعير فقال اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب هو أبو سفيان وعيره أسفل منكم على شاطئ البحر واختلفت القراء في قراءة قوله اذ أنتم بالعدوة فقرأ ذلك عامة قراء المدنيين والكوفيين بالعدوة بضم العين وقرأه بعض المكيين والبصريين بالعدوة بكسر العين وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ينشد بيت الراعي

وعينان حرما قيهما * كما نظر العدوة الجؤذر

معه رايه (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس) أى لاغالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لاغالب الاياكم لانتصب كما يقال لاضارب يزيدا (وانى جار لكم) أى مجيركم من بنى كنانة أو من كل عدو يعرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار (فلما تراءت الفئتان) أى التقى الجمعان (٩) بحيث رأت كل واحدة الاخرى (نكص على عقبيه) والنكوص الاحجام عن الشئ أى رجع (وقال انى برىء منكم) قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال (انى أرى مالا ترون) أى من نزول الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفى الحديث مارؤى ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا مارأى يوم بدر وأما قوله (انى أخاف الله) فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لأنه ظن أن الوقت الذى أنظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى أرى مالا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله وقوله (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز أن يكون اعتراضا وظرفه (اذ يقول) أو لا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على أنه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف و(المنافقون) قوم من الاوس والخزرج بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد قوم من قريش أسلموا وماقوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قوم منافقين كان محمد فى كثرة فخرجنا اليه وان كان فى قلة أقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر (غر هؤلاء دينهم) قال ابن عباس معناه أنه خرج بثلثمائة وثلاثة عشر الى زهاء ألف وماذلك الا لأنهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل أنفسهم

(٢ - (ابن جرير) - عاشر)

بكسر العين من العدوة وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر

وفارس لم تحل الخيل عدوته * ولم تراعا وماهموا باقبال

القول فى تأويل قوله ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ يعنى تعالى ذكره ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم لاختلفتم فى الميعاد لكثرة عدد عدوكم وقلة عدد كم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عدد كم مالقيتموهم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله عن غير بلاء منكم فعل ما أراد من ذلك بلطفه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمر بن اسحق قال أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقت السقاة قال ونظر الناس بعضهم لبعض ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ولكن الله جمعهم هنالك ليقضى أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة وهذه اللام فى قوله ليهلك مكررة على اللام فى قوله ليقضى كأنه قال ولكن ليهلك من هلك عن بينة جمعكم ويعنى بقوله ليهلك من هلك عن بينة ليموت من مات من خلقه عن حجة الله قد أثبتت له وقطعت عذره وعبرة قد عاينها ورآها ويحيا من حى عن بينة يقول وليعيش من عاش منهم عن حجة الله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها جعنا بينكم وبين عدوكم هنالك وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليهلك من هلك عن بينة لما رأى من الآيات والعبر ويؤمن من آمن على مثل ذلك وأما قوله وان الله لسميع عليم فان معناه وان الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه فى منامه ويريكم عدوكم فى أعينكم قليلا وهم كثير ويراكم عدوكم فى أعينهم قليلا عليم بما تضمره نفوسكم وتنطوى عليه قلوبكم حينئذ وفى كل حال يقول جل ثناؤه لهم ولعباده واتقوا بكم أيها الناس فى منطقكم أن تنطقوا بغير حق وفى قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشد فان الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن

القول فى تأويل قوله ﴿اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره وان الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك عليم بما يضمرونه اذ يريك الله عدوك وعدوهم فى منامك قليلا يقول يريكهم فى نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم ولو أراك ربك عدوك وعدوهم

رجاء أن يجعلوا أحياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل أمره اليه ويثق بفضله (فان الله عزيز) غالب يسلط الضعيف القليل على القوى الكثير (حكيم) يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه ۞ التأويل واعلموا يا أهل الجهاد الاكبر أنما غنمتم عند رفع الحجب من أنوار المشاهدات وأسرار المكاشفات فلكم أربعة أخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون خمسها فى الله مخلصا وللرسول متابعا ولذى القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى أهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين تمسكوا بأيدى الارادة بأذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم فى متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما أنزلنا على عبدنا فى سفر فاوحى الى عبده ما أوحى يوم الفرقان الذى فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يتبعه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل والله على كل شئ قدير فيقدر على أن يوصلكم فى متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ أنتم أيها الصادقون فى الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى أى الارواح بأقصى عالم الملكوت بارزة والركب أسفل منكم يعنى الهيا كل والقوالب فى أسفل سافلى الطبيعة ولو تواعدتم أيها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم فى الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضى الله أمرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التى استعدلها فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيا من حى عن بينة له فالاشقياء يبقون فى سجين الطبيعة ونار القطيعة وأما السعداء فارواحهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ثم قال ارجعى الى ربك راضية ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلى فى عبادى وأبدانهم فى جنات النعيم برز

كثير الفشل أصحابك فجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ولتنازعوا فى ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك فى منامك من الرؤيا انه عليم بما تخفيه الصدور لا يخفى عليه شئ مما تضمره القلوب وقد زعم بعضهم أن معنى قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا أى فى عينك التى تنام بها فصير المنام هو العين كأنه أراد اذ يريكهم الله فى عينك قليلا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا قال أراه الله اياهم فى منامه قليلا فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه * وقال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ولكن الله سلم فقال بعضهم معناه ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن الله سلم يقول سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ولكن الله سلم أمره فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولكن الله سلم قال سلم أمره فيهم * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن عباس وهو أن الله سلم القوم مما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم فى منامه من الفشل والتنازع حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم وذلك أن قوله ولكن الله سلم عقيب قوله ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر فالذى هو أولى بالخبر عنه انه سلمهم منه جل ثناؤه مما كان مخوفا منه لو لم يرنبيه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم فى منامه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور﴾ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم اذ يرى الله نبيه فى منامه المشركين قليلا واذ يريهم الله المؤمنين اذ لقوهم فى أعينهم قليلا وهم كثير عددهم ويقلل المؤمنين فى أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم كما حدثنى ابن بزيع البغدادى قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم هم قال كنا ألفا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا قال ابن مسعود قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل أتراهم يكونون مائة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل ألا ان

كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والآصال عليم بمن يستحق الاذلال أو يستأهل الاجلال
أذيريكهم الله في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة طبع الانسان ولكن الله سلم من الخوف
البشري ويقللكم في أعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملائكة

برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح ولكن خذوهم أخذا فاربطوهم بالحبال يقوله من القدرة في نفسه وقوله ليقضي الله أمرا كان مفعولا يقول جل ثناؤه قللتكم أيها المؤمنون في أعين المشركين وأريتكموهم في أعينكم قليلا حتى يقضي الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضا واظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وذلك أمر كان الله فاعله وبالغا فيه أمره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته والى الله ترجع الامور يقول جل ثناؤه ومصير الامور كلها اليه في الآخرة فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسن باحسانه والمسيء باساءته ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الايمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به والافعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم ثم يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الادبار هاربين الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة منكم واذكروا الله كثيرا يقول وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره لعلكم تفلحون يقول كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يقاتلونكم في سبيل الله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما في شئ ولا تنازعوا فتفشلوا يقول ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم وهذا مثل يقال للرجل اذا كان مقبلا عليه ما يحبه ويسر به الريح مقبلة عليه يعني بذلك ما يحبه ومن ذلك قول عبيد بن الابرص

كما حميناك يوم النعف من شطب ۞ والفضل للقوم من ريح ومن عدد

يعني من البأس والكثرة وانما يراد به في هذا الموضع وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل واصبروا يقول اصبروا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنه وتتركوه ان الله مع الصابرين يقول اصبروا فاني معكم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصركم قال وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذ القيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان وأعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما أنتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم أوصافهم وتركوا الدنيا وداروا البلاد وزاروا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا أنهم بلغوا مبلغ الرجال وأنه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق أهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وأمد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها نكص على عقبيه زهق باطله وصار مخالفا للنفس كما قال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من القلوب ولو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لأحرقه ولهذا قال اني أخاف الله وفيه اشارة الى أنه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه أرحم الراحمين

﴿ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون

فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (١٢) وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا

للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه
هو السميع العليم وان يريدوا أن
يخدعوك فان حسبك الله هو
الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف
بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن
الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين
على القتال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين باذن الله والله مع الصابرين
﴿ القراآت ﴾ تتوفى بتاء التأنيث شامي
الباقون بالتذكير ولا يحسبن بياء
الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص
والمفضل الآخرون بتاء الخطاب
انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر
السين أبو بكر وحماد ترهبون
بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف
من الارهاب وان يكن منكم بالياء
التحتانية أبو عمرو وسهل ويعقوب
وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون
بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول
ضعفاء بالمد جعايز يزيد وقرأ حمزة
وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه
ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم
فان يكن منكم مائة بالتحتانية

حين نازعوه يوم أحد **حدثنا** ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتذهب ريحكم فذكر
نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه الا أنه
قال ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل
قال ثنا أسباط عن السدي ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال حربكم وجدكم **حدثنا**
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتذهب ريحكم قال ريح الحرب **حدثني** يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتذهب ريحكم قال الريح النصر لم يكن نصر قط
الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو فاذا كان ذلك لم يكن لهم قوام **حدثنا** ابن حميد قال
ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تنازعوا فتفشلوا أي لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم فيذهب
جدكم واصبروا ان الله مع الصابرين أي اني معكم اذا فعلتم ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنازعوا فتفشلوا قال الفشل الضعف عن جهاد عدوه
والانكسار لهم فذلك الفشل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾ وهذا تقدم من الله جل ثناؤه الى
المؤمنين به ورسوله أن لا يعملوا عملا الا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من
المشركين في مسيرهم الى بدر طلب رئاء الناس وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه وقيل لهم انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها فأبوا وقالوا لا نأتي بدرا
فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث بنا العرب لمكاننا فيها فسقوا مكان الخمر كؤس
المنايا كما **حدثنا** عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثنا أبان قال ثنا هشام بن
عروة عن عروة قال كانت قريش قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم راكب
من أبي سفيان والركب الذين معه انا قد أجزنا القوم فارجعوا فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان
الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدرا فنقيم فيه ثلاث ليال
ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فانه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قال الله
الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والتقواهم والنبي صلى الله عليه وسلم ففتح الله على رسوله
وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المؤمنين منهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق
في حديث ذكره قال ثني محمد بن مسلم وعاصم بن عمر وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن
عروة بن الزبير وغيره من علمائنا عن ابن عباس قال لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل الى
قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل
ابن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل
عام فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا
العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا ۞ قال ابن حميد ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع
حتى نأتي بدرا وننحر بها الجزر ونسقي بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون

عاصم وحمزة وعلي وخلف ۞ الوقوف كفروا لا لأن فاعل يتوفى الملائكة وما قبل ان المتوفى يهابوننا
هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لأن الكفار لا يستحقون أن يتوفاهم الله بلا واسطة وأدبارهم ج لحق الاضمار أي
يقولون ذوقوا الحريق ○ للعبيد ○ لا لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب ○ بأنفسهم

لا لعطف أن على أن عليم ○ لا للكاف من قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون ج لأن الواو تصلح للاستئناف والحال ظالمين ○ لا يؤمنون ○ ج لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الذم لا يتقون ○ يذكرون ○ على سواء ط الخائنين ○ سبقوا ط لمن قرأ أنهم بالكسر لا يعجزون ○ من دونهم ج لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستئناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون ○ على الله ط العليم ○ حسبك الله ط بين قلوبهم الاول ط بينهم ط حكيم ○ من المؤمنين ○ على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ○ ضعفا ج مائتين ج باذن الله ط الصابرين ○ ۞ التفسير لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح أحوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا يتوفى لخاصية اذ وإذ نصب على الظرف قاله في الكشاف ويمكن أن يكون مفعولا به والمعنى لو رأيت أو عاينت أو شاهدت وقت قبض الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا فظيعا (يضربون وجوههم وأدبارهم) قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما أقبل منهم وما أدبر وذلك أن المشركين كانوا اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا أدبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج أرواحهم ومعنى (عذاب الحريق) مقدمة عذاب النار أو عذاب النار نفسها في الآخرة تبشيرا لهم بذلك وعن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله (ذلك بما قدمت أيديكم) الآية قد مر تفسيرها في آخر آل عمران ويحتمل أن تكون هنا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر أن هذه سنة في فرق الكفرة كلهم فقال (كدأب آل فرعون) يريد أن عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة آل فرعون فجوزي هؤلاء

يها بونتا أي لا يكونن أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم أي لا تعملوا الا لله ولا تطلبوا غيره **حدثني** محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال أصحاب بدر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بطرا ورئاء الناس قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير هم مشركو قريش وذلك خروجهم الى بدر **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعني المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط قال كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر وقد قيل لهم يومئذ ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم قالوا لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم ان قريشا أقبلت بفخرها وخيلائها تحادك ورسولك **حدثني** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر المشركين وما يطعمون على المياه فقال لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين خرجوا من ديارهم بطرا قال هم المشركون خرجوا الى بدر أشرا وبطرا **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال لما خرجت قريش من مكة الى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط فتأويل الكلام اذا ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك اخلاص العمل لله واحتساب الاجر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومرآة الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الاسلام بقتالهم اياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الايمان بالله والله بما يعملون من الرياء والصد عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم محيط يقول عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه منه شئ وذلك أن الاشياء كلها له متجلية لا يعزب عنه منها شئ فهو لهم بها معاقب وعليها معذب ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى

بالقتل والسبي كما جوزى أولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجرى مجرى العلة فى العقاب الذى أنزله بهم فقال (ذلك بان الله لم يك) حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الآية ان ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم يستقم فى حكمته وتدبيره أن يغير (نعمته على قوم حتى يغيروا ما) بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركى مكة قد فتح الله عليهم أبواب الخيرات وأزال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلاجرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن (وأن الله سميع) للاقوال (عليم) بالاحوال فيجزى كل فريق بما يستأهله ثم ذكر مرة أخرى قوله (كدأب آل فرعون) وفى التكرير بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثانى كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله فى حال الموت والثانى لما بعد الموت قلت ويشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت أنسب ومنها أن الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثانى اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد فى الاول كدأب آل فرعون فيما فعلوا وفى الثانى كدأب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون فى الاول ومفعولون فى الثانى ومنها أن المراد بالاول كفرهم بالله وبالثانى تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بردّ آيات ربهم ومنها أن يجعل الضمير فى كفروا وكذبوا لكفار قريش أى كفروا بآيات الله كدأب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم مدبرا أنكروا دلائل الالهية فكان لازمه الاخذ والثانى اشارة الى انهم أنكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله (وكل كانوا ظالمين) أى وكل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمى أنفسهم بالكفر

برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وحين زين لهم الشيطان أعمالهم وكان تزيينه ذلك لهم كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال جاء ابليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رايته فى صورة رجل من بنى مدلج فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده فولى مدبرا هو وشيعته فقال الرجل يا سراقة تزعم أنك لنا جار قال انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أتى المشركين ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى الشاعر ثم المدلجى فجاء على فرس فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس فقالوا ومن أنت قال أنا جاركم سراقة وهؤلاء كنانة قد أتوكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر يعنى من الحرب فكاد ذلك أن يثبطهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التى كانت بينهم يقول الله فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون وصدق عدو الله انه رأى ما لا يرون وقال انى أخاف الله والله شديد العقاب فأوردهم ثم أسلمهم قال فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذى رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحى فذكر أحدهما فقال أين سراقة أسلمنا عدو الله وذهب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الى قوله شديد العقاب قال ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة فزعم عدو الله أنه لا يدى له بالملائكة وقال انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله وكذب والله عدو الله ما به مخافة الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال لما كان يوم بدر سار ابليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وانى جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان الى أمداد الملائكة نكص على عقبيه قال رجع مدبرا

والمعاصى وظالمى غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال (ان شر الدواب) الآية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وأشار الى هذا بقوله (فهم لا يؤمنون) وشر المصرين الناكثون للعهود وأشار اليهم بقوله (الذين عاهدت منهم) ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف أى الذين عاهدتهم وهم بعض أولئك الكفرة يعنى الاشراف الذين معهم تليق المعاهدة (ثم ينقضون) عطف المستقبل على الماضى لفائدة الاستمرار وان من شأنهم نقض العهد (فى كل مرة) من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا وأعانوا عليه يوم الخندق (وهم لا يتقون) عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم أمر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال (فاما تثقفنهم) تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب (فشرد بهم من خلفهم) والتشريد التفريق مع الاضطراب أى ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه أكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير فى (لعلهم يذكرون) لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه أحد بعدهم اتعاظا بحالهم (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصدا أى أخبرهم اخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة قال فى الكشاف الجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل أن يكون حالا من المنبوذ أى حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شأن العهد اذ ذاك أو عن

مدبرا وقال انى أرى مالا ترون الآية **حدثنا** أحمد بن الفرج قال ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ابن الماجشون قال ثنا مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤى ابليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب الا ما رأى يوم بدر قالوا يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أما انه رأى جبريل يزع الملائكة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن الحسن فى قوله انى أرى مالا ترون قال رأى جبريل معتجرا ببرد عشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام ماركب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال قال الحسن وتلا هذه الآية واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال سار ابليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم ولن تغلبوا كثرة فلما التقوا نكص على عقبيه يقول رجع مدبرا وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون يعنى الملائكة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال لما أجمعت قريش على السير قالوا انما نتخوف من بنى بكر فقال لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم أنا جار لكم من بنى بكر ولا غالب لكم اليوم من الناس فتأويل الكلام وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال وحين زين لهم الشيطان خروجهم اليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم وحسن ذلك لهم وحثهم عليكم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من بنى آدم فاطمئنوا وأبشروا وانى جار لكم من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم أجيركم وأمنعكم منهم ولا تخافوهم واجعلوا جدكم وبأسكم على محمد وأصحابه فلما تراءت الفئتان يقول فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ونظر بعضهم الى بعض نكص على عقبيه يقول رجع القهقرى على قفاه هاربا يقال منه نكص ينكص وينكص نكوصا ومنه قول زهير

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا * لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا

وقال للمشركين انى برىء منكم انى أرى مالا ترون يعنى أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين والمشركون لا يرونهم انى أخاف عقاب الله وكذب عدو الله والله شديد العقاب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال واذ يقول المنافقون وكرر بقوله اذ يقول المنافقون على قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا والذين فى قلوبهم مرض يعنى شك فى الاسلام لم يصح يقينهم ولم تشرح بالايمان صدورهم غر هؤلاء دينهم يقول غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم وذلك الاسلام وذكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالاسلام من مشركى قريش ولم يستحكم الاسلام فى قلوبهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال كان ناس من

انكشاف حاله فى النبذ قال أهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما أن تظهر ظهورا محتملا أو ظهورا مقطوعا به فان كان الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور فى الآية وذلك أن قريظة عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب أما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته فى يوم بدر ولم يتمكن من التشفى منه والانتقام كيلا يبقى حسرة فى قلبه فقد كان فيهم من بلغ فى أذيته مبلغا عظيما فقال (ولا يحسبن) من قرأ بتاء الخطاب ففعوله الاول (الذين كفروا) وثانيه (سبقوا) أى فاتوا وأفلتوا من ان يظفر بهم (انهم لا يعجزون) كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له الا أن المكسورة على طريقة الاستئناف كأن سائلا سأل مالهم لا يحسبون سابقين فأجيب بما أجيب والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف أى لأنهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أعجزت فلانا وعجزته جعلته أو وجدته عاجزا والمراد لا تحسبنهم أنهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا وآجلا ومن قرأ بالياء التحتانية نذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على أن الاصل أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود أنهم سبقوا ومنها أن الفعل وقع على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا فى موضع الحال ومنها أن المفعول الاول محذوف العلم به والتقدير ولا يحسبنهم أو لا يحسبن أنفسهم الذين كفروا سبقوا قال ومنها ان فاعله محذوف أى ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا آلة وعدة أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله ويتأهبوا لقتال الاعداء فقال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) عن عكرمة

أهل مكة تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاصى بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين قال معمر وقال بعضهم قوم كانوا أقروا بالاسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الى قوله فان الله عزيز حكيم قال رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال ناس كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر وهم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا * قال **حدثنى** حجاج عن ابن جريج فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال لما دنا القوم بعضهم من بعض فقلل الله المسلمين فى أعين المشركين وقلل المشركين فى أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون فى ذلك فقال الله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم وأما قوله ومن يتوكل على الله فان معناه ومن يسلم أمره الى الله ويثق به ويرض بقضائه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شئ ولا يقهره أحد فجاره منيع ومن يتوكل عليه يكفه وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم أن يفوضوا أمرهم اليه ويسلموا القضائه كيما يكفيهم أعداءهم ولا يستذلهم من ناوأهم لأنه عزيز غير مغلوب بجاره غير مقهور حكيم يقول هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم لا يدخل تدبيره خلل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو تعاين يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم تضرب الوجوه منهم والأستاه ويقولون لهم ذوقوا عذاب النار التى تحرقكم يوم ورودكم جهنم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم قال يوم بدر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أسلم عن اسمعيل بن كثير عن مجاهد يضربون وجوههم وأدبارهم

هى الحصون وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال ألا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله والأصح أنها عامة فى كل ما يتقوى به فى الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمى كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر أنه بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب أن ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد روى عن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى فى الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

ولقد علمت على توقى الردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها أولى بالربط لتفيد النسل وقيل هى الفحول لانها أقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لأجله أمر باعداد هذه الاشياء فقال (ترهبون به) أى بما استطعتم (عدو الله وعدوكم) لان الكفار اذا علموا تأهب المسلمين للقتال لم يجسروا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة (وآخرين من دونهم) يريد بالاولين أهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجاريه قوله (لا تعلمونهم الله يعلمهم) والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم فى سلك المسلمين ظاهرا وأجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون فى أنفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدى هم أهل فارس وروى ابن جريج عن سليمن بن موسى انهم كفرة الجن وجاء فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالآخرين أعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم آخر ثم رغبهم فى الانفاق فى باب الجهاد فقال (وما تنفقوا من شئ

قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى ثنا سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد فى قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال أخبرنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير فى قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال ان الله كنى ولو شاء لقال أستاههم وانما عنى بأدبارهم أستاههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أستاههم يوم بدر * قال ابن جريج قال ابن عباس اذا أقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن قال قال رجل يا رسول الله انى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشراك فما ذاك قال ضرب الملائكة حدثنا محمد قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن منصور عن مجاهد أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر رأسه فقال سبقك اليه الملك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة أنه سمع عمر مولى غفرة يقول اذا سمعت الله يقول يضربون وجوههم وأدبارهم فانما يريد أستاههم * قال أبو جعفر وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره وهو قوله ويقولون ذوقوا عذاب الحريق حذفت يقولون كما حذفت من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا بمعنى يقولون ربنا أبصرنا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الله الذى يحرقكم هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم أى بما كسبت أيديكم من الآثام والاوزار واجترحتم من معاصى الله أيام حياتكم فذوقوا اليوم العذاب وفى معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بان الله ليس بظلام للعبيد لا يعاقب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه ولا يعذبه الا بمعصيته اياه لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه وفى فتح أن من قوله وأن الله وجهان من الاعراب أحدهما النصب وهو للعطف على ما التى فى قوله بما قدمت بمعنى ذلك بما قدمت أيديكم وبان الله ليس بظلام للعبيد فى قول بعضهم والخفض فى قول بعض والآخر الرفع على ذلك بما قدمت وذلك أن الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ﴾ يقول تعالى ذكره فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الامم الخالية قبلهم ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك وقد بينا فيما مضى أن الدأب هو الشأن والعادة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا شيبان عن جابر عن عامر ومجاهد وعطاء كدأب آل فرعون كفعل آل فرعون كسنن آل فرعون وقوله فأخذهم الله بذنوبهم يقول فعاقبهم الله بتكذيبهم حجه ورسله ومعصيتهم ربهم كما عاقب أشكالهم والامم الذين قبلهم ان الله قوى لا يغلبه غالب

فى سبيل الله يوف اليكم) أى ثوابه (وأنتم لاتظلمون) لاتنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم رخص فى المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال (وان جنحوا للسلم) الآية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب أو بتأويل الخصلة أو الفعلة عن ابن عباس ومجاهد أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لايؤمنون بالله أو بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى أن يقال انها ثابتة فليس بحتم أن يقاتل المشركون أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا وانما الامر موقوف على مايرى فيه الامام صلاح الاسلام وذويه فاذا رأى الصلاح فى الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد أو لقلة المال وبعد العدو وقد تكون مع القوة للطمع فى اسلامهم أو قبولهم الجزية اذا خالطوا المسلمين أو بأن يعينوه على قتال غيرهم وأما مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح فى المهادنة فقد قال الشافعى يهادن أربعة أشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا فى الارض أربعة أشهر وذلك كان فى أقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا أنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استأنف العقد ثم قال (وتوكل على الله) أى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شأن قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم (انه هو السميع) للاقوال (العليم) بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما أمكن ثم ذكر حكما من أحكام المهادنة فقال (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك) محسبك وكافيك (الله) والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان أصل الايمان مبنى على الظاهر ولا تنافى بين هذه الآية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم

ولا يرد قضاءه راد ينفذ أمره ويمضى قضاءه فى خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم) يقول تعالى ذكره وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم بانهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم باخراجهم اياه من بينهم وتكذيبهم له وحربهم اياه فغيرنا نعمتنا عليهم باهلاكنا اياهم كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يقول نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش وكفروا فنقله الى الأنصار وقوله وأن الله سميع عليم يقول لا يخفى عليه شئ من كلام خلقه يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر عليم بما تضمره صدورهم وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ۞ القول فى تأويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يقول تعالى ذكره غير هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر نعمة ربهم التى أنعم بها عليهم بابتعاثه محمدا منهم وبين أظهرهم داعيا لهم الى الهدى بتكذيبهم اياه وحربهم له كدأب آل فرعون كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبى الله فى تكذيبهم اياه وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الامم المكذبة رسلها وصنيعهم فأهلكناهم بذنوبهم بعضا بالرجفة وبعضا بالخسف وبعضا بالريح وأغرقنا آل فرعون فى اليم وكل كانوا ظالمين يقول كل هؤلاء الامم التى أهلكناها كانوا فاعلين مالم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر اذ غيروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف وأذللنا بعضهم بالاسار والسباء ۞ القول فى تأويل قوله (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون يقول فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرون بوحيه وتنزيله ۞ القول فى تأويل قوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون) يقول تعالى ذكره ان شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم يا محمد يقول أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك وهم لا يتقون الله ولا يخافون فى فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم قال قريظة مالؤا على محمد يوم الخندق أعداءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ۞ القول فى تأويل قوله (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاما

تلقين

خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على أمور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على أمارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم أكد كون الله تعالى كافيا له بقوله (هو الذى أيدك بنصره) أى من غير واسطة أسباب معتادة (و بالمؤمنين) أى بوساطة الانصار ثم بين أنه كيف أيده بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك أشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن فى الامور المستحقرة لم تكد تألف أهواؤهم وينتظم شملهم ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال والتحقيق فى الباب أن المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة أمرا سريع التغير كالمال أو الجاه أو اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا وحبا دائما لم يتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق فى المال والجاه والتعصب والتفرق فلاجرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين أخرى فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين فى الله ولله (انه عزيز حكيم) أى قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعى فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان أو على حسب المصالح على اختلاف القولين فى مسئلة الجبر والقدر قال القاضى لولا ألطاف الله تعالى

تلقين فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة فتأسرهم فشرد بهم من خلفهم يقول فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد والتشريد التطريد والتبديد والتفريق وانما أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم اذا قدر عليهم فعلا يكون اخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد حتى لا يجترؤا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يعنى نكل بهم من بعدهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من وراءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول عظ بهم من سواهم من الناس حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدو لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فشرد بهم من خلفهم قال أنذر بهم من خلفهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال نكل بهم من خلفهم من بعدهم * قال ابن جريج قال عبد الله ابن كثير نكل بهم من وراءهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من بعدهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم قال أخفهم بما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وأما قوله لعلهم يذكرون فان معناه كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم فيحذروا نقض العهد الذى بينك وبينهم خوف أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء اذا هم نقضوه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ﴾ يقول تعالى ذكره وإما تخافن يا محمد من عدوك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك وذلك هو الخيانة والغدر فانبذ اليهم على سواء يقول فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء فى العلم بأنك لهم محارب فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر ان الله لا يحب الخائنين الغادرين عن كان منه فى أمان وعهد بينه وبينه أن تغدر به فتحاربه قبل اعلامه اياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد فان قال قائل وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظن لا يقين قيل ان الامر بخلاف ما اليه ذهبت وانما معناه اذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك وخفت وقوعهم بك فألق اليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب

ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وأدبه الى أبيه لاجل أنه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته وأجيب بأنه عدول عن الظاهر والآية صريحة فى أن العقائد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبى على دينك ووفقنى لمتابعة نبيك انك (٣٠) قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال (يا أيها النبى حسبك الله) ومحل (ومن اتبعك) منصوب لانه بمنزلة زيد فى قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير فى كلامهم أن يقولوا حسبك وأخيك بل المستعمل أن يقال حسبك وحسب أخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك وحسب من اتبعك ومعنى الآية كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز أن يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فأنزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه أن كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد فى الجهاد فقال (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال) والتحريض فى اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشئ وذكروا فى اشتقاقه أنه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كأنه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المأمور أو كأنه يأمره أن يبالغ فيه وفى تحصيله حتى يدنو من التلف وفى قوله (ان يكن منكم عشرون صابرون) عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم بعون الله وتأييده واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يغلب قط مائتان كفروا من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن أن يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان التخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر فى معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله (الآن خفف الله عنكم) والنسخ

وذلك كالذى كان من بنى قريظة اذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معه بعد العهد الذى كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة وان يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اجابتهم اياه الى ذلك موجبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لامام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذى ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها حق على امام المسلمين أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب ومعنى قوله على سواء أى حتى يستوى علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم

وقيل نزلت الآية فى قريظة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فانبذ اليهم على سواء قال قريظة وقد قال بعضهم السواء فى هذا الموضع المهل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال انه مما تبين لنا أن قوله فانبذ اليهم على سواء أنه على مهل كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان فى قول الله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتهم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر وأما أهل العلم بكلام العرب فانهم فى معناه مختلفون فكان بعضهم يقول معناه فانبذ اليهم على عدل يعنى حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز

واضرب وجوه الغدر للاعداء * حتى يجيبوك الى السواء

يعنى الى العدل * وكان آخرون يقولون معناه الوسط من قول حسان

ياويح أنصار الرسول ورهطه * بعد المغيب فى سواء الملحد

بمعنى فى وسط اللحد وكذلك هذه المعانى متقاربة لان العدل وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصر عنه وكذلك الوسط عدل واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة عدل من الفعل ووسط وأما الذى قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهل فما لا أعلم له وجها فى كلام العرب

القول فى تأويل قوله ﴿ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم وبالتاء فى تحسبن بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل ان هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم اذا طلبهم وأراد تعذيبهم واهلاكهم بأنفسهم فيفوتوه بها وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة ولا يحسبن الذين كفروا بالياء فى يحسبن وكسر الالف من أنهم وهى قراءة غير جيدة لمعنيين أحدهما خروجها من قراءة القراء وشذوذها عنهم والآخر بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن يحسب يطلب فى كلام العرب منصوبا وخبره كقولك عبد الله يحسب أخاك قائما ويقوم وقام فقارئ هذه القراءة أصحب يحسب خبر الغير مخبر عنه مذكور وانما كان مراده بطلب ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون نافلم يفكر فى صواب مخرج الكلام وسقمه واستعمل فى قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام وأحسب أن الذى دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله وذلك أنه فيما ذكر فى مصحف عبد الله ولا يحسبن الذين

بالامر ألبق منه بالخبر و بدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب فى الثبات على الجهاد فعنى الآية اذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا فى القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب على الواحد أن يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر فى قوله

كفروا أنهم سبقوا إنهم لا يعجزون وهذا فصيح صحيح اذا أدخلت أنهم فى الكلام لان يحسبن عاملة فى أنهم واذا لم يكن فى الكلام أنهم كانت خالية من اسم تعمل فيه وللذى قرأ ذلك من القراء وجهان فى كلام العرب وان كانا بعيدين من فصيح كلامهم أحدهما أن يكون أريد به ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا أو أنهم سبقوا ثم حذف أن وأنهم كما قال جل ثناؤه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا بمعنى أن يريكم وقد ينشد فى نحو ذلك بيت لذى الرمة

أظن ابن طرثوث عينة ذاهبا * بعاديتى تكذابه وجعائله

بمعنى أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتى تكذابه وجعائله وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالباء يوجه سبقوا الى سابقين على هذا المعنى والوجه الثانى على أنه أراد اضمار منصوب بحسب كأنه قال ولا تحسب الذين كفروا أنهم سبقوا ثم حذف الهمز وأضمر وقد وجه بعضهم معنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه انما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه وأن ذكر المؤمن مضمر فى قوله يخوف اذ كان الشيطان عنده لا يخوف أولياءه وقرأ ذلك بعض أهل الشام ولا تحسبن الذين كفروا بالتاء من تحسبن سبقوا أنهم لا يعجزون بفتح الالف من أنهم بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون ولا وجه لهذه القراءة يعقل الا أن يكون أراد القارئ بلا التى فى يعجزون لا التى تدخل فى الكلام حشوا وصلة فيكون معنى الكلام حينئذ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون ولا وجه لتوجيه حرف فى كتاب الله الى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله فى الصحة مخرج * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا تحسبن بالتاء الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم لا يعجزون بمعنى ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بأنفسهم ففاتونا انهم لا يعجزوننا أى يفوتوننا بانفسهم ولا يقدرون على الهرب منا كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون يقول لا يفوتون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ يقول تعالى ذكره وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد اذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة يقول ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التى تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم يقول تخيفون باعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل من جهينة يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان الرمى هو القوة ألا ان الرمى هو القوة حدثنا أبو كريب قال ثنا سعيد بن شرحبيل قال ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب وعبد الكريم بن الحرث عن أبى على الهمدانى أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ألا وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ألا ان القوة الرمى ثلاثا حدثنا أبو كريب قال ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبو نعيم عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل

حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر النسبة مرتين لان السرايا التى كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة وأما فى الكرة الثانية فانما كررت النسبة للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى أن عدد عسكر الاسلام سيؤل من العشرات والمئات الى الالوف والله أعلم بمراده ثم بين السبب فى الغلبة فقال (بأنهم قوم لا يفقهون) أى بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة عندهم فى هذه الحياة العاجلة وأيضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه آخر وهو أن أهل العلم والمعرفة يكون لهم فى أعين الناس هيبة وحشمة ويكونون فى أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن فى غربة وعدونا فى أهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وأسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم

أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة فى ثلاثين راكبا قبل بدر فلقى أبا جهل فى ثلثمائة راكب وأرادوا قتالهم فمنعهم مجدى وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس الى خالد بن صفوان وكان فى جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لى فقال انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغنى أنه جمع لى فاخرج اليه واقتله فلما خرجت

نحوه ودنوت منه وجدت القشعريرة فقال لى من الرجل قلت له من العرب سمعت بذ وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف وأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أنى قتلته فأعطانى عصاه وقال امسكها فانها آية بينى وبينك يوم القيامة وقال عكرمة انما أمر الرجل أن يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس أيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل أن الجمهور ادعوا أن قوله (الآن خفف الله عنكم) ناسخ لحكم الآية المتقدمة وأنكر ذلك أبو مسلم الاصفهانى قال لأن لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا أنه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين فى مقابلة المائتين ولم لا يجوز أن يكون المراد ان حصل عشرون صابرون فى مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل فى حق هؤلاء لقوله وعلم أن فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضى ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الآيتين والناسخ يجب أن يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول أبى مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى أعلم ومعنى قوله (وعلم أن فيكم ضعفا) ظهر معلومه فلا يبقى لهشام حجة فى مذهبه أنه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك والظاهر أن المراد الضعف الانسانى المذكور فى قوله وخلق الانسان ضعيفا ۞ التأويل يضربون وجوههم وأدبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له ألم من جهة الخلف ويقبل على الآخرة ولا نور له يبصر به ما أمامه فيحصل له ألم من قدام لم يلق مغيرا نعمة مبدئه حسن تقديم واستعداد أعطاهم الله بضده حتى يغير وا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد الفطرى الذين عاهدت

عن عقبة بن عامر الجهنى قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فقال الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى ثلاث مرات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن عامر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر فذكر نحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه محمد بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن شعبة ابن دينار عن عكرمة فى قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الحصون ومن رباط الخيل قال الاناث **حدثنا** على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبى سلمة قال لقى رجل مجاهدا بمكة ومع مجاهد جوالق قال فقال مجاهد هذا من القوة ومجاهد يتجهز للغزو **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من سلاح وأما قوله ترهبون به عدو الله وعدوكم فقال ابن وكيع **حدثنا** أبى عن اسرائيل عن عثمان بن المغيرة الثقفى عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عثمان عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم (١) وكذا كان يقرأ بها ترهبون **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة وخصيف عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به تخزون به **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله يقال منه أرهبت العدو ورهبته فانا أرهبه وأرهبه ارهابا وترهيبا وهو الرهب والرهب ومنه قول طفيل الغنوى

ويل أم حى دفعتم فى نحورهم * بنى كلاب غداة الرعب والرهب

۞ القول فى تأويل قوله ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ اختلف أهل التأويل فى هؤلاء الآخرين من هم وما هم فقال بعضهم هم بنو قريظة ذكر من قال ذلك **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم يعنى من بنى قريظة **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم قال قريظة * وقال آخرون من فارس ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم هؤلاء أهل فارس * وقال آخرون هم كل عدو للمسلمين غير الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يشرد بهم من خلفهم قالوا وهم المنافقون ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم

---

(١) يريد أن ابن عباس كان يقرأ تخزون بدل ترهبون كما نقله عنه فى الكشاف اه كتبه مصححه

منهم يا روح فى الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرد يا روح بهم من خلفهم أى بالغ فى تبديل صفات النفس وفى تزكيتها بحيث يؤثر نور تبدلها فى الصفات التى وراءها فانبذ اليهم على سواء أى أظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون أى النفوس الكافرة تحت تصرفى فلا تقنطوا من رحمتى فى اصلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الله الشيطان وعدوكم النفس والهوى وآخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلمونهم أنهم عدوكم من الاحباب والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم أنهم عدو لكم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شئ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائده من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وألف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو أنفقت ما فى أرض وجودك من السعى والجد والاجتهاد لما بين الروح النورانى والنفس الظلمانى من التضاد ولكن الله ألف بين الروح والنفس وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانسانى طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله أعلم ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء

قال أخفهم بهم لما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله ويغزون معكم * وقال آخرون هم قوم من الجن * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين باعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل ولا وجه لان يقال عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة وقد عم الله الامر بها فان قال قائل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله ألا ان القوة الرمى قيل له ان الخبر وان كان قد جاء بذلك فليس فى الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمى خاصة دون سائر معانى القوة عليهم فان الرمى أحد معانى القوة لانه انما قيل فى الخبر ألا ان القوة الرمى ولم يقل دون غيرها ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم هذا مع وهى سندا الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم فان قول من قال عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب لانه جل ثناؤه قد أدخل بقوله ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الامر بارتباط الخيل لارهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم لعلمهم بأنهم مشركون وأنهم لهم حرب ولا معنى لان يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنى ذلك ان شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بنى آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم لأن بنى آدم لا يرونهم وقيل ان صهيل الخيل يرهب الجن وان الجن لا تقرب دارا فيها فرس فان قال قائل فان المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما تنكر أن يكون عنى بذلك المنافقون قيل فان المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم وانما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يسترون من الكفر وانما أمر المؤمنون باعداد القوة لارهاب العدو فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل فى معنى من أمر باعداد ذلك له المؤمنون وقيل لا تعلمونهم فاكتفى للعلم بمنصوب واحد فى هذا الموضع لانه أريد لا تعرفونهم كما قال الشاعر

فان الله يعلمنى (١) * وانا سوف يلقاه كلانا

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع أو غير ذلك من النفقات فى جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم فى الدنيا ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة وأنتم لا تظلمون يقول يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وان جنحوا للسلم

(١) سقط منه شئ من قلم الناسخ ولم نقف على البيت فحرره كتبه مصححه

بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم ۞ القرا آت أن تكون بالتاء الفوقانية أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد أسارى يزيد والمفضل الآخرون أسرى من الاسارى يزيد وأبو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو حمزة والباقون بفتحها ۞ الوقوف فى الارض ط لتقدير الاستفهام أى أتريدون الآخرة ط حكيم ○ عظيم ○ واتقوا الله ط رحيم ○ ويغفر لكم ط رحيم ○ منهم ط حكيم ○ أولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ○ أولياء بعض ط كبير ○ حقا ط كريم ○ منكم ط فى كتاب الله ط عليم ○ ۞ التفسير هذا حكم آخر من أحكام الجهاد ومعنى ما كان ماصح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل فى الكفرة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبى طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال وتوكل فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم

فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ۞ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ اليهم على سواء وآذنهم بالحرب وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان مالوا الى مسالمتك ومتاركتك الحرب اما بالدخول فى الاسلام وإما باعطاء الجزية واما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجنح لها يقول فمل اليها وابذل لهم ما مالوا اليه من ذلك وسألوكه يقال منه جنح الرجل الى كذا يجنح (١) اليه جنوحا وهى لتميم وقيس فيما ذكر عنها تقول يجنح بضم النون وآخرون يقولون يجنح بكسر النون وذلك اذا مال ومنه قول نابغة بنى ذبيان

جوانح قد أيقن أن قبيله ۞ اذا ما التقى الجمعان أول غالب

جوانح موائل ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان جنحوا للسلم قال للصلح ونسختها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان جنحوا للسلم الى الصلح فاجنح لها قال وكانت هذه قبل براءة كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم الى أجل فاما أن يسلموا واما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك بعد فى براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال قاتلوا المشركين كافة ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويسلموا وأن لا يقبل منهم الا ذلك وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به فان براءة جاءت بنسخ ذلك فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا وان جنحوا للسلم فاجنح لها نسختها الآية التى فى براءة قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان جنحوا للسلم فاجنح لها يقول وان أرادوا الصلح فأرده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم الى الاسلام فصالحهم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قال فصالحهم قال وهذا قد نسخه الجهاد فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون الا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا وقول الله فى براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم غير نافٍ حكمه حكم قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها لأن قوله وان جنحوا للسلم انما عنى به بنو قريظة وكانوا يهودا أهل كتاب وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم وأما قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فانما عنى به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس فى احدى الآيتين نفى حكم الاخرى بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان جنحوا للسلم قال قريظة وأما قوله وتوكل على الله يقول فوض الى الله يا محمد أمرك واستكفه واثق به أنه يكفيك كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق

(١) أى من باب منع اه مصححه

قتلتموهم وان شئتم فادوهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل أحب الىّ * واعلم أن الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا فى هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبى صريح فى النهى وقد حصل الاسر بدليل قل لمن فى أيديكم من الاسرى الثانى انهم أمروا بالقتل يوم بدر فى قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية وأجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولاشك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان أمر غير مضبوط فظنوا أن ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا فى الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم بأخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم فى قوله (تريدون عرض الدنيا) أى حطامها سمى بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر (والله يريد الآخرة) أى ثوابها أو ماهو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل فى أعدائه وقرئ بجر الآخرة أى عرض الآخرة

وتوكل على الله ان الله كافيك وقوله انه هو السميع العليم يعنى بذلك ان الله الذى تتوكل عليه سميع لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه وبشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط والعليم بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ومن المضمر ذلك منكم فى قلبه والمنطوى على خلافه لصاحبه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره وان يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ اليهم على سواء ان خفت منهم خيانة وبسالتهم ان جنحوا للسلم خداعك والمكر بك فان حسبك الله يقول فان الله كافيكهم وكافيك خداعهم اياك لانه متكفل باظهار دينك على الأديان ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى هو الذى أيدك بنصره يقول الله الذى قواك بنصره اياك على أعدائه وبالمؤمنين يعنى بالانصار * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان يريدوا أن يخدعوك قال قريظة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هو الذى أيدك بنصره قال بالانصار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ﴾ يريد جل ثناؤه بقوله وألف بين قلوبهم وجمع بين قلوب المؤمنين من الاوس والخزرج بعد التفرق والتشتت على دينه الحق فصيرهم به جميعا بعد أن كانوا أشتاتا واخوانا بعد أن كانوا أعداء وقوله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو أنفقت يا محمد ما فى الارض جميعا من ذهب وورق وعرض ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ولكن الله جمعها على الهدى فائتلفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييدا منه ومعونة على عدوك يقول جل ثناؤه والذى فعل ذلك وسببه لك حتى صار والك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغالك سوأ هو الذى ان رام عدو منك مراما يكفيك كيده وينصرك عليه فثق به وامض لامره وتوكل عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وألف بين قلوبهم قال هؤلاء الانصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بشير بن ثابت رجل من الانصار أنه قال فى هذه الآية لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعنى الانصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك به اليهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه يعنى الاوس والخزرج حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابراهيم الجزرى عن الوليد بن أبى مغيث عن مجاهد قال اذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما قال قلت لمجاهد بمصافحة يغفر لهما فقال مجاهد

(٤ - ابن جرير - عاشر)

على التقابل (والله عزيز) يغلب أولياؤه على أعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه (حكيم) لا يرخص فى أخذ الفداء الا بعد افشاء القتل فى الاعداء والجواب ان مثل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام فى قوله (لولا كتاب من الله سبق) أى لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا يخطئ فى الاجتهاد

لانهم نظروا فى ان استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وحصول أولاد منهم مسلمين وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوى اسلامهم أنزل الله بعد ذلك فى الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء

قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم أن مقتضى الآيتين مختلف وليس كذلك فان كلتاهما تدل على انه لابد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفدية وكأن قرب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهى وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان فى كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم أن لا يكونوا مكلفين والجواب أن عدم العقاب على الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا روى انهم أمسكوا عن الغنائم أو عن أخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت (فكلوا) والفاء للتسبيب ومعنى الآية قد أبحت لكم الغنائم فكلوا و(حلالا) نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (واتقوا الله) فيما يستقبل فلا تقدموا على شئ لم تؤمروا به (ان الله غفور) لما فرط منكم من ترك الاولى (رحيم) فبذلك رخص لكم فيما رخص من أخذ الفداء واستشهد ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله) ان يظهر معلومه أن (فى قلوبكم خيرا) وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله فى جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصى ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول

أما سمعته يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم فقال الوليد لمجاهد أنت أعلم منى حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد عن أبى عمرو قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ولقيته وأخذ بيدى فقال اذا تراءى المتحابان فى الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا اليسير قال لا تقل ذلك فان الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت أنه أفقه منى حدثنى محمد بن خلف قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا فضيل بن غزوان قال أتيت أبا اسحق فسلمت عليه فقلت أتعرفنى فقال فضيل نعم لولا الحياء منك لقبلتك حدثنى أبو الاحوص عن عبد الله قال نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمير بن اسحق قال كانت تحدث أن أول ما يرفع من الناس أو قال عن الناس الألفة حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد عن الاوزاعى قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم عن الوليد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وابن غير وحفص بن غياث عن فضيل بن غزوان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص قال سمعت عبد الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية قال هم المتحابون فى الله وقوله انه عزيز حكيم يقول ان الله الذى ألف بين قلوب الاوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما وجعلهم له أنصارا عزيز لا يقهر شئ ولا يرد قضاءه وارادته لكنه ينفذ فى خلقه حكمه يقول فعليه فتوكل وبه فثق حكيم فى تدبير خلقه القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم أمرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن شوذب بن معاذ عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن شوذب عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من معك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن شوذب عن عامر بنحوه الا أنه قال حسبك الله وحسب من شهد معك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين ان حسبك أنت وهم الله فمن من قوله ومن اتبعك من المؤمنين على هذا التأويل الذى ذكرناه عن الشعبى نصب عطفا على معنى الكاف فى قوله حسبك الله لا على لفظه لأنها فى محل خفض فى الظاهر وفى محل نصب فى المعنى لان معنى الكلام يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين وقد قال بعض أهل العربية فى من انها فى موضع رفع على العطف على اسم الله كأنه قال حسبك الله ومتبعوك الى جهاد العدو من المؤمنين دون القاعدين عنك منهم

والتوبة عن محاربته (يؤتكم) فى الدنيا (خيرا مما أخذ منكم) من المنافع العاجلة (ويغفر لكم) فى الآخرة أو المراد بالخير إيصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم أن كل من خلص من الاسر وآمن فقد آتاه الله فى الدنيا خيرا لدلالة الآية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دنيويا فلا شك أن كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان أعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفضيل ذلك غير معلوم الا ما روى عن بعضهم كالعباس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأنا أرجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الآية فى العباس وعقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لأهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى أسر فقال العباس كنت مسلما الا انهم استكرهونى فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فقال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك ذلك الذهب على فقال أما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفنى الرسول صلى الله عليه وسلم فداء ابن أخى عقيل بن أبى طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتنى يا محمد أتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقلت لها لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى فان حدث فى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك فأما اذ أخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب ان

واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله حرض المؤمنين على القتال ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال حث متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين ان يكن منكم عشرون رجلا صابرون عند لقاء العدو يحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوهم يغلبوا مائتين من عدوهم ويقهروهم وان يكن منكم مائة عند ذلك يغلبوا منهم ألفا بأنهم قوم لا يفقهون يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لانهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا وطلب موعود الله فى المعاد ما وعد المجاهدين فى سبيله فهم لا يثبتون اذا صادفوا فى اللقاء خشية أن يقتلوا فتذهب دنياهم ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين اذ علم ضعفهم فقال لهم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا يعنى أن فى الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة عند لقائهم للثبات لهم يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم باذن الله يعنى بتخلية الله اياهم لغلبتهم ومعونته اياهم والله مع الصابرين لعدوهم وعدوالله احتسابا فى صبره وطلبا لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه ﴿وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك﴾ حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سفيان عن ليث عن عطاء فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان الواحد لعشرة ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغى له أن يفر منهما حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبى قال ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار فقال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فخفف ذلك عنهم فجعل على الرجل رجلان قال ابن عباس فما أحب أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين قال وكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم وان كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغى له أن يفر منهم فكانوا كذلك حتى أنزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فعلى كل رجل من المسلمين رجلين من المشركين فنسخ الامر الاول وقال مرة أخرى فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فأمر الله الرجل

أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى ثم قال (وان يريدوا خيانتك) أى نكث ما بايعوك عليه روى انه صلى الله عليه و
لما أطلقهم من الاسر عهد معهم أن لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المرا
الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء (فامكن) أى المؤمنين (منهم) يوم بدر قتلا وأسرا فذاقوا وبال أمرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة أخرى ان أعادوا الخيانة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) فيجازيهم على حسب أعمالهم واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه فى الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه فى ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر فى خاتمة هذه السورة أحكام هذه الاصناف وأحوالهم مع ذكر أنصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار أيضا فقال (ان الذين آمنوا) ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف (وهاجروا) فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران فى طلب مرضاة الله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضيعاتهم وبقيت فى أيدى الاعداء واحتاجوا الى الانفاق فى تلك العزيمة والسفرة وفى الغزوات والمحاربات وأما المجاهدة بالانفس فيكفى فى وصف ذلك أنهم أقدموا على قتال أهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء فى غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على أنهم أزالوا أطماعهم عن الحياة وبذلوا أرواحهم فى سبيل الله وكانوا أول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة أثر عظيم فى تقوية الدين لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا و ان غيرهم يقتدى بهم وتقوى دواعيهم يمارون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولأن المهاجرين لهم سابقة قدم فى الاسلام ذ

(فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من

من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك على المؤمنين و رحمهم الله فقال ان يكن منك
مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين فا
الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى ق
ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القت
الى قوله بأنهم قوم لا يفقهون وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من الع
يؤشبهم يعنى يغريهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو وان الله ناصرهم على العدو ولم يكن أم
عزمه الله عليهم ولا أوجبه ولكن كان تحريضا ووصية أمر الله بها نبيه ثم خفف عنهم فقال الآ
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ليعلم المؤمنو
أن الله بهم رحيم فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا ولو كان عليهم واجبا الغزو اذا بعد كل
رجل من المسلمين عمن لقى من الكفار اذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم فلا يغرنك قول من
فانى قد سمعت رجالا يقولون انه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رج
رجلان وحتى يكون على كل رجلين أربعة ثم بحساب ذلك وزعموا أنهم يعصون الله ان قاتلوا حت
يبلغوا عدة ذلك وانه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجل
وعلى كل رجلين أربعة وقد قال الله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤ
بالعباد وقال الله فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين فهو التحريض الذ
أنزل الله عليهم فى الأنفال فلا يعجزك قائل قد سقطت بين ظهرى أناس كما شاء الله أن يكو
حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحصين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا قال فى سو
الانفال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذ
كفروا بانهم قوم لا يفقهون ثم نسخ فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الى ق
والله مع الصابرين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة فى قوله ان يكن منك
عشرون صابرون قال واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ثم خفف عنهم فجعل عليهم أن لا
رجل من رجلين **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الى قوله وان يكن منكم مائة قال هذا الأصح
محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار فضجوا من ذلك فخ
على الرجل رجلين تخفيفا من الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابرا
ابن يزيد عن عمرو بن دينار وأبى معبد عن ابن عباس قال انما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعش
والعشرة لمائة اذ المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم فامر الرجل أن يصبر لرج
والعشرة للعشرين والمائة لمائتين **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
ابن أبى نجيح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم ان
عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم وقال ان يكن منكم مائة صا
يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين فينبغى لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم

تعالى الانصار بعدهم فقال (والذين آووا ونصروا) أى الذين أنزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على اعدائهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) أطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على أن المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازى رحمه الله هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما أمكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان ولى من لاولى له وقال سبحانه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد أن المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وأنهم يد واحدة على الاعداء وأن حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه أما قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ) فوجهت قراءة حمزة بأن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز أن يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصر وكم عليه لان الشئ لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر وأجيب بانا لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان أهل الايمان قد ينصر بعض أهل الذمة فى بعض الاحوال مع أنهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل أن يهاجروا وأثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهى المسلمين عن موالاتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه أن المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان كل واحد منهم فى نهاية الانكار لصاحبه وذلك من أدل الدلائل أن تلك العداوة ليست لاجل

صبروا لهم غلبوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين جعل الله على كل رجل رجلين بعدما كان على كل رجل عشرة وهذا الحديث عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن جرير بن حازم عن الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا فشق ذلك عليهم فأنزل الله التخفيف فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين خفف الله عنهم ونقصوا من الصبر بقدر ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين يقول يقاتلوا مائتين فكانوا أضعف من ذلك فنسخها الله عنهم فخفف فقال فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فجعل أول مرة الرجل لعشرة ثم جعل الرجل لاثنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذ لقى عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فيقول لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جويبر عن الضحاك قال كان هذا واجبا أن لا يفر واحد من عشرة * وبه قال أخبرنا الثورى عن ليث عن عطاء مثل ذلك وأما قوله بانهم قوم لا يفقهون فقد بينا تأويله وكان ابن اسحق يقول فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بانهم قوم لا يفقهون أى لا يقاتلون على نية ولا حق فيه ولا معرفة لخير ولا شر وهذه الآية أعنى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان كان مخرجها مخرج الخبر فان معناها الأمر يدل على ذلك قوله الآن خفف الله عنكم فلم يكن التخفيف الا بعد التثقيل ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه لأن التخفيف انما هو ترخيص فى ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو واذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما لم يكن للترخيص وجه اذ كان المفهوم من الترخيص انما هو بعد التشديد واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن حكم قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ناسخ لحكم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا وقد بينا فى كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الاحكام أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء وعلى تركه عقابا وعذابا وان لم يكن خارجا ظاهره مخرج الامر ففى معنى الامر بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * واختلفت القراء فى قراءة قوله وعلم أن فيكم ضعفا فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين وعلم أن فيكم ضعفا بضم الضاد فى جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وعلم أن فيكم ضعفا بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف وقرأه بعض المدنيين ضعفاء على

الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على أن الكفار في التوارث على اختلاف ملله كأهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال (الا تفعلوه) أي ما أمرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة أصلا (تكن فتنة) أي تحصل مفاسد عظيمة (في الارض) من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشأن المؤمنين وثناء عليهم قوله (والذين آمنوا وهاجروا) الآية فوصفهم بأنهم هم المؤمنون حقا و (لهم مغفرة ورزق كريم) وقد تقدم تفسير مثله في أول السورة والحاصل أن هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم أعرضوا عن اللذات الجسمانية فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على أنه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال (والذين آمنوا من بعد) نقل الواحدي عن ابن عباس أن المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والأصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى (فاولئك منكم) ألحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشأن السابقين ولولا كون القسم الاول أشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله (وأولو الارحام) أي ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) أي أحق بهم وأجدر (في كتاب الله) أي في حكمه وقسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة عند الأكثرين للتوارث بالهجرة والنصرة أما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الآية أن ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم أعني ازالة وهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوي الارحام وهم يقولون

تقدير فعلاء جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريف على شرفاء والرحيم رحماء * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه وعلم أن فيكم ضعفا وضعفا بفتح الضاد أو ضمها لانهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فأما قراءة من قرأ ذلك ضعفاء فانها عن قراءة القراء شاذة وان كان لها في العربية مخرج فلا أحب لقارئ القراءة بها ۞ القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ما كان لنبي أن يحتبس كافر اقدر عليه وصار في يده من عبدة الاوثان للفداء أو للمن والاسر في كلام العرب الحبس يقال منه مأسور يراد به محبوس ومسموع منهم أناله الله أسرا وانما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم واطلاقهم وقوله حتى يثخن في الارض يقول حتى يبالغ في قتل المشركين فيها ويقهرهم غلبة وقسرا يقال منه أثخن فلان في هذا الامر اذا بالغ فيه وحكي أثخنته معرفة بمعنى قتلته معرفة تريدون يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا باسركم المشركين وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع يقول تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها والله يريد الآخرة يقول والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته في جنانه بقتلكم اياهم وإثخانكم في الارض يقول لهم واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم اليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها والله عزيز يقول ان أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدو لكم لان الله عزيز لا يقهر ولا يغلب وانه حكيم في تدبيره أمر خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الاساري فاما منا بعد واما فداء فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأساري بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا الآية قال أراد أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ففادوهم بأربعة آلاف ولعمري ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان أول قتال قاتله المشركين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد قال الاثخان القتل حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن الاعمش عن سعيد بن جبير في قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض قال اذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل * قال حدثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد ما كان لنبي أن تكون له أسرى الآية نزلت الرخصة بعد ان شئت فمن وان شئت ففداء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك

يقول فى قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض يعنى الذين أسروا ببدر
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان لنبى أن تكون له أسرى من عدوه حتى
يثخن فى الارض أى يثخن عدوه حتى ينفيهم من الارض تريدون عرض الدنيا أى المتاع والفداء
بأخذ الرجال والله يريد الآخرة بقتلهم لظهور الدين الذى يريدون اطفاءه الذى به تدرك الآخرة
حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن
عبد الله قال لما كان يوم بدر وجىء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون فى هؤلاء
الاسرى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم
وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة
يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا قال فقال له العباس
قطعت رحمك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول
أبى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال من تبعنى
فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك
الآية ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا ابن رواحة
كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق
قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء منى فى ذلك اليوم حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال فأنزل الله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى
يثخن فى الارض الى آخر الثلاث الآيات حدثنا ابن بشار قال ثنا عكرمة بن عمار قال ثنا
أبو زميل قال ثنى عبد الله بن عباس قال لما أسروا الاسارى يعنى يوم بدر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أين أبو بكر وعمر وعلى قال ماترون فى الأسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم
والعشيرة وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال لا والذى لا اله الا هو ما أرى الذى رأى
أبو بكر يا نبى الله ولكن أرى أن تمكننا منهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من
العباس فيضرب عنقه وتمكنى من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر
وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت قال عمر فلما كان
من الغد جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله
أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكى للذى عرض لأصحابى من أخذهم الفداء ولقد عرض على
عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل

ذو قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة أو كل قريب يخرج عن أصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة أصناف الجد أبو الام وكل
جد وجدة ساقطين وأولاد البنات وبنات الاخوة وأولاد الاخوات وبنو الاخوة للام والعم للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات
والخلاف فى أنه اذا لم يوجد ذو فرض أو عصبة فهل يورث ذوو الارحام أو يوضع المال فى بيت المال فقدمهم
أبو حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعى وقال ان الآية مجملة
فى الشىء الذى حصلت فيه هذه
الاولوية فلما قال فى كتاب الله كان
معناه فى الحكم الذى بينه الله فى كتابه
فصارت هذه الآية مقيدة باحكام
آية الميراث فلا تبقى حجة فى توريث
ذوى الارحام * واعلم انه سبحانه قال
فى أول الآيات وجاهدوا باموالهم
وأنفسهم فى سبيل الله وفى براءة
بتقديم فى سبيل الله لان فى هذه
السورة تقدم ذكر المال والفداء
والغنيمة فى قوله تريدون عرض
الدنيا وفى قوله لمسكم فيما أخذتم أى
من الفداء وفى قوله فكلوا مما غنمتم
وفى براءة تقدم ذكر الجهاد فى
سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم وفى قوله كمن آمن بالله
واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ثم
انه حذف من الآية الثانية باموالهم
وأنفسهم اكتفاء بما فى الاولى
وحذف من الثالثة فى سبيل الله أيضا
اكتفاء بما فى الآيتين قبلها والله
أعلم ثم ختم السورة بقوله (ان الله بكل
شىء عليم) والمراد أن هذه الاحكام
التى ذكرتها وفصلتها كلها حكم
وصواب وصلاح وليس فيها عيب
وعبث لان العالم بجميع المعلومات
لا يحكم الا بالصواب ونظيره أن
الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من
يفسد فيها قال مجيبا لهم انى أعلم
ما لا تعلمون ﴿ التأويل ما كان لنبى
الروح أن يكون له أسرى أى

نفس مأسورة وقوى موجهة الى تدبير أمور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق للحق حتى يشيع فى أرض البشرية قتل
القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحى يتحنث فى غار حراء تريدون
عرض الدنيا فيه اشارة الى أن الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الآخرة منكم أى ليس الانسان من

ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله حلالا طيبا وأحل الله الغنيمة لهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لاهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الاسرى الفداء لولا كتاب من الله سبق يقول لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله محل لكم الغنيمة وأن الله قضى فيما قضى لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وأنه لا يعذب أحدا شهد المشهد الذي شهدتم ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا دين الله لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا كتاب من الله سبق الآية ان الله كان مطعم هذه الامة الغنيمة وانهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمر وابه فعاب الله ذلك عليهم ثم أحله حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله لولا كتاب من الله سبق الآية وذلك يوم بدر أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المغانم والاسارى قبل أن يؤمروا به وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أم الكتاب المغانم والاسارى حلال لمحمد وأمته ولم يكن أحله لأمة قبلهم وأخذوا المغانم وأسروا الاسارى فأنزل اليهم في ذلك قال الله لولا كتاب من الله سبق يعني في الكتاب الاول أن المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا كتاب من الله سبق الآية وكانت الغنائم قبل أن يبيح النبي صلى الله عليه وسلم في الامم اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلا أو كثيرا حرم ذلك على كل نبي وعلى أمته فكانوا لا يأكلون منه ولا يغلون منه ولا يأخذون منه قليلا ولا كثيرا الا عذبهم الله عليه وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا فلم يحله لنبي الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وكان قد سبق من الله في قضائه ان المغنم له ولامته حلال فذلك قوله يوم بدر في الفداء من الاسارى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عروة عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال ان الله كان معطي هذه الغنيمة وفعلوا الذي فعلوا قبل ان تحل الغنيمة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الاعمش في قوله لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله ان أحل لهم الغنائم حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن بشير بن ميمون قال سمعت ابن عمر يحدث عن أبي هريرة قال قرأ هذه الآية لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم يعني لولا انه سبق في علمي أني سأحل الغنائم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح وأبو معاوية بنحوه عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس من قبلكم كانت تنزل من السماء وتأكلها حتى كان يوم بدر فوقع الناس في الغنائم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حتى بلغ حلالا طيبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه قال فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم

من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بأنوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يغنيكم عنكم ويبقيكم به يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى من النفوس المأسورة التي أسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذل عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من اللذات الفانية وأسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق السرمدي وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فأمكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم بأحوالها حكيم فيما دبر من أمر جهادها وتزكيتها والذين آووا ذكر الله ومحبته في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم أولئك بعضهم أولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بأن الطلب حق ولم يهاجروا عن أوصافهم وأفعالهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم تمسكوا بأذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بأن تدلوهم على طريق الحق بعملكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الاعلى قوم أي الاعلى بعض أحوالكم مما صالحتهم عليه نفوسكم ما جاهدتموها وأسرتموها وأمنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في أوان الجهاد فاولئك منكم بشر

المتأخرين اذا دخلوا فى زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذوو رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال عليه الصلاة والسلام أمتى كالمطر لا يدرى أولهم خير أم آخرهم

أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منهم سبعون قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والأوقية أربعون درهما ومن الدنانير ستة دنانير حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال فى أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بلى نأخذ الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام بن يحيى قال ثنا عطاء بن السائب عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال أمر عمر رضى الله عنه بقتل الاسارى فأنزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لولا كتاب من الله سبق قال كان المغنم محرما على كل نبى وأمته وكانوا اذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تأكله النار وكان سبق فى قضاء الله وعلمه ان يحل المغنم لهذه الامة فيأكلونه فى بطونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء فى قول الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم قال كان فى علم الله ان تحل لهم الغنائم فقال لولا كتاب من الله سبق بانه أحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيرى عن شريك عن سالم عن سعيد لولا كتاب من الله سبق قال لاهل بدر من السعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله خير لاهل بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم كان سبق لهم من الله خير وأحل لهم الغنائم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه حدثنى يونس قال أخبرنى ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم فقال سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم سبق أنه لا يعذب المؤمنين لانه لا يعذب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه قال كتاب

* (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات

لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم

ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤ
وليجة والله خبير بما تعملون ۞ القرا آت ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلى وخلف
عامر وهشام يدخل بينهما مامدة الباقون أئمة بهمز (٣٤) ثم ياء لا يمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين بغ

بياء الغيبة عباس ۞ الوقوف من المشركين ط معجزى الله لا للعطف الكافرين ٥ من المشركين لا للعطف ورسوله ط لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزى الله ط أليم ٥ لا للاستثناء مدتهم ط المتقين ٥ مرصد ج سبيلهم ط رحيم ٥ مأمنه ط لا يعلمون ٥ المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ٥ ولاذمة ط قلوبهم ج فاسقون ٥ ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا يعملون ٥ ولاذمة ط المعتدون ٥ فى الدين ط يعلمون ٥ أئمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ٥ أول مرة ط أتخشونهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين ٥ مؤمنين ٥ لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ٥ وليجة ط تعملون ٥ ۞ التفسير قد عد فى الكشاف من أسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق أى تبرئ منه والمعفرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردبهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هى سورة العذاب والله ماتركت أحدا الا نالت منه وعن ابن عباس مازالت تقول ومنهم حتى حسبنا أن لا تدع أحدا وللعلماء خلاف فى سبب اسقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن
فى ذلك فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها فى موضع كذا وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وتوفى

سبق لقوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون سبق ذلك وسبق
لا يؤاخذ قوما فعلوا شيأ بجهالة لمسكم فيما أخذتم قال ابن جريج قال ابن عباس فيما أخذتم
أسرتم ثم قال بعد فكلوا مما غنمتم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال
فى الاسارى وأخذ الغنائم ولم يكن أحد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدوه حدثنا
حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى أبو سلمة عن محمد قال ثنى أبو جعفر محمد بن على بن الح
ابن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لى الار
مسجدا وطهورا وأعطيت جوامع الكلم وأحلت لى المغانم ولم تحل لنبى كان قبلى وأعط
الشفاعة خمس لم يؤتهن نبى كان قبلى قال محمد فقال ما كان لنبى أى قبلك أن يكون له أسرى
قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم أى من الاسارى والمغانم عذاب عظيم أى لو
سبق منى أن لا أعذب الا بعد النهى ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ثم أحلها له ولهم رحمة
وعائدة من الرحمن الرحيم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل و
أن قوله لولا كتاب من الله سبق خبر عام غير محصور على معنى دون معنى وكل هذه المعانى
ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق فى كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشئ منها هذه الامة وذلك ما عم
عمل بجهالة واحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر وكل ذلك مما كتب لهم واذ كان ذلك كذلك
وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى وقد عم الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة
بخصوصه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يكن من المؤمنين أحد
نصر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب جعل لا يلقى أسيرا الا ضرب عنقه وقال يا رسول الله
والغنائم نحن قوم نجاهد فى دين الله حتى يعبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عذبنا فى
الامر يا عمر ما نجا غيرك قال الله لا تعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم حدثنا ابن حميد قال
سلمة قال قال ابن اسحق لما نزلت لولا كتاب من الله سبق الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عذاب من السماء لم ينج منه الا سعد بن معاذ لقوله يا نبى الله كان الاثخان فى القتل أحب الى
استبقاء الرجال ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور ر
يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين ح
باحلاله لكم طيبا واتقوا الله يقول وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا فى دينكم شيأ بعد هذه من
أن يعهد فيه اليكم كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم
غفور رحيم وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم وتأويل الكلام فكلوا مما غنمتم حلالا
ان الله غفور رحيم واتقوا الله ويعنى بقوله ان الله غفور لذنوب أهل الايمان من عباده رحيم
أن يعاقبهم بعد توبتهم منها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأ
ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى قل لمن فى يديك وفى يدى أصحابك
أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يقول ان يعلم
الله فى قلوبكم اسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم يقول ويعفو

لكم

صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فقرنت بينهما وكأنه أراد بالمشابهة ماروى عن أبي بن كعب ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القرآن على ما يقوله الامامية * وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في أن الانفال مع التوبة سورتان أم سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلعل الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم تكتب البسملة تنبيها على قول من يرى أنهما واحدة فعملوا عملا يدل على أن هذا الاشتباه حاصل وفيه أنهم لو لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين في ضبط الدين وحفظ القرآن من التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على أن البسملة آية من كل سورة والاجازت كتابتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا فقيل له أليس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى وعما

لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه وكفركم بالله والله غفور لذنوب عباده اذا تابوا رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول في نزلت هذه الآية ذكرمن قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبي اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس في نزلت ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم باسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين الاوقية التي أخذمني فأبى فأبدلني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالي في يديه وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول في والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامي ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توضأ لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ شيئا كيلا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثي فأخذ قال وكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية وكان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين نزلت هذه الآية لقد أعطاني الله خصلتين ما أحب أن لي بهما الدنيا اني أسرت يوم بدر فديت نفسي بأربعين أوقية فاتاني أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الى قوله والله غفور رحيم يعني بذلك من أسر يوم بدر يقول ان علم بطاعتي ونصحتم لرسولي آتيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى عباس وأصحابه قال قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله فنصحن لك على قومنا فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم اعمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أصيب منكم ويغفر لكم الشرك الذي كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وان لي الدنيا لقد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد أعطاني خيرا مما أخذ مني مائة ضعف وقال يغفر لكم وأرجو أن يكون قد غفر لي حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية يعني العباس وأصحابه أسروا يوم بدر يقول الله ان علم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم وكان العباس ابن عبد المطلب يقول لقد أعطانا الله خصلتين ما شئ هو أفضل منهما عشرين عبدا وأما الثانية فنحن في موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه ﴿القول في تأويل قوله ﴿وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان يرد

غير كدشبهة من زعم أنهما سورة واحدة هو أن ختم الانفال وقع بايجاب أن يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تأكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف لا بالبراءة لفساد المعنى والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن يكون

براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد أذن الله معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ اليهم وكأنه قيل للمسلمين اعلموا أن ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روى أنهم كانوا عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العر

فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين أين ساروا والاشهر هي الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روى أن فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد أمر فيها أبا بكر على الموسم فلما نزلت السورة أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد لا يبلغ عن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل بعضهم التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف

هؤلاء الاسارى الذين في أيديكم خيانتك أي الغدر بك والمكر والخداع باظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم فقد خانوا الله من قبل يقول فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر وأمكن منهم ببدر المؤمنين والله عليم بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم حكيم في تدبيره وتدبير أمور خلقه سواهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وان يريدوا خيانتك يعني العباس وأصحابه في قولهم آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله لنصحن لك على قومنا يقول ان كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا وقاتلوا فأمكنك الله منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يريدوا خيانتك الآية قال ذكر لنا أن رجلا كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ثم عمد فنافق فلحق بالمشركين بمكة قال ما كان محمد يكتب الا ما شئت فلما سمع ذلك رجل من الانصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربن بالسيف فلما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وابن خطل وامرأة كانت تدعو على النبي صلى الله عليه وسلم كل صباح فأما عثمان بن أبي سرح وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة فقال يا رسول الله هذا فلان أقبل تائبا نادما فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع به الأنصاري أقبل متقلدا سيفه فأطاف به وجعل ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ اليه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يبايعه فقال أما والله لقد تلومتك فيه لتوفي نذرك فقال يا نبي الله اني هبتك فلولا أومضت الي فقال انه لا ينبغي لنبي أن يومض حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا بالله ونقضوا عهده فأمكن منهم ببدر * القول في تأويل قوله ﴿ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وهاجروا يعني هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم يعني تركوهم وخرجوا عنهم وهجرهم قومهم وعشيرتهم وجاهدوا في سبيل الله يقول بالغوا في اتعاب نفوسهم وانصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله يقول في دين الله الذي جعله طريقا الى رحمته والنجاة من عذابه والذين آووا ونصروا يقول والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعني أنهم جعلوا اليهم مأوى يأوون اليه وهو المثوى والمسكن يقول أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن اذ أخرجهم قومهم من منازلهم ونصروا يقول ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين أولئك بعضهم أولياء بعض يقول هاتان الفرقتان يعني المهاجرين والانصار بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين وأيديهم واحدة على من كفر بالله وبعضهم اخوان لبعض دون أقربائهم الكفار وقد قيل انما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض وان الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والارحام وان الله نسخ ذلك بعد بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك

بعضهم أولياء بعض يعني في الميراث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا يقول مالكم من ميراثهم من شئ وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في الميراث فنسخت التي قبلها وصار الميراث لذوي الارحام **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يقول لاهجرة بعد الفتح انما هو الشهادة بعد ذلك والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله حتى يهاجروا وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل منهم المؤمن المهاجر المبايع لقومه في الهجرة خرج الى قوم مؤمنين في ديارهم وعقارهم وأموالهم وفي قوله آووا ونصروا وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة وشهروا السيوف على من كذب وجحد فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض فكانا يتوارثون بينهم اذا توفي المؤمن المهاجر ورثه الانصاري بالولاية في الدين وكان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل انه لم يهاجر ولم ينصر فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم وهي الولاية التي قال الله مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا اذا استنصروهم في الدين أن ينصروهم ان قاتلوا الا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ميثاق فلا نصر لهم عليهم الا على العدو الذين لا ميثاق لهم ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذي رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا فجعل لكل انسان من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم وبقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الثلاث الآيات خواتيم الانفال فبهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجري المسلمين وبين الانصار في الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا الى قوله بما تعملون بصير قال بلغنا أنها كانت في الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا قال ثم نزل بعد وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم فتوارثوا ولم يهاجروا قال ابن جريج قال مجاهد خواتيم الانفال الثلاث الآيات فبهن ذكر ما كان والي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الانصار في الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا الى قوله مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والاعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيأ فنسخ ذلك بعد ذلك قول الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أي من أهل الشرك فأجيزت الوصية ولا ميراث لهم وصارت المواريث بالملل والمسلمون يرث بعضهم بعضا

بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا الطعن بالرماح وضرب بالسيوف * استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل علي كرم الله وجهه وعلى تقديمه وأجاب أهل السنة بأنه أمر أبا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي على خلف أبي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة أبي بكر وأما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان المتعارف بين العرب أنه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا أو عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو أو رجل من ذوي قرابته كأخ أو عم فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهد فأزيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما أحضر أبا بكر لتولية أمر الموسم أحضر عليا الهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب * ولنرجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري أن براءة نزلت في شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان

ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال المفسرون هذا تأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطت الى أربعة ومن كانت مدته أقل رفعت اليها والمقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا في أنفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا أحد أمور ثلاثة الاسلام أو قبول الجزية أو السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى أشار بقوله

(واعلموا أنكم غير معجزى الله) أى اعلموا أن هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة واطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كأنه قيل افعلوا فى هذه المدة كل ما أمكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم أى مذلكم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب وقوله (مخزى الكافرين) من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم أراد أن يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال (وأذان) وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج فى قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو أيضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتهم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله (الى الناس) والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه أذان الصلاة أمر الله تعالى بهذا الاعلام (يوم الحج الاكبر) وهو الجمع الاعظم الذى حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الأطراف ويشتهر وكان النبى صلى الله عليه وسلم يريد أن يحج فى السنة الآتية فأمر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه أعظم أعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن على عليه السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس فى رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه عن قول الشعبى والنخعى والسدى والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك أن معظم أفعال الحج من الطواف والحلق والرمى والنحر فيه ومثله ماروى عن على رضى الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال مايوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتى يعنى يوم

من المهاجرين والمؤمنين ولا يرث أهل ملتين حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الى قوله مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا كان الاعرابى لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر فنسخها فقال وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء الاعراب مالكم من ولايتهم من شئ فى الميراث وان استنصروكم فى الدين يقول بانهم مسلمون فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم الذين توارثوا على الهجرة فى كتاب الله ثم نسختها الفرائض والمواريث فتوارث الاعراب والمهاجرون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير ﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره والذين آمنوا الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يهاجروا قومهم الكفار ولم يفارقوا دار الكفر الى دار الاسلام مالكم أيها المؤمنون بالله ورسوله من ولاية المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب من ولايتهم يعنى من نصرتهم وميراثهم وقد ذكرت قول بعض من قال معنى الولاية ههنا الميراث وسأذكر ان شاء الله من حضرنى ذكره بعد من شئ حتى يهاجروا قومهم ودورهم من دار الحرب الى دار الاسلام وان استنصروكم فى الدين يقول ان استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا فى الدين يعنى بانهم من أهل دينكم على أعدائكم واعدائهم من المشركين فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والانصار النصر الا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعنى عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربوهم والله بما تعملون بصير يقول والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا المهاجرون والانصار وترك ولايته من آمن ولم يهاجر ونصرتكم اياهم عند استنصارهم فى الدين وغير ذلك من فرائض الله التى فرضها عليكم بصير يراه ويبصره فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وآخى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالاسلام والهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه فنسخ ذلك قوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل فى الاسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وأنك لا ترى نار مشرك الا وأنت حرب حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان استنصروكم فى الدين يعنى ان استنصركم الاعراب المسلمون أيها المهاجرون والانصار على عدوهم فعليكم أن تنصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حج

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وهو قول سفيان الثورى وكان يقول يوم الحج الاكبر أيامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد أيضا هذا وقد حذفت الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا والتقدير بأن الله برىء من المشركين) وقوله (ورسوله) بالرفع مبتدأ محذوف الخبر أى ورسوله أيضا كذلك أو هو معطوف على المنوى فى برىء أى برىء هو ورسوله وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار أو على أن الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله أن الله برىء أن المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثانى اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وأيضا المراد بالاول البراءة من العهد وبالثانى البراءة التى هى نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على أن الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا أتبعه قوله (فان تبتم) أى عن الشرك (فهو خير لكم) وفيه ترغيب فى التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة (وان توليتم) أعرضتم عن التوبة أو بقيتم على التولى والاعراض عن الايمان والوفاء (فاعلموا أنكم غير) فائتين أخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه فاعلموا أنكم غير معجزى الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثانى للزمان (وبشر) يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن أن عذاب الدنيا لو فات وزال خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيامة أما قوله (الا الذين) فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال فى الكشاف وجهه أن يكون مستثنى

عن ابن جريج قال قال ابن عباس ترك النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفى على أربع منازل مؤمن مهاجر والانصار واعرابى مؤمن لم يهاجر ان استنصره النبى صلى الله عليه وسلم نصره وان تركه فهو اذن له وان استنصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الدين كان حقا عليه أن ينصره فذلك قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر والرابعة التابعون باحسان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين آمنوا وهاجروا الى آخر السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل مؤمن مهاجر ومسلم أعرابى والذين آووا ونصروا والتابعون باحسان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله بعضهم أولياء بعض يقول بعضهم أعوان بعض وأنصاره وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله وقد ذكرنا قول من قال عنى بيان أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين وسنذكر بقية من حضرنا ذكره حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك قال قال رجل نورث أرحامنا من المشركين فنزلت والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير نزلت فى مواريث مشركى أهل العهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير قال كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذى ليس بمهاجر لا يتوارثان وان كانا أخوين مؤمنين قال وذلك لان هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالارحام وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرأ وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار بعضهم أنصار بعض وانه لا يكون مؤمنا من كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قال كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول ان ظهر هؤلاء كنت معهم وان ظهر هؤلاء كنت معهم فأبى الله عليهم ذلك وأنزل الله فى ذلك فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك الا صاحب جزية مقرا بالخراج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حض الله المؤمنين على التواصل بجعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض * وأما قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه الا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والانصار بالايمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار تكن فتنة يقول يحدث بلاء فى الارض بسبب ذلك وفساد كبير يعنى ومعاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض

من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم
عهدهم وقيل استثناء من قوله الى الذين عاهدتم ومعنى (لم ينقصوكم شيأ) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ومعنى (لم يظاهروا)
يعاونوا أى لم يقدموا على المحاربة بانفسهم (٤٠) ولم يهيجوا أقواما آخرين وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة أى لم ينقصوا

وفساد كبير الا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون تكن فتنة فى الارض وفساد كبير
قال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الايمان الا بالهجرة ولا يجعلونهم منهم الا بالهجرة
حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين كفروا
بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث الا تفعلوه يقول الا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به تكن فتنة
فى الارض وفساد كبير * وقال آخرون معنى ذلك الا تناصروا أيها المؤمنون فى الدين تكن فتنة
فى الارض وفساد كبير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جعل
المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض
ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ان يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ثم ورد
المواريث الى الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله
الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال الا تعاونوا وتناصروا فى الدين تكن فتنة فى
الارض وفساد كبير * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بتأويل قوله والذين كفروا بعضهم أولياء
بعض قول من قال معناه أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن
المقام فى دار الحرب وترك الهجرة لان المعروف فى كلام العرب من معنى الولى أنه النصير والمعين
أو ابن العم والنسيب فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه الا بمعنى أنه يليه فى القيام بارثه من
بعده وذلك معنى بعيد وان كان قد يحتمله الكلام وتوجيه معنى كلام الله الى الاظهر الاشهر أولى
من توجيهه الى خلاف ذلك واذ كان ذلك كذلك فبين أن أولى التأويلين بقوله الا تفعلوه تكن فتنة
فى الارض وفساد كبير تأويل من قال الا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن
فتنة فى الارض اذ كان مبتدأ الآية من قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
فى سبيل الله بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها ﴿القول
فى تأويل قوله ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم
المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل
الله والذين آووا ونصروا آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين
الله أولئك هم أهل الايمان بالله ورسوله حقا لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل
الشرك ولم يغز مع المسلمين عدوهم لهم مغفرة يقول لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها
ورزق كريم يقول لهم فى الجنة طعم ومشرب هنئ كريم لا يتغير فى أجوافهم فيصير نجوا
ولكنه يصير رشحا كرشح المسك وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا ان معنى قول الله بعضهم أولياء
بعض فى هذه الآية وقوله مالكم من ولايتهم من شئ انما هو النصرة والمعونة دون الميراث لانه جل
ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والانصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله والذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الآية ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك
الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك الا الحث على مضى الميراث على ما امر وفى صحة ذلك
الدليل الواضح على أن لا ناسخ فى هذه الآيات لشئ ولا منسوخ ﴿القول فى تأويل قوله
﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا

عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) أدوه
اليهم تاما كاملا قال ابن عباس
بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة
أشهر فأتم اليهم عهدهم ثم ختم
الآية بقوله (ان الله يحب المتقين)
يعنى أن قضية التقوى ان لا يسوى
بين القبيلين ولا يجعل الوفى كالغادر
ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا
على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وظاهرتهم قريش
بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم
الخزاعى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأنشد

لاهم انى ناشد محمدا *
حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا *
ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا *
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت
ان لم أنصركم ومعنى ناشد محمدا
أذكره الحلف والعهد لانه كان
بين أبيه عبد المطلب وبين خزاعة
حلف قديم والأتلد الأقدم ثم بين
حكم انقضاء أجل الناكثين فقال
(فاذا انسلخ الأشهر الحرم) أى التى
أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا
وانسلاخ الشهر تكامله جزأ فجزأ
الى أن ينقضى كانسلاخ الجلد
عما يحويه شبه خروج المتزمن عن
زمانه بانفصال الممكن عن مكانه
فكلاهما ظرف (فاقتلوا المشركين)
يعنى الناقضين (حيث وجدتموهم)
من حل أو حرم وفى أى وقت كان (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم)
امنعوهم من التصرف فى البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) أى
فى كل ممر ومجاز ترقبونهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة

ان حصلوا على شروطها (فخلوا سبيلهم) المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام أو عن التصرف
في مهماتهم (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعي انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق
والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة فما لم يوجد أحد هذه الامور لم يوجد

بالله ورسوله من بعد تبيانى ما بينت من ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم
ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجروا هجروا دار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون
فاولئك منكم فى الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة فى الدين والموارثة مثل الذى يجب
لكم عليهم ولبعضكم على بعض كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم رد
المواريث الى الارحام التى بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله أى فى الميراث ان الله بكل شئ عليم

القول فى تأويل قوله ﴿ وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم ﴾

يقول تعالى ذكره والمتناسبون بالارحام بعضهم أولى ببعض فى الميراث اذا كانوا ممن قسم الله له
منه نصيبا وحظا من الحليف والولى فى كتاب الله يقول فى حكم الله الذى كتبه فى اللوح المحفوظ
والسابق من القضاء ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عالم بما يصلح عباده فى توريثه بعضهم
من بعض فى القرابة والنسب دون الحلف بالعقد وبغير ذلك من الامور كلها لا يخفى عليه شئ
منها * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام
قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنا أبى قال ثنا قتادة انه قال كان لا يرث الاعرابى المهاجر حتى
أنزل الله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن
معاذ قال ثنا ابن عون عن عيسى بن الحرث أن أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه
جارية فلما شبت الجارية زوجت فولدت غلاما ثم ماتت السرية واختصم شريح بن الحرث
والغلام الى شريح القاضى فى ميراثها فجعل شريح بن الحرث يقول ليس له ميراث فى كتاب الله
قال فقضى شريح بالميراث للغلام قال وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فركب ميسرة
ابن يزيد الى ابن الزبير وأخبره بقضاء شريح وقوله فكتب ابن الزبير الى شريح ان ميسرة
أخبرنى أنك قضيت بكذا وكذا وقلت وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وانه ليس
كذلك انما نزلت هذه الآية ان الرجل كان يعاقد الرجل يقول ترثنى وأرثك فنزلت وأولو الارحام
بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فجاء بالكتاب الى شريح فقال شريح أعتقها جنين بطنها وأبى أن
يرجع عن قضائه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ثنى عيسى
ابن الحرث قال كانت لشريح بن الحرث سرية فذكر نحوه الا انه قال فى حديثه كان الرجل يعاقد
الرجل يقول ترثنى وأرثك فلما نزلت ترك ذلك

﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها التوبة ﴾

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا
فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين ﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه براءة من الله ورسوله هذه براءة من الله ورسوله فبراءة مرفوعة بمحذوف وهو هذه كما قوله سورة
أنزلناها مرفوعة بمحذوف هو هذه ولو قال قائل براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها فى قوله الى الذين
عاهدتم وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها اذ كانت قد صارت بصلتها وهى قوله من الله ورسوله

هذا المجموع فوجب أن تبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلاة يقتل ولعل أبا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعى الزكاة وحمل أكثر الأئمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان له وجه عدول عن الظاهر وعن الحسن أن أسيرا نادى بحيث يسمع النبى صلى الله عليه وسلم أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله فأرسلوه قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلاة والزكاة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغى ولا ريب أن كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من أهلها لما أوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على أن حجة الله تعالى قد قامت عليهم وأن ما ذكره الرسول قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كفى فى ازاحة علتهم فينتج ذلك أن أحدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام أو بالجزية أو بالقتل فأزال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال (وان أحد من المشركين استجارك) الآية قال علماء العربية ارتفع أحد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك كرهوا الجمع بين المفسر

 والمفسر حذفوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث

ان من مظان وقوع الفعل بعده وأيضا ذكر الفاعل ههنا أهم لما بينا أن ظاهر الدليل يقتضى اباحة دم المشرك فقدم ليدل على
مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار يقال استجرت فلانا أى طلبت منه أن يكون جارا لى أى محاميا وحافظا من أن يظلمنى ظالم ومنه

يقال أجاره الله من العذاب أى أنقذه والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر لاعهد بينك وبينه فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه (حتى يسمع كلام الله) سماع تدبر وتأمل (ثم أبلغه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت فيها وفيه أن المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد (٤٣) وأن النظر فى دين الله من أعلى المقامات فان الكافر الذى دمه مهدر لما أظهر من

نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه أما زمان مهلة النظر فليس فى الآية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على ذلك المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال أمهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وأبلغ المأمن ويشبه أن يقال المدة أربعة أشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعى والمذكور فى الآية كونه طالبا لسماع القرآن الا أنه ألحق به كونه طالبا لسماع الدلائل ولجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال فى آخر الآية (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفى سماع كلام الله وجوه قيل أراد جميع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل أراد سماع سورة براءة لأنها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوى لمعظم الدلائل * واعلم أن الامان قد يكون عاما يتعلق بأهل اقليم أو بلدة أو ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقدمر فى تفسير قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بأفراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن آحاد المسلمين أيضا وهذا مقصود الآية وانه ثابت غير منسوخ روى عن سعيد بن جبير أن رجلا من المشركين جاء الى على رضى الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدى والضحاك هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشر

كالمعرفة وصار معنى الكلام (١) براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كان مذهبا غير مدفوعة صحته وان كان القول الاول أعجب الى لأن من شأن العرب أن يضمروا الكل معاينة نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين هذا وهذه فيقولون عند معاينتهم الشئ الحسن حسن والله والقبيح قبيح والله يريدون هذا حسن والله وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الاول وقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والمعنى الى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لان العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه وأن عقود النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم لانهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ولعقوده عليهم مسلمين فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم فلذلك قال الى الذين عاهدتم من المشركين لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده * وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله اليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين فأذن له فى السياحة فى الارض أربعة أشهر فقال بعضهم هم صنفان من المشركين أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر وأمهل بالسياحة أربعة أشهر والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك ويؤسر الا أن يتوب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميرا على الحاج من سنة تسع ليقيم للناس حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ونزلت سورة براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه وأن لا يخاف أحد فى الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص الى أجل مسمى فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى نبوك وفى قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أى لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب فسيحوا فى الارض أربعة أشهر الى قوله ان الله برئ من المشركين ورسوله أى بعد هذه الحجة * وقال آخرون بل كان امهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأما من لم يكن له من رسول الله عهد فانما كان أجله خمسين ليلة وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله قالوا وانما كان ذلك كذلك لان أجل الذين لا عهد لهم كان الى انسلاخ الاشهر الحرم كما قال الله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قالوا والنداء ببراءة كان يوم الحج الاكبر وذلك يوم النحر فى قول قوم وفى قول آخرين يوم عرفة وذلك خمسون يوما قالوا وأما تأجيل الاشهر الاربعة فانما كان لاهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة قالوا ونزلت فى أول شوال فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الاشهر الحرم وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول ابتداء التأجيل

(١) فيه شئ ولعل الأصل براءة موصوفة بأنها من الله الخ واصله الى الذين الخ تأمل

وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم أدناهم وعن أم هانئ قالت أجرت رجلين من أحمائى فقال صلى الله عليه وسلم أمنا من أمنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح أمان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله أجرتك (٤٣) أولا تخف وكناية كقوله أنت على ما تحب أو كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روى عن عمر أنه قال والذى نفسى بيده لو أن أحدكم أشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب أما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة فى دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبى فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمى ولا يتعدى الامان الى ما خلفه فى دار الحرب من أهل ومال وأما الذى معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالأرجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك * وقد بقى فى الآية مسئلة أصولية هى أن المعتزلة استدلوا بالآية على أن كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك أن يكون كلامه محدثا لأن دخول هذه الحروف فى الوجود على التعاقب وأجيب بأن هذه المسموعة فعل الانسان وليست هى التى خلقها الله تعالى أو لا عندكم فعلمنا أن هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هى الدالة على الكلام النفسى فلهذا أطلق عليها أنها كلام الله كما ان الجبائى قال ان كلام الله شئ مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا أن هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم أكدا لمعانى المذكورة من أول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد (كيف يكون للمشركين عهد) المرفوع اسم كان وفى خبره ثلاثة أوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثانى للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد أو ليكون

كان للغريبين واحدا أعنى الذى له العهد والذى لا عهد له غير أن أجل الذى كان له عهد كان أربعة أشهر والذى لا عهد له انسلاخ الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيثما شاؤا وحد أجل من ليس له عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر الى انسلاخ المحرم فذلك خمسون ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم أمره بان يضع السيف فيمن عاهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت براءة من الله الى وأن الله مخزى الكافرين يقول براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت براءة فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر وأمرهم أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل براءة انسلاخ الاشهر الحرم وانسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة الى انسلاخ المحرم وهى خمسون ليلة عشرون من ذى الحجة وثلاثون من المحرم فاذا انسلخ الاشهر الحرم الى قوله واقعدوا لهم كل مرصد يقول لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم اذن ببراءة الى عشر من أول ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قبل أن تنزل براءة عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم فنزلت براءة من الله الى كل أحد ممن كان عاهد منهم من المشركين فانى انقض العهد الذى بينك وبينهم فأوجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاؤا من الارض آمنين وأجل من لم يكن بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة وأذن بها يوم النحر فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين فذلك خمسون ليلة فامر الله نبيه اذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبى الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام وأمر من كان له عهد اذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله براءة من الله ورسوله الى قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم قال ذكر لنا أن عليا نادى بالاذان وأمر على الحاج أبو بكر رضى الله عنهما وكان العام الذى حج فيه المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد ذلك العام قوله الذين عاهدتم من المشركين الى قوله الى مدتهم قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه ان يوفى بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا يقبل منهم الا ذلك * وقال آخرون

أو للجار أو هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين أو متعلق ببيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم أضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني (٤٤) كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال (فما استقاموا لكم) في ما وجهان أحدهما أن تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثاني شرطية أي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله (ان الله يحب المتقين) فيه اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من أعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال (كيف) وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد (و) حالهم انهم (ان يظهروا عليكم) أي يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك أن الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور في نفسه كمالا فانه يريد أن يظهر ذلك لغيره فأطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها (لا يرقبوا) لا يراعوا (فيكم) ولا ينتظروا بكم (الا ولا ذمة) قال في الصحاح الال العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بأن اشتقاقه من الأل وهو الجؤار والأنين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وسميت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح أيضا ان الال بالكسر من أسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الألة الحربة وأذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل أمر لزمك وكان بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال أبو عبيدة الذمة ما يتذمم منه أي ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف (يرضونكم) كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل

فاستقيموا

كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا قالوا وكان ابتداؤه يوم الحج الاكبر وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال لما نزلت هذه الآية برئ من عهد كل مشرك ولم يعاهد بعدها الا من كان عاهد وأجرى لكل مدتهم فسيحوا في الارض أربعة أشهر لمن دخل عهده فهما من عشر ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر قال ثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الارض فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسيحوا في الارض أربعة أشهر عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذي بينهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله الى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد من غيرهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فارا در سول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهي الاشهر المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال أهل العهد مدلج والعرب الذين عاهدهم ومن كان له عهد قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ثم قال انه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله وآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهي الاشهر الحرم المنسلخات المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد * وقال حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك فغزا تبوك بعد ما جاء الى المدينة * وقال آخرون ممن قال ابتداء الاجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا كان ابتداؤه يوم نزلت براءة وانقضاؤه انقضاء الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري

ثم قال سبحانه (وأكثرهم فاسقون) عن ابن عباس لا يبعد أن يكون بعض هؤلاء الكفار قد أسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر أنه أراد ان أكثرهم فساق فى دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذى هو مذموم فى جميع الأديان والنحل (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن أو بالاسلام (ثمنا قليلا) هو اتباع الأهواء (فصدوا عن سبيله) فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم أنفسهم قال مجاهد أراد الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وقيل لا يبعد أن يراد طائفة من اليهود الذين أعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالأمر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة) ولو أراد المشركين كان تكرارا (وأولئك هم المعتدون) المتجاوزون حدود الله فى دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان كان هذا فى اليهود وما ذكره قبل فى الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما فى الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثانى قوله (فاخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين) فلم يكن من التكرار فى شئ قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة (ونفصل الآيات) نبينها (لقوم يعلمون) لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد الحث على التأمل فى أحكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها (وان نكثوا) يعنى هؤلاء النائبين (أيمانهم من بعد عهدهم) أى من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين أو المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض طاقات الحبل من بعد ابرامه (وطعنوا فى دينكم) ثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) هى جمع امام وأصلها أأممة كمثال

فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال نزلت فى شوال فهذه الاربعة الاشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم * وقال آخرون انما كان تأجيل الله الاشهر الاربعة المشركين فى السياحة لمن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فانه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتم له عهده الى مدته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الكلبى انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الاربعة الاشهر فأتم له الاربعة ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهو الذى أمر أن يتم له عهده وقال أتموا اليهم عهدهم الى مدتهم * قال أبو جعفر رحمه الله وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال الأجل الذى جعله الله لأهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله فسيحوا فى الارض أربعة أشهر انما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه فان الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتمام العهد بينه و بينهم الى مدته بقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فان ظن ظان أن قول الله تعالى ذكره فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يدل على خلاف ما قلنا فى ذلك اذ كان ذلك ينبئ عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الاشهر الحرم قتل كل مشرك فان الامر فى ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن الآية التى تتلو ذلك تنبئ عن صحة ما قلنا وفساد ما ظنه من ظن أن انسلاخ الاشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يكن كان له منه عهد وذلك قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين فهؤلاء مشركون وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم فى عهدهم ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوهم عليهم و بعد ففى الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين بعث عليا رضى الله عنه ببراءة الى أهل العهود بينه و بينهم أمره فيما أمره أن ينادى به فيهم ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته أوضح الدليل على صحة ما قلنا وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم الى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه وأنه انما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد الى أجل غير محدود فأما من كان له عهد محدودا ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باتمام عهده الى غاية أجله مأمورا وبذلك بعث مناديه ينادى به فى أهل الموسم من العرب حدثنا محمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبى قال ثنى محرر بن أبى هريرة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنت مع على رضى الله عنه حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم ينادى فكان اذا أصحل صوته ناديت قلت بأى شئ كنتم تنادون قال بأربع لا يطف بالكعبة عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته

نقلت حركة الميم الى الهمزة وأدغمت الميم فى الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أن من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة وعدم الحياء فهو عريق فى الكفر متقدم فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة وفى غرض القتال بقوله (لعلهم ينتهون) ليعلم أن الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا أمر نفسانى وداع شهوانى

ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا أيمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال أثبت لهم الأيمان أولا فى الظاهر
قال وان نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم فى الحقيقة لأن أيمانهم ليست مما يعد أيمانا اذلم يوفوا بها وبهذا تمسك أبو حنيفة فى أن يمين
لا تكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ

لهم بالكسر أى لا اسلام لهم أولا يعطون الأمان بعد الردة والنكث فظاهر * قال العلماء اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال (ألا تقاتلون) قال أهل المعانى اذا قلت ألا تفعل كذا فانما تستعمل ذلك فى فعل مقدر وجوده واذا قلت ألست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق أن لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليه الالف صار تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعمل فى نفى الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حتى هاجر أو من المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا أبا سفيان عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه صلى الله عليه وسلم مكة ثم يخرجوه قبل أن يتم حجه استخفافا به صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو المراد أنهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة أو المراد أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادى أظلم والحامل كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء للقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وأن يوبخ من فرط فيها ثم زاد فى

ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك حدثنى محمد بن عمرو قال
عفان قال ثنا قيس بن الربيع قال ثنا الشيبانى عن الشعبى قال أخبرنا المحرر بن أبى
عن أبيه قال كنت مع على رضى الله عنه فذكر نحوه الا أنه قال ومن كان بينه وبين رسو
صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى أجله وقد حدث بهذا الحديث شعبة فخالف
فى الاجل فحدثنى يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن المثنى قالا ثنا عثمان بن عمر قال ثنا شعبة
المغيرة عن الشعبى عن المحرر بن أبى هريرة عن أبيه قال كنت مع على حين بعثه رسو
صلى الله عليه وسلم ببراءة الى أهل مكة فكنت أنادى حتى صحل صوتى فقلت بأى شئ
تنادى قال أمرنا أن ننادى أنه لا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول
الله عليه وسلم عهد فأجله الى أربعة أشهر فاذا حل الاجل فان الله برى من المشركين ورسوله
ولا يطف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك * قال أبو جعفر رحمه الله وأحسب
يكون هذا الخبر وهما من ناقله فى الاجل لان الاخبار متظاهرة فى الاجل بخلافه مع
قيس شعبة فى نفس هذا الحديث على ما بينته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد
عن معمر عن أبى اسحق عن الحرث الاعور عن على رضى الله عنه قال أمرت بأربع أن
لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطف رجل بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة
نفس مسلمة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال
اسرائيل عن أبى اسحق عن زيد بن يثيع قال نزلت براءة فبعث بها رسول الله صلى الله
وسلم أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذها منه فلما رجع أبو بكر قال هل نزل فى شئ
ولكنى أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتى فانطلق الى مكة فقام فيهم بأربع أن لا
مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطف بالكعبة عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وم
بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن
عن أبى اسحق عن زيد بن يثيع عن على قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم حين أمر
بأربع أن لا يطف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة
ابن وكيع قال ثنا ابن عبد الأعلى عن معمر عن أبى اسحق عن الحرث عن على رضى الله عنه
قال بعثت الى أهل مكة بأربع ثم ذكر الحديث حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال
حسين بن محمد قال ثنا سليمان بن قرم عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ثم أتبعه عليا فأخذها منه فقال أبو بكر يا رسول
عنه يا رسول الله حدث فى شئ قال لا أنت صاحبى فى الغار وعلى الحوض ولا يؤدى عنى
أو على وكان الذى بعث به عليا أربعا لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام
ولا يطف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن عامر قال بعث النبى صلى الله عليه

لسا رضى الله عنه فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ولا يدخل
لجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله الى مدته والله برىء من المشركين
رسوله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم بن
عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي قال لما نزلت براءة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم الحج للناس قيل له يا رسول الله
لو بعثت الى أبي بكر فقال لا يؤدى عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا علي بن أبي طالب رضى الله عنه
فقال اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل
الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد فهو الى مدته فخرج علي بن أبي طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أو مأمور قال
مأمور ثم مضيا رضى الله عنهما فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم
من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضى الله عنه
فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس لا يدخل الجنة
الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهو له الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد
العام وأهل المدة الى الأجل المسمى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال
ثنا أسباط عن السدى قال لما نزلت هذه الآيات الى رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعلي
فأخذها منه فرجع أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل
في شأني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي
في الغار وأنك صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحاج وعلي يؤذن ببراءة
فقام يوم الأضحى فقال لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان
ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده الى مدته وان هذه أيام أكل
وشرب وان الله لا يدخل الجنة الا من كان مسلما فقالوا نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك الا
من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش
فأسلموا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن
زيد بن يثيع عن علي قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وأن يتم الى كل ذي عهد عهده قال معمر وقاله قتادة
* قال أبو جعفر رحمه الله فقد أنبأت هذه الاخبار وتظائرها عن صحة ما قلنا وان أجل الاشهر
الاربعة انما كان لمن وصفنا فأما من كان عهده الى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وفى له

فيه (أتخشونهم) تقرير للخشية منهم وتقوية لداعية القتال كما اذا قلت للرجل أتخشى خصمك لانه يستنكف أن ينسب الى كونه
من خصمه ثم بين ما يجب أن يكون الامر عليه قائلا (فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) يعني أن قضية الايمان الصحيح أن
تخشى المؤمن الا الله لان قدرته أتم وعقابه أشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفي الفاء نوع تعليل لان الاستفهام
في معنى النهي كأنه قيل لا تخشوهم لان الله أحق بالخشية وأحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كأنه قيل
ان صح أنكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد في تأكيد الامر بالقتال فقال (قاتلوهم) ورتب عليه خمس
نتائج * الاولى قوله (يعذبهم الله بأيديكم) أي بالقتل والأسر واغتنام
الاموال وهذا لا ينافي وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم لانه أراد
هناك عذاب الاستئصال قالت
الأشاعرة في الآية دلالة على أن الذي
يدخل في الوجود من الافعال كلها
من الله يظهرها على أيدي العباد
واعترض الجبائي بأنه لو كان كذلك
لجاز أن يقال كذب الله أنبياءه على
لسان الكفرة وأجيب بأن الامر
كذلك عندنا الا أنا لا نقوله رعاية
للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس
والحشرات وكما أنكم لا تقولون
يا مسهل أسباب الزنا واللواط
ويا دافع الموانع عنها * الثانية
(ويخزهم) قيل هو الاسر وقيل
المراد ما نزل بهم من الذل والهوان
حين شاهدوا أنفسهم مقهورين
في أيدي المؤمنين وهو قريب من
الاول أو هو هو وقيل هو عذاب
الآخرة * الثالثة (وينصركم
عليهم) أورد عليه أن النصر يستتبعه
اخزاء الخصم فأي حاجة الى افراده
بالذكر والجواب أن المغايرة كافية
في افراد كل من المتلازمين بالذكر
على أنه من المحتمل أن يحصل لهم
نصر من جهة المؤمنين الا أن المؤمنين يحصل لهم آفة لسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال * الرابعة (ويشف
صدور قوم مؤمنين) هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب * الخامسة (ويذهب غيظ قلوبهم) قيل شفاء الصدر واذهاب غيظ

القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب أن القلب أخص من الصدر كقوله * يادارمية بالعلياء فالسند * أو شفاء
اشارة الى الوعد بالفتح ولاريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم
المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال (ويتوب الله على من يشاء) وهو ان
كلام للاخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فأصدق وأكن أما ان التوبة كيف تقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر وأما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا أقدم عليه صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وأيضا ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد أن يصير ذلك داعيا له الى أن يتوب عن جميع الذنوب وقد تصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وأيضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتحت عليه أبواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو أحد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني بعد حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا (والله عليم) بكل ما يجري في ملكه وملكوته (حكيم) مصيب في أفعاله وأقواله وأحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله ألا تقاتلون الآية ترغيب في فتح مكة لان النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين أنه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال وانما المقصود أن يؤتى به انقياد الامر ولتكاليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال (أم حسبتم) الآية وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله أم حسبتم أن تدخلوا

بعهده الى مدته عن أمر الله اياه بذلك وعلى ذلك دل ظاهر التنزيل وتظاهرت به الأخبار عن
الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الاشهر الاربعة فانها كانت أجل من ذكرنا وكان ابتداؤه
الحج الاكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر متتابعة جعل أجل
العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الارض يذهبون حيث شاؤا لا يعرض لهم نبي
المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب فان قال قائل فاذا كان الامر في ذلك كما وصفت ففي
قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد علمت أن انسلاخها انما
المحرم وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر وانما بين يوم الحج الأ
وانسلاخ الاشهر الحرم خمسون يوما أكثره فأين الخمسون يوما من الاشهر الاربعة قيل
انسلاخ الاشهر الحرم انما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه
والاشهر الاربعة لمن له عهد اما الى أجل غير محدود واما الى أجل محدود وقد نقضه فصار بنق
اياه بمعنى من خيف خيانته فاستحق النبذ اليه على سواء غير أنه جعل له الاستعداد لنق
والارتياد لها من الاجل الاربعة الاشهر ألا ترى الله يقول لاصحاب الاشهر الاربعة وبر
بأنهم أهل عهد براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أر
أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله ووصف المجعول لهم انسلاخ الاشهر الحرم أجلا بأنه
شرك لا أهل عهد فقال وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بري من المشر
ورسوله الآية الا الذين عاهدتم من المشركين الآية ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشر
حيث وجدتموهم فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وباتمام
الذين لهم عهد اذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وادخال النقص فيه عليه
فان قال قائل وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الاكبر دون أن يكون كان
شوال على ما قاله قائلو ذلك قيل له ان قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول
وذلك غير جائز أن يكون صحيحا لان المجعول له أجل السياحة الى وقت محدود اذا لم يعلم ما
ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه فكيف لم يجعل له ذلك لانه اذا لم يعلم ماله في
الذي جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الاجل ومعلوم أن
لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك إلا حين نودي فيهم بالموسم واذا كان ذلك كذلك صح أن
ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا وأما قوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر فانه يعني فسيروا
مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه يقال منه ساح
في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا وأما قوله واعلموا أنكم غير معجزي الله فانه يقول
العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية
أيها المشركون أنكم ان سحتم في الارض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الاقرار بتوحيد
وتصديق رسوله غير معجزي الله يقول غير مفيتيه بأنفسكم لانكم حيث ذهبتم وأين كنتم
الارض ففي قبضته وسلطانه لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه اذا أراد كم بعذاب به
ولا موئل الا الايمان به وبرسوله والتوبة من معصيته يقول فبادروا عقوبته بتوبة ودعوا الاص

ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة والوليجة البطانة يعنى الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل أو هو الرجل يكون فى القوم وليس منهم قال الواحدى يقال هو وليجتى وهم وليجتى يستوى فيه الواحد والجمع ومعنى الآية لا تحسبوا أن تتركوا على ما أنتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهدين المنافقين من المجاهدين الخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الآية بقوله (والله خبير بما تعملون) ليعلموا أنه لم يزل عالما بالأشياء لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء فيجدوا فى استقامة السيرة ويجتهدوا فى نقاء السريرة ۞ التأويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التى اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادنها الروح والقلب فى أوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا فى أرض البشرية أربعة أشهر هى مدة كمال الأوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وأذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركى الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها فى اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وركنتم الى غير الله فاعلموا أنكم غير معجزى الله عن التصرف فيكم أما لأهل السعادة فبالجذبات الازلية وأما لأهل الشقاوة فبأليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم أيها القلوب والارواح من مشركى النفوس على التوافق فى العبودية ثم لم ينقصوكم شيأ من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم أحدا من الشيطان والدنيا فأتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى أوان طلوع فجر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا النفوس المشركة بسيف النهى عن الشهوات حيث وجدتموهم فى الطاعة بان تكلفوها اياها وفى المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم احبسوهم فى حصار

التى لا تنفعكم وأما قوله وأن الله مخزى الكافرين يقول واعلموا أن الله مذل الكافرين وموردهم العار فى الدنيا والنار فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله﴾ يقول تعالى ذكره وإعلام من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقد بينا معنى الاذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وكان سليمان بن موسى يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال زعم سليمان بن موسى الشامى أن قوله وأذان من الله ورسوله قال الأذان القصص فاتحة براءة حتى تختم وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فذلك ثمان وعشرون آية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأذان من الله ورسوله قال اعلام من الله ورسوله ورفع قوله وأذان من الله عطفا على قوله براءة من الله كأنه قال هذه براءة من الله ورسوله وأذان من الله وأما قوله يوم الحج الاكبر فان فيه اختلافا بين أهل العلم فقال بعضهم هو يوم عرفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد قالا أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكرى وهو يقول سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن يوم الحج الأكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه يقيم للناس الحج وبعثنى معه بار بعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت الىّ فقال قم يا على وأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسى وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبى بكر يوم عرفة فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر ألا وهو يوم عرفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق قال سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فقلت أمن عندك أو من أصحاب محمد قال كل ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر يوم عرفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمر بن الوليد الشنى عن شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال قال عمر رضى الله عنه يوم الحج الأكبر يوم عرفة ذكرته لسعيد بن المسيب فقال أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال الحج الاكبر عرفة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال ثنا شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول هذا يوم عرفة يوم الحج الاكبر فلا يصومنه أحد قال فحججت بعد أبى فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيته فقلت انى سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرنى عن صوم يوم عرفة فقال أخبرك عمن هو أفضل منى أضعافا عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الأكبر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الصمد بن حبيب عن معقل بن داود قال سمعت ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا يصمه أحد حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا غالب بن عبيد الله قال سألت عطاء عن يوم الحج الاكبر

الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم فى الأحوال كلها فان تابوا رجعوا الى طلب الحق وأقاموا الصلاة أدوا حق العبودية وآتوا الزكاة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية ترجع الى البداية وان أحد من مشركى صفات النفس استجارك يا قلب لترك ما هو المخصوص به من الصفات الذميمة فأجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم أبلغه مأمنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تنجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله وأسراره فلا يميلون اليه و يعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركى النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها أن تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على أهل الدنيا وهو مقام أهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم يسرحها فى متسع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة فى عالمى الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم فى الدين رفقاؤكم فى طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون أن السير الى الله من أعظم المقامات وأهم المهمات وطعنوا فى دينكم يحيى أنكروا مذهب السلوك أئمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول يعنى الواردات الغيبية بانسداد روزنة القلب أول مرة فى أوان الفترة أتخشونهم فى فوات حظوظها فالله أحق أن تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعنى وحشة الارواح والقلوب وكدورتها

فقال يوم عرفة فأفض منها قبل طلوع الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى محمد بن قيس بن مخرمة قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم عشية عرفة قال أما بعد وكان لا يخطب الا قال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا اسحق بن سليمن عن سلمة بن محب عن عكرمة عن ابن عباس قال يوم الحج الأكبر يوم عرفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى طاوس عن أبيه قال قلنا ما الحج الأكبر قال يوم عرفة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الأكبر * وقال آخرون هو يوم النحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الأكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الأجلح عن أبى اسحق عن الحرث قال سمعت عليا يقول الحج الأكبر يوم النحر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبى اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن الحج الأكبر فقال هو يوم النحر حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمن الشيبانى قال سألت عبد الله بن أبى أوفى عن الحج الأكبر قال فقال يوم النحر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك قال دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبى أوفى قال فسألته عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر يهراق فيه الدم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيبانى قال سألت ابن أبى أوفى عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيبانى عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى وسئل عن قوله يوم الحج الاكبر قال هو اليوم الذى يراق فيه الدم و يحلق فيه الشعر حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن على أنه رجم يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجمرة فجاء رجل فأخذ بلجام بغلته فسأله عن الحج الاكبر فقال يومك هذا فاخل سبيلها حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن مالك بن مغول عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال سئل عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن على أنه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه فسأله عن يوم الحج الاكبر قال هو هذا اليوم حدثنا ابن وكيع قال

الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادى فى الباطل من غير حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر
لكل منها أم حسبتم أيها النفوس الأمارة أن تتركوا بلا رياضة وليجة أولياء من الشيطان والدنيا والهوى

﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما

يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الملك بن عمير وعياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال هو اليوم الذى يهراق فيه الدماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ابن أبى أوفى قال الحج الاكبر يوم تهراق فيه الدماء ويحلق فيه الشعر ويحل فيه الحرام حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن عبد الله ابن يسار قال ثنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير وقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة ابن شعبة فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمن الشيبانى قال سمعت سعيد بن جبير يقول الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى جحيفة قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر قال اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة فى يوم الحج الاكبر قال على هو يوم النحر وقال الذى من آل شيبة هو يوم عرفة فأرسل الى سعيد بن جبير فسألوه فقال هو يوم النحر ألا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحج فاذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن سعيد بن جبير أنه قال الحج الاكبر يوم النحر قال فقلت له ان عبد الله ابن شيبة ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك فقال محمد بن على هو يوم النحر وقال عبد الله هو يوم عرفة فقال سعيد بن جبير أرأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة أكان يفوته الحج واذا فاته يوم النحر فاته الحج حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيبانى عن سعيد بن جبير قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال ثنى رجل عن أبيه عن قيس بن عبادة قال ذو الحجة العاشر النحر وهو يوم الحج الاكبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عبد الله ابن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبى اسحق عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن مسلم الحجبى قال سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الاكبر قال يوم النحر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم يهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر الذى يحل فيه كل حرام * قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن عون قال سألت محمدا عن يوم الحج

يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور

رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ﴿ القرآت مسجد الله ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع أبو بكر وحماد وجبلة وضاقت ونحوها ممالة حمزة رحبت ثم مظهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم

غير الأعشى ۞ الوقوف بالكفر ط أعمالهم ج لعطف المختلفين خالدون ○ المهتدين ○ في سبيل الله ط عند الله ط
الظالمين ○ لئلا يشتبه بالوصف وأنفسهم لا لأن ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ○ مقيم ○ لا لأن ما بعده صفة
أبدا ط عظيم ○ على الإيمان ط الظالمون ○ بأمره ط الفاسقين ○ كثيرة لا لعطف الظرف على الظرف
حنين لا لأن اذ ظرف نصركم مدبرين ○ ج للآية والعطف كفروا ط الكافرين ○ من يشاء ط رحيم ○ هذا ج ان شاء ط حكيم ○ ۞ التفسير انه سبحانه بدأ السورة بذكر البراءة من المشركين و بالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم أراد أن يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في أن هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ علي رضي الله عنه له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال علي عليه السلام ألكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فأنزل الله تعالى ردا عليهم (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مساجد الله) يعني المسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما أن يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام أيضا الذي هو أشرفها وهذا آكد لأن طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفي لقراءته القرآن من نص يحك بذلك أو يراد المسجد الحرام وجمع لأنه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد أولأن كل بقعة منه مسجد

الا كبر فقال كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوبر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن ذر قال سألت مجاهدا عن يوم الحج الا كبر فقال هو يوم النحر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد يوم الحج الا كبر يوم النحر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ثور عن مجاهد يوم الحج الا كبر يوم النحر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الا كبر يوم النحر وقال عكرمة يوم الحج الا كبر يوم النحر يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام قال وقال مجاهد يوم يجمع فيه الحج كله وهو يوم الحج الا كبر * قال ثنا اسرائيل عن عبد الأعلى عن محمد بن علي يوم الحج الا كبر يوم النحر * قال ثنا اسرائيل عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس مثله **حدثنا** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي اسحق قال قال علي الحج الا كبر يوم النحر قال وقال الزهري يوم النحر يوم الحج الا كبر **حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني يونس وعمرو عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال الزهري فكان حميد يقول يوم النحر يوم الحج الا كبر **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبي عن أبي اسحق قال سألت عبد الله بن شداد عن الحج الا كبر والحج الاصغر فقال الحج الا كبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق قال سألت عبد الله بن شداد فذكر نحوه * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول يوم الحج الا كبر يوم يوضع فيه الشعر ويهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام * قال ثنا الثوري عن أبي اسحق عن علي قال الحج الا كبر يوم النحر **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن عياش العامري عن عبد الله بن أبي أوفى أنه سئل عن يوم الحج الا كبر فقال سبحان الله هو يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام ويوضع فيه الشعر هو يوم النحر * قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقته فقال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الا كبر * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الحج الا كبر يوم النحر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز عن ابراهيم بن طهمان عن مغيرة عن ابراهيم يوم الحج الا كبر يوم النحر ويحل فيه الحرام **حدثني** أحمد بن المقدام قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال لما كان ذلك اليوم قعد على بعيره النبي وأخذ انسان بخطامه أو زمامه فقال أي يوم هذا فقال فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه فقال أليس يوم الحج **حدثنا** سهل بن محمد الحساني قال ثنا أبو جابر الحرني قال ثنا هشام بن الغازي الجرشي عن نافع عن ابن عمر قال وقف رسول الله

قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد إما لزومه و إما كثرة اتيانه للصلاة والاعتكاف ولا شك أنه ليس للمشرك ذلك و إما مرمته وتعهده وليس للمشرك هذا أيضا لانه يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي أن يكون للكافر منة على أهل الاسلام ولان دخوله المس

صلى

صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر **حدثنا** محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمدانى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم يومكم قالوا يوم النحر قال صدقتم يوم الحج الأكبر **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمرو بن مرة قال ثنا مرة قال ثنا رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبيه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس فنادى ببراءة انه يوم الحج الاكبر ألا انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ألا ولا يطوف بالبيت عريان ألا ولا يحج بعد العام مشرك ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد فأجله الى مدته والله برىء من المشركين ورسوله **حدثنى** يعقوب قال ثنى هشيم عن حجاج بن أرطاة عن عطاء قال يوم الحج الاكبر يوم النحر **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم الحج الاكبر قال يوم النحر يوم يحل فيه المحرم ويحرفيه البدن وكان ابن عمر يقول هو يوم النحر وكان أبى يقوله وكان ابن عباس يقول هو يوم عرفة ولم أسمع أحدا يقول انه يوم عرفة الا ابن عباس قال ابن زيد والحج يفوت ولا يفوت يوم النحر ولا يفوت بفوت يوم عرفة ان فاته اليوم لم يفته الليل يقف ما بينه وبين طلوع الفجر **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوم الاضحى يوم الحج الاكبر **حدثنا** سفيان قال ثنا أبى عن شعبة عن عمرو بن مرة قال ثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرفتى هذه حسبته قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر * وقال آخرون معنى قوله يوم الحج الاكبر حين الحج الاكبر ووقته قال وذلك أيام الحج كلها لا يوم بعينه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج أيامه كلها **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد قال الحج الاكبر أيام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا بذى المجاز وعكاظ ومجنة حين نودى فيهم أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته **حدثنى** الحرث قال ثنا أبو عبيد قال كان سفيان يقول يوم الحج ويوم الجمل ويوم صفين أى أيامه كلها **حدثنا** القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله يوم الحج الاكبر قال حين الحج أى أيامه كلها * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصحة قول من قال يوم الحج الاكبر يوم النحر لتظاهر الاخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة الى المشركين ولا علم براءة يوم النحر هذا مع الاخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر أتدرون أى يوم هذا هذا يوم الحج الاكبر وبعد فان اليوم انما يضاف الى المعنى الذى يكون

فى المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفى على سارية من سوارى المسجد محمول على تعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم كأنه أراد أن يكون ذلك بمحضر منه وهو فى المسجد وقوله (شاهدين على أنفسهم) حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة معابد الله مع الكفر به وفى تفسير هذه الشهادة أقوال أصحها أنهم أقروا على أنفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبى والقرآن ولهذا قال السدى هى أن النصرانى اذا قيل له ما أنت قال نصرانى واليهودى يقول يهودى وعابد الوثن يقول أنا عابد الوثن وقيل هى قولهم فى طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس أنه قال المراد أنهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق فى هذا الباب فقال (أولئك حبطت أعمالهم) الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام الجائع لأنه لا يفيد مع الكفر طاعة لأن الكفر يوجب عقاب الأبد ولهذا قال (وفى النار هم خالدون) ولافادة هذا التركيب الحصر احتجت الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استئهال عمارة المسجد فقال (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لان المرء ما لم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على أنه واسطة والتوجه الحقيقى من الله والى الله ولهذا ورد فى الحديث المصلى يناجى ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا يبغى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفى هذه التهمة ترك ذكره صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه بقوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة لانهما معجزتان من أفعاله صلى الله عليه وسلم ولما فى الصلاة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلاة لا ريب أن فيها عمارة المسجد والحضور فيه وأما ايتاء الزكاة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكاة ولان ايتاء الزكاة واجب

وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان مالم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكاة فالظاهر أنه لم يشتغل بعمارة المـ
ثم قال (ولم يخش الا الله) ليعلم أنه لو أتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن أن يختار في جميع الاحوال رضوان الله على
فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الآجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الآية تنبيه على أن من لم يكن موصوفا بالصـ

المذكورة لم يكن من أهل عمارة المسجد وأن المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ومن عمارة المساجد تعظيمها والدرس فيها وقها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وفي قوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) حسم لأطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باهتداء المشركين ومغبتهم وفيه أن المؤمن يجب أن لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر أن بعض الامة ذهبوا الى أن عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال (أجعلتم سقاية الحاج) ومعناه هبوا أن عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا أن هذه الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كانوا لقوله كمن آمن وقصته ما مر أن العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا

فيه كقول الناس يوم عرفة وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ويوم الاضحى وذلك يوم ينحرون فيه ويوم الفطر وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحج يوم يحجون فيه وانما يحج الناس ويقفون مناسكهم يوم النحر لان في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان الى طلوع الفجر وفي صبيحته يعمل أعمال الحج فأما يوم عرفة فانه وان كان فيه الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به الى طلوع الفجر من ليلة النحر والحج كله يوم النحر وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج انما هو أيامه كلها فان ذلك كان جائزا في كلام العرب فليس بالاشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه بل غلب على اليوم عندهم أنه من غروب الشمس الى مثله من الغد وانما تحمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه * واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل اليوم يوم الحج الاكبر فقال بعضهم سمي بذلك لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن انما سمي الحج الاكبر من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها واجتمع فيها المسلمون والمشركون وقد سمي الحج الاكبر ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال يوم الحج الاكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده حج قال القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال قوله يوم الحج الاكبر انما سمي الحج الاكبر لانه يوم حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود * وقال آخرون الحج الاكبر الحج والحج الأصغر الافراد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو بكر النهشلي عن حماد عن مجاهد قال كان يقال الحج الاكبر والحج الأصغر فالحج الاكبر الحج والحج الاصغر إفرادا الحج * وقال آخرون الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر قال قلت له هذا الحج الاكبر فما بال الحج الاصغر قال العمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال كان يقال الحج الاصغر العمرة في رمضان * قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال الحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي اسحق عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الاصغر * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال الحج الاكبر الحج أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها فقيل له الاكبر لذلك وأما الاصغر فالعمرة لان عملها دون عمل الحج فلذلك قيل لها الاصغر لنقصان عملها عن عمله وأما قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله فان معناه أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة ومعنى الكلام براءة من الله ورسوله الى الناس في يوم الحج الاكبر أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما قال ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أن الله بريء من المشركين ورسوله أي بعد هذه

المسجد الحرام ونسقى الحاج وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت اليهود لهم أنتم أفضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله أولئك أعظم درجة وهذا يقتضى ان يكون للمفضول أيضا درجة وقصته ما روى عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال الآخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكنى اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبى أن طلحة قال أنا صاحب البيت بيدى مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال على رضى الله عنه ما أدرى ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال على رضى الله عنه للعباس بعد أن كان أسلم ألا تهاجر ألا تلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست فى أفضل من الهجرة ألست أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف أى أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل أن يسأل ما بال أحد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا (لا يستوون عند الله) ثم صرح بالمفضول فقال (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى المشركين ان الشرك لظلم عظيم وأى ظلم أشنع من وضع أخس الموجودات وهو الاصنام مقام أشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع فى استعدادهم الفطرى وذلك لكونهم مظاهر القهر فافهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال (الذين آمنوا) الآية

القول فى تأويل قوله (فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يقول تعالى فان تبتم من كفركم أيها المشركون ورجعتم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد فالرجوع الى ذلك خير لكم من الاقامة على الشرك فى الدنيا والآخرة وان توليتم يقول وان أدبرتم عن الايمان بالله وأبيتم الا الاقامة على شرككم فاعلموا أنكم غير معجزى الله يقول فأيقنوا أنكم لا تفيتون الله بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه الاليم وعقابه الشديد على اقامتكم على الكفر كما فعل بذويكم من أهل الشرك من انزال نقمه به واحلاله العذاب عاجلا بساحته وبشر الذين كفروا يقول وأعلم يا محمد الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم بعذاب موجع يحل بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله فان تبتم قال آمنتم ۞ القول فى تأويل قوله (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) يقول تعالى ذكره وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين أيها المؤمنون ثم لم ينقصوكم شيأ من عهدكم الذى عاهدتموهم ولم يظاهروا عليكم أحدا من عدوكم فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول ففوا لهم بعهدهم الذى عاهدتموهم عليه ولا تنصبوا لهم حربا الى انقضاء أجل عهدهم الذى بينكم وبينهم ان الله يحب المتقين يقول ان الله يحب من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول الى أجلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا الذين عاهدتم من المشركين أى العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا الآية قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر فأمر الله نبيه أن يوفى لهم بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن لا يقبل منهم الا ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة الى عشر من شهر ربيع الآخر وذلك أربعة أشهر فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم وان وفوا بعهدهم الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا عليه عدوا فقد أمر أن يؤدى اليهم عهدهم ويفى به ۞ القول فى تأويل قوله (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) يعنى جل ثناؤه بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاذا انقضى ومضى وخرج يقال منه سلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا بمعنى خرجنا منه ومنه قولهم شاة مسلوخة بمعنى المنزوعة من جلدها المخرجة منه ويعنى

ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن أورد عليه أن قوله أعظم درجة يوجب ان يكون للمفضول أيضا درجة ولكنه ليس كذلك
درجة وأجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم
أو المراد أنهم أعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر أو

ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولاشك أنهما من أعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله (عند الله) تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وكذا في قوله (وأولئك هم الفائزون) لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات) التنكير فيها يفيد أنها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله (لهم فيها نعيم) اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة ألفاظ مؤكدات أولها (مقيم) وثانيها (خالدين) وثالثها (أبدا) وقال أهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا أعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى أعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى أن الذي ربا كم في الدنيا بالنعم التي لا تحد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز أن تكون الرحمة اشارة الى رضا العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك عن

بالاشهر الحرم ذا القعدة وذا الحجة والمحرم أو انما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده لان الاذان كان ببراءة يوم الحج الاكبر فعلوم أنهم لم يكونوا أجلوا الا الاشهر الحرم كلها وقد دل على صحة ذلك فيما مضى ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هو فيهما ثالثا وهي كلها متصل بعضها ببعض قيل فاذا انسلخ الاشهر الحرم ومعنى الكلام فاذا انقضت الاشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه أو كان عهدهم الى أجل غير معلوم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فاقتلوهم حيث وجدتموهم يقول حيث لقيتموهم من الارض في الحرم وغير الحرم في الاشهر الحرم وغير الاشهر الحرم وخذوهم يقول وأسروهم واحصروهم يقول وامنعوهم التصرف في بلاد الاسلام ودخول مكة واقعدوا لهم كل مرصد يقول واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كل مرصد يعني كل طريق ومرقب وهو مفعل من قول القائل رصدت فلانا أرصده رصدا يعني رقبته فان تابوا يقول فان رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وأعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها فخلوا سبيلهم يقول فدعوهم يتصرفون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام ان الله غفور رحيم لمن تاب من عباده فأناب الى طاعته بعد الذي كان عليه من معصيته ساتر على ذنبه رحيم به أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته بعد التوبة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أجلوا الى انسلاخ الاشهر الحرم * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيأ فارقها والله عنه راض قال وذلك أنس هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله قال الله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال توبتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ثم قال في آية أخرى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حتى ختم آخر الآية وكان قتادة يقول خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله فانما الناس رجلان رهط مسلم عليه الزكاة ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين اذا أخفر عشور ماله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله انسلخ الاشهر الحرم وهي الاربعة التي عددت لك يعني عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعا الاول وعشرا من شهر ربيع الآخر وقال قائلو هذه المقالة قيل لهذه الاشهر الحرم لان الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعرض لهم الا بسبيل خير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابراهيم بن أبي بكر أنه أخبره

راضية مرضية ثم أكد المعانى المذكورة بقوله (الله عنده أجر عظيم) وفى تصدير الجملة الاسمية بان وفى لفظ عند وتقديمه وتنكير أجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبى لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون ننشدك الله أن لا تدعنا الى غير شئ فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) الآيتين وذكروا فى وجه النظم أن هذه الآية جواب عن شبهة أخرى قالوها وهى انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو فى الاصل طلب المحبة ثم ان النهى كان يحتمل أن يكون نهى تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) قال ابن عباس يريد أنه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله أبعد الناس ويبغض فى الله أقرب الناس وعن ابن عباس هى فى المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدى عشيرة الرجل أهله الأدنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا تكاد

عن مجاهد وعمرو بن شعيب فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم أنها الاربعة التى قال الله فسيحوا فى الارض قال هى الحرم من أجل انهم أومنوا فيها حتى يسيحوها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال ضرب لهم أجل أربعة أشهر وتبرأ من كل مشرك ثم أمر اذا انسلخت تلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد لا تتركوهم يضربون فى البلاد ولا يخرجون للتجارة ضيقوا عليهم بعدها أمر بالعفو فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعنى الاربعة التى ضرب لهم اجلا لاهل العهد العام من المشركين فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية القول فى تأويل قوله ﴿وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذى أنزله الله عليه فأجره يقول فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم أبلغه مأمنه يقول ثم رده بعد سماعه كلام الله ان هو أبى أن يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن الى مأمنه يقول الى حيث يأمن منك وممن فى طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين ذلك بانهم قوم لا يعلمون يقول تفعل ذلك بهم من اعطائك اياهم الامان ليسمعوا القرآن وردك اياهم اذا أبوا الاسلام الى مأمنهم من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون مالهم بالايمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والاثم بتركهم الايمان بالله * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان أحد من المشركين استجارك أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم فأجره حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فأجره حتى يسمع كلام الله أما كلام الله فالقرآن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان أحد من المشركين استجارك فأجره قال انسان يأتيك فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا فلقى العدو وأحرج المسلمون رجلا من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة فقال الرجل ارفعوا عنى سلاحكم وأسمعونى كلام الله تعالى فقالوا تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الانداد وتتبرأ من اللات والعزى فقال فانى أشهدكم أنى قد فعلت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أبلغه مأمنه قال ان لم يوافقه ما تقول عليه وتحدثه فأبلغه قال وليس هذا بمنسوخ واختلف فى حكم هذه الآية هل هو منسوخ أو هو غير منسوخ فقال بعضهم هو غير منسوخ وقد ذكرنا قول من قال ذلك * وقال آخرون هو منسوخ ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

العرب تجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو والكلام يدنى الشئ من نفسه ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور فى الآية فى غاية الحسن لان أعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم انه يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفى آخر المراتب الرغبة فى الاوطان التى بنيت للسكنى فبين تعالى أنه يجب تحمل هذه المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر أنه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله (فتربصوا) انتظروا وانما تحبون (حتى يأتى الله بأمره) عن الحسن هو عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل يعنى القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روى أن هذه السورة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما أوجب ترك مصالح الدنيا لأجل الدين أراد أن يبين أن كل من أعرض عن الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعى مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لنا مثلا فقال (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) قال الواحدى النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع موطن وهو كل موضع أقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولاهاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وهى على ما فى الصحاح تسع عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير وأحد وغزوة الخندق وذات الرقاع وغزوة بنى المصطلق وغزوة أنمار وغزوة ذى قرد وخيبر والحديبية والفتح (ويوم حنين) أى وفى يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضى الله عنه قال على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر أى ونصركم يوم حنين لان قوله اذ أعجبتكم كثرتكم

سفيان عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم نسختها فاما منا بعد واما فداء * قال ثنا سفيان عن السدى مثله * وقال آخرون بل نسخ قوله فاقتلوا المشركين فاما منا بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن ابن أبى عروبة عن قتادة حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال ليس ذلك بمنسوخ وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره ولم تصح حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بقتل بكل حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المن عليهم فاذ كان ذلك كذلك فكل الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم من يوم بدر كان معلوما أن معنى الآية فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم واذا كان ذلك معناه صح ما قلنا فى ذلك دون غيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين﴾ يقول تعالى ذكره أنى يكون أيها المؤمنون للمشركين عهد ورسوله وبأى معنى يكون للمشركين بربهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله يوفى لهم به وبينكم من أجله آمنين يتصرفون فى البلاد وانما معناه لا عهد لهم وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم الا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم فان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم والاستقامة لهم عليه ما داموا على المؤمنين مستقيمين * واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فقال بعضهم هم قوم من بنى الديل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم هم بنو جذيمة بن الديل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر قوله الا الذين عاهدتم من المشركين هم جذيمة بكر من كنانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف يكون للمشركين الذين كانوا وأنتم على العهد العام بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم ولا فى الشهر الحرام عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقد هم يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحى من قريش وبنو الديل من بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض عهده من بنى بكر الى مدته فما استقاموا لكم الآية * وقال آخرون هم قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم قريش حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعنى أهل مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يقول هم قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم مدة ولا يبدؤهم

يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها وجوز أن يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد فى عطف الزمان على المكان وما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم أن يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا فى عدد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا وقال قتادة كانوا اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة وألفان من الطلقاء الاسارى الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبى كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكانت هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى المراد من قوله (اذ أعجبتكم) وقيل قالها أبو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان فى جميع الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها ثم قال (فلم تغن عنكم شيأ) والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة أى لم تعطكم الكثرة شيأ يدفع حاجتكم ولم تفدكم (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور فى موضع الحال أى متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا فى الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لهربكم اليه وكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) أى انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث والذى لا اله الا الله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط لقد رأيته وأبو سفيان اخذ بالركاب والعباس آخذ

المشرك أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطى المسلم الجزية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم يعنى أهل العهد من المشركين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هؤلاء قريش وقد نسخ هذا الاشهر التى ضربت لهم وغدروا بهم فلم يستقيموا كما قال الله فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا بأى بلاد شاؤا قال فاسلموا قبل الاربعة الاشهر وقبل وقبل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هم قوم جذيمة قال فلم يستقيموا نقضوا عهدهم أى أعانوا بنى بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هم قوم من خزاعة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال أهل العهد من خزاعة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب عندى قول من قال هم بعض بنى بكر من كنانة ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بنى الديل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة وانما قلت هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان الله أمر نبيه والمؤمنين باتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ما استقاموا على عهدهم وقد بينا أن هذه الآيات انما نادى بها على فى سنة تسع من الهجرة وذلك بعد فتح مكة بسنة فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده لأن من كان منهم من ساكنى مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات وأما قوله ان الله يحب المتقين فان معناه ان الله يحب من اتقى الله وراقبه فى أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده واجتناب معاصيه وترك الغدر بعهوده لمن عاهده ﴿القول فى تأويل قوله﴾ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴿ يعنى جل ثناؤه بقوله كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أولن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة وهم ان يظهروا عليكم يغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة واكتفى بكيف دليلا على معنى الكلام لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب اذا أعادت الحرف بعد مضى معناه استجازوا حذف الفعل كما قال الشاعر

وخبر تمانى انما الموت فى القرى * فكيف وهذى هضبة وكثيب

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها ومعنى الكلام فكيف يكون الموت فى القرى وهذى هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فقال بعضهم معناه لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يرقبون فى مؤمن الا قال الله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن عن أبى مجلز فى قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة قال مثل قوله جبرائيل ميكائيل اسرافيل كأنه يقول يضاف جبر وميكا واسراف الى ايل يقول عبد الله

بلجام الدابة وهو يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو
لا يبالي وكانت بغلته شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملا
عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصباء فرما
وقال شاهت الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة ستة عشر ألفا أو ثمانية آلاف أو خمسة آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال (وعذب الذين كفروا) أي بالقتل والاسر وأخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بانزال السكينة وهي داعية السكون والثبات وبقوله وعذب على أن الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الآية بقوله (وذلك جزاء الكافرين) واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع ان يكون وجد ناهم غيره مشروعا معه وأجابت الشافعية بانه تعالى قال في هذه الآية وذلك أي الأخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل جزاء غير كاف لان العذاب الآجل باق أما قوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي يسلم ناس منهم روى أن ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا وقالوا يا رسو

لا يرقبون في مؤمن الا كأنه يقول لا يرقبون الله **حدثني** محمد بن عبد الاعلى قال ثنى محمد
عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا ولا ذمة لا يرقبون الله ولا غيره * وقال آخرون
القرابة ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن
عن ابن عباس قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة يقول قرابة ولا عهدا وقوله وان يظهروا عل
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال يعني القرابة والذمة العهد **حدثني** محمد بن سعد قال
أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة الال الق
والذمة العهد يعني أهل العهد من المشركين يقول ذمتهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معا
وعبدة عن حوشب عن الضحاك الال القرابة **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال
محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن عكرمة عن ابن عباس لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة
الال القرابة والذمة العهد **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخ
عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة الال الق
والذمة الميثاق **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن الس
كيف وان يظهروا عليكم المشركون لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا * وقال آخرون
الحلف ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الحلف والذمة العهد * وقال آخرون الال هو العهد ولكن
لما اختلف اللفظان وان كان معناهما واحدا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد إلا قال عهدا **حدثني** يونس
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال لا يرقبوا فيكم عهدا ولا
قال احداهما من صاحبتها كهيئة غفور رحيم قال فالكلمة واحدة وهي تفترق قال والعهد هو
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال العهد **حدثنا**
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال الذمة
* قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن
المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وحصرهم والقعود
على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا والال اسم يشتمل على معان
وهي العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا عند الله فاذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني
ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها
فيقال لا يرقبون في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهدا ولا ميثاقا ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى
قول ابن مقبل

أفسد الناس خلوف خلفوا * قطعوا الال وأعراق الرحم

بمعنى قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت

لعمرك ان إلك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل

وجدناهم كاذبا إلهم * وذو الال والعهد لا يكذب

زعم بعض من ينسب الى معرفة كلام العرب من البصريين أن الال والعهد والميثاق واليمين واحد وأن الذمة فى هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له والجمع ذمم وكان ابن اسحق يقول عنى بهذه الآية أهل العهد العام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فأما قوله يرضونكم بافواههم فانه يقول يعطونكم بالسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم فى نفوسهم من العداوة والبغضاء وتأبى قلوبهم أى تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بالسنتهم يحذر رجل ثناؤه أمرهم المؤمنين ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من حرم الله وأن لا يقصروا فى مكروههم بكل ما قدروا عليه وأكثرهم فاسقون يقول وأكثرهم ناقضون عهدكم ناقضون له كافرون بربهم خارجون عن طاعته ﴿القول فى تأويل قوله ﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ يقول جل ثناؤه ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حججه يسيرا من العوض قليلا من عرض الدنيا وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا قال أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله فصدوا عن سبيله فانه يعنى فمنعوا الناس من الدخول فى الاسلام وحاولوا رد المسلمين عن دينهم انهم ساء ما كانوا يعملون يقول جل ثناؤه ان هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ساء عملهم الذى كانوا يعملون فى اشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أو من أراد أن يؤمن ﴿القول فى تأويل قوله ﴿لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون﴾ يقول جل ثناؤه كره لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم فى رجل مؤمن لو قدروا عليه إلا ولا ذمة يقول فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم وأولئك هم المعتدون يقول المتجاوزون فيكم الى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول جل ثناؤه فان رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وتركهم بالله الى الايمان به وبرسوله وأنابوا الى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به والاسلام ونفصل الآيات يقول ونبين حجج الله وأدلته على خلقه لقوم يعلمون ما بين لهم من ذلك ويعرفون حقيقة ما فيها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين يقول ان تركوا اللات والعزى

ثم خير الناس وابرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى قال ان عندى ماترون يعنى العساكر الفقراء وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين واناخيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شئ وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه صلى الله عليه وسلم العرفاء أن قد رضوا ثم انه سبحانه أجاب عن شبهة أخرى لهم وذلك أن عليا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة فنبذ اليهم عهدهم قال أناس يا أهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قال فى الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذو و نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز أن يجعل المصدر نعتا للمبالغة فى الوصف واختلف فى تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادى من أئمة الزيدية وأما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة أبدانهم واحتج القاضى على ذلك بما روى أنه صلى الله عليه وسلم شرب من أوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام وأولوا الآية بان معناها لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث أو انهم بمنزلة الشئ النجس فى وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم أو ان كفرهم الذى هو صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها ببراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن أبى حنيفة وأصحابه أن المراد أن لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية

والدليل عليه قول علي عليه السلام في النداء ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع من الدخول فيه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه عن ذلك وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله وتنهى المشركين يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الأرفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله (فسوف يغنيكم الله من فضله) أي من تفضله بوجه آخر قال عكرمة أنزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم أخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل أغناهم من الني ء وعن مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك أعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى (ان شاء) تعليم وارشاد وأن لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله واللجأ اليه وليعلم أن حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الآية بقوله (ان الله عليم) أي باحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب ﴿التأويل ما كان لمشرك النفوس الامارة أن يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى حبطت أعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وأدام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة

وشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن رجل عن ابن عباس فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أمرتم باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له وقيل فاخوانكم فرفع بضمير فهم اخوانكم اذ كان قد جرى ذكرهم قبل كما قال فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين بمعنى فهم اخوانكم في الدين ﴿القول في تأويل قوله ﴿وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ يقول تعالى فان نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدتموهم لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وطعنوا في دينكم يقول وقدحوا في دينكم الاسلام فثلموه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر يقول فقاتلوا رؤساء الكفر بالله انهم لا أيمان لهم يقول ان رؤساء الكفر لا عهد لهم لعلهم ينتهون لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر بعضهم هم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم وكان يقول لم يأت أهلها بعد ذكر من قال هم من سميت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى لعلهم ينتهون أهل العهد من المشركين سماهم أئمة الكفر وهم كذلك يقول الله لنبيه وان نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر لانهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى ينتهون فكان من أئمة الكفر أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وهم الذين هموا باخراج الرسول حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أئمة الكفر أبو سفيان وأبو جهل بن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة حدثنا ابن وكيع وابن بشار قال ابن وكيع قال ثنا وقال ابن بشار ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي بشر عن مجاهد فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم قال أبو سفيان منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا ابن جريج عن السدي وان نكثوا أيمانهم الى ينتهون هؤلاء قريش يقول ان نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الاسلام وطعنوا فيه فقاتلوهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول قال عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فقاتلوا أئمة الكفر يعني رؤس المشركين أبو سفيان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فقاتلوا أئمة الكفر أبو سفيان بن حرب وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا باخراج الرسول وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع

كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدى القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال
لة فى غير موضعها الذين آمنوا أى القلوب المؤمنة وهاجروا أى الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا فى سبيل الله الجهاد
كبر باموالهم وأنفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود بتجلى

صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده أجر عظيم أى من وصل الى مقام العندية فالله يعظم أجره لا تتخذوا آباءكم الآيتان فيهما اشارة الى ان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى ويوم حنين أى حين حنت قلوبكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم أنكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم أرض الوجود ثم أعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم أنزل الله سكينته وهى واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وأنزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها فى أحكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين أى علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعى انما المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب حينئذ عن اتباع النفوس وأمرها بقتالها ومنعها عن طوافها الثلاثة نجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس وأوصافها الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا

يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت

صلى الله وعلى كتابه ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية فقاتلوا أئمة الكفر فقال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنى أبو السائب قال ثنا الاعمش عن زيد بن وهب قال قرأ حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان واسرائيل عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عنهم لا أيمان لهم لا عهد لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وان نكثوا أيمانهم قال عهدهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وان نكثوا أيمانهم عهدهم الذى عاهدوا على الاسلام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صلة عن عمار بن ياسر فى قوله لا أيمان لهم قال لا عهد لهم حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم قال لا عهد لهم وأما النكث فان أصله النقض يقال منه نكث فلان قوى حبله اذا نقضها والايمان جمع اليمين * واختلفت القراء فى قراءة قوله انهم لا ايمان لهم فقرأه قراء الحجاز والعراق وغيرهم انهم لا أيمان لهم بفتح الالف من أيمان بمعنى لا عهود لهم على ماقد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ انهم لا ايمان لهم بكسر الالف بمعنى لا اسلام لهم وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك انهم لا أمان لهم أى لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم كأنه أراد المصدر من قول القائل آمنته فانا أومنه ايمانا * قال أبو جعفر والصواب من القراآت فى ذلك الذى لا أستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الالف دون كسرها لاجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولاجماع أهل التأويل على ماذكرت من أن تأويله لا عهد لهم والأيمان التى هى بمعنى العهد لا تكون الا بفتح الالف لانها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين ﴿القول فى تأويل قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذى بينكم وبينهم وطعنوا فى دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا باخراج الرسول من بين أظهرهم فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعنى فعلهم ذلك يوم بدر وقيل قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة أتخشونهم يقول أتخافونهم على أنفسكم فتتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فالله أحق أن تخشوه يقول فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بتركه جهادهم وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا الا باذن الله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا

النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين ۞ القراآت عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلى وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهؤن بالهمز عاصم الآخرون يضاهون بحذف الهمزة أن يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة فى الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسى بالتشديد ورش من طريق النجارى وحمزة فى الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد على وحمزة غير المجلى وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد ان المجلى وأوقية ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد ۞ الوقوف صاغرون ○ المسيح ابن الله ط بأفواههم ج لاما بعده الحال والاستئناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ○ ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده أن تكون حالا أو

أيمانهم من بعد عهدهم وهموا باخراج الرسول يقول هموا باخراجه فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم بدؤكم أول مرة قال قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أمر الله رسوله بقتال أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التى ضرب لهم أجلا الا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول الى قوله والله خبير بما تعملون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم وعهودهم بينكم وبينهم وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم يعذبهم بأيديكم يقول يقتلهم الله بأيديكم ويخزهم يقول ويذلهم بالاسر والقهر وينصركم عليهم فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة ويشف صدور قوم مؤمنين يقول ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم واذلالكم وقهركم اياهم وذلك الداء هو ما كان فى قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الاذى والمكروه وقيل ان الله عنى بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن بنى بكر نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرا عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة يشف صدورهم من بنى بكر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين قال حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ يقول الله تعالى ذكره ويذهب وجد قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكربها بما نالها من الوجد عليهم بمعونتهم بكرا عليهم كما حدثنى ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى ويذهب غيظ قلوبهم قتلهم بنو بكر وأعانتهم قريش حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى مثله الا أنه قال وأعانهم عليهم قريش وأما قوله ويتوب الله على من يشاء فانه خبر مبتدأ ولذلك رفع وجزم الاحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة كأنه قال قاتلوهم

واحدا ج لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الاهو ط يشركون ٥ الكافرون ٥ كله لا تتعلق لو بما قبله المشركون ٥ عن سبيل الله ط فى سبيل الله لا تتعلق الفاء أليم ٥ لا أى فى يوم وظهورهم ط تكنزون ٥ حرم ط يقاتلونكم كافة ط المتقين ٥ فيحلوا ما حرم الله ط أعمالهم ط الكافرين ٥ ۞ التفسير انه (٦٥) سبحانه لما ذكر شبهات المشركين وأجاب عنها بأجوبة صحيحة أراد أن يبين أحكام أهل الكتاب والمقصود تمييزهم من المشركين فى الحكم لان الواجب فى المشركين القتال الى الاسلام والواجب فى أهل الكتاب القتال الى الاسلام أو الجزية واعلم أنه تعالى ذكر صفات أربعة وأمر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله (من الذين أوتوا الكتاب) فدل ذلك على ان أهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فأورد عليه أن القوم يقولون نحن نؤمن بالله وأجيب بأن ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بأن كل من نازع فى صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم أن يكون أكثر المتكلمين كذلك فالاشعرى من أهل السنة أثبت البقاء صفة والقاضى أنكره وعبد الله بن سعيد أثبت القدم صفة والباقون أنكروه والقاضى اثبت لله ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ أبو اسحق أنكره والقاضى أثبت للصفات سبعة أحوال معللة بتلك الصفات وغيره أنكره وعبد الله ابن سعيد زعم أن كلام الله فى الازل ما كان أمرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون أنكروه وقوم من قدماء الاشاعرة أثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهى والاستخبار والخبر والنداء

ان تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ثم ابتدأ فقال ويتوب الله على من يشاء لان القتال غير موجب لهم التوبة من الله وهو موجب لهم العذاب من الله والخزى وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم يخزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ولم يكن موجبا القتال التوبة فابتدأ الحكم به ورفع ومعنى الكلام وعن الله على من يشاء من عباده الكافرين فيقبل به الى التوبة بتوفيقه اياه والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه ومن منهم غير أهل لها فيخذله حكيم فى تصريف عباده من حال كفر الى حال ايمان بتوفيق من وفقه لذلك ومن حال ايمان الى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده وغير ذلك من أمرهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم الذى بينهم وبينه بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية حاضا على جهادهم أم حسبتم أيها المؤمنون أن يتركم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به فيعرف الصادق منكم فى دينه من الكاذب فيه ولما يعلم الله الذين جاهدوا يقول أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم فى سبيله من المضيعين أمر الله فى ذلك المفرطين ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله يقول ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين وليجة هو الشئ يدخل فى آخر غيره يقال منه ولج فلان فى كذا يلجه فهو وليجة وانما عنى بها فى هذا الموضع البطانة من المشركين نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون اليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يقول والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعد ما قد نهاكم عنه لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم والله مجازيكم على ذلك ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وبنحو الذى قلت فى معنى الوليجة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا المؤمنين وليجة يتولجها من الولاية للمشركين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع وليجة قال دخلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم حسبتم أن تتركوا الى قوله وليجة قال أبى أن يدعهم دون التمحيص وقرأ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقرأ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآيات كلها أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أبى الله الا أن يمحص حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وليجة قال هو الكفر والنفاق أو قال أحدهما وقيل أم حسبتم ولم يقل أحسبتم لانه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام فادخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا وقد بينت نظائر ذلك فى غير

(٩ - ابن جرير عاشر) والمشهور أن كلام الله واحد واختلفوا فى أن خلاف المعلوم هل هو مقدور لله وأما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فأكثر من أن تحصى هاهنا وأجيب بأن المجسم خالف فى الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دل على أن اله العالم ليس بجسم ولا جسمانى وأما الخلاف فى المسائل المذكورة فراجع الى الصفة فظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية

القائلين بن كلام الله تعالى حل فى كل لسان وفى كل جسم كتب فيه القرآن كما نكفر النصارى القائلين بأن أقنوم الكلمة حلت فى

* الصفة الثانية أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسمانى والقرآن دل على ان أهل الجنة يأ

ويشربون وبالذات يتمتعون أما السعادات الروحانية فتتفق عليها * الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورس

لا يحرمون ما حرم الله فى القرآن والرسول فى سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال أبو روق أى لا يعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا باحكام توافق مشتهاهم * الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق أى لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال (حتى يعطوا الجزية) فعلة من جزى يجزى اذا قضى ما عليه قال الواحدى هى ما يعطى المعاهد على عهده وقال فى الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى (عن يد) ان أريد بها يد المعطى أى عن يد مؤاتية غير ممتنعة يقال أعطى بيده اذا انقاد وأصحب أو المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد أحد وان أريد بها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أى بسببها كقوله * يمنون عن أكل وعن شرب * أى يتناهون فى السمن بسببهما أو المراد عن انعام علينا بهم فان قبول الجزية منهم بدلا عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود من وحدة فما وجه إيجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به فى حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم أما مقدار الجزية فعن أنس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على فقرائهم فى المدينة اثنى عشر درهما وعلى الاوساط أربعة وعشرين وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين فذهب الشافعى أقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضى وذهب أبو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب لقوله صلى الله

موضع من الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون ﴾ يقول تعالى ذ ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر يقول ان الم انما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله شهادتهم على أنفسهم بالكفر فانها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المف قال ثنا أسباط عن السدى قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر يقول ما ينبغى لهم أن يعمروها وأما شاهدين على أنفسهم بالكفر فان النصرانى يقول ما أنت فيقول نصرانى واليهودى فيقول يهودى والصابئ فيقول صابئ والمشرك يقول اذا ما دينك فيقول مشرك لم يكن ليقوله أحد الا العرب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العن عن أسباط عن السدى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله قال يقول ما كان ينبغى لهم أ يعمروها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى شاهدين على أنفسهم بال قال النصرانى يقال له ما أنت فيقول نصرانى واليهودى يقال له ما أنت فيقول يهودى والعن يقال له ما أنت فيقول صابئ وقوله أولئك حبطت أعمالهم يقول بطلت وذهبت أجورهم لم تكن لله بل كانت للشيطان وفى النار هم خالدون يقول ما كثون فيها أبد الا أحياء ولا أ واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله فقرأ ذلك عامة قرا المدينة والكوفة مساجد الله على الجمع وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين مسجد الله التوحيد بمعنى المسجد الحرام وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله مساجد الله على الجمع لانه ا كذلك احتمل معنى الواحد والجمع لان العرب قد تذهب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الوا كقولهم عليه ثوب أخلاق ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتد يقول تعالى ذكره انما يعمر مساجد الله المصدق بوحدانية الله المخلص له العبادة واليوم ا يقول الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة وأقام الصلاة المكتو بحدودها وأدى الزكاة الواجبة عليه فى ماله الى من أوجبها الله له ولم يخش الا الله يقو يرهب عقوبة شئ على معصيته اياه سوى الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين يقول ت بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وأصابة الصواب حدثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يعمر مساجد من آمن بالله واليوم الآخر يقول من وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول أقر بما أنزل الله الصلاة يعنى الصلوات الخمس ولم يخش الا الله يقول ثم لم يعبد الا الله قال فعسى أولئك يقو أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقول ان ربك يبعثك مقاما محمودا وهى الشفاعة وكل عسى فى القرآن فهى واجبة حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن اسحق قال ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت ولا

وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر وذلك أن لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك أن كتبهم وهى الصحف التى أنزلت على ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد رفعت الى السماء لأحداث أحدثوها وليس المقصود من أخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون فى كتابهم فيعرفون صدق محمد ومادعاهم اليه وأيضا فيه حرمة أنبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل وأما قوله (وهم صاغرون) فمعناه أنه لابد مع أخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه أن طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا أمهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر أن مجموع ذلك يحمله على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار فى الآية بأخذ الجزية على سبيل الاهانة بأن يكون الذمى قائما والمسلم الذى يأخذ الجزية قاعدا ويأمره بأن يخرج يده من جيبه ويحنى ظهره ويطأطئ رأسه فيصب مامعه فى كفة الميزان ويأخذ المستوفى بلحيته ويضرب فى لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لاواجبة وقيل الصغار هو نفس أخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند أبى حنيفة دون الشافعى وانها تؤخذ عند أبى حنيفة فى أول السنة وعند الشافعى فى آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة وخنثى ولا صبى ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه وتضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفانى والراهب والاعمى على الاصح من قولى الشافعى لان الجزية بمنزلة الكراء يستوى فيه المعذورون وغيرهم قال الشافعى فى أحد قوليه العاجز عن الكسب ولا يصح عقد الذمة الا من الامام أو من فوضه اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد أن يقول أقررتكم أو أذنت لكم فى الاقامة فى دار الاسلام على أن تبذلوا كذا وتقبلوا الاحكام الاسلام التى يراها الامام ولا يقر أهل الكتاب بالجزية فى أرض الحجاز لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أخرجوا اليهود من

أفضل منافقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك انما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فاولئك عمارها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق القول فى تأويل قوله ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر فى الايمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيله لا فى الذى افتخروا به من السدانة والسقاية وبذلك جاءت الآثار بتأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو الوليد الدمشقى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى معاوية بن سلام عن جده أبى سلام الأسود عن النعمان بن بشير الانصارى قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فقال رجل منهم ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فأنزل الله تبارك وتعالى أجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى قال الله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى أن ذلك كان فى الشرك ولا أقبل ما كان فى الشرك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين يعنى بذلك أن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لأهل الشرك منهم من المشركين قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعنى أنهم يستكبرون بالحرم وقال به سامرا لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن الذى صلى الله عليه وسلم فخير الايمان بالله والجهاد مع نبى الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه والله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيأ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن النعمان بن بشير أن رجلا قال ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صلى الجمعة دخلنا عليه

الحجاز قال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفهما أي قراهما وما روى أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بان يخرجوا اليهود والنصارى من العرب فمحمول على انه أراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في أن المسلم لا يقتل بالذمي في قوله قاتلوا مشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتفى عند اعطاء الجزية ولكن انتفاء المجموع يكفي فيه انتفاء أحد جزأيه وأحد الجزأين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم بعد أداء الجزية كما كان ولقائل أن يقول لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وأنت بصدد اثباته ولما حكم في الآية المتقدمة أن أهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع في اثبات تلك الدعوى فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن أسقط التنوين من عزير فلانه اسم أعجمي زائد على ثلاثة أحرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه أسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم أن ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا أنه جاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول أو يجالس الملوك ولعله لم يركب أو لم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه أيضا أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فأنذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن

فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يستوون عند الله **حدثنا** ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو عن الحسن قال نزلت في علي وعثمان وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل عن الشعبي قال نزلت في علي والعباس تكلما في ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرت عن أبي صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه لو أشاء بت فيه وقال عباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد فقال علي ما أدري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية كلها **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال لما نزلت أجعلتم سقاية الحاج قال العباس ما أرانا الا تارك سقايتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا **حدثني** ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله افتخر علي وعباس وشيبة بن عثمان فقال العباس أنا أفضلكم أنا أسقي حجاج بيت الله وقال شيبة أنا أعمر مسجد الله وقال علي أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاهد معه في سبيل الله فأنزل الله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الى نعيم مقيم **حدثت** عن ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أجعلتم سقاية الحاج الآية أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج الآية فتأويل الكلام اذا أجعلتم أيها القوم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون هؤلاء ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لأن الله تعالى لا يقبل بغير الايمان به وباليوم الآخر عملا والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق لصالح الاعمال من كان به كافرا ولفظ من واحدا ووضع الاسم موضع المصدر في قوله كمن آمن بالله اذ كان معلوما معناه قال الشاعر

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى * ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل خبر الفتيان أن وهو كما يقال انما السخاء حاتم والشعر زهير ﴿ القول في تأويل قوله ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية والآخر بالحجابة والآخر بالايمان بالله والجهاد في سبيله يقول تعالى ذكره الذين آمنوا بالله صدقوا بتوحيده المشركين وهاجروا دور قومهم وجاهدوا المشركين في دين الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة

...ل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله أصدق وقال فى الكشاف الدليل على أن هذا القول كان
...م أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وأما النصارى فلا شك أنهم يقولون ذلك وقد حكى الواحدى
...ب ذلك أن أتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى الى السماء حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان فى اليهود رجل
شجاع يقال له بولس قتل جمعا من أصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار وانى أحتال فأضلهم فعرقب فرسه وأظهر الندامة بما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تتنصر وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه وأحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتى فادع الناس الى نحلتك ولقد رأيت عيسى فى المنام ورضى عنى وانى غدا أذبح نفسى لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه هذا هو السبب فى وقوع هذا الكفر فى طوائف النصارى والأقرب أن لفظ الابن قد وقع فى الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك أنت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل فى حق ابراهيم عليه السلام وقال المسيح عليه السلام للحواريين أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا
...مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء الذى أشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة
...يهود ولاجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد فى أحد الطرفين بغلو فاسد فى الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى
...بحقيقة الحال ثم قال سبحانه (ذلك قولهم بافواههم) وفائدة هذا التخصيص وكل قول فانما يقال بالفم أنه قول لا يعضده برهان بل

...ه وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون وأولئك يقول
...هؤلاء الذين وصفنا صفتهم أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم الفائزون بالجنة الناجون من النار
...القول فى تأويل قوله ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾
...قول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه
...رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم بانه قد رضى عنهم بطاعتهم اياه وأدائهم ما كلفهم
...جنات يقول وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد ثابت دائم أبدا لهم حدثنا ابن بشار
...ل ثنا أبو أحمد الموسوى قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل
...ل الجنة الجنة قال الله سبحانه أعطيكم أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ أفضل من هذا قال
...رضوانى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم﴾ يقول تعالى ذكره
...الدين فيها ماكثين فيها يعنى فى الجنات أبدا لا نهاية لذلك ولا حد ان الله عنده أجر عظيم يقول ان
...ه عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذى ذكر فى هذه الآية أجر ثواب على طاعتهم
...بهم وأدائهم ما كلفهم من الاعمال عظيم وذلك النعيم الذى وعدهم أن يعطيهم فى الآخرة ۞ القول
...تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على
...الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله لا تتخذوا
...آباءكم واخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الاسلام وأهله
...يؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر على الايمان يقول ان
...اختاروا الكفر بالله على التصديق به والاقرار بتوحيده ومن يتولهم منكم يقول ومن يتخذهم
...منكم بطانة من دون المؤمنين ويؤثر المقام معهم على الهجرة الى رسول الله ودار الاسلام فأولئك هم
...الظالمون يقول فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله فوضعوا الولاية فى غير موضعها
...وعصوا الله فى أمره وقيل ان ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من
...أرض الشرك الى دار الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
...ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال
...أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب أنا أسقى الحاج وقال طلحة أخو بنى عبد الدار أنا
...صاحب الكعبة فلا نهاجر فأنزلت لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء الى قوله يأتى الله بأمره
...يفتح فى أمره اياهم بالهجرة هذا كله قبل فتح مكة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ان كان
...آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون
...كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى
...الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل
...يا محمد للمتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام المقيمين بدار الشرك ان كان المقام مع آبائكم
...وأبنائكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وكانت أموال اقترفتموها يقول اكتسبتموها
...وتجارة تخشون كسادها بفراقكم بلدكم ومساكن ترضونها فسكنتموها أحب اليكم من
...الهجرة الى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد فى سبيله يعنى فى نصرة دين الله الذى ارتضاه

البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو مبرأ عن الحاجة والشهوة والمضاجعة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي لا تجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر نظيره قوله وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أو نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه أما اذا نطق به هو الغاية في اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية في الحسن والتأثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة أو انه مذهب لا يساعده دليل فلا تأثير له في القلوب ويحتمل أن يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت في الافواه والألسنة (يضاهؤن) من قرأ بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهي منقوصا أي شاكل ومن قرأ بالهمز فلمجيء ضاهأت من قولهم امرأة ضهيأ على وزن فعيل وهي التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهيأ على فعلا بزيادة الهمزة كما في غرقئ لقشرة البيض السفلى لمجيء ضهياء ممدودا بمعناه فلا ثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف أي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى أن قول هؤلاء المعاصرين للنبي من أهل الكتاب يشبه قول قدمائهم أي انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول أهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهؤن للنصارى فقط أي يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود أقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب معجبا ومستفهما على سبيل الانكار (قاتلهم الله أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم ولن ضل عن الطريق أين تذهب ثم وصفهم بضرب آخر من الاشراك فقال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) قال أهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يريد بأحسن بيان والراهب الذي ظهرت آثار الرهبة من قلبه على وجهه ولباسه

فتربصوا يقول فتنظروا حتى يأتي الله بأمره حتى يأتي الله بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ابن أبي نجيح عن مجاهد حتى يأتي الله بأمره بالفتح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فتح مكة حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها يقول تخشون أن تكسد فتبيعوها وما كان ترضونها قال هي القصور والمنازل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأموال اقترفتموها يقول أصبتموها

القول في تأويل قوله ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ يقول تعالى ذكره لقد نصركم الله أيها المؤمنون في أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ومشاهدتهم فيها أنتم وهم كثيرة ويوم حنين يقول وفي يوم حنين أيضا قد نصركم وحنين واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأجرى لانه مذكر اسم لمذكر وقد يترك اجراؤه ويراد به أن يجعل اسما للبلدة التي هو بها ومنه قول الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال حنين واد الى جنب ذي المجاز اذ أعجبتكم كثرتكم وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر اثني عشر ألفا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم لن نغلب من قلة وقيل قاله رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يقول فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت يقول وضاقت عليكم الارض بسعتها عليكم والباء ههنا في معنى في ومعناه وضاقت عليكم الارض في رحبها وسعتها يقال منه مكان رحيب أي واسع وانما سميت الرحاب رحابا لسعتها ثم وليتم مدبرين عن عدوكم منهزمين مدبرين يقول وليتموهم الادبار وذلك الهزيمة يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش وأنه ينصر القليل على الكثير اذا شاء ويخلي الكثير فيهزم الكثير وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين بلغ وذلك جزاء الكافرين قال وحنين ما بين مكة والطائف قاتل عليها نبي الله هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بني نصر وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي قال وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وذكر لنا أن رجلا قال يومئذ لن نغلب اليوم بكثرة قال وذكر لنا أن المسلمين انجفلوا يومئذ بالناس وجعلوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء وذكر

عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من أصحاب الصوامع واختلفوا فى معنى اتخاذهم
هم أربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد أنهم جعلوهم آلهة العالم فقال أكثر المفسرين المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم نقل
ن عدى بن حاتم كان نصرانيا فاتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال
عدى انا لسنا نعبدهم فقال أليس تحرمون ما أحل الله وتحلون ما حرم
الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم
قال الربيع قلت لابى العالية كيف
كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل
فقال انهم رجعوا فى كتاب الله
ما يخالف قول الاحبار والرهبان
فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا
يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم
يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان
خلاف ما عليه الخوارج لأن الفاسق
وان كان يقبل دعوة الشيطان الا أنه
يلعنه ويستخف به بخلاف أولئك
الأتباع المعظمين لمتبوعهم قال
الامام فخر الدين الرازى رحمه الله
تعالى قد شاهدت جماعة من مقلدة
الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة
من كتاب الله فى مسائل كانت تلك
الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا
تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا
ينظرون الىّ كالمتعجب يعنى كيف
يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع
أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها
ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا
سارياً فى عرف الاكثرين قلت ولعلهم
توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم
ربما وقفوا من تلك الآى على ما لم
يقف عليه الخلف وقيل فى تفسير
هذه الربوبية ان الجهال والحشوية
اذا بالغوا فى تعظيم شيخهم وقدوتهم
فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد
وقد يساعدهم الشيخ فى ذلك اذا

ن نبى الله قال أى رب آتنى ما وعدتنى قال والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله فقال له النبى
لى الله عليه وسلم نادِ يا معشر الانصار و يا معشر المهاجرين فجعل ينادى الانصار فخذا فخذا ثم
دى يا أصحاب سورة البقرة قال فجاء الناس عنقا واحدا فالتفت نبى الله صلى الله عليه وسلم
ذا عصابة من الانصار فقال هل معكم غيركم فقالوا يا نبى الله والله لو عمدت الى برك الغماد من ذى
ن لكنا معك ثم أنزل الله نصره وهزم عدوهم وتراجع المسلمون قال وأخذ رسول الله كفا
ن تراب أو قبضة من حصباء فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا فلما جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرانة فقسم بها مغانم حنين وتألف أناسا من
الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فقالت
الانصار حن الرجل الى قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة له من أدم
قال يا معشر الانصار ما هذا الذى بلغنى ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله وكنتم أذلة فاعزكم الله
وكنتم وكنتم قال فقال سعد بن عبادة رحمه الله ائذن لى فأتكلم قال تكلم قال أما قولك كنتم
ضلالا فهداكم الله فكنا كذلك وكنتم أذلة فأعزكم الله فقد علمت العرب ما كان حى من أحياء
العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد أتدرى من تكلم فقال نعم أكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو سلكت الانصار
واديا والناس واديا لسلكت وادى الانصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار وذكر لنا أن نبى
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الانصار كرشى وعيبتى فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار أما ترضون أن ينقلب الناس بالابل والشاء
وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله ورسوله والله ما قلنا ذلك الا حرصا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم
ويعذرانكم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن أم رسول
الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته أوظئره من بنى سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حنين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أملكهم وانما لى منهم نصيبى ولكن ائتينى غدا فسلينى
الناس عندى فانى اذا أعطيتك نصيبى أعطانى الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبا فقعدت عليه
فسألته فأعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم **حدثنى** محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة الآية ان
رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة
فأعجبته كثرة الناس وكانوا اثنى عشر ألفا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فولوا الى كلمة الرجل
فهزموا عن رسول الله غير العباس وأبى سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بين يديه
فحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الانصار أين الذين بايعوا تحت الشجرة فتراجع الناس
فنزل الله الملائكة بالنصر فهزموا المشركين يومئذ وذلك قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن

ن مزورا طالبا للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا تليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا فى هذه الامة
كيف بالامم السالفة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة والالهية ولعل السبب فى افراد المسيح بالذكر أن قولهم فيه أشنع من
قولهم فى الاحبار والرهبان أولان القول بالهية المسيح مخصوص بأحد الفريقين فلو قيل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا

لأوهم اشتراك الفريقين فى اتخاذ المسيح ربا (وما أمروا) الضمير للمتخذين والذى أمرهم بذلك أدلة العقل والكتب السماوية وفى الخبر حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز أن يكون الضمير للاحبار والرهبان أى وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الايمان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال (سبحانه عما يشركون) ثم ذكر نوعا آخر من

أفعال أهل الكتاب وهو سعيهم فى ابطال أمر محمد وجدهم فى اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال (يريدون أن يطفؤا نور الله) أى دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما فى الاهتداء بهما وذلك أن دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التى بمثلها ثبتت نبوة موسى وعيسى ولاسيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب فى السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة أرادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذى هو أشد الانوار المحسوسة بسبب أن ينفخ فيه ولا ريب أن ذلك سعى باطل وكيد زاهق ولهذا قال (ويأبى الله الا أن يتم نوره) أى لم يرد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهى المنع والامتناع قال * وان أرادوا ظلمنا أبينا * امتدح بذلك ولا يجوز أن يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوى فيه القوى والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم أكد ذلك المعنى بقوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى بكثرة الدلائل والمعجزات (ودين الحق) لاشتماله على أمور تظهر لكل أحد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية أمره وتمام حكمه فقال (ليظهره على الدين كله) أى ليجعل الرسول أو دين الحق غالبا على أهل الاديان كلهم أو على كل دين عن أبى هريرة أنه قال هذا وعد من الله بأن يجعل الاسلام ظاهرا على جميع الاديان وهذا انما يظهر عند خروج المهدى ونزول عيسى وقال السدى ذلك عند خروج المهدى عليه السلام لا يبقى أحد الا دخل فى الاسلام

الزهرى عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه قال لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون يومئذ قال فلقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ومامعه أحد الا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب آخذا بغرز النبى صلى الله عليه وسلم لا يألو ما أسرع نحو المشركين قال فأتيته من أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء فقال ياعباس ناد أصحاب السمرة وكنت رجلا صيتا فانطلقت بصوتى الأعلى أين أصحاب السمرة فالتفتوا كانها الابل اذا حنت الى أولادها يقولون يالبيك يالبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون وتنادت الانصار يامعشر الانصار ثم قصرت الدعوة فى بنى الحرث بن الخزرج فتنادوا يابنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ثم قال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة قال فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا هزمهم الله قال فلكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبى ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك فقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عندى من ترون وأحب القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء قد جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده منهم شئ فطابت نفسه أن يرده فليفعل ذلك ومن أبى فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا يانبى الله رضينا وسلمنا فقال لا أدرى لعل منكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا حدثنا على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا يعلى بن عطاء عن همام عن أبى عبد الرحمن يعنى الفهرى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين فركدت الشمس لبست لأمتى وركبت فرسى حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل شجرة فقلت يارسول الله قد حان الرواح فقال أجل فنادى يابلال يابلال فقام بلال من تحت الشجرة فأقبل كأن ظله ظل طير فقال لبيك وسعديك ونفسى فداؤك يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسرج فرسى فأخرج سرجا دفتاه حشوهما ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب النبى صلى الله عليه وسلم فصافحناهم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين كما قال الله فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباد الله يامعشر المهاجرين قال ومال النبى صلى الله عليه وسلم على فرسه فأخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم فولوا مدبرين قال يعلى بن عطاء فحدثنى أشياخنا عن آبائهم أنهم قالوا ما بقى منا أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء وسأله رجل من قيس أكنتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام

الخراج قلت قد دخل فى عصرنا من الملوك الكفرة ومن أشياعهم فى الاسلام مالا يعد ولا يحصى وازداد ذلك كل يوم دليل ظاهر على أن كل سيد خلون فى الاسلام وقد جاء فى الحديث زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره فى جزيرة العرب وهذا تخصيص أوجبه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شئ من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار فى بعض الاقطار ظاهرة ولقائل أن يقول ان المسلمين فى تلك البلاد وان قلوا فالبون على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام أحكامه قوله (هو الذى أرسل) فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة أنه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة أنه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء وأراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة أنه هو المعطى لمثل هذه النعمة التى لا يوازيها نعمة وهى نعمة الهدى والاسلام وقوله (ولو كره الكافرون) وفى الآية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة تنبيها على أن اليهود والنصارى أيضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركى قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق أراد أن يصفهم بالطمع والحرص فقال (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية) وفيه تنبيه على أن مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ولعمرى ان من تأمل فى أحوال أهل الناقوس والتزوير فى زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت الا فى شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه فى الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى تعريف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة فى تحصيله وفى قوله كثيرا دلالة على أن هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم

ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها وهو يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال سأله رجل يا أبا عمارة ولسم يوم حنين فقال البراء وأنا أسمع أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ دبره وأبو سفيان يقود بغلته فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فما رؤى يومئذ أحد من الناس كان أشد منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى جعفر بن سليمن عن عوف الاعرابى عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال ثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبنا القوم فكانت اياها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال ويومئذ سمى الله الانصار مؤمنين قال فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ قال كانوا اثنى عشر ألفا حدثنا محمد بن يزيد الآدمى قال ثنا معن بن عيسى عن سعيد بن السائب الطائفى عن أبيه عن يزيد بن عامر قال لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ضرب النبى صلى الله عليه وسلم بيده الى الارض فأخذ منها قبضة من تراب فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين فحثاها فى وجوههم وقال ارجعوا شاهت الوجوه قال فانصرفنا ما يلقى أحدا أحدا الا وهو يمسح القذى عن عينيه وبه عن يزيد بن عامر السوائى قال قيل له يا أبا حازر الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين ما وجدتم قال وكان أبو حازر مع المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن ثم يقول كان فى أجوافنا مثل هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين بن عرفة قال ثنى المعتمر بن سليمن عن عوف قال سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم قال ثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم فى أدبارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء وذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها ۞ القول فى تأويل قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) يقول تعالى ذكره ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت وتولى منكم الاعداء أدباركم كشف الله نازل البلاء عنكم بانزاله السكينة وهى الأمنة والطمأنينة عليكم وقد بينا أنها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا

لا يخلو عن المحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم أنه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك
الامم وعبر عن أخذهم أموال الناس بالاكل تسمية للشئ باسم ما هو أعظم مقاصده وأيضا من أكل شيأ فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الو
الى غيره كما لو أخذه ولهذا قال من أخذ أموال الناس فاذا طولب بردها قال أكلتها وما بقيت فلا قدرة لى على رد

تفسير الباطل وجوه منها أنهم كانوا يأخذون الرشا فى تخفيف الاحكام والمسامحة فى الشرائع وفى اخفاء نعت محمد وتأويل الدلائل الدالة على نبوته ومنها أنهم كانوا يدعون عند عوامهم الحق أنه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال فى مرضاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها أنهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان أولئك الفقهاء أقوياء عظماء أصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون فى زماننا هذا أما قوله (ويصدون عن سبيل الله) فمعناه يبالغون فى المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو أقروا بدينه ثم قال سبحانه (والذين يكنزون) الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشئ اجتمع قيل المراد بقوله والذين يكنزون الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد أراد أن يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن أموالهم وقيل المقصود مانعو الزكاة من المسلمين ووجه النظم أنه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى فى أخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبى ذر فقلت له ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية فقال معاوية نزلت فى أهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان يشكونى فكتب الى عثمان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عنى كأنهم لم يرونى من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا

لموضع وأنزل جنودا لم تروها وهى الملائكة التى ذكرت فى الاخبار التى قد مضى ذكرها وعذب الذين كفروا يقول وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبى الاهلين والذرارى وسلب الاموال والذلة وذلك جزاء الكافرين يقول هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى جزاء الكافرين يقول هو ثواب أهل الجحود وحدانيته ورسوله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وعذب الذين كفروا يقول قتلهم بالسيف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن سعيد وعذب الذين كفروا قال بالهزيمة والقتل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين قال بقى منهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والانابة اليه من بعد عذابه الذى به عذب من عذب منهم قتلا بالسيف على من يشاء أى يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به الى طاعته غفور لذنوب من أناب وتاب اليه منهم ومن غيرهم منها رحيم بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم ولا يؤاخذهم بها بعد انابتهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقروا بوحدانيته ما المشركون الا نجس * واختلف أهل التأويل فى معنى النجس وما السبب الذى من أجله سماهم بذلك فقال بعضهم سماهم بذلك لانهم يجنبون فلا يغتسلون فقال هم نجس ولا يقربوا المسجد الحرام لان الجنب لا ينبغى له أن يدخل المسجد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر فى قوله انما المشركون نجس لا أعلم قتادة الا قال النجس الجنابة * وبه عن معمر قال وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى حذيفة وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده فقال حذيفة يا رسول الله انى جنب فقال ان المؤمن لا ينجس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس أى أجناب * وقال آخرون معنى ذلك ما المشركون الا رجس خنزير أو كلب وهذا قول روى عن ابن عباس من وجه غير حميد فكرهنا ذكره وقضى أن لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا يقول للمؤمنين فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام يدخلوا الحرم وانما عنى بذلك منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلناه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر وابن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء الحرم كله قبلة ومسجد قال فلا يقربوا المسجد الحرام لم يعن المسجد وحده انما عنى مكة والحرم قال ذلك غير مرة وذكر عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك ما حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى ابن مسلم قال ثنا أبو عمرو أن عمر بن عبد العزيز كتب أن امنعوا اليهود والنصارى دخول مساجد المسلمين واتبع فى نهيه قول الله انما المشركون نجس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن انما المشركون نجس قال لا تصافحوهم فمن صافح

فليتوضأ وأما قوله بعد عامهم هذا فانه يعني بعد العام الذي نادى فيه علي رحمة الله عليه ببراءة وذلك عام حج بالناس أبو بكر وهي سنة تسع من الهجرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو العام الذي حج فيه أبو بكر ونادى علي رحمة الله عليهما بالاذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج نبي الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع لم يحج قبلها ولا بعدها وقوله وان خفتم عيلة يقول للمؤمنين وان خفتم فاقة وفقرا بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء يقال منه عال يعيل عيلة وعيولا ومنه قول الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

وقد حكي عن بعضهم أن من العرب من يقول في الفاقة عال يعول بالواو وذكر عن عمرو بن فائد أنه كان تأول قوله وان خفتم عيلة بمعنى واذ خفتم ويقول كان القوم قد خافوا وذلك نحو قول القائل لأبيه ان كنت أبي فأكرمني بمعنى اذ كنت أبي وانما قيل ذلك لهم لان المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك وأمنهم الله من العيلة وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه وهو الجزية فقال لهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله الى صاغرون وقال قوم بادرار المطر عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن قال من أين تأكلون وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم العير فقال الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأمرهم بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال كان المشركون يجيئون الى البيت ويجيئون معهم بالطعام ويتجرون فيه فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا طعام فأنزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأنزل عليهم المطر وكثر خيرهم حتى ذهب عنهم المشركون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد ابن عبد الرحمن عن علي بن صالح عن سماك عن عكرمة انما المشركون نجس الآية ثم ذكر نحو حديث هناد عن أبي الاحوص حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير قال لما نزلت انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع فنزلت وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن واقد مولى زيد بن خليدة عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت هذه الآية انما المشركون نجس الى قوله عيلة قال الفقر فسوف يغنيكم الله من

أي والله لا أدع ما كنت أقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رأيت أبا ذر يقول بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بي قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم تؤد زكاته عن عمر بن الخطاب مال أديت زكاته فليس بكنز وقال ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات وقال الأقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء أديت زكاته أو لم تؤد وحجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسألكم أموالكم وقوله عليه السلام كل امرئ أحق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من أكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث أو الأقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر المريض أن يتصدق بالكل بل الصحيح في حال صحته حجة الأقلين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له صلى الله عليه وسلم أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وقوله من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال

كيتان وعن علي رضي الله عنه كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فلما فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب عليه ثم يعاقبه وقال أهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لأن تزايد المال لا حد له يقف هنالك فينجر الى تضييع العمر تارة في تحصيله وأخرى في حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة ونفرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده وأما ظاهر الفتوى فهو أن صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا أدى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية على وعيد مانعي الزكاة في النقود قاس الزكاة في المواشي عليه وقد ورد أيضا في الحديث ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم وهو مشهور ولا ريب أن الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن أوجب الزكاة في الحلي المباح الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكاة في الحلي المباح

فضله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية العوفي قال قال المسلمون قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم فنزلت انما المشركون نجس الى قوله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي أحسبه قال أنبأنا أبو جعفر عن عطية قال لما قيل ولا يحجن بعد العام مشرك قالوا قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله يعني بما فاتهم من بياعاتهم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال بالجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان وأبو معاوية عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك قال أخرج المشركون من مكة فشق ذلك على المسلمين وقالوا كنا نصيب منهم التجارة والميرة فأنزل الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثقفوا وأن يقعدوا لهم كل مرصد قذف الشيطان في قلوب المؤمنين فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير فعلم الله من ذلك ما علم فقال أطيعوني وامضوا لأمري وأطيعوا رسولي فأنا سوف أغنيكم من فضلي فتوكل لهم الله بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله انما المشركون نجس الى قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال قال المؤمنون كنا نصيب من متاجر المشركين فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بان لا يقربوهم المسجد الحرام فهذه الآية من أول براءة في القراءة ومن آخرها في التأويل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام شق ذلك على المسلمين وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون فأنزل الله تعالى ذكره وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فاغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم يأخذونها شهرا شهرا عاما عاما فليس لاحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال الا صاحب الجزية أو عبد رجل من المسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال الا صاحب جزية أو عبد الرجل من المسلمين حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وان

ولم يصححه أبو عيسى الترمذي وبتقدير أن يصح حملوه على اللآلئ لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل أن يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللآلئ لم تبق لتقييد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال والذين ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز أو الاموال أو لأن كل واحد منهما جملة واحدة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنا

خفتم

فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ أى ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب اما لأنه داخل فى الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمنيين نفيسين مقصودين بالكنز فأغنى ذكر أحدهما عن الآخر كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وإما لان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله

خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن أبى الزبير عن جابر انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك أن الناس قالوا لتقطعن عنا الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الى قوله وهم صاغرون ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر المشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية وأما قوله ان الله عليم حكيم فان معناه ان الله عليم بما حدثكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام وغير ذلك من مصالح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول ولا يصدقون بجنة ولا نار ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق يقول ولا يطيعون الله طاعة الحق يعنى أنهم لا يطيعون طاعة أهل الاسلام من الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى وكل مطيع ملكا أو ذا سلطان فهو دائن له يقال منه دان فلان لفلان فهو يدين له دينا قال زهير

لئن حللت بجو فى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقوله من الذين أوتوا الكتاب يعنى الذين أعطوا كتاب الله وهم أهل التوراة والانجيل حتى يعطوا الجزية والجزية الفعلة من جزى فلان فلانا ما عليه اذا قضاه يجزيه والجزية مثل القعدة والجلسة ومعنى الكلام حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذى يبذلونه للمسلمين دفعا عنها وأما قوله عن يد فانه يعنى من يده الى يد من يدفعه اليه وكذلك تقول العرب لكل معط قاهر له شيأ طائعا له أو كارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فاه الى فم ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد بيد وأما قوله وهم صاغرون فان معناه وهم أذلاء مقهورون يقال للذليل الحقير صاغر وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره بحرب الروم فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ۞ واختلف أهل التأويل فى معنى الصغار الذى عناه الله فى هذا الموضع فقال بعضهم أن يعطيها وهو قائم والآخذ جالس ذكر من قال ذلك

* فانى وقيار بها لغريب *

وقيار كذلك ثم قال (فبشرهم بعذاب أليم) تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هى الخبر الذى يؤثر فى القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح أو من الغم كان حقيقة (يوم يحمى عليها) معناه أن النار تحمى عليها أى يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى أى الكنوز كقولك أحميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير وان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ذكر العلماء فى تخصيص هذه الأعضاء بالكى وجوها منها أن حصول الاموال يقصد به فرح فى القلب يظهر أثره فى الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة ولما فى داخلها من الاعضاء الشريفه ومنها أنهم يكوون على الجهات الاربع أمامن قدام فعلى الجبهة وأمامن خلف فعلى الظهر وأمامن اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها أن المراد وقوع الكى على كل الاعضاء لانها اما فى غاية النظافة ومثاله

وإما فى غاية الصلابة ومثاله الظهر وإما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها أن الجمال فى الوجه والقوة فى الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول أبى بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا قبض جبينه تباعد وتجافى عنه وولى ظهره وأنا أقول يحتمل أن يراد بالجباه قدام الشخص حيث لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف

حيث خلف ما أعقبه الحسرات و بالجنوب اليمين والشمال حيث لم يصرف المال فى مرضاة الله وأنفقه فى معصيته وسخطه
بالتأويل أليق ثم الذى جعل كياهو كل ماله أوقدر الزكاة الظاهر أنه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا فى الكل
فناسب أن يعذب بكل الاجزاء ثم
واشعار بأنهم عوروضوا بنقيض
ماقصدوا واكد ذلك بقوله (فذوقوا
ما كنتم تكنزون) ما مصدرية
أوموصولة والمعنى اعرفوا وبال
كونكم كانزين أو ذوقوا وبال
المال الذى كنتم تكنزونه ثم
ذكر نوعا آخر من قبائح أعمال
اليهود والنصارى والمشركين فقال
(ان عدة الشهور) الآيتان وذلك أنه
تعالى لما حكم فى كل وقت بحكم
خاص فاذا غيروا تلك الاوقات
بسبب النسىء والكبيسة كان ذلك
سعيا منهم فى تغيير حكم الله بحسب
الهوى فكان ذلك زيادة فى كفرهم
واعلم أن المعالم الشرعية كلها منوطة
بالشهور القمرية الهلالية لقوله
سبحانه قل هى مواقيت للناس والحج
والسنة القمرية عبارة عن اثنى
عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر
شهرا قال أبو على الفارسى لا يجوز
أن يتعلق قوله فى كتاب الله بقوله
عدة الشهور للفصل بالاجنبى وهو
الخبر أعنى اثنا عشر فقوله فى
كتاب الله ويوم خلق الثانى بدل من
الاول وهو من عند والتقدير ان
عدة الشهور عند الله فى كتاب
الله يوم خلق السموات والارض
وفائدة الابدالات تقرير الكلام
فى الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك
العدد واجب عند الله وثابت فى علمه
فى أول ما خلق الله العالم ويجوز
أن يكون فى كتاب الله صفة اثنا

قال (هذا ما كنزتم) والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم (لأنفسكم) وفيه

حدثنى عبد الرحمن بن بشر النيسابورى قال ثنا سفيان عن ابن سعد عن عكرمة ح
يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون قال أى تأخذها وأنت جالس وهو قائم * وقال آخرون
قوله حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون
قول روى عن ابن عباس من وجه فيه نظر * وقال آخرون اعطاؤهم اياها هو الصغار
فى تأويل قوله ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواه
يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ اختلف أهل التأويل فى
عزير ابن الله فقال بعضهم كان ذلك رجلا واحدا وهو فنحاص ذكر من قال ذلك
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن
عمير قوله وقالت اليهود عزير ابن الله قال قالها رجل واحد قالوا ان اسمه فنحاص وقالوا هو الذى
ان الله فقير ونحن أغنياء * وقال آخرون بل كان ذلك قول جماعة منهم ذكر من قال
حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد
أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول
صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله فأنزل الله فى ذلك من قولهم وقالت
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى أنى يؤفكون حدثنى محمد بن سعد قال
أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت اليهود عزير ا
وانما قالوا هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان فى أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعلم
ماشاء الله أن يعلموا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد أ
التوراة وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأر
عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشى كبده حتى نسوا التوراة ونسخ
صدورهم وفيهم عزير فمكثوا ماشاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عز
من علمائهم فدعا عزير الله وابتهل اليه أن يرد اليه الذى نسخ من صدره من التوراة فبينما هو
مبتهلا الى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من جوفه من التوراة
قومه فقال ياقوم قد آتانى الله التوراة وردها الىّ فعلق يعلمهم فمكثوا ماشاء الله وهو يعلمه
التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كا
يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا أنه ابن الله حدثنى محمد بن الحسين
ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالت اليهود عزير ابن الله ا
ذلك لانهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم وأخذوا التوراة وذهب علماؤهم الذين يقرؤ
كتب التوراة فى الجبال وكان عزير غلاما يتعبد فى رؤس الجبال لا ينزل الا يوم عيد فعل الغلا
ويقول رب تركت بنى اسرائيل بغير عالم فلم يزل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مر
فلما رجع اذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكى وتقول يا مطعماه ويا كاسيا
لها ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل قالت الله

على كتاب الله وعلى هذا لا يجوز أن يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم
متعلق به ولا تتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول أى فيما
ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا فى كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس

اللوح المحفوظ وقيل القرآن (منها أربعة حرم) ثلاثة سرد أى مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب (ذلك الدين القيم) يعنى ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذى كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه تركه (فلا تظلموا فيهن) أى فى الاشهر الاربعة (أنفسكم) بان تجعلوا

الله حى لم يمت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله قالت فلم تبكى عليهم فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبرا فدعته فقالت يا عزير اذا أصبحت غدا فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم اخرج فصل ركعتين فانه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه فلما أصبح انطلق عزير الى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيأ كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يا بنى اسرائيل انى قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل اصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال وكانت فى خواب مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطاك الله هذا الا أنك ابنه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء اهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين وقالت اليهود عزير ابن الله لا ينونون عزيرا وقرأه بعض المكيين والكوفيين عزير ابن الله بتنوين عزير قال هو اسم مجرى وان كان أعجميا لخفته وهو مع ذلك غير منسوب الى الله فيكون بمنزلة قول القائل زيد ابن عبد الله وأوقع الابن موقع الخبر ولو كان منسوبا الى الله لكان الوجه فيه اذا كان الابن خبرا الاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه وأما من ترك تنوين عزير فانه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الاول منهما استثقالا لتحريكه قال الراجز

لتجدنى بالأمير برا * وبالقناة مدعسا مكرا * اذا غطيف السلمى فرا

فحذف النون للساكن الذى استقبلها * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ عزير ابن الله بتنوين عزير لان العرب لا تنون الاسماء اذا كان الابن نعتا للاسم كقولهم هذا زيد بن عبد الله فأرادوا الخبر عن عزير بأنه ابن الله ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا والابن فى هذا الموضع خبر لعزير لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك انما أخبروا عن عزير أنه كذلك وان كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يعنى قول اليهود عزير ابن الله يقول نسبة قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح الى أنه لله ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيرا الى أنه لله ابن ولا ينبغى أن يكون لله ولد سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفرون من قبل يقول يشبهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل النصارى يضاهؤن قول اليهود فى عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج

حرامها حلالا عن عطاء قال تالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدائم الذى لا يزول وعن عطاء الخراسانى أحلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه أن لبعض الاوقات أثرا فى زيادة الثواب أو العقاب كالأمكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء أوقاتا مخصوصة وفيه فائدة أخرى هى أن الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو أمر مطلوب فى نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد أو لاعتقاده أن الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلى ولا ريب أن تخصيص ذلك من الشارع أقرب الى اتحاد الآراء وتطابق الكلمة وقيل الضمير فى قوله فيهن عائد الى اثنا عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الفساد مدة عمره أو المراد المنع من النسىء على ما يجىء قال الفراء

لأولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا أن لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب أن تخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلاثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الوحدة قال حسان

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ويقال لثلاث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل (وقاتلوا المشركين) وظاهر الآية يدل على اباحة
في جميع الاشهر لأن الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى (كافة) جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا
على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز أن يتقدم
ويعرف باللام كقولك قاموا معا
وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في
قوله (كما يقاتلونكم كافة) قولان فعن
ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوا
بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون
قتال جميعكم وقيل قاتلوهم بأجمعكم
غير متفرقين في مقاتلة الاعداء
ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة
حالا من المفعول وعلى الثاني يكون
حالا من الفاعل وفي قوله (واعلموا
أن الله مع المتقين) حث لهم على
التقوى وعلى الجهاد بضمان
النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهي
عنه في الآية المتقدمة وأكد
النهي عنه بقوله (انما النسيء) وهو
مصدر نسأ اذا أخر كالنذير
والنكير وقال قطرب أصله الزيادة
من قوله نسأت المرأة اذا حبلت
لزيادة الولد فيها ورد بأنه يقال لها
ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى
منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض
بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى
الى أن الشهر زيادة في الكفر وهذا
الحمل غير صحيح ويمكن أن يجاب بان
المراد ان العمل الذي بسببه يصير
الشهر الحرام مؤخرا زيادة في
الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر
يقبل الزيادة فكذا الايمان وأيضا
أطلق الكفر على هذا العمل
فتركه يكون ايمانا فلا يكون
الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار
وأجيب بأن الزيادة راجعة الى
الكمال وانما سمي هذا العمل
كفرا لأنه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله (يضل به الذين كفروا) بحث مشهور
بين المعتزلة وغيرهم أن اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز أو بالحقيقة وقد مر مرارا قوله (يحلونه عاما) الضمير فيه عائد الى
قال الواحدي أي يحلون التأخير عاما وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا فيه في الشهر الحرام ويحرمون التأخير عاما آخر وهو الذي يذكره

يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول النصارى يضاهؤن قول اليهود حدثني محمد بن
قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين
كفروا من قبل يقول قالوا مثل ما قال أهل الأوثان وقد قيل ان معنى ذلك يحكون بقولهم
أهل الاديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى * واختلفت القراء في قراءة
فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يضاهون بغير همز وقرأه عاصم يضاهؤن بالهمز وهي لغة
وهما لغتان يقال ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة اذا ماثلته عليه و
* قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز لانها القراءة المستفيضة في قراءة
واللغة الفصحى وأما قوله قاتلهم الله فان معناه فيما ذكر عن ابن عباس ما حدثني المثنى
ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتلهم الله يقول لعنهم الله
شئ في القرآن قتل فهو لعن وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
ثنى حجاج عن ابن جريج قوله قاتلهم الله يعني النصارى كلمة من كلام العرب فأما أهل
بكلام العرب فانهم يقولون معناه قتلهم الله والعرب تقول قاتلك الله وقاتلها الله بمعنى
الله قالوا وقاتلك الله أهون من قاتله الله وقد ذكروا أنهم يقولون شاقاه الله ما باقاه
أشقاه الله ما أبقاه قالوا ومعنى قوله قاتلهم الله كقوله قتل الخراصون وقتل أصحاب الأ
واحد وهو بمعنى التعجب فان كان الذي قالوا كما قالوا فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير
لان فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلا الا من اثنين كقولهم خاصمت فلانا وقاتلته وما أشبه ذلك
زعموا أن قولهم عافاك الله منه وان معناه أعفاك الله بمعنى الدعاء لمن دعاله بأن يعفيه من
وقوله أنى يؤفكون يقول أي وجه يذهب بهم ويحيدون وكيف يصدون عن الحق وقد
بشواهده فيما مضى قبل ۞ القول في تأويل قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أر
دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون)
جل ثناؤه اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من
هذا قبل واحدهم حبر وحبر بكسر الحاء منه وفتحها وكان يونس الجرمي فيما ذكر عنه يزعم أنه
ذلك الاحبر بكسر الحاء ويحتج بقول الناس هذا مداد حبر يرادبه مداد عالم وذكر الفراء أنه
حبرا وحبرا بكسر الحاء وفتحها والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في
منهم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
قراءهم وعلماءهم أربابا من دون الله يعني سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيما
ما أحلوه لهم مما قد حرمه الله عليهم ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم كما
الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا عبد السلام بن حرب الملائي عن غطيف بن أعين عن مصعب
سعد عن عدي بن حاتم قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة
أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا يحلون
فيحلون حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا مالك بن اسمعيل وحدثنا أحمد بن اسحق قال
أبو أحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب قال ثنا غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن

الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متواليه من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم فى شهر منها أو فى المحرم حرب وغارة أخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدى وأكثر العلماء على أن هذا التأخير كأن من المحرم الى صفر ويروى أنه حدث ذلك فى كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكنانى مطاعا فى قومه وكان يقوم على جمل فى الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على أنهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أى ليوافقوا العدة التى هى الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا أنهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى (فيحلوا ما حرم الله) أى من القتال وترك الاختصاص قال أهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه كأن كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء فى الشعر من هذا وهو أن يأتى فى القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما أحلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل أن تكون عدة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسىء كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك أن السنة القمرية أعنى اثنى عشر شهرا قمريا هى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهى عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وكسر قليلا فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان

ابن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ فى سورة براءة فقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال قلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم واللفظ لحديث أبى كريب حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية عن قيس بن الربيع عن عبد السلام بن حرب النهدى عن غطيف عن مصعب بن سعد عن عدى بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة فلما قرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلت يا رسول الله أما انهم لم يكونوا يصلون لهم قال صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البخترى عن حذيفة أنه سئل عن قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب عن أبى البخترى قال قيل لابى حذيفة فذكر نحوه غير أنه قال ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن حبيب عن أبى البخترى قال قيل لحذيفة أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم قال أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ أحله الله لهم حرموه فتلك كانت ربوبيتهم * قال ثنا جرير وابن فضيل عن عطاء عن أبى البخترى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال انطلقوا الى حلال الله فجعلوه حراما وانطلقوا الى حرام الله فجعلوه حلالا فأطاعوهم فى ذلك فجعل الله طاعتهم عبادتهم ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البخترى قال سأل رجل حذيفة فقال يا أبا عبد الله أرأيت قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن أبى عدى عن أشعث عن الحسن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال فى الطاعة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يقول وزينوا لهم طاعتهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عبد الله بن عباس لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم فسماهم الله بذلك أربابا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال قلت لأبى العالية كيف كانت الربوبية التى كانت فى بنى اسرائيل قال قالوا ما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم وهم يجدون فى كتاب الله ما أمروا به وما نهوا

تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف أخرى وكذا فى الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل أسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفى فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخامسة ثم فى السابعة ثم فى العاشرة ثم فى الثالثة عشرة ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهر يحوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصفة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس وسمى بالنسىء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ما خطب به ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر فكانت حجة أبى بكر قبلها فى ذى القعدة التى سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلاثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بأن عدة الشهور اثنا عشر شهرا أى لا أزيد ولا أنقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم أيضا ما لزمهم فى التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن أماكنها فيجوز أن تكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما أى يحلون النسىء فى عام الكبس ويحرمونه عاما أى فى غير عام الكبس ومعنى قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله ما روى أنه كان يقوم فى الموسم منهم خطيب ويقول أنا أنسئ لكم فى هذه السنة شهرا وكذا

عنه فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم حدثنى بشر بن سويد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى البخترى عن حذيفة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال لم يعبدوهم ولكنهم أطاعوهم فى المعاصى وأما قوله والمسيح ابن مريم فان معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله وأما قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا فانه يعنى به وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا الا أن يعبد وا معبودا واحدا وأن يطيعوا الارباب واحدا دون أرباب شتى وهو الله الذى له عبادة كل شىء وطاعة كل خلق المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية لا اله الا هو يقول تعالى ذكره لا تنبغى الالوهة الا لواحد الذى أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته سبحانه عما يشركون يقول تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك فى طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله والقائلون المسيح ابن الله المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا أن يطفؤا نور الله بأفواههم يعنى أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعث به رسوله وصدهم الناس عنه بألسنتهم أن يطفؤا وهو النور الذى جعله الله لخلقه ضياء ويأبى الله الا أن يتم نوره يعلو دينه وتظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره اتمام الله اياه الكافرون يعنى جاحدية المكذبين به * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم يقول يريدون أن يطفؤا الاسلام بكلامهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى بيده الاتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعنى ببيان فرائض الله على خلقه وجميع اللازم لهم وبدين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين كله يقول ليعلى الاسلام على الملل كلها ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ليظهره على الدين كله فقال بعضهم ذلك عند خروج عيسى حتى تصير الملل كلها واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا شقيق قال ثنى ثابت الحداد أبو المقدام عن شيخ عن أبى هريرة فى قوله ليظهره على الدين كله قال حين خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جعفر بن عون الرحمن عن فضيل بن مرزوق قال ثنى من سمع أبا جعفر ليظهره على الدين كله قال اذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين * وقال آخرون معنى ذلك ليعلمه شرائع الدين كله فيطلعه عليها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليظهره على الدين كله قال ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله فيعلمه كله ولا يخفى عليه منه شىء وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون

فى كل سنين أقبلت حتى يأتى بحكم وقت الادراك فينسئ المحرم ويجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فتكرر حرم عليهم واحدا برأيه على وفق مصلحتهم وأحل الآخر وباقى الآية قدمر تفسيرمثله مرارا والله تعالى أعلم ﴿التأويل﴾ قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر أى لا يعملون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق أى لا يطلبون الحق من الذين أوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهى معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار أنوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كما أن اليهود لما سمعت التوراة والعلوم التى هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك أن الروح ربما يتجلى للقلب فى صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحى يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا أحبارهم أى قلوبهم ورهبانهم أى أرواحهم أربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفى وذلك أن الخفى هو أول مظهر للفيض الالهى الذى منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها ترى التربية من القالب ثم يرتقى نظرها الى أن ترى التربية من القلب ثم يرتقى نظرها الى أن ترى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون أى النفوس أن يطفؤا نور الله الذى رش على الارواح فى بدء الخلق بأفواههم أى بأفواه

عن سبيل الله﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانية ربهم ان كثيرا من العلماء والقراء من بنى اسرائيل من اليهود والنصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل يقول يأخذون الرشا فى أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا ثم يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون من أراد الدخول فى الاسلام الدخول فيه بنهيهم اياهم عنه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل أما الاحبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى وأما سبيل الله فمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويا كلها أيضا معهم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول بشر الكثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله * واختلف أهل العلم فى معنى الكنز فقال بعضهم هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته قالوا وعنى بقوله ولا ينفقونها فى سبيل الله ولا يؤدون زكاتها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذى ذكره الله فى القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا حدثنا الحسين بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أنه قال كل مال أديت منه الزكاة فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد منه الزكاة وان لم يكن مدفونا فهو كنز حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا فى الارض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وجرير عن الاعمش عن عطية عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز * قال ثنا أبى عن العمرى عن نافع عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ومالم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا * قال ثنا جرير عن الشيبانى عن عكرمة قال ما أديت زكاته فليس بكنز حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة والكنز مالم تؤد زكاته وان كان على ظهر الارض وان قل وان كان كثيرا قد أديت زكاته فليس بكنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر قال قلت لعامر مال على رف بين السماء والارض لا تؤدى زكاته أكنز هو قال يكوى به يوم القيامة * وقال آخرون كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على رحمة الله عليه قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن

أسيفا الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذى أرسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره فى طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من أحبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون أى يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا فى الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها فى سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمى ترك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها فى نار جهنم

الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم امتنعوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا تتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى أصابكم من ألم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنتم فذوقوا الآن ألم كى نار الحرص لانكم لم تذوقوه فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها أربعة حرم فيه اشارة الى أن الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب أن يجعل أوقات عمره أثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الآخرة وثلثا من ذلك حرام أن يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى أشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على أن من لم يكن هكذا كان فى سلوكه اعوجاج ثم ذكر أن من شأن النفوس المشركة أنها ان أقبلت على طاعة أخرتها عن وقتها وهو النسيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت أن ذلك التأخير مما لا بأس به ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

أبى حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبى قال أخبرنى أبو حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على رحمة الله عليه فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز * وقال آخرون الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبيد الله بن معاذ قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن أنس عن عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال كان نعل سيف أبى هريرة من فضة فنهاه عنها أبو ذر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش وعمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال النبى صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة يقول لها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فأى مال نتخذ فقال عمر أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا اسرائيل عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان بمثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال المهاجرون وأى المال نتخذ فقال عمر أسأل النبى صلى الله عليه وسلم عنه قال فأدركته على بعير فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا فأى المال نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة قال توفى رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره دينار ان فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيتان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن صدى بن عجلان أبى أمامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى اخر فوجد فى مئزره دينار ان فقال نبى الله كيتان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سالم عن ثوبان قال كنا فى سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المهاجرون لو ددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه اذ نزل فى الذهب والفضة ما نزل فقال عمر ان شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا أجل فانطلق فتبعته أوضع على بعيرى فقال يا رسول الله ان المهاجرين لما أنزل الله فى الذهب والفضة ما أنزل قالوا لو ددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه قال نعم فنتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على ايمانه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة القول الذى ذكر عن ابن عمر من أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وأن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله الا أن يتفضل الله عليه بعفوه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة وذلك أن الله أوجب فى خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها وفى عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها فاذ كان ذلك فرض الله فى الذهب

ارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا أوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴿ القراآت وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون بالرفع ﴿ الوقوف الى الارض ط من الآخرة ط قليل ٥ شيأ ط قدير ٥ معنا ج لعطف أنزل على نصره مع عوارض الظروف السفلى ط الا لمن قرأ وكلمة بالنصب العليا ط حكيم ٥ فى سبيل الله ط تعلمون ٥ الشقة ط معكم ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أنفسهم ج لواو الابتداء والحال لكاذبون ٥ عنك ج لحق الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين ٥ وأنفسهم ط بالمتقين ٥ يترددون ٥ القاعدين ٥ الفتنة ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال لهم ط بالظالمين ٥ كارهون ٥ ولا تفتنى ط سقطوا ط بالكافرين ٥ ﴿ التفسير لما شرح الله معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب فى قتالهم عن ابن عباس أنها نزلت فى غزوة تبوك سنة عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أقام بالمدينة أياما فأمر بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان صيف وللقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود أسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج فى غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا فى غزوة

ليستعد الناس تمام العدة وأصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير وأصل (اثاقلتم) تثاقلتم فاذا رأتم ومعناه تباطأتم وانما عدى بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله أخلد الى الارض أى مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد الاقامة بأرضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام فى مالكم الانكار وقرئ أثاقلتم على الاستفهام للانكار أيضا فيكون جواب اذا فعلا آخر

الذهب والفضة على لسان رسوله فمعلوم أن الكثير من المال وان بلغ فى الكثرة ألوف ألوف لو كان وان أديت زكاته من الكنوز التى أوعد الله أهلها عليها العقاب لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من ربع العشر لان ما كان فرضا اخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه الى أهله لا ربع عشره وذلك مثل المال المغصوب الذى هو حرام على الغاصب امساكه وفرض عليه اخراجه من يده الى يده فالتطهر منه رده الى صاحبه فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم أو ما فضل عن حاجة ربه التى لا بد منها مما يستحق صاحبه باقتنائه اذا أدى الى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره بل كان اللازم له الخروج من جميعه الى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه كالذى ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله رده على ربه وبعد فان فيما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال قال معمر أخبرنى سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت ابلا الا بطح لها بقاع قرقر تطؤه بأخفافها حسبته قال وتعضه بأفواهها يرد أولاها على أخراها حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت غنما فمثل ذلك الا أنها تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها وفى نظائر ذلك من الاخبار التى كرهنا الاطالة بذكرها الدلالة الواضحة على أن الوعيد انما هو من الله على الاموال التى لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لاهلها من الصدقة لا على اقتنائها واكتنازها وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على أن الآية لخاص كما قال ابن عباس وذلك ما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول هم أهل الكتاب وقال هى خاصة وعامة يعنى بقوله هى خاصة وعامة هى خاصة من المسلمين فيمن لم يؤد زكاة ماله منهم وعامة فى اهل الكتاب لانهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم ان أنفقوا يدل على صحة ما قلنا فى تأويل قول ابن عباس هذا ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الى قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الارض أو فى بطنها فهو كنز وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الارض أو فى بطنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال الكنز ما كنز عن طاعة الله وفريضته وذلك الكنز وقال افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما وانما قلنا ذلك على الخصوص لان الكنز فى كلام العرب كل شئ مجموع بعضه على بعض فى بطن الارض كان أو على ظهرها يدل على ذلك قول الشاعر

لا در درّى ان أطعمت نازلهم * قرف الحتىّ وعندى البر مكنوز

يعنى بذلك وعندى البر مجموع بعضه على بعض وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض واذا كان ذلك معنى الكنز عندهم وكان قوله والذين يكنزون الذهب والفضة معناه

مدلولا عليه باثاقلتم كنحو ملتم وذلك أن جواب اذا عامل فى اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذه أن يكون اذا المجرد الظرفية وفيه ما فى مالكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن فى (من الآخرة) للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون كأنه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا أنواع فضائحهم التى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة) أى فى جنبها وفى مقابلها (الا قليل) ويجوز أن يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهى الزائل الى غير المتناهى الباقى والظاهر أن هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا أنه طالما أعطى للاكثر حكم الكل وأطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم فى الجهاد بعرض الثواب عليهم رغبهم فيه بعرض العقاب فقال (الا تنفروا) ورتب عليه ثلاث خصال الاولى قوله (يعذبكم عذابا أليما) قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله أعلم بالعذاب الذى كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الآخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله (ويستبدل قوما غيركم) يعنى قوما آخرين خيرا منهم وأطوع قيل هم أهل اليمن عن أبى روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل أن يراد بهم الملائكة وقال الأصم معناه أنه يخرجه من بين أظهركم وهى المدينة والأصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله (ولا تضروه شيأ) قال الحسن الضمير لله وفيه أنه غنى عنهم فى نصرة دينه بل فى كل شئ وقال آخرون الضمير للرسول لان الله وعده أن يعصمه ووعد الله كائن لا محالة وفى قوله والله على كل شئ قدير) تنبيه على أنه قادر على نصر رسوله بأى وجه أراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف أمره كائنا من كان عن الحسن وقال الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح أنها خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا

والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها الى بعض ولا ينفقونها فى سبيل الله وهو عام فى الكل يكن فى الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذى اذا جمع بعضه الى بعض استحق الوعيد كان معلوما ان خصوص ذلك انما أدرك بوقف الرسول عليه وذلك كما بينا من انه المال الذى لم يؤد الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته وقد كان بعض الصحابة يقول عامة فى كل كنز غير أنها خاصة فى أهل الكتاب واياهم عنى الله بها ذكر من قال ذلك حدثنى حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا هشيم قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فلقيت أبا ذر فقلت يا أبا ذر ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية ليست هذه الآية فينا انما هذه الآية فى أهل الكتاب قال فقلت انها لفينا وفيهم قال فارتفع فى ذلك بينى وبينه القول فكتب الى عثمان بن عفان فكتب الى عثمان أن أقبل الى قال فأقبلت فلما قدمت المدينة ركبنى الناس كأنهم لم يروا يومئذ فشكوت ذلك الى عثمان فقال لى تنح قريبا قلت والله الى لن أدع ما كنت أقول حدثنى أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة ثم ذكر عن أبى ذر نحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث وهشيم عن أبى بشر قال قال أبو ذر خرجت الى الشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فقال معاوية انما هى فى أهل الكتاب قال فقلت انها لفينا وفيهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فقال أبو ذر قال قلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال فقال نزلت فى أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين فان قال قائل فكيف قيل ولا ينفقونها فى سبيل الله فأخرجت الهاء والالف مخرج الكناية عن أحد النوعين قيل يحتمل ذلك وجهين أحدهما أن يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز كأنه قيل والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونها فى سبيل الله لان الذهب والفضة هى الكنوز فى هذا الموضع والآخر أن يكون استغنى بالخبر عن احدهما بذكر هما من الخبر عن الاخرى لدلالة الكلام على أن الخبر عن الاخرى مثل الخبر عنها وذلك موجود فى كلام العرب واشعارها ومنه قول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

فقال راض ولم يقل راضون وقال الآخر

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ * ـود ما لم يعاص كان جنونا

فقال يعاص ولم يقل يعاصيا فى أشياء كثيرة ومنه قول الله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ولم يقل اليهما القول فى تأويل قوله (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) يقول تعالى ذكره فبشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فاليوم من صلة العذاب الاليم كأنه قيل يبشرهم بعذاب أليم يعذبهم الله به فى يوم يحمى

ى فى الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من أن أهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضى فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع ل أولا لقوله تعالى مالكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير فى قوله لا يضر وه عائد الى الرسول فجوابه صوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها ثم رغبهم فى الجهاد بطريق آخر فقال (الا تنصروه فقد نصره الله) وهذا

ى بقوله يحمى عليها اتدخل النار فيوقد عليها أى على الذهب والفضة التى كنزوها فى نار جهنم وى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وكل شئ أدخل النار فقد أحمى احماء يقال منه ت الحديدة فى النار أحميها احماء وقوله فتكوى بها جباههم يعنى بالذهب والفضة المكنوزة ى عليها فى نار جهنم يكوى الله بها بقول يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم هذا تم ومعناه ويقال لهم هذا ما كنتم فى الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من ض الله الواجبة فيها لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون يقول فيقال لهم فاطعموا عذاب ما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكاثرة ومباهاة وحذف من قول هذا تم ويقال لهم لدلالة الكلام عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن حميد بن هلال قال كان أبو ذر ل بشر الكنازين بكى فى الجباه وكى فى الجنوب وكى فى الظهور حتى يلتقى الحر فى أجوافهم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى العلاء بن الشخير عن الاحنف بن قيس قال قدمت ينة فبينا أنا فى حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن ه فقام عليهم فقال بشر الكنازين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى دهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل وضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيأ قال وأدبر فاتبعته حتى جلس الى سارية ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيأ حدثنا ابن حميد قال الحكم قال ثنى عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة الجملى عن أبى نصر عن الاحنف بن قيس قال ت فى مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب رث الهيئة يطوف فى الحلق وهو يقول بشر أصحاب نوز بكى فى جنوبهم وكى فى جباههم وكى فى ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول ما عسى ع فى قريش حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال ر بشر أصحاب الكنوز يبكى فى الجباه وكى فى الجنوب وكى فى الظهور حدثنا ابن وكيع قال ى عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يوم يحمى عليها فى نار جهنم قال حية وى على جبينه وجبهته تقول أنا مالك الذى بخلت به حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد ثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ثوبان أن نبى الله صلى عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه ول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذى تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ه سائر جسده حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن طاوس ى أبيه قال بلغنى أن الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول أنا لا بد لك منه شيأ الا أخذه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن عبد الله مرة عن مسروق عن عبد الله قال والذى لا اله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينارا دينارا ودرهم ها ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته * قال ثنا أبى عن سفيان ى الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال ما من رجل يكوى بكنز فيوضع دينار

كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل أن الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد وفيه أنه لما أوجب له النصرة وقتئذ فان يخذله بعد ذلك وقوله (اذ أخرجه الذين كفروا) أى ألجؤه الى أن خرج ظرف لنصره و(ثانى اثنين) نصب على الحال ومعناه أحد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للآخر وواحد منهما وقوله (اذ هما فى الغار) بدل من اذ أخرجه و(اذ يقول) بدل ثان والغار نقب عظيم فى الجبل والمراد به ههنا نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمين مكة على مسيرة ساعة واعلم أنا قد ذكرنا فى سورة الانفال أن قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا فأمره الله تعالى أن يخرج هو وأبو بكر الصديق الى الغار فخرج وأمر عليا أن يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل أبو بكر يلتمس ما فى الغار فقال له الرسول مالك فقال بابى أنت وأمى الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان بى لا بك فخرق عمامته وسد الجحرة وبقى جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الأثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام

لتحزن ان الله معنا) وقيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت ه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد أخذ الله أبصارهم عنه استدل

أهل السنة بالآية على أفضلية أبي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقته باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة ولم
كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر أبي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلى الله
عليه وسلم عرض الايمان أولا على أبي بكر فآمن ثم عرض أبو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان

وجماعة أخرى من أجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات وفي أداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد أقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ثاني اثنين من أول أمره الى آخره ولو قدرنا أنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم أن لا يقوم بأمره ولا يكون وصيه الا أبو بكر وأن لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا أبو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك أن من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين ابن فضيل من أنكر صحبة غير أبي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن أنكر صحبة أبي بكر فانه يكون كافرا لأنه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه أجابت الشيعة بأن كونه ثاني اثنين ليس أعظم من كون الله رابعا لكل ثلاثة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون المصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك وكما احتمل أن يقال انه عليه السلام استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الثقة احتمل أن يكون ذلك لاجل انه خاف أن يدل الكفار عليه أو يوقفهم على أسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب وخطأ سلمنا دلالة الآية على فضل أبي بكر الا أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراشه أعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس أجاب أهل السنة بأن كون الله رابعا لكل ثلاثة أمر مشترك وكونه ثاني اثنين

على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده في القول في تأويل قوله ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ يقول تعالى ذكره ان عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن من قضائه الذي قضى يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم يقول هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن حتى لو لقي الرجل من فيهن قاتل أبيه لم يهجه وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال ثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم **حدثنا** محمد ابن معمر قال ثنا روح قال ثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر بين جمادى وشعبان **حدثنا** يعقوب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان **حدثنا** مجاهد موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سليمان التيمي قال ثني رجل بالبصرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم منى ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وهو قول عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم أما أربعة حرم فذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأما كتاب الله فالذي عنده **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال

عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال يعرف بها أن النسيء ما نقص من السنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله قال يذكر بها ثم النسيء وأما قوله ذلك الدين القيم فان معناه هذا الذي أخبرتكم به من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله وأن منها أربعة حرما هو الدين المستقيم كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذلك الدين القيم يقول المستقيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك الدين القيم قال الامر القيم يقول قال تعالى واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن وان من هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر حرما ذلك دين الله المستقيم لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحال من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها وأما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان معناه فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال الظلم العمل بمعاصي الله والترك لطاعته ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله فيهن فقال بعضهم عاد ذلك على الاثني عشر شهرا وقال معناه فلا تظلموا في الاشهر كلها أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في الاربعة الاشهر الحرم أنفسكم والهاء والنون عائدة على الاشهر الاربعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال ان الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظم الامور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في تصييركم حرام الاشهر الاربعة حلالا وحلالها حراما أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن فلا تظلموا فيهن

(١٢ - ابن جرير عاشر)

(فانزل الله سكينته عليه) عائد الى أبي بكر لا الى الرسول لانه أقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر ولان الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولناسب أن يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله (وأيده) عطف على فانزل

تشريف زائد اختص الله أبا بكر به على أن المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فأين احداهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضي الاهانة والاذلال وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب أن الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة

اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روى أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وأن عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروى أن جبريل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال لابنته وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك أنت الأعلى وقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا أن صحبة أبي بكر أعظم لان الحاضر أعلى حالا من الغائب ولان عليا رضي الله عنه ما تحمل المحنة الليلة وأبو بكر مكث في الغار أياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبي بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على أبي بكر أشد من غضبهم على علي رضي الله عنه ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ألم لما عرفوا أن المضطجع هو ثم زعم أهل السنة أن الضمير في قوله

فواجب أن يتحد الضميران فى حكم العود وأجيب بان قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره فى وقت الغار وأيده فى واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة والظاهر أن الحزن لا يبعد أن يكون شاملا للنبى صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول أو يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما ألقى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها قلبه وعلم أنه منصور لا محالة كقوله فى قصة حنين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وقوله (وجعل) يعنى يوم بدر وسائر الوقائع (كلمة الذين كفروا) وهى دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام (السفلى وكلمة الله) وهى دعوته الى الاسلام أو كلمة التوحيد لا اله الا الله (هى العليا) وفى توسيط كلمة الفصل أعنى هى تأكيد فضل كلمة الله فى العلو وأنها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا أحب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ أن يقال وكلمته هى العليا ألا ترى انك تقول أعتق أبولك غلامه ولا تقول أعتق أبولك غلام أبيك قلت وفى الرفع أيضا الاستئناف وما فى الجملة الاسمية من الثبات (والله عزيز حكيم) قاهر غالب لا فعل له الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال (انفروا خفافا وثقالا) قال المفسرون أى خفافا فى النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا القلة عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وأن المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التى يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضى تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روى عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى أن أنفر قال ما أنت الا خفيف أو ثقيل فرجع الى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد كان أبا أيوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين

أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن على فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال فلا تظلموا فى الاشهر الاربعة أنفسكم باستحلال حرامها فان الله عظمها وعظم حرمتها وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى تأويله لقوله فلا تظلموا فيهن فاخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة الى العشرة وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة الى العشرة اذا كنت عنه فعلنا ذلك ثلاثا لليال خلون ولاربعة أيام بقين واذا أخبرت عما فوق العشرة الى العشرين قالت فعلنا ذلك ثلاث عشرة خلت ولاربع عشرة مضت فكان فى قوله جل ثناؤه فلا تظلموا فيهن أنفسكم واخراج كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة الى العشرة الدليل الواضح على أن الهاء والنون من ذكر الاشهر الاربعة دون الاثنى العشر لان ذلك لو كان كناية عن الاثنى عشر شهرا لكان فلا تظلموا فيها أنفسكم فان قال قائل فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثنى عشر وان كان الذى ذكرت هو المعروف فى كلام العرب فقد علمت ان المعروف من كلامها اخراج كناية ما بين الثلاث الى العشر بالهاء دون النون وقد قال الشاعر

أصبحن فى قرح وفى داراتها * سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل معلوفاتهن وذلك كناية عن السبع قيل ان ذلك وان كان جائزا فليس الافصح الاعرف فى كلامها وتوجيه كلام الله الى الافصح الأعرف أولى من توجيهه الى الانكر فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فقد يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا فى غير هن من سائر شهور السنة قيل ليس ذلك كذلك بل ذلك حرام علينا فى كل وقت وزمان ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الاشهر وشرفهن على سائر شهور السنة فخص الذنب فيهن بالتعظيم كما خصهن بالتشريف وذلك نظير قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله حافظوا على الصلوات ولم يترك المحافظة عليهن بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما وعلى المحافظة عليها توكيدا وفى تضييعها تشديدا فكذلك ذلك فى قوله منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأما قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فانه يقول جل ثناؤه وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين مؤتلفين غير مفترقين كما يقاتلكم المشركون جميعا مجتمعين غير متفرقين كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يقول جميع وأمركم مجتمع **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوا المشركين كافة يقول جميعا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا والكافة فى كل حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع لانها وان كانت بلفظ فاعلة فانها فى معنى المصدر كالعافية والعاقبة ولا تدخل العرب فيها الالف واللام لكونها آخر الكلام مع الذى فيها من معنى المصدر كما لم يدخلوها اذا قالوا قاموا معا وقعدوا جميعا

قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو قال كنت والياعلى حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهرى خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا الى الشأم حتى مات وقال السدى جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن له فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت فى غزوة تبوك بالاتفاق ولاشك أنه صلى الله عليه وسلم خاف من النساء والرجال أقواما فذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخرج لزمه ذلك ومن أمره أن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع فى هذا انما النزاع فى الضعفاء والمرضى ثم قال (وجاهدوا باموالكم وأنفسكم) وفيه ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بالنفس ان لم يكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بأن يستنيب من يغزو عنه ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء (ذلكم خير لكم) يعنى أنه خير فى نفسه أو انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال (ان كنتم تعلمون) لان ما يحصل من الخيرات فى الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذى عرف بالدليل أن وعد الله حق ثم نزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا قريبا) قال الزجاج أى لو كان المدعو اليه فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة مأخذه (وسفرا قاصدا) أى وسطا بين القرب

جميعا وأما قوله واعلموا أن الله مع المتقين فان معناه واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم ان قاتلتم المشركين كافة واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شئ لان الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ما النسىء الا زيادة فى الكفر والنسىء مصدر من قول القائل نسأت فى أجلك أنسأ الله فى أجلك أى زاد الله فى أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا وكل زيادة حدثت فى شئ فالشئ الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسىء ولذلك قيل للبن اذا كثر بالماء نسىء وقيل للمرأة الحبلى نسوء ونسئت المرأة اذا زيادة الولد فيها وقيل نسأت الناقة وأنسأتها اذا زجرتها ليزداد سيرها وقد يحتمل أن النسىء فعيل صرف اليه من مفعول كما قيل لعين وقتيل بمعنى ملعون ومقتول ويكون معناه انما الشهر المؤخر زيادة فى الكفر وكأن القول الاول أشبه بمعنى الكلام وهو أن يكون معناه انما التأخير الذى يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حراما زيادة فى كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك انما النسى بترك الهمز وترك مده يضل به الذين كفروا واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يضل الله بالنسىء الذى ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يزول عن محجة الله التى جعلها العباده طريقا يسلكونه الى مرضاته الذين كفروا وقد حكى عن الحسن البصرى يضل به الذين كفروا بمعنى يضل بالنسىء الذى سنه الذين كفروا الناس * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال هما قراءتان مشهورتان قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به وهما متقاربتا المعنى لأن من أضله الله فهو ضال ومن ضل فبا ضلال الله اياه وخذلانه له ضل فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب فى ذلك مصيب وأما الصواب من القراءة فى النسىء فالهمز وقراءته على تقدير فعيل لانها القراءة المستفيضة فى قرأة الامصار التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه وأما قوله يحلونه عاما فان معناه يحل الذين كفروا النسىء والهاء فى قوله يحلونه عائدة عليه ومعنى الكلام يحلون الذى أخروا تحريمه من الاشهر الاربعة الحرم عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرموا منها عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم يقول حسن لهم وحبب اليهم سئ أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته والله لا يهدى القوم الكافرين يقول والله لا يوفق لمحاسن الافعال وحلها ومالته فيه رضا القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الاشهر الحرم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما النسىء زيادة فى الكفر قال النسىء هو أن جنادة بن عوف ابن أمية الكنانى كان يوافى الموسم كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فينادى ألا ان أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب

والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد أى ذو قصد لان كل أحد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف الـ
البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده ونحوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا (لاتبعوك) طمعا فى الفوز بتلك الـ
ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم أخبر أنه سيجدهم اذا رجع من الجهاد يحلفون بالله اما ابتد
طريق اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما أخبر فكان معجزا و (بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر فى الوجهين أى سيحلفون بالله قائلين (لو استطعنا) وقوله (لخرجنا) سادّ مسد جوابى القسم ولو جميعا قيل فى الآية دلالة على أن قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما أمكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا فى التخلف قال الجبائى فيها دليل على أن الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان لم من يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبى زائدا عليه فان قيل لم لا يجوز أن يراد أنهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر فى ترك الخروج فمن لا قدرة له أولى وأيضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا أريد به المال فلأنه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن وأجيب بان المعتزلة تسلموا أن القدرة على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس فى مكان لا يكون قادرا فى هذا الزمان على أن يفعل فعلا فى مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله فى المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما ألزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل أن يقول انهم وان كانوا غير قادرين على القتال الا أنهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال فى الكشاف (يهلكون) بدل من سيحلفون أى يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذب أو حال من ضمير خرجنا أى لخرجنا معكم وان ألقينا أنفسنا فى التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائبة

ألا وان صفر العام الاول حلال فيحله الناس فيحرم صفرا عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قوله تعالى
النسىء زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين وقوله انما النسىء زيادة فى الكفر يقول يترك كون
عاما وعاما يحرمونه * قال أبو جعفر وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدل على صحة قراءة
النسى بترك الهمز وترك المد وتوجيهه معنى الكلام الى أنه فعل من قول القائل نسيت الشىء
ومن قول الله نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا الله فتركهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى
ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما النسىء زيادة فى الكفر قال فهو
كان يحرم عاما وصفرا عاما ويزيد صفرا آخر فى الاشهر الحرم وكانوا يحرمون صفرا مرة ويحلونه
فعاب الله ذلك وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير
منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر قال كان النسىء رجلا من بنى كنانة وكان
رأى فيهم وكان يجعل سنة المحرم صفرا فيغزون فيه فيغنمون فيه ويصيبون ويحرمه سنة
ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر الآية وكان رجل
من بنى كنانة يسمى النسىء فكان يجعل المحرم صفرا ويستحل فيه الغنائم فنزلت هذه الآية
حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال كان رجل
بنى كنانة يأتى كل عام فى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس انى لا أعاب ولا أجاب ولا أرد
أقول انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفرا ثم يجىء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا
حرمنا صفرا وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله قال يعنى الاربعة فيحلوا ما حرم
لتأخير هذا الشهر الحرام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا
ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر النسىء المحرم وكان
المحرم عاما ويحرم صفرا عاما فالزيادة صفر وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفرا المحرم فى
ما حرم الله وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما النسىء زيادة فى الكفر الى
الكافرين عمد أناس من أهل الضلالة فزادوا صفرا فى الاشهر الحرم فكان يقوم قائمهم فى الموسم
فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت العام المحرم فيحرمونه ذلك العام ثم يقوم فى العام المقبل فيقول
ألا ان آلهتكم قد حرمت صفر فيحرمونه ذلك العام وكان يقال لهما الصفران قال فكان أول
نسأ النسىء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة (١) أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن
ثم أحد بنى كنانة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن
نجيح عن مجاهد فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر قال فرض الله الحج فى ذى الحجة قال
المشركون يسمون الأشهر ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب
وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن الحج
فلا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفر صفر ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان
رمضان ثم يسمون رمضان شوالا ثم يسمون ذا القعدة شوالا ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة
يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحج

(١) كذا فى الدر أيضا ولم يذكر الثلاثة وقد تقدم أن اسم أبى ثمامة جنادة فحرر

في كل شهر عامين حتى وافق حجة أبي بكر رضي الله عنه الآخر من العامين في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما النسيء زيادة في الكفر قال يحجون في ذي الحجة عامين ثم يحجون في المحرم عامين ثم يحجون في صفر عامين فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذي الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك انما النسيء زيادة في الكفر قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفرا فيستحلون فيه المحرمات فأنزل الله انما النسيء زيادة في الكفر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية قال هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يعد اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم فقال نتسئه العام هما العام صفران فاذا كان عام قابل قضينا فجعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تغزوا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان المحرم أنسأناه عاما أول ونقضيه ذلك الانساء وقال شاعرهم * ومنا منسئ الشهور القلمس * وأنزل الله انما النسيء زيادة في الكفر الى آخر الآية وأما قوله زيادة في الكفر فان معناه زيادة كفر بالنسيء الذي كفرهم بالله وقيل ابتداعهم النسيء كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انما النسيء زيادة في الكفر يقول ازدادوا به كفرا الى كفرهم وأما قوله ليواطؤا فانه من قول القائل واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة اذا وافقته عليه معينا له غير مخالف عليه وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول يشبهون وذلك قريب المعنى مما بينا وذلك أن ما شابه الشئ فقد وافقه من الوجه الذي شابهه وانما معنى الكلام انهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الاشهر الاربعة التي حرمها الله لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها وان قدموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم عدة ما حرم الله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ﴾ وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك يقول جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله مالكم أي شئ أمركم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله يقول اذا قال لكم رسول الله محمد انفروا أي اخرجوا من منازلكم الى مغازيكم وأصل النفر الزوال من مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك ومنه نفور الدابة غير أنه يقال من النفر الى الغزو نفر

في سورة فتعين أن يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطأ واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال أبو مسلم يحتمل أن يريد بقوله لم أذنت لهم الاذن في الخروج

لانه مخبر عنهم يقال حلف بالله ليفعلن أولأفعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء أول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح حينئذ أن لو قيل لخرجنا معكم نهلك أنفسنا والله تعالى أعلم ثم بين أن ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله (عفا الله عنك) فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله (لم أذنت لهم) فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كني عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيآن فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله بطريق الملاطفة كما تسمعون والذي عليه المحققون أنه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في أمري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله ألا عرفت حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله لم أذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه عليه السلام أذن لهم من تلقاء نفسه من غير أن يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب أو منع والا كان عاصيا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله ولا ريب أنه لا يكون مجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ولا يمكن أن يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك

لا فى القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين على المسلمين واذا كان هذا محتملا فلا تتعين الآية لرخصة الاذن فى
وقال القاضى هذا بعيد لان سياق الآية يدل على أن الكلام فى القاعدين وفى بيان حالهم ثم ذكر أنه ليس من عادة المؤمنين أن
لأن الاستئذان من علامات النفاق فقال (٩٤) (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) أى فى أن يجاهدو

الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد وكانوا بحيث لو أمرهم بالقعود شق عليهم ذلك ألا ترى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبقى فى المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى أن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفى مضمر كاضمار الجار والتقدير فى أن لا يجاهدوا والان سياق الآية يدل على ذم من يستأذن فى القعود وعلى هذا يمكن أن يقال معناه كراهة أن يجاهدوا وفى قوله (والله عليم بالمتقين) رمز الى أنهم من جملة المتقين وأن لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستئذان فقال (انما يستأذنك) الآية وفيه أن الشاك فى أمر الدين وفى أصوله لا فى بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه أن محل الريب واليقين هو القلب وأن الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والالم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله (فهم فى ريبهم يترددون) أن الشاك متردد بين النفى والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقريره أن الاعتقاد اما أن يكون جازما أولا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة أو نظر فهو العلم أولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان أحد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شأن صاحبه كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر قال المفسرون ان المستاذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعلهم (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد فترك ذكرهم العدة دليل

فلان الى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا وأحسب أن هذا من الفروق التى يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وان اتفقت معانى الخبر فمعنى الكلام مالكم أيها المؤمنون اذا قيل لكم اخرجوا فى سبيل الله أى فى جهاد أعداء الله اثاقلتم الى الارض يقول تثاقلتم الى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها وقيل اثاقلتم لانه أدغم التاء فى الثاء فأحدث لها ألفا ليتوصل الى الكلام بها التاء مدغمة فى الثاء ولو أسقطت الالف وابتدئ بها لم تكن الا متحركة فأحدثت الالف لتكون الحركة بها كما قال جل ثناؤه حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا وكما قال الشاعر

تولى الضجيع اذا ما استافها خصرا * عذب المذاق اذا ما تابع القبل

فهو بنى الفعل افتعلتم من التثاقل وقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة يقول جل ثناؤه أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين فى جنانه فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة يقول فما الذى يستمتع به المتمتعون فى الدنيا من عيشها ولذاتها فى نعيم الآخرة والكرامة التى أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته الا قليل يسير يقول لهم فاطلبوا أيها القوم نعيم الآخرة وترك الكرامة التى عند الله لاوليائه بطاعته والمسارعة الى الاجابة الى أمره فى الجهاد عدوه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد أمروا بالنفير فى الصيف حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض الآية قال هذا حين بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف أمرهم بالنفير فى الصيف حين اخترفت وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم الخرج قال فقالوا منا الثقيل وذو الحاجة والشغل والمنتشر به أمره فى ذلك كله فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا * القول فى تأويل * الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفر الى عدوهم من الروم تنفروا أيها المؤمنون الى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا فى الدنيا بتركم النفر عذابا موجعا ويستبدل قوما غيركم يقول يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون اذا دعوا ويجيبونه اذا دعوا ويطيعون الله ورسوله ولا تضروه شيأ يقول ولا تضروا الله بتركم ومعصيتكم اياه شيأ لأنه لا حاجة به اليكم بل أنتم أهل الحاجة اليه وهو الغنى عنكم وأنتم والله على كل شئ قدير يقول جل ثناؤه والله على اهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وبغيركم ما يشاء من الاشياء قدير وقد ذكر أن العذاب الأليم فى هذا الموضع كان احتباس القطر ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنى عبد ابن خالد الحنفى قال ثنى نجدة الحراسانى قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله الا يعذبكم عذابا أليما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب فتثاقلوا

والتخلف قال العلماء وفيه اشارة الى أنهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة (ولكن كره الله انبعاثهم) أى انطلاقهم
لطهم) والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذى هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو أرادوا الخروج يعطى معنى نفى الخروج وكأنه قيل
خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما تقول ما أحسن الى زيدا ولكن أساء الى ومثل هذا يسمى فى علم
البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تأكيد الذم بما يشبه المدح ولو قيل مثل هذا فى المنع لقيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وههنا
سؤال وهو أن خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله فى اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه
كان مفسدة لقوله عقيب ذلك (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء
لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحى وكذا على قول أبى مسلم ومما يوهم انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم فى الخروج قوله تعالى
فى هذه السورة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا وقوله فى سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا
انطلقتم الى مغانم الى قوله قل لن تتبعونا وأما عندنا فانما لم يستحسن الله من الرسول صلى الله عليه وسلم اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم
مصلحة لانه أذن لهم قبل اتمام التفحص واكمال التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء أنفسهم فكان يصير ذلك
القعود علامة على نفاقهم ولا تبقى حاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه أخر دالة على هتك أستارهم وكشف أسرارهم قال معتزلة البصرة فى
الآية دلالة على أنه تعالى موصوف

سك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم فذلك قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما حدثنا ابن
حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن نجدة قال سألت ابن عباس
عن نحوه الا أنه قال فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما استنفر الله المؤمنين فى لهبان الحر فى غزوة تبوك
ثقل الشأم على ما يعلم الله من الجهد وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن
البصرى قالا قال الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وقال ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من
الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه الى قوله ليجزيهم الله أحسن
ما كانوا يعملون فنسختها الآية التى تلتها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون
قال أبو جعفر ولا خبر بالذى قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التى ذكر ويجب
التسليم له ولا حجة تأتى بصحة ذلك وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين
نستذكرهم بعد وجائز أن يكون قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما الخاص من الناس ويكون
ما بعده من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس
وان كان ذلك كذلك كان قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة نهيا من الله المؤمنين عن اخلاء
ثغور الاسلام بغير مؤمن مقيم فيها واعلاما من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض وذلك
على من استنفر منهم دون من لم يستنفر واذا كان ذلك كذلك لم يكن فى احدى الآيتين نسخ
للاخرى وكان حكم كل واحدة منهما ما ضيا فيما عنيت به ﴿القول فى تأويل قوله﴾ الا تنصروه
فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
معنا ﴿وهذا اعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه
واظهاره عليهم دونهم أعانوه أو لم يعينوه وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد فى قلة والعدو
فى كثرة فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدو فى قلة يقول لهم جل ثناؤه الا تنفروا أيها
المؤمنون مع رسولى اذا استنفركم فتنصروه فالله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم وعن
جهودكم ونصرتكم كما نصره اذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ثانى اثنين
يقول أخرجوه وهو أحد الاثنين أى واحد من الاثنين وكذلك تقول العرب هو ثانى اثنين يعنى أحد
اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة يعنى أحد الثلاثة وأحد الأربعة وذلك خلاف قولهم هو أخو
ستة وغلام سبعة لان الاخ والغلام غير الستة والسبعة وثالث الثلاثة أحد الثلاثة وانما عنى
جل ثناؤه بقوله ثانى اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه لانهما كانا اللذين
خرجا هاربين من قريش اذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا فى الغار وقوله اذ هما
فى الغار يقول اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه فى الغار والغار النقب
الكبير يكون فى الجبل اذ يقول لصاحبه يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر لا تحزن وذلك
حين خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن
يعنى به معنا والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا الينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله

صفة الكراهة كما أنه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله أنه أراد عدم ذلك الشئ وزيف بأن العدم لا يصلح أن يكون
متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن أن يجاب بأن الارادة صفة تقتضى ترجيح أحد طرفى
الشئ على الآخر سواء فى ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة به تحصيلا

للحاصل وأيضا عدم الشئ المخصوص ليس عدما محضا أما قوله (وقيل اقعدوا) فيحتمل أن يكون قد جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الـ
أمرا بالقعود ويحتمل أن يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة أو قول بعضهم لبعض لما أرادوا الاجتماع على التخلف أو هو قول الر
كأنه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد أذن لنا فلهذا

بقوله لم أذنت لهم أى لم ذكرت هذه اللفظة التى أمكنهم أن يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الجثوم فى البيوت (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى عسكره على ذى حدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله يعزى نبيه (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) فيكون استثناء متصلا من أعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على أن التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال فى اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى إلا شرا وقال سلمان إلا مكرا وقال الضحاك إلا غدرا وقيل إلا خبثا وقيل هو الاضطراب فى الرأى وذلك بتزيين أمر لقوم وتقبيحه لآخرين حتى يختلفوا وتتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الآية على أنه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل على أنه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح ولقائل أن يقول اثبات حكم كلى بحكم جزئى غير معقول

على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله ويحوجه اليكم وقد كـ
أنصاره وعدد جنوده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجا
الا تنصروه ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعثه يقول الله فأنا فاعل ذلك به وناصره كما نص
ذلك وهو ثانى اثنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
مجاهد قوله الا تنصروه فقد نصره الله قال ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعث فالله فاعـ
كذلك ناصره كما نصره اذ ذاك ثانى اثنين اذ هما فى الغار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
سعيد عن قتادة قوله الا تنصروه فقد نصره الله الآية قال فكان صاحبه أبو بكر وأما الغار
بمكة يقال له ثور حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان
قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى
عنه وكان لابى بكر منيحة من غنم تروح على أهله فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة فى الغنم
وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبى صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثور وهو الغا
سماه الله فى القرآن حدثنى يعقوب بن ابراهيم بن جبير الواسطى قال ثنا عفان
قالا ثنا همام عن ثابت عن أنس أن أبا بكر رضى الله عنه حدثهم قال بينا أنا مع رسـ
صلى الله عليه وسلم فى الغار وأقدام المشركين فوق رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحد
قدمه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أ
شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال مكث أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى
ثلاثا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى اذ هما
قال فى الجبل الذى يسمى ثورا مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال حـ
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبيه أن أبا بكر الصديق رض
تعالى عليه حين خطب قال أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا قال اقرأ فلما بلغ اذ يقول لـ
لا تحزن بكى أبو بكر وقال أنا والله صاحبه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ فأنزل الله سكينته
وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حـ
يقول تعالى ذكره فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل على أبى بكر وأيده
لم تروها يقول وقواه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم وجعل كلمة الذين
وهى كلمة الشرك السفلى لانها قهرت وأذلت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها وكل مقهـ
ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الأعلى وكلمة الله هى العليا يقول ودين الله وتو
وقول لا اله الا الله وهى كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة كما حدثنى المثنى قال
صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
الشرك بالله وكلمة الله هى العليا وهى لا اله الا الله وقوله وكلمة الله هى العليا خبر مبتدأ أغير
على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى لأن ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الاولى لكا
وأما قوله والله عزيز حكيم فانه يعنى والله عزيز فى انتقامه من أهل الكفر به لا يقهره قاهر ولا

واعلم أنه سبحانه عدد من مفاسد خروجهم ثلاثة الاول قوله ما زادوكم إلا خبالا الثانى (ولا أوضعوا خلالكم يبغونكم غ
الفتنة) قال فى الكشاف زيد ألف فى الكتابة لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من
القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه فى النمل ولا آتوها فى ال

غالب ولا ينصر من عاقبه ناصر حكيم فى تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فى مشيئته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الخفة والثقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه فقال بعضهم معنى الخفة التى عناها الله فى هذا الموضع الشباب ومعنى الثقل الشيخوخة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشبانا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن قال شيوخا وشبانا ٭ قال ثنا ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس عن أبى طلحة انفروا خفافا وثقالا قال كهولا وشبانا ما أسمع الله عذر أحدا فخرج الى الشام فجاهد حتى مات **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان قال كان رجل من النخع وكان شيخا بادنا فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبى وقاص فقال ان الله يقول انفروا خفافا وثقالا فقال له سعد فقتل الشيخ فسأل عنه بعد عمر فقال ما فعل الشيخ الذى كان (١) من بنى هاشم فقالوا قتل يا أمير المؤمنين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن اسمعيل عن أبى صالح قال الشاب والشيخ ٭ قال ثنا أبو أسامة عن مالك بن مغول عن اسمعيل عن عكرمة قال الشاب والشيخ ٭ قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك كهولا وشبانا ٭ قال ثنا حيوة بن يزيد عن يعقوب القمى عن جعفر بن جميد عن بشر بن عطية كهولا وشبانا **حدثنا** الوليد قال ثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبانا وكهولا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشيوخا وأغنياء ومساكين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن شيوخا وشبانا **حدثنى** سعيد بن عمرو قال ثنا بقية قال ثنا جرير قال ثنى حبان بن زيد الشرعبى قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان والبا على حمص قبل الافسوس الى الجراجمة فلقيت شيخا كبيرا هما قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت عليه فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا من استنفره الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه وانما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال كل شيخ وشاب ٭ وقال آخرون معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن الحكم فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال مشاغيل وغير مشاغيل ٭ وقال آخرون معناه انفروا أغنياء وفقراء ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال أغنياء وفقراء ٭ وقال آخرون معناه نشاطا وغير نشاط ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن

(١) لعله مولى بنى هاشم تأمل كتبه مصححه

الواحدى والآية تشهد للاخفش وأبى عبيد وعلى القولين المرادفى الآية السعى بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة فى الاول أكثر لان الراكب أسرع من الماشى ومعنى (خلالكم) أى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين و(يبغونكم الفتنة) أى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وابغ لى أى اطلبه لأجلى ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش فى المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام أسرع ما يكون فالحاصل من النوع الاول اختلاف الآراء ومن الثانى المشى بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض وأما النوع الثالث فذلك قوله (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد وابن زيد أى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على أكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم وأجيب بأن ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام أو لمن جبل على الجبن والفشل أو لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة أو هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف سخيف أو أهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الآية بقوله (والله عليم بالظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين

١٠ - ابن جرير عاشر) كيد أهل النفاق قديما وحديثا فقال (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن أبى يوم حنين انصرف عن النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعنى الفتنة السعى فى تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد

الالفة فسلمهم الله منه (وقلبوا لك الامور) حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حول مصايد المكايد (حتى جاء الحق) الذى هو القرآن (وظهر أمر الله) غلب دينه وشرعه (وهم كارهون) ردا لله مكرهم فى نحرهم وأتى بضد مقصودهم ولله كان الامر كذلك فى الماضى فكذا يكون الحال فى المستقبل لقوله ويأبى الله الا أن يتم نوره (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بان لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت احتمل أن يكون قد ذكره على سبيل السخرية أو على سبيل الجد بأن كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتنى أى لا تلقنى فى التهلكة فانى ان خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار أنى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فنزلت الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا الجد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء ابن معرور (ألا فى الفتنة سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الآية بقوله (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أما فى الدنيا فلاحاطة أسبابها بهم من النعى عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار وأما فى الآخرة فلما آل حالهم الى الدرك الاسفل من النار ۞ التأويل أيها الارواح والقلوب المؤمنة ما مصيبتكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الربانى اخرجوا من الدنيا وما فيها فى طلب الله والسير اليه اثاقلتم الى أرض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا أليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية والاوصاف السبعية والشيطانية ويألم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من

ابن عباس قوله انفروا خفافا وثقالا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خفافا وثقالا قال نشاطا وغير نشاط * وقال آخرون معناه ركبانا ومشاة ذكر من قال ذلك **حدثنا** على بن سهل قال ثنا الوليد قال قال أبو عمرو اذا كان النفر الى دروب الشأم نفر الناس اليها خفافا وركبانا واذا كان النفر الى هذه السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا ركبانا ومشاة * وقال آخرون معنى ذلك ذا ضيعة وغير ذى ضيعة ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال الثقيل الذى له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته ويخرج والخفيف الذى لا ضيعة له فقال الله انفروا خفافا وثقالا **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرا فيقول انى أحسبه قال أنالا آثم فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين الا وهو فى أخرى الاعاما واحدا وكان أبو أيوب يقول انفروا خفافا وثقالا فلا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا **حدثنا** على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا جرير عن عثمان عن راشد بن سعد عمن رأى المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فضل عنه من عظمه فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا **حدثنا** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا جرير قال ثنى عبد الرحمن بن ميسرة قال ثنى أبو راشد الحبرانى قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص قد فضل عنه من عظمه يريد الغزو فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه فى سبيله خفافا وثقالا فيدخل فى الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ميسرا بمال وفراغ من الاشتغال وقادرا على الظهر والركاب ويدخل فى الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال فاذ كان قد يدخل فى الخفاف والثقال من وصفنا آهل الصفات التى ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف فى كتاب ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نصب على خصوصه دليلا وجب أن يقال ان الله جل ثناؤه ندب المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال من أحوال الخفة والثقل **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مسلم بن صبيح قال أول ما نزل من براءة انفروا خفافا وثقالا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مثله **حدثنا** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ان أول ما نزل من براءة لقد نصركم

الكاملة المفارقة الاتنصروا رسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا أى النفوس الامارة الكافرة من أرض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذهما فى غار العدم وكامة الله هى العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعى واصلة الى مقام العندية انفروا أيها الطلاب خفافا مجردين من علائق الأهل والأولاد والأموال وثقالا متلبسين بها أوخفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بقدمى بذل الاموال والأنفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعنى أرباب النفوس لخرجنا معكم يا أهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم فى ريبهم يترددون بين أوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لأعدوا له عدة وهى متابعة الأنبياء فثبطهم حبسهم فى سجن البشرية مازادوكم الا خبالا فيه اشارة الى أن قعود أهل الطبيعة فى حبس البشرية صلاح لارباب القلوب وأصحاب السلوك لانهم لوخرجوا لاعن نية صادقة وعزيمة صالحة مازادوهم الا تشويشا وتفرقة لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى أن صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح فى شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل لأوامر الشرع وظهر أمر الله وهو التكليف ومنهم أى من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لى فى القعود عن الارتقاء فى مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنى يا روح بتكليفى مالىس من شأنى وذلك ان الهوى مركب المحبة تستعمله الروح فى تصاعده الى ذروة الكمال والوصال ألا فى الفتنة سقطوا أى ان فتنة الهبوط هى الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم كفار

فى مواطن كثيرة قال يعرفهم نصره ويوطنهم لغزوة تبوك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم فأنفقوها فى مجاهدتهم على دين الله الذى شرعه لكم حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعا أو كرها أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا ان كانوا أهل كتاب أو تقتلوهم وأنفسكم يقول وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى آمركم به من النفر فى سبيل الله تعالى خفافا وثقالا وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل الى الارض اذا استنفرتم والخلود اليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة ان كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد فى سبيل الله على القعود عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون﴾ يقول جل ثناؤه للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلف عنه حين خرج الى تبوك فاذن لهم لو كان ما تدعوا اليه المتخلفين عنك والمستأذنيك فى ترك الخروج معك الى مغزاك الذى استنفرتهم اليه عرضا قريبا يقول غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا يقول وموضعا قريبا سهلا لاتبعوك ونفروا معك اليهما ولكنك استنفرتهم الى موضع بعيد وكلفتهم سفرا شاقا عليهم لانك استنهضتهم فى وقت الحر وزمان القيظ وحين الحاجة الى الكن وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يقول تعالى ذكره وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك اعتذارا منهم اليك بالباطل لتقبل منهم عذرهم وتأذن لهم فى التخلف عنك بالله كاذبين لو استطعنا لخرجنا معكم يقول لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لابد للمسافر والغازى منه وصحة البدن والقوى لخرجنا معكم الى عدوكم يهلكون أنفسهم يقول يوجبون لانفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب لانهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه والله يعلم انهم لكاذبون فى حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل الى ذلك بالذى كان عندهم من الاموال مما يحتاج اليه الغازى فى غزوه والمسافر فى سفره وصحة الابدان وقوى الاجسام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان عرضا قريبا الى قوله لكاذبون انهم يستطيعون الخروج ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة فى الخير حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو كان عرضا قريبا قال هى غزوة تبوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يعلم انهم لكاذبون أى انهم يستطيعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه حين شخص الى تبوك لغزو الروم من المنافقين يقول جل ثناؤه عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك وفى التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه لم أذنت لهم

النفس وصفاتها أعاذنا الله منها ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون﴾

﴿ القرا آت هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزى وابن فليح وقرأه حمزة وعلى وهشام مدغما حتى لا يجتمع ساكنان الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء أن تقبل بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الآخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير ﴿ الوقوف تسؤهم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف فرحون ○ لنا ج للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولانا ط لابتداء اخبار من الله أو الحكاية عنهم المؤمنون ○ الحسنيين ط للاستئناف بعد تمام الاستفهام بأيدينا ط والوصل أصح لان الفاء جواب تربص متربصون ○ منكم ط فهم فاسقين ○ كارهون ○ ولا أولادهم ط كافرون ○ لمنكم ط يفرقون ○ يجمحون ○ في الصدقات ط للشرط مع الفاء يسخطون ○ ورسوله لا الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف أي لكان خيرا لهم ﴿ التفسير هذا

لأي شئ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يقول ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك اذ قالوا لك لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له منهم فيكون اذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا وشكا في دين الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عفا الله عنك لم أذنت لهم قال ناس قالوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم ان شاء فقال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن ميمون الاودي قال اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين وأخذه من الاسارى فأنزل الله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد بن سليمن قال قرأت على سعيد بن أبي عروبة قال هكذا سمعته من قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الآية حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا موسى بن مروان قال سألت مورقا عن قوله عفا الله عنك قال عاتبه ربه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ وهذا اعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين أن من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه اذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد لا تأذن في التخلف عنك اذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر فانه لا يستأذنك في ذلك الا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر فاما الذي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب فانه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله عماله ونفسه والله عليم بالمتقين يقول والله ذو علم بمن خافه فاتقاه باداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة الى طاعته في غزو عدوه وجهادهم عماله ونفسه وغير ذلك من أمره ونهيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر وعذر الله المؤمنين فقال لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم انما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدقون بالله ولا يقرون بتوحيده وارتابت قلوبهم يقول وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله وفي ثواب أهل طاعته وعقابه أهل معاصيه

وع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم أحد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال
نافقين أنهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكر الله تعالى ومعنى (أخذنا أمرنا) أي أمرنا الذي نحن موسومون
ه من التيقظ والتحرز وحسن الرأي والتدبير و(من قبل) أي من قبل ما وقع (وتولوا) أي عن مقام التحدث

بذلك الى أهاليهم أو أعرضوا عن الرسول (وهم فرحون) مسرورون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول في جوابهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) قيل أي في اللوح المحفوظ من خير أو شر أو خوف أو رجاء أو شدة أو رخاء وفائدته أنه اذا علم الانسان أن الذي وقع امتنع أن لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل أي في عاقبة أمرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان أحوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والمحنة الا أن العاقبة والدولة تكون لهم والظفر يقع في جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين في الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم أو الشهادة وعلى هذا القول يقع ما في الآية الثانية كالمكرر (هو مولانا) لا يتولى أمورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من أسباب التهاني والتعازي لا اعتراض لاحد عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فيه تنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم أمره بجواب ثان فقال (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) التربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة

فيهم في ريبهم يترددون يقول في شكهم متحيرون وفي ظلمة الحيرة مترددون لا يعرفون حقا من باطل فيعملون على بصيرة وهذه صفة المنافقين وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في سورة النور ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله فهم في ريبهم يترددون نسختهما الآية التي في النور انما المؤمنون الذين آمنوا بالله الى ان الله غفور رحيم وقد بينا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن اعادته ههنا ﴿القول في تأويل قوله ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ يقول تعالى ذكره ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوك الخروج معك لأعدوا له عدة يقول لأعدوا للخروج عدة ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم لذلك فثبطهم يقول فثقل عليهم الخروج حتى استحفوا بالقعود في منازلهم خلافك واستثقلوا السفر والخروج معك فتركوا ذلك الخروج وقيل اقعدوا مع القاعدين يعني اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان وآثروا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين في سبيل الله وكان تثبيط الله اياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به لعلمه بنفاقهم وغشهم للاسلام وأهله وأنهم لو خرجوا معهم ضروهم ولم ينفعوا وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود كانوا عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس ومن كان على مثل الذي كانا عليه كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده ﴿القول في تأويل قوله ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ يقول تعالى ذكره لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم الا خبالا يقول لم يزيدوكم بخروجهم فيكم الا فسادا وضرارا ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم وقد بينا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل ولأوضعوا خلالكم يقول ولأسرعوا ركائبهم السير بينكم وأصله من ايضاع الخيل والركاب وهو الاسراع بها في السير يقال للناقة اذا أسرعت السير وضعت الناقة تضع وضعا وموضوعا وأوضعها صاحبها اذا حثها وأسرع بوضعها ايضاعا ومنه قول الراجز

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع

وأما أصل الخلال فهو من الخلل وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم تراصوا في الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف وأما قوله يبغونكم الفتنة فقال بعض نحويي البصرة معنى يبغونكم الفتنة يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم يثبطهم اياكم عنه يقال منه بغيته الشر وبغيته الخير أبغيه بغاء اذا التمسته له بمعنى بغيت له وكذلك عكمت البعير وعكمته بمعنى حلبت لك وعكمت لك واذا أرادوا أعنته على التماسه وطلبه قالوا أبغيتك كذا وأحلبتك وأعكمتك أي أعنتك عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

هره والحسنى تأنيث الاحسن وهي صفة الحالة أو الخصلة أو العاقبة يعني النصرة أو الشهادة وفي الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفي
سة ابقاء الذكر والفوز بنعيم الآخرة (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله
مل عذاب الدارين (أو بأيدينا) يعني القتل بأن يظهر نفاقكم ويأمر بقتلكم كالكافر الحربي (فتربصوا) أمر للتهديد نحو ذق انك أنت العزيز

الكريم ثم ذكر أنهم ان أتوا بشئ من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به فى الآخرة والغرض أن أسباب الذل والهوان مختصة عليهم فى الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وهذا مالى أعينك به ولا يبعد أن يكون السبب خاصا والحكم عاما و (أنفقوا) لفظه أمر ومعناه خبر كقوله فيما يجئ استغفر لهم أولا تستغفر لهم ومعناه أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أولا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة * أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * كأنه يقول امتحنى لطف محلك عندى وعاملينى بالاساءة والاحسان وانظرى هل تجدين منى تفاوتا فى الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب أحدهما مقام الآخر اذا دل الكلام عليه فعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب (طوعا أو كرها) على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين من جهتهما وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل أن يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم أو ملزمين من جهتهم وذلك أن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا رأوا فيه مصلحة ومعنى (لن يتقبل منكم) أن الرسول لا يقبله منكم أو أنه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين) قال الجبائى فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات وأجيب بأن الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه (وما منعهم أن تقبل منهم) الآية علل منع القبول بامور ثلاثة أولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) قال المفسرون معناه أنه ان كان فى جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه أنه يصلى للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلاة ووجوبها فلهذا لزم منه الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة فى ثواب الله وانما ينفقون لأجل المصالح

ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولأوضعوا خلالكم يقول ولأوضعوا (١) أسلحتهم خلالكم بالفتنة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم قال رفاعة بن التابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول وأوس بن قيظى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا الأزقة خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم عبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول * قال حدثنا الحسن قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم يقول لأسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قال هؤلاء المنافقون فى غزوة تبوك يسلى الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال وما يحزنكم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يقولون فسدوا عليكم وفعل وفعل يخذلونكم ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة الكفر وأما نوله وفيكم سماعون لهم فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وفيكم سماعون لهم يؤدون اليهم عيون لهم عليكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفيكم سماعون لهم يحدثون باحاديثكم غيرمنافقين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وفيكم سماعون لهم قال محدثون عيون غير منافقين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفيكم سماعون لهم يسمعون ما يؤدونه لعدوكم * وقال آخرون بل معنى ذلك وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيكم سماعون لهم وفيكم من يسمع كلامهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوا فيما بلغنى من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده فى جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم يعنى هذا التأويل وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم اياهم عن الخروج معكم وأما على التأويل الاول فان معناه وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم فيبلغونه اليهم عيون لهم عليكم * قال أبو جعفر وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب تأويل من قال معناه وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم سماع وصف من وصف به أنه سماع للكلام كما قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه سماعون للكذب واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث وأما اذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه اليه فانما تصفه بانه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو له سماع مطيع وأما قوله والله عليم بالظالمين فان معناه والله ذو علم بمن يوجه أفعاله الى غير وجوهها ويضعها فى غير مواضعها ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ومن يستأذنه

(١) لعله خيلهم وحركته

شكا في الاسلام ونفاقا ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسر عاسر المؤمنين ويساءهم لا يخفى عليه شئ من سرائر خلقه وعلانيتهم وقد بينا معنى الظلم في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ﴿القول في تأويل قوله﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ يقول تعالى ذكره لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد التماسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردهم الى الكفر بالتخذيل عنه كفعل عبد الله بن أبي بك وبأصحابك يوم أحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل ويعني بقوله من قبل من قبل هذا وقلبوا لك الامور يقول وأجالوا فيك وفي ابطال الدين الذي بعثك به الله الرأي بالتخذيل عنك وانكار ما تأتيهم به ورده عليك حتى جاء الحق يقول حتى جاء نصر الله وظهر أمر الله يقول وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الاسلام وهم كارهون يقول والمنافقون لظهور أمر الله ونصره اياك كارهون وكذلك الآن يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقلبوا لك الامور أي ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر مسمين باعيانهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو عن الحسن قوله وقلبوا لك الامور قال منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف ورفاعة بن رافع وزيد بن التابوت القينقاعي وكان تخذيل عبد الله بن أبي أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم كل قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض وكل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طاب الثمار وأحبت الظلال والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذي يصمد له الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره فأمر الناس بالجهاز والانكماش (١) وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس

(١) الانكماش الاسراع في الامر والجد فيه اه كتبه مصححه

أطلق كفرهم أولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلاة والزكاة وبعبارة أخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من أنواع كفرهم هذين تفظيعا لشأن تارك الصلاة والزكاة قال في الكشاف وقرأت في بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية وأن الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الآية وهو أن شيأ من أعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو أن يصرف ذلك الى تأثيره في تخفيف العقاب ولقائل أن يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له في التخفيف أيضا أثر وقيل في الآية دلالة على ان الصلاة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الآخرة أراد أن يبين أن ما يظنونه من منافع الدنيا فهو أيضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (فلا تعجبك) الآية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط أي ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلاة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجيء في الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه وأنه من البعيد في حكم الله أن يزيل ذلك الشئ عنه ويحصله لغيره كقوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشئ وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ازالته في قدرة

الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك فى حبها فان المسكن الاصلى هو الآخرة لا الاولى وقوله (انما يريد الله ليعذبهم) اعرابه كما مر فى يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدى وقتادة فى الآية تقديم وتأخير والتقدير فلا تعجبك أموالهم

أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة كأنهم نظروا الى أن المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده وأوردعليه أنهما لا يكونان عذابا فى الآخرة أيضا فان تكلفوا وقالوا أراد بذلك أنهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتأخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب فى الدنيا أيضا وبوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان فى الدنيا لا محالة فأى فائدة فى ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب فى الدنيا والآخرة وذلك أن كل ما كان حبه للشئ أشد كان خوفه عن فواته أكثر وحزنه على فواته أعظم فصاحب المال أبدا اما فى خوف فوات المال واما فى حزن فواته واما فى تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضى الى طغيانه وقساوة قلبه الى أن ينسى حب الله وذكر الآخرة ثم انه ان بقى عليه ذلك الى آخر عمره فعند الموت يعظم أسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى سجن وجحيم وعند الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت أن حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام فى الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا أن المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم أنه انما خلق للآخرة يقول لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذى اعتقد أن لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وأيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون فى ذلك فائدة أخروية وكانوا فى أشق تكليف وكانوا يفعلون

بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله بن أبى أخا بنى عوف بن الخزرج وعبد الله بن نبتل أخا بنى عمرو بن عوف ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بنى قينقاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيد للاسلام وأهله قال وفيهم كما ثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنزل الله لقد ابتغوا الفتنة من قبل الآية ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ وذكر أن هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس ويعنى جل ثناؤه بقوله ومنهم ومن المنافقين من يقول ائذن لى أن أتخلف عنك ولا تفتنى يقول ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الاصفر وبناتهم فانى بالنساء مغرم فاخرج وآثم بذلك وبذلك من التأويل تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ائذن لى ولا تفتنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر ونساء الروم فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تغنموا بنات الاصفر يعنى نساء الروم ثم ذكر مثله * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ائذن لى ولا تفتنى قال هو الجد بن قيس قال قد علمت الانصار أنى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعتل بمالى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يريد جهازه للجد بن قيس أخى بنى سلمة هل لك يا جد العام فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله أوتأذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى ما رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الآية أى ان كان انما يخشى الفتنة من نساء بنى الاصفر وليس ذلك به فساقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى قال هو رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغزو بنى الاصفر ونتخذ منهم سرارى ووصفانا فقال أى رسول الله ائذن لى ولا تفتنى ان لم تأذن لى افتتنت ووقعت فغضب فقال الله ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين وكان من بنى سلمة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة فقالوا جد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوى من البخل ولكن سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء بن معرور حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى يقول ائذن لى ولا تحرجنى ألا فى الفتنة سقطوا يعنى فى الحرج سقطوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ولا تؤثمنى ألا فى الاثم سقطوا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين

يقول وان النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذب رسله محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة يقول فكفى للجد بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليها خزيا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم فى غزاتك هذه يسؤ الجد بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين وان تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجد ونظراؤه قد أخذنا أمرنا من قبل أى قد أخذنا احذرنا بتخلفنا عن محمد وترك اتباعه الى عدوه من قبل يقول من قبل أن تصيبه هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يقول ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقتل من قتل منهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان تصبك حسنة تسؤهم يقول ان تصبك فى سفرك هذا الغزوة تبوك حسنة تسؤهم قال الجد وأصحابه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل حذرنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ووقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل قال حذرنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تصبك حسنة تسؤهم ان كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره مؤدبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك لن يصيبنا أيها المرتابون فى دينهم الا ما كتب الله لنا فى اللوح المحفوظ وقضاه علينا هو مولانا يقول هو ناصرنا على أعدائه وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانهم ان يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيأ غيره يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم هل تنتظرون بنا الا احدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما اما ظفرا بالعدو وفتحا لنا بغلبتنا اياهم ففيها الاجر والغنيمة والسلامة وإما قتلا من عدونا لنا ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكلتاهما مما يحب ولا يكره ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يقول ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم فتربصوا انا معكم متربصون يقول فانتظروا انا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا وما اليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول فتح أو شهادة وقال مرة أخرى يقول القتل فهى الشهادة والحياة والرزق وامايخزيكم بايدينا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول قتل فيه

صار هكذا تأذى الاب بسببه ولاجل هذه المعانى ذكر بعض العلماء أن التقدير يريد الله أن يزيد فى أموالهم ليعذبهم أما قوله (وتزهق أنفسهم) أى تخرج وهم (كافرون) فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى أراد منهم الكفر وأورد الجبائى عليه أن المريض اذا قال للطبيب أريد أن تدخل على فى حالة مرضى لم يلزم منه كونه مريد المرض نفسه والجواب ان أمثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففى قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا فى تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفى الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق فى ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق فى حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال فى الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمه الى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح أفعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم فى قوله (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أى على دينكم ثم قال (وماهم منكم) أى ليسوا على دينكم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم أكد نفاقهم بقوله (لو يجدون ملجأ) مفرا فيتحصنون فيه آمنين على أنفسهم منكم لفروا اليه ولفارقوكم فلا تظنوا

(١٤ - ابن جرير عاشر)

ان موافقتهم اياكم فى الدار والمسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذى يغور الانسان فيه أى يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول أدغمت التاء فى الدال لقرب مخرجيهما والتدخل تفعل من الادخال ومعناه المسلك الذى يتحفظ بالدخول فيه قال الكلبى وابن زيد نفق كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه مع انهاشر

الامكنة (لولوا اليه) يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرفه (وهم يجمحون) أى يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شئ ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة أشياء والاقرب حملها على المعانى المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف فى الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى أعلم ومن جملة قبائحهم قوله (ومنهم من يلمزك) الآية قال الزجاج لمزت الرجل ألمزه ألمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب فى الحضور والهمز العيب فى الغيبة واعلم أن العيب فى الصدقات يحتمل وجوها الاول فى أخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء أفقرهم وان شاء أغناهم الثانى ان يقال هب أنك تأخذ الزكوات الا أن ما تأخذه كثير فوجب أن تقنع بأقل من ذلك الثالث هب أنك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع فى قسمة الصدقات وفى تفريقها وهذا هو الذى دلت الاخبار على أنهم أرادوه عن أبى سعيد الخدرى بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين قال له ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فنزلت وعن الكلبى هو أبو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين أن عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال (فان اعطوا منها رضوا) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى (اذا هم يسخطون) فهم يسخطون وقت ان يعلم أن الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم أرشدهم الى ما هو صلاحهم فى نفس الامر فقال (ولو أنهم رضوا) الآية ورتبه على أن

الحياة والرزق واما أن يغلب فيؤتيه الله أجرا عظيما وهو مثل قوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا احدى الحسنيين قال القتل فى سبيل الله والظهور على أعداء الله * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال القتل فى سبيل الله والظهور حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد احدى الحسنيين القتل فى سبيل الله والظهور على اعداء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال ابن جريج قال ابن عباس بعذاب من عنده بالموت أو بأيدينا قال القتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الافتحا أو قتلا فى سبيل الله ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا أى قتل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره وعلى أى حال شئتم من حال الطوع والكره فانكم ان تنفقوها لن يتقبل الله منكم نفقاتكم وأنتم فى شك من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه انكم كنتم قوما فاسقين يقول خارجين عن الايمان بربكم وخرج قوله أنفقوا طوعا أو كرها مخرج الامر ومعناه الخبر والعرب تفعل ذلك فى الاماكن التى يحسن فيها ان التى تأتى بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فهو فى لفظ الامر ومعناه الخبر ومنه قول الشاعر

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

فكذلك قوله أنفقوا طوعا أو كرها انما معناه ان تنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وقيل ان هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم هذا مالى أعينك به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال الجد بن قيس انى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالى قال ففيه نزلت أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم قال لقوله أعينك بمالى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون﴾ يقول تعالى ذكره وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك وفى غير ذلك من السبل الا أنهم كفروا بالله وبرسوله فأن الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع لان معنى الكلام ما منع نفقاتهم الا كفرهم بالله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى يقول لا يأتونها الا متثاقلين يراءون الناس لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا وانما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها بين المؤمنين فاذا أمنوهم لم يقيموها ولا ينفقون يقول ولا ينفقون من أموالهم شيأ الا وهم كارهون أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه مما فيه تقوية للاسلام وأهله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾

مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكل ما كان حكمه وقضاء منه كان حقا وصوابا
ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر أثر ذلك الرضا على لسانهم وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحبيب
الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله ويعوضه من (١٠٧) فضله في غنيمة أخرى الرابعة الرغبة الى

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال معنى ذلك التقديم وهو مؤخر ذكره من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قال هذه من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة * وقال آخرون بل معنى ذلك انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما ألزمهم فيها من فرائضه ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن سلمان الاقصري عن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيها هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا التأويل الذي ذكرنا عن الحسن لان ذلك هو الظاهر من التنزيل فصرف تأويله الى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه الى باطن لا دلالة على صحته وانما وجهه من وجه ذلك الى التقديم وهو مؤخر لانه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجها يوجهه اليه وقال كيف يعذبهم بذلك في الدنيا وهي لهم فيها سرور وذهب عنه توجيهه الى أنه من عظيم العذاب عليه الزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه اذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على ضجر منه وكره وأما قوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون فانه يعني وتخرج أنفسهم فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يقال منه زهقت نفس فلان وزهقت فمن قال زهقت قال تزهق ومن قال زهقت قال تزهق زهوقا ومنه قيل زهق فلان بين أيدي القوم يزهق زهوقا اذا سبقهم فتقدمهم ويقال زهق الباطل اذا ذهب ودرس ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يقول تعالى ذكره ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم انهم لمنكم في الدين والملة يقول الله تعالى مكذبا لهم وما هم منكم أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم بل هم أهل شك ونفاق ولكنهم قوم يفرقون يقول ولكنهم قوم يخافونكم فهم خوفا منكم يقولون بالسنتهم انا منكم لنأمنوا فيكم فلا يقتلوا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ﴾ يقول تعالى ذكره لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ يقول عصرا يعتصرون به من حصن ومعقلا يعتقلون فيه منكم أو مغارات وهي الغيران في الجبال واحدتها مغارة وهي مفعلة من غار الرجل في الشيء يغور فيه اذا دخل ومنه قيل غارت العين اذا دخلت في الحدقة أو مدخلا يقول سربا في الارض يدخلون فيه وقال أو مدخلا الآية لانه من أدخل يدخل وقوله لولوا اليه يقول لأدبروا اليه هربا منكم وهم يجمحون يقول وهم يسرعون في مشيهم وقيل ان الجماح منى بين المشيين ومنه قول مهلهل

لقد جمحت جماحا في دمائهم * حتى رأيت ذوي أحسابهم خمدوا

الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولا لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن أبلغ من عمله وباقي
الآيات اشارات الى أن من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو

أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم
ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر
المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم (١٠٨) بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد
ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين
المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن
المعروف ويقبضون أيديهم نسوا
الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون
وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها هي
حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم
كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم
قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا
بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك
هم الخاسرون ۞ القراآت أذن خير
كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى
والمفضل الباقون بالاضافة ورحمة
بالجر حمزة الآخرون بالرفع ألم تعلموا
بتاء الخطاب جبلة عن المفضل
الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب
كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم
غير المفضل الباقون على البناء
للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء
التأنيث في الثاني ۞ الوقوف وابن
السبيل ط أي فرض الله فريضة
من الله ط حكيم ○ هو أذن ط
آمنوا منكم ط أليم ○ ليرضوكم
ط لاحتمال الواو الحال أو الاستئناف
مؤمنين ○ خالدا فيها ط العظيم
○ بما في قلوبهم ط استهزؤا ط

وانما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة لانهم انما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الايمان بالله وبرسوله لأنهم كانوا
في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه فصانعوا القوم بالنفاق
ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الايمان وفي أنفسهم ما فيها من البغض
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به والعداوة لهم فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم لو
يجدون ملجأ أو مغارات الآية وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ
الملجأ الحرز في الجبال والمغارات الغيران في الجبال وقوله أو مدخلا والمدخل السرب حدثني محمد
ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ أو
مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ملجأ يقول حرزا أو مغارات يعني الغيران أو مدخلا
يقول ذهابا في الارض وهو النفق في الارض وهو السرب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال حرزا لهم يفرون
اليه منكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لو
يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال محرزا لهم لفروا اليه منكم وقال ابن عباس قوله لو يجدون
ملجأ حرزا أو مغارات قال الغيران أو مدخلا قال نفقا في الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن
سعيد عن قتادة لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا يقول لو يجدون ملجأ حصونا أو مغارات
غيرانا أو مدخلا أسرابا لولوا اليه وهم يجمحون ۞ القول في تأويل قوله ﴿ومنهم من يلمزك
في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾ يقول تعالى ذكره ومن
المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات من يلمزك في الصدقات يقول يعيبك
في أمرها ويطعن عليك فيها يقال منه لمزه فلان فلانا يلمزه ويلمزه اذا عابه وقرصه وكذلك همزه ومنه
قيل فلان همزة لمزة ومنه قول رؤبة

قاربت بين عنقي وجمزي * في ظل عصري باطلي ولمزي

ومنه قول الآخر

اذا لقيتك تبدي لي مكاشرة * وان أغيب فأنت العائب اللمزه

فان أعطوا منها رضوا يقول ليس بهم في عيبهم اياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين ولكن الغضب
لانفسهم فان أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك وان أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن
ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات قال يروزك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات
يروزك ويسألك * قال ابن جريج وأخبرني داود بن أبي عاصم قال قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم
بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ورآه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه
الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات يقول

لاحتمال الهمزة في ان للتعليل يحذرون ○ ونلعب ط تستهزؤن ○ بعد ايمانكم ط مجرمين ○ ومنهم
من بعض ط كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهي صفة لكلهم أيديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ○ فيها ط حسبهم ط
لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في اتمام الجزاء ولعنهم الله ج لذلك مقيم ○ لا بناء على تعلق الكاف وأولادا ط خاضوا ط والآخرة

...من يطعن عليك فى الصدقات وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد باعرابية أتى ...صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ...لت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى ثم قال نبى الله صلى الله عليه ...م احذروا هذا وأشباهه فان فى أمتى أشباه هذا يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا ...وهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان ...ول والذى نفسى بيده ما أعطيكم شيأ ولا أمنعكموه انما أنا خازن حدثنا محمد بن عبد الاعلى ...ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يطعن * قال ثنا محمد ...ثور عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد قال بينما رسول الله صلى الله ...وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن ...دل ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ائذن لى فأضرب عنقه قال دعه فان له أصحابا ...أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ...فى قذذه فلا ينظر شيأ ثم ينظر فى نصله فلا يجد شيأ ثم ينظر فى رصافه فلا يجد شيأ قد سبق الفرث ...آيتهم رجل أسود احدى يده أو قال يديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على ...فترة من الناس قال فنزلت ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال أبو سعيد أشهد أنى سمعت هذا ...رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا رحمة الله عليه حين قتلهم جىء بالرجل على النعت ...نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ...ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ...هؤلاء المنافقون قالوا والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثر بها الا هواه فأخبر الله نبيه ...خبرهم انه انما جاءت من الله وان هذا أمر من الله ليس من محمد انما الصدقات للفقراء الآية ...القول فى تأويل قوله ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من ...ورسوله انا الى الله راغبون﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد فى الصدقات ...ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم وقالوا حسبنا الله يقول وقالوا كافينا الله ...ؤتينا الله من فضله ورسوله يقول سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها انا ...راغبون يقول وقالوا انا الى الله نرغب فى أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها ...صلات الناس والحاجة اليهم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين ...عاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ...عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لا تنال الصدقات الا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله ...ثناؤه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة الفقير والمسكين فقال بعضهم الفقير المحتاج المتعفف ...المسألة والمسكين المحتاج السائل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ...عن الحسن انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير الجالس فى بيته والمسكين الذى ...سعى حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما الصدقات ...والمساكين قال المساكين الطوافون والفقراء فقراء المسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا

...خاسرون ٥ ﴿ التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى ...طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفى تصدير الكلام بانما دلالة على أنه لا حق لاحد فى الصدقات الا ...ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع فى الرأس وداء فى البطن ولنتكلم فى تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثانى الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون لا يفى دخلهم بخرجهم انما الكلام فى انهما متساويا الدلالة أو أحدهما أسوأ حالا فعن أبى يوسف ومحمد والجبائى أنهما واحد حتى لو أوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائى انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد أمرهم فى الصدقات والفائدة فيه أن يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعى الفقير أسوأ حالا لانه تعالى أثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذى وقع الابتداء بذكره يكون أشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن أن يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن أعظم أنواع الشر والدواهى وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد سأل المسكنة فى قوله اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فكانه سأل توسط الحال ولهذا لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أشياء معلومة مع انه تعالى أجاب دعاءه ظاهرا فاماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على أن المسكين ...كون كذلك وقال تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذى لا يجد شيأ كأهل الصفة والمسكين ...طواف الذى يسأل الناس والغالب انه يحصل له منهم شئ وقريب منه قول من قال سمى مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان ...هو السائل لما قلنا فالمحروم فى قوله سبحانه وفى أموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على أن الفقر

ضد الغنى ولم يقل أحد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال أبو حنيفة المسكين أسوأ حالا لقوله تعالى أو ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة أعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن أبي عمرو أن الفقير الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي أفقير أنت قال لا والله بل

وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل وأجيب بأنه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله أعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء أجور أمثالهم لانها أجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح أن الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ان يبعث أبا رافع عاملا على الصدقات وقال أما علمت أن مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذ كان واليا عليها واختلفوا في أن الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة أو لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على أن العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك أجرة عمله وعن الحسن أنه لا يأخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم أشراف من الاحياء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم أبو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة وان لم يكن ما أعطاهم من الصدقات ويروى ان أبا بكر الصديق أعطى عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه أيام الردة والذي استقر عليه رأي الائمة ثلاثة أقسام ضعيف النية في الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتألف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكاة

أبو أسامة عن جرير بن حازم قال ثني رجل عن جابر بن زيد أنه سئل عن الفقراء قال المتعففون والمساكين الذين يسألون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عبيد الله الحراني قال سألت الزهري عن قوله انما الصدقات للفقراء قال الذين في بيوتهم لا يسألون والمساكين الذين يخرجون فيسألون حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا ابن سعيد عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل * قال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة والمساكين الذين يسألون الناس حدثنا الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث عن ابن نجيح عن مجاهد قال الفقراء الذين لا يسألون والمساكين الذين يسألون * وقال آخرون الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين هو الصحيح الجسم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما الصدقات للفقراء والمساكين الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح المحتاج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين أما الفقير فالزمن الذي به زمانة وأما المسكين فهو الصحيح ليست به زمانة * وقال آخرون الفقراء فقراء المهاجرين والمساكين من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير عن علي بن الحكم عن الضحاك بن مزاحم انما الصدقات للفقراء قال فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء المهاجرين قال سفيان يعني ولا يعطى الأعراب منها شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقة لفقراء المهاجرين * قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن قال كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فضمهم الى انهم فقراء وجعل لهم سهما في الزكاة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقات في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله * وقال آخرون المسكين الضعيف البئيس ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن محمد قال قال عمر ليس الفقير بالذي لا مال له ولكن الأخلق الكسب * قال يعقوب قال ابن علية الأخلق المحارف عندنا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قال ليس المسكين بالذي لا مال له ولكن المسكين الأخلق الكسب * وقال بعضهم انما عنى بالصدقات المسلمين والمسكين من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقراء المسلمين مساكين انما المساكين مساكين أهل الكتاب * قال أبو جعفر وأولى

ذلك أهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما رأى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فأما الكفار الذين يميلون الى
لام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتألفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيأ من الزكاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم
هم من خمس الخمس والآن لا يعطون أصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تألفهم ولانه ليس فى الآية دلالة على ان

قول عندى بالصواب قول من قال الفقير هو ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسئلة
س والتذلل لهم فى هذا الموضع والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم وانما قلنا ان ذلك
ك وان كان الفريقان لم يعطيا الا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة لاجماع الجميع من
صل العلم أن المسكين انما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر وأن معنى المسكنة عند العرب
ه كما قال الله جل ثناؤه وضربت عليهم الذلة والمسكنة يعنى بذلك الهون والذلة لا الفقر
كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر فجعلهم صنفين
معلوما أن كل صنف منهم غير الآخر واذ كان ذلك كان لا شك أن المقسوم له باسم
غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذى لا مسكنة
والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع الى فقره المسكنة وهى الذل بالطلب والمسئلة فتأويل
لام اذ كان ذلك معناه انما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذى لا يسأل والمتذلل منهم الذى
ل وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبر حدثنا القاسم
ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن شريك بن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى
رة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
ن انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ومعنى قوله صلى الله عليه
انما المسكين المتعفف على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر مساكين
على تفضيل المسكين من الفقير ومما ينبئ عن أن ذلك كذلك انتزاعه صلى الله عليه وسلم
س الله اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وذلك فى صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه
فقر فقال للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل
ء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقوله والعاملين عليها وهم السعاة
بعضهم من أهلها ووضعها فى مستحقيها يعطون ذلك بالسعاية أغنياء كانوا أو فقراء وبمثل الذى
قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال
معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن العاملين عليها فقال السعاة حدثنا بشر قال
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاملين عليها قال جباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها
ثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والعاملين عليها الذى يعمل عليها ثم
ف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك فقال بعضهم يعطى منه الثمن ذكر من قال
حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن جويبر عن الضحاك
والعاملين عليها الثمن من الصدقة حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى
والعاملين عليها قال يأكل العمال من السهم الثامن * وقال آخرون بل يعطى على قدر عمالته
نا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الاخضر بن عجلان قال ثنا
بن زهير العامرى عن أبيه أنه لقى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة أى مال هى
مال العرجان والعوران والعميان وكل منقطع به فقال له ان للعاملين حقا والمجاهدين قال
مجاهدين قوم أحل لهم وللعاملين عليها على قدر عمالتهم ثم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة

ل المال الى اعدد ما يحتاج اليه فى الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان
رسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان فى الوعاء فنبه به على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير فى قوله وفى
انه وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين * الصنف السادس الغارمون قال الزجاج أصل الغرم لزوم ما يستحق

وسمى العشق غراما لكونه أمرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم فالغارمون المدينون والدين ان حصل
معصية لم يدخل فى الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية
لاصلاح ذات البين وان كان متمولا أو للضمان ان أعسر هو والاصيل وكل داخل فى الآية روى الاصم فى

سوى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يكون للعامل عليها ان عمل بها
يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن انما يفرضون له بقدر عمالته
ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والعاملين عليها قال كان يعطى العاملون
أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يعطى العامل عليها على قدر عمالته وأجر
وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الاموال بين الاصناف الثمانية
ثمانية أسهم وانما عرف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الاصناف الثمانية الى غيرهم وان
كذلك عما سنوضح بعد وعما قد أوضحناه فى موضع آخر كان معلوما أن من أعطى منها
يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه واذا كان ذلك كذلك وكان العامل عليها انما يعطى على
لا على الحاجة التى تزول بالعطية كان معلوما أن الذى أعطاه من ذلك انما هو عوض من سعيه
وأن ذلك انما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله الذى لا يزول بالعطية وانما يزول بالعزل
المؤلفة قلوبهم فانهم قوم كانوا يتألفون على الاسلام ممن لم تصح نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته
كأبى سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والاقرع بن حابس ونظرائهم من رؤساء القبائل ومن
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى
ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والمؤلفة قلوبهم وهم قوم كانوا يأتون رسول
صلى الله عليه وسلم قد أسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات فاذا أعطاهم
من الصدقات فاصابوا منها خيرا قالوا هذا دين صالح وان كان غير ذلك عابوه وتركوه
عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير ان المؤلفة قلوبهم من بنى
أبو سفيان بن حرب ومن بنى مخزوم الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بنى جمح صف
ابن أمية ومن بنى عامر بن لؤى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومن بنى أسد
عبد العزى حكيم بن حزام ومن بنى هاشم سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن بنى فزارة
ابن حصن بن بدر ومن بنى تميم الاقرع بن حابس ومن بنى نصر مالك بن عوف ومن بنى
العباس بن مرداس ومن ثقيف العلاء بن حارثة أعطى النبى صلى الله عليه وسلم كل رجل
مائة ناقة الا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بن عبد العزى فانه أعطى كل رجل منهم خمس
حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
الزهرى قال قال صفوان بن أمية لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض
الى فما برح يعطينى حتى انه لأحب الناس الى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ناس كان يتألفهم بالعطية عيينة بن بدر ومن كان
حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن
والمؤلفة قلوبهم الذين يؤلفون على الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
وأما المؤلفة قلوبهم فأناس من الاعراب ومن غيرهم كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم
كيما يؤمنوا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله
سألت الزهرى عن قوله والمؤلفة قلوبهم فقال من أسلم من يهودى أو نصرانى قلت وان كان

أنه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة فى جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمد
ابن مالك أعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمد على الصدقة يومئذ وانما
يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض أعطى
الباقى * الصنف السابع قوله فى
سبيل الله يعنى الغزاة قال الشافعى
يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات
وان كان غنيا وهو مذهب مالك وأحمد
واسحق وأبى عبيد وقال أبو حنيفة
لا يعطى الغازى الا اذا كان محتاجا
وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر
على الغزاة فلهذا نقل القفال عن
بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف
الصدقة الى جميع وجوه الخير من
تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة
المساجد لان كلها فى سبيل الله *
الصنف الثامن ابن السبيل وهو
المسافر لا لأجل معصية يعطى
ما يبلغه المقصد أو موضع ماله ان
كان له فى الطريق مال قال الشافعى
ويدخل فى المسافر الشاخص من
وطنه أو من بلد كان مقيما به منشئا
للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله
أعلم ولنذكر طرفا من أحكام هذه
الاصناف * الحكم الاول اتفقوا
على دخول الزكاة الواجبة فى قوله
انما الصدقات لقوله فى موضع آخر
خذ من أموالهم صدقة ولقوله صلى
الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة
أوسق صدقة واختلفوا فى الصدقة
المندوبة فمنهم من قال تدخل والفائدة أن تعلم أن مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف
والاقرب اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك فى الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكاة ولان الآية تدل على
فى الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه أخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى ولان الصدقات تنقسم

معهود سابق وهو الصدقات الواجبة فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات * الحكم الثانى فى الآية دلالة على أن الزكاة انما يتولى أخذها
م أو نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذى نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتأكد هذا النص بقوله خذ من أموالهم
ة فالقول بأن المالك يجوز له اخراج زكاة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل آخر كقوله وفى أموالهم

وان كان غنيا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معقل بن عبيد الله الجزرى عن الزهرى والمؤلفة قلوبهم قال من هو يهودى أو نصرانى * ثم اختلف أهل العلم فى وجود المؤلفة
يوم وعدمها وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الاسلام من الصدقة فقال بعضهم قد بطلت
ؤلفة قلوبهم اليوم ولا سهم لأحد فى الصدقة المفروضة الا لذى حاجة اليها وفى سبيل الله أو
عمل عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والمؤلفة
قلوبهم قال أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل
عن جابر عن عامر قال لم يبق فى الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم انما كانوا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الرحمن
ابن يحيى عن حبان بن أبى جبلة قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأتاه عيينة بن حصن
الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أى ليس اليوم مؤلفة حدثنى الحرث قال ثنا
عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال ليس اليوم مؤلفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا
اسرائيل عن جابر عن عامر قال انما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم
فلما ولى أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشا * وقال آخرون المؤلفة قلوبهم فى كل زمان
وجودهم فى الصدقات ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا
اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال فى الناس اليوم المؤلفة قلوبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا
اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى
ان الله جعل الصدقة فى معنيين أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الاسلام وتقويته فما كان
من معونة الاسلام وتقويته أسبابه فانه يعطاه الغنى والفقير لانه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه اليه
انما يعطاه معونة للدين وذلك كما يعطى الذى يعطاه بالجهاد فى سبيل الله فانه يعطى ذلك غنيا كان
غير الغزو لا لسد خلته وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وان كانوا أغنياء استصلاحا
بما ظاهروه أمر الاسلام وطلب تقويته وتأييده وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى
من المؤلفة قلوبهم بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الاسلام وعز أهله فلا حجة لمحتج بان يقول
لم يتألف اليوم على الاسلام أحدا لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد أعطى النبى صلى الله
عليه وسلم من أعطى منهم فى الحال التى وصفت وأما قوله وفى الرقاب فان أهل التأويل اختلفوا
فى معناه فقال بعضهم وهم الجمهور الاعظم هم المكاتبون يعطون منها فى فك رقابهم ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن الحسين أن
رجلا قام الى أبى موسى الاشعرى رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال له أيها
المحدث الناس على فحث عليه أبو موسى فالقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتما حتى ألقوا
شيئا كثيرا فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع فاعطى المكاتب
منه ثم أعطى الفضل فى الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما أعطى الناس فى الرقاب حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن

حتى معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب أن يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه أفضل * الحكم الثالث مذهب أبى حنيفة أنه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وأبى العالية والنخعى لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم أن يكون كل جزء من أجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذى لا مال له الا عشرين دينارا فأخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على أربعة وعشرين لدفع كل ثلاثة منها الى ثلاثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فى مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فخبرتهم بها كان أحب الى وقال الشافعى لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بأن الله تعالى ذكر هذه القسمة فى نص الكتاب ثم أكدها بقوله فريضة من الله وهو فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء فى قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك تعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب

ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الآية بقوله (والله عليم) أى بتقدير
الاشياء والمصالح (حكيم) لا يفعل الا ما هو الاصوب والاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط فى صرف الزكاة ومن ههنا
قال الشافعى لا بد فى كل صنف من ثلاثة لانه تعالى ذكر أكثر الاصناف بلفظ الجمع وأقل الجمع ثلاثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين

غرم الثالث أقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل فى أفراد الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فتسهل التسوية بينهم * الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان فى زماننا فبقى ان تصرف الزكاة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف فى بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعى أما اذا لم يفعل ذلك فانها مجزئة عند سائر الأئمة أما الحكمة فى ايجاب الزكاة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق فى حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكاة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم أى عن دنس الاستغراق فى حب المال وأيضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فتصير المسألة دورية لا مقطع لها ولا آخر فاثبت الشرع لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال فى طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلمانى الذى لا آخر له ويفضى فى الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وأيضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها فى التعظيم لامر الله وعملية وكمالها فى الشفقة على خلق الله فأوجب الله الزكاة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محسنا الى الخلق واذا أحسن اليهم أمدوه بالدعاء والهمة وأيضا المال سمى مالا لكثرة ميل كل أحد اليه وهو غادر ورائح فى سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا أنفقه لوجه الله بقى بقاء لا يمكن زواله وفى انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس ذلك الا عن الشئ لابه لان الاستغناء عن الشئ صفة الحق والاستغناء بالشئ صفة المخلوقين العاجزين فى الامر بالزكاة نقل للانسان من درجة

قوله وفى الرقاب قال المكاتبون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى الرقاب قال المكاتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن وفى الرقاب قال هم المكاتبون * وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال عنى بالرقاب فى هذا الموضع المكاتبون لاجماع الحجة على ذلك فان الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه فى ماله يخرجها منه لا يرجع اليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض والمعتق رقبة منها راجع اليه ولاء من أعتقه وذلك نفع يعود اليه منها * وأما الغارمون فالذين استدانوا فى غير معصية الله ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولا عرض وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الغارمون من احترق بيته أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ويدان على عياله فهذا من الغارمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله والغارمين قال من احترق بيته وذهب السيل بماله وادان على عياله حدثنا أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمين المستدين فى غير سرف ينبغى للامام أن يقضى عنهم من بيت المال * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن الغارمين قال أصحاب الدين * قال ثنا معقل عن عبد الكريم قال ثنى خادم لعمر ابن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون قال أحمد أكثر ظنى من الصدقات * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون المستدين فى غير سرف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما الغارمون فقوم غرقتهم الديون فى غير املاق ولا تبذير ولا فساد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الغارم الذى يدخل عليه الغرم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد والغارمين قال هو الذى يذهب السيل والحريق بماله ويدان على عياله * قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال المستدين فى غير فساد * قال ثنى أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون الذين يستدينون فى غير فساد ينبغى للامام أن يقضى عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد هم قوم ركبتهم الديون فى غير فساد ولا تبذير فجعل الله لهم فى هذه الآية سهما وأما قوله وفى سبيل الله فانه يعنى وفى النفقة فى نصرة دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى سبيل الله قال الغازى فى سبيل الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة رجل عمل عليها أو رجل اشتراها بماله أو فى سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار تصدق عليه فاهداها له * قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا لثلاثة

في سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار فتصدق عليه فأهداها له وأما قوله وابن السبيل فالمسافر الذي يجتاز من بلد الى بلد والسبيل الطريق وقيل للضارب فيه ابن السبيل للزومه اياه كما قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا * الى أن شبت واكتهلت لداتي

وكذلك تفعل العرب تسمي اللازم للشئ يعرف بابنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من أرض الى أرض **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وابن السبيل قال لابن السبيل حق من الزكاة وان كان غنيا اذا كان منقطعا به **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهري عن ابن السبيل قال يأتي علي ابن السبيل وهو محتاج قلت فان كان غنيا قال وان كان غنيا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابن السبيل الضيف جعل له فيها حق **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن السبيل المسافر من كان غنيا أو فقيرا اذا أصيبت نفقته أو نفدت أو أصابها شئ أو لم يكن معه شئ فحقه واجب **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن جويبر عن الضحاك أنه قال في الغني اذا سافر فاحتاج في سفره قال يأخذ من الزكاة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من الارض الى الارض وقوله فريضة من الله يقول جل ثناؤه قسم قسمه الله لهم فأوجبه في أموال أهل الاموال لهم والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفي غير ذلك لا يخفى عليه شئ فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة حكيم في تدبيره خلقه لا يدخل في تدبيره خلل * واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية وهل يجب لكل صنف من الاصناف الثمانية فيها حق أو ذلك الى رب المال ومن يتولى قسمها في أن له أن يعطي جميع ذلك من شاء من الاصناف الثمانية فقال عامة أهل العلم للمتولي قسمها وضعها في أي الاصناف الثمانية شاء وانما سمى الله الاصناف الثمانية في الآية اعلاما منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الاصناف الثمانية الى غيرها الا ايجابا بالقسمة بين الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى ذكره من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن الحجاج بن أرطاة عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال ان شئت جعلته في صنف واحد أو صنفين أو ثلاثة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن المنهال عن زر عن حذيفة قال اذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك * قال ثنا جرير عن ليث عن عطاء عن عمر انما الصدقات للفقراء قال أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك * قال ثنا ابن نمير عن عبد المطلب عن عطاء انما الصدقات للفقراء الآية قال لو وضعتها في صنف واحد من هذه الاصناف أجزأك ولو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الي * قال أخبرنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل فأي صنف أعطيته من هذه الاصناف

أدنى الى درجة أعلى وأيضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلاة له كيف يليق به أن لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وأيضا اذا فضل المال عن قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل بيان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال أما في حق المالك فهو أنه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به وأما في حق الفقير فلاحتياجه الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فأبقى عليه الكثير وأمر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وأيضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا أنه ألقاها في أيديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملء بطنه وكم من غافل تأتيه الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال خزانتي الى المحتاجين من عبيدي وأيضا ان الاغنياء لو لم يلزموا باصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها أو على الالتحاق باعداء المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكأن الله تعالى يقول للغني أعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فأخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فتصير من الصابرين ويقول للفقير ما أعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكني أوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكر لي فتكون من الشاكرين وأيضا أراد الله سبحانه ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص له في الدنيا من الذم والعار وفي الآخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من فضائح المنافقين وهو أنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم (هو اذن) عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي

فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فنحلف له فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانزل الله محمد أذن سامعة فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبى صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فأرادوا ان يقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذى يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين وفسر ايذاءهم النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم يقولون له هو أذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وأنه ليس ذا كياسة ولا بعيد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز أن يراد بالايذاء أنواع أخر سوى هذا القول أى يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر أنواع الاذية ويقولون فى وجه الاعتذار عن ذلك هو أذن يقبل كل ما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا وخفض فيرضى ثم انه سبحانه أجاب عن قولهم فقال (قل أذن خير لكم) بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ومجوز الاضافة الملابسة كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن اذا أريد هو أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن فى غير ذلك وبرفع

أجزألك * قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال انما هى شئ أعلمه فأى صنف من هذه الاصناف أعطيته أجزأ عنك * قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء قال فى أى هذه الاصناف وضعتها أجزألك * قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزأ * قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزألك * قال ثنا خالد بن حيان أبو يزيد عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران انما الصدقات للفقراء قال اذا جعلتها فى صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك * قال ثنا محمد بن بشر عن مسعود عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية نحن أعلم أهلها من هم * قال ثنا حفص عن ليث عن عطاء عن عمر أنه كان يأخذ الفرض فى الصنف ويجعلها فى صنف واحد * وكان بعض المتأخرين يقول اذا تولى رب المال قسمها كان على وضعها فى ستة أصناف وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا وان سهم العاملين يبطل بقسمه الامام ويزعم انه لا يجزيه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس وكان يقول ان تولى قسمها الامام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف لا يجزى عنده غير ذلك ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه وهو من قولهم رجل أذنه مثل فعلة اذا كان يسرع الاستماع والقبول كما يقال هو يقن ويقن اذا كان ذا يقين كما حدث وأصله من أذن له يأذن اذا استمع له ومنه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن ومنه قول عدى بن زيد

أيها القلب تعلل بددن * ان همى فى سماع وأذن

وذكر أن هذه الآية نزلت فى ربيع (١) بن الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله عيبهم يعنى المنافقين وأذاهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن الآية وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى نبتل بن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف وفيه نزلت هذه الآية وذلك أنه قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله قل أذن خير لكم أى يستمع الخير ويصدق به واختلفت القراء فى قراءة قوله قل أذن خير لكم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير يعنى قل لهم يا محمد هو أذن خير لا أذن شر وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك قل أذن خير لكم بتنوين أذن ويصير خير خبر له بمعنى قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ان كان محمد كما وصفتموه من أنكم اذا آذيتموه فانكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم اياه وعيبكم له سمع منكم وصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون ثم كذبهم فقال بل لا يقبل الا من المؤمنين يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندى فى ذلك قراءة من قرأ قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير

(١) لعله نبتل بن الحرث كما فى الأثر بعد وكما فى كتب التفسير الأخرى وحرر كتبه مصححه

...حمزة رحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام أى هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه أذن خير بانه (يؤمن بالله) ...يقر به ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من أهل ...والبله (و) هو (رحمة للذين آمنوا منكم) باللسان دون الجنان لانه يجرى أمركم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنكم فان الله هو الذى يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وأما من قرأ أذن خير بالرفع فيهما فعلى ان الاذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك أى هو أذن هو خير والمعنى هو أذن موصوف بالخيرية فى حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم فتحفظ بذلك دماؤكم وأموالكم وقيل التقدير قل أذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله (يؤمن بالله) الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدى وهو ان قوله أذن وان كان رفعا فى الظاهر لكنه نصب فى الحقيقة على الحال وتأويله قل هو أذنا خير لكم ثم ذكر أن من قبائح المنافقين اقدامهم على الأيمان الكاذبة فقال (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) أى كان من الواجب أن يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستسرون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر أو المراد والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك أو وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضا الله ورضا رسوله شئ واحد كما يقال احسان زيد واجماله بعثنى ومعنى (ان كانوا مؤمنين) أى بزعمهم ثم وبخهم بقوله ...وذلك أنه يقال ذلك لمن تتولع فى تعليمه مدة ثم لم يظهر عليه أثر العلم والرشد وكان النبى صلى الله عليه وسلم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره ...المعصية وترغيبه فى الطاعة والضمير فى قوله (أنه) للشأن وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما فى حد غير حد ...كالمشاقة لان كلا منهما فى شق آخر وقال أبو مسلم هى من الحديد حديد السلاح ثم ذكر فى الجزاء قوله (فان له) بالفتح أى فحق أن

...خفض الخير يعنى قل هو أذن خير لكم لا أذن شر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن يسمع من كل أحد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قال كانوا يقولون انما محمد أذن لا يحدث عنا شيأ الا هو أذن يسمع ما يقال له حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويقولون هو أذن نقول ما شئنا ونحلف فيصدقنا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هو أذن قال يقولون نقول ما شئنا ثم نحلف له فيصدقنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وأما قوله يؤمن بالله فانه يقول يصدق بالله وحده لا شريك له وقوله ويؤمن للمؤمنين يقول ويصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا محمد أذن يقول جل ثناؤه انما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير يصدق بالله وبما جاءه من عنده ويصدق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله وقيل ويؤمن للمؤمنين معناه ويؤمن المؤمنين لان العرب تقول فيما ذكر لنا عنها آمنت له وآمنته بمعنى صدقته كما قيل ردف لكم بعض الذى تستعجلون ومعناه ردفكم وكما قال للذين هم لربهم يرهبون ومعناه للذين هم لربهم يرهبون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يعنى يؤمن بالله ويصدق المؤمنين وأما قوله ورحمة للذين آمنوا منكم فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ورحمة للذين آمنوا بمعنى قل هو أذن خير لكم وهو رحمة للذين آمنوا منكم فرفع الرحمة عطفا بها على الاذن وقرأه بعض الكوفيين ورحمة عطفا بها على الخير بتأويل قل أذن خير لكم وأذن رحمة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه ورحمة بالرفع عطفا بها على الاذن بمعنى وهو رحمة للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاء به من عند ربه لان الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جناته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هو أذن وأمثالهم من مكذبيه والقائلين فيه الهجر والباطل عذاب من الله موجع لهم فى نار جهنم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم اياه بالطعن عليه والعيب له ومطابقتهم سرا أهل الكفر عليكم بالله والايمان الفاجرة انهم ما فعلوا ذلك منهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم يبتغون بذلك رضاكم يقول الله جل ثناؤه والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والانابة مما قالوا ونطقوا ان كانوا مؤمنين يقول ان كانوا مصدقين بتوحيد الله وبوعده ووعيده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا

له (نار جهنم) وقيل أن مكرر للتأكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على أنه وجواب من محذوف وهو يهلك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستئناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره أنه قرئ بالكسر قال السدي قال بعض المنافقين لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شئ ففضحنا فأنزل الله تعالى (يحذر المنافقون) وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين ويجوز أن تكون الضمائر كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكأنها تخبر عما في بواطنهم وتذيع عليهم أسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به وأجيب بأنهم عرفوا ذلك بالتجربة أو كفرهم كان كفر عناد أو كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في أمر خائف من وقوعه أو هذا الخبر في معنى الامر أي ليحذر المنافقون عن أبي مسلم أنهم أظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا أجابهم الله بقوله (استهزؤا) وهو أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما تحذرونه من نفاقكم أو محصل انزال السورة لان الشئ اذا حصل بعد عدم فكأن فاعله أخرجه من العدم الى الوجود قوله (ولئن سألتهم) الآية عن ابن عمر أن رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء القراء أرغب بطونا أي أوسع ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله وأصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وأنت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية ذكر لنا رجلا من المنافقين قال والله ان هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وان كان ما يقول محمد حقا لهي من الحمير قال فسمعها رجل من المسلمين فقال والله ان ما يقول محمد حق ولأنت شر من الحمار فسعى بها الرجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الرجل فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك قال وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله في ذلك يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوهم ان كانوا مؤمنين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق أنه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما فان له نار جهنم في الآخرة خالدا فيها يقول لابثا فيها مقيما الى غير نهاية ذلك الخزي العظيم يقول فلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذل العظيم وقرأت القراء فأن بفتح الالف بمعنى ألم يعلموا أن لمن حاد الله ورسوله نار جهنم واعمال يعلموا فيها كأنهم جعلوا الثانية مكررة على الاولى واعتمدوا عليها اذ كان الخبر معهما دون الاولى وقد كان بعض نحوي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها وان دخولها فيها عندهم على أنها جواب الجزاء وانها اذا كانت جواب الجزاء كان الاختيار فيها الابتداء والقراءة لا أستجيز غيرها فتح الالف في كلا الحرفين أعني أن الاولى والثانية لان ذلك قراءة الامصار التي ذكرت من جهة العربية ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ﴾ يقول تعالى ذكره يحذر المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقول تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم وقيل ان الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المنافقين كانوا اذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر واشيأ من أمره وأمر المسلمين قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال سرنا هذا وأما قوله ان الله مخرج ما تحذرون فانه يعني به ان الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه فأظهره الله على ذلك عليهم وفضحهم فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴾ يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ليقولن لك انما قلنا ذلك لعبا وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا يقول الله لمحمد صلى

...ذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا علىّ الركب فأتاهم فقال
كذا وكذا فقالوا يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدى أصل الخوض الدخول فى مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى أطلق
كل دخول فيه تلويث وأذى أى كنا نخوض فى الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق ثم أمر نبيه بأن يقول فى جوابهم
(أبالله) أى بتكاليفه أو بأسمائه أو بقدرته حيث استبعدتم اعانته النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على فتح قصور الشام (وآياته) يعنى القرآن (ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم فجعلوا كأنهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بأن أولى الاستفهام الذى يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل أتستهزؤن بالله ثم قال (لا تعتذروا) نقل الواحدى عن أئمة اللغة أن معنى الاعتذار محو أثر الذنب أو قطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر أى تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشئ الذى يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله (قد كفرتم) أى صريحا (بعد ايمانكم) أى بعد الايمان الذى أظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى فى الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرائعه (ان نعف عن طائفة منكم) ذكر المفسرون أنهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك أخف لانه لم يوافق القوم فى الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى أنه من خاض فى عمل باطل فعليه أن يجتهد فى التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له ببركة
...قليل أن يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة فى اللغة الجماعة لانها المقدار الذى يمكنه أن يطيف بالشئ ثم يجوز أن يسمى الواحد
...ئفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وأقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس أنه قال الطائفة الواحد فما فوقه
...بأن من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد أن يسمى طائفة بهذا السبب والتاء للمبالغة وقال ابن الانبارى

...وسلم قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن وكان ابن اسحق يقول الذى قال
...المقالة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال هذه المقالة فيما
...ى وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد من بنى عمرو بن عوف حدثنا على بن داود قال ثنا
...الله بن صالح قال ثنا الليث قال ثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين
...لعوف بن مالك فى غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء
...له عوف كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول
...صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فقال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه متعلقا
...ب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبى
...لى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده قال ثنى هشام بن سعد عن
...بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء
...غب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل فى المجلس كذبت ولكنك منافق
...خبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله
...عمر فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول
...رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم
...تهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية
...أخبرنا أيوب عن عكرمة فى قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله
...هم كانوا مجرمين قال فكان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم انى أسمع آية أنا أعنى بها
...تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت
...كفنت أنا دفنت قال فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا وجد غيره حدثنا بشر قال
...يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال بينا
...رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوته الى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا أيرجو
...الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على
...ك فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم احبسوا علىّ هؤلاء الركب فأتاهم فقال قلتم كذا قلتم كذا
...وا يانبى الله انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون حدثنا محمد
...عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
...لعب قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه
...وا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا
...ل علىّ بهؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب حدثنا
...رث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قالوا قال رجل
...المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك
...رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته
...ل يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى قوله

العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعنى نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية (بأنهم مجرمين) أى مصرين مستمرين على الجرم ويجوز أن يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان ونفاق ويجوز أن يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مستند الى الظرف تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة أحوال المنافقين وان اثباتهم فى ذلك كذكورهم فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى فى صفة النفاق وأريد به نفى أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) وهو كل قبيح عقلا أو شرعا وأعظم ذلك تكذيب الله ورسوله (وينهون عن المعروف) وهو كل حسن عقلا أو شرعا وأعظم ذلك الاخلاص فى الايمان (ويقبضون أيديهم) عن كل خير أو عن كل واجب كصدقة أو زكاة أو انفاق فى سبيل الله وهذا أولى ليتوجه الذم بتركه وقبض الأيدى كناية عن الشح والبخل كبسطها فى الكرم والسخاء (نسوا الله) أغفلوا أمره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقى لا يتوجه عليه الذم (فنسيهم) جازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسى شيأ لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال (ان المنافقين هم الفاسقون) وفيه دليل على انهم هم الكاملون فى الفسق وأن على المسلم أن يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال أهل النفاق والكفر فقال (وعد الله) الآية ومعنى (خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها قاله فى الكشاف ويحتمل أن يراد مستأهلين للخلود (هى حسبهم) كافيهم فى الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذب امقرونا بالاهانة والطرد (ولهم عذاب مقيم) نوع آخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار أو عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين

مجرمين وان رجليه ليسفعان بالحجارة وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منه بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما كنا نخوض ونلعب قال قال رجل من المنافقين يحسب محمد أن ناقة فلان بوادى كذا وكذا فى يوم كذا وكذا وما يدريه ما الغيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم لا تعتذروا بالباطل فتقولوا كنا نخوض ونلعب قد كفرتم بقولكم قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به بعد ايمانكم يقول بعد تصديقكم به واقراركم به ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وذكر أنه عنى بالطائفة فى هذا الموضع رجل واحد وكان ابن اسحق يقول فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى عفى عنه فيما بلغنى مخشى بن حمير الأشجعى حليف بنى سلمة وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حبان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ان نعف عن طائفة منكم قال طائفة رجل * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ان نعف عن طائفة منكم بانكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر نعذب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال بعضهم كان رجل منهم لم يعالنهم فى الحديث فيسير مجانبا لهم فنزلت ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فسمى طائفة وهو واحد * وقال آخرون بل معنى ذلك ان تتب طائفة منكم فيعفو الله عنها لا يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة وأما قوله انهم كانوا مجرمين فان معناه نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم وهو الكفر بالله وطعنهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره المنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون للمؤمنين الايمان بألسنتهم ويسرون الكفر بالله ورسوله بعضهم من بعض يقول هم صنف واحد وأمرهم واحد فى اعلانهم الايمان واستبطانهم الكفر يأمرون من نفاقهم منهم بالمنكر وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه وينهون عن المعروف يقول وينهونهم عن الايمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله وقوله ويقبضون أيديهم يقول ويمسكون أيديهم عن النفقة فى سبيل الله ويكفونها عن الصدقة فيمنعون ذلك فرض الله لهم فى أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ويقبضون أيديهم يقول لا يبسطونها بنفقة فى حق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

بالكفار الذين كانوا قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب (كالذين من قبلكم) أى أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثانى نصب ثم وصف أولئك الكفار بأنهم كانوا أشد قوة أى جسامة من هؤلاء المنافقين (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) وهو ما خلق للانسان أى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب أى أثبت (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الأولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا وأجيب بأنه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع عما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية فى المبالغة قال جار الله نظيره أن تقول لبعض الظلمة أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وأنت تفعل مثل فعله وأما قوله (وخضتم كالذى خاضوا) فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذى كالخوض الذى خاضوه أو كالفوج الذى خاضوا وقيل أصله كالذين فحذف النون ثم بين أن أولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال أما فى الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وأما فى الآخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم فى هذه الاعمال والفضائح مع ضعف بنيتهم وقلة عددهم وعددهم أولى بخزى الدارين وخسار الأمرين ۞ التأويل انما الصدقات وهى

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقبضون أيديهم لا يبسطونها بخير
حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويقبضون أيديهم قال يقبضون أيديهم عن كل خير وأما قوله نسوا الله فنسيهم فان معناه تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته * وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان الترك بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نسوا الله فنسيهم نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر قوله ان المنافقين هم الفاسقون يقول ان الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الايمان بالله وهم الكفر مستبطنون هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الايمان به وبرسوله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله نار جهنم أن يصليهموها جميعا خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا لا يحيون فيها ولا يموتون هى حسبهم يقول هى كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله ولعنهم الله يقول وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ولهم عذاب مقيم يقول وللفريقين جميعا يعنى من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب بآيات الله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله وعجل لهم فى الدنيا الخزى مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال فى الآخرة يقول لهم جل ثناؤه واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حل بهم فانهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا وأكثر منكم أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم يقول فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ورضوا لانفسهم من نصيبهم فى الدنيا عوضا من نصيبهم فى الآخرة وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم فى الاستمتاع بخلاقكم يقول فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى بخلاقهم يقول كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم وخضتم فى الكذب والباطل على الله كالذى خاضوا يقول وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى أبو معشر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذ الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم القرآن كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم قال فهل الناس الا هم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

(١٦ - ابن جرير - عاشر)

صدقات مواهب الله كما قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده الفقراء وهم الأغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوابه والمساكين الذين لهم بقية أوصاف الوجود ألقوا سفينة نفسه فى بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم أرباب الاعمال كما كان الفقراء

والمساكين أرباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله وفى الرقاب الذين يريدون أن يتخلصوا عن رق الموجودات تحرير لعبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين الذين استقرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفى سبيل الله المجاهدين الجهاد الأكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن أوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على أقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله أوجبها على ذمة كرمه كما قال ألا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فى معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو أذن رأوا محامده بنظر المذمة والعيب قل أذن خير لكم أى سامعيته خير لكم لان له مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائد ايمانه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغنى عن القدر ان نعف عن طائفة اظهارا للفضل والرأفة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان أرواحهم كانت فى صف واحد فى الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات أرواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصى لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هى حسبهم لانها نصيبهم فى الازل كانوا أشد منكم قوة بالاستعداد الفطرى وضيعوها فى الاستمتاع العاجل فخسروا رأس المال ولم يربحوا

عن عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قوله كالذين من قبلكم الآية قال قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لا أعلم الا أنه قال والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج وأخبرنى زيد ابن سعد عن محمد بن زيد بن مهاجر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله أهل الكتاب قال فمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال أبو سعيد الخدرى انه قال فمن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فاستمتعوا بخلاقهم قال بدينهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذركم أن تحدثوا فى الاسلام حدثا وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام من هذه الامة فقال الله فى ذلك فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا وانما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببنى اسرائيل قبلهم وان الفتنة عائدة كما بدت وأما قوله أولئك حبطت أعمالهم فان معناه هؤلاء الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الامم قبلهم حبطت أعمالهم يقول ذهبت أعمالهم باطلا فلا ثواب لها الا النار لانها كانت فيما يسخط الله ويكرهه وأولئك هم الخاسرون يقول وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلافهم من الدنيا اليسير الزهيد ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله وبنبيه عن الايمان به وبرسوله نبأ الذين من قبلهم يقول خبر الامم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلهم وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا ثم بين جل ثناؤه من أولئك الامم التى قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم فقال قوم نوح ولذلك خفض القوم لانه ترجم بهم عن الذين والذين فى موضع خفض ومعنى الكلام ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعى بهم اذ كذبوا رسولى نوحا وخالفوا أمرى ألم أغرقهم بالطوفان وعاد يقول وخبر عاد اذ عصوا رسولى هودا ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية وخبر ثمود اذ عصوا رسولى صالحا ألم أهلكهم بالرجفة فاتركهم بافنيتهم خمودا وخبر ابراهيم اذ عصوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمرود وخبر أصحاب مدين بن ابراهيم ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة اذ كذبوا رسولى شعيبا وخبر المؤتفكات بهم أرضهم فصار أعلاها أسفلها اذ عصوا رسولى لوطا وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق يقول تعالى ذكره أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزؤن بالله وبآياته ورسوله أن يسلك بهم فى الآخرة منهم وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا سبيل أسلافهم من الامم ويحل بهم بتكذيبهم رسولى مثل ما حل بهم فى تكذيبهم رسلنا اذ أتتهم بالبينات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر

﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم

المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم
يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم
الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة ومالهم فى الارض من ولى ولا نصير * ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما
أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا
جهدهم فيسخرون منهم سخر الله
منهم ولهم عذاب أليم ۞ القراآت
والمؤتفكات وبابه بغير همز أبو عمرو
غير شجاع وورش ويزيد والحلوانى
عن قالون والاعشى وحمزة فى الوقف
۞ الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات
ج لابتداء النفى مع فاء التعقيب
يظلمون ○ أولياء بعض م
لما مر ورسوله ط سيرحمهم
الله ط حكيم ○ عدن ط
أكبر ط العظيم ○ واغلظ عليهم
ط جهنم ط المصير ○ ما قالوا
ط لم ينالوا ج من فضله ط
خيرا لهم ج والآخرة ج ولا
نصير ○ من الصالحين ○ معرضون
○ يكذبون ○ علام الغيوب
○ ج لاحتمال النصب أو الرفع
على الذم وكونه بدلا من الضمير فى
نجواهم فيسخرون منهم ط
سخر الله منهم ط لاتمام الجزاء
مع اختلاف النظم أليم ○

عن قتادة والمؤتفكات قال قوم لوط انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والمؤتفكات قال هم قوم لوط فان قال قائل فان
كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط فكيف قيل المؤتفكات بجمعت ولم توحد قيل انها كانت قريات
ثلاثا فجمعت لذلك ولذلك جمعت بالتاء على قول الله والمؤتفكة أهوى فان قال وكيف قيل أتتهم
رسلهم بالبينات وانما كان المرسل اليهم واحدا قيل معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول
يدعوهم الى الله فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم اليهم للدعاء الى الله عن رسالته
رسلا اليهم كما قالت العرب لقوم نسبوا الى أبى فديك الخارجى الفديكات وأبو فديك واحد ولكن
أصحابه لما نسبوا اليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا الى رئيسهم فكذلك قوله أتتهم رسلهم بالبينات
وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الامم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية
رسلهم من الله بالبينات وقوله فما كان الله ليظلمهم يقول جل ثناؤه فما أهلك الله هذه الامم التى ذكر
أنه أهلكها الا باجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلما من الله لهم ولا
وضعا منه جل ثناؤه عقوبة فى غير من هو لها أهل لأن الله حكيم لا خلل فى تدبيره ولا خطأ فى تقديره
ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم
فحقت عليهم كلمة العذاب فعذبوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وأما المؤمنون والمؤمنات
وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه فان صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم يأمرون
بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ويقيمون الصلاة يقول
ويؤدون الصلاة المفروضة ويؤتون الزكاة يقول ويعطون الزكاة المفروضة أهلها ويطيعون الله
ورسوله فيأتمرون لامر الله ورسوله وينتهون عما نهياهم عنه أولئك سيرحمهم الله يقول هؤلاء الذين
هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته لا أهل النفاق والتكذيب بالله
ورسوله الناهون عن المعروف الآمرون بالمنكر القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم ان
الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به لا يمنعه من
الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر حكيم فى انتقامه منهم وفى جميع أفعاله * وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن
أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كل ما ذكره الله فى القرآن من الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهى عن المنكر
النهى عن عبادة الاوثان والشياطين ۞ قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن
عباس قوله يقيمون الصلاة قال الصلوات الخمس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان
من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله
وأقروا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء جنات تجرى من تحتها الانهار يقول بساتين

۞ التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى تكذيب الانبياء والاشتغال بالغير الزائل بين ان أولئك الكفار من هم فذكر
ست طوائف سمع العرب أخبارهم لأن بلادهم وهى الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف
الاستفهام للتقرير فأولهم قوم نوح وقد أهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد وأهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود وأخذوا بالصيحة

ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر ملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم أصحاب مدين شعيب أخذتهم الرجفة وسادسهم أصحاب المؤتفكات قوم لوط أمطر الله عليهم الحجارة بعد أن جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن أن يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب أحوالهم من الخير الى

ثم قال (أتتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) قالت المعتزلة أى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقدم الكلام فى أمثال ذلك ثم بين أن شأن المؤمنين فى الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال (والمؤمنون) الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا أولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق أتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم وبمقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة فى الاستدلال والتوفيق والهداية وأقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم فى أمر من الامور بالجملة كالدار أو حكم من الاحكام الشرعية أو سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل أن يكون تكلفا أو بطريق النفاق لان سببه انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم فى ذلك بلفظ من لمكان الاحتمال المذكور وأما تشارك المؤمنين فى السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضى الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وهاتان لهم فى أنفسهم وهما بازاء قوله فى صفة المنافقين حدثنى ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال (ويطيعون الله ورسوله) أى فى كل ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما أعدلهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال (أولئك سيرحمهم الله) والسين تفيد المبالغة فى انجاز الوعد بالرحمة

تجرى تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لا يبغون فيها أبدا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ومساكن طيبة يقول ومنازل يسكنونها طيبة وطيبها أنها فيما ذكرلنا كما حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمن عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية فى كتاب الله تبارك وتعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من لؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا قرة ابن حبيب عن حسن بن فرقد عن الحسن عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤ فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وأما قوله فى جنات عدن فانه يعنى وهذه المساكن الطيبة التى وصفها جل ثناؤه فى جنات عدن وفى من صلة مساكن وقيل جنات عدن لانها باتين خلد واقامة لا يظعن منها أحد وقيل انما قيل لها جنات عدن لانها دار الله التى استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه من قول العرب عدن فلان بأرض كذا اذا أقام بها وخلد بها ومنه المعدن ويقال هو فى معدن صدق يعنى به أنه فى أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

وان تستضيفوا الى حكمه * تضافوا الى راجح قد عدن

وينشد قد وزن * وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأولونه حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس جنات عدن قال معدن الرجل الذى يكون فيه حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا الكندى سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة ابن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل فى الساعة الاولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك وذكر فى الساعة الثالثة حدثنى موسى بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا الليث بن سعد قال ثنا زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله تبارك وتعالى طوبى لمن دخلك * وقال آخرون معنى جنات عدن جنات أعناب وكروم ذكر من قال ذلك

وعيده اذا قلت سأنتقم منك يوما يعني أنك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الآية بقوله (ان الله عزيز حكيم) وفيه ترغيب للمؤمنين
الكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على وفق ما يقتضيه العدل
ثم فصل ما أجمل من الرحمة بقوله (وعد الله المؤمنين) الآية وقد كثر كلام أصحاب الآثار في معنى جنات عدن فقال

حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي قال ثنا زكريا بن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو
عن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث أن ابن عباس سأل كعبا
عن عدن فقال هي الكروم والاعناب بالسريانية * وقال آخرون هي اسم لبطنان الجنة
ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا
سليمان الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال عدن بطنان الجنة
حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان وشعبة عن الأعمش
عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله جنات عدن قال بطنان الجنة قال ابن
المثنى في حديثه فقلت ما بطنانها وقال ابن المثنى في حديثه فقلت للاعمش ما بطنان الجنة قال
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله
عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة * قال ثنا
ابن قال ثنا شعبة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بمثله حدثنا
ابن قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق
عن عبد الله بمثله حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان
عن سليمان عن أبي الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا أو عن أحدهما عن مسروق عن
عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور
عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قول الله جنات عدن قال بطنان الجنة
ذكر من قال آخرون عدن اسم لقصر ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي
قال ثنا عبدة أبو غسان عن عون بن موسى الكناني عن الحسن قال جنات عدن وما
جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ورفع به صوته
حدثنا ابن أبي سريج قال ثنا عبد الله بن عاصم قال ثنا عون بن موسى قال سمعت الحسن
الحسن يقول جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق
أو حكم عدل رفع الحسن به صوته حدثنا أحمد قال ثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة
عن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله
ألف ألف وله خمسون ألف باب على كل باب حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق حدثنا الحسن
قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت يعقوب بن عاصم يحدث
عن عبد الله بن عمرو أن في الجنة قصرا يقال له عدن له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف
حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد * وقيل هي مدينة الجنة ذكر من قال ذلك حدثت عن
الحسين المحاربي عن جويبر عن الضحاك في جنات عدن قال هي مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء
والأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها وقيل انه اسم نهر ذكر من قال ذلك
حدثني المحاربي عن واصل بن السائب الرقاشي عن عطاء قال عدن نهر في الجنة جناته على
حافتيه وأما قوله ورضوان من الله أكبر فان معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله وبذلك جاء
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك

الحسن سألت عمران بن الحصين
وأبا هريرة عن ذلك فقالا على
الخبير سقطت سألنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر
في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون
دارا من ياقوتة حمراء في كل دار
سبعون بيتا من زمردة خضراء في
كل بيت سبعون سريرا على كل
سرير سبعون فراشا على كل فراش
زوجة من الحور العين وفي كل بيت
سبعون مائدة على كل مائدة
سبعون لونا من الطعام وفي كل
بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن
من القوة ما يأتي على ذلك أجمع وعن
ابن عباس انها دار الله لم ترها عين ولم
تخطر على قلب بشر وقال ابن
مسعود جنات عدن بطنان الجنة
أي وسطها قاله الازهري وبطنان
الاودية المواضع التي يستنقع فيها
السيل واحدها بطن وقال عطاء
عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها
عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها
الرسل والانبياء والشهداء وأئمة
الهدى وسائر الجنات حولها وفيها
عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت
والذهب فتهب الريح من تحت
العرش فتدخل عليهم كثبان المسك
الابيض وقال عبد الله بن عمرو ان
في الجنة قصرا يقال له عدن حوله
البروج وله خمسة آلاف باب على كل
باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي
أو صديق أو شهيد وفي هذه الاخبار
دلالة على أن عدنا علم ويؤيده قوله

التي وعد الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب أن أصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا أقام به ومنه
المعدن الذي تخلق فيه الجواهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا أن يغلب الاسم على بعضها (ورضوان من الله) شئ يسير من
ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على أن

السعادات الروحانية أعلى حالا وأشرف مآلا من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على أن الاعتراف بال
الجسمانية واجب من حيث الشرع (ذلك) الموعود والرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان اهل
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل

قالوا وأى شئ أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا ثم عاد مرة أخرى الى شرح أحوال المنافقين فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) قال النحاك أى جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف بأن النسخ يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرفه الله حالهم فصاروا كسائر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بأنه وان علم حالهم بالوحى الا أنه مأمور بأن يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح أن الجهاد بذل المجهود في حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه بأن يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها واعترض عليه بأن اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر عنه بأنه قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق أولان الغالب ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه منافقا

قال النحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيأ من ذلك فأنزل الله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر

عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول
الله عليه وسلم ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل
فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل
قالوا يارب وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا حد
حميد قال ثنى يعقوب عن حفص عن شمر قال يجئ القرآن يوم القيامة في صورة الرجل
الى الرجل حين ينشق عنه قبره فيقول أبشر بكرامة الله أبشر برضوان الله فيقول من أنت
بالخير ومن أنت فيقول أنا القرآن الذي كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك فيحمله على
يوافي به ربه فيمثل بين يديه فيقول يارب عبدك هذا أجزه عني خيرا فقد كنت أسهر ليله وأظ
وآمره فيطيعني وأنهاه فيطيعني فيقول الرب تبارك وتعالى فله حلة الكرامة فيقول أى
فانه أهل ذلك فيقول فله رضواني قال ورضوان من الله أكبر وابتدئ الخبر عن رضوان الله
والمؤمنات أنه أكبر من كل ماذكر جل ثناؤه فرفع وان كان الرضوان فيما قد وعدهم ربهم
في الاعراب على الجنات والمساكن الطيبة ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين
ماقسم لهم من فضله واعطاهم من كرامته نظير قول القائل في الكلام لآخر اعطيتك
بكذا وأكرمتك ورضاى بعد عنك أفضل ذلك هذه الاشياء التي وعدت المؤمنين والمؤ
الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم لانهم ظفروا بكرامة الأبد ونجوا من
السفر فهو الفوز العظيم الذي لا شئ أعظم منه ﴿القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)﴾ يقول تعالى ذكره
جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين واختلف أهل التأويل في صفة الجهاد
الله نبيه به في المنافقين فقال بعضهم أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهاد
من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم عن حس
عن علي بن الاقمر عن عمرو بن جندب عن ابن مسعود في قوله تعالى جاهد الكفار
قال بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجه
آخرون بل أمره بجهادهم باللسان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا
قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنا
عليهم فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم حدثنا
قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس جاهد الكفار
قال الكفار بالقتال والمنافقين أن تغلظ عليهم بالكلام حدثت عن الحسين بن
سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله جاهد الكفار
واغلظ عليهم يقول جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم
آخرون بل أمره باقامة الحدود عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى
محمد بن ثور عن معمر عن الحسن جاهد الكفار والمنافقين قال جاهد الكفار بالسيف
بالحدود أقم عليهم حدود الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن

ين اقتتلا رجل من جهينة و رجل من غفار فظهر الغفارى على الجهنى فنادى عبد الله بن أبى يا بنى الأوس انصروا أخاكم فوالله ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فحلف بالله ما قال فنزلت الآية (وكفروا بعد اسلامهم) أنهم أظهروا الكفر بعد ما كانوا يظهرون الاسلام أما قوله (وهموا بما لم ينالوا) فهو القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك أنه توافق خمسة عشر رجلا منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل و كان عمار بن ياسر أخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل و بقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقدم فى تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبى وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم) كقول القائل

* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *

وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجمعوا الاموال وروى أنه قتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال (فان يتوبوا يك) يعنى ذلك الرجوع (خيرا لهم) و كان الجلاس

نبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد بالسيف و يغلظ على المنافقين فى الحدود * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل عندى بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين الذى أمره به من جهاد المشركين فان قال قائل فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين ظهرانى أصحابه مع علمه بهم قيل ان الله تعالى ذكره انما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر وأقام على اظهاره ما أظهر من ذلك وأما من اذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكره وراجع عنها وقال انى مسلم فان حكم الله فى كل من أظهر الاسلام بلسانه أن يحقن بذلك له دمه وان كان معتقدا غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ولم يجعل للخلق البحث عن ضمائر ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله اياه على ضمائرهم واعتقاد قلوبهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على كفره بالله لان أحدهم كان اذا اطلع عليه انه قد قال قولا كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الاسلام بلسانه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه الا بما أظهر له من قوله عند حضوره اياه وعزمه على ما هو الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ودون اعتقاد ضميره الذى لم يبح الله جل ثناؤه الأخذ به فى الحكم وتولى الاخذ به هو دون خلقه وقوله واغلظ عليهم يقول تعالى ذكره واشدد عليهم بالجهاد والقتال والارعاب وقوله ومأواهم جهنم يقول ومساكنهم جهنم وهى مثواهم ومأواهم وبئس المصير يقول وبئس المكان الذى يصار اليه جهنم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير ﴾ اختلف أهل التأويل فى الذى نزلت فيه هذه الآية والقول الذى كان قاله الذى أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ما قاله فقال بعضهم الذى نزلت فيه هذه الآية الجلاس بن سويد بن الصامت وكان القول الذى قاله ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت فى الجلاس بن سويد بن الصامت قال ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمير فقال له ابن امرأته بلى والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فانى ان لا أفعل أخاف أن تصيبنى قارعة أو تأخذ بخطيئتك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الجلاس فقال يا جلاس أقلت كذا وكذا فحلف ما قال فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه قال نزلت هذه الآية يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم فى الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من حميرنا التى نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وخشيت أن ينزل فى القرآن أو تصيبنى قارعة أو ان أخطأ قلت

فحسنت توبته (وان يتولوا) يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا) بالقتل والسبى واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم من الهون ومعاينة ملائكة العذاب وقيل فى القبر وأما عذاب الآخرة فعلوم (وما لهم فى الارض) يحتمل أرض الدنيا وأرض القيامة ثم بين هؤلاء كما يا فقون الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال (ومنهم من عاهد الله) يروى عن أبى امامة الباهلى

أن ثعلبة بن حاطب الانصارى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال فضة وذهبا لسارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأوتين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ماسواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر خبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا وأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما ففعلا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية ما أدرى ماهذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الى فانطلقا وأخبرا السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسى بها طيبة فأخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال أروني كتابكما ثم قال ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فخرج اليه وقال يا ويحك أنت يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبل منه شيئا

يارسول أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة أن أؤاخذ بخطيئته أو فارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له ياجلاس أقلت الذى قال فحلف الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال تلك المقالة فيما بلغنى الجلاس بن سويد بن الصامت فرفعها عنه رجل كان فى حجره يقال له عمير بن سعيد فانكر فحلف بالله ما قال فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغنى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كلمة الكفر قال أحدهم لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فقال له رجل من المؤمنين ان ما قال لحق ولأنت شر من حمارك فارتد المنافقون بقتله فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى أيوب بن اسحق بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم الى آخر الآية * وقال آخرون بل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول قالوا والكلمة التى ماحدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله ما قالوا الى قوله ولا نصير قال ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار وظهر الغفارى على الجهنى فقال عبد الله بن أبى للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف ما قاله فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال فى عبد الله بن أبى ابن سلول * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها وجائز أن يكون ذلك القول ماروى عن عروة أن الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبد الله بن سلول والقول ماذكر قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بان ذلك من أى اذ كان لا خبر باحدهما يوجب الحجة ويتوصل به الى يقين العلم به وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل فالصواب ان يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأما قوله وهموا بما لم ينالوا فان أهل التأويل اختلفوا فى الذى كان هم بذلك (١) وما الشئ الذى كان هم به أفتل ابن امرأته الذى سمع منه ما قال وخشى ان يفشيه عليه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون بقتله يعنى قتل المؤمن الذى قال ما قال

(١) فى العبارة سقط ولعل الاصل فقال بعضهم كان الذى هم الجلاس بن سويد والشئ الذى كان هم به قتل ابن امرأته

شيأ رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها فقبض أبو بكر وأبى أن يقبلها ثم ردها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وكذا فى خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول وماذا الا بشؤم اللجاج أولا وآخرا قال بعض العلماء المعاهدة أعم من أن تكون باللسان أو بالقلب وقال المحققون انه لابد من التلفظ بها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن أمتى ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول اللسانى والمراد بالفضل ايتاء المال بطريق التجارة أو الاستغنام ونحوهما وأصل لنصدقن لنتصدقن أدغمت التاء فى الصاد والمصدق المعطى لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ومعنى قوله (ولنكونن من الصالحين) عن ابن عباس أنه أراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعى والتولى نقض العهد والاعراض أراد به الاحجام عن تكاليف الله وأن ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولا طلاق لفظة البخل عليه وهو فى عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة فى قوله لنصدقن هى الصدقة الواجبة وأن الرجل قد عاهد ربه أن يقوم بما

أن شر من الحمار فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد به ٭ وقال آخرون كان الذى هموا به رجلا من قريش والذى هموا به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شبل عن جابر عن مجاهد فى قوله وهموا بما لم ينالوا قال رجل من قريش هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الاسود ٭ وقال آخرون الذى هموا به عبد الله بن أبى ابن سلول وكان همه الذى نالوه قوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل من قول قتادة وقد ذكرناه وقوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر لنا أن المنافق الذى ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر كان فقيرا فأغناه الله بأن قتل له مولى فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته فلما قال ما قال قال الله تعالى وما نقموا يقول ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وكان الجلاس قتل له مولى فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى فذلك قوله وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله ٭ قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قضى النبى صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا فى مولى لبنى عدى بن كعب وفيه أنزلت هذه الآية وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال كانت لعبد الله بن أبى دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان قال ثنا عمرو قال سمعت عكرمة ان مولى لبنى عدى بن كعب قتل رجلا من الانصار فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا وفيه أنزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال عمرو لم أسمع هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من عكرمة يعنى الدية اثنى عشر ألفا **حدثنا** صالح بن مسمار قال ثنا محمد بن سنان العوقى قال ثنا محمد بن مسلم الطائفى عن عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثنى عشر ألفا فذلك قوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال يأخذ الدية وأما قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم يقول تعالى ذكره ان يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذى قالوه فرجعوا عنه يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق وان يتولوا يقول وان يدبروا عن التوبة فيأبوها ويصروا على كفرهم يعذبهم الله عذابا أليما يقول يعذبهم عذابا موجعا فى الدنيا اما بالقتل واما بعاجل خزى لهم فيها ويعذبهم فى الآخرة بالنار وقوله وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير يقول وما لهؤلاء المنافقين ان يعذبهم الله فى عاجل الدنيا من ولى يواليه على منعه من عقاب الله ولا نصير ينصره من الله فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ان احتاجوا الى نصرهم وذكر أن الذى نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه

يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر من المندوبات لا دليل فى الآية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن فى وقته الذى يليق به وفى الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما

ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه (فاعقبهم نفاقا) عن الحسن وقتادة ان أعقب مسند الى ضمير البخل أو رتهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التأويل ان جعل عائدا الى التولى أو الاعراض وضعف حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب (١٣٠) وذلك لا يمكن جعله مؤثرا فى حصول النفاق فى القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو أمر وجودى والعدم لا يؤثر فى الوجود ولان هذا الترك قد يوجد فى حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو أوجب حصول الكفر فى القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا أو محرما فسبب اختلافات الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل أو التولى أو الاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الآية ان التولى أوجب النفاق بسبب التولى وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا أن يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على أن خالق الكفر فى القلوب هو الله ومن هنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا فى الماضى فالله تعالى يضلهم عن الدين فى المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير فى أعقب لله أن الضمير فى قوله (الى يوم يلقونه) عائد الى الله وللمعتزلة أن يقولوا النفاق وان سلم انه وجودى لكنه أمر شرعى ولا يبعد جعل شئ عدمى أمارة عليه وأيضا الترك المقرون بالتولى والاعراض لا نسلم أنه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم أن البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من أين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز أن يراد فأعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم فى قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف أو يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا ولاهل السنة أن يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع أن الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الآية

فان يتوبوا يك خيرا لهم قال قال الجلاس قد استثنى الله لى التوبة فانا أتوب فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم الآية فقال الجلاس يا رسول الله انى أرى الله قد استثنى لى التوبة فانا أتوب فتاب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ۞ القول فى تأويل قوله (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من عاهد الله يقول أعطى الله عهد الله لئن آتانا من فضله يقول لئن أعطانا الله من فضله ورزقنا مالا ووسع علينا من عنده لنصدقن يقول لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربنا ولنكونن من الصالحين يقول ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به وانفاقه فى سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى فرزقهم الله وآتاهم من فضله فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذى آتاهم يقول يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة ولم ينفقوا منه فى حق الله وتولوا يقول وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله وهم معرضون عنه فأعقبهم الله نفاقا فى قلوبهم بخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله واخلافهم الوعد الذى وعدوا الله ونقضهم عهده فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه من الصدقة والنفقة فى سبيله وبما كانوا يكذبون فى قيلهم وحديثهم التوبة منه لانه جل ثناؤه اشترط فى نفاقهم أنه أعقبهموه الى يوم يلقونه وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا ۞ واختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتانى الله من فضله آتيت منه كل ذى حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله فأخلف الله ما وعده وأغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه فى القرآن ومنهم من عاهد الله الآية الى قوله يكذبون **حدثنى** المثنى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا محمد بن شعيب قال ثنا معاذ بن رفاعة السلمى عن أبى عبد الملك على بن يزيد الالهانى أنه أخبره عن القاسم ابن عبد الرحمن انه أخبره عن أبى امامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الانصارى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم

على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ فى الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصرى أن نقض العهد يوجب
النفاق لاستحالة تمسكا بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب
واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان وقال عطاء بن أبى رباح حدثنى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى

يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله
اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال
وأنزل الله خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان
الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى
أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا أخت الجزية ما أدرى ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى
فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد
أن تأخذ هذا منك قال بلى فخذوه فان نفسى بذلك طيبة وانما هى لى فأخذوها منه فلما فرغا من
صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال أروانى كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا أخت الجزية
انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل
أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى فأنزل الله تبارك
وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله
وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج
حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه
وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثى على رأسه
التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى ان يقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ
ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من
الانصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها فقبض
أبو بكر ولم يقبضها فلما ولى عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا لا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها ثم ولى عثمان رحمة الله عليه فأتاه فسأله
أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما
وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رحمة الله عليه **حدثنا** بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية ذكر لنا أن رجلا
من الانصار أتى على مجلس من الانصار فقال لئن آتاه الله مالا ليؤدين الى كل ذى حق حقه فآتاه الله
مالا فصنع فيه ما تسمعون قال فلما آتاهم من فضله بخلوا به الى قوله وبما كانوا يكذبون ذكر لنا ان
نبى الله صلى الله عليه وسلم حدث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة الى بنى اسرائيل
قالت بنو اسرائيل ان التوراة كثيرة وانا لا نفرغ لها فسل لنا ربك جماعا من الامر نحافظ عليه
ونتفرغ فيه لعلنا يشتنا قال يا قوم مهلا مهلا هذا كتاب الله ونور الله وعصمة الله قال فأعادوا عليه فأعاد
عليهم قالها ثلاثا قال فأوحى الله الى موسى ما يقول عبادى قال يا رب يقولون كيت وكيت قال
فانى آمرهم بثلاث ان حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة أن ينتهوا الى قسمة الميراث فلا يظلموا

ما ينطوى عليه الصدر والنجوى ما يكون بين اثنين وأكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كما مر فى الانجاء كأن
المتناجيين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الآية كيف تتجرؤن على النفاق الذى الاصل فيه الاستسرار والتناجى فيما بينهم
مع أنه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على أى وجه يفرض

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على أن يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يارسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها فى سبيل الله وأمسكت نصفها لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وقيل صولحت احداهما على ثمانين ألفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال أجرت الليلة الماضية نفسى من رجل لارسال الماء الى نخله فاخذت صاعين من تمر أمسكت أحدهما لعيالى وأقرضت الآخر لربى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر والله غنى عن صاعه فأنزل الله سبحانه (الذين يلمزون المطوعين) أى المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شئ قليل يعيش به المقل قاله الليث وقال الفراء الضم لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبى الاول فى العمل والثانى فى القوة (سخر الله منهم) خبر لادعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة أو المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد أنه تعالى يكافئهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليه وانما توجه الذم على المنافقين فى هذا اللمز لان الحامل بالرياء لمن يعطى الكثير كعبد الرحمن بن عوف وعاصم حكم على بواطن الامور ودلك أمر استأثر الله به ورسوله فذكر وأيضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما لم يقدر الا على ذلك فقد بذل كل ماله فعلم منه غالبا أنه ان قدر على أكثر من ذلك لم يكن منه منع وسخاء الانسان فى أن يضم نفسه الى أهل الخير والدين خير له من أن يضم نفسه الى أهل الكسل والبطالة ولو لم تكن فيه الا الثقة بالله والخروج

فيها ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم وأن لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤا وضوء الصلاة قال فرجع بهن نبى الله صلى الله عليه وسلم الى قومه ففرحوا ورأوا أنهم سيقومون بهن قال فوالله ما لبث القوم الا قليلا حتى جنحوا وانقطع بهم فلما حدث نبى الله بهذا الحديث عن بنى اسرائيل قال تكفلوا لى بست أتكفل لكم بالجنة قالوا ما هن يارسول الله قال اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا أؤتمنتم فلا تخونوا وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم أبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم عن الزنا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ثلاث من كن فيه صار منافقا وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا وعد أخلف * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجلان أحدهما ثعلبة والآخر معتب بن قشير ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى الآخر وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير هما من بنى عمرو بن عوف **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله قال رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم الله بخلوا به **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم بخلوا به فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا لنصدقن فلم يفعلوا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين فلما آتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا به بذلك أعقبهم بذلك نفاقا الى يوم يلقونه ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو كما أصاب ابليس حين منعه التوبة * قال أبو جعفر فى هذه الآية الابانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق أعنى فى قوله فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ووردت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض من قال ذلك **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر وأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله يكذبون **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن صبيح بن عبد الله بن عميرة عن عبد الله بن عمر قال ثلاث من كن فيه كان منافقا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان قال وتلا هذه الآية ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر الآية **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت صبيح بن عبد الله القيسى يقول سألت عبد الله بن عمر وعن المنافق

مرهم من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلا ﴿ التأويل بعضهم أولياء بعض لان التعارف فى عالم الارواح
ب التآلف فى عالم الاشباح يأمرون بالمعروف الحقيقى أى بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فأحببت أن أعرف وينهون عن
كر وهو ما يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلاة الحقيقية ويؤتون الزكاة يعنى ما فضل عن كفافهم

كنحوه حدثنى محمد بن معمر قال ثنا أبو هشام المخزومى قال ثنا عبد الواحد بن زياد
ثنا عثمان بن حكيم قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول كنت أسمع أن المنافق يعرف
ن بالكذب والاخلاف والخيانة فالتمستها فى كتاب الله زمانا لا أجدها ثم وجدتها فى آيتين
كتاب الله قوله ومنهم من عاهد الله حتى بلغ وبما كانوا يكذبون وقوله انا عرضنا الامانة على
وات والارض هذه الآية حدثنى القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا أسامة قال ثنا
المخزمى قال سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق
صلى وصام وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان فقلت للحسن
سعيد لئن كان لرجل على دين فلقينى فتقاضانى وليس عندى وخفت أن يحبسنى ويهلكنى
عدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل أمنافق أنا قال هكذا جاء الحديث ثم حدث عن عبد الله
عمر وأن أباه لما حضره الموت قال زوجوا فلانا فانى وعدته أن أزوجه لا ألقى الله بثلث النفاق
قلت يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن قال هكذا جاء الحديث قال فحججت
عطاء بن أبى رباح فأخبرته الحديث الذى سمعته من الحسن وبالذى قلت له وقال لى فقال
ت أن تقول له أخبرنى عن اخوة يوسف عليه السلام ألم يعدوا أباهم فأخلفوه وحدثوه
وه وأتمنهم فخانوه أمنافقين كانوا ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبى وجدهم نبى قال فقلت لعطاء
لحسن حدثنى بأصل النفاق وبأصل هذا الحديث فقال حدثنى جابر بن عبد الله أن رسول الله
الله عليه وسلم انما قال هذا الحديث فى المنافقين خاصة الذين حدثوا النبى فكذبوه وأتمنهم على
خانوه ووعدوه أن يخرجوا معه فى الغزو فأخلفوه قال وخرج أبو سفيان من مكة فأتى جبريل
صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين
ان محمدا يريد كم فخذوا حذركم فأنزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون
فى المنافقين ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم
بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فاذا لقيت الحسن فاقرئه السلام وأخبره بأصل
الحديث وبما قلت لك قال فقدمت على الحسن فقلت يا أبا سعيد ان أخاك عطاء يقرئك السلام
وبالحديث الذى حدث وما قال لى فأخذ الحسن بيدى فأمالها وقال يا أهل العراق أعجزتم
ن تكونوا مثل هذا سمع منى حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله صدق عطاء هكذا الحديث
فى المنافقين خاصة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يعقوب عن الحسن قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وان صلى وصام وزعم أنه مسلم فهو منافق فقيل
يا رسول الله فقال النبى عليه السلام اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنا ميسرة عن الاوزاعى
ون بن رباب عن عبد الله بن عمرو بن وائل أنه لما حضرته الوفاة قال ان فلانا خطب الى
وانى كنت قلت له فيها قولا شبيها بالعدة والله لا ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم انى قد زوجته
قوم كان العهد الذى عاهد الله هؤلاء المنافقون شيأ نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به

أنفسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم فى الازل ﴿ استغفر
أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا

ضرورى ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا أيها النبى يعنى القلب الذى له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى تمرن نفوسهم والا فأواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى توجب الانكار والاعتراض على الشيخ وهموا بما لم ينالوا أى أثبتوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل أوانها وما نقموا الا أن الشيخ زباهم بلبان فضل الله عن حملة الولاية فلم يحتملوا الضيق حوصلة الهمة ومريد الطريقة أعظم من مريد الشريعة فلهذا يكون عذابه أليما فى الدنيا والآخرة كما قال الجنيد لو أقبل صديق الى الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فان ما فاته أكثر مما نال ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى لئن آتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما أعطانا فيما أعطى لاجله الى يوم يلقونه أى يلقون جزاء النفاق وأن الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به أنفسهم وهو غيب عن الخلق ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو

يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا
بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم
كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ۞ القراآت معى أبدا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص فقط ۞ الوقوف أولا تستغفر لهم ط فلن يغفر الله لهم ط ورسوله ط الفاسقين ○ فى الحر ط حرا م لأن المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لأوهم ان جهنم لا يكون نارها أشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون ○ كثيرا ج لان جزاء يصلح أن يكون مفعولا له أو مصدر محذوف أى يجزون جزاء يكسبون ○ معى عدوا ط الخالفين ○ على قبره ط فاسقون ○ وأولادهم ط كافرون ○ القاعدين ○ لا يفقهون ○ وأنفسهم ط الخيرات ز لابتداء وعد الفلاح على التعظيم بدليل تكرار أولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون ○ خالدين فيها ط العظيم ○ ۞ التفسير عن ابن عباس ان عند نزول الآية الاولى فى المنافقين

ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت معتمر بن سليمان التيمى
ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة فنذر قوم منا نذورا ونويت أنا لم أتكلم به فلما قدمت البصرة
سألت أبى سليمان فقال لى يا بنى فه به * قال معتمر و ثنا كهمس عن سعيد بن ثابت قال
ومنهم من عاهد الله الآية قال انما هو شئ نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع الى قوله ألم يعلموا
أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم
سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون
بالله ورسوله سرا ويظهرون الايمان بهما لاهل الايمان بهما جهرا أن الله يعلم سرهم الذى يسرون
فى أنفسهم من الكفر به وبرسوله ونجواهم يقول ونجواهم اذا تناجوا بينهم بالطعن فى الاسلام
وأهله وذكرهم بغير ما ينبغى أن يذكروا به فيعذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن
يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم للاسلام وأهله فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه
الله علام الغيوب يقول ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم
مما أكنته نفوسهم فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة فيها هم ذلك عن خداع أوليائه بالايمان
والكذب ويزجرهم عن اضمار غير ما يبدونه واظهار خلاف ما يعتقدونه ۞ القول فى
تأويل قوله ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم
فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره الذين يلمزون المطوعين
فى الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم فى أموالهم ويطعنون فيها
بقولهم انما تصدقوا به رياء وسمعة ولم يريدوا وجه الله ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون
به الا جهدهم وذلك طاقتهم فينتقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا
منهم بهم فيسخرون منهم سخر الله منهم وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه فى
هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا ولهم عذاب أليم يقول ولهم من عند الله يوم القيامة
موجع مؤلم وذكر ان المعنى بقوله المطوعين من المؤمنين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى
الانصارى وأن المعنى بقوله والذين لا يجدون الا جهدهم أبو عقيل الاراشى أخو بنى أنيف
من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس
قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال جاء عبد الرحمن ابن عوف بأربعة آلاف
من ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم وجاء رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين
والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع
محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين يلمزون
المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج الى الناس يوما فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم قام
من أحوجهم بمن من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى
صاعين من تمر فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبثه فى
الصدقات فسخر منه رجال وقالوا والله ان الله و رسوله لغنيان عن هذا وما يصنعان بصاعك

قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المفسرين من قال انهم
طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى أقدم على ذلك
ثم ان الدليل قد يدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر فى شرعه ان الاستغفار للكافر غير جائز ولان الاستغفار

ن يجرى مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم غير مجاب الدعوة وان أكثر فى الدعاء ومن الفقهاء
قال التخصيص بالعدد المعين يدل على أن الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روى أنه لما نزلت الآية قال صلى الله عليه وسلم لأزيدن
السبعين فنزل سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا أنه فهم بدليل الخطاب أن

ن عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بنى زهرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى
ى أحد من أهل هذه الصدقات فقال لا فقال عبد الرحمن بن عوف ان عندى مائة أوقية من ذهب
ى الصدقات فقال له عمر بن الخطاب أمجنون أنت فقال ليس بى جنون فقال أتعلم ما قلت قال نعم
ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربى وأما أربعة آلاف فلى فقال له رسول الله صلى الله
ه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وكره المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن
ى عوف عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان به متطوعا فأنزل الله عذره وعذر صاحبه المسكين
ى جاء بالصاع من التمر فقال الله فى كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية
ثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين يلمزون
وعين من المؤمنين قال جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف فلمزه المنافقون وقالوا
و والذين لا يجدون الا جهدهم قال رجل من الانصار آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره فجاء
لمزوه وقالوا كان الله غنيا عن صاع هذا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
ى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن
ى أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين
زون المطوعين من المؤمنين الآية قال أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله فتقرب به الى الله
ر المنافقون فقالوا ما أعطى ذلك الا رياء وسمعة فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له حبحاب
تقبل فقال يا نبى الله بت أجر الجرير على صاعين من تمر أما صاع فأمسكته لاهلى وأما صاع
قوه فقال المنافقون والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا فأنزل الله فى ذلك القرآن الذين يلمزون
ية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يلمزون
وعين من المؤمنين فى الصدقات قال تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله وكان ماله ثمانية
ى دينار فتصدق بأربعة آلاف دينار فقال ناس من المنافقين ان عبد الرحمن بن عوف لعظيم
فقال الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات وكان لرجل صاعان من تمر فجاء
حدهما فقال ناس من المنافقين ان كان الله عن صاع هذا الغنيا فكان المنافقون يطعنون عليهم
سخرون بهم فقال الله والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب
حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطى قال ثنا أبو عوانة عن أبى سلمة عن أبيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تصدقوا فانى أريد أن أبعث بعثا قال فقال عبد الرحمن بن
ى يا رسول الله ان عندى أربعة آلاف ألفين أقرضهما الله وألفين لعيالى قال فقال رسول الله
ى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت فقال رجل من الانصار وان
صدى صاعين من تمر صاعا لربى وصاعا لعيالى قال فلمز المنافقون وقالوا ما أعطى ابن عوف هذا
ياء وقالوا أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا
جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال
ب الناس جهد شديد فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدقوا فجاء عبد الرحمن

لم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك أو أريد خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان
عدون لما لم يوافقوهم فى القعود فكأنهم خلفوهم أو أطلق عليهم المخلفون باعتبار أنهم سيصيرون ممنوعين من الخروج فى الآية
ية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معى عدوا ومعنى (بمقعدهم) بقعودهم قاله مقاتل أو بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس

الامر فيما وراء السبعين بالخلاف
لم يقل لأزيدن على ذلك وأجيب بأنه
أراد اظهار الرحمة والرأفة بأمته
ودعاء لهم الى ترحم بعضهم لبعض
لا أنه فهم منه ذلك كيف وقد قال
تعالى لن يغفر الله لهم وأرد فه بقوله
ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله
فليس المقصود بهذا العدد تحديد
المنع وانما هو كقول القائل لمن
يسأله حاجة لو سألتنى سبعين مرة
لم أقضها ولهذا بين العلة التى لاجلها
لا ينفعهم استغفار الرسول وهى
كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم
فى الزيادة على السبعين وذكر
بعضهم لتخصيص السبعين وجها
هو أن السبعة عدد شريف لانه
عدد السموات والارضين والبحار
والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء
وأيام الاسبوع فضرب السبعة فى
عشرة لان الحسنة بعشر أمثالها
وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه
وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة
وكأنه قال ان تستغفر لهم سبعين
مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا
وقد مر فى تفسير قوله قل أنفقوا
طوعا أو كرها أن هذا أمر فى معنى
الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم
استغفرت لهم أم لا وانتصاب سبعين
على المصدر كقولك ضربته عشرين
ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح
أفعالهم فقال (فرح المخلفون) قيل
انهم احتالوا أن يتخلفوا وكان الاولى
أن يقال فرح المتخلفون وأجيب

ومعنى (خلاف رسول الله) صلى الله عليه وسلم مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على مفعول له أى قعدوا لاجل خلافه أو على الحال مثل فأرسلها العراك أى مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الأمام التى يقصدها الانسان يخالفها جهة الخلف (وكرهوا أن يجاهدوا) كما لا يكرهون وليس فيهم باعث الايمان وداعى الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين أموالهم وأرواحهم فى الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم أن الفرح بالاقامة يدل على كراهية الذهاب الا أنه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد أنه مال طبعهم الى الاقامة لافهم بالبلد واستئناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) أن بعد هذه الدار دارا أخرى وبعد هذه الحياة حياة أخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكأنه صاحب الكشاف

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم انها شبه أنصاب
فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

وفى هذا استجهال عظيم لهم ثم قال (فليضحكوا) وهو خبر الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فسيضحكون قليلا أى ضحكا قليلا أو زمانا قليلا وسيبكون كثيرا روى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح فى سائر الغزوات فقال (فان رجعك الله الى طائفة منهم) أى ان رد ذلك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المخلفين من المنافقين (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) عاقبهم بإسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم المانع من

بأربعمائة أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فيما أمسك فقال المنافقون ما فعل عبد الرحمن هذا الا رياء وسمعة قال وجاء رجل بصاع من تمر فقال يا رسول الله بت نفسى بصاعين فانطلقت بصاع منهما الى أهلى وجئت بصاع من تمر فقال المنافقون ان الله غنى عن صاع هذا فأنزل الله هذه الآية والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية وكان من المطوعين من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف دينار وعاصم بن عدى أخو بنى عجلان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا اما هذا الا رياء وكان قد تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف الاراشى حليف بنى عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن سليمن عن أبى وائل عن أبى مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان كنا نعمل قال فجاء رجل فتصدق بشئ كثير وجاء رجل فتصدق بصاع تمر فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن حباب عن موسى بن عبيدة قال ثنى خالد بن يسار عن ابن أبى عقيل عن أبيه قال بت أجر الجرير على ظهرى على صاعين من تمر فانقلبت بأحدهما الى أهلى يتبلغون به وجئت بالآخر أتقرب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال انثره فى الصدقات فسخر المنافقون منه وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآيتين **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أنا الجريرى عن أبى السليل قال وقف على الحى رجل فقال ثنى أبى أو عمى فقال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له بها عند الله يوم القيامة قال فقام عمامة لى قال فنزعت لوثا أو لوثين لأتصدق بهما قال ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم فعصبت بهما قال فجاء رجل لا أرى بالبقيع رجلا أقصر قة ولا أشد سوادا ولا أدم لعينى منه يقود ناقة لا بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها قال أصدقة هى يا رسول الله قال نعم قال فدونكها بخطامها أو بزمامها قال فلمزه رجل جالس فقال والله انه ليتصدق بها ولهى خير منه فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو خير منك ومنها يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الله ابن عبد الله بن كعب بن مالك يقول الذى تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون أبو خيثمة الانصارى **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العبادانى قال ثنا عامر بن يساف اليمامى عن يحيى بن أبى كثير اليمامى قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها فى سبيل الله

مسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أعطيت وفيما
مسكت وجاء رجل آخر فقال يا رسول الله بت الليلة أجر الماء على صاعين فأما أحدهما فتركت
عيالي وأما الآخر فجئتك به أجعله في سبيل الله فقال بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت
قال ناس من المنافقين والله ما أعطى عبد الرحمن الا رياء وسمعة ولقد كان الله ورسوله غنيين
ن صاع فلان فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن
وف والذين لا يجدون الا جهدهم يعني صاحب الصاع فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم
ذاب أليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال
ل ابن عباس أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم واذا عبد الرحمن بن عوف
اء بأربعة آلاف فقال هذا مالي أقرضه الله وقد بقي لي مثله فقال له بورك لك فيما أعطيت
يما أمسكت فقال المنافقون ما أعطى الا رياء وما أعطى صاحب الصاع الا رياء ان كان الله
رسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
و زيد في قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الى قوله ولهم عذاب أليم قال
ر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا فقام عمر بن الخطاب فألفى مالا وافرا فاخذ نصفه
ل فجئت أحمل مالا كثيرا فقال له رجل من المنافقين ترائي يا عمر فقال عمر أرائي الله ورسوله وأما
هما قلا قال ورجل من الانصار لم يكن عنده شئ فآجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين
ت فترك صاعا لعياله وجاء بصاع يحمله فقال له بعض المنافقين ان الله ورسوله عن صاعك
يان فذلك قول الله تبارك وتعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين
جدون الا جهدهم هذا الانصاري فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وقد بينا معنى
سخر في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى وأما قوله المطوعين فان معناه
تطوعين أدغمت التاء في الطاء فصارت طاء مشددة كما قيل ومن يطوع خيرا يعني يتطوع وأما
جهده فان للعرب فيه لغتين يقال أعطاني من جهده بضم الجيم وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ومن
جهده بفتح الجيم وذلك لغة نجد وعلى الضم قراءة الامصار وذلك هو الاختيار عندنا لاجماع الحجة من
قراء عليه وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية فانهم يزعمون أنهما مفتوحة
مضمومة بمعنى واحد وانما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوجد والوجد
بالضم والفتح من وجدت وروى عن الشعبي في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح
عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في القوت حدثنا ابن وكيع
قال ثنا حفص عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي مثله * قال ثنا ابن ادريس عن عيسى بن المغيرة
عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في المعيشة ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ استغفر لهم أولا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي
القوم الفاسقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين
وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة أو لا تدع لهم بها وهذا كلام خرج مخرج الامر وتأويله الخبر
ومعناه ان استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم يقول ان تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها
فلن يستر الله عليهم ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رؤوس الاشهاد يوم القيامة ذلك بانهم
كفروا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه هذا الفعل من الله بهم وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم من أجل

والطرد وصلاحا لامر الجهاد لما
في استصحابهم من المفاسد المذكورة
في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا ويعني بأول مرة غزوة
تبوك وانما لم يقل أول المرات معرفا
مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات
مرة مرة كانت هذه أولها نظيره هو
أفضل رجل يعني ان عد الرجال
رجلا رجلا كان هو أفضلهم وانما
لم يقل أولى مرة لان أكثر اللغتين
هند أكبر النساء ولا يكاد يقال هي
كبرى امرأة (فاقعدوا مع الخالفين)
كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين
والخالف من يخلف الرجل في قومه
وعن الاصمعي أنه الفاسد من خلف
اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء
معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا أن
الخالفين الذين أمروا بالقعود كانوا
اثني عشر رجلا عن ابن عباس أنه لما

أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للايمان
وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الايمان به وبرسوله ويروى عن رسول
صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية قال لأزيدن فى الاستغفار لهم على سبعين مرة رجاء
أن يغفر الله لهم فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم حدثنا
وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن أبى ابن سلول قال لا
لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله وهو القائل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الأعز منها الاذل فانزل الله استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
لهم قال النبى صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم
تستغفر لهم فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير
عن شبابة عن الشعبى قال دعا عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول النبى صلى الله عليه وسلم الى
أبيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال حباب بن عبد الله بن أبى فقال له النبى صلى
عليه وسلم بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ان الحباب هو الشيطان ثم قال النبى
السلام انه قد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم
أستغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين وألبسه النبى صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عرق حدثنا
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان تستغفر لهم
سبعين مرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم سأزيد على سبعين استغفارة فانزل الله فى السورة
يذكر فيها المنافقون لن يغفر الله لهم عزما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن
أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
جريج عن مجاهد نحوه * قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن
قال لما ثقل عبد الله بن أبى انطلق ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان أبى قد احتضر
فاحب أن تشهده وتصلى عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله
بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبى ان الحباب اسم شيطان قال فانطلق معه حتى شهده
قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له أتصلى عليه وهو منافق فقال ان الله قال ان تستغفر لهم
مرة فلن يغفر الله لهم ولأستغفرن له سبعين وسبعين قال هشيم وأشك فى الثالثة حدثنى
ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله استغفر لهم
أولا تستغفر لهم الى قوله القوم الفاسقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه
أسمع ربى قد رخص لى فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة فلعل الله أن يغفر لهم
الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى
القوم الفاسقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أستغفر لهم
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال نبى الله قد خيرنى ربى فلأزيدن
على سبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال
صلى الله عليه وسلم لأزيدن على سبعين فقال الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم
يغفر الله لهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا

اشتكى عبد الله ابن أبى ابن سلول عاده
رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب
منه أن يصلى عليه اذا مات ويقوم
على قبره ويعطيه قميصه الذى يلى
جلده ليكفن فيه ففعل كل ذلك
وعنه قال سمعت عمر بن الخطاب
يقول لما توفى عبد الله بن أبى دعى
رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة
عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة
تحولت حتى قمت فى صدره فقلت
يارسول الله أعلى عدو الله عبد الله
ابن أبى القائل يوم كذا كذا وكذا
أعدد أيامه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت
عليه قال أخر عنى ياعمر انى خيرت
فاخترت قد قيل لى استغفر لهم أولا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم ولو أعلم انى ان
زدت على السبعين غفر له لزدت

يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴾ يقول تعالى ذكره فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه بمقعدهم خلاف رسول الله يقول بجلوسهم فى منازلهم خلاف رسول الله يقول فى الخلاف لرسول الله فى جلوسه ومقعده وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر الى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا فى منازلهم وقوله خلاف مصدر من قول القائل خالف فلان فلانا اذا نهو يخالفه خلافا فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال كما يقال قاتله فهو يقاتله قتالا ولو كان مصدرا من خلفه لكانت القراءة بمقعدهم خلف رسول الله لان مصدر خلفه خلف لا خلاف ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خالف فقرئ خلاف رسول الله وهى القراءة التى عليها قراء الامصار وهى الصواب عندنا وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد على ذلك بقول الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما ❊ بسط الشواطب بينهن حصيرا

يريد فريب لمعنى ما قلنا لانهم قعدوا بعده على الخلاف له وقوله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يقول تعالى ذكره وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يعنى فى دين الله الذى شرعه لعباده لينصروه ميلا الى الدعة والخفض وايثارا للراحة على التعب والمشقة وشحا بالمال أن ينفقوه فى طاعة الله وقالوا لا تنفروا فى الحر وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم استنفرهم الى هذه الغزوة وهى غزوة تبوك فى حر شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض لا تنفروا فى الحر فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم التى أعدها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله أشد حرا من هذا الحر الذى تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه لو كان الذى هو أشد حرا أحرى أن يحذر ويتقى من الذى هو أقلهما أذى لو كانوا يفقهون يقول لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آى كتابه ولكنهم لا يفقهون عن الله فهم يحذرون من الحر أقله مكروها وأخفه أذى ويوافقون أشده مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى قوله يفقهون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك فى حر شديد فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر فى الحر فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بمقعدهم خلاف رسول الله قال من غزوة تبوك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد الى تبوك فقال رجل من بنى سلمة لا تنفروا فى الحر فأنزل الله قل نار جهنم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأجمع السير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد يقول الله جل ثناؤه وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله فليضحكوا فرحين قليلا فى هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم فانهم سيبكون طويلا فى جهنم مكان ضحكهم القليل

قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن أبى قال وما يغنى عنه قميصى وصلاتى من الله والله ان كنت لارجو أن يسلم به ألف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذى مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب أن يصلى عليه وذكر من أسباب

في الدنيا جزاء بقول ثوابا منالهم على معصيتهم بتركهم النفر اذا استنفروا الى عدوهم وقعودهم
في منازلهم خلاف رسول الله بما كانوا يكسبون يقول بما كانوا يجترحون من الذنوب
* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال
ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي رزين فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال يقول الله تبارك
وتعالى الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير
حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا
قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن
ويحيى قالا ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين في قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور
عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا
وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال (١) أجلهم أحد هذين الحدين
رفعه الى ربيع بن خيثم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن
فليضحكوا قليلا قال ليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة في نار جهنم جزاء بما كانوا
يكسبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليضحكوا قليلا أي في الدنيا
وليبكوا كثيرا أي في النار ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ذكر لنا أنه نودي عند ذلك أو قيل له لا تقنط عبادي حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا قليلا
قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة * قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي
رزين فليضحكوا قليلا قال في الدنيا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا
علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا قال هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا يقول الله تبارك وتعالى
فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد في قوله فليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا يوم القيامة كثيرا وقال ان الذين أجرموا
من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴿ القول في تأويل قوله ﴾
﴿ فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي
عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم فان ردك الله يا محمد الى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه فاستأذنوك للخروج
معك في أخرى غيرها فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود
مرة وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاقعدوا مع الخالفين يقول فاقعدوا مع
الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكم منهم فاقتدوا بهديهم
مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني
عن أبيه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفرنا في
وذلك في غزوة تبوك فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج فتخلف
عنه رجال فادركتهم نفوسهم فقالوا والله ما صنعنا شيأ فانطلق منهم ثلاثة فلحقوا برسول الله صلى

دفع القميص أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أسيرا بيد رولم يجد واله قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها أن المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ومنها أن ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول أكرمه لمكان ابنه ومنها اظهار الرأفة والرحمة كما مر قوله (مات) صفة لاحد (وابدا) ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تأبيد النفي (٢) ونفي التأبيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من أن يصلي على أحد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى

(١) أي أحد الحدثين في الآية هو الأجل والغرض من الحدثين القليل والكثير تأمل كتبه مصححه
(٢) عبارة الفخر وتأبيد المنفي وهي أوضح تأمل كتبه مصححه

صلى الله عليه وسلم فلما أتوه تابوا ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله ولا تقم على قبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الذين تخلفوا فأنزل الله عذرهم لما تابوا فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم وقال انه بهم رؤف رحيم

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله فاقعدوا مع الخالفين أي مع النساء ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين فقيل فيهم ما قيل

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فاقعدوا مع الخالفين والخالفون الرجال * قال أبو جعفر والصواب من التأويل في قوله الخالفين ما قال ابن عباس فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء فقول لا معنى له لان العرب لا تجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالواو والنون ولو كان معنيا بذلك النساء قيل فاقعدوا مع الخوالف أو مع الخالفات ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء واذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر فان العرب تغلب ذكور على الاناث ولذلك قيل فاقعدوا مع الخالفين والمعنى ما ذكرنا ولو وجه معنى ذلك الى فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفا اذا فسد ومن قولهم هو خلف سوء كان مذهبا وأصله اذا أريد به هذا المعنى من قولهم خلف اللبن يخلف خلوفا اذا خبث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد ومن قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه * القول في تأويل قوله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ولا تقم على قبره يقول ولا تتول دفنه وتقبره من قول القائل قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره إنهم كفروا بالله يقول انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الاسلام مفارقون أمر الله ونهيه وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع وسوار بن عبد الله قالوا ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر قال جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فاعطاه قميصه وقال اذا فرغتم فآذنوني فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر وقال أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال بل خيرني وقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم قال فصلى عليه قال فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره قال فترك الصلاة عليهم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلول أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني ربي فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على سبعين فقال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

حدثنا سوار بن عبد الله المزني قال ثنا يحيى بن سعيد عن مجالد قال ثني عامر عن جابر بن عبد الله أن رأس المنافقين بالمدينة أوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأن يكفن في قميصه فكفنه في قميصه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

قوله (ولا تقم على قبره) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره و (انهم كفروا) تعليل للنهي ويرد عليه أن الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم وأجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان أما قوله (ولا تعجبك أموالهم

حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس
رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول فأخذ جبريل
السلام بثوبه فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا ابن وكيع
ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وقد أدخل حفر
فاخرجه فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه والله أعلم حدثنا ابن حميد
ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد
ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول
رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قا
صدره فقلت يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد
ورسول الله عليه السلام يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت
قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلو أني أعلم أني
زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعج
لي وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان الا يسيرا حتى نز
هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منا
ولا قام على قبره حتى قبضه الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاص
عمر بن قتادة قال لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وس
فسأله قميصه فأعطاه فكفن فيه أباه حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث
ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس
عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي فذكر مثل حديث ابن حميد عن سلمة حدثنا
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تق
قبره الآية قال بعث عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عن
عمر فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أهلكك حب يه
قال فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن
فأعطاه اياه فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله
وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا
قال ذكر لنا ان نبي صلى الله عليه وسلم كلم في ذلك فقال وما يغني عنه قميصي من الله أو رب
عليه واني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثو
معمر عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض الى النبي صلى الله عليه وسل
دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أهلكك حب يهود قال يا رسول الله انما أرسلت
لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتؤنبني ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه فأعطاه اياه
عليه وقام على قبره فأنزل الله تعالى ذكره ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره
القول في تأويل قوله ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتز
أنفسهم وهم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجبك يا محمد
هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم اذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله
فاني انما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم بما ألزمه فيها من
والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات وتزهق أنفسهم يقول وليموت

وأولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت ألفاظ فوجب علينا أن نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى أعلم بمراده انما ذكر النهي ههنا بالواو وهناك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موتهم على حالة الفسق خلاف ما هناك وانما قال ههنا وأولادهم بدون لا لان المراد هناك الترقي من الادون الى الاعلى وهو أن اعجاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق اعجابهم بأموالهم كقولك لا يعجبني أمر النائب ولا أمر المنوب وههنا أراد المعية فقط اما اكتفاء بما سبق هناك واما لان هؤلاء أقوام آخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هناك لما علق الثاني بالاول تعليق الجزاء

(٣) كذا في النيسابوري أيضا ولعله مصحف آثامه ورواية البخاري أعدد قوله فحرر كتبه مصححه

نفسه من جسده فيفارق ما أعطيته من المال والولد فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ووبالا عليه حينئذ ووبالا عليه في الآخرة بموته جاحدا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن السدي وتزهق أنفسهم في الحياة الدنيا ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ يقول تعالى ذكره واذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن بان يقال لهؤلاء المنافقين آمنوا بالله يقول صدقوا بالله وجاهدوا مع رسوله يقول اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك أولو الطول منهم يقول استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله وقالوا ذرنا يقول وقالوا لك دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر ۞ وبنحو الذي قلنا في معنى الطول قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله استأذنك أولو الطول قال يعني أهل الغنى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أولو الطول منهم يعني الأغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم كان منهم عبد الله بن أبي والجد بن قيس فنعى الله ذلك عليهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ يقول تعالى ذكره رضي هؤلاء المنافقون الذين اذا قيل لهم آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين أن يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعود في منازلهن وبيوتهن وطبع على قلوبهم يقول وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها وقد بينا معنى الطبع وكيف الختم على القلوب فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ وبنحو الذي قلنا في معنى الخوالف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال والخوالف هن النساء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعني النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوبة أبو يزيد عن يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال النساء ۞ قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك مع الخوالف قال مع النساء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أي مع النساء حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قالا النساء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال مع النساء ۞ القول في تأويل قوله ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم فأنفقوا في جهادهم أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها وأولئك يقول وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا

بالشرط أكد معنى النهي بتكرار لا وانما قال ههنا أن يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو العذاب واما في الآية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدر وقيل الفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وأنه أينما ورد حرف التعليل فمعناه أن وانما حذف الحياة ههنا اكتفاء بما ذكر هناك وقيل تنبيها على ان الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها وأما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها جذابة للقلوب فتحتاج الى صارف قوي ويحتمل أن تكون الاولى في قوم والثانية في آخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى في المنافقين

بأموالهم وأنفسهم الخيرات وهى خيرات الآخرة وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها واحدتها خيرة كما قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات

والخيرة من كل شئ الفاضلة وأولئك هم المفلحون يقول وأولئك هم المخلدون فى الجنات الباقون فيها الفائزون بها ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات وهى البساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لابثين فيها لا يموتون فيها ولا يظعنون عنها ذلك الفوز العظيم يقول ذلك النجاء العظيم والحظ الجزيل ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فى التخلف وقعد عن المجىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله وقالوا الكذب واعتذروا بالباطل فيهم يقول تعالى ذكره سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم فان قال قائل فكيف قيل وجاء المعذرون وقد علمت أن المعذر فى كلام العرب انما هو الذى يعذر فى الامر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه وليست هذه صفة هؤلاء وانما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا فى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدوهم وحرصوا على ذلك فلم يجدوا اليه السبيل فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا أولى وأحق منهم بأن يوصفوا بأنهم عذروا اذا وصفوا بذلك فالصواب فى ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس وذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك قال كان ابن عباس يقرأ وجاء المعذرون مخففة ويقول هم أهل العذر مع مواساة مجاهد اياه وغيره عليه قيل ان معنى ذلك على غير ما ذهبت اليه وان معناه وجاء المعتذرون من الاعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها فصيرتا ذالا مشددة لتقارب مخرج احداهما من الاخرى كما قيل يذكرون فى يتذكرون ويذكر فى يتذكر وخرجت العين من المعذرين الى الفتح لان حركة التاء من المعتذرين وهى الفتحة نقلت اليها فحركت بما كانت به محركة والعرب قد توجه فى معنى الاعتذار الى الاعذار فتقول قد اعتذر فلان فى كذا يعنى أعذر ومن ذلك قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فقال فقد اعتذر بمعنى فقد أعذر على أن أهل التأويل قد اختلفوا فى صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرين فقال بعضهم كانوا كاذبين فى اعتذارهم فلم يعذرهم الله ذكر من قال ذلك حدثنى أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن الحسين قال كان قتادة يقرأ وجاء المعذرون من الأعراب قال اعتذروا بالكذب حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الاعراب قال نفر من بنى غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء أن هؤلاء القوم انما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق فغير جائز أن يوصفوا بالاعذار الا أن يوصفوا بأنهم أعذروا فى الاعتذار بالباطل فأما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء فغير جائز أن يوصفوا به وقد كان بعضهم يقول انما جاؤا معذرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله فمن ذهب الى هذا التأويل فلا كلفة فى ذلك غير أنى لا أعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله الى ذلك فاستصوبوا القول به وبعد فان الذى عليه من القراءة قراء الامصار التشديد فى الذال أعنى

ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة) أى بتمامها ويجوز أن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد (أن آمنوا) أن هى المفسرة لان انزال السورة فى معنى القول وقال الواحدى تقديره بأن آمنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان (أولوا الطول) ذوا الفضل والسعة من طال عليه طولا قاله ابن عباس والحسن وقال الأصم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم ألزم اذ لا عذر لهم فى القعود (مع القاعدين) مع أصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتى تخلفن فى البيت وجوز بعضهم أن

قوله المعذرون ففى ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار لان القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمر اعذر وافيه وانما كانوا فرقتين اما مجتهد طائع واما منافق فاسق لامر الله مخالف فليس فى الفريقين موصوف بالتعذير فى الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو معذر مبالغ أو معتذر فاذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة من القراء مجمعة على تشديد الذال من المعذرين علم أن معناه ما وصفناه من التأويل وقد ذكر عن مجاهد فى ذلك موافقة ابن عباس حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد وجاء المعذرون مخففة وقال هم أهل العذر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان المعذرون (١) ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها الى مغزاه حرج وهو الاثم يقول ليس عليهم اثم اذا نصحوا لله ولرسوله فى مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على المحسنين من سبيل يقول ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله فى تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله والله غفور رحيم يقول والله ساتر على ذنوب المحسنين بتعمدها بعفوه لهم عنها رحيم بهم أن يعاقبهم عليها وذكر أن هذه الآية نزلت فى عائذ بن عمرو والمزنى وقال بعضهم فى عبد الله بن مغفل ذكر من قال نزلت فى عائذ بن عمرو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله نزلت فى عائذ بن عمرو ذكر من قال نزلت فى ابن مغفل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزنى فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم فى كتابه فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الى قوله فهم لا يعلمون ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره ولا سبيل أيضا على النفر الذين اذا ما جاؤك لتحملهم يسألونك الحملان ليبلغوا الى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد قلت لهم لا أجد حمولة أحملكم عليها تولوا يقول أدبروا عنك وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد فى سبيل الله ﴿ وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت فى نفر من مزينة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه قال هم من مزينة حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا على

(١) بياض بالاصل والذى ذكره السيوطى فى الدر وابن كثير فى تفسيره عن ابن اسحق أنهم نفر من بنى غفار منهم خفاف بن ايماء بن رحضة فتنبه كتبه مصححه

يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال (وطبع على قلوبهم) كقوله ختم الله على قلوبهم وقدم البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب فى الكفر الى حد كأنه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع فى اللغة الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التى جبل عليها الانسان (فهم لا يفقهون) أسرار حكمة الله فى الجهاد أو فى الذهاب من السعادة وما فى التخلف من الشقاء وفى قوله (لكن الرسول) نكتة هى أنه ان تخلف هؤلاء فقد أنهض الى الغزو من هو خير منهم وأصدق نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال (وأولئك لهم الخيرات) وهى شاملة لمنافع الدارين وقيل هى الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله (وأولئك هم المفلحون)

الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد في قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون قال هم بنو مقرن من مزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة * قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن عروة عن ابن مغفل المزني وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال منهم ابن مقرن * وقال سفيان قال الناس منهم عرباض ابن سارية * وقال آخرون بل نزلت في عرباض بن سارية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا دخلنا على عرباض بن سارية وهو الذي أنزل فيه ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد قال ثنا ثور عن خالد عن عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر بنحوه * وقال آخرون بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فأنزل الله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية قال هم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان ابن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد أبو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا وهم البكاؤن كانوا سبعة والله أعلم

المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما أجمل فقال (أعد الله) الآية وقيل الخيرات الفلاح في الدنيا وهذه في الآخرة و (الفوز العظيم) عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية ۞ التأويل انما لم يؤثر استغفار الرسول في حقهم لقصور في القابل لا لتقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستور والقلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية نالوا خيرات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب أعظم من حجاب النفس والله أعلم

﴿ تم الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الحادي عشر أوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انما السبيل الآية ﴾

تم الجزء العاشر من تفسير النيسابوري ويليه الجزء الحادي عشر وأوله (وجاء المعذرون الآية)

﴿ فهرست الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

	صحيفة
بيان معنى الغنيمة والفيء وبيان المصرف للغنيمة	٧٠
ذكر الخلاف فى ذلك	
بيان أن التقاء المشركين بالمؤمنين فى بدر كان على غير ميعاد	٧٤
ذكر ما جعله الله من الاسباب لنصر المؤمنين ببدر	
ذكر أن ما أصاب المؤمنين من الفشل يوم أحد كان بأسباب المنازعة	٧٨
ذكر ما صنعه ابليس يوم بدر من تصوره بصورة سراقة بن مالك وفراره	٨٠
ذكر ما يجوز به فسخ المعاهدة التى بين المسلمين وغيرهم	٨٣
بيان معنى القوة التى أمر الله باعدادها للعدو	
بيان ما يجب على المؤمنين من مصابرتهم لمثليهم من العدو	٨٨
بيان ما عاتب الله به المؤمنين على أخذهم الفداء من المشركين يوم بدر	٩١
بيان ما وعد الله به الأسرى من الغفران والخير لما علم فى قلوبهم الايمان وتمام ذلك لبعضهم	٩٥
بيان ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث	٩٩
﴿ تفسير سورة التوبة ﴾	
بيان الصواب فى الأجل الذى جعله الله لأهل العهد من المشركين	١٠٨
ذكر تولية أبى بكر للحج بالناس وارسال على لقطع العلائق بين رسول الله والمشركين	١١٠
بيان الخلاف فى يوم الحج الأكبر والسبب فى هذه التسمية	١١٧
بيان القبائل التى كان لهم عهد عند المسجد الحرام ومن نقض منهم ذلك	١٢٦
بيان ما فعلته قريش من نقض العهد بقتالهم خزاعة حلفاء رسول الله	١٣٠
بيان ما أبطله الله من افتخار المشركين بسقاية الحاج وغيرها	١٣٤
ذكر ما كان أهل اليسار وذو الفاقة يتصدقون به وعيب المنافقين لهم	١٣٨
ذكر ما كان عليه النبى من الرحمة حتى بأهل النفاق وارادته الاستغفار لهم	١٤١
بيان منعه عليه الصلاة والسلام من الصلاة على المنافقين وما تم له مع عبد الله بن أبى	١٤٥
بيان من عذرهم الله فى عدم الخروج للجهاد	

﴿فهرست الجزء العاشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء العاشر من تفسير ابن جرير﴾

صحيفة	
٢	تفسير قوله واعلموا أنما غنمتم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦	بيان أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات
٨	بيان معنى الشكر والبطر والرياء
١٠	تأويل تلك الآيات
١٢	تفسير قوله ولو ترى اذ يتوفى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٦	بيان أن آثار نقض العهد اما أن تكون محتملة واما أن تكون قطعية وأحكام ذلك
١٨	بيان أن حرب المشركين ليس بحتم وكذا الهدنة والمدار على ما يراه الامام مصلحة
٢١	ذكر سرية حمزة وسرية عبد الله بن أنيس رضى الله عنهما
٢٢	تأويل تلك الآيات
٢٤	تفسير قوله ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٧	ذكر ما من الله به على العباس تحقيقا لآية ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا
٢٩	بيان أن التوارث كان بالهجرة والنصرة
٣١	تأويل تلك الآيات
٣٤	﴿تفسير سورة التوبة﴾
٣٧	ذكر ما استدل به الامامية على تفضيل علي والجواب عنه
٤١	ذكر ما استدل به الشافعي على قتل تارك الصلاة
٤٦	ذكر ما استدل به الامام أبو حنيفة على أن يمين الكافر ليس بيمين
٤٩	تأويل تلك الآيات
٥١	تفسير قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٩	ذكر غزوة حنين
٦٢	تأويل تلك الآيات
٦٣	تفسير قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

صحيفة	
٦٦	بيان مقدار الجزية وعلى من تجب
٦٨	بيان دعوى اليهود في عزير أنه ابن الله
٦٩	ذكر السبب في تفرق أمم النصارى في الـ
٧٣	بيان تهالك أهل الناقوس على الدنيا
٧٨	بيان أن الامور الشرعية كلها منوطة بـ القمرية
٨١	بيان السنة الشمسية والقمرية
٨٣	تأويل تلك الآيات
٨٤	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم إ والقراآت والوقوف فيها
٨٧	ذكر خروج رسول الله الى الغار
٩١	ذكر دليل من رأى أنه لا يجوز التخلف عن
٩٥	بيان ما ذهبت اليه الأشاعرة في كرا للشئ وما ورد عليه
١٠٠	تفسير قوله ان تصبك حسنة تس والقراآت والوقوف فيها
١٠٤	بيان ما في الشح من المضار الدينية
١٠٧	تأويل تلك الآيات
١٠٧	تفسير قوله انما الصدقات الآيات و القراآت والوقوف فيها
١٠٩	بيان الخلاف في المسكين والفقير و أصناف أهل الزكاة
١١٢	بيان أحكام تتعلق بتلك الآيات
١١٨	بيان ما قاله المنافقون في غزوة تبوك
١٢١	تأويل تلك الآيات
١٢٢	تفسير قوله ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم و بيان القراآت والوقوف فيها
١٢٨	ذكر خبر ثعلبة بن حاطب
١٣٠	بيان أن ترك الأوامر يوجب النفاق و السنة والمعتزلة من الخلاف في ذلك
١٣٤	تفسير قوله استغفر لهم الآيات و القراآت والوقوف فيها

﴿تم فهرست الجزء العاشر من النيسابوري﴾

﴿ فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٦٨	بيان أن العرب ربما يهمزون غير المهموز وشواهده
٧٠	بيان جواز اضافة المكر اليه تعالى مرادا به الاستدراج
٧٣	بيان أن المراد من الحسنى الجنة ومن الزيادة النظر الى وجه الله
٧٨	بيان أن صيغتى فاعل وفعل لمعنى التكثير اذا كان الفعل لواحد
٨٦	بيان أن القرآن شفاء لداء الجهل
٩١	بيان صفات أولياء الله
٩٣	بيان أن الرؤيا الصالحة من المبشرات
٩٨	بيان أن المشركين ممن قالوا اتخذ الله ولدا بقولهم فى الملائكة بنات الله
٩٨	بيان ما أظهره نوح لقومه من الثقة بالله
١٠١	القول فى تأويل قوله تعالى قالوا أجئتنا لتلفتنا الآية والاستشهاد على ذلك من كلام العرب
١٠٣	بيان أن أتباع موسى عليه السلام كانوا طائفة قليلة من بنى اسرائيل ومن قوم فرعون
١٠٥	بيان ما دعا به قوم موسى
١٠٦	بيان ما أمر الله به قوم موسى من اتخاذهم بيوتهم مساجد يصلون فيها
١٠٨	بيان ما دعا به موسى ربه على فرعون وقومه
١١٢	بيان عدد بنى اسرائيل حين اجتمعوا بمصر مع يوسف وحين خرجوا منها مع موسى
١١٣	بيان أن فرعون بعد غرقه أخرج على نجوة من الارض لينظروا اليه هالكا
١١٧	ذكر قصة قوم يونس عليه السلام
١٢١	بيان ما فى قوله تعالى قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك الآية من لطيف التلميح
١٢٢	﴿ تفسير سورة هود ﴾
١٢٤	بيان فوائد الاستغفار

	بيان ما اعتذر به المتخلفون عن غزوة تبوك لرسول الله بعد مرجعه منها
	بيان من هم السابقون الأولون
	ذكر ما فعله رسول الله فى بعض خطبه من تعيين بعض أهل النفاق بأسمائهم
	بيان من تخلف عن رسول الله فى غزوة تبوك وحين رجع ربط نفسه فى بعض السوارى فأناخ فيهم نزل وآخرون اعترفوا الآية
	بيان ما ورد من الآثار فى تفسير قوله خذ من أموالهم صدقة
	بيان مسجد الضرار ومن بناه
	بيان المسجد الذى أسس على التقوى
	بيان ما قالته الأنصار لرسول الله عند الدخول فى الاسلام
	بيان النهى عن الاستغفار للمشركين وسببه
	بيان الثلاثة الذين تيب عليهم بعد حصول الضيق الشديد لهم وذكر حديثهم
	بيان أنه كان لا ينبغى لأحد أن يتخلف عن رسول الله وأما غيره من الأئمة ففيه خلاف
	بيان أنه لا ينبغى لاهل الاسلام أن ينفروا جميعا فيجاهدوا ويتركوا رسول الله ليس معه أحد
	بيان أنه يجب على أهل كل جهة أن تقاتل من يليهم من الاعداء
	بيان ما ورد فى معنى الرحمة المذكورة فى قوله بالمؤمنين رؤف رحيم
	﴿ تفسير سورة يونس ﴾
	بيان أن الادلة لا تنفع إلا من خشى العقاب ولم يتبع هواه وكان ذا فطرة سليمة
	بيان أن الاعمال تصور يوم القيامة بصور تناسبها تهدى عمالها الى منازلها

﴿ تم فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير ابن جرير الطبرى ﴾

﴿فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الحادى عشر من تفسير ابن جر

صحيفة	
٣	تفسير قوله تعالى وجاء المعذرون الآيات وبيان القرا ات والوقوف فيها
٥	بيان ما استدل به أهل الظاهر على نفى القياس
٧	بيان أنه لم سمى العرب عربا وبيان السبب فى كون الاعراب أشد كفرا
٩	تأويل تلك الآيات
١٠	تفسير قوله والسابقون الأولون الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٥	بيان الخلاف فى جواز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم وآله
١٧	بيان ما فعله أهل مسجد الضرار
٢٠	تأويل تلك الآيات
٢٣	تفسير قوله ان الله اشترى الآيات وبيان القرا ات والوقوف فيها
٢٧	بيان التكاليف وأقسامها
٣٣	ذكر قصة الثلاثة الذين تيب عليهم
٣٤	بيان الرد على الشيعة فى أنه لا يكون الامام إلا معصوما
٣٥	تأويل تلك الآيات
٣٧	تفسير قوله ما كان لأهل المدينة الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٤١	بيان حجة القائلين بأن خبر الواحد حجة
٤٥	تأويل تلك الآيات
٤٧	﴿تفسير سورة يونس﴾ وبيان القرا آت والوقوف فيها
٥١	بيان أن للعلماء فى اثبات المعاد طريقين وذكر أدلة كل
٥٥	بيان منازل القمر وبعض خواصه
٥٧	بيان التحقيق فى معنى يهديهم ربهم بايمانهم والفرق بين نقوش اللوح ونقوش الروح

صحيفة	
٥٩	تأويل تلك الآيات
٦١	تفسير قوله ولو يعجل الله الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٦٥	بيان ما تمسك به نفاة القياس والاجتهاد
٦٧	تفسير قوله واذا أذقنا الناس الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٧٣	بيان ما احتجت به المعتزلة على نفى رؤية الله
٧٦	تأويل تلك الآيات
٧٧	تفسير قوله قل من يرزقكم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٨٢	بيان أن من كان غير عارف بوجوه التأويل يقع فى الكفر والبدعة
٨٤	تفسير قوله ومنهم من يستمعون الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
٩٠	بيان الطرق التى تثبت بها النبوة
٩٣	تأويل تلك الآيات
٩٤	تفسير قوله وما تكون فى شأن الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١٠٠	بيان الدليل على استحالة أن لله ولدا
١٠١	تأويل تلك الآيات
١٠٣	تفسير قوله واتل عليهم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١١١	بيان الاسباب فى عدم قبول توبة فرعون
١١٢	بيان ان الخبر المروى فى دس جبريل الطين فى فم فرعون متكلم فيه
١١٣	تأويل تلك الآيات
١١٤	تفسير قوله ولقد بوأنا بنى اسرائيل الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها
١١٨	ذكر قصة يونس مع قومه
١٢٤	تأويل تلك الآيات

﴿تم فهرست الجزء الحادى عشر من تفسير النيسابورى﴾

الجـــزء الحـادى عشر

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه فى التفسير أبى جعفر

محمد بن جرير الطبرى المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره ﴾

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الحشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الحشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٧ هجريه

﴿ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله ﴿ انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد ولكنها على الذين يستأذنونك فى التخلف خلافك وترك الجهاد معك وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو نفاقا وشكا فى وعد الله ووعيده رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يقول رضوا بأن يجلسوا بعدك مع النساء وهن الخوالف خلف الرجال فى البيوت ويتركوا الغزو معك وطبع الله على قلوبهم يقول وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك وما عليهم من قبيح الثناء فى الدنيا وعظيم البلاء فى الآخرة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره يعتذر اليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالاباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم من سفركم وجهادكم قل لهم يا محمد لا تعتذروا الينا لن نؤمن لكم يقول لن نصدقكم فيما تقولون قد نبأنا الله من أخباركم يقول قد أخبرنا الله من أخباركم وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا فقد كذبكم وسيرى الله عملكم ورسوله يقول وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يقول ثم ترجعون بعد مماتكم الى عالم الغيب والشهادة يعنى الذى يعلم السر والعلانية الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها وحسنها فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن والسيئ منها بالسيئ ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم

رحمته ان الله غفور رحيم ﴿ القراآت المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد دائرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح
وعمرو وابن كثير الآخرون بفتحها قربة بضم الراء نافع غير قالون الباقون باسكانها وكلاهما بمعنى ﴿ الوقوف ورسوله ط أليم ٥ لله ورسوله
من سبيل ط رحيم ٥ لا للعطف ماينفقون ٥ أغنياء ج لاحتمال (٣) ان يكون رضوا مستأنفا أو وصفا مع الخوالف
لا لأن الواو اما للعطف أو الحال
لايعلمون ٥ اليهم ط من أخباركم
ط تعملون ٥ لتعرضوا عنهم ط
عنهم ط رجس ز لاختلاف
الجملتين مع شدة اتصال المعنى في
اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء
يصلح أن يكون مفعولا له أو مفعولا
مطلقا لمحذوف أي يجزون جزاء
يكسبون ٥ لترضوا عنهم ط
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب
الفاسقين ٥ على رسوله ط حكيم ٥
الدوائر ط دائرة السوء ط عليم ٥ الرسول
ط لهم ط في رحمته ط رحيم ٥

﴿ التفسير لما شرح أحوال منافقي المدينة شرع في أحوال المنافقين من أهل البدو فقال (وجاء المعذرون) من قرأ بالتخفيف فهو من أعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من أنذر فقد أعذر فكأنه تعالى فصل بين أصحاب العذر وبين الكافرين فالمعذرون هم الذين أتوا بالعذر وهم أسد وغطفان قالوا ان لنا أتباعا وعيالا وان بنا جهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت أعراب طيئ على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وآله سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول أن يكون من التعذير وهو التقصير في الامر والتواني فيه وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الثاني وقد ذكره

أعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره سيحلف
لكم أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله اذا انقلبتم
اليهم يعني اذا انصرفتم اليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم يقول جل ثناؤه
للمؤمنين فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختار والأنفسهم من الكفر والنفاق انهم رجس ومأواهم
جهنم يقول انهم نجس ومأواهم جهنم يقول ومصيرهم الى جهنم وهي مسكنهم الذي يأوون له
في الآخرة جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من معاصي الله
وذكر أن هذه الآية نزلت في رجلين من المنافقين قالا ما حدثنا به محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا الى بما كانوا يكسبون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألا تغزو بني
الاصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم فانهم حسان فقال رجلان قد علمت يارسول الله ان
النساء فتنة فلا تفتنا بهن فأذن لنا فأذن لهما فلما انطلقا قال أحدهما ان هوالا شحمة لأول آكل
فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل عليه في ذلك شئ فلما كان ببعض الطريق نزل عليه
وهو على بعض المياه لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة
ونزل عليه عفا الله عنك لم أذنت لهم ونزل عليه لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ونزل
عليه انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبي صلى الله
عليه وسلم فأتاهم وهم خلفهم فقال تعلمون أن قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن
قالوا ما الذي سمعت قال ما أدري غير أني سمعت أنه يقول انهم رجس فقال رجل يدعى مخشيا والله
لوددت أني أجلد مائة جلدة وانى لست معكم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماجاء بك
فقال وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسفعه الريح وأنا في الكن فأنزل الله عليه ومنهم من
يقول ائذن لي ولا تفتني وقالوا لا تنفر وافي الحر ونزل عليه في الرجل الذي قال لوددت أني أجلد
مائة جلدة قول الله يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فقال رجل مع
رسول الله لئن كان هؤلاء كما يقولون ما فينا خير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنت
صاحب الكلمة التي سمعت فقال لا والذي أنزل عليك الكتاب فأنزل الله فيه ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم وأنزل فيه وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب
بن مالك أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا
بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل
سرائرهم الى الله وصدقته حديثي فقال كعب والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للاسلام
أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين
كذبوا ان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي ما قال لأحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله فان الله

عن الزجاج وابن الانباري انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون أدغمت التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون
بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر *
فجاء بعذر صحيح فاذا أخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا أخذنا بقراءة التشديد وفسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن

المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى
الواحدى باسناده عن أبى عمرو أنه قال ان أقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا بعذر
بشبهة عذر جراءة على الله وهم الذين أرادهم (٤) الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا
ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الايمان (سيصيب الذين كفروا منهم) أى من الاعراب (عذاب أليم) فى الدنيا بالقتل وفى العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر أن تكليف الجهاد ساقط عن أصحاب الاعذار الحقيقية فقال (ليس على الضعفاء) وهم الذين فى أبدانهم ضعف فى أصل الخلقة أو لهرم (ولا على المرضى) ويدخل فيه أصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) فى الغزو على أنفسهم (حرج) قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة وفيه دليل على أنه لا يحرم عليه الخروج اذا أمكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك طاعة مقبولة منه اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم انه شرط فى جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقوموا على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ماله مدخل فى طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ثم قال (ما على المحسنين) أى المعذورين الناصحين (من سبيل) للعتاب والمؤاخذة قال بعض أهل الظاهر كداود الاصفهانى وغيره ان المحسن هو الآتى بالاحسان ورأس الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا يدل على أن المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته عن مطالبة نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفى عليكم كذا وكذا وبعد ذلك لا سبيل لاحد على أحد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك

لا يرضى عن القوم الفاسقين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره يحلف لكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يقول فان أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم اذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فان رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله لان الله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ومن خفى اعتقادهم ما تجهلون وانهم على الكفر بالله يعنى انهم الخارجون من الايمان الى الكفر بالله ومن الطاعة الى المعصية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره الاعراب أشد جحودا لتوحيد الله وأشد نفاقا من أهل الحضر فى القرى والامصار وانما وصفهم جل ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وقلة مشاهدتهم لاهل الخير فهم لذلك أقسى قلوبا وأقل علما بحقوق الله وقوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله يقول وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وذلك فيما قال قتادة السنن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله قال هم أقل علما بالسنن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مقرن عن الاعمش عن ابراهيم قال جلس أعرابى الى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال والله ان حديثك ليعجبنى وان يدك لتريبنى فقال زيد وما يريبك من يدى انها الشمال فقال الاعرابى والله ما أدرى أليمين يقطعون أم الشمال فقال زيد ابن صوحان صدق الله الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وقوله والله عليم حكيم يقول والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله والمنافق من خلقه والكافر منهم لا يخفى عليه منهم أحد حكيم فى تدبيره اياهم وفى حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم وخداعهم أولياءه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ومن الأعراب من يعد نفقته التى ينفقها فى جهاد مشرك أو فى معونة مسلم أو فى بعض ما ندب الله اليه عباده مغرما يعنى غرما لزمه لا يرجو له ثوابا ولا يدفع به عن نفسه عقابا ويتربص بكم الدوائر يقول وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الايام والليالى الى مكروه ونفى محبوب وغلبة عدو لكم يقول الله تعالى ذكره عليهم دائرة السوء يقول جعل الله دائرة السوء عليهم ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون ولا بكم والله سميع لدعاء الداعين عليم بتدبيرهم وما هو بهم نازل من عقاب الله وما هم اليه صائرون من أليم عقابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر قال هؤلاء المنافقون من الاعراب الذين انما ينفقون رياء اتقاء أن يغزوا أو يحاربوا أو يقاتلوا ويرون نفقتهم مغرما ألا تراه يقول ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل المدينة والكوفة عليهم دائرة السوء بفتح السين بمعنى النعت للدائرة وان كانت الدائرة مضافة اليه كقولهم هو رجل السوء وامرؤ الصدق كأنه اذا فتح مصدر من قولهم سؤته أسوءه سوأ ومساءة ومسائية

ان باب النفي لانهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد في القرآن ألف تكليف أو أقل أو أكثر كان ذلك تنصيصا على أن التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وأمر ونهي وبهذا الطريق تصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس لان هذا النص دل على (٥) أن الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة أيضا فضائع وان كان يفيد شغل الذمة صار مخصصا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص أقوى من القياس ولما ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسما رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا على الزاد فقال (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) أي على المركوب (قلت) قال في الكشاف هو حال من الكاف في أتوك باضمار قد أي اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحملكم عليه تولوا) وجوز أن يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل أن يكون بدلا من أتوك قال مجاهد هم أبناء مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى الاشعري وأصحابه أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله يستحملونه ووافق منه غضبا فقال والله ما أحملكم ولا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم مدبرون يبكون فدعاهم وأعطاهم ذودا غر الذرى فقال أبو موسى ألست حلفت يا رسول الله فقال اما اني ان شاء الله لا أحلف بيمين فارى غيرها خيرا منها الا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني وقيل هم البكاؤن سبعة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا نبي الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وهم يبكون وقوله (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كلها فائضة ومن للبيان والجار والمجرور في محل النصب على التمييز (حزنا أن لا يجدوا) أي على أن لا يجدوا (انما السبيل) أي سبيل الخطاب

ومسائية وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين عليهم دائرة السوء بضم السين كأنه جعله اسما كما يقال عليه دائرة البلاء والعذاب ومن قال عليهم دائرة السوء فضم لم يقل هذا رجل السوء بالضم والرجل السوء (١) وقال الشاعر

وكنت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم

والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين بمعنى عليهم الدائرة التي تسوءهم سوأ كما يقال هو رجل صدق على وجه النعت ۞ القول في تأويل قوله ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ومن الاعراب من يصدق الله ويقر بوحدانيته وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قربات عند الله والقربات جمع قربة وهو ما قربه من رضا الله ومحبته وصلوات الرسول يعني بذلك ويبتغي بنفقة ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معاني الصلاة الدعاء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وصلوات الرسول يعني استغفار النبي عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال دعاء الرسول قال هذه ثنية الله من الأعراب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر قال هم بنو مقرن من مزينة وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال هم بنو مقرن من مزينة قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله الأعراب أشد كفرا ونفاقا ثم استثنى فقال ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا جعفر عن البختري بن المختار العبدي قال سمعت عبد الله بن مغفل قال كنا عشرة ولد مقرن فنزلت فينا ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الى آخر الآية قال الله ألا انها قربة لهم يقول تعالى ذكره ألا ان صلوات الرسول قربة لهم من الله وقد يحتمل أن يكون معناه ألا ان نفقته التي ينفقها كذلك قربة لهم عند الله سيدخلهم الله في رحمته يقول سيدخلهم الله فيمن رحمه فادخله برحمته الجنة ان الله غفور لما اجترموا رحيم بهم مع توبتهم واصلاحهم أن يعذبهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره والذين سبقوا الناس أولا الى الايمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم والانصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) لأن السوء ليس بالرجل بل هو الضر والبيت للفرزدق والسوء فيه بالفتح وأحال الذئب على الدم أقبل عليه انظر اللسان كتبه مصححه

والعتاب فى أمر الغزو والجهاد (على الذين يستأذنونك) فى التخلف وهم أغنياء ثم قال على سبيل الاستئناف (رضوا) كأنه قيل مالهم استأذنوا وهم قادرون على الاستعداد فقيل رضوا بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ومن جملة أسباب الاستئذان أن طبع الله تعالى على قلوبهم

قال أهل العلم لما قال فى الآية الاولى واذا أنزلت قال هنالك وطبع ليكون المجهول مبنيا على المجهول بخلافه فى هذه الآ

ثم ان العلم فوق الفقه فكان أنسب بالمقام الذى جرى فيه ذكر الله أما قوله (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر أن يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله (قد نبأنا الله) علة لانتفاء التصديق (وسيرى الله عملكم) يعنى رؤية وقوع أى سيقع أنكم هل تبقون على الحالة التى تظهرونها أم لا وفى قوله (ثم تردون الى عالم الغيب) تخويف شديد وفيه أنه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوءة من النفاق والكذب وانما لم يقل فى هذه الآية والمؤمنون كما فى الآية التى تجىء لان هذه فى المنافقين ولا يطلع على ما فى باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه أو بنور نبوته كما قال قد نبأنا الله من أخباركم والآية الاخرى فى المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم آية المنافقين بقوله ثم تردون لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف آية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد من الله ثم ذكر أن منافقى الاعراب سيؤكدون أعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقى المدينة فقال (سيحلفون بالله لكم) أى لاجلكم (اذا انقلبتم) أى رجعتم (اليهم) ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر أنهم حلفوا على أنهم ما قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم أرادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح ولهذا قال ابن عباس فى أراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب عنهم فقال (انهم رجس) فكأنهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعتاب

وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله والذين اتبعوهم باحسان يقول والذين سلكوا سبيلهم فى الايمان بالله ورسوله والهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام طلب رضا الله رضى الله عنهم ورضوا عنه واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله والسابقون الاولون فقال بعضهم هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أو أدركوا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن اسمعيل عن عامر والسابقون الاولون قال من أدرك بيعة الرضوان * قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عامر قال المهاجرون الاولون من أدرك بيعة تحت الشجرة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال المهاجرون الاولون الذين شهدوا بيعة الرضوان حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن مطرف عن الشعبى قال المهاجرون الاولون من كان قبل البيعة الى البيعة فهم المهاجرون الاولون ومن كان بعد البيعة فليس من المهاجرين الاولين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل ومطرف عن الشعبى قال السابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن داود عن عامر قال فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان وبيعة الحديبية حدثنى المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد ومطرف عن الشعبى قال هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عنبر أبو زبيد عن مطرف عن الشعبى قال المهاجرون الاولون من أدرك بيعة الرضوان * وقال آخرون بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن عثمان الثقفى عن مولى لابى موسى عن أبى موسى قال المهاجرون الاولون من صلى القبلتين مع النبى صلى الله عليه وسلم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن عثمان بن المغيرة عن أبى زرعة بن عمرو بن جرير عن مولى لابى موسى قال سألت أبا موسى الأشعرى عن قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا حدثنا وكيع قال ثنا أبى عن أبى هلال عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب لم سموا المهاجرين الاولين قال من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا فهو من المهاجرين الاولين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا عباس بن الوليد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن بعض أصحابه عن قتادة عن سعيد بن المسيب وعن اشعث عن ابن سيرين فى قوله والسابقون الأولون قال هم الذين صلوا القبلتين حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن محمد قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة

وبيخ وفى أمثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذى عليه الشعر أى انما يعاد الى الدباغ من يم ماسلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب واذا لم تكن المعاتبة نافعة فيهم فتركها هو الصواب (ومأواهم) جهنم منقلبهم النار وتوبيخا ثم بين أنهم طلبوا اعراض الصفح بقوله (يحلفون لكم لترضوا عنهم) نهاهم عن الرضا بقوله (فان ترضوا عنهم)

قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا وأما الذين جروا المهاجرين الاولين والانصار باحسان فهم الذين أسلموا لله اسلامهم وسلكوا منهاجهم فى هجرة والنصرة وأعمال الخير كما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو معشر ن محمد بن كعب قال مر عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية والسابقون الاولون من المهاجرين لانصار والذين اتبعوهم باحسان قال من أقرأك هذه الآية قال أقرأنيها أبى بن كعب قال تفارقنى حتى أذهب بك اليه فأتاه فقال أنت أقرأت هذا هذه الآية قال نعم قال وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا قال وتصديق فى أول الآية التى فى أول الجمعة وأوسط الحشر وآخر الانفال أما أول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وأما آخر الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار حتى بلغ ورضوا عنه قال فأخذ عمر بيده فقال من أقرأك هذا قال أبى بن كعب فقال لا تفارقنى حتى اذهب بك اليه فلما أتاه قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا قال نعم قال أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبى بلى تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم الى وهو العزيز الحكيم وفى سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وفى الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم الى آخر الآية وروى عن عمر فى ذلك ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن حبيب بن الشهيد عن ابن عامر الانصارى أن عمر بن الخطاب قرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان فرفع الانصار ولم يلحق الواو فى الذين فقال له زيد بن ثابت والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر الذين اتبعوهم باحسان فقال زيد أمير المؤمنين أعلم فقال عمر ائتونى بأبى بن كعب فسأله عن ذلك فقال أبى والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر اذا نتابع أبيا والقراءة على خفض الانصار عطفا بهم على المهاجرين وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ الانصار برفع عطفا بهم على السابقين والقراءة التى لا أستجيز غيرها الخفض فى الانصار لاجماع الحجة من القراء عليه وأن السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والانصار وانما قصد الخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع والحاق الواو فى الذين اتبعوهم باحسان لأن ذلك كذلك فى مصاحف المسلمين جميعا على أن التابعين باحسان غير المهاجرين والانصار وأما السابقون فانهم المنوهون بالعائد من ذكرهم فى قوله رضى الله عنهم ورضوا عنه ومعنى الكلام رضى الله عن جميعهم باطاعوه وأجابوا نبيه الى ما دعاهم اليه من أمره ونهيه ورضى عنه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم اياه وايمانهم بنبيه عليه السلام وأعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار يدخلونها خالدين فيها لا يبغون فيها أبدا

الآية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة لارادة الله وأى فائدة فى رضا المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادبهم جمعا معينين كانوا بالمدينة ومنافقى المدينة قال أهل اللغة رجل عربى اذا كان نسبه الى العرب ثابتا ورجل أعرابى اذا كان بدويا سواء كان من العرب أو من مواليهم وجمعه أعراب كالمجوسى والمجوس واليهودى واليهود فالأعرابى اذا قيل له يا اعرابى فرح واذا قيل للعربى يا أعرابى غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربى ومن نزل البادية فهو أعرابى ولهذا لا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب وانما هم عرب قال صلى الله عليه وسلم لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا أعرابى مهاجرا قيل انما سمى العرب عربا لان أولاد اسمعيل عليه السلام نشؤا بالعربة وهى من تهامة ونسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم فهو منهم وقيل لان ألسنتهم معربة عما فى ضمائرهم لما فى لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء أنه قال حكمة الروم فى أدمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند فى أوهامهم وحكمة اليونان فى أفئدتهم وذلك لكثرة مالهم من المباحث العقلية وحكمة العرب فى ألسنتهم لحلاوة ألفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم أشد كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش الى البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من أصبح وأمسى مشرفا عليه أوان النبوة ومشرفا باستماع مواعظه وآدابه كيف يكون مساويا لمن نشأ

كما يشاء من غير سياسة سائس ولا تأديب مؤدب وان شئت فقس الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة في الفدادين أي الاكارين لانهم يفدون أي يصيحون وقوله (وأجدر) أي أولى وأحق (بان لا يعلموا حدود ما أنزل الله) أي مقادير تكاليفه وأحكامه وما تنتهي اليه

الادلة العقلية والسمعية (والله عليم) بما في قلوب أهل البدو والحضر وأصحاب الوبر والمدر (حكيم) في كل ما قدر من الشرائع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم أي يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت أن أصل الغرم اللزوم كأنه اعتقد أنه لزمه لامر من خارج كتقية أو رياء ليس مما ينبعث من النفس والمغرم اما مصدر أو موضع (ويتربص بكم الدوائر) نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكأنها لا تستعمل الا في المكروه تشبيها بالدائرة التي تحيط بما في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذويه بأن دعا عليهم بقوله (عليهم دائرة السوء) وانها جملة معترضة كقوله غلت أيديهم والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه الدائرة للابسة كقولك رجل صدق قال في الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد أنهم لا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) لاقوالهم (عليم) بنياتهم قيل هم أعراب أسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال (ومن الأعراب من يؤمن) الآية والمعنى أنهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لصلوات الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى ثم انه تعالى شهد لهم ولامثالهم بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستئناف مؤكدا بحرف التنبيه والتحقيق (ألا انها قربة لهم) ثم فسر القربة بقوله (سيدخلهم الله في رحمته) والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه أخذت أمه بجادا وهو كساء مخطط فشقته نصفين فردته بأحدهما وأزرته بالثاني

لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن القوم الذين حول مدينتكم من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقوله مردوا على النفاق يقول مرنوا عليه ودربوا به ومنه شيطان مارد ومريد وهو الخبيث العاتي ومنه قيل تمرد فلان على ربه أي عتا ومرد على معصيته واعتادها وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن أهل المدينة مردوا على النفاق أي لجوا فيه وأبوا غيره لا تعلمهم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تعلم يا محمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة ولكنا نحن نعلمهم كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون الى قوله نحن نعلمهم قال فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لا أدري لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ولقد تكلفت شيأ ما تكلفته الانبياء قبلك قال نبي الله نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ وقال الله لنبيه عليه السلام لا تعلمهم نحن نعلمهم وقوله سنعذبهم مرتين يقول سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين احداهما في الدنيا والاخرى في القبر ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ما هي فقال بعضهم هي فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قول الله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق الى قوله عذاب عظيم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختبؤا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين أبشر يا عمر فقد فضح الله المنافقين اليوم فهذا العذاب الاول حين أخرجهم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك سنعذبهم مرتين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين فيعذبهم بلسانه قال وعذاب القبر (١) ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال القتل والسباء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل

(١) يظهر أن في الكلام سقطا والأصل وقال آخرون هي الخوف والجوع أو القتل والسباء ذكر الخ تأمل اه كتبه مصححه

ن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين بالجوع وعذاب القبر قال ثم يردون الى عذاب عظيم يوم القيامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل وقال يحيى بالخوف والقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال بالجوع والقتل حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك سنعذبهم مرتين قال بالجوع وعذاب القبر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل * وقال آخرون معنى ذلك سنعذبهم عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسر الى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتى يفضي الى صدره وستة يموتون موتا ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان اذا مات رجل يرى أنه منهم نظر الى حذيفة فان صلى عليه صلى عليه والا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا قال لا والله ولا أومن منها أحدا بعدك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن سنعذبهم مرتين قال عذاب الدنيا وعذاب القبر حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء قالا ثنا بدل بن المحبر قال ثنا سعيد عن قتادة سنعذبهم مرتين قال عذابا في الدنيا وعذابا في القبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب النار * وقال آخرون كان عذابهم احدى المرتين مصائبهم في أموالهم وأولادهم والمرة الاخرى عذاب جهنم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سنعذبهم مرتين قال أما عذاب في الدنيا فالاموال والاولاد وقرأ قول الله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيهم هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر قال وعذاب الآخرة في النار ثم يردون الى عذاب عظيم قال النار * وقال آخرون بل احدى المرتين الحدود والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرضي * وقال آخرون بل احدى المرتين أخذ الزكاة من أموالهم والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم عن الحسن * وقال آخرون بل احدى المرتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنعذبهم مرتين قال العذاب الذي وعدهم مرتين فيما بلغني عنهم ما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ثم عذابهم في القبر اذا صاروا اليه ثم العذاب العظيم الذين يردون اليه عذاب الآخرة ويخلدون فيه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال ان الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين ولم يضع لنا دليلا نتوصل به الى علم صفة ذينك العذابين وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبأنا عنهم وليس عندنا علم بأي ذلك من أي على أن في قوله جل ثناؤه ثم يردون الى عذاب عظيم دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل

(٢ - ابن جرير الحادي عشر)

ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب

بعثه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان قائده والله أعلم ۞ التأويل الناس ثلاثة المتضررون المعذرون المعترفون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون في الطلب ولكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم في القعود عن طلب الكمال بالظواهر لاشتغال البواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما أتوك بطريق المتابعة لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم يكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا أجد ما أحملكم عليه ترفعا ودلالا واستيراء لزناد أشواقهم كما قيل لموسى لن ترانى زيادة لشوقه وهم أغنياء لهم الاستعدادات الكاملة فلم يستعملوها في طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الأعراب أشد كفرا ان في عالم الانسانية بدوا هو نفسه وحضرا هو قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما أن الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس وقد تصير النفس مؤمنة بسراية القلب ولكن النفس تكون أشد كفرا من القلب الكافر كما أن القلب يكون أشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما أنزل الله على رسوله يعني الواردات النازلة على الروح فان القلب حضر الروح كما أن المدينة حضر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن النفوس من يعتقد أن ما يصرف من أوقاته في طلب الكمال ضائع وخسار وينتظر بالقلب اشتغالا وفترة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها وقهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليم بمن ينبغي أن يسمع في حقه ﴿ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون

الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ۞ القراآت من تحتها بزيادة من ابن كثير والباقون بحذفها وبالنصب على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الآخرون بالجر ان صلاتك على التوحيد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة بعد الجيم أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى أبى بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو أبو جعفر ونافع وابن عامر أسس بنيانه مجهولا فى الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى وحماد الباقون بالضم هار بالامالة أبو عمرو وحمزة فى رواية ابن سعدان وأبى عمرو وعلى غير ليث وابن حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى أن قرأها يعقوب الباقون الا أن تقطع فعلا ماضيا أو مضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع روح الباقون تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع ۞ الوقوف باحسان لا لان قوله رضى الله عنهم خبر والسابقون أبدا ط العظيم ○ منافقون ط لمن قدر ومن أهل المدينة قوم مردوا ومن وصل وقف على أهل المدينة تقديره هم مردوا

دخولهم النار والأغلب من احدى المرتين انها فى القبر وقوله ثم يردون الى عذاب عظيم يقول ثم يردون هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله اياهم مرتين الى عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم يقول أقروا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا يعنى جل ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها والآخر السيئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج غازيا وتركهم الجهاد مع المسلمين فان قال قائل وكيف قيل خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وانما الكلام خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فكان بعض نحويى البصرة يقول قيل ذلك كذلك وجائز فى العربية أن يكون بآخر كما تقول استوى الماء والخشبة أى بالخشبة وخلطت الماء واللبن وأنكر آخرون أن يكون نظير قولهم استوى الماء والخشبة واعتل فى ذلك بأن الفعل فى الخلط عامل فى الاول والثانى وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه وأن تقديم الخشبة على الماء غير جائز فى قولهم استوى الماء والخشبة وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط ۞ قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أنه بمعنى قولهم خلطت الماء واللبن بمعنى خلطته باللبن عسى الله أن يتوب عليهم يقول لعل الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب وانما معناه سيتوب الله عليهم ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت ان الله غفور رحيم يقول ان الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وسأله عليها رحيم به أن يعذبه بها وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية والسبب الذى من أجله أنزلت فيه فقال بعضهم نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك منهم أبو لبابة فربط سبعة منهم أنفسهم الى السوارى عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم توبة منهم من ذنبهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما حضر رجوع النبى صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد وكان ممر النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع فى المسجد عليهم فلما رآهم قال من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله (١) حتى تطلقهم وتعذرهم فقال النبى عليه السلام وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذى يطلقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن بالله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا فأنزل الله تبارك وتعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب فلما نزلت أرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم ۞ وقال آخرون بل كانوا ستة أحدهم أبو لبابة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر

(١) الذى فى الدر أوثقوا أنفسهم وحلفوا أنهم لا يطلقهم أحد حتى الخ

على النفاق ط ومن قدر ومن أهل المدينة قوم احتمل أن يجعل لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم ط نحن نعلمهم ط
عظيم ٥ ج لاحتمال أن يكون التقدير ومنهم آخرون وأن يكون معطوفا على منافقون أو على قوم المقدر سيئا ط عليهم ط رحيم
٥ وصل عليهم ط لهم ط عليم ٥ الرحيم ٥ والمؤمنون ط تعملون ٥ (١١) يتوب عليهم ط حكيم ٥ من قبل ط الحسنى
ط لكاذبون ٥ أبدا ط أن
تقوم فيه ط أن يتطهروا ط
المطهرين ٥ فى نار جهنم ط
الظالمين ٥ قلوبهم ط حكيم
٥ ﴿ التفسير لما ذكر الأعراب المخلصين بين أن فوق منازلهم منازل أعلى وأجل وهى منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبى هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن والظاهر أن الآية عامة فى كل من سبق فى الهجرة والنصرة قال أهل السنة لا شك أن أبا بكر أسبق فى الهجرة أو هو من السابقين فيها وقد أخبر الله تعالى عنهم بأنه رضى عنهم ولا شك أن الرضا معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال أكثر العلماء كلمة من فى قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا وفى عدد المسلمين فى مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زياد أنه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى ألا تخبرنى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال لى ان الله تعالى قد غفر لهم وأوجب لهم الجنة فى كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له فى أى موضع أوجب لهم الجنة قال سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى والسابقون

سأعصى الله الى قوله ان الله غفور رحيم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك تخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلكة وقالوا نكون فى الكن والطمأنينة مع النساء ورسول الله والمؤمنون معه فى الجهاد والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد وبقى ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان طريقه فى المسجد فمر عليهم فقال من هؤلاء الموثقو أنفسهم بالسوارى فقالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم وقد اعترفوا بذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم وقد تخلفوا عنى ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم فأنزل الله برحمته وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وعسى من الله واجب فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم وتجاوز عنهم * وقال آخرون الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم قال هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى منهم كردم ومرداس وأبو لبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى هلال وأبو لبابة وكردم ومرداس وأبو قيس * وقال آخرون كانوا سبعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك فأما أربعة فخلطوا عملا صالحا وآخر سيأ جد بن قيس وأبو لبابة وحرام وأوس وكلهم من الانصار وهم الذين قيل فيهم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال هم نفر ممن تخلف عن تبوك منهم أبو لبابة ومنهم جد بن قيس تيب عليهم قال قتادة وليسوا بثلاثة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال هم سبعة منهم أبو لبابة كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك وليسوا بالثلاثة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ نزلت فى أبى لبابة وأصحابه تخلفوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان قريبا من المدينة ندموا على تخلفهم عن رسول الله وقالوا نكون فى الظلال والاطعمة والنساء ونبى الله فى الجهاد واللأواء والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ثم لا نطلقها حتى يكون نبى الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا وأوثقوا أنفسهم وبقى ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فقدم رسول الله صلى الله

الاولون الى آخر الآية أوجب لجميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك أن يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة لا السيئة أو باحسان في القول وهو أن لا يقولوا فيهم سوأ ويحفظوا ألسنتهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء معنى رضا الله عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح أحوال المنافقين فقال (وممن حولكم) هو خبر و (من الاعراب) بيان أو حال و (منافقون) مبتدأ (ومن أهل المدينة) عطف على الخبر أو خبر لمبتدا آخر بناء على أن التقدير ومن أهل المدينة قوم (مردوا) التركيب يدل على الملابسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام أمرد وأرض مرداء لا نبات فيها وتمردا ذا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال (سنعذبهم مرتين) قال ابن عباس هما العذاب في الدنيا بالفضيحة والعذاب في القبر روى السدي عن أبي مالك أنه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق اخرج يا فلان انك منافق حتى أخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالدبيلة وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبور وقال الحسن بأخذ الزكاة من أموالهم وبعذاب القبر وقيل أحد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والآخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار (ثم يردون الى عذاب عظيم) هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبي وممن حولكم جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار ومن أهل المدينة عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير وأبو عامر الراهب وأضرابهم ثم قال (وآخرون) وهو معطوف على منافقون أو مبتدأ و (اعترفوا) صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستأنفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف في أنهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم

عليه وسلم من غزوته فمر في المسجد وكان طريقه فأبصرهم فسأل عنهم فقيل له أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبي الله فصنعوا بأنفسهم ما ترى وعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لا أطلقهم حتى أومر باطلاقهم ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين فأنزل الله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب فأطلقهم نبي الله وعذرهم * وقال آخرون بل عنى بهذه الآية أبو لبابة خاصة وذنبه الذي اعترف به فتيب عليه منه ما كان من أمره في بني قريظة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت في أبي لبابة قال لبني قريظة ما قال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أبو لبابة اذ قال لقريظة ما قال أشار الى حلقه ان محمدا اذا حكم ان نزلتم على حكم الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم فذكر نحوه الا أنه قال ان نزلتم على حكمه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد ربط أبو لبابة نفسه الى سارية فقال لا أحل نفسي حتى يحلني الله ورسوله قال فحله النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزلت هذه الآية وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت في أبي لبابة * وقال آخرون بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الزهري كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية فقال والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه قال ثم تاب الله عليه ثم قيل له قد تيب عليك يا أبا لبابة فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله قال يجزيك يا أبا لبابة الثلث * وقال بعضهم عنى بهذه الآية الأعراب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال فقال انهم من الاعراب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حجاج بن أبي ذئب قال سمعت أبا عثمان يقول ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى والله غفور رحيم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال نزلت هذه الآية في المعترفين بخطا فعلهم في تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص الى تبوك وان الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لان الله جل ثناؤه قال وآخرون اعترفوا بذنوبهم فأخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ولم يكن

أو قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس فى رواية الوالبى نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد روى أنهم كانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل فى المتخلفين فأيقنوا بالهلاك أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد وقالوا والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فأطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزل خذ من أموالهم صدقة الآية والاعتراف هو الاقرار بالشئ عن معرفة والمراد أنهم أقروا بذنوبهم وهذه كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضى والعزم على تركه فى الحال وفى الاستقبال (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) أى خلطوا كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا أبلغ من قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت فى الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت شاة ودرهما أى شاة بدرهم وذلك أن الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز أن يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال أهل السنة فيه دليل على نفى القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفى قوله (عسى الله أن يتوب عليهم) دليل على وقوع التوبة التى أخبر بحصول مقدمتها وهى الاعتراف منهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع

يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية فى حصار قريظة غير أبى لبابة وحده فاذ كان ذلك وكان الله تبارك وتعالى قد وصف فى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم بالاعتراف بذنوبهم جماعة علم أن الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد فقد تبين بذلك أن هذه الصفة اذا لم تكن الا لجماعة وكان لا جماعة فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والاخبار وأجمع عليه أهل التأويل الا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك صح ما قلنا فى ذلك وقلنا كان منهم أبو لبابة لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم وتزكيهم بها يقول وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها الى منازل أهل الاخلاص وصل عليهم يقول وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها ان صلاتك سكن لهم يقول ان دعاءك طمأنينة لهم بأن الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم والله سميع عليم يقول والله سميع لدعائك اذا دعوت لهم ولغير ذلك من كلام خلقه عليم بما تطلب لهم بدعائك ربك لهم وبغير ذلك من أمور عباده ۞ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال جاؤا بأموالهم يعنى أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا قال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص وصل عليهم يقول استغفر لهم حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من أموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ منها شيأ حتى أومر فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم يقول استغفر لهم من ذنوبهم التى كانوا أصابوا فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم فتصدق بها عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم قال لما أطلق النبى صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى قالوا يا رسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا الله عنهم يا نبى الله طهر أموالنا فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكان الثلاثة اذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله وكان عمى منهم اثنان فلم يزل الآخر يدعو حتى عمى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الاربعة جد بن قيس وأبو لبابة وحرام وأوس هم الذين قيل فيهم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم أى وقار

واجب وفائدته أن يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه أن التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معنى أن يتوب أن يقبل التوبة ورد بأنه عدول عن الظاهر مع أن الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيئته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه (خذ من أموالهم صدقة) عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال أكثر الفقهاء المراد بها الزكاة ووجه النظم أنهم لما أظهروا التوبة والندامة أمروا باخراج الزكاة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك أن الامر ظاهره الوجوب وأيضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من أموالهم دلالة على أن القدر المأخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على أن المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكاة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله (تطهرهم وتزكيهم) التاء فيهما للخطاب أي تطهرهم أيها الآخذ وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتأنيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان متغايران لاستحالة فالتزكية مبالغة في التطهير أو هي بمعنى الانماء كأنه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة أو المراد بالتزكية تعظيم شأنهم والاثناء عليهم قال أبو حنيفة ظاهر الآية يدل على أن الزكاة طهرة للآثام فلا تجب الا حيث يمكن حصول الآثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب الزكاة في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا (وصل عليهم) قال ابن عباس معناه ادع لهم فمن هنا قال الشافعي السنة للامام اذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال آخرون بظاهر اللفظ لما روي عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أبي من أصحاب الشجرة وكان

لهم وكانوا وعدوا من أنفسهم أن ينفقوا ويجاهدوا ويتصدقوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك قال لما أطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه أتوا نبي الله بأموالهم فقالوا يا نبي الله خذ من أموالنا فتصدق به عنا وطهرنا وصل علينا يقولون استغفر لنا فقال نبي الله لا آخذ من أموالكم شيأ حتى أومر فيها فأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم من ذنوبهم التي أصابوا وصل عليهم يقول استغفر لهم ففعل نبي الله عليه السلام ما أمره الله به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله خذ من أموالهم صدقة أبو لبابة وأصحابه وصل عليهم يقول استغفر لهم لذنوبهم التي كانوا أصابوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم قال هؤلاء ناس من المنافقين ممن كان تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اعترفوا بالنفاق وقالوا يا رسول الله قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ولكن توبة جديدة وصدقة نخرجها من أموالنا فقال الله لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها بعد ما قال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره * واختلف أهل العربية في وجه رفع تزكيهم فقال بعض نحويي البصرة رفع تزكيهم بها في الابتداء وان شئت جعلته من صفة الصدقة ثم جئت بها توكيدا وكذلك تطهرهم وقال بعض نحويي الكوفة ان كان قوله تطهرهم للنبي عليه السلام فالاختيار أن تجزم أنه لم يعد على الصدقة عائد وتزكيهم مستأنف وان كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها جاز أن تجزم الفعلين وترفعهما * قال أبو جعفر والصواب في ذلك من القول أن قوله تطهرهم من صلة الصدقة لان القراء مجمعة على رفعها وذلك دليل على أنه من صلة الصدقة وأما قوله وتزكيهم بها فخبر مستأنف بمعنى وأنت تزكيهم بها فلذلك رفع * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ان صلاتك سكن لهم فقال بعضهم رحمة لهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ان صلاتك سكن لهم يقول رحمة لهم * وقال آخرون بل معناه ان صلاتك وقار لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان صلاتك سكن لهم أي وقار لهم * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء المدينة ان صلواتك سكن لهم بمعنى دعواتك وقرأ قراء العراق وبعض المكيين ان صلاتك سكن لهم بمعنى ان دعاءك وكأن الذين قرؤا ذلك على التوحيد رأوا أن قراءته بالتوحيد أصح لان في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله ان صلواتك سكن لهم اذ كانت الصلوات هي جمع لما بين الثلاث الى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك والذي قالوا من ذلك عندنا كما قالوا وبالتوحيد عندنا القراءة لا لعلة أن ذلك في العدد أكثر من الصلوات ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته أنه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد واذا كان ذلك كذلك كان التوحيد في الصلاة أولى ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أخبر به المؤمنين به أن قبول توبة من تاب من المنافقين

النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وأكثر الأئمة الآن على أنه لا تحسن الصلاة لغير النبي على غيره الا تبعا وأطلق بعضهم كالغزالي وامام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام أيضا في معنى الصلاة وأما الشيعة فانهم يذكرون الصلاة والسلام في حق آل الرسول أيضا كعلي وأولاده عليه السلام وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني أمية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكاة فكيف يمتنع ذكره أو لا يحسن في أهل بيت الرسول ولان الكل أجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق وأما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في آل الرسول (ان صلاتك سكن لهم) والسكن ما يسكن اليه المرء وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيتطهرون بها وكيف لا يفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج مانعو الزكاة بها في زمان أبي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن والآن لا سكن ورد عليهم بسائر الآيات روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (ألم يعلموا) يعني غير التائبين وقيل معناه ألم يعلم التائبون قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (أن الله هو يقبل التوبة) الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو أن يعلم أن الالهية هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه أيضا أن قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله (عن عباده) دون من اشارة الى البعد الذي يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان أو الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة أخذ الصدقات الى الله بعد أن أمر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وأنها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي أحدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله أعظم من أحد وقد جاء هذا المعنى في الحديث

المنافقين وأخذ الصدقة من أموالهم اذا أعطوها اليسا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأن نبي الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك انما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن اليه صلى الله عليه وسلم وأن ذلك الى الله تعالى ذكره دون محمد وأن محمدا انما يفعل ما يفعل من ترك واطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر الله فقال جل ثناؤه ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقو أنفسهم بالسواري القائلون لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس الى محمد وأن ذلك الى الله وأن الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده أو يردها ويأخذ صدقة من تصدق منهم أو يردها عليه دون محمد فيوجهوا توبتهم وصدقتهم الى الله ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره ويخلصوا التوبة له ويريدوه بصدقتهم ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم يقبل المرجع بعبيده الى العفو عنهم اذا رجعوا الى طاعته الرحيم بهم اذا هم أنابوا الى رضاه من عقابه وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الآخرون يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء يعني الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فقال الله ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرني رجل كان يأتي حمادا ولم يجلس اليه قال شعبة قال العوام بن حوشب هو قتادة أو ابن قتادة رجل من محارب قال سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول ما من عبد تصدق بصدقة الا وقعت في يد الله فيكون هو الذي يضعها في يد السائل وتلا هذه الآية وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي عن عبد الله بن مسعود قال ما تصدق رجل بصدقة الا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ثم قرأ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة عن ابن مسعود بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة قال قال عبد الله ان الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد ابن منصور عن القاسم أنه سمع أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات حدثنا سليمان بن عمر بن الأقطع الرقي قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم عن أبي هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله يقبل الصدقة ثم ذكر نحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد

ثم أمر نبيه بأن يقول للتائبين أو لغير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة (اعملوا) فيه نوع تهديد وتخويف (فسيرى الله عملكم) وقد مر تفسيره من قريب والحاصل أنه كأنه قيل لهم اجتهدوا فى العمل فان له فى الدنيا حكما وهو أن يراه الله ورسوله والمؤمنون وفى الآخرة حكما وهو الجزاء وبوجه آخر كأنه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من الظاهريين فاعمل لتفوز بثناء شهداء الخلق

وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيامة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك أن رؤية الله تعالى شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا أما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل أفعال القلوب الا بارادة الله واطلاعه وافشائه واعلم أنه تعالى قسم المخلفين الى ثلاثة أقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثانى التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين يقفوا موقوفا أمرهم وذلك قوله (وآخرون) واعرابه كاعراب قوله وآخرون اعترفوا ومعنى (مرجون) أى مؤخرون من أرجيته وأرجأته اذا أخرته ومنه قوله أرجه وأخاه كما مر وبه سميت المرجئة لانهم جازمون بغفران ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشيئة الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعى لانهم يؤخرون العمل عن الايمان وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية أمر رسول الله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السوارى واظهارا لجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما سيجىء وقال الحسن انهم قوم من المنافقين حذرهم الله بهذه الآية ان لم يتوبوا وقوله (اما يعذبهم) التشكيك فيه راجع الى العباد أى ليكن أمرهم على الخوف والرجاء وكان يقول الناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا ويقول آخرون عسى الله أن يغفر لهم

عن أبى هريرة قال ان الله يقبل الصدقة اذا كانت من طيب ويأخذها بيمينه وان الرجل يتصدق بمثل اللقمة فيربيها الله له كما يربى أحدكم فصيله أو مهره فتربو فى كف الله أو قال فى يد الله حتى تكون مثل الجبل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفس محمد بيده لا يتصدق رجل بصدقة فتقع فى يد السائل حتى تقع فى يد الله **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأن الله هو التواب الرحيم يعنى ان استقاموا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك اعملوا لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه فسيرى الله عملكم ورسوله يقول فسيرى الله ان عملتم عملكم ويراه رسوله والمؤمنون فى الدنيا وستردون يوم القيامة الى من يعلم سرائركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ من باطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون يقول فيخبركم بما كنتم تعملون وما منه خالصا وما منه رياء وما منه طاعة وما منه لله معصية فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم المحسن باحسانه والمسىء باساءته **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن مجاهد وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون قال هذا وعيد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوكم أيها المؤمنون آخرون ورفع قوله آخرون عطفا على قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وآخرون مرجون يعنى مرجؤن لأمر الله وقضائه يقال منه أرجأته أرجئه ارجاء وهو مرجأ بالهمز وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد وقد قرأت القراء بهما جميعا وقيل عنى بهؤلاء الآخرين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمه ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى فأرجأ الله أمرهم الى أن صحت توبتهم فتاب عليهم وعفا عنهم ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال وكان ثلاثة منهم يعنى من المتخلفين عن غزوة تبوك لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى أرجؤا سنة لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم فأنزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين الى قوله ان الله هو التواب الرحيم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية يعنى قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم يعنى من أموال أبى لبابة وصاحبيه فتصدق بها عنهم وبقى الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة ولم يوثقوا ولم يذكروا بشئ ولم ينزل عذرهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت وهم الذين قال الله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فجعل الناس يقولون هلكوا اذ لم ينزل لهم عذر وجعل آخرون يقولون عسى الله أن يغفر

و يقول آخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائى جعل أمرهم دائرا بين التعذيب والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة وأجيب بأنه يجوز أن تكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولما ذكر أصناف المنافقين وبين طرائقهم المختلفة قال (والذين

اتخذوا) كأنه قال ومنهم الذين اتخذوا فى الكشاف أن محله النصب على الاختصاص أو الرفع على الابتداء وخبره محذوف أى ومن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير كانوا اثنى عشر رجلا بنوا مسجدا يضارّون به مسجد قباء وروى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا كذلك واعلم أنه سبحانه حكى أن الباعث لهم على هذا العمل كان أمورا أربعة الاول الضرار وهو المضارة والثانى الكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وذلك أنهم أرادوا تقوية أهل النفاق والثالث التفريق بين المؤمنين لانهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبى فى مسجدهم فيؤدى ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله (وارصادا لمن حارب الله ورسوله) وقوله (من قبل) يتعلق بحارب أى من قبل بناء مسجد الضرار وقال فى الكشاف انه متعلق بالتخذوا والمراد من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون انه الاعداد والمراد بمن حارب أبو عامر الراهب والد أبى حنظلة الذى غسلته الملائكة وسماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر فى الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلما كان يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود

لهم فصاروا مرجئين لامر الله حتى نزلت لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الذين خرجوا معه الى الشام من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا يعنى المرجئين لامر الله نزلت عليهم التوبة فعموا بها فقال حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الى قوله ان الله هو التواب الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة وآخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله قال هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله هلال ابن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك من الاوس والخزرج * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآخرون مرجون لامر الله هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة يريد غير أبى لبابة وأصحابه ولم ينزل الله عذرهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل فى أبى لبابة وأصحابه وتقول فرقة أخرى عسى الله أن يعفو عنهم وكانوا مرجئين لامر الله ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال لقد تاب الله على النبى والمهاجرين الآية وأنزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون مرجون لامر الله قال كنا نحدث أنهم الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع رهط من الانصار **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وآخرون مرجون لأمر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الثلاثة الذين خلفوا وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتتهم توبتهم من الله وأما قوله اما يعذبهم فانه يعنى اما أن يحجزهم الله عن التوبة يخذلانه اياهم فيعذبهم بذنوبهم التى ماتوا عليها فى الآخرة واما يتوب عليهم يقول واما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم فيغفر لهم والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بأمرهم وما هم صائرون اليه من التوبة والمقام على الذنب حكيم فى تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه لا يدخل حكمه خلل ثم القول فى تأويل قوله ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون﴾ يقول تعالى ذكره والذين ابتنوا مسجدا ضرارا وهم فيما ذكر اثنا عشر نفسا من الانصار ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى

(٣ - ابن جرير - حادى عشر)

ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا أبا عامر ليصلى بهم فى ذلك المسجد فخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله (وليحلفن ان أردنا) أى ما أردنا ببناء هذا المسجد الا (الحسنى) وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق ذلك غزوة تبوك فأتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجد الذى العلة والحاجة والليلة المطيرة

والليلة الشاتية ونحن نحب ان تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه اتيان المسجد فنزل (لا تقم فيه أبدا) الآية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله أن يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرائيل لا تقم فيه ولا ريب أن النهى عن القيام فيه يستلزم النهى عن الصلاة فيه ثم بين علة النهى فقال (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم) أى من ابتداء وجوده (أحق أن تقوم فيه) والمعنى لو كان القيام فى غيره جائزا لكان هذا أولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة فى هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من أول يوم كان أولى بالصلاة فيه فالامام أولى بأن يكون متقيا من أول عمره وماذاك الا على عليه السلام لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا فى هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عن أبى سعيد الخدرى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ حصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال فى الكشاف وهذا أولى لان الموازنة بين مسجدى قباء

ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى من تبوك حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا أتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدى أو أخاه عاصم بن عدى أخا بنى العجلان فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشم فقال مالك لمعن انظرنى حتى أخرج اليك بنار من أهلى فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى آخر القصة وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا خذام بن خالد بن عبيد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد وهو الى بنى أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية وزيد بن جارية ونبتل بن الحرث وهم من بنى ضبيعة وبخدج وهو الى بنى ضبيعة وبجاد بن عثمان وهو من بنى ضبيعة ورد بعة ابن ثابت وهو الى بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر فتأويل الكلام والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمحادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرقوا به المؤمنين ليصلى فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يقول واعدادا لأبى عامر الكافر الذى خالف الله ورسوله وكفر بهما وفارق رسول الله من قبل يعنى من قبل بنائهم ذلك المسجد وذلك أن أبا عامر هو الذى كان حزب الاحزاب يعنى حزب الاحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خذله الله لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبى الله وكتب الى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذى كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلى فيه فيما يزعم اذا رجع اليهم ففعلوا ذلك وهذا معنى قول الله جل ثناؤه وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى يقول جل ثناؤه وليحلفن بانوه ان أردنا الا الحسنى ببنائنا اياه الا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المسير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه وتلك هى الفعلة الحسنة والله يشهد انهم لكاذبون فى حلفهم ذلك وقيلهم ما بنيناه الا ونحن نريد الحسنى ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوأى ضرار المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لابى عامر الفاسق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى

أوقع وقال القاضى كل مسجد بنى على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح أحق أن تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وأيضا كل مسجد بنى مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى وجه الله أو عمل غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا آخر وذلك قوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص

قال

ان أهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولأن طهارة الباطن أشد تأثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك أنهم كانوا لا يتنامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وروى أنها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقيل يحبون أن تطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا بأجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضا عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ثم بين أنه لا نسبة بين الفريقين وأن بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير (أفمن أسس بنيانه) وهو مصدر كالعمران وأريد به المبنى والمعنى أن من أسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه (خير أم من أسس) دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير أي الشفة والجرف هو ما اذا سال السيل وانحسر الوادي ويبقى على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف والهار الهائر وهو أيضا المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال في الكشاف انه صفة قصرت عن فاعل لخلف من خالف وألفه ليست بألف فاعل انما هي عينه وأصله هور على فعل ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر جهنم يروى أنه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى

قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وهم أناس من الانصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فأنزل الله فيه لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء خرج رجال من الانصار منهم بخدج جد عبد الله بن حنيف ووديعة بن حزام ومجمع بن جارية الانصاري فبنوا مسجد النفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابخدج وبلك ما أردت الى ما أرى فقال يا رسول الله والله ما أردت الا الحسنى وهو كاذب فصدقه رسول الله وأراد أن يعذره فأنزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني رجلا منهم يقال له أبو عامر كان محاربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد انطلق الى هرقل فكانوا يرصدون أبا عامر أن يصلي فيه وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال أبو عامر الراهب انطلق الى قيصر فقالوا اذا جاء يصلي فيه كانوا يرون أنه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لأبي عامر الراهب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا أبو اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال نزلت في المنافقين وقوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال هو أبو عامر الراهب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم بنو غنم بن عوف حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حي يقال لهم بنو غنم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير في قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حي يقال لهم بنو غنم * قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت وارصادا لمن حارب الله ورسوله أبو عامر الراهب انطلق الى الشام فقال الذين بنوا مسجد الضرار انما بنيناه ليصلي فيه أبو عامر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية عمد ناس من أهل النفاق فابتنوا مسجدا بقباء ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا الى رسول الله ليصلي فيه ذكر لنا أنه دعا بقميصه ليأتيهم حتى

الدخان يخرج منه ثم ذكر أن بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة) في كونه سببا للريبة (في قلوبهم) وجوه منها أن هدمه صار سببا لازدياد شكهم في نبوته ومنها أنهم ظنوا أن تخريبه لاجل الحسد فارتفع أمانهم عنه وصاروا مرتابين في أنه هل يتركهم على ما هم فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم فلا تزول تلك الريبة (الا أن تقطع قلوبهم) أجزاء متفرقة فانها بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يضمحل أثرها عنها والمقصود أن هذا الشك يبقى في قلوبهم أبدا ويموتون على النفاق قال في الكشاف يجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقيل معناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم ﴿ التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية أو السابقون الاولون عند الخروج من العدم وهم أهل الصف الاول من الجنود المجندة أو السابقون في جواب ألست بربكم الاولون في استماع هذا الخطاب أو السابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم في الازل الاولون باداء حق المحبة في سر يحبونه أو السابقون عند تخمير طينة آدم في مماسة ذراتهم يد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة في كمال الاربعين صباحا أو السابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأمته كما قال نحن الآخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم في طلب الحق والذين اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي الله عنهم باعطاء الاستعدادات الكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها ومن حولكم ذكر من أعراب صفات النفس منافقون ومن أهل مدينة القلب فمن صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية بل تميل الى الشهوة

أطلعه الله على ذلك وأما قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله فانه كان رجلا يقال له أبو عامر فر من المسلمين فلحق بالمشركين (٣) فقتلوه باسلامه قال اذا جاء صلى فيه فانزل الله لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى الآية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء يضارون به نبي الله والمسلمين وارصادا لمن حارب الله ورسوله كانوا يقولون اذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه وكانوا يقولون اذا قدم ظهر على نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال مسجد قباء كانوا يصلون فيه كلهم وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل الملائكة وصيفي وأخيه وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين فخرج أبو عامر هاربا هو وابنا بالين من ثقيف وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم فاما علقمة وابنا بالين فرجعا فبايعا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلما وأما أبو عامر فتنصر وأقام قال وبنى ناس من المنافقين مسجد الضرار لابي عامر قالوا حتى يأتي أبو عامر يصلي فيه وتفريقا بين المؤمنين يفرقون بين جماعتهم لانهم كانوا يصلون جميعا في مسجد قباء وجاؤا يخدعون النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين الوادي ويحول بيننا وبين القوم فنصلي في مسجدنا فاذا ذهب السيل صلينا معهم قال وبنوه على النفاق قال وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وألقى الناس عليه النتن والقمامة فانزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين لئلا يصلي في مسجد قباء جميع المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل أبي عامر وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن أبي جعفر عن ليث أن شقيقا لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني ضرارا أو رياء أو سمعة فان أصله ينتهي الى المسجد الذي بني على ضرار ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تقم يا محمد في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ثم أقسم جل ثناؤه فقال لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم أنت فيه يعني بقوله أسس على التقوى ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أول يوم ابتدئ في بنائه أحق أن تقوم فيه يقول أولى أن تقوم فيه مصليا وقيل معنى قوله من أول يوم مبدأ أول يوم كما تقول العرب لم أره من يوم كذا بمعنى مبدؤه ومن أول يوم يراد به من أول الايام كقول القائل لقيت كل رجل بمعنى كل الرجال واختلف أهل التأويل في المسجد الذي عناه بقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم فقال بعضهم هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه منبره وقبره اليوم

(٣) كذا في الاصل ولعله مصحف والاصل فبنوه باشارته وقالوا اذا الخ تأمل كتبه مصححه

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن ابراهيم بن طهمان عن عثمان بن عبيد الله قال أرسلني محمد بن أبي هريرة الى ابن عمر أسأله عن المسجد الذي أسس على التقوى أي مسجد هو مسجد المدينة أو مسجد قباء قال لا مسجد المدينة * قال ثنا القاسم بن عمرو العنقزي عن الدراوردي عن عثمان بن عبيد الله عن ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد قالوا المسجد الذي أسس على التقوى مسجد الرسول * قال ثنا أبي عن ربيعة بن عثمان عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع قال سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسس على التقوى قال هو مسجد الرسول * قال ثنا ابن عيينة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم * قال ثنا أبي عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن ذكوان عن أبيه عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد الرسول حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد ثنا حميد الخراط المدني قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى فقال لي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي مسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا هكذا سمعت أباك يذكره حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي الاعظم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال ان المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد المدينة الا كبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود قال قال سعيد بن المسيب فذكر مثله الا أنه قال الاعظم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال أحسبه عن أبيه قال مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى * وقال آخرون بل عنى بذلك مسجد قباء ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس لمسجد أسس على التقوى من أول يوم يعني مسجد قباء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية لمسجد أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن صالح بن حيان عن ابن بريدة قال مسجد قباء الذي أسس على التقوى بناه نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى بنو عمرو بن عوف * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قال أبو كريب ثنا وكيع وقال ابن وكيع ثنا أبي عن ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس رجل من الانصار عن سهل بن سعد قال اختلف رجلان على عهد

لما خلقت وطباعها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم وان أخوف ما أخاف على أمتي النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية في طلب الغذاء فانها باقية على طلبها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل أن تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية أو لم تكن مغلوبة بأنوار صفات القلب ففيها بعض النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعني أن هذه الافعال لا يعرفها أرباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها أصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة بأحكام الشريعة ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء في الله أو بجذبات القهر الى اسبال حجب البعد والبقاء في عالم الطبيعة وآخرون يعني القلب وصفاته اعترفوا بذنوب ثبوت صفات النفس والتلوث بها خلطوا عملا صالحا وهو صدق التوجه وآخر سيأهو مطاوعة النفس والهوى في بعض الاوقات عسى الله أن يوفقهم للرجوع الى طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وبأخذ الصدقات فيه أن المعطى يجب أن لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير أصلا وسترد ون بأقدام أعمالكم الى الله الذي يعلم ما غاب عنكم من نتائج أعمالكم وما غبتم عنه من التقدير الازلي وما تشاهدون بالعيون والقلوب في عالمي الملك والملكوت وآخرون مرجون لأمر تو بتهم ليترددوا بين الخوف والرجاء فيطير وا بجناحي القبض والبسط الى أن يصلوا الى سرادقات الهيبة والانس والله عليم بتربية

عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا في عالم الطبيعة مزبلة النفس مسجدا ضرار الارباب الحقيقة وكفرا بأحوالهم لمن حارب الله هم أهل الاباحة من مدعي الفقر لا تقم يارسول الروح أسس على التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من أول يوم من الميثاق رجال يحبون أن يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات المزكاة عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميزين أهل السعادة والشقاوة فقال أفمن أسس بنيانه أي جبل على الخير ومافيه رضا الله لايزال بنيانهم الذي بنوار بية لانهم جبلوا على الشقاء الا أن تقطع قلوبهم غير واعن طباعهم وذلك محال أو لايزال يسري من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم غيروا عن طباعهم وذلك بسكين الرياضة فتزول عنها تلك الملكات

﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ القرآن

رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد النبي وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هو مسجدي هذا اللفظ لحديث أبي كريب وحديث سفيان نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن عبد الله ابن عامر الاسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال مسجدي هذا **حدثني** يونس قال أخبرني ابن وهب قال ثني الليث عن عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال آخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله هو مسجدي هذا **حدثني** بحر بن نصر الخولاني قال قرئ على شعيب بن الليث عن أبيه عن عمران بن أبي أنس عن سعيد بن أبي سعيد الخدري قال تمارى رجلان فذكر مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سجل بن محمد بن أبي يحيى قال سمعت عمي أنيس بن أبي يحيى يحدث عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا وفي كل خير **حدثني** المثنى قال ثني الحماني قال ثنا عبد العزيز عن أنيس عن أبيه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال أخبرنا أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا من بني خدرة ورجلا من بني عمرو بن عوف امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال العوفي هو مسجد قباء فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه فقال هو مسجدي هذا وفي كل خير ﴿القول في تأويل قوله ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ يقول تعالى ذكره في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم رجال يحبون ان ينظفوا مقاعدهم بالماء اذا أتوا الغائط والله يحب المتطهرين بالماء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا همام بن يحيى عن قتادة عن شهر بن حوشب قال لما نزل فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الطهور الذي أثنى الله عليكم قالوا يارسول الله نغسل أثر الغائط **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء ان الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا أثر الغائط والبول **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال النبي صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم فيه قالوا انا نستطيب بالماء اذا جئنا من الغائط **حدثني** جابر بن الكردي قال ثنا محمد بن سابق قال ثنا مالك بن مغول عن سيار أبي الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أخبروني فان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا فقالوا يارسول الله انا نجد عندنا مكتوبا في التوراة الاستنجاء بالماء **حدثنا** سفيان بن وكيع قال ثنا يحيى بن رافع عن مالك بن مغول قال سمعت سيارا أبا الحكم غير مرة يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد ابن

فيقتلون مبنيا للمفعول و يقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلى وخلف الآخرون على العكس و يقتلون بالتشديد أبو عون عن قنبل ابراهام وكذلك مابعده هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التأنيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى ابن رومى عن عباس الباقون بالتشديد مجهولا ۞ الوقوف الجنة ط ويقتلون ط

والقرآن ط بايعتم به ط العظيم ٥ لحدود الله ط المؤمنين ٥ الجحيم ٥ اياه ط منه ط ج حليم ٥ طما يتقون ط عليم ٥ والارض ط ويميت ط نصير ٥ تاب عليهم ط رحيم ٥ ط للعطف على النبى خلفوا ط الا اليه ط ليتوبوا ط الرحيم ٥ الصادقين ٥ ۞ التفسير لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر أقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه فقال (ان الله اشترى) الآية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فأغلى ثمنهم وقال جعفر الصادق عليه السلام والله ما لأبدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم أن هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لأن المشترى انما يشترى ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن اشترى أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها والمراد بأنفسهم النفوس المجاهدة وبأموالهم التى ينفقونها فى أسباب الجهاد وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هى أن قيم الطفل له أن يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففى هذه الآية البائع والمشترى هو الله ففيه تنبيه على أن العبد كالطفل الذى لا يهتدى الى مصالح نفسه وأنه تعالى هو المراعى لمصالحه حتى يوصله الى أنواع الخيرات وأصناف السعادات و بوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد

ابن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم على أهل قباء قال ان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا يعنى قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا قالوا انا نجده مكتوبا عندنا فى التوراة الاستنجاء بالماء حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن رافع قال ثنا مالك بن مغول عن سيار عن شهر ابن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال يحيى ولا أعلمه الا عن أبيه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأهل قباء ان الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيرا قالوا انا نجده مكتوبا علينا فى التوراة الاستنجاء بالماء وفيه نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا اسمعيل ابن صبيح اليشكرى قال ثنا أبو أويس المدنى عن شرحبيل بن سعد عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء انى أسمع الله قد أثنى عليكم الثناء فى الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيأ الا أن جيرانا لنا من اليهود رأيناهم يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا محمد بن سعيد قال ثنا ابراهيم ابن محمد عن شرحبيل بن سعد قال سمعت خزيمة بن ثابت يقول نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عامر قال كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء فنزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شبابة بن سوار عن شعبة عن مسلم القرى قال قلت لابن عباس أصب على رأسى وهو محرم قال ألم تسمع الله يقول ان الله يحب التوابين و يحب المتطهرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن داود وابن أبى ليلى عن الشعبى قال لما نزلت فيه رجال يحبون أن يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذا الذى أثنى الله عليكم قالوا ما منا من أحد الا وهو يستنجى من الخلاء حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الحميد المدنى عن ابراهيم بن اسمعيل الانصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة ما هذا الذى أثنى الله عليكم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال نوشك أن نغسل الأدبار بالماء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن حصين عن موسى بن أبى كثير قال بدء حديث هذه الآية فى رجال من الانصار من أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم قالوا نستنجى بالماء حدثنى المثنى قال ثنا أصبغ بن الفرج قال أخبرنى ابن وهب قال أخبرنى يونس عن أبى الزناد قال أخبرنى عروة بن الزبير عن عويم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف ومعن بن عدى من بنى العجلان وأبى الدحداح فأما عويم بن ساعدة فهو الذى بلغنا انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجال منهم عويم بن ساعدة لم يبلغنا أنه سمى منهم رجلا غير عويم حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن هشام بن حسان قال ثنا الحسن قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى ذكركم الله به فى أمر الطهور فاثنى به عليكم قالوا نغسل أثر الغائط والبول حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مالك بن مغول قال

الذى هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضرورات المعاش كالآلات والوسائط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبائع هو جوهر الروح القدسى والمشترى هو الله وأحد العوضين الجسد البالى والمال الفانى والعوض الآخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وفى قوله

(يقاتلون) معنى الامر كقوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وهو كالتفسير لتلك المبايعة (فيقتلون ويقتلون) أى انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه أن طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق أن كل أنواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد أكمل أثرا من القتال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام لأن يهدى الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولأن الانسان جوهر شريف فتى أمكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان أولى من افناء ذاته ألا ترى أن جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا أخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله (وعدا عليه) قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بأن لهم الجنة كأنه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله (حقا) أو هو نعت للمصدر مؤكد وما الذى حصل (فى التوراة والانجيل والقرآن) قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لأمة محمد وقيل الامر بالقتال (ومن أوفى) استفهام بمعنى الانكار أى لا أحد أوفى بما وعد (من الله) لانه الغنى عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفى الآية أنواع من التوكيدات فأولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشترى هو الاله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها أنه عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشراء

سعيد

سمعت سيارا أبا الحكم يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أو قال قدم علينا رسول الله فقال ان الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيرا أفلا تخبرونى قالوا يا رسول الله انا نجد علينا مكتوبا فى التوراة الاستنجاء بالماء قال مالك يعنى قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طهوركم هذا الذى ذكركم الله قالوا يا رسول الله كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى مسجد قباء رجال من الانصار يوضئون سفلتهم بالماء يدخلون النخل والماء يجرى فيتوضئون فأثنى الله بذلك عليهم فقال فيه رجال يحبون أن يتطهروا الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء فنزلت فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقيل والله يحب المطهرين وانما هو المتطهرين ولكن أدغمت التاء فى الطاء فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج احداهما من الاخرى ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أفمن أسس بنيانه فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما وقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على وصف من بناء الفاعل الذى أسس بنيانه وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن قراءته بتوجيه الفعل الى من اذ كان من المؤسس أعجب الىّ فتأويل الكلام اذا أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عند كم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على اتقاء الله بطاعتهم فى بنائه وأداء فرائضه ورضا من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك وفعلهم ما فعلوه خير أم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على شفا جرف هار يعنى بقوله على شفا جرف على حرف جرف والجرف من الركى ما لم يبن له جول هار يعنى متهور وانما هو هائر ولكنه قلب فأخرت يأوها فقيل هار كما قيل هو شاك السلاح وشائك وأصله من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا انهدم ومن جعله من هذه اللغة قال هرت يا حرف ومن جعله من هار يهور قال هرت يا حرف وانما هذا مثل يقول تعالى ذكره أى هذين الفريقين خير وأى هذين البناءين أثبت أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه بان بناءه لله طاعة والله به راض أم من ابتدأه بنفاق وضلال وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه فهدمه كما يأتى البناء على حرف ركية لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ترى به التراب متناثرا الا تلبثه السيول أن تهدمه وتنثره يقول الله جل ثناؤه فانهار به فى نار جهنم يعنى فانتثر الجرف الهارى ببنائه فى نار جهنم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فانهار به قواعده فى نار جهنم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فانهار به يقول فخر به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

سعيد عن قتادة قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله الى قوله فانهار به فى نار جهنم قال والله ماتناهى أن وقع فى النار ذكر لنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى منها الدخان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج (١) بنو عمرو بن عوف استأذنوا النبى صلى الله عليه وسلم فى بنيانه فاذن لهم ففرغوا منه يوم الجمعة فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد قال وانهار يوم الاثنين قال وكان قد استنظرهم ثلاثا السبت والاحد والاثنين فانهار به فى نار جهنم مسجد المنافقين انهارفلم يتناه دون أن وقع فى النار * قال ابن جريج ذكر لنا أن رجالا حفروا فيه فابصروا الدخان يخرج منه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج عن طلق بن حبيب عن جابر قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا قال رأيت المسجد الذى بنى ضرارا يخرج منه الدخان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن مرزوق البصرى قال ثنا أبو سلمة قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال ثنى طلق العنزى عن جابر ابن عبد الله قال رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا خلف بن ياسين الكوفى قال حججت مع أبى فى ذلك الزمان يعنى زمان بنى أمية فمررنا بالمدينة فرأيت مسجد القبلتين يعنى مسجد الرسول وفيه قبلة بيت المقدس فلما كان زمان أبى جعفر قالوا ندخل الجاهل فلا يعرف القبلة فهذا البناء الذى يرون جرى على يد عبد الصمد بن على ورأيت مسجد المنافقين الذى ذكره الله فى القرآن وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة قوله والله لا يهدى القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للرشاد فى أفعاله من كان بانيا بناءه فى غير حقه وموضعه ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله ﷺ القول فى تأويل قوله ﴿لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجد اضرارا وكفرا ريبة يقول لا يزال مسجدهم الذى بنوه ريبة فى قلوبهم يعنى شكا ونفاقا فى قلوبهم يحسبون أنهم كانوا فى بنائه محسنين الا أن تقطع قلوبهم يعنى الا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم فى دينهم وما قصدوا فى بنائه موه وأرادوه وما اليه صائر أمرهم فى الآخرة وفى الحياة ما عاشوا وبغير ذلك من أمرهم وأمر غيرهم حكيم فى تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم يعنى شكا الا أن تقطع قلوبهم يعنى الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ريبة فى قلوبهم قال شكا فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم الى أن يموتوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم يقول حتى يموتوا حدثنى مطر بن محمد الضبى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى قوله الا أن تقطع قلوبهم قال الا أن يموتوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا

(١) الذى تقدم له من غير ابن جريج أن بانى مسجد الضرار بنو غنم بن عوف وان بانى مسجد قباء بنو عمرو بن عوف فان لم يكن مصحفا أو رواية فهو اشتباه فتأمل وحرر كتبه مصححه

منى يكون حقا مؤكدا ومنها أنه قال بأن لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون أن يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تأكيد التحقيق ومنها قوله فى التوراة والانجيل والقرآن وانه يجرى مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن أوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على أنه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله (وذلك هو الفوز) ثم وصف الفوز بالعظيم واعلم أن هذه الخاتمة تقع على ثلاثة أوجه أحدها ذلك الفوز بغير هو وانه فى ستة مواضع فى براءة موضعان وفى النساء والمائدة والصف والتغابن وما فى النساء بزيادة واو والآخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك فى ستة مواضع أخرى فى براءة موضعان ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما فى براءة أحدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية وكذلك ما فى المؤمن وسبب هذا الاختلاف أن الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بالواو والعطف واما بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة فيها اليها وربما جمع بين الشيئين منها والثلاثة للدلالة على المبالغة وقد جمع فى هذه الخاتمة بين الثلاثة لغاية التوكيد والمبالغة أولا أنه ذكر الكتب الثلاثة فكل رابطة فى مقابلة كتاب واحد وكذلك فى المؤمن وقع الثلاثة فى مقابلة ثلاثة أدعية فاغفر وقهم وأدخلهم قال أبو القاسم البلخى لابد من حصول الاعواض على الآلام للاطفال والبهائم قياسا على ما أثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على ألم القتل وهو الجنة ثم ذكر أن حكم سائر المؤمنين كذلك فقال (التائبون) قال الزجاج انه مبتدأ محذوف الخبر

أى التائبون العابدون من أهل الجنة أيضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون ومابعده أى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال أما تفسير هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق ومال آخرون

الى التعميم ليشمل المعاصى أيضا اذ لا دليل على التخصيص (والعابدون) قال ابن عباس هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله فى السراء والضراء والعبادة لاشك أنها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم أخذوا من أبدانهم فى ليلهم ونهارهم و(الحامدون) هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله و يجعلون اظهار ذلك عادة لهم وذلك أن الحمد ذكر من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر أهل الدنيا يقولون فى كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين و(السائحون) قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة أمتى الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهرى انما قيل للصائم سائح لأن الذى يسيح فى الارض متعبدا لا زاد معه فيكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل أصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذى يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى عنه من الاكل والشرب والوقاع وقال أهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه أبواب المعانى والحكم وتجلت له أنوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة فى عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد فى طلب العلم فى مظانه وكانت السياحة فى بنى اسرائيل قال عكرمة عن وهب ابن منبه لا ريب أن للسياحة أثرا عظيما فى تكميل النفس لانه يلقى أنواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء وللاموات و يستفيد ممن هو فوقه و يفيد من هو دونه و يكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار (الراكعون الساجدون) يعنى المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلاة لان سائر هيئات المصلى موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلى وغيره بالركوع والسجود وقيل أول مراتب التواضع القيام وأوسطها الركوع وغايتها السجود

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة والحسن لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قالا شكا فى قلوبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى قال ثنا أبو سنان عن حبيب لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال غيظا فى قلوبهم * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا * قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن حبيب الا أن تقطع قلوبهم الا أن يموتوا * قال ثنا قبيصة عن سفيان عن السدى ريبة فى قلوبهم قال كفر قلت أكفر مجمع بن جارية قال لا ولكنها حزازة حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال حزازة فى قلوبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم لا يزال ريبة فى قلوبهم راضين بما صنعوا كما حب العجل فى قلوب أصحاب موسى وقرأ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قال حبه الا أن تقطع قلوبهم قال لا يزال ذلك فى قلوبهم حتى يموتوا يعنى المنافقين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن السدى عن ابراهيم ريبة فى قلوبهم قال شكا قال قلت يا أبا عمران تقول هذا وقد قرأ القرآن قال انما هى حزازة * واختلفت القراء فى قراءة قوله الا أن تقطع قلوبهم فقرأ ذلك بعض قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة الا أن تقطع قلوبهم بضم التاء من تقطع على أنه لم يسم فاعله و بمعنى الا أن يقطع الله قلوبهم وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة الا أن تقطع قلوبهم بفتح التاء من تقطع على أن الفعل للقلوب بمعنى الا أن تتقطع قلوبهم ثم حذفت احدى التاءين وذكر أن الحسن كان يقرأ الى أن تقطع قلوبهم بمعنى حتى تتقطع قلوبهم وذكر أنها فى قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك الا أن تقطع بضم التاء والقول عندى فى ذلك أن الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى لان القلوب لا تتقطع اذا تقطعت الا بتقطيع الله اياها ولا يقطعها الله الا وهى متقطعة وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته وأما قراءة من قرأ ذلك الى أن تقطع فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون و يقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره ان الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدا عليه حقا يقول وعدهم الجنة جل ثناؤه وعدا عليه حقا أن يوفى لهم به فى كتبه المنزلة التوراة والانجيل والقرآن اذ هم وفوا بما عاهدوا الله فقاتلوا فى سبيله ونصروا دينه أعداءه فقتلوا وقتلوا ومن أوفى بعهده من الله يقول جل ثناؤه ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله فاستبشر وا يقول ذلك للمؤمنين فاستبشر وا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا بيعكم أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به فان ذلك هو الفوز العظيم كما حدثنا ابن حميد

حمد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال ما من مسلم الا ولله في عنقه بيعة يوفي بها أو مات عليها في قول الله ان الله اشترى من المؤمنين الى قوله وذلك هو الفوز العظيم ثم حلاهم فقال التائبون العابدون الى وبشر المؤمنين **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم يعني بالجنة * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال نامنهم الله فأغلى لهم الثمن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن أنه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال بايعهم فأغلى لهم الثمن **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين الآية * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبيد بن طفيل العبسي قال سمعت الضحاك بن مزاحم وسأله رجل عن قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية قال الرجل ألا أحمل على المشركين فأقاتل حتى أقتل قال ويلك أين الشرط التائبون العابدون ۞ القول في تأويل قوله ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره ان الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ولكنه رفع اذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها والعرب تفعل ذلك وقد تقدم بيانا لذلك في قوله صم بكم عمي بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ومعنى التائبون الراجعون مما كرهه الله وسخطه الى ما يحبه ويرضاه كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن في قول الله التائبون قال تابوا الى الله من الذنوب كلها **حدثنا** سوار بن عبد الله العنبري قال ثني أبي عن أبي الاشهب عن الحسن أنه قرأ التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي الاشهب قال قرأ الحسن التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن قال التائبون من الشرك **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية التائبون العابدون قال الحسن تابوا والله من الشرك وبرئوا من النفاق **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله التائبون قال تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا في الاسلام **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج التائبون قال الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها وأما قوله العابدون فهم الذين ذلوا خشية لله وتواضعاله فجدوا في عبادته كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة العابدون قوم أخذوا من أنفسهم في ليلهم ونهارهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن

حما بالذكر تنبيها على أن المقصود من الصلاة نهاية الخضوع ثم قال (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ومعناهما مذكور فيما مر الا أن ههنا بحثا آخر وهو أنه لم أدخل الواو في قوله والناهون والحافظون دون سائر الاوصاف وأجيب بأن التنسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب أو المراد أن الموصوفين بالصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان رأس المعروف الايمان بالله ورأس المنكر الكفر به والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر أو النهي عن المنكر أصعب أقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فأدخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الآية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت أبوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وأبكارا وذلك أنهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والاخبار فالثمانية تجري مجرى استئناف كلام فلهذا فصل بالواو وأما قوله (والحافظون لحدود الله) فكالجمل بعد تفصيل وذلك أن التكاليف اما أن تتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذر ونحوها أو بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها اما لجلب المنافع أو لدفع المضار والمنافع اما أن تكون مقصودة بالاصالة أو بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب أحكام الوقاع فمنها ما يفيد حله كالنكاح والرضاع وما يتبعهما من المهر والنفقة والسكنى وأحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن أحكام الملموسات البحث عما يلبس واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل

سماعه ومالا يحل والمشومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب فى بعض الاوقات وسنه
فى بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كأكل البصل والثوم للمصلى بالجماعة فى المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هى الاموال والبحث
عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الموات والالتقاط وأخذ الفيء والغنائم

والزكاة وكالبيع بيع العين بالعين أو بيع الدين بالعين وهو السلم أو بالعكس كما اذا اشترى شيأ فى الذمة أو بيع الدين بالدين وهو بيع الكالئ بالكالئ المنهى عنه الا عند تقاص الدينين أو من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة أو من جهة الاسباب التى توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة أو من جهة الاسباب التى تمنع المالك التصرف فى ملكه كالرهن والاجارة والتفليس وأما دفع المضار والمضرة اما فى النفس وهو كتاب الجراح أو فى الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد وأحكام البغاة واما فى النسب وهو باب أحكام الزنا والقذف واللعان واما فى العقل كباب تحريم الخمر واما فى المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق أو على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر وهو أن كل أحد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب أمر الله بنصب الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهى الشهادة والأيمان فحصل من ذلك كتاب آداب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما أمكن من ضبط معاقد تكاليف الله تعالى وأحكامه وحدوده وكلها منوطة بأعمال الجوارح دون أعمال القلوب التى لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله والحافظون لحدود الله يشمل ذلك أيضا بل رعايته أهم من رعاية أحوال الظواهر ثم ختم الآية بتكرير البشارة وفيه من كمال العناية ما فيه ولما من أول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين الكفرة الاحياء أراد أن يبين وجوب البراءة من أمواتهم أيضا وان كانوا أقارب

فى قول الله العابدون قال عبدوا الله على أحايينهم كلها فى السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن العابدون قال العابدون لربهم وأما قوله الحامدون فانهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحامدون قوم جدوا لله على كل حال حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة قال قال الحسن الحامدون الذين جدوا لله على أحايينهم كلها فى السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن الحامدون قال الحامدون على الاسلام وأما قوله السائحون فانه الصائمون كما حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى وابن وكيع قالا ثنا سفيان عن عمرو عن عبيد بن عمير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن عمرو عن عبيد بن عمير قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا حكيم بن حزام قال ثنا سليمن عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال السائحون الصائمون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال السائحون الصائمون * قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنى عاصم عن زر عن عبد الله بمثله حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله قال أخبرنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى عبد الرحمن قال السياحة الصيام حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السائحون الصائمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه واسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السائحون الصائمون حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير قال السائحون الصائمون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أشعث بن أبى الشعثاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله * قال ثنا أبى عن أبيه عن أبى اسحق عن عبد الرحمن قال السائحون هم الصائمون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس السائحون قال يعنى بالسائحين الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال السائحون هم الصائمون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد السائحون الصائمون * قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كل ما ذكر الله فى القرآن السياحة هم الصائمون * قال ثنا أبى عن المسعودى عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن أبى عمر العبدى قال السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن السائحون الصائمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن قال السائحون الصائمون

فقال (ما كان للنبي) ومعناه النهي أي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل المنع بقوله (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فطلب غفرانهم جار مجرى طلب اخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لمرتبة النبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بأن يكونوا من الاباعد أو من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله (ولو كانوا أولي قربى) روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وابن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قرباتنا قد استغفر ابراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت ما كان للنبي الآيتان وقيل، عن ابن عباس لما افتتح صلى الله عليه وسلم مكة سأل أي أبويه أحدث به صلى الله عليه وسلم عهدا أي آخرهما موتا فقيل أمه آمنة فزار صلى الله عليه وسلم قبرها ثم قام باكيا فقال الى استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل على ما كان للنبي الآية فقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن أبي الفضل هذا أصح لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولا وكانت وفاة أبي طالب بمكة في أول الاسلام ويمكن أن يوجه الاول بأنه صلى الله عليه وسلم لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الآية ثم اعتذر عن استغفار ابراهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك أن أباه كان وعد ابراهيم أن يؤمن فكان يستغفر له بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابراهيم أنه عدو لله اما باصراره على الكفر أو بموته على ذلك أو بطريق الوحي (تبرأ منه) وترك الاستغفار ويجوز أن يكون الواعد ابراهيم عليه السلام ويوافقه قراءة الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة وذلك في قوله لأستغفرن لك وعده أن يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد

شهر رمضان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال السائحون الصائمون * قال ثنا أبو أسامة عن جويبر عن الضحاك قال كل شيء في القرآن السائحون فانه الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك السائحون الصائمون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله السائحون يعني الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير ويعلى وأبو أسامة عن عبد الملك عن عطاء قال السائحون الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو أنه سمع وهب بن منبه يقول كانت السياحة في بني اسرائيل وكان الرجل اذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله فساح ولد بغى أربعين سنة فلم ير شيأ فقال أي رب أرأيت ان أساء أبواي وأحسنت أنا قال فأرى ما رأى السائحون قبله * قال ابن عيينة اذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة قالت سياحة هذه الامة الصيام وقوله الراكعون الساجدون يعني المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الراكعون الساجدون قال الصلاة المفروضة وأما قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فانه يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل وينهونهم عن المنكر وذلك نهيهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه وقد روى عن الحسن في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الآمرون بالمعروف لا اله الا الله والناهون عن المنكر عن الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة ابن سهيل قال قال الحسن في قوله الآمرون بالمعروف قال أما انهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها والناهون عن المنكر قال أما انهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه حدثني المثنى قال ثني اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية قال كل ما ذكر في القرآن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهي عن المنكر نهي عن عبادة الاوثان والشياطين وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من أن الأمر بالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم والنهي عن المنكر هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله واذ كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على أنها عنى بها خصوص دون عموم ولا خبر عن الرسول ولا في فطرة عقل فالعموم بها أولى لما قد بينا في غير موضع من كتبنا وأما قوله والحافظون لحدود الله فانه يعني المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه الذين لا يضيعون شيأ ألزمهم العمل به ولا يركبون شيأ نهاهم عن ارتكابه كالذي حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والحافظون لحدود الله يعني القائمين على طاعة الله وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد اذا وفوا الله بشرطه وفى لهم شرطهم حدثني محمد بن سعد قال

من استغفار ابراهيم لابيه دعاؤه له الى الاسلام الموجب للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى أن يرزقه الايمان وقيل المقصود النهى عن صلاة الجنازة فكان قوله ولا تصل على أحد منهم فى حق المنافقين خاصة وهذه فى حق الكافرين عامة ثم ختم الآية بقوله (ان ابراهيم لاواه حليم) قال أهل اللغة أواه فعال مأخوذ من حروف أوه كلمة يقولها المتوجع وذلك أن الروح القلبى يختنق عند الحزن فى داخل القلب ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما به وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الاواه الخاشع المتضرع والحليم ضد السفيه وصفه تعالى بشدة الرأفة والشفقة والخوف والوجل فبين أن ابراهيم مع هذه العادة تبرأ من أبيه حين انقطع رجاؤه منه فأنتم بهذا المعنى أولى ثم ان المسلمين خافوا أن يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين فأنزل الله (وما كان الله ليضل قوما) أى عن طريق الجنة أو يحكم عليهم بالضلال أو يخذلهم أو يوقع الضلالة فى قلوبهم حين يكون منهم الامر الذى يستحق به العقاب (بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) ما يجب عليهم أن يحترزوا عنه والحاصل ان الله لا يسمى قوما ضالا لا بعد اذ سماهم مهديين ما لم يقدموا على شئ مبين خطره وأما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما لم يؤاخذ بشرب الخمر والربا قبل تحريمهما وفى الآية تشديد عظيم حيث جعل المهدى للاسلام اذا أقدم على بعض المحظورات داخلا فى حكم الضلال ثم قال (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت) والمراد ان من كان عالما قادرا هكذا لم يحتج الى أن يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على أنه يقبح من الله الابتداء بالعقاب وأجيب بأن له ذلك بحكم المالكية غاية ما فى الباب أنه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفى قوله ان الله له ملك السموات والارض فائدة أخرى هى أنه لما أمر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن أراد استظهار المسلمين كيلا تضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كأنه قال وجب عليكم أن

ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والحافظون لحدود الله قال القائمون على طاعة الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن فى قوله والحافظون لحدود الله قال القائمون على أمر الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن والحافظون لحدود الله قال لفرائض الله وأما قوله وبشر المؤمنين فانه يعنى وبشر المصدقين بما وعدهم الله اذا هم وفوا الله بعهده أنه موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة كما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة ابن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم حتى ختم الآية قال الذين وفوا ببيعتهم التائبون العابدون الحامدون حتى ختم الآية فقال هذا عملهم وسيرهم فى الرخاء ثم لقوا العدو فصدقوا ما عاهدوا الله عليه * وقال بعضهم معنى ذلك وبشر من فعل هذه الافعال يعنى قوله التائبون العابدون الى آخر الآية وان لم يغزوا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن وبشر المؤمنين قال الذين لم يغزوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم﴾ يقول تعالى ذكره ما كان ينبغى للنبى محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا ويقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولى قربى ذوى قرابة لهم من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم يقول من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الاوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار لان الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك فلا ينبغى لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله فان قالوا فان ابراهيم قد استغفر لابيه وهو مشرك فلم يكن استغفار ابراهيم لابيه الا لموعدة وعدها اياه فلما تبين له وعلم أنه لله عدو تبرأ منه وخلاه وتركه وترك الاستغفار له وآثر الله وأمره عليه فتبرأ منه حين تبين له أمره واختلف أهل التأويل فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله ابن أبى أمية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ونزلت انك لا تهدى من أحببت **حدثنى** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله قال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى

تفيؤا الى حكمى وتكاليفى لانى الهكم وأنتم عبيدى ثم عاد الى بقية أحكام الكفار فقال (لقد تاب الله على النبى) الآية ولنبين تفسير الآيتين على أسئلة مع جواباتها فالسؤال الاول أن قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبى معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا أعباء ذلك السفر الطويل فكان اللائق بحالهم أن يثنى عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لأنه لا ينفك عن هفوة اما من باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما أشير الى ذلك فى حق النبى صلى الله عليه وسلم بقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ولعله قد وقع فى قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب ولاقوا من الوساوس والهواجس فأخبر الله سبحانه أن تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التى صدرت عنهم فى ذلك السفر الطويل بل فى مدة عمرهم وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز أن يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شأن المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السؤال الثانى ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد تستعمل الساعة فى معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذى صعب عليهم الامر جدا فى ذلك السفر كانوا فى عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد وفى عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المتنة وقد بلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ثم الى ان مصتها جماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وشربوه وفى شدة زمان من حرارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا فى الحر وقال

حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك فانزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وأنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله انك لا تهدى من أحببت الآية

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين قال يقول المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا وقد استغفر ابراهيم لابيه كافرا فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال استغفر ابراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبى طالب حتى ينهانى عنه ربى فقال أصحابه لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبى صلى الله عليه وسلم لعمه فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الى قوله تبرأ منه

حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل بن هشام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عم انك أعظم الناس على حقا وأحسنهم عندى يدا ولأنت أعظم على حقا من والدى فقل كلمة نجب لى بها الشفاعة يوم القيامة قل لا اله الا الله ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن محمد بن ثور

* وقال آخرون بل نزلت فى سبب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل عن عطية قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الى قوله تبرأ منه * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن علقمة بن مرثد عن سليمن بن بريدة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى رسما قال وأكثر ظنى أنه قال قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلت يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فارؤ با كيا أكثر من يومئذ

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان للنبى والذين آمنوا الى أنهم أصحاب الجحيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عن ذلك فقال وان ابراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه فأنزل الله وما كان استغفار ابراهيم الى لأواه حليم * وقال آخرون بل نزلت من أجل أن قوما من أهل الايمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينههم أن يستغفروا للاحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

أو مسلم يجوز أن يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التى مرت عليهم فى غزواتهم كما ذكر الله تعالى فى غزوة الخندق وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى كاد زيغ وكيف اعرابه والجواب هما استعملا ان كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد يدخل أى قارب الخروج ومعنى الثانى كاد الشأن يكون كذا يعنى قارب الشأن هذا الخبر وشبهه

سيبوبه بقولهم ليس خلق الله مثله أى ليس الشأن ذلك ولكن ضده والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا أنفسهم وصبروا وثبتوا وندموا وقيل ما كان الاحديث نفس بلاعزيمة ومع ذلك خافوا أن يكون معصية الرابع ذكر التوبة فى أول الآية فلم كررها فى قوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد الضمير فى عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هى أن التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك أنه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة ليدل على أن العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضا عفوت عنك ثم عفوت عنك واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس فى تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضا ثم أكد هذه المعانى بقوله (انه بهم رؤف رحيم) فيشبه أن يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة أو الاول رحمة سابقة والثانى لاحقة الخامس الثلاثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين كما سموا مرجئين أى مؤخرين عن أبى لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعد أولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة من قرأ بالتخفيف أى خلفوا الغازين وقيل المخلف من خلوف الفم أى فسد واوقرأ جعفر الصادق عليه السلام خالفوا (حتى اذا ضاقت عليهم الارض) مع سعتها وهو مثل للحيرة فى الامر (وضاقت عليهم أنفسهم) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور (وظنوا) أى علموا وتيقنوا (أن لا ملجأ من) سخط (الله الا) الى استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلى وهو الرجحان وذلك أنهم ما كانوا قاطعين بأن ينزل الله فى شأنهم قرآنا وان سلم أنهم قطعوا بذلك الا أنهم جوزوا أن تكون المدة قصيرة فوجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم

قالوا يا نبى الله ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العانى ويوفى بالذمم أفلا نستغفر لهم قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم بلى والله لأستغفرن لابى كما استغفر ابراهيم لأبيه قال فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين حتى بلغ الجحيم ثم عذر الله ابراهيم فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال وذكر لنا أن نبى الله قال أوحى الى كلمات فدخلن فى أذنى ووقرن فى قلبى أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركا ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ومن أمسك فهو شر له ولا يلوم الله على كفاف * واختلف أهل العربية فى معنى قوله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك ما كان لهم الاستغفار وكذلك معنى قوله وما كان لنفس أن تؤمن وما كان لنفس الا بإيمان الا باذن الله وقال بعض نحويى الكوفة معناه ما كان ينبغى لهم أن يستغفروا لهم قال وكذلك اذا جاءت أن مع كان فكلها بتأويل ينبغى ما كان لنبى أن يغل ما كان ينبغى له ليس هذا من أخلاقه قال فلذلك دخلت أن تدل على الاستقبال لأن ينبغى تطلب الاستقبال وأما قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فان أهل العلم اختلفوا فى السبب الذى أنزل فيه فقال بعضهم أنزل من أجل أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ظنا منهم أن ابراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبرا عن ابراهيم قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وقد ذكرنا الرواية عن بعض من حضر ناذكره وسنذكر عمن لم نذكره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الخليل عن على قال سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان فقال أولم يستغفر ابراهيم لابيه قال فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله وما كان استغفار ابراهيم الى تبرأ منه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الخليل عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستغفر لابويه وهما مشركان حتى نزلت وما كان استغفار ابراهيم لابيه الى قوله تبرأ منه وقيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة ومعناه الا من بعد موعدة كما يقال ما كان هذا الامر الا عن سبب كذا بمعنى من بعد ذلك السبب أو من أجله فكذلك قوله الا عن موعدة من أجل موعدة وبعدها وقد تأول قوم قول الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى الآية أن النهى من الله عن الاستغفار للمشركين بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وقالوا ذلك لا يتبينه أحد الا بأن يموت على كفره وأما وهو حى فلا سبيل الى علم ذلك فللمؤمنين أن يستغفروا لهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** سليمن بن عمر الرقى ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثورى عن الشيبانى عن سعيد بن جبير قال مات رجل يهودى وله ابن مسلم فلم يخرج معه فذكر ذلك لابن عباس فقال كان ينبغى له أن يمشى معه ويدفنه ويدعوله بالصلاح مادام حيا فاذا مات وكله الى شأنه ثم قال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه لم يدع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا فضيل عن ضرار بن مرة عن سعيد بن جبير قال مات رجل نصرانى فوكله ابنه الى أهل دينه فأتيت ابن عباس فذكرت ذلك

ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الاحسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا أنا بنداء من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت علينا الارض بما رحبت وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الى حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب ابن مالك وصاحبيه * السادس قد عرفنا فائدة قوله ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم أو تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بأن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة أو تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمؤمنين أو تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة

له فقال ما كان عليه لو مشى معه وأجنه واستغفر له ثم تلا وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية * وتأول آخرون الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال ثنا حبيب ابن أبي مرزوق عن عطاء بن أبي رباح قال ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا الى لم أسمع الله يحجب الصلاة الا عن المشركين يقول الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين * وتأوله آخرون بمعنى الاستغفار الذي هو دعاء ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن عصمة بن راشد عن أبيه قال سمعت أبا هريرة يقول رحم الله رجلا استغفر لابي هريرة ولأمه قلت ولأبيه قال لا ان أبي مات وهو مشرك * قال أبو جعفر وقد دللنا على أن معنى الاستغفار مسئلة العبد ربه غفر الذنوب واذ كان ذلك كذلك وكانت مسئلة العبد ربه ذلك قد تكون في الصلاة وفي غير الصلاة لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسدا لان الله عم بالنهي عن الاستغفار للمشرك بعد ما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ولم يخصص من ذلك حالا أباح فيها الاستغفار له وأما قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم فان معناه ما فد بينت من أنه من بعد ما يعلمون بموته كافرا أنه من أهل النار وقيل أصحاب الجحيم لانهم سكانها وأهلها الكائنون فيها كما يقال لسكان الدار هؤلاء أصحاب هذه الدار بمعنى سكانها وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم قال تبين للنبي صلى الله عليه وسلم أن أبا طالب حين مات ان التوبة قد انقطعت عنه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال تبين له حين مات وعلم أن التوبة قد انقطعت عنه يعني في قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك في قوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية يقول اذا ماتوا مشركين بقول الله ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة الآية واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال بعضهم معناه فلما تبين له بموته مشركا بالله تبرأ منه وترك الاستغفار له ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لابيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لم يزل ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات لم يستغفر له **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني استغفر له ما كان حيا فلما مات أمسك عن الاستغفار له **حدثني** مطر بن محمد الضبي قال ثنا أبو عاصم وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة قالا ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه

الله عليهم وقالت الاشاعرة المقصود بيان أن فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم ليتوبوا وأيضا قالوا في الآية دلالة على أن قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت من أول الامر ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن أن يجاب بان شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من أول الامر فلهذا

تأخر القبول دليله قوله تعالى حتى اذا ضاقت الآية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام فى زمرة أهل الصدق لا النفاق فقال (يا أيها الذين آمنوا) الآية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين لا بمعنى أن يكونوا على طريقهم وسيرتهم لان

ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع النبى مشروط بوجود ذلك النبى فلا بد من وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم أن التكاليف المذكورة فى القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيامة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول وأصحابه فى الغزوات بل أعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز أن يكون منحصرا فى الامام المعصوم الذى يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين أهل الحل والعقد فى كل حين والمراد أنهم اذا أجمعوا على شئ كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين أن يكونوا معهم ظاهرا وباطنا وقال أكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا فى دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة نية وقولا وعملا وقيل أى كونوا مع الثلاثة المذكورين فى الصدق والثبات وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أى وافقوا المهاجرين والانصار فى الصدق وقيل الخطاب للذين شدوا أنفسهم على السوارى وفى الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روى أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى أريد أن أومن بك الا أنى أحب الخمر والزنا والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لى بتركها بأسرها فان قنعت منى بترك واحد منها آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم أسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت وسألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على فتركها ثم عرض عليه الزنا فجاء ذلك

قال لما مات حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما تبين له أنه عدو لله قال موته وهو كافر حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله * قال ثنا البراء بن عتبة عن أبيه عن الحكم فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال حين مات ولم يؤمن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه موته وهو كافر * قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال لما مات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما تبين له أنه عدو لله لما مات على شركه تبرأ منه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه كان ابراهيم صلوات الله عليه يرجو أن يؤمن أبوه ما دام حيا فلما مات على شركه تبرأ منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال موته وهو كافر حدثنا محمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زال ابراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو اسرائيل عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فلما تبين له أنه عدو لله قال فلما مات * وقال آخرون معناه فلما تبين له فى الآخرة وذلك أن أباه يتعلق به اذا أراد أن يجوز الصراط فيمر به عليه حتى اذا كاد أن يجاوزه حانت من ابراهيم التفاتة فاذا هو بأبيه فى صورة قرد أوضبع فخلى عنه وتبرأ منه حينئذ ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا عبد الله بن سليمن قال سمعت سعيد بن جبير يقول ان ابراهيم يقول يوم القيامة رب والدى رب والدى فاذا كانت الثالثة أخذ بيده فيلتفت اليه وهو ضبعان فيتبرأ منه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن عبيد ابن عمير قال انكم مجموعون يوم القيامة فى صعيد واحد يسمعكم الداعى وينفذكم البصر قال فتزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا وقع لركبتيه ترعد فرائصه قال فحسبته يقول نفسى نفسى قال ويضرب الصراط على جسر جهنم لحد السيف وحضر من له وفى جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان قال فيمضون كالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الركاب وكأجاويد الرجال والملائكة يقولون رب سلم سلم فناج سالم ومخدوش ناج ومكدوس فى النار فيقول ابراهيم لأبيه الى كنت آمرك فى الدنيا فتعصينى ولست تاركك اليوم فخذ بحقوى فيأخذ بضبعيه فيمسخ ضبعا فاذا رآه قد مسخ تبرأ منه وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول الله وهو خبره عن ابراهيم أنه لما تبين له أن أباه لله عدو تبرأ منه وذلك حال علمه وبقينه أنه لله عدو وهو به مشرك وهو حال موته على شركه القول فى تأويل قوله ﴿ان ابراهيم لأواه حليم﴾ اختلف أهل التأويل فى الأواه فقال بعضهم هو الدعاء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الأواه الدعاء حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو بكر عن عاصم عن زر عن عبد الله قال الأواه الدعاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى

الخاطر فتركه وكذا فى السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب انسد أبواب المعاصى على وتبت عن الكل ومن فضائل الصدق أن الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب أن الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب أن ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى فى قوله لأغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين ثم المقتضى لقبح الكذب هو كونه كذبا عند المعتزلة وكونه مقتضيا الى المفاسد عند الاشاعرة والله أعلم

جرير بن حازم عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال سألت عبد الله عن الأواه فقال هو الدعاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن ابن أبى عروبة عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله * قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عبد الكريم عن أبى عبيدة عن عبد الله قال الأواه الدعاء * قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان واسرائيل عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبى هند قال نبئت عن عبيد بن عمير قال الأواه الدعاء **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا داود عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى عن أبيه قال الأواه الدعاء * وقال آخرون بل هو الرحيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبى العبيدين قال سئل عبد الله عن الاواه فقال الرحيم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنى محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن أبى العبيدين رجل ضرير البصر أنه سأل عبد الله عن الاواه فقال الرحيم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا المحاربى و **حدثنا** خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل جميعا عن المسعودى عن سلمة بن كهيل عن أبى العبيدين أنه سأل ابن مسعود فقال ما الاواه قال الرحيم **حدثنا** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين أنه جاء الى عبد الله وكان ضرير البصر فقال يا أبا عبد الرحمن من نسأل اذا لم نسألك فكأن ابن مسعود رق له قال أخبرنى عن الأواه قال الرحيم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبى العبيدين قال سألت عبد الله عن الأواه فقال هو الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار قال جاء أبو العبيدين الى عبد الله فقال له ما حاجتك قال ما الأواه قال الرحيم * قال ثنا ابن ادريس عن الاعمش عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين رجل من بنى سوأة قال جاء رجل الى عبد الله فسأله عن الأواه فقال له عبد الله الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى وهانئ بن سعيد عن حجاج عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن أبى العبيدين عن عبد الله قال الأواه الرحيم **حدثنى** يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين رجل من بنى نمير قال يعقوب كان ضرير البصر وقال ابن وكيع كان مكفوف البصر سأل ابن مسعود فقال ما الأواه قال الرحيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال الأواه الرحيم * قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى ميسرة مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد ابن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن قال هو الرحيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الأواه الرحيم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان ابراهيم لأواه قال رحيم * وقال عبد الكريم الجزرى عن أبى عبيدة عن ابن مسعود مثل ذلك **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الكريم عن أبى عبيدة

التأويل ان الله اشترى فى التقدير الازلى ولهذا تيسر لهم الآن بذل النفس والمال فى الجهاد الاصغر وفى الجهاد الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة اشترى من أوليائه الصديقين قلوبهم وأرواحهم بان لهم الجنة التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون له على ما وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون اليه بقدمى الصبر والشكر أو التبرى والتولى الراكعون أى الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بموجدهم الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلاهم الآمرون بالمعروف الحقيقى الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبى فيه أن الاجتهاد ليس سببا النيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابراهيم لاواه الأواه هو المتبرئ من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تولاه مولاه فهما ورد له وأراد الحق ضاق عليه نطاق الخلق فيتأوه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما أصابه من الخلق الحق فلا رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لجبرائيل حين سأله ألك حاجة أما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما ليردهم بالمكر الى الاثنينية والبعد بعد اذ هداهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من آفات البشرية وعاهات الدنيا فهى رأس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور أو

نقول ان الله تعالى بعد اذ هداهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات التأنى حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك الاحوال ان الله له ملك السموات سموات القلوب والارض أرض النفوس يحيى بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء ومالكم من دون الله من ولى فلا يشغلنكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبى التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبى صلى الله عليه وسلم على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبى تحقيقا لقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين الذين اتبعوه فى ساعة عسرة الدنيا وتركك شهواتها أو نقول لقد تاب الله أى أفاض أنوار عرفانه على نبى الروح ومهاجرى صفاته الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه فى ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتلاء حتى اذا ضاقت عليهم أرض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم أنفسهم تحننا الى نيل تلك السعادات وتحقق لهم بنور اليقين أن لو بقوا فى السفل لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق أبدا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق والله أعلم

﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار وسلم ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين

عن عبد الله قال الأواه الرحيم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سلمة عن مسلم البطين عن أبى العبيدين أنه سأل عبد الله عن الأواه فقال الرحيم * قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن شرحبيل قال الأواه الرحيم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال الأواه الرحيم بعباد الله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو خيثمة زهير قال ثنا أبو اسحق الهمدانى عن أبى ميسرة عن عمرو بن شرحبيل قال الاواه الرحيم بلحن الحبشة * وقال آخرون بل هو الموقن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الأواه الموقن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن مبارك عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة * قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس قال الاواه الموقن بلسان الحبشة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال سمعت سفيان يقول الأواه الموقن وقال بعضهم الفقيه الموقن حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن عطاء قال الأواه الموقن بلسان الحبشة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن رجل عن عكرمة قال هو الموقن بلسان الحبشة * قال ثنا ابن نمير عن الثورى عن مجالد عن أبى هاشم عن مجاهد قال الأواه الموقن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن مسلم عن مجاهد قال الأواه الموقن * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قابوس عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال الأواه الموقن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أواه موقن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أواه قال مؤمن موقن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان ابراهيم لأواه حليم قال الأواه الموقن * وقال آخرون هى كلمة بالحبشية معناها المؤمن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لأواه حليم قال الأواه هو المؤمن بالحبشة حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان ابراهيم لأواه يعنى المؤمن التواب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس قال الأواه المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج الأواه المؤمن بالحبشة * وقال آخرون هو المسبح الكثير الذكر لله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال الأواه المسبح حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن حجاج عن الحكم عن الحسن بن مسلم بن يناق أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويسبح فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انه أواه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن حيان عن ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن على بن رباح عن عقبة بن عامر قال الاواه الكثير الذكر لله * وقال آخرون هو الذى يكثر تلاوة القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيان قال ثنا المنهال بن خليفة عن حجاج بن أرطاة عن عطاء عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه

ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ۞ القراآت موطئا ونحوه بالياء يزيد والشموني وحمزة في الوقف غلظة بفتح الغين المفضل الباقون بكسرها أولا ترون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة ۞ الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين ○ لا للعطف يعملون ○ كافة ط يحذرون ○ غلظة ط المتقين ○ ايمانا ط يستبشرون ○ كافرون ○ يذكرون ○ الى بعض ط لحق المحذوف أي يقولون هل يراكم ثم انصرفوا ط لا يفقهون ○ عزيز ط على تأويل عليه شفاعة ما عنتم والتحميح الوصل لان المعنى شديد عليه ما أثمتم ولا وقف في الآية الى قوله رحيم حسبي الله ط والاصح الوصل على جعل الجملة حالا أي يكفي الله غير مشارك في الالوهية الا هو ط العظيم ○ ۞ التفسير لما أمر بموافقة النبي وأصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين

وسلم دفن ميتا فقال يرحمك الله ان كنت لأواها يعني تلاء للقرآن * وقال آخرون هو من التأوه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي يونس القشيري عن قاص كان بمكة أن رجلا كان في الطواف فجعل يقول أوه فشكاه أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال دعه انه أواه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا بمكة كان أصله رومي يحدث عن أبي ذر قال كان رجل يطوف بالبيت ويقول في دعائه أوه أوه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه أواه زاد أبو كريب في حديثه قال فخرجت ذات ليلة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن جعفر بن سليمن قال ثنا أبو عمران عن عبد الله بن رباح عن كعب قال الأواه اذا ذكر النار قال أوه حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد العزيز عن عبد الصمد القمي عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن رباح عن كعب قال كان اذا ذكر النار قال أوه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن جعفر بن سليمن قال أخبرنا أبو عمران قال سمعت عبد الله بن رباح الانصاري يقول سمعت كعبا يقول ان ابراهيم لأواه قال اذا ذكر النار قال أوه من النار * وقال آخرون معناه انه فقيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ان ابراهيم لأواه قال فقيه * وقال آخرون هو المتضرع الخاشع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر ابن حوشب عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس قال رجل يا رسول الله ما الأواه قال المتضرع قال ان ابراهيم لأواه حليم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن عبد الحميد عن شهر عن عبد الله بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأواه الخاشع المتضرع * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عنه زر أنه الدعاء وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله ذكر ذلك ووصف به ابراهيم خليله صلوات الله عليه بعد وصفه اياه بالدعاء والاستغفار لأبيه فقال وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وترك الدعاء والاستغفار له ثم قال ان ابراهيم لدعاء ربه شاك له حليم عمن سبه وناله بالمكروه وذلك أنه صلوات الله عليه وعد أباه بالاستغفار له ودعاء الله له بالمغفرة عند وعيد أبيه اياه وتهدده له بالشتم يعلم رد عليه نصيحته في الله وقوله أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا فقال له صلوات الله عليه سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فوفى لابيه بالاستغفار له حتى تبين له أنه عدو لله فوصفه الله بأنه دعاء ربه حليم عمن سفه عليه وأصله من التأوه وهو التضرع والمسألة بالحزن والاشفاق كما روى عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم وكما روى عقبة بن عامر الخبر الذي حدثنيه يحيى بن عثمان بن صالح السهمي قال ثنا أبي قال ثنا ابن لهيعة قال ثني الحرث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أنه قال لرجل يقال له ذو البجادين انه أواه

كذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال (ما كان لاهل المدينة) أي لا يستقيم ولا يجوز لهم والأعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس أنهم مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار وكأنه أراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى (ولا يرغبوا) ولا أن يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر أي أبخل بها عليه ولا أتركها له والمراد أنه لا يصح لهم أن يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب

صلاح أنفسهم وبقائها بل عليهم أن يحبوه على الباساء والضراء ويرضوا لانفسهم مايرضاه الرسول لنفسه لان نفسه أعز نفس عنده فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض فى شدة وجب على سائر الانفس أن لايضنوا بها على ماسمح بنفسه عليه وفى هذا النهى مع التهييج توبيخ عظيم ولايخفى أن الجهاد لايجب على كل فرد (٣٨) بعينه للاجماع وأن أصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فيبقى ماوراءهاتين الصورتين داخلا تحت عموم الآية ثم ذكر ترغيبا يجرى مجرى علة المنع من التخلف فقال (ذلك بأنهم) أى الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب أنهم مثابون على أنواع المتاعب وأصناف الشدائد بل على جميع الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب والظمأ شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التى تظهر ضمور البطن والموطئ اما مصدر كالمورد أو مكان وعلى التقديرين الضمير فى يغيظ عائد الى الوطء الصريح أو المقدر ثم الوطء يجوز أن يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز أن يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابى غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل مايسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة والمراد أنهم لايتصرفون فى أرض الكفار تصرفا يغيظهم ويرزؤهم شيأ الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول فى طرف المعصية ولكن بالضد فما أعظم بركة الطاعة وما أشد شؤم المعصية وبهذه الآية استشهد أصحاب أبى حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش فى الغنيمة لان وطء ديارهم طاعنه مما يغيظهم وينكى فيهم وقال الشافعى لايشاركون الغانمين فى الغنيمة وان شاركوهم فى الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى خطرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد أن يتخلف عنه الا

وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض لم تتأوه كما قال المثقب العبدى

اذا ماقمت أرحلها بليل * تأوه آهة الرجل الحزين

ومنه قول الجعدى

ضروح مروح يتبع الودق بعدما * يغرس شكوى آهه ويئمرا

ولا تكاد العرب تنطق منه بفعل يفعل وانما تقول فيه تفعل يتفعل مثل تأوه يتأوه وأوه يؤوه كما قال الراجز

فأوه الراعى وضوضى أكلبه *

وقالوا أيضا أوه ومنك ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده

فأوه من الذكرى اذا ماذكرتها * ومن بعد أرض بيننا وسماء

قال وربما أنشدنا فأوه من الذكرى بغيرهاء ولو جاء فعل منه على الاصل لكان آه يؤه أوها ولان معنى ذلك توجع وتحزن وتضرع اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذى ذكرت فقال من قال معناه الرحمة ان ذلك كان من ابراهيم على وجه الرقة على أبيه والرحمة له ولغيره من الناس وقال آخرون انما كان ذلك منه لصحة يقينه وحسن معرفته بعظمة الله وتواضعه له وقال آخرون كان لصحة ايمانه بربه وقال آخرون كان ذلك منه عند تلاوته تنزيل الله الذى أنزله عليه وقال آخرون كان ذلك منه عند ذكر ربه وكل ذلك عائد الى ماقلت وتقارب معنى بعض ذلك من بعض لان الحزين المتضرع الى ربه الخاشع له بقلبه ينوبه ذلك عند مسألته ربه ودعائه اياه فى حاجته وتعتوره هذه الخلال التى وجه المفسرون اليها تأويل قول الله ان ابراهيم لأواه حليم ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون ان الله بكل شئ عليم﴾ يقول تعالى ذكره وما كان الله ليقضى عليكم فى استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهى عنه فتتركوا الانتهاء عنه فأما قبل أن يبين لكم كراهية ذلك بالنهى عنه ثم تتعدوا نهيه الى مانهاكم عنه فانه لايحكم عليكم بالضلال لأن الطاعة والمعصية انما يكونان من المأمور والمنهى فأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعا أو عاصيا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه ان الله بكل شئ عليم يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهى الله اياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين من الجزع على ماسلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه اليكم بالنهى عنه وبغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها فبين لكم حلمه فى ذلك عليكم ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك * وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون قال بيان الله للمؤمنين فى الاستغفار للمشركين خاصة وفى بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون قال بيان الله للمؤمنين أن لايستغفروا للمشركين خاصة وفى بيانه

بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان فى المسلمين قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وأمرهم قال العلماء وكذلك غيره من الأئمة والولاة اذا عينوا طائفة لأنا لو جوزنا للمندوب أن يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدى الى تعطيل الجهاد قوله (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة) قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سيف أو سوط وما أربى عليها مثل ما أنفق عثمان فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم وهذا شائع فى استعمال العرب يقولون لا تصل فى وادى غيرك وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادى كل منعطف بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل (الا كتب لهم) ذلك الانفاق والقطع أو ذلك العمل الصالح المعهود فى الآية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال (ليجزيهم الله) أى أثبت فى صحائفهم لاجل الجزاء جزاء أحسن من أعمالهم وأجل وقيل الاحسن من صفة الفعل أى يجزيهم على الأحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم أنه سبحانه عدد أشياء بعضها ليس من أعمال المجاهدين وهو الظمأ والنصب والمخمصة وباقيها من أعمالهم وهى الوطء والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقى قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من أعمالهم تنبيها على أنه فى الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح أى جزاء عمل صالح وأكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم أورد الشطر الباقى لغرض آخر وهو الوعد بأحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك أو اكتفاء بما تقدم أولأن الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى أعلم بمراده ثم قال (وما كان المؤمنون) وفيه قولان أحدهما أنه من بقية أحكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ فى عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الآية قاله ابن عباس والمعنى أنه لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا بأسرهم الى الجهاد بل يجب أن يصير واطائفتين احداهما للملازمة

طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بين الله للمؤمنين فى أن لا يستغفروا للمشركين فى بيانه فى طاعته وفى معصيته فافعلوا أو ذروا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس له سلطان السموات والارض وملكهما وكل من دونه من المملوك فعبيده ومماليكه بيده حياتهم وموتهم يحيى من يشاء منهم ويميت من يشاء منهم فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بى من المملوك ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة أو غيرهم واغزوهم وجاهدوهم فى طاعتى فانى المعز من أشاء منهم ومنكم والمذل من أشاء وهذا حض من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك واغراء منه لهم بحربهم وقوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يقول وما لكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه ان أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره يستنقذكم من عقابه ولا نصير ينصركم منه ان أراد بكم سوأ يقول فبالله فثقوا واياه فارهبوا وجاهدوا فى سبيله من كفر به فانه قد انترى منكم أنفسكم وأموالكم بان لكم الجنة تقاتلون فى سبيله فتقتلون وتقتلون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الاتابة الى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم الى دار الاسلام وأنصار رسوله فى الله الذين اتبعوا رسول الله فى ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك فى دينه ويرتاب بالذى ناله من المشقة والشدة فى سفره وغزوه ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم جل ثناؤه الاتابة والرجوع الى الثبات على دينه وابصار الحق الذى كان قد كاد يلتبس عليهم انه بهم رؤف رحيم يقول ان ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم فى سفرهم من الشدة والمشقة رؤف بهم رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الايمان بعد ما قد أبلوا فى الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا عليه من البأساء والضراء * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى ساعة العسرة فى غزوة تبوك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله ابن محمد بن عقيل فى ساعة العسرة قال خرجوا فى غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا فى حر شديد وأصابهم يومئذ عطش شديد فجعلوا ينحرون ابلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها وكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ساعة العسرة قال غزوة تبوك قال العسرة أصابهم جهد شديد حتى ان الرجلين ليشقان التمرة بينهما وانهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

خدمة الرسول والاخرى للنفر الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا (فلولا نفر) أى هلا نفر (من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) فذهب الاكثر الى أن الضمير فى ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية فى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا فى خدمته شاهدوا الوحى والتنزيل وضبطوا ما حدث من (٤٠) الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وأقام طائفة ليتفقه المقيمون فى الدين (ولينذروا قومهم) النافرين (اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) معاصى الله عند ذلك وبهذا الطريق يتم أمر الدين بهاتين الطائفتين والاضاع أحد الشقين والاحتمال الآخر ما روى عن الحسن أن الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم هو أنهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وأن العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فيتنبهون لدقائق صنع الله فى اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم أنذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا أى يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثانى أنه ليس من بقية أحكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم أن الجهاد أمر يتعلق بالسفر وكذلك التفقه أما فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيأ فشيأ واما فى زماننا فلا ريب أنه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان أمكنه فى الحضر فلا شك أن للسفر بركة أخرى يعرفها كل من زاول الأسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة فى الدين ويتجشموا المتاعب فى أخذها وتحصيلها والفقه فى الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلائلها التفصيلية والظاهر أن المراد فى الآية أعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث وأصول الدين وأصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعى أو الشخصى وفى قوله ولينذروا قومهم اشارة الى أن الغرض الاصلى من التعلم والرجوع

الذين اتبعوه فى ساعة العسرة قال غزوة تبوك ۞ قال ثنا زكريا بن على عن ابن مبارك عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر الذين اتبعوه فى ساعة العسرة قال عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء **حدثنى** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الآية الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قبل الشأم فى لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشتقان التمرة بينهما وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم وأفضلهم من غزوهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن عتبة بن أبى عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه فى شأن العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده فقال أبو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع لنا قال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلت ثم سكبت فملؤا ما معهم ثم رجعنا ننظر فلم نجد ها جاوزت العسكر **حدثنى** اسحق بن زيادة العطار قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد الله ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه حدثنا عن شأن جيش العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله فى هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام اذا ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة فارجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عمن سمع عكرمة فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال خلفوا عن التوبة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله خلفوا فخلفوا عن التوبة حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت يقول بسعتها نما وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاقت عليهم أنفسهم بما نالهم من الوجد والكرب بذلك وظنوا أن لا ملجأ يقول وأيقنوا بقلوبهم أن لا شئ لهم يلجؤن اليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجيهم من كربه ولا مما يحذرون من عذاب الله الا الله ثم رزقهم الانابة الى طاعته

هو الانذار والارشاد لما يقصده علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمناصب والمفاخر أعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بأن خبر الواحد حجة قالوا أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحدا ثم انه أوجب العمل بأخبارهم بقوله ولينذروا وأجيب بأن ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه أداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بأن قوله لعلهم يحذرون ايجاب للعمل بأخبارهم ثم أرشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) أي يقربون منكم مبتدأ من الأقرب ومنتقلا الى الأبعد والقتال واجب مع كافة الكفرة بآية القتال ولكن هذه الآية أخص لان الغرض منها الترتيب مالم يدع الى قتال الأبعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا تكون هذه منسوخة بآية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر ولان القرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة وكما في سائر المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وأيضا المؤنة في قتال الأقربين من النفقة والدواب تكون أقل والقتال معهم يكون أسهل للوقوف على أحوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الأبعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام ويروى أن أعرابيا جلس على المائدة وكان بعيدا الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلى الله عليه وسلم كل مما

والرجوع الى ما يرضيه عنهم لينيبوا اليه ويرجعوا الى طاعته والانتهاء الى أمره ونهيه ان الله هو التواب الرحيم يقول ان الله هو الوهاب لعباده الانابة الى طاعته الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد التوبة أو يخذل من أراد منهم التوبة والانابة ولا يتوب عليه * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكلهم من الانصار حدثني عبيد بن الوراق قال ثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بنحوه الا أنه قال ومرارة بن الربيع أو ابن ربيعة شك أبو اسامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال أرجؤا في أوسط براءة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الثلاثة الذين خلفوا قال الذين أرجؤا في أوسط براءة قوله وآخرون مرجون لامر الله هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا الذين أرجؤا في وسط براءة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن ليث عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال الذين أرجؤا * قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وكان شاعرا ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكلهم أنصار * قال ثنا أبو خالد الاحمر والمحاربي عن جويبر عن الضحاك قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة ابن الربيع وكعب بن مالك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هاشم عن جويبر عن الضحاك قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة ابن الربيع كلهم من الانصار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة تخلفوا في غزوة تبوك ذكر لنا أن كعب بن مالك أوثق نفسه الى سارية فقال لا أطلقها أولا أطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه ان شاء وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك بفعله صدقة في سبيل الله وقال والله لا أطعمه وأما الآخر فركب المفاوز ينبع رسول الله ترفعه أرض وتضعه أخرى وقد ماه تشلشلان دما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك قال الثلاثة الذين خلفوا هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن ربيعة * قال ثنا أبو داود الحفري عن سلام أبي الاحوص عن سعيد بن مسروق عن عكرمة وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية ومرارة وكعب بن مالك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمر بن كثير

٦ - ابن جرير حادي عشر) يليك فثبت بهذه الوجوه أن الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب مالم يضطر الى العدول ضرورة وقوله (وليجدوا فيكم غلظة) أي شدة تظير قوله واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح الغين فهو المصدر أيضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال ولشدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف أما فيما يتصل بالبيع والشراء

والمجالسة فلا وليكن تقوى الله سبحانه على ذكر منه فى موارده ومصادره ولهذا ختم الآية بقوله (واعلموا أن الله مع المتقين) فان قتله فتلهف وان تركه على الجزية تركه لله وان كسر عدوه وآل الامر الى أخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله ثم حكى بقية فضائح أعمال المنافقين فقال (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول) أى يقول بعض (٤٢) المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة

العلم الحاصل بالوحى والعمل به أو يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول (أيكم) مرفوع بالابتداء وخبره (زادته هذه ايمانا) ثم انه تعالى حكى أنه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران أحدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه فى أول سورة الانفال والثانى الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الآخرة واما بالعزة والنصرة فى الدنيا والمراد أنهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقائد فاسدة وأخلاق ذميمة أمران أولهما زيادة الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر أولا فحصول حسد وغل ونفاق عقيب أمثالها ازدياد ملكة ذميمة غب أخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقائد والاعمال الى أن ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الا ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقى عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان فى العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازى عند المعتزلة لانهم يقولون انهم أحدثوا الرجس من عند أنفسهم حين نزول السورة بدليل أن الآخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه أن النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله والآخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبته فى الآخرة ونفرته

عن الدنيا وأما النفس الخبيثة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الآخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها وكل بقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال (أولا يرون أنهم

ابن أفلح قال قال كعب بن مالك ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى تلك الغزاة قال كعب بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أتجهز غدا ثم ألحقه فأخذت فى جهازى فأمسيت ولم أفرغ فلما كان اليوم الثالث أخذت فى جهازى فأمسيت ولم أفرغ فقلت هيهات سار الناس ثلاثا فأقمت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الناس يعتذرون اليه فجئت حتى قمت بين يديه فقلت ما كنت فى غزاة أيسر للظهر والنفقة منى فى هذه الغزاة فأعرض عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الناس أن لا يكلمونا وأمرت نساؤنا أن يتحولن عنا قال فتسورت حائطا ذات يوم فاذا أنا بابجابر بن عبد الله فقلت أى جابر نشدتك بالله هل علمتنى غششت الله ورسوله يوما قط فسكت عنى فجعل لا يكلمنى فبينا أنا ذات يوم اذ سمعت رجلا على الثنية يقول كعب كعب حتى دنا منى فقال بشر وا كعبا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام حتى اذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح وفد أيلة صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها وأنزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الآية والثلاثة الذين خلفوا رهط منهم كعب بن مالك وهو أحد بنى سلمة ومرارة بن ربيعة وهو أحد بنى عمرو بن عوف وهلال بن أمية وهو من بنى واقف وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة فى بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة صدقه أولئك حديثهم واعترفوا بذنوبهم وكذب سائرهم فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم الا العذر فقبل منهم رسول الله وبايعهم ووكلهم فى سرائرهم الى الله ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا وقال لهم حين حدثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم قد صدقتم فقوموا حتى يقضى الله فيكم فلما أنزل الله القرآن تاب على الثلاثة وقال للآخرين سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم حتى بلغ لا يرضى عن القوم الفاسقين قال ابن شهاب وأخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير أنى قد تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توائقنا على الاسلام وما أحب أن لى بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس منها فكان من خبرى حين تخلفت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عددا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريد والمسلمون مع النبى صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك

يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين) قال ابن عباس أى يمتحنون بالمرض (ثم لا يتوبون) من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن فانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدى ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان المنافق عرضوا أنفسهم للقتل وأموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرائيل فيوبخهم بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) أى سورة مشتملة على ذكرهم أو أعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحى قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما فى الباطن من الانكار الشديد أو أرادوا ان كان من ورائكم أحد فلا تخرجوا والا فاخرجوا لنتخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل (ثم انصرفوا) أى من مكان الوحى الى مكانهم أو عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى (صرف الله قلوبهم) قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله على قلوبهم وقال الزجاج أضلهم الله قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح أو اخبار بأنه صرفهم عن الألطاف التى يختص بها من آمن بها أو المراد صرف قلوبهم بما أورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا

الديوان قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب الا يظن أن ذلك سيخفى مالم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وأنا اليها أصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فلم أقض من جهازى شيأ ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيأ فلم يزل ذلك يتمادى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم فيالليتنى فعلت فلم يقدر ذلك لى فطفقت اذا خرجت فى الناس بعد خروج النبى صلى الله عليه وسلم يحزننى أنى لا أرى لى أسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا هو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون قال كعب فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرنى همى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا وأستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت أنى لن أنجو منه بشئ أبدا فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يارسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق قم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فى فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج

وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق أنه قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلاة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد فى الخير دون الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما أمر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها

فقال (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) أى من جنس البشر لا الملك لان الجنس الى الجنس أميل وبه آلف وآنس أو الخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من أبناء جلدتهم أو الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون أهل الحرم أهل (٤٤) الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم فكأنه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين فى خدمة أسلافه فلم تتكاسلون فى خدمته مع أنه لا نسبة له فى الشرف الى آبائه أو المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كأنه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال من هذه حاله وصفته يكون من أعظم نعم الله عليكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم وأفضلكم وتنسب هذه القراءة الى النبى والوصى وأهل البيت عليهم السلام ثم وصفه بما تستتبعه المجانسة والمناسبة من النتائج وذلك قوله (عزيز عليه ما عنتم) العزة الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم ومامصدرية أى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه وأولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما أرسل لدفع هذا المكروه (حريص عليكم) الحرص يمتنع أن يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الآفات والثانية لايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار وقال الفراء الحريص الشحيح والمعنى أنه شحيح عليكم أن تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين أنه رحمة للعالمين فقال (بالمؤمنين) أى منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قال ابن عباس لم يجمع الله بين اسمين من أسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة أن هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالأب الشفيق واذا عرف أن الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتأديب منهما احسان واجمال وان كان صعبا مؤلما فاقبلوا ما أمركم به من التكاليف

وأشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى معه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلم أنى أحب الله ورسوله فسكت قال فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذا أيضا من البلاء فتأممت به التنور فسجرته به حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحى اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وأرسل الى صاحبى بمثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحقى بأهلك تكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال لا ولكن لا يقربنك قالت فقلت انه والله ما به حركة الى شئ والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرينى ماذا يقول لى اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله عنا قد ضاقت على نفسى وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتأم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنؤنى بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله

وكان

وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله فان لم يقبلوا بل أعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع أمورك
الى الله الذى بالحق أرسلك فهو كافيك (وهو رب العرش العظيم) فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه يحيط بالعرش وبما يحويه العرش
والله أعلم ﴿ التأويل ما كان لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى والقلب (٤٥) ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك
منه قال فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتى أن انخلع من مالى صدقة الى الله والى
رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك
سهمى الذى بخيبر وقلت يارسول الله ان الله انما أنجانى بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا
صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك
لرسول الله عليه السلام أحسن مما ابتلانى والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الى يومى هذا وانى أرجو أن يحفظنى الله فيما بقى قال فأنزل الله لقد تاب الله على النبى
حتى بلغ وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله
على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوه فان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر
ما قال لأحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب خلفنا أيها الثلاثة
عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم
وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلاثة الذين
خلفوا وليس الذى ذكر الله مما خلفنا عن الغزو انما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا عمن حلف له
واعتذر اليه فقبل منهم حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث عن عقيل عن
ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك
وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فذكر نحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال
ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه قال لم أتخلف عن
النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاها الا بدرا ولم يعاتب النبى صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف
عن بدر ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن شهاب الزهرى
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصارى ثم السلمى عن أبيه أن أباه عبد الله بن
كعب وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره قال سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين
تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وحديث صاحبيه قال ما تخلفت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها غير أنى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر ثم ذكر نحوه
﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ يقول تعالى ذكره
للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه والخلاص من أليم عذابه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله
اتقوا الله وراقبوه باداء فرائضه وتجنب حدوده وكونوا فى الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا
فى الآخرة مع الصادقين فى الجنة يعنى مع من صدق الله الايمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من
أهل النفاق فيه الذين يكذب قيلهم فعلهم وانما معنى الكلام وكونوا مع الصادقين فى الآخرة باتقاء
الله فى الدنيا كما قال جل ثناؤه ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والقلبية أن يتخلفوا عن رسول الروح
السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند
بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بأنهم
لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا
نصب من أنواع المجاهدات ولا مخمصة
بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب
الله ولا يطؤن موطئا من مقامات
الفناء يغيظ كفار النفس والهوى
ولا ينالون من عدو الشيطان
والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا
وحزنا وغير ذلك من أسباب الفناء
الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء
بالله بقدر الفناء فى الله ولا ينفقون
نفقة صغيرة هى بذل الصفات
ولا كبيرة هى بذل الذات فى صفات
الله وفى ذاته ولا يقطعون واديا
من أودية الدنيا والآخرة والنفس
والهوى والقلب والروح أحسن
ما كانوا يعملون لان عملهم بقدر
معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق
فهمهم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم
وما كان المؤمنون لينفروا فى السير
الى الله وبالله وفى الله فهلا نفر من كل
قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم
وأهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا
السلوك ويخبروا بذلك قومهم لعلهم
يحذرون من غير الله قاتلوا الذين
يلونكم من كفار النفس والهوى
وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزيمة
صادقة فى ترك شهواتها وماتوا وهم
كافرون أى لموت قلبهم لتزايد ظلمة
النفاق كل حين ثم أخبر عن موت

قلب بقوله أولا يرون أنهم يفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى قلب حى هل يراكم من أحد فى
ظلمة الانكار والنفاق أى هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقرآن فان كان رسولا يرانا بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا الحسبان لان
قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان ذلك من أمارات حياة القلب من أنفسكم تسكين للعوام لئلا يتنفروا عنه واشارة للخواص

الى أن البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعونى يحببكم الله ومن قر أمن أنفسكم أى أشرفكم فلان أول جوهر خلقه الله تعالى أول ما خلق الله تعالى روحى ولا ختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين وبلوغه الى قاب قوسين أو أدنى وتحليه بجليسة فأوحى الى عبده ما أوحى ولعلو همته مازاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر القدر ولقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم فمن رأفته أمر بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهى أن رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط ، وكانت رحمته تعالى ورأفته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة أخرى هى أن رحمته صلى الله عليه وسلم عامة للعالمين بقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وأما رحمته المضمومة الى الرأفة فخاصة بالمؤمنين وكأن الرأفة اشارة الى ظهور أثر الدعوة فى حقهم فالمؤمنون أمة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم أمة الدعوة فقط فقل حسبى الله لان المقصود من التبليغ قد حصل لك وهو وصولك الى الله أعرضوا عن دعوتك أو أقبلوا والله المستعان

* (سورة يونس مكية الا ثلاث آيات قوله تعالى فان كنت فى شك الى آخرهن حروفها ٥٥٦٧ كلماتها ١٨٣٢ وآياتها ١٠٩

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل

والصديقين والشهداء والصالحين وانما قلنا ذلك معنى الكلام لان كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأى وجوه الكون كان معهم ان لم يكن عاملا عملهم واذا عمل عملهم فهو منهم واذا كان منهم كان لا وجه فى الكلام أن يقال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولتوجيه الكلام الى ما وجهنا من تأويله فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بان قال معناه وكونوا مع أبى بكر وعمر أو مع النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم ذكر من قال ذلك أو غيره فى تأويله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم عن نافع فى قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حدثنا ابن وكيع قال ثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمى عن زيد بن أسلم عن نافع قال قيل للثلاثة الذين خلفوا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين محمد وأصحابه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن عبد الرحمن المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى قوله وكونوا مع الصادقين قال مع أبى بكر وعمر وأصحابهما رحمة الله عليهم * قال ثنا محمد بن يحيى قال ثنا اسحق بن بشر الكاهلى قال ثنا خلف بن خليفة عن أبى هاشم الرمانى عن سعيد بن جبير فى قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع أبى بكر وعمر رحمة الله عليهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع المهاجرين الصادقين وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه وكونوا من الصادقين ويتأوله أن ذلك نهى من الله عن الكذب ذكر الرواية عنه بذلك حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول قال ابن مسعود ان الكذب لا يحل منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قال وكذلك هى قراءة ابن مسعود من الصادقين فهل ترون فى الكذب رخصة * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة عن عبد الله نحوه * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو ابن مرة قال سمعت أبا عبيدة يحدث عن عبد الله قال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين وهى كذلك فى قراءة عبد الله فهل ترون من رخصة فى الكذب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن ابراهيم عن عبد الله قال لا يصلح الكذب فى هزل ولا جد ثم تلا عبد الله اتقوا الله وكونوا ما أدرى أقال من الصادقين أو مع الصادقين وهو فى كتابى مع الصادقين * قال ثنا أبى عن الاعمش عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله مثله * قال ثنا أبى عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله مثله والصحيح من التأويل فى ذلك هو التأويل الذى ذكرناه عن نافع والضحاك وذلك أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على وكونوا مع الصادقين وهى القراءة التى لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها وتأويل عبد الله رحمة الله عليه فى ذلك على قراءته تأويل صحيح غير أن القراءة بخلافها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾

والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا
غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات
النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله ﴿ (٤٧) رب العالمين ﴾ القراآت الربا مالة وكذلك

يقول تعالى ذكره لم يكن لاهل المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من الأعراب سكان البوادي الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهم من اهل الايمان به أن يتخلفوا في أهاليهم ولا دارهم ولا أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه في صحبته في سفره والجهاد معه ومعاونته على ما يعانيه في غزوه ذلك يقول انه لم يكن لهم هذا بأنهم من أجل أنهم وبسبب أنهم لا يصيبهم في سفرهم اذا كانوا معه ظمأ وهو العطش ولا نصب يقول ولا تعب ولا مخمصة في سبيل الله يعني ولا مجاعة في اقامة دين الله ونصرته وهدم منار الكفر ولا يطؤن موطئا يعني أرضا يقول ولا يطؤن أرضا يغيظ الكفار وطؤهم اياها ولا ينالون من عدو نيلا يقول ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيأ في أموالهم وأنفسهم وأولادهم الا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قدر تضاءه ان الله لا يضيع أجر المحسنين يقول ان الله لا يدع محسنا من خلقه أحسن في عمله فأطاعه فيما أمره وانتهى عما نهاه عنه أن يجازيه على احسانه ويثيبه على صالح عمله فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ما ذكر في هذه الآية الثواب على كل ما فعل فلم يضيع له أجر فعله ذلك وقد اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية فقال بعضهم هي محكمة وانما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لم يكن لاحد أن يتخلف اذا غزا خلافه فيقعد عنه الامن كان ذا عذر فأما غيره من الأئمة والولاة فان لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه اذا لم يكن بالمسلمين اليه ضرورة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه هذا اذا غزا نبي الله بنفسه فليس لاحد أن يتخلف ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت خلف سرية تغزو في سبيل الله لكني لا أجد سعة فانطلق بهم معي ويشق علي أو أكره أن أدعهم بعدي حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعي وعبد الله بن المبارك والفزاري والسبيعي وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الى آخر الآية انها الأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله * وقال آخرون هذه الآية نزلت وفي أهل الاسلام قلة فلما كثر وانسخها الله وأباح التخلف لمن شاء فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله فقر أحتى بلغ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال هذا حين كان الاسلام قليلا فلما كثر الاسلام بعد قال وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى آخر الآية * والصواب من القول في ذلك عندي أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم الآية ثم قال جل ثناؤه وما كان لاهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافه ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب في غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه الى الشخوص الا من آذن له أو أمره بالمقام بعده فلم يكن

ما بعده أبو عمرو وخلف وحمزة وعلي والخزاز عن هبيرة والنجاري عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلي وخلف الآخرون لسحر حقا أنه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل يفصل بالياء ابن كثير وعمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والعجلي الباقون بالنون واطمأنوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف ﴿ الوقوف الرق كو في الحكيم ٥ ط عند ربهم ط مبين ٥ يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ٥ جميعا ط حقا ط الا لمن قرأ أنه بالفتح بالقسط ط يكفرون ٥ والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالياء أمكنه أن يجعل يفصل حالا يعلمون ٥ يتقون ٥ غافلون ٥ لا لأن أولئك خبران بايمانهم ج ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم ٥ سلام ج ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة أخرى لان قوله وآخر دعواهم معطوف على دعواهم الاول العالمين ٥ ﴿ التفسير اتفقوا على ان قوله (الر) ليس بآية وعلى أن طه آية ولعل الفرق أن الر لا يشاكل مقاطع الآي التي بعده عن ابن عباس الر

معناه انا الله أرى وقيل لا رب غيري وقيل الر وحم ون اسم الرحمن (تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم (والكتاب) السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها أو وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل أو يحكم بأن محمدا صادق لان القرآن أظهر معجزاته وأبقاها وقيل بمعنى مفعول أي حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات

لمن قدر على الشخوص التخلف فعذر جل ثناؤه من تخلف منهم فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا وعذر من كان تخلفه لعذر وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شك ولا ارتياب في أمر الله اذ تاب من خطاما كان منه من الفعل فأما التخلف عنه في حال استغنائه فلم يكن محظورا اذ لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك وكذلك حكم المسلمين اليوم ازاء امامهم فليس بفرض على جميعهم النهوض معه الا في حال حاجته اليهم لما لا بد للاسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه اياهم فيلزمهم حينئذ طاعته واذا كان ذلك معنى الآية لم تكن احدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للاخرى اذ لم تكن احداهما نافية حكم الاخرى من كل وجوهه ولا احداهما خبر يوجه الحجة بأن احداهما ناسخة للاخرى وقد بينا معنى المخمصة وأنها المجاعة بشواهده وذكرنا الرواية عمن قال ذلك في موضع غير هذا فأغنى ذلك عن اعادته ههنا وأما النيل فهو مصدر من قول القائل نالني ينالني ونلت الشيء فهو منيل وذلك اذا كنت تناله بيدك وليس من التناول وذلك أن التناول من النوال يقال منه نلت له أنول له من العطية وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول النيل مصدر من قول القائل نالني بخير ينولني نوالا وأنالني خيرا إنالة وقال كأن النيل من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو وليس ذلك بمعروف في كلام العرب بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو اذا سكنت وانفتح ما قبلها كقولهم القول والعول والحول ولو جاز ما قال لجاز القيل ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ وسائر ما ذكر ولا ينالون من عدو نيلا ولا ينفقون نفقة صغيرة في سبيل الله ولا يقطعون مع رسول الله في غزوه واديا الا كتب لهم أجر عملهم ذلك جزاء لهم عليه كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية قال ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن المؤمنون لينفروا جميعا وقد بينا معنى الكافة بشواهده وأقوال أهل التأويل فيه فأغنى عن اعادته في هذا الموضع ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله بهذه الآية وما النفر الذي كرهه لجميع المؤمنين فقال بعضهم هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الاسلام فلما نزل قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله انصرفوا عن البادية الى النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه وممن عنى بالآية فأنزل الله في ذلك عذرهم بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وكره انصراف جميعهم من البادية الى المدينة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة قال ناس من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن

السورة من آيات القرآن واعلم أنه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي وذلك أن حروف القرآن من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلولا أنه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق أن محمدا رسول حق من عند الله أنكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال (أكان للناس عجبا) نصب على أنه خبر كان واسمه (أن أوحينا) وفائدة اللام في قوله للناس مع تقديمه هي أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما أن يكون من جعل البشر رسولا أو من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي والنبوة فقد روى أنهم كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وكلا الامرين ليس بعجب أما الاول فلان الجنس الى الجنس أميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وأما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك قبل بعثه اليد الطولى اذ كان يدعى محمدا الامين وأن في قوله (أن أنذر الناس) هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول أو مخففة من الثقيلة وقد عملت في ضمير شأن مقدر معناه انه أي ان الشأن قولنا أنذر الناس وقوله (وبشر الذين آمنوا أن لهم) أي بأن لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه الخصب عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل أن يراد بالناس الكفار فقط ويمكن أن يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وأن يترك الانسان سدى وارسال الرسل أمرا مما أخلى الله تعالى المكلفين عنه شيأ من الازمنة

به تتم الملائكة والامر والنهى والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغى والتبشير ترغيب فى فعل ما ينبغى والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى (قدم صدق) سابقة فضل ومنزلة رفيعة أى سبق لهم عند الله خير قال أحمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانبارى كناية عن العمل الذى لا يقع فيه تأخير ولا ابطاء والسبب فى اطلاق القدم على السابقة أن السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة والتنبيه على أنها من السوابق العظيمة أى القدم التى يصدق و يحق أن تسمى قدما وأما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هى الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أما قوله (قال الكافرون) فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما أنذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ السحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بأنهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم أن يكونوا أرادوا به المدح أى انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما أنكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهى الواسطة أراد أن يقيم البرهان عليها باثبات المبدا و يبين غايتها باثبات المعاد وذلك فى آيتين متواليتين وقدم فى الاعراف تفسير قوله (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وأنه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره فقال (يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه) وانما فقد العاطف لانهما كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الله الخ والامر الشأن أراد به أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى أنه يقضى و يقدر بمقتضى الحكمة و يفعل ما يفعله المصيب فى أفعاله الناظر فى أدبار الامور وعواقبها الثلاثة يدخل فى الوجود ما لا ينبغى قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا

الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا فى أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يتفقهون الخير ليتفقهوا وليسمعوا ما فى الناس وما أنزل الله بعدهم ولينذروا قومهم الناس كلهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال فى حديثه فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة خرج بعض وقعد بعض يتفقهون الخير * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحو حديثه عن أبى حذيفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث المثنى عن أبى حذيفة غير أنه قال فى حديثه ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وقال ليتفقهوا وليسمعوا ما فى الناس * وقال آخرون معنى ذلك وما كان المؤمنون لينفروا جميعا الى عدوهم و يتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال ليذهبوا كلهم فلولا نفر من كل حى وقبيلة طائفة وتخلف طائفة ليتفقهوا فى الدين ليتفقه المتخلفون مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الدين ولينذر المتخلفون النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول ما كان المؤمنون لينفر واجميعا و يتركوا النبى صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى عصبة يعنى السرايا ولا يتسرايا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من النبى صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم و يبعث سرايا أخر فذلك قوله ليتفقهوا فى الدين يقول يتعلمون ما أنزل الله على نبيه و يعلمونه السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال هذا اذا بعث نبى الله الجيوش أمرهم أن لا يعروا نبيه وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتفقه فى الدين وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم حدثنا الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية كان نبى الله اذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه الا أهل العذر وكان اذا أقام فأسرت السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا الا باذنه فكان الرجل اذا أسرى فنزل بعده قرآن تلاه نبى الله على أصحابه القاعدين معه فاذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرؤنهم و يفقهونهم فى الدين وهو قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول اذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعنى بذلك أنه لا ينبغى للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبى الله قاعد ولكن اذا

بهذه الآية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بأنه ليس لأحد أن يشفع اليه فى شئ الا بعد اذنه لانه أعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم أن يسألوه ما لا يعلمون أنه صواب وصلاح ففى قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله فى التصرف فى جانب المبدا وفى قوله مامن شفيع اشارة الى استقلاله فى

من الأصلح مع أنه ما كان هناك شفيع يشفع فى تحصيل المصالح فدل ذلك على أنه محسن الى عباده مريد للخير والرأفة بهم كامل العناية بأحوالهم قال أبو مسلم الشفيع معناه الثانى من الشفع الذى يخالف الوتر أى خلق السموات والارض وحده ولا حى معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد أنه لم يدخل فى الوجود أحد الا من بعد أن قال له كن حتى كان وحصل ثم أشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال (ذلكم الله ربكم) الذى يستأهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام من خلق السموات والارض بما فيهما وعليهما (فاعبدوه) وحده (أفلا تذكرون) فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر فى الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع فى اثبات المعاد فقال (اليه مرجعكم) أى رجوعكم (جميعا) مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون فى العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم أكد ذلك بقوله (وعد الله حقا) وفيه تأكيدان كما مر ثم قال (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) وهو استئناف فيه معنى التعليل كأنه قال ان الذى قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله ونشئكم فيما لا تعلمون يعنى أنه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم أولا ثم على انشاء أجزائكم حال حياتكم ثانيا شيأ فشيأ من غير أن تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بأنه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرأ أنه بالفتح فعلى حذف لام التعليل أى لانه أو على أنه منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله أى وعد الله وعد انه الخلق ثم اعادته ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أى حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال (ليجزى الذين آمنوا وعملوا

فعد نبى الله تسرت السرايا وقعد معه عظم الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك ما هؤلاء الذين نفر وا بمؤمنين ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ولكنهم منافقون ولو كانوا صادقين أنهم مؤمنون لنفر بعض ليتفقه فى الدين ولينذر قومه اذا رجع اليهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فانها ليست فى الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله الى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذر واقومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول ثالث وهو ما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة فيأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ويتفقهون فى دينهم ويقولون لنبى الله ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا ما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم قال فيأمرهم نبى الله بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا أتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليعرف أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة * وقال آخرون انما هذا تكذيب من الله للمنافقين أن زروا باعراب المسلمين وعزروهم فى تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ممن قد عذره الله بالتخلف ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة عن سليمان الأحول عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الى ان الله لا يضيع أجر المحسنين قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة الآية حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا سليمان الأحول عن عكرمة قال سمعته يقول لما نزلت إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البدو والى قومهم يفقهونهم فأنزل الله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى قوله لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له الآية * واختلف الذين قالوا عنى بذلك النهى عن نفر الجميع فى السرية وترك النبى عليه السلام وحده فى المعنيين بقوله ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فقال بعضهم عنى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصالحات) قال المفسرون فى الآية اضمار والتقدير انه يبدأ الخلق لأمرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزى وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولأن الاعادة لا تكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله (بالقسط) أى بالعدل متعلق بيجزى أى ليجزيهم بقسطه وتوفيهم أجرهم أو ليجزيهم بقسطهم وعمالم يظلموا أنفسهم حين آمنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا

يكفرون وفى قوله (والذين كفروا) من غير أن يدخل لام العاقبة فى الجملة كما أدخلها فى الاولى دليل على أنه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم فى طريق القهر والحميم الماء الذى أسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة وأجيب بأن عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بأن الفساق أكثر من أهل الطاعة فكيف يجوز طى ذكرهم واعلم أن للعلماء فى اثبات المعاد طريقين الاول طريق القائلين بالحسن والقبح العقليين والثانى طريق من يقول لا يجب على الله شئ أصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد أما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها أنه تعالى خلق الخلق وأعطاهم عقولا وقدرا فيجب فى حكمته أن يرغبهم فى الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا فى المأمورات وبالعكس فى المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل فى الدنيا فلابد من دار أخرى هى دار الآخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم أن يكون الله تعالى كاذبا فى قوله ليجزى الخ فان قيل لم لا يكفى فى الترغيب والردع ما أودع الله فى العقول من تحسين الخيرات

وقالوا معنى الكلام فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ليتفقه المتخلفون فى الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا فى السرية اذا رجعوا اليهم من غزوهم وذلك قول قتادة وقد ذكر نا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبى عروبة وقد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين الآية قال ليتفقه الذين قعدوا مع نبى الله ولينذر واقومهم اذا رجعوا اليهم يقول لينذر والذين خرجوا اذا رجعوا اليهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وقتادة وما كان المؤمنون لينفروا كافة قالا كافة ويدعوا النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون منهم بل معنى ذلك لتتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة وتحذر النافرة المتخلفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين قال ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذر واقومهم اذا رجعوا اليهم * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال تأويله وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله وحده وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا فى غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ولكن عليهم اذا سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهى الفرقة طائفة وذلك من الواحد الى ما بلغ من العدد كما قال الله جل ثناؤه فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يقول فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وهذا الى هاهنا على أحد الاقوال التى رويت عن ابن عباس وهو قول الضحاك وقتادة وانما قلنا هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب لان الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب لغير عذر يعذرون به اذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فكان معلوما بذلك اذ كان قد عرفهم فى الآية التى قبلها الالازم لهم من فرض النفر والمباح لهم من تركه فى حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخوصه عن مدينته لجهاد عدو وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه الا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته واشخاص غيره عنها كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم وأما قوله ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم فان أولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الاسلام وظهوره على الاديان من لم يكن فقهه ولينذروا قومهم ليحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذى نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك اذا هم رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يقول لعل قومهم اذا هم

وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز أن يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لا أنه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله ألستم تخصصون أكثر عمومات القرآن ثم تزعمون أنه لا كذب سلمنا أنه يفعل لكن لم لا يجوز أن يكون الثواب والعقاب مما يصل الى الانسان فى دار الدنيا من الراحات والآلام فالجواب أن العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا أن الهوى والنفس

يدعوان الى الانهماك فى الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلابد من مرجح وماذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال وتجويز الخلف فى ذلك مناف للغرض وأخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد مادام فى الدنيا فهو فى العمل وقد ترى أزهد الناس وأعلمهم مبتلى بالآفات والبليات

وأفسقهم وأجهلهم فى أتم اللذات والمسرات ومنها أن صريح العقل يوجب فى حكمة الحكيم أن يفرق بين المحسن والمسىء والمظلوم والظالم وأن لا يجعل من كفر به وعصاه كمن آمن به وأطاعه وليس هذه التفرقة فى الدنيا كما قيل

كم عالم عالم أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

فلابد من دار أخرى يظهر فيها التفاوت ومنها أنه كلف عبيده بأن يعبدوه والحكيم اذا أمر عبده بشئ فلابد أن يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال بأداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل أسباب الراحات فلو لم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما أمر به فان قيل لم لا يكفى فى نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على أنواع الظلم والايذاء لأن الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له فى الدنيا ولا فى الآخر ومنها أنه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب أن يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك فى الدنيا لأن لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الألم وازالة الألم أمر عدمى وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وأيضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام بل اللذة فى الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا أخرى فان قيل ليس انه يعذب أهل النار على

حذر وهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذرا أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم وانما قلنا ذلك أولى الاقوال بالصواب وهو قول الحسن البصرى الذى رويناه عنه لان النفر قد بينا فيما مضى أنه اذا كان مطلقا بغير صلة بشئ أن الاغلب من استعمال العرب اياه فى الجهاد والغزو فاذا كان ذلك هو الاغلب من المعانى فيه وكان جل ثناؤه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين علم أن قوله ليتفقهوا انما هو شرط للنفر لا لغيره اذ كان يليه دون غيره من الكلام فان قال قائل وما تنكر أن يكون معناه ليتفقه المتخلفون فى الدين قيل ننكر ذلك لاستحالته وذلك أن نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة وجب أن يكون مقامها معهم سببا لجهلهم وترك التفقه وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفر لم يكن سببا لمنعهم من التفقه وبعد فانه قال جل ثناؤه ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم عطفا به على قوله ليتفقهوا فى الدين ولا شك أن الطائفة النافرة لم ينفروا الا والانذار قد تقدم من الله اليها وللانذار وخوف الوعيد نفرت فما وجه انذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة وقد تساوتا فى المعرفة بانذار الله اياهما ولو كانت احداهما جائزا أن توصف بانذار الاخرى لكان أحقهما بأن يوصف به الطائفة النافرة لانها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به مالم تعاين المقيمة ولكن ذلك ان شاء الله كما قلنا من أنها تنذر من حيها وقبيلتها من لم يؤمن بالله اذا رجعت اليه أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار دون من بعدمنهم يقول لهم ابدؤا بقتال الأقرب فالأقرب اليكم دارا دون الأبعد فالأبعد وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ والشأم كانت أقرب الى المدينة من العراق فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد فان الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء دون الأبعد منهم مالم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى من نواحى بلاد الاسلام فان اضطروا اليهم لزمهم عونهم ونصرهم لأن المسلمين يد على من سواهم ولصحة كون ذلك كذلك تأول كل من تأول هذه الآية أن معناها ايجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء ذكر الرواية بذلك عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن شبيب بن غرقدة عن عروة البارقى عن رجل من بنى تميم قال سألت ابن عمر عن قتال الديلم قال عليك بالروم حدثنا ابن بشار وأحمد بن اسحق وسفيان بن وكيع قالوا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسن قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال الديلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الربيع عن الحسن أنه كان اذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب قال ثنا عمران أخى قال سألت جعفر بن محمد بن على بن الحسين فقلت ما ترى فى قتال الديلم فقال قاتلوهم ورابطوهم فانهم من الذين قال الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الربيع عن الحسن أنه سئل عن الشام والديلم فقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الديلم حدثنى

لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق أن ذلك الالم استحقوه على أعمالهم وهذا الالم الحاصل فى الدنيا غير مستحق فوجب أن يعقبه خيران عظيمة والا فينا فى كونه أرحم الراحمين وأكرم الاكرمين ومنها أنه لو لم يحصل للانسان معاد لكان أخس من جميع الحيوانات لأنها تشاركه

في اللذات الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوز في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه وتأذيه في أغلب الاحوال يتفكر في الاحوال الماضية فيتأسف ويتأمل في الاحوال الآتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه ومزيته ومنها أن ايصال النعم اما أن يكون مشوبا بالآفات أو خالصا عنها فلما أنعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب أن ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار أخرى اظهارا لكمال القدرة والرأفة والحكمة فهنالك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل الغموم والهموم والآفات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام أن الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن أمه الى أن يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى أن ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى أن يصير أميرا نافذ الحكم على الخلق أو عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء أن يكون حاله بعد الموت أشرف وأبهى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا آمنا بالمعاد وتأهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكرون وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غاية ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها أن أحوال الانسان من صباه الى هرمه تضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني تعود الى تلك الحياة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها أن الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع أن تجتمع مرة أخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها أن النظر في تغيرات العالم أدى الى اثبات صانع حكيم قادر فاهر والعقل يحكم بأن هذا الحكيم لا يليق به أن يترك عبيده هملا يكذبون عليه ويجورون فلا بد من أن يكون له أمر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء * وأما الفريق الآخر الذين لا يعللون أفعال الله تعالى برعاية

علي بن سهل قال ثنا الوليد قال سمعت أبا عمرو وسعيد بن عبد العزيز يقولان يرابط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ويتأولان قول الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم فلما فرغ قال الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى بلغ وهم صاغرون قال فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب قال وجهادهم أفضل الجهاد عند الله وأما قوله وليجدوا فيكم غلظة فان معناه وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم فيكم أي منكم شدة عليهم واعلموا أن الله مع المتقين يقول وأيقنوا عند قتالكم اياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم فان اتقيتم الله وخفتموه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فان الله ناصر من اتقاه ومعينه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله في هذه السورة من يقول أيها الناس أيكم زادته هذه السورة ايمانا يقول تصديقا بالله وبآياته يقول الله فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك فزادتهم السورة التي أنزلت ايمانا وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الايمان واليقين فان قال قائل أوليس الايمان في كلام العرب التصديق والاقرار قيل بلى فان قيل فكيف زادتهم السورة تصديقا واقرارا قيل زادتهم ايمانا حين نزلت لانهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الاقرار بها والعمل بها بعينها الا في جملة ايمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله حق فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الاقرار بأنها بعينها من عند الله ووجب عليهم فرض الايمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه فكان ذلك هو الزيادة التي زادتهم نزول السورة حين نزلت من الايمان والتصديق بها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا قال كان اذا نزلت سورة آمنوا بها فزادهم الله ايمانا وتصديقا وكانوا يستبشرون **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فزادتهم ايمانا قال خشية ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين في قلوبهم مرض نفاق وشك في دين الله فان السورة التي أنزلت زادتهم رجسا الى رجسهم وذلك أنهم شكوا في أنها من عند الله فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا فكان ذلك زيادة شك حادثة في تنزيل الله لزمهم الايمان به عليهم بل ارتابوا بذلك فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم الى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق وذلك معنى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا يعني هؤلاء المنافقين أنهم هلكوا وهم كافرون يعني وهم كافرون بالله وآياته ۞ القول في تأويل قوله ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله

المصالح فانهم يقولون المعاد أمر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان فى المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية أيضا جائزة ثم ان الله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تمييز أجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن أجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء عليهم السلام وعلى أن القرآن كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسمانى أما شبهة المنكرين فمن ذلك أنهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا منها فاما أن يقال انه قادر على خلق ذلك الأجود أولا ثم تركه وفعل الأرذل فذلك سفه أو يقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب أن كلا من الدارين خير فى وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانسانى من قبيل العلم والعمل والاخرى للراحة والجزاء ومن ذلك أنهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستدير لا ضد له ومالا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ماذكرنا فى كتبنا الحكمية من أن كل جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا أنها أزلية فحركاتها غير أزلية لأن الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الماهية تقتضى المسبوقية بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافى المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم أن الحركة أزلية فلم لا يجوز أن يكون بعض أوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذى الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تأليف مخصوص لان أجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت أجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال وأجيب بأن الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس

أولا يرون فقرأته عامة قراء الامصار أولا يرون بالياء بمعنى أولا يرى هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض النفاق وقرأ ذلك حمزة أولا ترون بالتاء بمعنى أولا ترون أنتم أيها المؤمنون أنهم يفتنون والصواب عندنا من القراءة فى ذلك الياء على وجه التوبيخ من الله لهم لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وصحة معناه فتأويل الكلام اذا أولا يرى هؤلاء المنافقون أن الله يختبرهم فى كل عام مرة أو مرتين بمعنى أنه يختبرهم فى بعض الاعوام مرة وفى بعضها مرتين ثم لا يتوبون يقول ثم هم مع البلاء الذى يحل بهم من الله والاختبار الذى يعرض لهم لا ينيبون من نفاقهم ولا يتوبون من كفرهم ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من آياته فيتعظوا بها ولكنهم مصرون على نفاقهم

واختلف أهل التأويل فى معنى الفتنة التى ذكر الله فى هذا الموضع أن هؤلاء المنافقين يفتنون بها فقال بعضهم ذلك اختبار الله اياهم بالقحط والشدة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يفتنون قال يبتلون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال يبتلون بالعذاب فى كل عام مرة أو مرتين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال بالسنة والجوع * وقال آخرون بل معناه أنهم يختبرون بالغزو والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال يبتلون بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أو مرتين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله * وقال آخرون بل معناه أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الاكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيفتتن بذلك الذين فى قلوبهم مرض ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين قال كنا نسمع فى كل عام كذبة أو كذبتين فيفضل بها ثلثمائة من الناس كثير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة قال كان لهم فى كل عام كذبة أو كذبتان * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال ان الله عجب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ووبخ المنافقين فى أنفسهم بقلة تذكرهم وسوء تنبههم لمواعظ الله التى يعظهم بها وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التى ينزلها بهم من الجوع والقحط وجائز أن تكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به ويرزقه من اظهار كلمته على كلمتهم وجائز أن تكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم بركونهم الى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذى يجب التسليم له ولا قول فى ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو أولا يرون أنهم يختبرون فى كل عام مرة أو مرتين بما يكون زاجرا لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعظون ﴿ القول فى

سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا أو جسما مخصوصا لطيفا باقيا فى جميع أحوال البدن من الصبا الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذى يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك أنهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان آخر لزم أن تعاد تلك الاجزاء فى بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال وأجيب بعين ما مر وهى ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزأ من انسان آخر فهذه

تأويل قوله ﴿ واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ يقول تعالى ذكره واذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هذه السورة وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم الى بعض فتناظروا هل يراكم من أحد ان تكلمتم أو تناجيتم بعايب القوم يجهر به ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معايبهم ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله صرف الله قلوبهم فقال صرف الله عن الخير والتوفيق والايمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين ذلك بأنهم قوم لا يفقهون يقول فعل الله بهم هذا الخذلان وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه استكبارا ونفاقا واختلف أهل العربية فى الجالب حرف الاستفهام فقال بعض نحويى البصرة قال نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد كأنه قال قال بعضهم لبعض لان نظرهم فى هذا المكان كان ايماء وتنبيها بالله أعلم وقال بعض نحويى الكوفة انما هو واذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد وقال آخرمنهم هذا النظر ليس معناه القول ولكنه النظر الذى يجلب الاستفهام كقول العرب تناظروا أيهم أعلم واجتمعوا أيهم أفقه أى اجتمعوا لينظروا فهذا الذى يجلب الاستفهام حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة * قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن عمير بن تميم الثعلبى عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم * قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى الضحى عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض الآية قال هم المنافقون * وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ممن سمع خبركم رآكم أحد أخبره اذا نزل شئ يخبر عن كلامهم قال وهم المنافقون قال وقرأ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا حتى بلغ نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد أخبره بهذا ان كان معكم أحد سمع كلامكم أحد يخبره بهذا حدثنى المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اسحق الهمدانى عمن حدثه عن ابن عباس قال لا تقل انصرفنا من الصلاة فان الله عير قوما فقال انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قل قد صلينا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره للعرب لقد جاءكم أيها القوم رسول الله اليكم من أنفسكم تعرفونه لا من غيركم فتتهموه على أنفسكم فى النصيحة لكم عزيز عليه ما عنتم أى عزيز عليه عنتكم ودخول المشقة عليهم والمكروه والاذى حريص عليكم يقول حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم الى الحق بالمؤمنين رؤف أى رفيق رحيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه

خلاصة ما وصل اليه العقول من أمر المعاد والله تعالى أعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال (هو الذى جعل الشمس ضياء) وهو أجوف واوى مهموز اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرأ بهمزتين بينهما ألف فحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف فانقلب همزة كما فى كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض أو مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف أى جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا أن يحمل على المبالغة فجعلا نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء أقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء أن ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها وأما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى أنه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف أحواله من الهلالية الى البدرية كما بينا فى تفسير قوله تعالى يسألونك عن الأهلة (وقدره منازل) قال فى الكشاف أى قدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل ومنزلة القمر المسافة التى يقطعها فى يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وأساميها مشهورة الشرطين الثريا البطين الحوت وهى كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فنرى القمر كل ليلة نازلا بقرب

أحدها وذلك أنهم قسموا دوران الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عددا أيام دور القمر فأصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التى وقعت وقت التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعهما العائدة على المكلفين فقال (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احداهما على الاخرى فى تفسير قوله

تعالى ان عدة الشهور الآية فلا حاجة الى التكرار ثم أشار الى سائر منافعهما وخواصهما بقوله (ما خلق الله ذلك) المذكور (الا) ملتبسا (بالحق) والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول تنتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حاله في زيادة النور ونقصانه تختلف أحوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التأمل والتدبر ولهذا قال (يفصل الآيات لقوم يعلمون) لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقدمر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الآية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما خلق الله من شئ وقدمر في آخر الاعراف وانما خص كونها آيات بالمتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم أن الدنيا مخلوقة لشقاء الناس وأن خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدإ والمعاد ثم شرع في شرح أحوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال (ان الذين لا يرجون لقاءنا) عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع أي لا يطمعون في حسن لقائه كما يأمله السعداء أولا يتوقعونه أصلا لأنهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية (ورضوا) مع ذلك (بالحياة الدنيا) الخسيسة (واطمأنوا بها) سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية (والذين هم عن آياتنا غافلون) فلا يعتبرون بالآيات ولا ينظرون

في قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال لم يصبه شئ من شرك في ولادته **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد في قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه بنحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال جعله الله من أنفسهم ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة وأما قوله عزيز عليه ما عنتم فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه ما ضللتم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن ابن عباس في قوله عزيز عليه ما عنتم قال ما ضللتم * وقال آخرون بل معنى ذلك عزيز عليه عنت مؤمنكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عزيز عليه ما عنتم عزيز عليه عنت مؤمنهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس وذلك أن الله عم بالخبر عن نبي الله أنه عزيز عليه ما عنت قومه ولم يخصص أهل الايمان منه فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم فان قال قائل وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان عزيزا عليه عنت جميعهم وهو يقتل كفارهم ويسبي ذراريهم ويسلبهم أموالهم قيل ان اسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب اليه من اقامتهم على كفرهم وتكذيبهم اياه حتى يستحقوا ذلك من الله وانما وصفه الله جل ثناؤه بأنه عزيز عليه عنتهم لانه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي وأما ما التي في قوله ما عنتم فانه رفع بقوله عزيز عليه لان معنى الكلام ما ذكرت عزيز عليه عنتكم وأما قوله حريص عليكم فان معناه ما قد بينت وهو قول أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حريص عليكم حريص على ضالهم أن يهديه الله **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله حريص عليكم قال حريص على من لم يسلم أن يسلم ﴿القول في تأويل قوله ﴿فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ يقول تعالى ذكره فان تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك فأدبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله وما دعوتهم اليه من النور والهدى فقل حسبي الله يكفيني ربي لا اله الا هو لا معبود سواه عليه توكلت وبه وثقت وعلى عونه اتكلت واليه والى نصره استندت فانه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عني منكم ومن غيركم من الناس وهو رب العرش العظيم الذي يملك كل ما دونه والملوك كلهم مماليكه وعبيده وانما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده وفي ملكه وسلطانه لان العرش العظيم انما كان يكون للملوك فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه وأنه الملك العظيم دون غيره وأن من دونه في سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فان تولوا فقل حسبي الله يعني الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه في المؤمنين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة

عيينة عن عمرو عن عبيد بن عمير قال كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان فجاء رجل من الانصار بهاتين الآيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه فقال عمر لا أسألك عليهما بينة أبدا كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير عن الاعمش عن أبي صالح الحنفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رحيم يحب كل رحيم يضع رحمته على كل رحيم قالوا يا رسول الله انا لنرحم أنفسنا وأموالنا قال وأراه قال وأزواجنا قال ليس كذلك ولكن كونوا كما قال الله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم أراه قرأ هذه الآية كلها حدثني محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال آخر آية نزلت من القرآن لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبي قال آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن أبي قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآيتين حدثني أبو كريب قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا أبان بن يزيد العطار عن قتادة عن أبي بن كعب قال أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة

﴿القول في تفسير السورة التي يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿الر﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم تأويله أنا الله أرى ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطي قال ثنا أبو أسامة عن أبي روق عن الضحاك في قوله الر أنا الله أرى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس قوله الر قال أنا الله أرى * وقال آخرون هي حروف من اسم الله الذي هو الرحمن ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا علي بن الحسين قال ثني أبي عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان قال ذكر سالم بن عبد الله الر وحم ونون فقال اسم الرحمن مقطع ثم قال الرحمن حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جماد قال ثنا منذل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الر وحم ونون هو اسم الرحمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو الكلبي عن أبي عوانة عن اسمعيل بن سالم عن عامر أنه سئل عن الر وحم وص قال هي أسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء فاذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى * وقال

في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدا والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد (أولئك مأواهم النار) فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله (بما كانوا يكسبون) وفيه أن الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المألوفات والقطيعة من السعادات الباقيات فيكون مثاله مثال من أخرج عن مجالسة معشوقه فألقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مؤنس بل يكون فيها أنواع المؤذيات وأصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له وأما حال الذي يؤمن به فذلك قوله (ان الذين آمنوا) استكملوا من جهة القوة النظرية (وعملوا الصالحات) استكملوا من قبل القوة العملية أو صدقوا بقوله ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله أو أشغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار وآذانهم باستماع كلام الله وألسنتهم بذكر الله وسائر أعضائهم بطاعة الله تعالى (يهديهم ربهم بايمانهم) قال أكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم وأعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم أي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث تزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدي الى حصول المثوبات ولذلك جعل (تجري من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الزوائد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجري من تحتهم الانهار الا انه حذف

الواو وجعل قوله تجرى خبرا مستأنفا منقطعا عما قبله والتحقيق فى تقرير هذا الوجه أن العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن حالهما بالضد من النقوش الجسمانية فان تزاحم النقوش الجسمانية يكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد لوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهى

للعلوم والحقائق كفهم المبتدئ فان الانسان اذا آمن بالله فقد أشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا تزال تتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيرتقى فى معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفى قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما يعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجرى من تحتهم الانهار أنهم يكونون فى البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجرى من بين أيديهم (دعواهم فيها) قال بعض المفسرين أى دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما تكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى أن أهل الجنة يدعون فى الدنيا والآخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال أصله من الدعاء لأن الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل أى طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعى للشئ مواظب عليه فيمكن أن يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن فى قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل أى تمنيهم كقوله لهم ما يدعون أى ما يتمنونه وتقول العرب ادع علىّ ما شئت أى تمن فكان تمنيهم فى الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه ولقد كانوا فى الدنيا يدعون فى الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فيقولون يا آل فلان فاخبر الله تعالى عنهم أن أنسهم

آخرون هى اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقد ذكرنا اختلاف الناس وما اليه ذهب كل قائل فى الذى قال فيه وما الصواب لدينا من القول فى ذلك فى نظيره وذلك فى أول سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وانما ذكرنا فى هذا الموضع القدر الذى ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله فى هذا قوله فى ألم فأما الذين وفقوا بين معانى جميع ذلك فقد ذكرنا قولهم هناك مكتفيا عن الاعادة ههنا

القول فى تأويل قوله (تلك آيات الكتاب الحكيم) اختلف فى تأويل ذلك فقال بعضهم تلك آيات التوراة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد تلك آيات الكتاب الحكيم قال التوراة والانجيل * قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن * وقال آخرون معنى ذلك هذه آيات القرآن * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله هذه آيات القرآن ووجه معنى تلك الى معنى هذه وقد بينا وجه توجيه تلك الى هذا المعنى فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته والآيات الاعلام والكتاب اسم من أسماء القرآن وقد بينا كل ذلك فيما مضى قبل وانما قلنا هذا التأويل أولى فى ذلك بالصواب لانه لم يجئ للتوراة والانجيل قبل ذكر ولا تلاوة بعده فيوجه اليه الخبر فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم ومعنى الحكيم فى هذا الموضع المحكم صرف مفعل الى فعيل كما قيل عذاب أليم بمعنى مؤلم وكما قال الشاعر

* أمن ريحانة الداعى السميع * وقد بينا ذلك فى غير موضع من الكتاب فمعناه اذا تلك آيات الكتاب المحكم الذى أحكمه الله وبينه لعباده كما قال جل ثناؤه الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

القول فى تأويل قوله تعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) يقول تعالى ذكره أكان عجبا للناس ايحاؤنا القرآن على رجل منهم بانذارهم عقاب الله على معاصيه كأنهم لم يعلموا أن الله قد أوحى من قبله الى مثله من البشر فتعجبوا من وحينا اليه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فأنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال عجبت قريش أن بعث رجل منهم قال ومثل ذلك والى عاد أخاهم هودا والى ثمود أخاهم صالحا قال الله أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

القول فى تأويل قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) يقول جل ثناؤه أكان عجبا للناس أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وأن بشر الذين آمنوا بالله ورسوله أن لهم قدم صدق عطف على أنذر واختلف أهل التأويل فى معنى قوله قدم صدق فقال بعضهم معناه أن لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الاعمال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك أن لهم قدم صدق عند ربهم قال ثواب صدق * قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد أن لهم

قدم

في الجنة بذكر الله وسكونهم بتحميده (وتحيتهم فيها سلام) أي بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله أو الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول (وآخر دعواهم أن الحمد) هي أن المخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد (لله) على أن الضمير للشأن قال أهل الظاهر من المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار بأهل الجنة أن قوله سبحانك اللهم علم بين أهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم أتوهم بما يشتهونه قال ابن جريج وردفي الاخبار أنه اذا مر بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بذلك المشتهى فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل أهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم أي نسبحك عن الخلف في الوعد وقيل ألهم الله بني آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن أن يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واحترق في أوائل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فأفاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخافات والمكاره عنهم بكل ما أمكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا أثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا يدور أمرهم في العروج والنزول مادامو في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون ثم التأويل الرفيه اشارتان احداهما من الحق المحق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كأنه قال

قدم صدق عند ربهم قال الاعمال الصالحة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن حبان عن ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن أبي مغيث عن مجاهد أن لهم قدم صدق عند ربهم قال صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق قال خير حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال قدم صدق ثواب صدق عند ربهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق قال القدم الصدق ثواب الصدق بما قدموا من الاعمال * وقال آخرون معناه أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول سبقت لهم السعادة في الذكر الاول * وقال آخرون معنى ذلك أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن آدم عن فضيل بن عمرو بن الجون عن قتادة أو الحسن أن لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد شفيع لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم أي سلف صدق عند ربهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم في قوله أن لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد صلى الله عليه وسلم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب وذلك أنه محكي عن العرب هؤلاء أهل القدم في الاسلام أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا فكان لهم فيه تقديم ويقال له عندي قدم صدق وقدم سوء وذلك ما قدم اليه من خير أو شر ومنه قول حسان ابن ثابت رضي الله عنه

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لأولنا في طاعة الله تابع

وقول ذي الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس أنها * مع الحسب العادي طمت على البحر

فتأويل الكلام اذا وبشر الذين آمنوا أن لهم تقدمة خير من الاعمال الصالحة عند ربهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال الكافرون ان هذا لسحر مبين﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ان هذا لسحر مبين بمعنى ان هذا الذي جئتنا به يعنون القرآن لسحر مبين وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قراء الكوفيين ان هذا لساحر مبين

يا لائي عليك في الازل وأنت في العدم ويلطفي عليك في الوجود وبرحمتي ورأفتي لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه عليه السلام اليه يقول بانسك معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبلبيك الذي أجبتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت ياسيدي فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك تلك أي هذه الآيات المنزلة عليك

آيات الكتاب الحكيم الذى وعدتك فى الازل وراثته لك ولامتك والحكيم الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرائع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما رأى فيه رجولية قبول الوحى دون غيره ويحتمل أن يكون معنى للناس الناسى عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول من خرج من العدم الى الوجود أو هو العناية الازلية سبقت رحمتى غضبى لساحر مبين صدقوا فى أنهم مسحورون الا أنه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان الذى ربيكم هو الذى خلق السموات سموات أرواحكم وأرض نفوسكم من ستة أنواع هى الروح والقلب والعقل والنفس الحيوانى والنفس النباتى والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر أمر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية التى صورتها خطاب ارجعى الى ربك وحقيقتها انجذاب القلب الى الله ونتيجتها عزوف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن نتائجه تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقسط أى لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع فى مواجهتها واذا وقع فى مقابلة أرض النفس انكسف ولهذا سمى قلبا لتقلب أحواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هى منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان فى اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله فى سموات الروحانية وأرض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال لآيات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة

وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك أن كل موصوف بصفة نزل الموصوف على صفته وصفته عليه فالقارئ مخير فى القراءة فى ذلك وذلك نظير هذا الحرف قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ولساحر مبين وذلك أنهم انما وصفوه بأنه ساحر ووصفهم ما جاءهم به أنه سحر يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر واذا كان ذلك كذلك فسواء بأى ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ذكره وهو فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحى قال الكافرون ان هذا الذى جاء نابه لسحر مبين فتأويل الكلام اذا أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم فلما أتاهم بوحى الله وتلاه عليهم قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله ان هذا الذى جاء نابه محمد لسحر مبين أى يبين لكم عنه أنه مبطل فيما يدعيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الذى له عبادة كل شئ ولا تنبغى العبادة الا له هو الذى خلق السموات السبع والارضين السبع فى ستة أيام وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير ثم استوى على عرشه مدبر اللامور وقاضيا فى خلقه ما أحب لا يضاده فى قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل ما من شفيع الا من بعد اذنه يقول لا يشفع عنده شافع يوم القيامة فى أحد الا من بعد أن يأذن فى الشفاعة ذلكم الله ربكم يقول جل جلاله هذا الذى هذه صفته سيدكم ومولاكم لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبر ولا يقضى من الآلهة والاوثان فاعبدوه يقول فاعبدوا ربكم الذى هذه صفته وأخلصوا له العبادة وأفردوا له الالوهة والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه فى العبادة أفلا تذكرون يقول أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج فتنيبون الى الاذعان بتوحيد ربكم وافراده بالعبادة وتخلعون الانداد وتبرؤن منها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه قال يقضيه وحده حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ يقول تعالى ذكره الى ربكم الذى صفته ما وصف جل ثناؤه فى الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا وعد الله حقا فأخرج وعد الله مصدرا من قوله اليه مرجعكم لانه فيه معنى الوعد ومعناه يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقا فلذلك نصب وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده يقول تعالى ذكره ان ربكم يبدأ انشاء الخلق واحداثه وايجاده ثم يعيده يقول ثم يعيده فيوجده حيا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه كما حدثنى محمد

ابن

والله تعالى أعلم ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا

القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الىّ انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم

عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين ﴾ ۞ القراآت لقضى اليهم مبنيا للفاعل أجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع أجلهم أو بدله بضم اللام وسكون الهاء روى خلف عن الكسائى والاختيار عنه وعن غيره الاشمام لى أن بفتح الياء وكذلك انى أخاف أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو نفسى ان بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع ولأدراكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى أبو ربيعة عن البزى وحمزة وقرأ حمزة وعلى وأبو عمرو وخلف وورش من طريق النجارى والخراز عن جبيرة وهبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى من طريق أبى حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك فى النحل والروم حمزة وعلى وخلف الباقون بالياء ۞ الوقوف أجلهم ط لأن ما بعده مستقبل فنحن نذر يعمهون ٥ أو قائما ط ... ط يعملون ٥ ظلموا لا لأن الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين ٥ تعملون ٥ بينات لا لأن ما بعده جواب اذا أو بدله ط ... ج ط لأن ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الىّ ط ج لمثل ما قلنا عظيم ٥ به ط والوصل أولى للفاء

ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يبدأ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته «قال أبو جعفر» وأحسبه أنا قال ثم يحييه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله ابن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد يبدأ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته ثم يحييه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انه يبدأ الخلق ثم يعيده يحييه ثم يميته ثم يبدؤه (١) ثم يحييه * قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه وقرأت قراء الامصار ذلك انه يبدأ الخلق بكسر الالف من انه على الاستئناف وذكر عن أبى جعفر الرازى أنه قرأه أنه بفتح الالف من انه كأنه أراد حقا أنه يبدأ الخلق ثم يعيده فأن حينئذ تكون رفعا كما قال الشاعر

أحقا عباد الله أن لست زائرا * أبا حبة الا علىّ رقيب

وقوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط يقول ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ليجزى الذين آمنوا يقول ليثيب من صدق الله ورسوله وعملوا ما أمرهم الله به من الاعمال واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط يقول ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التى عملوها فى الدنيا الحسن من الثواب والصالح من الجزاء فى الآخرة وذلك هو القسط والقسط العدل والانصاف كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم فانه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعد الله للذين كفروا من العذاب وفيه معنى العطف على الاول لانه تعالى ذكره عم بالخبر عن معاد جميعهم كفارهم ومؤمنيهم اليه ثم أخبر أن اعادتهم ليجزى كل فريق بما عمل المحسن منهم بالاحسان والمسيئ بالاساءة ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعد للذين كفروا من العذاب ما يدل سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر والمعنى العطف فقال والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله لهم شراب فى جهنم من حميم وذلك شراب قد أغلى واشتد حره حتى انه فيما ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه وكما وصفه جل ثناؤه كالمهل يشوى الوجوه وأصله مفعول صرف الى فعيل وانما هو محموم أى مسخن وكل مسخن عند العرب فهو حميم ومنه قول المرقش

وكل يوم لها مقطرة * فيها كباء معدّ وحميم

يعنى بالحميم الماء المسخن وقوله عذاب أليم يقول ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم بما كانوا يكفرون بالله ورسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض هو الذى جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل ومعنى ذلك هو الذى أضاء الشمس وأنار القمر وقدّره منازل يقول قضاه فسوّاه منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها على حال واحدة أبدا وقال وقدّره منازل

(١) لعله تفسير للبدء تأمل كتبه مصححه

أولشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون ○ بآياته ط المجرمون ○ عندالله ط فى الارض ط يشركون ○ فاختلفوا ط
يختلفون ○ من ربه ج ط للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء أوالتعليل المنتظرين ○ ۞ التفسير انه سبحانه
ابتدأ فى هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى أنهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة فأزال ذلك
التعجب بالانكار وبالدلائل الدالة
على صحة المبدا والمعاد فكأنه قيل
انه ماجاء الا بدليل التوحيد والاقرار
بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع
فى شبهة أخرى وهى أنهم كانوا
يقولون أبدا اللهم ان كان محمد
حقا فأمطر علينا حجارة من السماء
فأجابهم بقوله (ولو يعجل الله) الآية
وقال القاضى لما ذكر الوعيد
على عدم الايمان بالمبدا والمعاد
ذكر أن ذلك العذاب من حقه أن
يتأخر عن هذه الحياة الدنيا والا نافى
التكليف وقال القفال لما وصفهم
فيما مر بالغفلة أكد ذلك بأن من
غاية غفلتهم أن الرسول متى أنذرهم
استعجلوا العذاب فبين الله تعالى أنه
لامصلحة فى تعجيل ايصال الشر اليهم
فلعلهم يؤمنون أو يخرج من
أصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول
الشدائد يدعون الله بكشفها
كما يجىء فى الآية التالية وفى الرخاء
كانوا يستعجلون النبى بالعذاب فقال
مامعناه ولو عجلنا لهم الشر الذى
دعوابه كما يعجل لهم الخير ونجيبهم
اليه لأميتوا وأهلكوا قال فى
الكشاف أصل الكلام ولو يعجل
الله للناس الشر تعجيله لهم الخير
فوضع استعجالهم بالخير موضع
تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة
اجابته لهم حتى كأن استعجالهم
بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل
معناه طلب العجلة الا أن الاستعجال
أشهر وأظهر فمعنى الآية لو أراد الله
عجلة الشر للناس كما أرادوا عجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يلزمه الاستعجال وبنحو
الا أنه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها الا ان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب فى الآية شرا لانه أذى
وألم فى حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا لمعنى نفى التعجيل فيمكن أن يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوى كأنه قيل ولكن

فوحده وقد ذكر الشمس والقمر فان فى ذلك وجهين أحدهما أن تكون الهاء فى قوله وقدره للقمر
خاصة لأن بالأهلة يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس والآخر أن يكون اكتفى بذكر
أحدهما عن الآخر كما قال فى موضع آخر والله ورسوله أحق أن يرضوه وكما قال الشاعر

رمانى بأمر كنت منه ووالدى ✻ بريا ومن جول الطوى رمانى

وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب يقول وقدر ذلك منازل لتعلموا أيها الناس عدد السنين
دخول ما يدخل منها وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها يقول وحساب أوقات السنين وعدد أيامها
وحساب ساعات أيامها ماخلق الله ذلك الا بالحق يقول جل ثناؤه لم يخلق الله الشمس والقمر
ومنازلهما الا بالحق يقول الحق تعالى ذكره خلقت ذلك كله بحق وحدى بغير عون ولا شريك
يفصل الآيات يقول يبين الحجج والأدلة لقوم يعلمون اذا تدبروها حقيقة وحدانية الله وصحة
ما يدعوهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من خلع الانداد والبراءة من الاوثان ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون﴾
يقول تعالى ذكره منبها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته وأنه خالق كل ما دونه ان فى اعتقاب
الليل النهار واعتقاب النهار الليل اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله
فى السموات من الشمس والقمر والنجوم وفى الارض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس
كمثله شئ لآيات يقول لأدلة وحججا وأعلاما واضحة لقوم يتقون الله فيخافون وعيده ويخشون
عقابه على اخلاص العبادة لربهم فان قال قائل أو لا دلالة فيما خلق الله فى السموات والارض على
صانعه الا لمن اتقى الله قيل فى ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكل من صحت فطرته وبرئ من العاهات
قلبه ولم يقصد بذلك الخبر عن أن فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله وانما معناه ان فى ذلك
لآيات لمن اتقى عقاب الله فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحق لأن ذلك يدل كل ذى فطرة
صحيحة على أن له مدبرا يستحق عليه الاذعان له بالعبودة دون ماسواه من الآلهة والانداد
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ يقول تعالى ذكره ان
الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب متنافسون فى زين الدنيا
وزخارفها راضون بها عوضا من الآخرة مطمئنين اليها ساكنين والذين هم عن آيات الله وهى
أدلته على وحدانيته وحججه على عباده فى اخلاص العبادة له غافلون معرضون عنها لا هون
لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه ويعرفوا بها بطول ما هم عليه
مقيمون أولئك مأواهم النار يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين هذه صفتهم مأواهم مصيرهم الى النار
نار جهنم فى الآخرة بما كانوا يكسبون فى الدنيا من الآثام والاجرام ويجترحون من السيئات
والعرب تقول فلان لا يرجو فلانا اذا كان لا يخافه ومنه قول الله جل ثناؤه مالكم لا ترجون لله
وقارا ومنه قول أبى ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ✻ وخالفها فى بيت نوب عواسل

لا يعجل فيذرهم الزاما للحجة أو لمصالح أخرى ثم بين أنهم كاذبون فى استعجال الشر ولو أصابهم ما طلبوه أظهروا العجل والطيش فقال (واذا مس الانسان الضر) أى هذا الجنس (دعانا لجنبه) اللام فى معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت فى موضع الحال لان الظرف والحال متآخيان فيصح عطف أحدهما على الآخر وتأويل أحدهما بالآخر (٦٣) أى دعانا مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) أو وقت

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون قال اذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ولها يحزن ولها يسخط ولها يرضى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية كلها قال هؤلاء أهل الكفر ثم قال أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وذلك العمل بطاعة الله والانتهاء الى أمره يهديهم ربهم بايمانهم يقول يرشدهم ربهم بايمانهم به الى الجنة كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له ما أنت فوالله انى لأراك امرأ صدق فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة وأما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فوالله انى لأراك امرأ سوء فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يهديهم ربهم بايمانهم قال يكون لهم نورا يمشون به **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال ابن جريج يهديهم ربهم بايمانهم قال يمثل له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله يهديهم ربهم بايمانهم والكافر يمثل له عمله فى صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاذه حتى يقذفه فى النار * وقال آخرون معنى ذلك بايمانهم يهديهم ربهم لدينه يقول بتصديقهم هداهم ذكر من قال ذلك (١)

وقوله تجرى من تحتهم الانهار يقول تجرى من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم

(١) بياض بالاصل

اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد أنه يدعو الله فى جميع أحواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل أن يراد أنه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود أو قاعدا غير قادر على القيام أو قائما لا يطيق المشى الى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها أو يراد أن من المضرورين من هو أسوأ حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع فى القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبه تحكم لورود مثل قوله تعالى هل أتى على الانسان الا أن يساعده نقل صحيح والأصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللأواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ماهم وهم الذين نظرهم فى جميع الاحوال على المقدر المؤجل للامور حسب ارادته ومشيئته فلا جرم ان أصابهم السراء شكروا وان أصابهم الضراء صبروا فأفنوا ارادتهم فى ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج فى الآية تقديم وتأخير والتقدير واذا مس الانسان الضر لجنبه أو قاعدا أو قائما وضعف بان تعديد أحوال الدعاء أبلغ من تعديد أحوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسى ذلك فى وقت الرخاء كان أعجب ومعنى (مر) مضى على طريقته التى له قبل مس الضراء ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى (كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى أو النفس أو الشيطان مفرع عن مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمى الكافر مسرفا لانه أنفق ماله

من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة فى الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التى هى أحقر من لاشئ ومن الشهوات الفانية التى لا أصل لها ولا دوام والمسرف فى اللغة هو الذى ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجرى مجرى الردع والزجر لهم

عن القاء الشبه والاغاليط فقال (ولقد أهلكنا القرون) وقد مضى تفسير القرن فى أول الانعام (ولما) ظرف لأهلكنا والواو فى (وجاءتهم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم (رسلهم) بالدلائل والحجج على صدقهم وهى المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) اما أن يكون عطفا على ظلموا أو يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفى وان الله قد علم منهم أنهم يصرون على الكفر والسبب فى اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء وهو الاستئصال الكلى نجزى كل مجرم وفيه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ثم جعلناكم خلائف) أى استخلفناكم (فى الارض) بعد تلك القرون (لننظر كيف تعملون) خيرا أو شرا استعير النظر للعلم الحقيقى الذى لا يتطرق اليه شك ويعنى به العلم الذى يتعلق به الجزاء كما مر فى الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر الى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من الرسول أحد أمرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض الآيات ووضع أخرى فى مكانها فأمره الله تعالى أن يقول فى جوابهم (ما يكون لى) أى ما ينبغى وما يحل (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى فنفى عن نفسه أحد القسمين الذى هو أسهل وأقل ليلزم منه نفى الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم أكد الجواب بقوله

أنهار الجنة فى جنات النعيم يقول فى بساتين النعيم الذى نعم الله به أهل طاعته والايمان به فان قال قائل وكيف قيل تجرى من تحتهم الانهار وانما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة فى سائر القرآن أنها تجرى تحت الجنات وكيف يمكن الانهار أن تجرى من تحتهم الا أن يكونوا فوق أرضها والانهار تجرى من تحت أرضها وليس ذلك من صفة أنهار الجنة لأن صفتها أنها تجرى على وجه الارض فى غير أخاديد قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك تجرى من دونهم الانهار الى ما بين أيديهم فى بساتين النعيم وذلك نظير قول الله قد جعل ربك تحتك سريا ومعلوم أنه لم يجعل السرى تحتها وهى عليه قاعدة اذ كان السرى هو الجدول وانما عنى به جعل دونها بين يديها وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى بمعنى من دونى بين يدى وأما قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم فان معناه دعاؤهم فيها سبحانك اللهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرت أن قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال اذا مر بهم الطير فيشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام قال فاذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم يقول ذلك قولهم فيها وتحيتهم فيها سلام حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله الاشجعى قال سمعت سفيان يقول دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قال اذا أرادوا الشئ قالوا اللهم فيأتيهم ما دعوا به وأما قوله سبحانك اللهم فان معناه تنزيها لك يا رب مما أضاف اليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى عن غير واحد عطية فهم سبحان الله تنزيه لله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت موسى ابن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله قال ابراء الله عن السوء حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاد بن أسلم قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا قابوس عن أبيه أن ابن الكواء سأل عليا رضى الله عنه عن سبحان الله قال كلمة رضيها الله لنفسه حدثنى نصر بن عبد الرحمن الاودى قال ثنا أبو أسامة عن سفيان بن سعيد الثورى عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحى عن موسى بن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيها لله عن السوء حدثنى على بن عيسى البزار قال ثنا عبيد الله بن محمد قال ثنا عبد الرحمن ابن حماد قال ثنى حفص بن سليمن قال ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله من كل سوء حدثنى محمد بن عمرو بن تمام الكلبى قال ثنا سليمن بن أيوب قال ثنى أبى عن جدى عن موسى بن طلحة عن أبيه قال قلت يا رسول الله قول سبحان الله قال تنزيه الله عن السوء وتحيتهم يقول وتحية بعضهم بعضا فيها سلام أى سلمت وأمنت مما ابتلى به أهل النار والعرب تسمى الملك التحية ومنه قول عمرو بن معديكرب

(ان أتبع) أى ما اتبع (الا ما يوحى الى) ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد وأجيب بأن رجوعهما أيضا الى الوحى ونقل عن ابن عباس أن قوله (انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وضعف بأن النسخ انما يكون فى الاحكام والتعبدات لا فى ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل أن يكون على سبيل السخرية فقد روى مقاتل والكلبى أنهم خمسة نفر من مشركى مكة وهم المستهزؤن فى قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل أن يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا أنه كاذب أو أرادوا أن هذا القرآن مشتمل على ذم آلهتهم فطلبوا قرآنا آخر لا يكون كذلك ثم أكد كون هذا القرآن من عند الله سبحانه وأنه غير مستبد فى ايراده فقال (لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم) ولا أعلمكم الله (به) على لسانى ومن قرأ بلام الابتداء فمعناه ما تلوته أنا عليكم ولا أخبركم الله به على لسان غيرى ولكنه من على من يشاء من عباده فرآنى أهلا لذلك دون غيرى وقرئ لأدراكم به بالهمزة ووجهه أن تكون الهمزة مقلوبة من الالف أو يكون من الدرء الدفع ومعنى ادرأته جعلته دارئا أى لم أجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال وتكذبوننى (فقد لبثت فيكم عمرا) أى بعضا معتبرا من العمر وهو أربعون سنة (من قبله) أى من قبل نزول هذا القرآن (أفلا تعقلون) فيه قدح فى صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا شك فيه أنه من قبيل الوحى والمدد السماوى كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) الآية وفيه أن هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله لم يكن أحد أظلم منه ثم قبح الله أصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال

أزور بها أبا قابوس حتى * أنيخ على تحيته بجندى

ومنه قول زهير بن جناب الكلبى

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

وقوله وآخر دعواهم يقول وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين يقول وآخر دعائهم أن يقولوا الحمد لله رب العالمين ولذلك خففت أن ولم تشدد لانه أريد بها الحكاية ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر وذلك فيما يعاينهم مضرة فى نفس أو مال استعجالهم بالخير يقول كاستعجاله لهم فى الخير بالاجابة اذا دعوه به لقضى اليهم أجلهم يقول لهلكوا وعجل لهم الموت وهو الأجل وعنى بقوله لقضى لفرغ اليهم من أجلهم وتبدى لهم كما قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

فنذر الذين لا يرجون لقاءنا يقول فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور فى طغيانهم يقول فى تمردهم وعتوهم يعمهون يعنى يترددون وانما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله اجابة دعائهم فى الشر لو استجاب لهم أن ذلك كان يدعوهم الى التقرب الى الوثن الذى يشركه به أحدهم أو يضيف ذلك الى أنه من فعله وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان اذا غضب لولده وماله لا بارك الله فيه ولعنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه فلو يعجل الله الاستجابة لهم فى ذلك كما يستجاب فى الخير لأهلكهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه لقضى اليهم أجلهم قال لأهلك من دعا عليه ولأماته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الرجل لولده اذا غضب عليه أو ماله اللهم لا تبارك فيه والعنه قال الله لقضى اليهم أجلهم قال لأهلك من دعا عليه ولأماته قال فنذر الذين لا يرجون لقاءنا قال يقول لا نهلك أهل الشر ولكن نذرهم فى طغيانهم يعمهون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال هو دعاء الرجل على نفسه وماله مما يكره أن يستجاب له حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقضى اليهم أجلهم قال لأهلكناهم وقرأ ما ترك على ظهرها من دابة قال يهلكهم كلهم ونصب قوله استعجالهم ووقوع يعجل عليه كقول القائل قمت اليوم قيامك بمعنى قمت كقيامك وليس بمصدر من يعجل لانه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف أعنى كاف التشبيه فيه واختلفت القراء فى قراءة قوله لقضى

(٩ - ابن جرير حادى عشر)

(ويعبدون من دون الله مالا يضرهم) ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) ان عبدوه ومن حق المعبود أن يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بانهما جزاء والمعبود لابد أن يكون أكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا تليق العبادة الا له (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قد ذكرنا وجه ذلك فى أوائل سورة البقرة فى قوله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ثم أنكر عليهم معتقدهم بقوله (قل أتنبئون الله بما لا يعلم) والمراد أنه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور تقول ما علم الله ذلك منى والمقصود أنه ما وجد منك ذلك قط وفى قوله فى السموات ولا فى الارض تأكيد آخر لنفيه لان مالم يوجد فيهما فهو منتف معدوم قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) اما ان يكون من تمام ما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم أو ابتداء كلام من الله تعالى تنزيها لنفسه عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين أن عبادة الاصنام بدعة وأن الناس يعنى العرب أو البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله فى سورة البقرة فى قوله كان الناس أمة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك وعبادة الاصنام من دون الله فى أعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع (ولولا كلمة سبقت من ربك) من بناء أمر الثواب والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر أو من تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة أو من قوله سبقت رحمتى غضبى (لقضى بينهم) عاجلا ولميز المحق من المبطل ثم ذكر نوعا آخر من أباطيلهم فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) وقد مر تفسيره فى الانعام فى قوله لولا أنزل عليه آية من ربه كأنهم لم يعتدوا بالقرآن آية واقترحوا غيره تعنتا (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه وهذا أمر فيه تهديد ووعيد والله ورسوله أعلم (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر فى آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح

اليهم أجلهم فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق لقضى اليهم أجلهم على وجه ما لم يسم فاعله بضم القاف من قضى ورفع الاجل وقرأ عامة أهل الشام لقضى اليهم أجلهم بمعنى لقضى الله اليهم أجلهم وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أنى أقرؤه على وجه ما لم يسم فاعله لان عليه أكثر القراء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره واذا أصاب الانسان الشدة والجهد دعانا لجنبه يقول استغاث بنا فى كشف ذلك عنه لجنبه يعنى مضطجعا لجنبه أو قاعدا أو قائما بالحال التى يكون بها عند نزول ذلك الضر به فلما كشفنا عنه ضره يقول فلما فرجنا عنه الجهد الذى أصابه مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه يقول استمر على طريقته الاولى قبل أن يصيبه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه وترك الشكر لربه الذى فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استغاثه وعاد للشرك ودعوى الآلهة والأوثان أربابا معه يقول تعالى ذكره كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يقول كما زين لهذا الانسان الذى وصفنا صفته استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر كذلك زين للذين أسرفوا فى الكذب على الله وعلى أنبيائه فتجاوزوا فى القول فيهم الى غير ما أذن الله لهم به ما كانوا يعملون من معاصى الله والشرك به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله دعانا لجنبه قال مضطجعا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أهلكنا الامم التى كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظلموا يقول لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه وجاءتهم رسلهم من عند الله بالبينات وهى الآيات والحجج التى تبين عن صدق من جاء بها ومعنى الكلام وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات أنها حق وما كانوا ليؤمنوا يقول فلم تكن هذه الامم التى أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدقوهم الى ما دعوهم اليه من توحيد الله وخلاص العبادة له كذلك نجزى القوم المجرمين يقول تعالى ذكره كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم أنفسهم وتكذيبهم رسلهم وردهم نصيحتهم كذلك أفعل بكم فاهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ان أنتم لم تنيبوا وتتوبوا الى الله من شرككم فان من ثواب الكافر بى على كفره عندى أن أهلكه بسخطى فى الدنيا وأورده النار فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ يقول تعالى ذكره ثم جعلناكم أيها الناس خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا نتخلفونهم فى الارض وتكونون فيها بعدهم لننظر كيف تعملون يقول لنرى ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الامم بذنوبهم وكفرهم بربهم تحذرون مثالهم فيه فتستحقون من العقاب ما استحقوا أم تخالفون سبيلهم فتؤمنون بالله ورسوله وتقرون بالبعث بعد الممات فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون

عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم
اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل
الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت
الارض زخرفها وازينت وظن
أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا
ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن
لم تغن بالأمس كذلك نفصل
الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو
الى دار السلام ويهدى من يشاء الى
صراط مستقيم للذين أحسنوا
الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم
قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم
فيها خالدون والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم
من الله من عاصم كأنما أغشيت
وجوههم قطعا من الليل مظلما
أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين
أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم
فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم ان كنا عن عبادتكم
لغافلين هنالك تبلو كل نفس
ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم
الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

تعملون ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صدق ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر كيف
أعمالنا فأر والله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار والسر والعلانية حدثنى المثنى قال ثنا يزيد
ابن عوف أبو روح بهذه قال ثنا حماد عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عوف
ابن مالك رضى الله عنه قال لابى بكر رضى الله عنه رأيت فيما يرى النائم كأن سببا دلى من السماء
فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دلى فانتشط أبو بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر رضى
الله عنه بثلاث أذرع الى المنبر فقال عمر دعنا من رؤياك لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال ياعوف
رؤياك قال وهل لك فى رؤياى من حاجة أولم تنتهرنى قال ويحك انى كرهت أن تنعى خليفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقص عليه الرؤيا حتى اذا بلغ ذرع الناس الى المنبر بهذه الثلاث الاذرع
قال أما احداهن فانه كائن خليفة وأما الثانية فانه لا يخاف فى الله لومة لائم وأما الثالثة فانه شهيد
قال فقال يقول الله ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون فقد استخلفت
بالبن أم عمر فانظر كيف تعمل وأما قوله فانى لا أخاف فى الله لومة لائم فاشاء الله وأما قوله فانى شهيد
فأنى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به ثم قال ان الله على ما يشاء قدير ۞ القول فى تأويل قوله
تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون
لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الىّ انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ يقول
تعالى ذكره واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات واضحات
على الحق دالات قال الذين لا يرجون لقاءنا يقول قال الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالمعاد الينا
ولا يصدقون بالبعث لك ائت بقرآن غير هذا أو بدله يقول أو غيره قل لهم يا محمد ما يكون لى أن أبدله
من تلقاء نفسى أى من عندى والتبديل الذى سألوه فيما ذكر أن يحول آية الوعيد آية وعد وآية
الوعد وعيدا والحرام حلالا والحلال حراما فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن ذلك ليس
اليه وأن ذلك الى من لا يرد حكمه ولا يتعقب قضاؤه وانما هو رسول مبلغ ومأمور متبع وقوله ان
أتبع الا ما يوحى الىّ يقول قل لهم ما أتبع فى كل ما آمركم به أيها القوم وأنهاكم عنه الا ما ينزله الىّ
ربى ويأمرنى به انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم يقول انى أخشى من الله ان خالفت
أمره وغيرت أحكام كتابه وبدلت وحيه فعصيته بذلك عذاب يوم عظيم هوله وذلك يوم تذهل
كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا
من قبله أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه معرفا الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له ائت
بقرآن غير هذا أو بدله قل لهم يا محمد لو شاء الله ما تلوته عليكم أى ما تلوت هذا القرآن
عليكم أيها الناس بأن كان لا ينزله علىّ فيأمرنى بتلاوته عليكم ولا أدراكم به يقول ولا أعلمكم
به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يقول فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم
ومن قبل أن يوحيه الىّ ربى أفلا تعقلون أنى لو كنت منتحلا ما ليس لى من القول كنت قد
انتحلته فى أيام شبابى وحداثتى وقبل الوقت الذى تلوته عليكم فقد كان لى اليوم ولم يوح الىّ
أو مر بتلاوته عليكم مندوحة عن معاداتكم ومتسع فى الحال التى كنت بها منكم قبل أن يوحى الىّ

بناء التانيث كل بالرفع ۞ الوقوف آياتنا ط مكرا ط تمكرون ٥ والبحر ط فى الفلك ج ط للعدول مع أن جواب اذا منتظر
أحيط بهم لا لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وان جعل دعوا جوابا عن سؤال سائل
لما صنعوا كان للوقف وجه الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء فى معنى القول الشاكرين ٥ بغير الحق ط

على أنفسكم ط الالمن جعله متعلقا ببغيكم تعلمون ٥ والانعام ط عليها لا لان مابعده جواب اذا بالامس ط يتفكرون ٥ السلام ط مستقيم ٥ وزيادة ط ولاذلة ط الجنة ج ط خالدون ٥ بمثلها لالأن قوله وترهقهم معطوف على محذوف أي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم ج ط لان الكاف لايتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى

لان رهق الذلة سوادالوجه المعبرعنه بقوله كأنما مظلما ط أصحاب النار ج ط خالدون ٥ وشركاؤكم ج للعدول مع فاء التعقيب تعبدون ٥ لغافلين ٥ يفترون ٥

﴿ التفسير لمابين في الآية المتقدمة أنهم يطلبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا أكد ذلك بقوله (واذا أذقنا) روى أنه سبحانه سلط القحط على أهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وأنزل الامطار النافعة ثم انهم أضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع آيات الله بكل مايقدرون عليه من القاء شبهة أو تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على أن الكثير من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه أن الانسان لغاية ضعفه الفطري لايطيق أدنى الرحمة كما أنه لايطيق أدنى الألم الذي يمسه قال في الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وهذا أيضا من جملة الضعف لأنه نسي ماعهده من الضر الشديد واذا الثانية للمفاجأة وقع مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله اذا هم يسخطون وفائدته أن يعلم أنهم فاجؤا وقوع المكر منهم في وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ماينفضون عن رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه (قل الله أسرع مكرا) يقدر على ايصال جزاء مكرهم اليهم قبل أن يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم وروى ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله (ان رسلنا يكتبون ماتمكرون) وقدم تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم أن مضمون هذه الآية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا أن هذه زائدة عليها بدقيقة هي أنهم بعد الاعراض عن الدعاء

وأوعد بتلاوته عليكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا أدراكم به ولا أعلمكم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول لوشاء الله لم يعلمكموه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول ماحذرتكم به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله وهو قول مشركي أهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون لبث أربعين سنة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ولا أعلمكم به **حدثني** محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن أنه كان يقرأ ولا أدراتكم به يقول ماأعلمتكم به **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبامعاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا أدراكم به يقول ولا أشعركم الله به وهذه القراءة التي حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط وكان الفراء يقول في ذلك قد ذكر عن الحسن أنه قال ولا أدرأتكم به قال فان يكن فهو لغة سوى دريت وأدريت فلعل الحسن ذهب اليها وأما أن يصلح من دريت أو أدريت فلا لأن الياء والواو اذا انفتح ماقبلهما وسكنتا صحتا ولم تنقلبا الى ألف مثل قضيت ودعوت ولعل الحسن ذهب الى طبيعته وفصاحته فهمزها لانها تضارع درأت الحدوشبهه وربما غلطت العرب في الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز فهمزوا غير المهموز وسمعت امرأة من طي تقول رثأت زوجي بابيات ويقولون لبأت بالحج وحلأت السويق يتغلطون لأن حلأت قد يقال في دفع العطاش من الابل ولبأت ذهبت به الى اللبأ لبأ الشاء ورثأت زوجي ذهبت به الى رثأت اللبن اذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك الرثيثة وكان بعض البصريين يقول لاوجه لقراءة الحسن هذه لانها من أدريت مثل أعطيت الا أن لغة بني عقيل أعمات يريدون أعطيت تحول الياء ألفا قال الشاعر

لقد آذنت أهل اليمامة طيئ * بحرب كناصاة الاغر المشهر

يريد كناصية حكى ذلك عن المفضل وقال زيد الخيل

لعمرك ما أخشى التصعلك مابقا * على الارض قيسي يسوق الاباعرا

فقال بقا وقال الشاعر

زجرت فقلنا لاتريع لزاجر * ان الغوي اذا نهى لم يعتب

يريد نهى قال وهذا كله على قراءة الحسن وهي مرغوب عنها قال وطيئ تصير كل ياء انكسر ماقبلها ألفا يقولون هذه جاراة وفي الترقوة ترقاة والعرقوة عرقاة قال وقال بعض طيئ قد لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنه أن يحولها ألفا لسكون التاء فيلتقي ساكنان وقال زعم يونس أن نساورضا لغة معروفة قال الشاعر

وأبنيت بالاعراض ذا البطن خالدا * نسا أوتناسى أن يعد الموالیا

يطلبون الغوائل و يقابلون الرحمة بالمكر والخديعة ولا يرضون رأسا برأس ثم ضرب لاجل ماوصفهم به مثالا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال (هوالذى يسيركم) ومن قرأ ينشركم فكقوله فانتشروا فى الارض قال بعض العلماء المسير فى البحر هوالله سبحانه وتعالى وأما فى البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق أن جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك أن آثار اقداره واحداثه فى البحر أظهر كما مر فى تفسير قوله والفلك التى تجرى فى البحر قال القفال هوالله الهادى لكم الى السير فى البحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل أنه هيأ لكم أسباب ذلك السير (وحتى) لانتهاء الغاية والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة فى الشرط ثلاثة أولها الكون فى الفلك وثانيها جرى الفلك بهم بالريح الطيبة والضمير فى جرين للفلك على أنها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة فى الجزاء ثلاثة أيضا أولها جاءتها أى الفلك أو الريح الطيبة تلتها ريح عاصف ذات عصوف كلا بين لذات اللبن أولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها (وجاءهم الموج من كل مكان) أى من جميع جوانب احياز الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى غلب على ظنونهم الهلاك وأصله أن العدو اذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من البوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا فى الهلاك وقرئ فى الفلك والياء زائدة كما فى الاجرى أو أريد به الماء الغمر الذى لا تجرى الفلك الا فيه قال فى الكشاف وانما التفت فى قوله وجرين بهم الى آخره من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح وقال الامام فخر الدين الرازى الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة فى هذه الآية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك فى قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت هذا وجه حسن أما قوله (دعوا الله مخلصين) فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من آلهتهم شيأ وأقروا لله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا الاخلاص الايمان لكن لاجل العلم بأنه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرارى

وروى عن ابن عباس فى قراءة ذلك أيضا رواية أخرى وهى ماحدثنا به المثنى قال ثنا المعلى بن أسد قال ثنا خالد بن حنظلة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه كان يقرأ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أنذرتكم به والقراءة التى لا أستجيز أن تعدوها هى القراءة التى عليها قراء الامصار قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به بمعنى ولا أعلمكم به ولا أشعركم به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك الى الكذب أى خلق أشر بعدنا وأوضع لقيله فى غير موضعه ممن اختلق على الله كذبا وافترى عليه باطلا أو كذب بآياته يعنى بحججه ورسله وايات كتابه يقول له جل ثناؤه قل لهم ليس الذى أضفتمونى اليه بأعجب من كذبكم على ربكم وافترائكم عليه وتكذيبكم بآياته انه لا يفلح المجرمون يقول انه لا ينجح الذين اجترموا الكفر فى الدنيا يوم القيامة اذا لقوا ربهم ولا ينالون الفلاح ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذى لا يضرهم شيأ ولا ينفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة وذلك هو الآلهة والأصنام التى كانوا يعبدونها ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعنى أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض يقول أتخبرون الله بما لا يكون فى السموات ولا فى الارض وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله فى السموات ولا فى الارض وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل لهم أتخبرون الله أن ما لا يشفع فى السموات ولا فى الارض يشفع لكم فيهما وذلك باطل لا تعلم حقيقته ومحته بل يعلم الله أن ذلك خلاف ما تقولون وانها لا تشفع لاحد ولا تنفع ولا تضر سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تنزيها لله وعلوا عما يفعله هؤلاء المشركون من اشراكهم فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع وافترائهم عليه الكذب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره وما كان الناس الا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا فى دينهم فافترقت بهم السبل فى ذلك ولولا كلمة سبقت من ربك يقول ولولا أنه سبق من الله أنه لا يهلك قوما الا بعد انقضاء آجالهم لقضى بينهم فيما فيه يختلفون يقول لقضى بينهم بأن يهلك أهل الباطل منهم وينجى أهل الحق وقد بينا اختلاف المختلفين فى معنى ذلك فى سورة البقرة وذلك فى قوله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين وبينا الصواب من القول فيه بشواهده فاغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنى المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا حين قتل أحد ابنى آدم أخاه حدثنى المثنى قال ثنا القاسم قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا

وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والا لم يدعوا الا الله وعن أبي عبيدة أن المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره ياحي ياقيوم يحكى أن رجلا قال لجعفر الصادق رضي الله عنه ما الدليل على اثبات الصانع فقال أخبرني عن حرفتك فقال التجارة في البحر قال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة و بقيت على لوح من ألواحها وجاءت الرياح العاصفة قال جعفر الصادق رضي الله عنه هل وجدت في قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت (لئن أنجيتنا من هذه) الشدة كما مر في الانعام (يبغون في الارض بغير الحق) البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد وأصله الطلب فلهذا أكد المعنى بقوله بغير الحق قال في الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على أرض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قلت و يحتمل أن يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله و يقتلون النبيين بغير الحق من قرأ متاع بالنصب فاقبله جملة تامة أي انما بغيكم وبال على أنفسكم وهو مصدر مؤكد كأنه قيل يتمتعون متاع الحياة الدنيا ومن قرأ بالرفع فاما على أن التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام أو على أنه خبر وقوله على أنفسكم صلة أي انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا ولا بقاء لها والبغي من منكرات المعاصي قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروى اثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على أنفسكم أي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض الا أياما قلائل وهي مدة حياتكم من مع قصرها وسرعة انقضائها (ثم) الى ما وعدنا من المجازاة (مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) وهو في هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل في معرض التهديد سأخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال (انما مثل الحياة الدنيا

الى معكم من المنتظرين) يقول تعالى ذكره و يقول هؤلاء المشركون هلا أنزل على محمد آية من ربه يقول علم ودليل نعلم به أن محمدا محق فيما يقول قال الله له فقل يا محمد انما الغيب لله أي لا يعلم أحد يفعل ذلك الا هو جل ثناؤه لانه لا يعلم الغيب وهو السر والخفي من الامور الا الله فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجيل عقوبته للمبطل منا واظهاره المحق علينا فمعكم ممن ينتظر ذلك ففعل ذلك جل ثناؤه فقضى بينهم و بينه بأن قتلهم يوم بدر بالسيف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ يقول تعالى ذكره واذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ورخاء بعد شدة أصابتهم وقيل عني به المطر بعد القحط والضراء هي الشدة والرحمة هي الفرج يقول اذا لهم مكر في آياتنا استهزاء وتكذيب كما حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذا لهم مكر في آياتنا قال استهزاء وتكذيب ۞ قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله قل الله أسرع مكرا يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حجنا وأدلتنا يا محمد الله أسرع مكرا أي أسرع محالا بكم واستدراجا لكم وعقوبة منكم من المكر في آيات الله والعرب تكتفي باذا من فعلت وفعلوا فلذلك حذف الفعل معها وانما معنى الكلام واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم مكروا في آياتنا فاكتفى من مكروا باذا لهم مكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يقول ان حفظتنا الذين نرسلهم اليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي يسيركم أيها الناس في البر على الظهر وفي البحر في الفلك حتى اذا كنتم في الفلك وهي السفن وجرين بهم يعني وجرت الفلك بالناس بريح طيبة في البحر وفرحوا بها يعني وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها والهاء في قوله بها عائدة على الريح الطيبة جاءتها ريح عاصف يقول جاءت الفلك ريح عاصف وهي الشديدة والعرب تقول ريح عاصف وعاصفة وقد أعصفت الريح وعصفت وأعصفت في بني أسد فيما ذكر قال بعض بني دبير

حتى اذا أعصفت ريح مزعزعة ۞ فيها قطار ورعد صوته زجل

وجاءهم الموج من كل مكان يقول تعالى ذكره وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم يقول وظنوا أن الهلاك قد أحاط بهم وأحدق دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم وكان مفزعهم حينئذ الى الله دونها كما حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله دعوا الله مخلصين له الدين قال اذا مسهم الضر في البحر أخلصوا له الدعاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة في قوله مخلصين له الدين هي اشراهيا تفسيره ياحي ياقيوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا أذقنا الناس رحمة

من بعد ضراء مستهم الى آخر الآية قال هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا كان الضر لم يدعوا الا الله فاذا نجاهم اذا هم يشركون لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نحن فيها لنكونن من الشاكرين لك على نعمك وتخليصك ايانا مما نحن فيه باخلاصنا العبادة لك وافراد الطاعة دون الآلهة والأنداد واختلفت القراء في قراءة قوله هو الذي يسيركم فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق هو الذي يسيركم من السير بالسين وقرأ ذلك أبو جعفر القاري هو الذي ينشركم من النشر وذلك البسط من قول القائل نشرت الثوب وذلك بسطه ونشره من طيه فوجه أبو جعفر معنى ذلك الى أن الله يبعث عباده فيبسطهم برا وبحرا وهو قريب المعنى من التسيير وقال وجرين بهم بريح طيبة وقال في موضع آخر في الفلك المشحون فوحد والفلك اسم للواحدة والجماع ويذكر ويؤنث قال وجرين بهم وقد قال هو الذي يسيركم فخاطب ثم عاد الى الخبر عن الغائب وقد بينت ذلك في غير موضع من الكتاب بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وجواب قوله حتى اذا كنتم في الفلك جاءتها ريح عاصف وأما جواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم فدعوا الله مخلصين له الدين ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون ﴿يقول تعالى ذكره فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا في البحر أنهم أحيط بهم من الجهد الذي كانوا فيه أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أذن الله لهم فيه من الكفر به والعمل بمعاصيه على ظهرها يقول الله يا أيها الناس انما اعتداؤكم الذي تعتدونه على أنفسكم واياها تظلمون وهذا الذي أنتم فيه متاع الحياة الدنيا يقول ذلك بلاغ تبلغون به في عاجل دنياكم وعلى هذا التأويل البغي يكون مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله على أنفسكم ويكون قوله متاع الحياة الدنيا مرفوعا على معنى ذلك متاع الحياة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ بمعنى هذا بلاغ وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك انما بغيكم في الحياة الدنيا على أنفسكم لانكم بكفركم تكسبونها غضب الله متاع الحياة الدنيا كأنه قال انما بغيكم متاع الحياة الدنيا فيكون البغي مرفوعا بالمتاع وعلى أنفسكم من صلة البغي ويرفع المتاع قرأت القراء سوى عبد الله بن أبي اسحق فانه نصبه بمعنى انما بغيكم على أنفسكم متاعا في الحياة الدنيا فجعل البغي مرفوعا بقوله على أنفسكم والمتاع منصوبا على الحال وقوله ثم الينا مرجعكم يقول ثم الينا بعد ذلك معادكم ومصيركم وذلك بعد الممات فننبئكم بما كنتم تعملون يقول فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله ونجازيكم على أعمالكم التي سلفت منكم في الدنيا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴿يقول تعالى ذكره انما مثل ما تباهون في الدنيا وتفاخرون به من زينتها وأموالها مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت كمثل ماء أنزلناه من السماء يقول كمطر أرسلناه من السماء الى الارض فاختلط به نبات الارض يقول فنبت بذلك المطر أنواع من النبات مختلط بعضها ببعض كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله انما مثل

الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور (وازينت) أصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي تأخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها (وظن أهلها) أي غلب على ظنونهم أو تيقنوا (أنهم قادرون عليها) متمكنون من تحصيل ريعها (أتاها أمرنا) باهلاكها واستئصالها وضربها ببعض العاهات (ليلا أو نهارا) أي حين غفلتهم بالنوم أو حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم (فجعلناها) أي زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) أي كأن الشأن لم يلبث زرعها (بالامس) أي في زمان قريب يقال غنى بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا أقام به والامس مثل في الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان أن هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد أن عاقبة هذه الحياة التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لان الغالب أن المتمسك بالدنيا اذا طمأن بها وعظمت رغبته فيها وانتظم أمره بعض الانتظام أتاه الموت وتلخيصه أنه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد ويحتمل أن يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود رونقها مرة أخرى فكذا النشور (كذلك نفصل الآيات) نذكر واحدة منها بعد الأخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال

الشك (لقوم يتفكرون) فى أحوال الآفاق والانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم فى الآخرة بقوله (والله يدعو الى دار السلام) ومثله ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد بنى دارا وصنع مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم مامن يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان ينادیان بحيث يسمع كل الخلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام واتفقوا على أن دار السلام هى الجنة واختلفوا فى سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما أطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات وكفى بدار أضافها الله تعالى لنفسه فضلا وشرفا وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم أن الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) ومن هنا ذهب أهل السنة الى أن الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدى من يشاء الى اجابة تلك الدعوة ويعنون أن من أجاب الدعاء وأطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم أهل الدعوة الى قسمين وبين حال كل طائفة فقال (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس أحسنوا أى ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى أن المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم وأما الحسنى فقال فى الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانبارى العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك نزل

الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض قال اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة والشعير وسائر حبوب الارض والبقول والثمار ومما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعى وقوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها يعنى ظهر حسنها وبهاؤها وازينت بقول وتزينت وظن أهلها يعنى أهل الارض أنهم قادرون عليها يعنى على ما أنبتت وخرج الخبر عن الارض والمعنى للنبات اذ كان مفهوما بالخطاب ماعنى به وقوله أتاها أمرنا بيلا أو نهارا يقول جاء الارض أمرنا يعنى قضاؤنا بهلاك ما عليها من النبات إما ليلا وإما نهارا فجعلناها يقول فجعلنا ما عليها حصيدا يعنى مقطوعة مقلوعة من أصولها وانما هى محصودة صرفت الى حصيد كأن لم تغن بالأمس يقول كأن لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الارض نابتة قائمة على الارض قبل ذلك بالامس وأصله من غنى فلان بمكان كذا يغنى به اذا أقام به كما قال النابغة الذبيانى

غنيت بذلك اذهم لى جيرة * منها بعطف رسالة وتودد

يقول فكذلك يأتى الفناء على ما تتباهون به من دنياكم وزخارفها فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الأرض بعد حسنها وبهجتها حتى صارت كأن لم تغن بالامس كأن لم تكن قبل ذلك نباتا على ظهرها يقول الله جل ثناؤه كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون يقول كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا وعرفناكم حكمها وأمرها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر وتطر وخص به أهل الفكر لانهم أهل التمييز بين الامور والفحص عن حقائق ما يعرض من الشبه فى الصدور * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها الآية اى والله لئن تشبث بالدنيا وحدب عليها التوشك الدنيا أن تلفظه وتقضى منه

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وازينت قال أنبتت وحسنت

حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكها الا بذنوب أهلها قال قد قرأتها وليست فى المصحف فقال عباس بن عبد الله بن العباس هكذا يقرؤها ابن عباس فارسلوا الى ابن عباس فقال هكذا أقرأنى أبى بن كعب

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كأن لم تغن بالامس يقول كأن لم تعش كأن لم تنعم

حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل قال سمعت أبا سلمة ابن عبد الرحمن يقول فى قراءة أبى كأن لم تغن بالامس وما أهلكناها الا بذنوب أهلها كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون واختلفت القراء فى قراءة قوله وازينت فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق وازينت بمعنى وتزينت ولكنهم أدغموا التاء فى الزاى لتقارب مخرجيهما وأدخلوا ألفا ليوصل الى قراءته اذ كانت التاء قد سكنت والساكن لا يبتدأ به وحكى عن أبى العالية وأبى رجاء والاعرج وجماعة أخر غيرهم أنهم قرؤا ذلك وأزينت على مثال أفعلت والصواب من القراءة فى ذلك وازينت لاجماع الحجة من القراء عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والله يدعو

موصوفها وأما الزيادة فحملها أهل السنة على رؤية الله لان اللام فى الحسنى للعهود بين المسلمين من المنافع التى أعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها فما هى الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب أن تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب أن يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره أعطيتك عشرة أمنان من الحنطة وزيادة أما اذا كان غير مقدر كما لو قال أعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب أن تكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكور فى الآية لفظة الحسنى وهى الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شئ مغاير لكل ما فى الجنة وعن على عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن سمرة هى أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم هذا شأن المنافع الحاصلة لهم وأما أنها منافع خالصة عن الكدورات فأفاد ذلك بقوله (ولا يرهق) أى لا يغشى (وجوههم قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال ثم أشار الى كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله (والذين) أى وجزاء الذين (كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) أى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز أن يكون التقدير وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على أن المراد بالزيادة فى الآية المتقدمة الفضل لانه دل بزعمه الزيادة على السيئة على عدله فناسب أن يكون قد دل هنالك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله (وترهقهم ذلة) فانهم حين ماتوا

الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره لعباده أيها الناس لا تطلبوا الدنيا وزينتها فان مصيرها الى فناء وزوال كما مصير النبات الذى ضربه الله لها مثلا الى هلاك وبوار ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ولها فاعملوا وما عند الله فالتمسوا بطاعته فان الله يدعوكم الى داره وهى جنانه التى أعدها لاوليائه تسلموا من الهموم والاحزان فيها وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم والكرامة التى أعدها لمن دخلها وهو يهدى من يشاء من خلقه فيوفقه لاصابة الطريق المستقيم وهو الاسلام الذى جعله جل ثناؤه سببا للوصول الى رضاه وطريقا لمن ركبه وسلك فيه الى جنانه وكرامته كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال الله السلام وداره الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والله يدعو الى دار السلام قال الله هو السلام وداره الجنة حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قيل لى لتنم عينك ولتعقل قلبك ولتسمع أذنك فنامت عينى وعقل قلبى وسمعت أذنى ثم قيل سيد بنى دارا ثم صنع مأدبة ثم أرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمأدبة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ذكر لنا أن فى التوراة مكتوبا يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر انته حدثنى الحسين ابن سلمة بن أبى كبشة قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عباد بن راشد عن قتادة قال ثنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمسه الا وبجنبتيها ملكان ينادیان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى قال وأنزل ذلك فى القرآن فى قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال انى رأيت فى المنام كان جبرائيل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت أذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس لى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول من أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل منها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ يقول تعالى ذكره للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه فأطاعوه فيما أمر ونهى الحسنى ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الحسنى والزيادة اللتين وعدهما المحسنين من خلقه فقال بعضهم الحسنى هى الجنة جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء والزيادة عليها النظر الى الله تعالى ذكره من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عامر

ناقصين خالين عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهوانهم على أنفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام أن الجهل سواد وظلمة كما أن العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رضي الله عنه

كل بيت أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج ومريض أنت عائده * قد أتاه الله بالفرج

(مالهم من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من عذابه وسخطه أو مالهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق أنه لا عاصم من الله لأحد فى الدنيا ولا فى الآخرة الا باذن الله الا أن هذا المعنى فى الآخرة أظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ فى الكشف عن سواد وجوههم فقال (كأنما أغشيت) أى ألبست (وجوههم قطعا من الليل) من قرأ بسكون الطاء فعناه البعض والطائفة و(مظلما) صفته ومن قرأ بفتحها على أنه جمع قطعة فظلما حال من الليل والعامل فيه اما معنى الفعل فى من الليل أو أغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله فى الكشاف واعلم أن جمعا من العلماء ذهبوا الى أن المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هم الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا أن الآيات المذكورة مخصصة ثم شرح بعض أحوال المشركين فى القيامة فقال (ويوم نحشرهم) منصوب باضمار اذكر أو ظرف متعلق بتبلو أى فى يوم كذا تبلو كل نفس وحاصل الكلام أنه يحشر العابد والمعبود ليسئلوا فيتبرأ المعبود من العابد خلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه اشارة الى أن الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك فى مقام لا ينفع الا الصدق قال فى الكشاف (مكانكم) أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعند

ابن سعد عن أبى بكر الصديق للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم **حدثنا** سفيان قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن أبى اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد ابن نمران عن أبى بكر للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تعالى **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عامر بن سعد للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن عامر بن سعد قال فى هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مسلم بن نذير عن حذيفة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم **حدثنى** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا شريك قال سمعت أبا اسحق يقول فى قول الله وزيادة قال النظر الى وجه الرحمن **حدثنى** على بن عيسى قال ثنا شبابة قال ثنا أبو بكر الهذلى قال سمعت أبا تميمة الهجيمى يحدث عن أبى موسى الاشعرى قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادى هل أنجز كم الله ما وعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال أخبرنا أبو تميمة الهجيمى قال سمعت أبا موسى الاشعرى يخطب على منبر البصرة يقول ان الله يبعث يوم القيامة ملكا الى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجز كم الله ما وعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيرون الحلى والحلل والثمار والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجز كم الله ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيأ مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقى لكم شئ ان الله يقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى شبيب عن أبان عن أبى تميمة الهجيمى أنه سمع أبا موسى الاشعرى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادى أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم ان الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم وقرأ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد النظر الى وجه ربهم **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمن بن المغيرة قال أخبرنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله وزيادة قال قيل له أرأيت قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة فاعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم قال نودوا يا أهل الجنة ان الله قد وعدكم الزيادة فيتجلى لهم قال ابن أبى ليلى فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم وحين صارت الصحف فى أعمانهم وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم كل ذلك لم يكن شيأ فيما رأوا * قال ثنا ابن المبارك عن معمر وسليمن بن المغيرة عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى

أى على هو اسم من أسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب و (أنتم) لتأكيد الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا قيل عين الكلمة واولانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل أى زيولنا مثل بيطره أعل اعلال سيد وقيل هى من زلت الشئ أزيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظير زيلنا قوله ونادى أصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن (وقال شركاؤهم) فى صحة هذه الاضافة وجوه منها أنهم جعلوا نصيبا من أموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها أنهم متشاركون فى الخطاب فى قوله مكانكم ومنها أنهم أثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين وكيف تنطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحياة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم أو يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه وقيل يخلق فيهم الكلام فقط وهذا الخطاب تهديد فى حق العابدين فهل يكون تهديدا فى حق المعبودين قالت المعتزلة لا لأنه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل أما قول الشركاء (ما كنتم ايانا تعبدون) وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد أنكم ما عبدتمونا بأمرنا وارادتنا لقولهم (فكفى بالله شهيدا) الآية ومن أعظم أسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل لما فى ذلك الموقف من الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجرى مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما أقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل المراد أنهم عبدوا الشياطين حيث أمروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب فى القيامة فلا اشكال و (هنالك) أى فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلو كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر أو نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما أسلفت

ليلى للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال النظر الى وجه ربهم * قال ثنا الحجاج ومعلى ابن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم انه قد بقى من حقكم شئ لم تعطوه قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى قال فيصغر عندهم كل شئ أعطوه قال ثم قال للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى للذين أحسنوا الحسنى و زيادة النظر الى وجه الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قول الله للذين أحسنوا الحسنى و زيادة النظر الى الرب **حدثنا** عمرو بن على ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نودوا يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا قالوا ما هو ألم يبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فيتجلى لهم فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ولفظ الحديث لعمرو **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجز كموه فيقولون وما هو ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو ابن على وابن بشار عن عبد الرحمن * قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن سعيد بن عمران عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال النظر الى وجه الله تبارك وتعالى * قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن عامر بن سعد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين أحسنوا الحسنى و زيادة بلغنا أن المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد إن الله وعدكم الحسنى وهى الجنة وأما الزيادة فالنظر الى وجه الرحمن **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى * قال ثنا جرير عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط قال الحسنى النضرة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية قال ثنا أبى بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله * وقال آخرون فى الزيادة بما **حدثنا** به يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن الحكم عن على رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى و زيادة قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن الحكم عن على رضى الله عنه نحوه الا أنه قال فيها أربعة أبواب * قال ثنا جرير عن منصور عن

وقيل انهم ما أقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل المراد أنهم عبدوا الشياطين حيث أمروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب فى القيامة فلا اشكال و (هنالك) أى فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلو كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الخابر أو نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما أسلفت

من الشر ومن قرأ تتلو بتاءين فعناه تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار وتقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر (وردوا الى الله مولاهم الحق) الصادق ربوبيته (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا) يدعون أنهم شركاء الله أو ما كانوا يختلقون من شفاعة الآلهة والحاصل أنهم (٧٦) يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك ﴿ التأويل واذا

الحكم بن عتيبة عن علي رضي الله عنه مثل حديث يحيى بن طلحة عن فضيل سواء * وقال آخرون الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف الى تمام العشر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال هو مثل قوله ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله وقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن علقمة بن قيس للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال قلت هذه الحسنى فما الزيادة قال ألم تر أن الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة بالحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف * وقال آخرون الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة زيادة مغفرة من الله ورضوان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد للذين أحسنوا الحسنى مثلها حسنى وزيادة مغفرة ورضوان * وقال آخرون الزيادة ما أعطوا في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة وزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقرأ وآتيناه أجره في الدنيا قال ما آتاه مما يحب في الدنيا عجل له أجره فيها * وكان ابن عباس يقول في قوله للذين أحسنوا الحسنى بما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله للذين أحسنوا الحسنى يقول للذين شهدوا أن لا اله الا الله * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة وأن تبيض وجوههم ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة على ادخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر اليه وأن يعطيهم غرفا من لآلئ وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله اياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جنانه وعم ربنا جل ثناؤه بقوله وزيادة الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيأ دون شئ وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله فأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة لا يغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر والقتر الغبار وهو جمع قترة ومنه قول الشاعر

متوج برداء الملك يتبعه * موج ترى فوقه الرايات والقترا

يعني بالقتر الغبار ولا ذلة ولا هوان أولئك أصحاب الجنة يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أهل الجنة وسكانها ومن هم فيها هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون أبدا لا تبيد فيخافوا زوال نعيمهم ولا هم يخرجون فتتنغص عليهم لذتهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وكان ابن أبي ليلى يقول في قوله ولا يرهق وجوههم قتر ما حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا

أذقنا الناس ذوق توبة وانابة أو ذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة وحجب الاوصاف اذا لهم مكر في آياتنا باظهارها الى غير أهلها بشرف النفس وطلب الجاه والقبول قل الله أسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون هو الذي يسيركم في بر البشرية وبحر الروحانية أو في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج البلا والمحن من أماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما أنجاهم فيه اشارة الى أن أرباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال استقبلتهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في أرض ماسوى الحق غير الحق كماء أنزلناه من سماء القلب الى أرض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من أرض البشرية مما يأكل الناس والانعام من الصفات الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية أتاها حكمنا الازلي ليلا عند استيلاء ظلمات صفات النفس أو نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقائد الباطلة كما لبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعو الى دار السلام وهي مقام الفناء لأن صاحبه يسلم عن آفات الحجب أو مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الاثنينية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين أحسنوا الحسنى فالاحسان أن تعبد الله كأنك تراه والحسنى هي شواهد الحق والنظر

ليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم أو هي ما زاد على النظر من افناء الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون﴾ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ ۞ القراآت كلمات ربك وكذلك في آخر السورة على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلى وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال أبو جعفر ونافع غير ورش وعباس أبو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبلة ورويس يهدي بكسرتين

عفان قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد نظرهم الى ربهم **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج ومعلى بن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله ولا يرهق وجوههم قتر قال سواد الوجوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم﴾ يقول تعالى ذكره والذين عملوا السيئات في الدنيا فعصوا الله فيها وكفروا به وبرسوله جزاء سيئة من عمله السيئ الذي عمله في الدنيا بمثلها من عقاب الله في الآخرة وترهقهم ذلة يقول وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم مالهم من الله من عاصم يقول مالهم من الله من مانع يمنعهم اذا عاقبهم يحول بينه وبينهم وبنحو الذي قلنا في قوله وترهقهم ذلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وترهقهم ذلة قال تغشاهم ذلة وشدة واختلف أهل العربية في الرافع للجزاء فقال بعض نحويي الكوفة رفع باضمار لهم كأنه قيل ولهم جزاء السيئة بمثلها كما قال الصيام ثلاثة أيام في الحج والمعنى فعليه صيام ثلاثة أيام قال وان شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله وجزاء سيئة بمثلها وقال بعض نحويي البصرة الجزاء مرفوع بالابتداء وخبره بمثلها قال ومعنى الكلام جزاء سيئة مثلها وزيدت الباء كما زيدت في قولهم بحسبك قول السوء وقد أنكر ذلك من قوله بعضهم فقال يجوز أن تكون الباء في حسب لان التأويل ان قلت السوء فهو حسبك فلما لم تدخل في الجزاء أدخلت في حسب بحسبك أن تقوم ان قمت فهو حسبك فان مدح ما بعد حسب أدخلت الباء فيما بعدها كقولك حسبك بزيد ولا يجوز بحسبك زيدا لان زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يكون الجزاء مرفوعا باضمار بمعنى فلهم جزاء سيئة بمثلها لان الله قال في الآية التي قبلها للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فوصف ما أعد لأوليائه ثم عقب ذلك بالخبر عما أعد لأعدائه فأشبه بالكلام أن يقال وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة واذا وجه ذلك الى هذا المعنى كانت الباء صلة للجزاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قطعا من الليل وهي جمع قطعة وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما **حدثنا** به محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما قال ظلمة من الليل واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى قطعا فقرأته عامة قراء الامصار قطعا بفتح الطاء على معنى جمع قطعة وعلى معنى أن تأويل ذلك كأنما أغشيت وجه كل انسان منهم قطعة من سواد الليل ثم جمع ذلك فقيل كأنما أغشيت وجوههم قطعا من سواد اذ جمع الوجه وقرأه بعض متأخري القراء قطعا بسكون الطاء بمعنى كأنما أغشيت وجوههم سوادا من الليل وبقية من الليل ساعة منه كما قال فأسر بأهلك بقطع من الليل أي ببقية قد بقيت منه ولعل لتصحيح قراءته ذلك كذلك أنه في مصحف أبي ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء لاجماع الحجة من قراء الامصار على تصويبها

شديد يحيى يهدي بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس ۞ الوقوف يدبر الامر ط الله ج تتقون ○ ج ط ربكم الحق ج ط للاستفهام مع الفاء الا الضلال ج ط تصرفون ○ لا يؤمنون ○ ثم يعيده الاول ط تؤفكون ○ الى الحق ط للحق ط أن يهدي ج ط لما مر فما لكم ص لحق الاستفهام الثاني تحكمون ○ ط الا ظنا ط شيأ ط

يفعلون ○ العالمين ○ افتراء ط صادقين ○ تأويله ط الظالمين ○ لا يؤمن به ط بالمفسدين ○ عملكم ج لأن التالي مبتدأ والعامل واحد تعملون ○ ۞ التفسير لما بين فضائح عبدة الاوثان أكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من أحوال الرزق والموت والحياة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤل ليكون أبلغ في الزام الحجة وأوقع في النفوس فالحجة الاولى قوله (قل من يرزقكم من السماء والارض) بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية والحيوانية في الارض بعد رعاية شرائط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات (أمن يملك السمع والابصار) خص الحاستين بالذكر لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان صلى الله عليه وسلم يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم ولما في تحصينهما من الآفات في المدد الطوال وهما الطيفان يؤذيهما أدنى شئ مزيد قدرة ورأفة (ومن يخرج الحي من الميت) الحيوان الماشي والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال في سورة الانعام (ومن يدبر الامر) عم بعد ما خصص لأن أقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة أمور لا نهاية لها وذكر كلها كالمتعذر (فسيقولون الله) وفيه دليل على أنهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على أنها شفعاؤهم وأنها تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله (فقل أفلا تتقون) الله الذي اعترفتم بأنه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع أو ضر (فذلكم) الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة (الله ربكم الحق) الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان (فماذا بعد الحق) ذا مزيدة ان ومانافية أو استفهامية أو مجموع ماذا كلمة واحدة معناها أي شئ بعد الحق (الا الضلال) والمراد أنه لما ثبت وجود الواجب الحق كذا سواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الالهية فيه لان واجب الوجود يجب أن يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته والا لزم افتقا

وشذوذ ما عداها وحسب الاخرى دلالة على فساد ها نحو ج قارئها عما عليه قراء أهل الأمصار والاسلام فان قال لنا قائل فان كان الصواب في قراءة ذلك ما قلت فما وجه تذكير المظلم وتوحيده وهو من نعت القطع والقطع جمع لمؤنث قيل في تذكيره ذلك وجهان أحدهما أن يكون قطعا من الليل وأن يكون من نعت الليل فلما كان نكرة والليل معرفة نصب على القطع فيكون معنى الكلام حينئذ كانما أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم ثم حذفت الالف واللام من المظلم فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع وتسمى أهل البصرة ما كان كذلك حالا والكوفيون قطعا والوجه الآخر على نحو قول الشاعر ○ لو أن مدحة حي منشرا أحدا ○

والوجه الاول أحسن وجهيه وقوله أولئك أصحاب النار يقول هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والأنداد مكانكم أي امكثوا مكانكم وقفوا في موضعكم أنتم أيها المشركون وشركاؤكم للذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان فزيلنا بينهم يقول ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به (١) وبين غيره وأبنته منه وقال فزيلنا ارادة تكثير الفعل وتكريره ولم يقل فزلنا بينهم وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه فزايلنا بينهم كما قيل ولا تصعر خدك ولا تصاعر خدك والعرب تفعل ذلك كثيرا في فعلت يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد فيقولون فاعلت اذا كان الفعل لواحد وأما اذا كان لاثنين فلا تكاد تقول الا فاعلت وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون وذلك حين تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ونصبت لهم آلهتهم قالوا كنا نعبد هؤلاء فقالت الآلهة لهم ما كنتم إيانا تعبدون كما حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدون فيقال هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله لا يا كم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم قال فرقنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون قالوا بلى قد كنا نعبدكم فقالوا كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم فقال الله هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت الآية ○ وروى عن مجاهد أنه كان يتأول الحشر في هذا الموضع الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش قال سمعتهم يذكرون عن مجاهد في قوله ويوم نحشرهم جميعا قال الحشر الموت والذي قلنا في ذلك أولى بتأويله لان الله تعالى ذكره أخبر أنه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكرنا أنه يقول لهم ومعلوم أن ذلك غير كائن في القبر وأنه انما هو خبر عما يقال لهم ويقولون في الموقف بعد البعث ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فكفى بالله شهيدا بيننا وبين

(١) لعل فيه سقطا من الناسخ والأصل يقال زلت بين الشئ وبين غيره أبنته منه تأمل وحرر

ان كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والأوثان لهم يوم القيامة اذ قال المشركون بالله لها ايا كم كنا نعبد كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أى انها تقول حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون فانه قد علم أنا ما علمنا ما تقولون انا كنا عن عبادتكم لغافلين يقول ما كنا عن عبادتكم ايانا دون الله الا غافلين لا نشعر به ولا نعلم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال ذلك كل شئ يعبد من دون الله حدثني المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال يقول ذلك كل شئ كان يعبد من دون الله ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله هنالك تبلو كل نفس بالباء بمعنى عند ذلك تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر وكان ممن يقرؤه ويتأوله كذلك مجاهد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت قال تختبر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز تتلو كل نفس ما أسلفت بالتاء واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه وتأويله هنالك تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا لذلك اليوم وروى بنحو ذلك خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى أنه قال يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله يوم القيامة فيتبعونهم حتى يوردوهم النار قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت وقال بعضهم بل معناه تتلو كتاب حسناته وسيئاته يعنى تقرأ كما قال جل ثناؤه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وقال آخرون تبلو تعاين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت قال ما عملت تبلو تعاينه * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متقاربتا المعنى وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا هجم به على مورده فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سئ في الدنيا وان من خبر ما أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة فانما يخبر بعد مصيره اليه حيث أحله ما قدم في الدنيا من عمله فهو في كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له فبأيتهما قرأ القارئ كما وصفنا فقد أصاب الصواب في ذلك وأما قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فانه يقول ورجع هؤلاء المشركون يومئذ الى الله الذى هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والانداد وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وبطل عنهم ما كانوا يتخرصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء وأنها تقربهم منه زلفى كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا

وقد علم الله منهم ذلك في الازل وأراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فأنى تصرفون أن الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجيب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بأنهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك وتعلق خبره بأنهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ وأشهد عليه ملائكته وأنزله على أنبيائه وأشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) وانما قال ثم يعيده مع أن الخصم لا يعترف به لانه قدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تأمل وأنصف فبنى الامر على ذلك وانما أمر نبيه أن ينوب عنهم في الجواب بقوله (قل الله) الآية تنبيها على أن هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكأنه قيل تكلم عنهم اذ لا يدعهم لجاجهم أن ينطقوا بكلمة الحق وقوله (فأنى تؤفكون) كقوله فأنى تصرفون وقدم في المائدة * الحجة الثالثة (قل هل من شركائكم من يهدى) الآية الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل صلى الله عليه وسلم الذى خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وأمر محمدا صلى الله عليه وسلم سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والسر فيه أن المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وارتسام العلوم والمعارف فيه بارشاد الحق سبحانه اذ الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير

يفترون قال ما كانوا يدعون معه من الانداد والآلهة ما كانوا يفترون الآلهة وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله افتراء وكذبا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الاوثان والاصنام من يرزقكم من السماء الغيث والقطر ويطلع لكم شمسها ويغطش ليلها ويخرج ضحاها ومن الارض أقواتكم وغذاءكم الذى ينبته لكم وثمار أشجارها أم من يملك السمع والابصار يقول أم من ذا الذى يملك أسماعكم وأبصاركم التى تسمعون بها أن يزيد فى قواها أو يسلبكموها فيجعلكم صما وأبصاركم التى تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها أو يذهب بنورها فيجعلكم عميا لا تبصرون ومن يخرج الحى من الميت يقول ومن يخرج الشئ الحى من الميت ويخرج الميت من الحى يقول ويخرج الشئ الميت من الحى وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل والصواب من القول عندنا فى ذلك بالأدلة الدالة على صحته فى سورة آل عمران بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ومن يدبر الامر وقل لهم من يدبر أمر السماء والارض وما فيهن وأمركم وأمر الخلق فسيقولون الله يقول جل ثناؤه فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذى يفعل ذلك كله الله فقل أفلا تتقون يقول أفلا تخافون عقاب الله على شركتكم وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيأ ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا ولا يفعل فعلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون﴾ يقول تعالى ذكره لخلقه أيها الناس فهذا الذى يفعل هذه الافعال فيرزقكم من السماء والارض ويملك السمع والابصار ويخرج الحى من الميت والميت من الحى ويدبر الامر الله ربكم الحق لا شك فيه فماذا بعد الحق الا الضلال يقول فأى شئ سوى الحق الا الضلال وهو الجور عن قصد السبيل يقول فاذا كان الحق هو ذا فاذعاؤكم غيره الها وربا هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه فأنى تصرفون يقول فأى وجه عن الهدى والحق تصرفون وسواهما تسلكون وأنتم مقرون بأن الذى تصرفون عنه هو الحق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك يقول وجب عليهم قضاؤه وحكمه فى السابق من علمه على الذين فسقوا فخرجوا من طاعة ربهم الى معصيته وكفروا به أنهم لا يؤمنون يقول لا يصدقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هل من شركائكم يعنى من الآلهة والاوثان من يبدأ الخلق ثم يعيده يقول من ينشئ خلق شئ من غير أصل فيحدث خلقه ابتداء ثم يعيده يقول ثم يفنيه بعد انشائه ثم يعيده كهيئته قبل أن يفنيه فانهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها وفى ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم فى دعواهم أنها أرباب وهى لله فى العبادة شركاء كاذبون مفترون فقل لهم حينئذ يا محمد الله يبدأ الخلق فينشئه من غير شئ ويحدثه من غير أصل ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل الفناء فأنى تؤفكون

محصورة فتحصيل الوسط الحقيقى لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل فى ذلك بالاستقلال لملك أو انسى أو جنى فضلا عن الاصنام التى هى فى أدنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدى) وسائر القراآت أصلها يهتدى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف قال فى حقها (الا أن يهدى) وأجيب بوجوه منها أن المراد بها فى الآية رؤساؤهم وأشرافهم كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا والمراد أن الله سبحانه هو الذى يهدى الخلق الى الدين الحق بالدلائل النقلية وبما عكنهم منه من الدلائل العقلية وأما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على أن يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها أنهم لما اتخذوها آلهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها أن ذلك بالفرض والتقدير يعنى أنها لو كانت بحيث يمكنها أن تهتدى فانها لا تهدى غيرها الا أن تهدى ومنها أن البنية عندنا ليست بشرط فى صحة الحياة والعقل فيصح من الله تعالى أن يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها أن المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها أى نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال (فما لكم كيف تحكمون) ثم بين ما بنوا عليه أمر دينهم فقال (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا) أى فى اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من أسلافهم أو فى قولهم للاصنام انها آلهة أو شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع (ان الظن) يقول فى معرفة الله وفيما يجب تحقيقه (لا يغنى من الحق) وهو العلم والتحقيق (شيأ) من الغناء والمعنى أن الظن لا يقوم مقام العلم فى شئ من الاحوال ثم أوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الآباء بقوله (ان الله عليم بما يفعلون) وتمسك نفاة القياس بالآية ظاهر من قبل أن القياس

لا يفيد الا الظن وأجيب بأن التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الآية من العمومات فلم يجب اتباعها بزعمكم وما أفضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل التوحيد شرع فى اثبات النبوة فقال (وما كان هذا القرآن أن يفترى) أى افتراء من دون الله أو كلمة أن بمعنى اللام أى ما ينبغى له وما استقام أن يكون مفترى والحاصل أن وصفه

ليس وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهو عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق أيضا معجز لان أقاصيصه موافقة لما فى كتب الاولين مع أنه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت فى تلك الكتب على وفق دعواه ولأنه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر أن القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة أما أنه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله (وتفصيل الكتاب) أى يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله عليكم قال فى الكشاف (قوله لا ريب فيه من رب العالمين) داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين وجوز أن يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم أعاد بيان اعجازه مرة أخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار (أم يقولون افتراه قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربية

يقول فأى وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقلبون كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فأنى تؤفكون قال أنى تصرفون وقد بينا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله أنى تؤفكون والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده فى سورة الانعام ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم الذين تدعون من دون الله وذلك آلهتهم وأوثانهم من يهدى الى الحق يقول من يرشد ضالا من ضلالته الى قصد السبيل ويسدد جائرا عن الهدى الى واضح الطريق المستقيم فانهم لا يقدرون أن يدعوا أن آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا أو تهدى جائرا وذلك أنهم ان ادعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة فاذا قالوا لا وأقروا بذلك فقل لهم فالله يهدى الضال عن الهدى الى الحق أفمن يهدى أيها القوم ضالا الى الحق وجائرا عن الرشد الى الرشد أحق أن يتبع الى ما يدعو اليه أم من لا يهدى الا أن يهدى واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتشديد الدال بجمعهما بين ساكنين وكأن الذى دعاهم الى ذلك أنهم وجهوا أصل الكلمة الى أنه أم من لا يهتدى ووجدوه فى خط المصحف بغير ما قرروا وان التاء حذفت لما أدغمت فى الدال فأقروا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه وشددوا الدال طلبا لادغام التاء فيها فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال وكذلك فعلوا فى قوله وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وفى قوله يخصمون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال وأموا ما أمه المدنيون من الكلمة غير أنهم نقلوا حركة التاء من يهتدى الى الهاء الساكنة فحركوها بحركتها وأدغموا التاء فى الدال فشددوها وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال بنحو ما قصده قراء أهل المدينة غير أنه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استثقالا للفتحة بعدها كسرة فى حرف واحد وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتخفيف الدال وقالوا ان العرب تقول هديت بمعنى اهتديت قالوا فمعنى قوله أم من لا يهدى أم من لا يهتدى الا أن يهدى * وأولى القراءة فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أم من لا يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك وان ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب وفهم المنكر غيره وأحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها كلام الله تبارك وتعالى فتأويل الكلام اذا أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهتدى الى شئ الا أن يهدى وكان بعض أهل التأويل يزعم أن معنى ذلك أم من لا يقدر أن ينتقل عن مكانه الا أن ينقل وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدى الا أن يهدى قال الاوثان الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أمن لا يهدى الا أن يهدى قال قال الوثن وقوله فما لكم كيف تحكمون ألا تعلمون أن من يهدى الى الحق أحق أن يتبع من الذى لا يهتدى الى شئ الا أن يهديه اليه هاد غيره فتتركوا اتباع من لا يهتدى الى شئ وعبادته

(١١ - (ابن جرير) حادى عشر)

والفصاحة (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه (ان كنتم صادقين) أنه افتراه قال بعض العلماء هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح أن التحدى واقع على أقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود فى الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا

بذلك فدل على أن القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدى وأجيب بأن القران يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدى انما وقع بهذه لا بتلك (بل كذبوا) سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) وهو القرآن (ولما يأتهم تأويله) ومعنى التوقع فيه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدى عليهم واستيقان عجزهم عن هذا بغيا وحسدا وعنادا وذلك انما حملهم على التكذيب أولا وآخرا وجوه منها أنهم وجدوا فى القرآن أقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا أساطير الاولين وخفى عليهم أن الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف فى هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف أن الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون أن لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ومنها أنهم كلما سمعوا حروف التهجى فى أوائل السور ولم يفهموا منها شيأ ساء ظنهم بالقرآن فأجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذى أنزل عليك الكتاب الى قوله وأخر متشابهات الآية ومنها أنهم رأوا القرآن يظهر شيأ فشيأ فاتهموا النبى وقالوا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة ومنها أنهم وجدوا القرآن مملوأ من حديث الحشر والنشر وكانوا قد ألفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك وأنهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة من الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غنى عنا وعن طاعاتنا (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر فى معجزات أنبيائهم قال أهل التحقيق فى الآية دلالة على أن من كان غير عارف بوجوه التأويل قد يقع فى الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التأويل وقيل معنى الآية ان القرآن كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها أحوال الآخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب به قبل أن ينظروا

وتتبعوا من يهديكم فى ظلمات البر والبحر وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده دون ما تشركونه فيها من آلهتكم وأوثانكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ظنا يقول الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم منه فى شك وريبة ان الظن لا يغنى من الحق شيأ يقول ان الشك لا يغنى من اليقين شيأ ولا يقوم فى شئ مقامه ولا ينتفع به حيث يحتاج الى اليقين ان الله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين وهو لهم بالمرصاد حيث لا يغنى عنهم ظنهم من الله شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ما ينبغى لهذا القرآن أن يفترى من دون الله يقول ما ينبغى له أن يتخرصه أحد من عند غير الله وذلك نظير قوله وما كان لنبى أن يغل يعنى ما ينبغى لنبى أن يغله أصحابه وانما هذا خبر من الله جل ثناؤه أن هذا القرآن من عنده أنزله الى محمد عبده وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا هو شعر وكهانة والذين قالوا انما يتعلمه محمد من يعيش الرومى يقول لهم جل ثناؤه ما كان هذا القرآن ليختلقه أحد من عند غير الله لأن ذلك لا يقدر عليه أحد من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه يقول تعالى ذكره ولكنه من عند الله أنزله مصدقا لما بين يديه أى لما قبله من الكتب التى أنزلت على أنبياء الله كالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه وتفصيل الكتاب يقول وتبيان الكتاب الذى كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفرائضه التى فرضها عليهم فى السابق من علمه لا ريب فيه يقول لا شك فيه أنه تصديق الذى بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين لا افتراء من عند غيره ولا اختلاق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله قل يا محمد لهم ان كان كما تقولون انى اختلقته وافتريته فانكم مثلى من العرب ولسانى ولسانكم لغيؤا بسورة مثل هذا القرآن والهاء فى قوله مثله كناية عن القرآن وقد كان بعض نحويى البصرة يقول معنى ذلك قل فأتوا بسورة مثل سورته ثم ألقيت سورة وأضيف المثل الى ما كان مضافا اليه السورة كما قيل واسئل القرية برادبه واسئل أهل القرية وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم أن معناه فأتوا بقرآن مثل هذا القرآن والصواب من القول فى ذلك عندى أن السورة انما هى سورة من القرآن وهى قرآن وان لم تكن جميع القرآن فقيل لهم فأتوا بسورة مثله ولم يقل مثلها لان الكناية أخرجت على المعنى أعنى معنى السورة لا على لفظها لانها لو أخرجت على لفظها لقيل فأتوا بسورة مثلها وادعوا من استطعتم من دون الله يقول وادعوا أيها المشركون على أن يأتوا بسورة مثلها من قدرتم أن تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله يقول من عند غير الله فأجمعوا على ذلك واجتهدوا فانكم لا تستطيعون أن تأتوا بسورة مثله أبدا وقوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين فى أن محمدا افتراه فأتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على

فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما يأتهم تأويله اشارة الى تكذيبهم قبل أن يتحنوا غيوبه هل تطابق الواقع أم لا ثم ختم الآية بقوله (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) والمراد أنهم طلبوا الدنيا وأعرضوا عن الآخرة فلم تبق عليهم الدنيا وفاتتهم الآخرة فبقوا فى خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستئصال الذى نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوائف الامم المكذبين فقال (ومنهم من يؤمن به) أى بالقرآن أو بالرسول أى يصدق به فى نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند (ومنهم) من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن أن يقال المراد به قسمتهم فى الاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فتكون الآية كالعذر فى تبقيتهم وعدم استئصالهم (وربك أعلم بالمفسدين) فيجازيهم على حسب مراتبهم فى التكذيب ويعلم طوياتهم هل يتوبون أو يصرفون ثم بين اختصاص كل مكلف بأفعاله وبنتائج أعماله من الثواب والعقاب فقال (وان كذبوك فقل لى عملى) أى جزاء عملى على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة (ولكم عملكم) قال مقاتل والكلبى هى منسوخة بآية القتال والتحقيق أن آية القتال لا تدفع شيأ من مدلولات هذه فلا نسخ والله أعلم ﴿التأويل﴾ قل من يرزقكم أى من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس ويخرج من أرض النفس نبات الافعال والاعمال وينزل من سماء القلب مطر انوار فيض الروح ويخرج من أرض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية أو ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من أرض القلب نبات الاوصاف الحميدة أو ينزل من سماء القدرة مطر تجلى الصفات والفيض الربانى ويخرج من أرض الروح المحبة والاخلاق الالهية أو ينزل من سماء الذات مطر تجلى الصفات ويخرج من أرض الوجود نبات الفناء فى الله وثمرات البقاء بالله أمن يملك السمع والابصار فيكون سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر يخرج الحى من الميت النفس من القالب والقلب من الروح والروح من القلب وبالعكوس ومن يدبر أمر الانسان بالتربية من التراب الى أن يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن

الاتيان بها فان لم تفعلوا ذلك فلا شك أنكم كذبة فى زعمكم أن محمدا افتراه لان محمدا لن يعدو أن يكون بشرا مثلكم فاذا عجز الجميع من الخلق أن يأتوا بسورة مثله فالواحد منهم عن أن يأتى بجميعه أعجز ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه مما أنزل الله عليك فى هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم ولما يأتهم تأويله يقول ولما يأتهم بعد بيان ما يؤل اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى هذا القرآن كذلك كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله كذلك كذب الامم التى خلت قبلهم بوعيد الله اياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عقبى كفر من كفر بالله ألم نهلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالغرق يقول فان عاقبة هؤلاء الذين يكذبونك ويجحدون بآياتى من كفار قومك كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الامم ان لم ينيبوا من كفرهم ويسارعوا الى التوبة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ يقول تعالى ذكره ومن قومك يا محمد من قريش من سوف يؤمن به يقول من سوف يصدق بالقرآن ويقر أنه من عند الله ومنهم من لا يؤمن به أبدا يقول ومنهم من لا يصدق به ولا يقر أبدا وربك أعلم بالمفسدين يقول والله أعلم بالمكذبين به منهم الذين لا يصدقون به أبدا من كل أحد لا يخفى عليه وهو من وراء عقابه فأما من كتبت له أنه يؤمن به منهم فانى سأتوب عليه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان كذبك يا محمد هؤلاء المشركون وردوا عليك ما جئتهم به من عندربك فقل لهم أيها القوم لى دينى وعملى ولكم دينكم وعملكم لا يضرنى عملكم ولا يضركم عملى وانما يجازى كل عامل بعمله أنتم بريئون مما أعمل لا تؤاخذون بجريرته وأنا برىء مما تعملون لا أؤاخذ بجريرة عملكم وهذا كما قال جل ثناؤه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد وقيل ان هذه الآية منسوخة نسخها الجهاد والامر بالقتال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم الآية قال أمره بهذا ثم نسخه وأمره بجهادهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء المشركين من يستمعون الى قولك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون يقول أفأنت تخلق لهم السمع ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به أم أنا وانما هذا اعلام من الله عباده أن التوفيق للايمان به بيده لا الى أحد سواه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما أنك لا تقدر أن تسمع يا محمد من سلبته السمع فكذلك لا تقدر أن تفهم أمرى ونهيى قلبا سلبته فهم ذلك لانى ختمت عليه أنه لا يؤمن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المشركين مشركى قومك من ينظر اليك

بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة أفلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى القلم فى الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب وتفصيل الجملة التى هى مكتوبة عنده فى أم الكتاب وهو علمه القائم بذاته وربك أعلم بالمفسدين الذين أفسدوا استعدادهم الفطرى والله أعلم

﴿ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين وامانرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا ان لله ما فى السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ القرا آت أوافت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف

يا محمد ويرى أعلامك وحجتك على نبوتك ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدى ولا تقدر أن تهديه كما لا تقدر أن تحدث للاعمى بصرا يهتدى به أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون يقول أفأنت يا محمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون اليك والى أدلتك وحجتك فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها وبصروا فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ولا يقدر عليه أحد سواى فكذلك لا تقدر على أن تبصرهم سبيل الرشاد أنت ولا أحد غيرى لان ذلك بيدى والىّ وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعة ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذب وتعزية له عنهم وأمر برفع طمعه من انابتهم الى الايمان بالله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ان الله لا يفعل بخلقه ما لا يستحقون منه لا يعاقبهم الا بمعصيتهم اياه ولا يعذبهم الا بكفرهم به ولكن الناس يقول ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه وانما هذا اعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به أنه لم يسلب هؤلاء الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لا يؤمنون الايمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم واخبارا أنه انما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه اذ نوبا اكتسبوها فحق عليهم قول ربهم وطبع على قلوبهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم فى موقف الحساب كأنهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ثم انقطعت المعرفة وانقضت تلك الساعة يقول الله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه حظوظهم من الخير وهلكوا وما كانوا مهتدين يقول وما كانوا موفقين لاصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله لانه أكسبهم ذلك ما لا قبل لهم به من عذاب الله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وامانرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فيهم فالينا مرجعهم يقول فصيرهم بكل حال الينا ومنقلبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون يقول جل ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا وأنا عالم بها لا يخفى علىّ شئ منها وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم الى ومرجعهم جزاءهم الذى يستحقونه كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وامانرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فى حياتك أو نتوفينك قبل فالينا مرجعهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولكل أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته اليهم كما أرسلت محمدا اليكم يدعون من أرسلتهم اليهم الى دين الله وطاعته فاذا جاء رسولهم يعنى فى الآخرة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

والرفع حمزة وعلى وخلف يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نزينك أونتوفينك بالنون الخفيفة رويس آلان بوزن عالان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان أبو جعفر ونافع وزمعة وحمزة في الوقف ربى انه بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع فليفرحوا بالياء الغيبة تجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ زيد على ضده وقرأ رويس كلها على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما ۞ الوقوف اليك ط لا يعقلون ○ اليك ط لا يبصرون ○ يظلمون ○ بينهم ط مهتدين ○ يفعلون ○ رسول ج ط لا يظلمون ○ صادقين ○ ماشاء الله ط أجل ط ولا يستقدمون ○ المجرمون ○ آمنتم به ط تستعجلون ○ الخلد ج ط للاستفهام مع أن القائل واحد تكسبون ○ أحق هو ط بمعجزين ○ لافتدت به ط العذاب ج ط للعطف على أسروا دون رأوا يظلمون ○ والارض ط لا يعلمون ○ ترجعون ○ للمؤمنين ○ فليفرحوا ط يجمعون ○ وحلالا ط تفترون ○ القيامة ط لا يشكرون ○ ۞ التفسير ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه في كلامه معرضة عن جهات محاسنه فيه وكما أن الصمم في الاذن معنى ينافي حصول ادراك الصوت والعمى في العين أمر ينافي حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه أن في أولئك الكفار من بلغت حاله في النفرة والعداوة الى هذا الحد (يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون وينظرون اليك يعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يتبصرون ولا يصدقون قال أهل المعاني المستمع الى القرآن كالمستمع الى النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد النظر حملا على اللفظ اذلم يكثروا كثرتهم ثم قال أتطمع أن تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم أو تقدر على هداية العمى ولا سيما اذا قرن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى

حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قال يوم القيامة وقوله قضى بينهم بالقسط يقول قضى حينئذ بينهم بالعدل وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيأ ولكن يجازي المحسن باحسانه والمسيء من أهل الايمان اما أن يعاقبه الله واما أن يعفو عنه والكافر يخلد في النار فذلك قضاء الله بينهم بالعدل وذلك لا شك عدل لا ظلم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قضى بينهم بالقسط قال بالعدل ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد متى هذا الوعد الذي تعدنا أنه يأتينا من عند الله وذلك قيام الساعة ان كنتم صادقين أنت ومن تبعك فيما تعدوننا به من ذلك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لمستعجليك وعيد الله القائلين لك متى يأتينا الوعد الذي تعدنا ان كنتم صادقين لا أملك لنفسي أيها القوم أي لا أقدر لها على ضر ولا نفع في دنيا ولا دين الا ما شاء الله أن أملكه فأجلبه اليها باذنه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم فاذ كنت لا أقدر على ذلك الا باذنه فانا عن القدرة على الوصول الى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة أعجز وأعجز الا بمشيئته واذنه لي في ذلك لكل أمة أجل يقول لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم فاذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم لا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون ويؤخرون ولا يستقدمون قبل ذلك لان الله قضى أن لا يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك أرأيتم ان أتاكم عذاب الله بياتا يقول ليلا أو نهارا وجاءت الساعة وقامت القيامة أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم يقول الله تعالى ذكره ماذا يستعجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله وهم الصائرون بحتوم دون غيرهم ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ﴾ يقول تعالى ذكره أهنالك اذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به يقول صدقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق وقيل لكم حينئذ آلآن تصدقون به وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون وأنتم بنزوله مكذبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذبون ومعنى قوله أثم في هذا الموضع أهنالك وليست ثم هذه ها هنا التي تأتي بمعنى العطف ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبدا الذي لا فناء له ولا زوال هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يقول يقال لهم فانظروا هل تجزون أي هل تثابون الا بما كنتم تكسبون يقول الا بما كنتم تعملون في حياتكم قبل مماتكم من معاصي الله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ يقول تعالى ذكره ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك أحق ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله في الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصي الله في الدنيا

وحده وهذا الحصر إنما يفهم من قوله أفأنت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فان الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أصلا أعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذق ثم أكد عدم قابليتهم في الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد بقوله ﴿ ان الله لا يظلم ﴾ الآية فسرها المعتزلة بأن المراد من نفي الظلم أنه ما ألجأ أحدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار أنفسهم أقدموا عليها وأجاب الواحدي عنه بأنه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف في ملك نفسه فلا اعتراض عليه وانما قال (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق أنه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق القهر ضروري ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم في الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال (ويوم يحشرهم) أي واذكر يوم يحشرهم (كأن لم يلبثوا) في محل النصب على الحال أي مشبهين بمن لم يلبث (الا ساعة) وقوله (يتعارفون) اما حال أخرى أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا لان التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز أن يكون قوله ويوم يحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم في الدنيا وقيل في القبور استقلوا المدد الطوال اما لأنهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة أو لطول وقوفهم في الحشر أو لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا لذات الدنيا واستحقروها وأما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطا والكفر وقيل يعرف كل واحد أهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما أن هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه أنت أضللتني يوم كذا أو أنهم يتعارفون اذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة وانما حذف جميعا في هذه الآية اكتفاء بما في الآية السابقة ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا المشركين ولان الآية سيقت هنالك لبيان حشر العابدين والمعبودين فأكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله أعلم قوله (قد خسر

قل لهم يا محمد اي وربي انه لحق لا شك فيه وما أنتم بمعجزي الله اذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع بل أنتم في قبضته وسلطانه وملكه اذا أراد فعل ذلك بكم فاتقوا الله في أنفسكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن لكل نفس كفرت بالله وظلمها في هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ما في الارض من قليل أو كثير لافتدت به يقول لافتدت بذلك كله من عذاب الله اذا عاينته وقوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا أنه واقع بهم وقضي بينهم بالقسط يقول وقضى الله يومئذ بين الأتباع والرؤساء منهم بالعدل وهم لا يظلمون وذلك أنه لا يعاقب أحدا منهم الا بجريرته ولا يأخذه بذنب أحد ولا يعذب الا من قد أعذر اليه في الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول جل ذكره ألا ان كل ما في السموات وكل ما في الارض من شئ لله ملك لا شئ فيه لاحد سواه يقول فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شئ يملكه فيفتدي به من عذاب ربه وانما الاشياء كلها لله الذي اليه عقابه ولو كانت له الاشياء التي هي في الارض ثم افتدى بها لم يقبل منه بدلا من عذابه فيصرف بها عنه العذاب فكيف وهو لا شئ له يفتدي به منه وقد حق عليه عذاب الله يقول الله جل ثناؤه ألا ان وعد الله حق يعني أن عذابه الذي أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حق فلا عليهم أن لا يستعجلوا به فانه بهم واقع لا شك ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم فهم من أجل جهلهم به مكذبون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ هو يحيي ويميت واليه ترجعون ﴾ يقول تعالى ذكره والله هو المحيي المميت لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من احياء هؤلاء المشركين اذا أراد احياءهم بعد مماتهم ولا إماتتهم اذا أراد ذلك وهم اليه يصيرون بعد مماتهم فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعيد الله وعقابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره لخلقه يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني ذكرى تذكركم عقاب الله وتخوفكم وعيده من ربكم يقول من عند ربكم لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفتعلها أحد فتقولوا لا تأمن أن تكون لا صحة لها وانما يعني بذلك جل ثناؤه القرآن وهو الموعظة من الله وقوله وشفاء لما في الصدور يقول ودواء لما في الصدور من الجهل يشفي به الله جهل الجهال فيبرئ به داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته وهدى يقول وهو بيان لحلال الله وحرامه ودليل على طاعته ومعصيته ورحمة يرحم بها من شاء من خلقه فينقذه به من الضلالة الى الهدى وينجيه به من الهلاك والردى وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به لان من كفر به فهو عليه عمى وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود في لظى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء

المشركين بك وما أنزل اليك من عند ربك بفضل الله أيها الناس الذى تفضل به عليكم وهو الاسلام فبينه لكم ودعاكم اليه وبرحمته التى رحمكم بها فأنزلها اليكم فعلمكم مالم تكونوا تعلمون من كتابه وبصركم بها معالم دينكم وذلك القرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يقول فان الاسلام الذى دعاهم اليه والقرآن الذى أنزله عليهم خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسين الازدى قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن عطية عن أبى سعيد الخدرى فى قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بفضل الله القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بالاسلام الذى هداكم وبالقرآن الذى علمكم حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته قال بالاسلام والقرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من الذهب والفضة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف فى قوله قل بفضل الله وبرحمته قال فضل الله الاسلام ورحمته القرآن حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف فى قوله قل بفضل الله وبرحمته قال الاسلام والقرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم وفبيصة قالا ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أما فضله فالاسلام وأما رحمته فالقرآن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل بفضل الله وبرحمته قال فضله الاسلام ورحمته القرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل بفضل الله وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله هو خير مما يجمعون قال الاموال وغيرها حدثنا على بن داود قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قل بفضل الله وبرحمته يقول فضله الاسلام ورحمته القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بكتاب الله وبالاسلام هو خير مما يجمعون * وقال آخرون بل الفضل القرآن والرحمة الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال بفضل الله القرآن وبرحمته حين جعلهم من أهل القرآن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال فضل الله القرآن ورحمته الاسلام حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قوله قل بفضل الله وبرحمته قال بفضل الله القرآن وبرحمته الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

امتنانا فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز فى الكشاف أن يكون على ارادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم أكد خسرانهم بقوله (وما كانوا مهتدين) أى فى رعاية مصالح هذه التجارة لانهم أعطوا الكثير الشريف الباقى وقنعوا بالقليل الخسيس الفانى كمن رأى زجاجة خسيسة قطنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها على الناقدين خاب سعيه وفات أمله ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال (وامانرينك) وجوابه محذوف وقوله (فالينا مرجعهم) جواب أو نتوفينك والمعنى وإما نرينك فى أعدائك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن تدركه فنحن نريكهم فى الآخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده فقد أراه فى هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستعلاء عليهم والاستيلاء على ديارهم وأموالهم والذى سيريه فى الآخرة أكثر وأدوم يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة فى قوله (ثم الله شهيد على مايفعلون) ولايخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد انطاق جوارحهم يوم القيامة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين أنه ما أهمل أمة من الامم من رسول فى وقت من الاوقات فقال (ولكل أمة رسول) وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبى صلى الله عليه وسلم المتقدم ووقوع موجبات التخليط فى شرعه (فاذا جاء رسولهم) فبلغ فكذبه قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) أى حكم وفصل بالعدل فانجى الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الآية نظيرة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل أن يقال المراد ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول ينسبون اليه ويدعون به فكأنه تعالى يقول أنا شهيد على أعمالهم ومع ذلك فانى أحضر فى موقف القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان (فاذا جاء رسولهم) وشهد لهم أو عليهم (قضى بينهم) والمراد منه المبالغة فى اظهار العدل والنصفة فتكون الآية كقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ثم ذكر شبهة أخرى من شبهات الكفرة وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا

(يقولون متى هذا الوعد) استبعادا لنزوله وقد حاق بنبوته وهذا مما يؤكد القول الاول فى الآية المتقدمة لانه لا يجوز أن يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم فى دار الآخرة لحصول اليقين والمعرفة حينئذ وأيضا قوله (ان كنتم صادقين) لفظ الجمع موافق لقوله ولكل أمة رسول ثم أمره أن يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله (قل لا أملك لنفسى ضرا) من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحة أو غنى (الا ما شاء الله) قال العلماء انه استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين أن أحدا لا يموت الا بالقضاء وأن لعذاب كل طائفة أمدا محدودا لا يتجاوزه فلا وجه للاستعجال (فقال ولكل أمة أجل) الآية وقدم تفسير الآية فى أوائل الاعراف الا أنه أدخل الفاء ههنا فى الجزاء فانه بنى الشرط على الاستئناف أو البيان بخلاف ما هناك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل أمة أجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رأيهم فى استعجال العذاب مرة أخرى فقال (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أتاكم عذابه بياتا) أى فى حين الغفلة والراحة (أو نهارا) حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر فى أول الاعراف (ماذا يستعجل) أى شئ يستعجل (منه) أى من العذاب (المجرمون) وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم أن يخاف التعذيب على اجرامه وان أبطأ مجيئه فضلا عن أن يستعجله ومن للبيان أو للابتداء والمعنى أن العذاب كله مر المذاق موجب للنفار فأى شئ يستعجلون منه وليس شئ منه بموجب الاستعجال أو المراد التعجب كأنه قيل أى شئ هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير فى منه لله تعالى وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه وماذا الجملة مفعول أرأيتم ويجوز أن يكون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم ويجوز أن يكون اعتراضا وجواب الشرط (أثم اذا ما وقع آمنتم به) والمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الا أنه على ارادة القول أى قيل لهم هذا

ابن زيد فى قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال كان أبى يقول فضله القرآن ورحمته الاسلام * واختلفت القراء فى قراءة قوله فبذلك فليفرحوا فقرأ ذلك عامة قراء الامصار فليفرحوا بالياء هو خير مما يجمعون بالياء أيضا على التأويل الذى تأولناه من أنه خبر عن أهل الشرك بالله يقول فبالاسلام والقرآن الذى دعاهم اليه فليفرح هؤلاء المشركون لا بالمال الذى يجمعون فان الاسلام والقرآن خير من المال الذى يجمعون وكذلك حدثت عن عبد الوهاب بن عطاء عن هرون عن أبى التياح فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يعنى الكفار وروى عن أبى بن كعب فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أسلم المنقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون بالتاء حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الاجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب مثل ذلك وكذلك كان الحسن البصرى يقول غير أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله هو خير مما يجمعون بالياء الاول على وجه الخطاب والثانى على وجه الخبر عن الغائب وكان أبو جعفر القارئ فيما ذكر عنه يقرأ ذلك نحو قراءة أبى بالتاء جميعا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار من قراءة الحرفين جميعا بالياء فليفرحوا هو خير مما يجمعون لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثانى صحته فى العربية وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء وانما تأمره بقول افعل ولا تفعل وبعد فانى لا أعلم أحدا من أهل العربية الا وهو يستردئ أمر المخاطب باللام ويرى أنها لغة مرغوب عنها غير الفراء فانه كان يزعم أن اللام فى ذى التاء الذى خلق له واجهت به أم لم تواجه الا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الامر خاصة فى كلامهم كما حذفوا التاء من الفعل قال وأنت تعلم أن الجازم والناصب لا يقعان الا على الفعل الذى أوله الياء والتاء والنون والالف فلما حذفت التاء ذهبت اللام وأحدثت الالف فى قولك اضرب وافرح لان الفاء ساكنة فلم يستقم أن يستأنف بحرف ساكن فأدخلوا ألفا خفيفة يقع بها الابتداء كما قالوا ادارك وانا قلتم وهذا الذى اعتل به الفراء عليه لا له وذلك أن العرب ان كانت قد حذفت اللام فى المواجه وتركتها فليس لغيرها اذا نطق بكلامها أن يدخل فيه ما ليس منه ما دام متكلما بلغتها فان فعل ذلك كان خارجا عن لغتها وكلام الله الذى أنزله على محمد بلسانها فليس لاحد أن يتلوه الا بالأفصح من كلامها وان كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها فكيف بما ليس بمعروف من لغة حى ولا قبيلة منها وانما هو دعوى لا تثبت بها ولا حجة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتم أيها الناس ما أنزل الله لكم من رزق يقول ما خلق الله لكم من الرزق فحللتم أكله وذلك ما تتغذون به من الاطعمة فجعلتم منه حراما وحلالا يقول فحللتم بعض ذلك لأنفسكم وحرمتم بعضه عليها وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرمونه من حروثهم التى كانوا يجعلونها لاوثانهم كما وصفهم الله به فقال وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ومن الانعام ما كانوا يحرمونه بالتبحير والتسييب ونحو ذلك مما قد مناه فيما مضى من كتابنا

لما آمنوا بعد وقوع العذاب (آلآن) آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) على جهة التكذيب والانكار وقوله (ثم قيل) عطف على قيل المضمر قبل آلآن والحاصل أن الذى تطلبونه ضرر محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما أن تؤمنوا او امتنان اليأس غير مقبول واما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب آخر أشد وأدوم ويقال على سبيل الاهانة (ذوقوا عذاب الخلد) فان قلتم الهنا أنت الغنى عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد أجبتم (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله الحكيم أو ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة أو بحكم الوعد المحض عند أهل السنة وتفسير الكسب مذكور فى البقرة فى قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ثم حكى عنهم أنهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة أخرى عن تحقيق العذاب فقال (ويستنبئونك أحق هو) وهو استخبار على جهة الاستهزاء والانكار أى أحق ما تعدنا به من نزول العذاب فى العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد أحق ما جئت به من القرآن والشرائع وقيل أى ما تعدنا من البعث والقيامة فأمره الله تعالى أن يجيبهم بقوله (قل اى وربى) ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة هذا القسم فى جوابهم أن يكون قد أبرز الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم ومن الظاهر أن من أخبر عن شئ وأكده بالقسم فقد أخرجه عن حد الهزل وأدخله فى باب الجد

هذا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الله أذن لكم بأن تحرموا ما حرمتم منه أم على الله تفترون أى تقولون الباطل وتكذبون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها وهو قول الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا فأنزل الله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم الى قوله أم على الله تفترون قال هم أهل الشرك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فجعلتم منه حراما وحلالا قال الحرث والانعام * قال ابن جريج قال مجاهد البحائر والسيب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فجعلتم منه حراما وحلالا قال فى البحيرة والسائبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الآية يقول كل رزق لم أحرم حرمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم آلله أذن لكم فيما حرمتم من ذلك أم على الله تفترون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا فقرأ حتى بلغ أم على الله تفترون وقرأ وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وقرأ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر حتى بلغ لا يذكرون اسم الله عليها فقال هذا قوله جعل لهم رزقا فجعلوا منه حراما وحلالا وحرموا بعضه وأحلوا بعضه وقرأ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أى هذين حرم على هؤلاء الذين يقولون وأحل لهؤلاء نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الى آخر الآيات حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا هو الذى قال الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى قوله ساء ما يحكمون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يقول تعالى ذكره وما ظن هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب فيضيفون اليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الارزاق والاقوات التى جعلها الله لهم غذاء أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه أيحسبون أنه يصفح عنهم ويغفر كلا بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا ان الله لذو فضل على الناس يقول ان الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة فى الدنيا وامهاله اياه الى ورود عليه فى القيامة ولكن أكثرهم لا يشكرون يقول ولكن أكثر الناس لا يشكرونه على تفضله عليهم بذلك وبغيره من سائر نعمه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما

فقد يكون هذا القدر مقنعا اذ لم يكن الخصم ألد ثم أكد مضمون المقسم عليه بقوله (وما أنتم بمعجزين) فائتين العذاب والغرض التنبيه على أن أحدا لا يدافع نفسه عما أراد الله وقضى ثم زاد فى التأكيد بقوله (ولو أن لكل نفس) الآية وقد مر مثله فى آل عمران والمائدة وقوله (ظلمت) صفة لنفس أما قوله (وأسروا الندامة) فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار

والهمزة للسلب أى أظهروا الندامة حينئذ لضعفهم وليس هناك مجلد والمشهور أنه الاخفاء وسببه أنهم بهتوا حين عاينوا ما سلبهم قواهم فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء أو أخفوا الندامة من سفلتهم وأتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التزوير فى أول ما يرون العذاب أما عند احاطة النار بهم فلا يبقى هذا التماسك أو أراد بالاخفاء الاخلاص لان من أخلص فى الدعاء أسره وف

تهكم بهم وباخلاصهم لانهم أتوا بذلك فى غير وقته (وقضى بينهم بالقسط) قيل أى بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون فى ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم وان اشتركوا كلهم فى العذاب ثم ذكر فى آيتين أن له جميع ما قرر بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل فى وجه النظم انه لما ذكر حديث الاقتداء بين أنه ليس للظالم شئ يفتدى به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما أقسم على حقية ما جاء به النبى وكان دليلا قنا عيا أراد أن يصححها بالبرهان النير فذكر أن كل ما فى هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوى وسفلى بسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى أوليائه والعذاب الى أعدائه ولكونه منزها عن النقائص والآفات يكون بريئا عن الخلف فى الوعد والايعاد وفى تصدير الكلام بكلمة ألا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين فى الاسباب الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون أن كلها عوار وودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع * واعلم أن الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بأمور أحدها اظهار المعجزة على يده مطابقا لدعواه وقد قرره الله سبحانه فى هذه السورة جل على أحسن الوجوه حيث قال (وما كان هذا القرآن أن يفترى) الى تمام الآيتين والثانى أن نعلم بعقولنا أن الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما فر فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا أنه النبى الحق فأشار سبحانه الى هذا الطريق

يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما تكون يا محمد فى شأن يعنى فى عمل من الاعمال وما تتلو منه من قرآن يقول وما تقرأ من كتاب الله من قرآن ولا تعملون من عمل يقول ولا تعملون من عمل أيها الناس من خير أو شر الا كنا عليكم شهودا يقول الا ونحن شهود لأعمالكم وشؤنكم اذ تعملونها وتأخذون فيها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك روى القول عن ابن عباس وجماعة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اذ تفيضون فيه يقول اذ تفعلون * وقال آخرون معنى ذلك اذ تشيعون فى القرآن الكذب ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك اذ تفيضون فيه يقول فتشيعون فى القرآن من الكذب * وقال آخرون معنى ذلك اذ تفيضون فى الحق ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ تفيضون فيه فى الحق ما كان * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذى اخترناه فيه لانه تعالى ذكره أخبر أنه لا يعمل عباده عملا الا كان شاهده ثم وصل ذلك بقوله اذ تفيضون فيه فكان معلوما أن قوله اذ تفيضون فيه انما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين أنه له شاهد لا عن وقت تلاوة النبى صلى الله عليه وسلم القرآن لان ذلك لو كان خبرا عن شهوده تعالى ذكره وقت افاضة القوم فى القرآن لكانت القراءة بالياء اذ يفيضون فيه خبرا منه عن المكذبين فيه فان قال قائل ليس ذلك خبرا عن المكذبين ولكن خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أنه شاهده اذ تلا القرآن فان ذلك لو كان كذلك لكان التنزيل اذ تفيض فيه لان النبى صلى الله عليه وسلم واحد لا جمع كما قال وما تتلو منه من قرآن فأفرده بالخطاب (١) ولكن ذلك فى ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالافراد ثم عوده الى اخراج الخطاب على الجمع نظير قوله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وذلك أن فى قوله اذا طلقتم النساء دليلا واضحا على صرفه الخطاب الى جماعة المسلمين مع النبى صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره لأنه ابتدأ خطابه ثم صرف الخطاب الى جماعة الناس والنبى صلى الله عليه وسلم فيهم وخبر عن أنه لا يعمل أحد من عباده عملا الا وهو له شاهد يحصى عليه و يعلمه كما قال وما يعزب عن ربك يا محمد عمل خلقه ولا يذهب عليه علم شئ حيث كان من أرض أو سماء وأصله من عزوب الرجل عن أهله فى ماشيته وذلك غيبته عنهم فيها يقال منه عزب الرجل عن أهله يعزب و يعزب لغتان فصيحتان قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء و بأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنييهما واستفاضتهما فى منطق العرب غير أنى أميل الى الضم فيه لانه أغلب على المشهورين من القراء وقوله من مثقال ذرة يعنى من زنة نملة صغيرة يحكى عن العرب خذ هذا فانه أخف مثقالا من ذاك أى أخف وزنا والذرة واحدة الذر والذر صغار النمل وذلك خبر عن أنه لا يخفى عليه

(١) قوله ولكن ذلك الخ لعله وليس ذلك الخ وقوله مع جماعة للناس غيره لعله وهنا صرف الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم الى جماعة الخ تأمل كتبه مصححه

بقوله (قل يا أيها الناس) الآية فوصف القرآن بصفات أربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغى كالطبيب ينهى المريض أولا عما يضره الثانية كونه شفاء لما فى الصدور لحصول العقائد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك أنه اذا زالت الملكات الرديئة التى طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بأن تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض أنوارها على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على أجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة أرواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بأنوارهم كما أن كل جرم لم يقع فى مواجهة قرص الشمس لا يستضىء بنورها والحاصل أن الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغى وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقائد الفاسدة والاخلاق الرديئة بتحصيل اضدادها وهى الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق فى قلوب الصديقين وهى الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة فى الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للباقين وهى النبوة ولما أرشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر أنها هى التى يجب أن يكمل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال (قل بفضل الله و برحمته) قال فى الكشاف أصل الكلام بفضل الله

جل جلاله أصغر الاشياء وان خف فى الوزن كل الخفة ومقادير ذلك ومبلغه ولا أكبر هاوان عظم وثقل وزنه وكم مبلغ ذلك يقول تعالى ذكره لخلقه فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضى ربكم عنكم فانا شهود لاعمالكم لا يخفى علينا شئ منها ونحن محصوها ومجازوكم بها واختلفت القراء فى قراءة قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر فقرأ ذلك عامة القراء بفتح الراء من أصغر وأكبر على أن معناها الخفض عطفا بالاصغر على الذرة وبالاكبر على الاصغر ثم فتحت راؤهما لانهما لا يجريان وقرأ ذلك بعض الكوفيين ولا أصغر من ذلك ولا أكبر رفعا عطفا بذلك على معنى المثقال لان معناه الرفع وذلك أن من لو ألقيت من الكلام لرفع المثقال وكان الكلام حينئذ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر وذلك نحو قوله من خالق غير الله وغير الله * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض والرد على الذرة لان ذلك قراءة القراء الامصار وعليه عوام القراء وهو أصح فى العربية مخرجا وان كان للاخرى وجه معروف وقوله الا فى كتاب يقول وما ذلك كله الا فى كتاب عند الله مبين عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه أنه لا شئ كان أو يكون الا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه وأنه لا يعزب عن الله علم شئ من خلقه حيث كان من سمائه وأرضه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما يعزب يقول لا يغيب عنه حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس وما يعزب عن ربك قال ما يغيب عنه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان أنصار الله لا خوف عليهم فى الآخرة من عقاب الله لان الله رضى عنهم فآمنهم من عقابه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا والاولياء جمع ولى وهو النصير وقد بينا ذلك بشواهده واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم فقال بعضهم هم قوم بذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والاخبات ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان قال ثنا ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم وسعيد بن جبير عن ابن عباس ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم حدثنا أبو كريب وأبو هشام قالا ثنا ابن يمان عن أشعث بن اسحق عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبى الضحى مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن أبيه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم * قال ثنا ابن مهدى وعبيد الله عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبى الضحى قال سمعته يقول فى هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال من الناس مفاتيح اذا رؤا ذكر الله لرؤيتهم * قال ثنا أبى عن مسعر عن سهل بن الاسد عن سعيد بن جبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال الذين اذا رؤا ذكر الله * قال ثنا زيد بن حباب عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى وائل عن عبد الله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين اذا رؤا ذكر الله لرؤيتهم * قال ثنا أبو يزيد الرازى عن يعقوب

وبرحمته فليفرحوا (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتقرير والتأكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة الآخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح وجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وأن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أى بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا

يكون قل اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبة هذه القراءة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاصل والقياس لانه أدل على الامر بالفرح وأشد تحريضا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر في المخاطب والغائب واحد الا انه

خفف أمر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فاضطروا الى همزة الوصل ومن قرأ بتجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا أنه غلب الخطاب كما يغلب التذكير أو كأنه أراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على النوازع النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الآلام والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير أن تكون صفات ثبوتية الا ان التضرر بآلامها أقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهي أقوى اللذات الى ألم القولنج وسائر الآلام القوية وأيضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الآلام كل جزء من أجزاء البدن وأيضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في مقدماتها ولواحقها لكفى ومن المعلوم أن الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري

ان حزنا في ساعة الموت ضعنا * ف سرور في ساعة الميلاد

فتبين بهذه الوجوه أن الفرح انما يجب أن يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانيات الزائلات أما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روى عن أبي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله ثم أشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال (قل أرأيتم) الآية وتقريره أنكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها فان كان هذا المجرد التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق

عن جعفر عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين اذا رؤا ذكر الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا فرات عن أبي سعد عن سعيد بن جبير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله قال هم الذين اذا رؤا ذكر الله * قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن عبد الله بن أبي الهذيل في قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية قال ان ولي الله اذا رؤي ذكر الله * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو فضيل قال ثنا أبي عن عمارة بن القعقاع الضبي عن أبي زرعة عن عمرو بن جرة البجلي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم من نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمارة عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فانا نحبهم لذلك قال هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا الحسن بن نصر الخولاني قال ثنا يحيى بن حسان قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم يتصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا في الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفزع الناس فلا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والصواب من القول في ذلك أن يقال الولي أعني ولي الله هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال الله الذين آمنوا وكانوا يتقون * وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من هم يا رب قال الذين آمنوا وكانوا يتقون قال أبى أن يتقبل الايمان الا بالتقوى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره الذين صدقوا الله ورسوله وما جاء به من عند الله وكانوا يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقوله الذين آمنوا من نعت الاولياء ومعنى الكلام ألا ان أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قال قائل فاذ كان معنى الكلام ما ذكرت عندك أفي موضع رفع الذين آمنوا أم في موضع نصب قيل في موضع رفع وانما كان كذلك وان كان من نعت الاولياء لمجيئه بعد خبر الاولياء والعرب كذلك تفعل خاصة في ان اذا جاء نعت الاسم الذي عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه فقالوا ان أخاك قائم الظريف كما قال الله قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وكما قال ان ذلك لحق تخاصم أهل النار

لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الآراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول أرسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفى الآية أيضا اشارة الى فساد طريقتهم فى شرائعهم وأحكامهم من تحريم السوائب والبحائر وقولهم هذه أنعام وحرث حجر وغير ذلك وما أنزل الجملة فى محل الرفع بالابتداء وخبره آلله أذن لكم وقل مكرر للتأكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدإ والخبر متعلق بأرأيتم والمعنى أخبرونى الذى أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله أذن لكم فى تحريمه وتحليله (أم على الله تفترون) وعن الزجاج أن ما فى ما أنزل بمعنى الاستفهام منصوبا بأنزل وأنه مع معموله مفعول أرأيتم معناه أخبرونيه وعلى هذا يكون قل آلله كلاما مستأنفا ومعنى أنزل خلق وأنشأ كقوله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وذلك أن كل ما فى الارض من زرع أو ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال فى الكشاف ويجوز أن تكون الهمزة فى آلله للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال (وما ظن الذين) يعنى أى شئ ظنهم فى ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو فى صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفترى على الله حيث أبهم أمره وكفى به زاجرا للمفتى فى الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت (لذو فضل على الناس) اذ أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبى وتعليم الشرائع (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة بجحد نبيه أو بمخالفته ۞ التأويل أفأنت تسمع الصم صم آذان القلوب أفأنت تهدى العمى عمى أبصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج أجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص خروج أرواحهم

وقد اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك مع أن اجماع جميعهم على أن ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب وليس هذا من مواضع الابانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ يقول تعالى ذكره البشرى من الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ثم اختلف أهل التأويل فى البشرى التى بشر الله بها هؤلاء القوم ما هى وما صفتها فقال بعضهم هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن ذكوان عن شيخ عن أبى الدرداء قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له **حدثنا** العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال أخبرنا الأوزاعى قال أخبرنى يحيى ابن أبى كثير قال ثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة وفى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك أو قال غيرك قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو داود عمن ذكره عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له **حدثنا** أبو قلابة قال ثنا مسلم قال ثنا أبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** ابن المثنى وأبو عثمان بن عمر قالا ثنا على بن يحيى عن أبى سلمة قال نبئت أن عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له **حدثنى** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبى الدرداء لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال لقد سألتنى عن شئ ما سمعت أحدا سأل عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشراه فى الحياة الدنيا وبشراه فى الآخرة الجنة **حدثنى** سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا عثمان بن سعيد عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال ما سألنى عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك الا رجلا واحدا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما سألنى عنها أحد منذ أنزلها الله غيرك الا رجلا واحدا هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد قال ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمع عطاء بن يسار يخبر عن رجل من أهل مصر أنه سأل أبا الدرداء عن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكونى عن عثمان

الأخروية من قبور أجسادهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء وامانريك بعض الذى نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن أو نتوفينك فنبلغك أقصى المراتب

ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل أمة رسول فى الظاهر
من الانبياء وفى الباطن من الهام الحق لكل أمة أجل فى استكمال السعادة والشقاوة بياتا أى فى الازل أو نهارا أى يظهر الآن ما قدر لكم
فى الازل قل اى و ربى انه لحق أى أقسم بربك الذى يربك أن وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار بلفظ

المعراج ظلمت بافساد الاستعدادات ألا ان الله ما فى سموات الارواح وأرض القلوب والنفوس ألا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة فى الازل حق هو يحيى قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل أو يحيى بالنور ويميت بالظلمة أو يحيى بصفة الجمال ويميت بصفة الجلال يا أيها الناس يا أهل النسيان قد جاءتكم موعظة هى خطاب ألست بربكم وهو داء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما فى الصدور وهو القلب فانها درة صدف الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض الى أن يبلغ غاية الكمال و يفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب ورحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعه أهل الدنيا فى دنياهم ما أنزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على أنفسكم وحلالا على غيركم أى حدثت أنفسكم بأن تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شأننا وانما هو من شأن الانبياء وخواص الاولياء قل آلله أذن لكم أن تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها أم على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لم يفضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطرى ﴿وما تكون فى

ابن سعيد **حدثنى** أبو حميد الحمصى أحمد بن المغيرة قال ثنى يحيى بن سعيد قال ثنا عمر بن عمرو بن عبد الانجوشى عن حميد بن عبد الله المزنى قال أتى رجل عبادة بن الصامت فقال آية فى كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال عبادة ما سألنى عنها أحد قبلك سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مثل ذلك ما سألنى عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن فى المنام أو ترى له **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال حدثنا هشام عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة هى البشرى يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى صالح قال قال أبو هريرة الرؤيا الحسنة بشرى من الله وهى المبشرات **حدثنا** محمد بن حاتم المؤدب قال ثنا عمار بن محمد قال ثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لهم البشرى فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له وهى فى الآخرة الجنة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا محمد بن يزيد قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن أبى الشيخ عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها العبد جزء من تسعة وأربعين جزأ من النبوة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن عبادة بن الصامت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة فما بشرى الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهى جزء من أربعة وأربعين جزأ أو سبعين جزأ من النبوة **حدثنا** على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا فقال لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد من أمتى قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة **حدثنى** أحمد بن حماد الدولابى قال ثنا سفيان عن عبيد الله ابن أبى يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت المبشرات **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن الاعمش عن ذكوان عن رجل عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن أبى صالح عن عطاء بن يسار عن رجل كان بمصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال أبو الدرداء ما سألنى عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما سألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفى الآخرة الجنة * قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبى صالح عن أبى الدرداء قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال ما سألنى عنها أحد غيرك هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن عطاء بن يسار عن أبى

الدرداء

شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة

الدرداء فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماسألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وفى الآخرة الجنة * قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى صالح قال ابن عيينة ثم سمعته من عبد العزيز عن أبى صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ماسألنى عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماسألنى عنها أحد منذ أنزلت علىّ الا رجل واحد هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له * قال ثنا عبد الله بكر السهمى عن حاتم بن أبى صغيرة عن عمرو بن دينار أنه سأل رجلا من أهل مصر فقيها قدم عليهم فى بعض تلك المواسم قال قلت ألا تخبرنى عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال سألت عنها أبا الدرداء فأخبرنى أنه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هى الرؤيا الحسنة يراها العبد أو ترى له * قال ثنا أبى عن على بن مبارك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم وأبو الوليد الطيالسى قالا ثنا أبان قال ثنا يحيى عن أبى سلمة عن عبادة بن الصامت قال قلت يارسول الله قال الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال لقد سألتنى عن شئ ماسألنى عنه أحد قبلك أو أحد من أمتى قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له * قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح قال سمعت أبا الدرداء وسئل عن الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ماسألنى عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ماسألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبيد الله بن أبى يزيد عن نافع بن جبير عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الحسنة يراها الانسان أو ترى له * وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبى الدرداء أو ابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال هى الرؤيا الصالحة * وقال ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه قال هى الرؤيا يراها الرجل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير قال هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح * قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له * قال ثنا عبدة بن سليمن عن طلحة القناد عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض اخوانه * قال ثنا أبى عن الأعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون الرؤيا من المبشرات حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ماسألنى عنها

الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له مافى السموات ومافى الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ۞ القراآت شأن بغير همز حيث كان أبو عمرو غير شجاع والاعشى ويزيد والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يعزب بالكسر حيث كان على الباقون بالضم ولا أصغر ولا أكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الآخرون بالنصب ۞ الوقوف تفيضون فيه ط مبين ٥ يحزنون ٥ ج لان الذين يصلح صفة لاولياء ويصلح نصبا أو رفعا على المدح فيوقف على يتقون أو مبتدأ خبره لهم البشرى فلا يوقف على يتقون وفى الآخرة ط لكلمات الله ط العظيم ٥ ط لانه لو وصل لأوهم أن الضمير عائد الى أولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم م لئلا يوهم أن قوله ان العزة مقول الكفار جميعا ط العليم ٥ الارض ط شركاء ط يخرصون ٥ مبصرا ط يسمعون ٥ سبحانه ط الغنى ط ومافى الارض ط بهذا ط مالا تعلمون ٥ لا يفلحون ٥ ط يكفرون ٥ ۞ التفسير لما بين فساد طريقة الكفار فى عقائدهم وأحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل أحد وبما فى قلبه من الدواعى والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال (وما تكون) يا محمد (فى شأن) أى أمر من الامور وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده قال ابن عباس أى فى شأن من أعمال البر وقال الحسن فى شأن الدنيا وحوائجها ومافى وما تكون وما تتلو نافية والضمير فى منه اما لله عز وجل أى نازل من عنده واما للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم

شانه ولهذا أفرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما القرآن والاضمار قبل الذكر تفخيما له كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال (ولا تعملون) أيها المكلفون (من عمل) أى عمل كان (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء والجمع للتعظيم أولان المراد الملائكة الموكلون (اذ تفيضون فيه) الافاضة الشروع فى العمل على جهة الاتصال والاندفاع ومنه قوله فاذا أفضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم أنه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب أن الشهادة علم خاص ولا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشئ كما لو أخبرنا الصادق أن زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم زاد فى التعميم فقال (وما يعزب عن ربك) أى لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب أى بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى (مثقال ذرة) قدم فى قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك فى سورة النساء والمقصود أنه لا يغيب عن علمه شئ أصلا وان كان فى غاية الحقارة وانما قال ههنا فى الارض ولا فى السماء خلاف ما فى سورة سبا وهو المعهود فى القران لان الكلام سيق لشهادته على شؤن أهل الارض فناسب أن يقدم ذكر ما فى الارض هذا بعد تسليم أن الواو تفيد الترتيب ثم بالغ فى تعميم علمه فقال (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأ بالنصب على نفى الجنس أو بالرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه فلا اشكال وأما من جعله منصوبا معطوفا على لفظ مثقال لانه فى موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف أو جعله مرفوعا معطوفا على محل من مثقال لانه فاعل يعزب فاورد عليه الاشكال وهو أنه يصير تقدير الآية لا يعزب عنه شئ فى الارض ولا فى السماء الا فى كتاب ويلزم منه أن يكون ذلك الشئ الذى فى الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن أن يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم أوجده الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم آخر أوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك أن هذا القسم الثانى متباعد فى سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب

أحد من أمتى منذ أنزلت على قبلك قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو ترى له * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمى أن ابن مسعود قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له * قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا فهو قوله لنبيه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا قال هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له * قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن عطاء فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى رؤيا الرجل المسلم يبشر بها فى حياته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث أن درّاجا أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة حدثنى يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه فى هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له حدثنا محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا جميد بن عبد الله أن رجلا سأل عبادة بن الصامت عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال عبادة لقد سألتنى عن أمر ما سألنى عنه أحد قبلك ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتنى فقال لى يا عبادة لقد سألتنى عن أمر ما سألنى عنه أحد من أمتى تلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له * وقال آخرون هى بشارة يبشر بها المؤمن فى الدنيا عند الموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى وقتادة لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى البشارة عند الموت فى الحياة الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبى سفيان عن الضحاك لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال يعلم أين هو قبل الموت * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى فى الحياة الدنيا ومن البشارة فى الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ومنها بشرى الملائكة اياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الملائكة التى تحضره عند خروج نفسه تقول لنفسه اخرجى الى رحمة الله ورضوانه ومنها بشرى الله اياه ما وعده فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل كما قال جل ثناؤه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار الآية وكل هذه المعانى من بشرى الله اياه فى الحياة الدنيا بشره بها ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فذلك مما عمه جل ثناؤه أن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وأما فى الآخرة فالجنة وأما قوله لا تبديل لكلمات الله فان معناه ان الله لا خلف لوعده ولا تغيير لقوله مما قال ولكنه يمضى لخلقه مواعيده وينجزها لهم وقد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن نافع قال أطال الحجاج الخطبة فوضع ابن عمر رأسه فى حجرى فقال الحجاج ان ابن الزبير بدل كتاب الله فقعد ابن عمر فقال لا تستطيع أنت ذاك ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله فقال الحجاج لقد أوتيت علما أن تفعل قال

أيوب

الوجود فالمراد من الآية أنه لا يبعد عن مرتبة وجوده شئ في الارض ولا في السماء الا هو في كتاب مبين وهو كتاب أثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم أنه تعالى غير عالم بالجزئيات أو نقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر أبو علي الجرجاني صاحب النظم أن الا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند قوله ولا أكبر ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا في كتاب أي وهو أيضا في كتاب (مبين) والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين أتبعها تفصيل حال كل فريق فقال (ألا ان أولياء الله) الآية والتركيب يدل على القرب فكأنهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله قال أبو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في وصفهم (الذين آمنوا) وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية (وكانوا يتقون) وهو اشارة الى كمال حال القوة العملية وههنا مقام آخر وهو أن يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال أما في موقف العلم فبأن يقدس ذاته عن أن يكون مقصورا على ما عرفه أو يكون كما وصفه وأما في مقام العمل فأن يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله فيكون أبدا في الخوف والدهشة وأما نفي الخوف والحزن عنهم فقد مر تفسيره في أوائل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني أن مشاهدتهم تذكر أمر الآخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر سمعت النبي صلى الله

أيوب فلما أقبل عليه في خاصة نفسه سكت وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول تعالى ذكره هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم يعني الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون واشراكهم معه الاوثان والاصنام فان العزة لله جميعا يقول تعالى ذكره فان الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة لا شريك له فيها وهو المنتقم من هؤلاء المشركين القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد لانه لا يعازه شئ هو السميع العليم يقول وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه محصى ذلك عليهم كله وهو لهم بالمرصاد وكسرت ان من قوله ان العزة لله جميعا لأن ذلك خبر من الله مبتدأ ولم يعمل فيها القول لان القول عنى به قول المشركين وقوله ان العزة لله جميعا لم يكن من قيل المشركين ولا هو خبر عنهم أنهم قالوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾ يقول تعالى ذكره ألا ان الله يا محمد كل من في السموات ومن في الارض ملكا وعبيدا لا ما لك لشئ من ذلك سواه يقول فكيف يكون الهما معبودا من يعبده هؤلاء المشركون من الأوثان والاصنام وهي لله ملك وانما العبادة للمالك دون المملوك وللرب دون المربوب وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يقول جل ثناؤه وأي شئ يتبع من يدعو من دون الله يعني غير الله وسواه شركاء ومعنى الكلام أي شئ يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا والله المنفرد بملك كل شئ في سماء كان أو أرض ان يتبعون الا الظن يقول ما يتبعون في قيلهم ذلك ودعواهم الا الظن يقول الا الشك لا اليقين وان هم الا يخرصون يقول وان هم الا يتقولون الباطل تظننا وتخرصا للافك عن غير علم منهم بما يقولون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة هو الرب الذي جعل لكم الليل وفصله من النهار لتسكنوا فيه مما كنتم فيه في نهاركم من التعب والنصب وتهدؤا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار والنهار مبصرا يقول وجعل النهار مبصرا فأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم وذلك كما قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت ومالي المطى بنائم

فأضاف النوم الى الليل ووصفه به ومعناه نفسه أنه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره يقول تعالى ذكره فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون لا ما لا ينفع ولا يضر ولا يفعل شيأ وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يقول تعالى ذكره ان في اختلاف حال الليل والنهار وحال أهلهما فيهما دلالة وحجاجا على أن الذي له العبادة خالصا بغير شريك هو الذي خلق الليل والنهار وخالف بينهما بان جعل هذا للخلق سكنا وهذا لهم معاشا دون من لا يخلق ولا يفعل شيأ ولا يضر ولا ينفع

عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية يحكى أن ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور رحالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءه السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما أصبح زالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على بدنه فأظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما غاب ذلك الوارد فانا أضعف خلق الله ثم أخبر الله سبحانه عنهم بأن (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) فقيل بشراهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياهم بالثناء الحسن عن أبي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن والدليل العقلي عليه أن الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل أحد اذا أنصفه ولم يحسده ولا كمال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي أي قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد أن النبي صلى الله عليه وسلم استنبئ بعد أربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلاث وستون سنة وكان يأتيه الوحي أولا بطريق المنام ستة أشهر ونسبة هذه المدة الى ثلاث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة

الاعرج

وقال لقوم يسمعون لان المراد منه الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها فيعتبرون بها ويتعظون ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم ثم يعرضون عن عبره وعظاته ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد اتخذ الله ولدا وذلك قولهم الملائكة بنات الله يقول الله منزها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك سبحان الله تنزيها لله عما قالوا وادعوا على ربهم هو الغني يقول الله غني عن خلقه جميعا فلا حاجة به الى ولد لأن الولد انما يطلبه من يطلبه ليكون عونا له في حياته وذكرا له بعد وفاته والله عن كل ذلك غني فلا حاجة به الى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد فيكون به حاجة الى خلف بعده له ما في السموات وما في الارض يقول تعالى ذكره لله ما في السموات وما في الارض ملكا والملائكة عباده وملكه فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا يقول أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون ان عندكم من سلطان بهذا يقول ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدعون من أن الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها وهي السلطان أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الذين يفترون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويدعون له ولدا لا يفلحون يقول لا يبقون في الدنيا ولكن لهم متاع في الدنيا يتمتعون به وبلاغ يتبلغون به الى الأجل الذي كتب فناؤهم فيه ثم الينا مرجعهم يقول ثم اذا انقضى أجلهم الذي كتب لهم الينا مصيرهم ومنقلبهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وذلك اصلاؤهم جهنم بما كانوا يكفرون بالله في الدنيا فيكذبون رسله ويجحدون آياته ورفع قوله متاع بمضمر قبله اما ذلك واما هذا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولدا من قومك نبأ نوح يقول خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي يقول ان كان عظم عليكم مقامي بين أظهركم وشق عليكم وتذكيري بآيات الله يقول ووعظي اياكم بحجج الله وتنبيهي اياكم على ذلك فعلى الله توكلت يقول ان كان شق عليكم مقامي بين أظهركم وتذكيري بآيات الله فعزمتم على قتلي أو طردي من بين أظهركم فعلى الله اتكالي وبه ثقتي وهو سندي وظهري فأجمعوا أمركم يقول فأعدوا أمركم واعزموا على ما تقدمون عليه في أمري يقال منه أجمعت على كذا بمعنى عزمت عليه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له بمعنى من لم يعزم ومنه قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدون يوما وأمري مجمع

وروى عن الاعرج في ذلك ما حدثني بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هرون عن أسيد عن

وأربعين واما أن الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك وعن عطاء البشرى فى الدنيا هى البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة واما البشرى فى الآخرة فتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى آخر أحوالهم فى الجنة (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا إخلاف لمواعيده وقد مر مثله فى الانعام (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج قال القاضى لا تبديل لكلمات الله يدل على أنها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع أن يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفى شئ عن شئ لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك له ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك أو نقول انه كما أزال الحزن عنه فى الآخرة بقوله ألا ان أولياء الله أزال الحزن عنه فى الدنيا بقوله (ولا يحزنك قولهم) أى تكذيبهم لك وتهديدهم بالخدم والاموال وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال أمرك وبالجملة كل ما يتكلمون به فى شأنك من المطاعن والقوادح ثم استأنف قوله (ان العزة لله) كأنه قيل مالى لا أحزن فقيل لان العزة لله (جميعا) ان الغلبة والقهر له ولحزبه كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وقرئ أن بالفتح لا على أنه بدل فان ذلك يؤدى الى أن القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واثقا بوعد الله تعالى فى جميع الاحوال وان كان قد يقع فى بعض الحروب والوقائع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم أكد الوعد بقوله (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد فى التأكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) فخصص ذوى العقول اما للتغليب واما لان الآية سيقت

الاعرج فأجمعوا أمركم وشركاءكم يقول أحكموا أمركم وادعوا شركاءكم ونصب قوله وشركاءكم بفعل مضمر له وذلك وادعوا شركاءكم وعطف بالشركاء على قوله أمركم على نحو قول الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

فالرمح لا يتقلد ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف فكذلك ذلك فى قوله وشركاءكم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار وشركاءكم نصبا وقوله فأجمعوا بهمز الالف وفتحها من أجمعت أمرى فأنا أجمعه اجماعا وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه فأجموا أمركم بفتح الالف وهمزها وشركاؤكم بالرفع على معنى وأجمعوا أمركم وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم * والصواب من القول فى ذلك قراءة من قرأ فأجمعوا أمركم وشركاءكم بفتح الالف من أجمعوا ونصب الشركاء لانها فى المصحف بغير واو ولاجماع الحجة على القراءة بها ورفض ما خالفها ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطا والسهو وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم وقوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة يقول ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم غم على الناس الهلال وذلك اذا أشكل عليهم فلم يتبينوه ومنه قول رؤبة

بل لو شهدت الناس اذ تكموا * بغمة لم تفرج غموا

وقيل ان ذلك من الغم لان الصدر يضيق به ولا يتبين صاحبه لامره مصدرا يصدره يتفرج عنه ما بقلبه ومنه قول خنساء

وذى كربة راحى ابن عمرو خناقه * وغمته عن وجهه فتجلت

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أمركم عليكم غمة قال لا يكبر عليكم أمركم وأما قوله ثم اقضوا الى فان معناه ثم امضوا الى ما فى أنفسكم وافرغوا منه كما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما كنتم قاضين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما فى أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله ثم اقضوا الى فقال بعضهم معناه امضوا الى كما يقال قد قضى فلان يراد قد مات ومضى * وقال آخرون منهم بل معناه ثم افرغوا الى وقالوا القضاء الفراغ والقضاء من ذلك قالوا وكان قضى دينه من ذلك انما هو فرغ منه وقد حكى عن بعض القراء أنه قرأ ذلك ثم أفضوا الى بمعنى توجهوا الى حتى تصلوا الى من قولهم قد أفضى الى الوجع وشبهه وقوله ولا تنظرون يقول ولا تؤخرون من قول القائل أنظرت فلانا بما لى عليه من الدين وانما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه انه بنصرة الله له عليهم واثق ومن كيدهم وتوائقهم غير خائف واعلام منه لهم أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع يقول لهم امضوا ما تحدثون أنفسكم به فى على عزم منكم صحيح واستعينوا مع من شايعكم على بآلهتكم التى تدعون من دون الله ولا تؤخروا ذلك فانى قد توكلت على الله وأنابه واثق أنكم لا تضرونى الا أن يشاء ربى وهذا وان كان خبرا من الله تعالى عن نوح فانه حث من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسى به وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من

لبيان فساد عقائد أهل الشرك فذكر أن العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيده ولا يصلح أحد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام أولى بأن لا يكون ندا له ثم أكد هذا المعنى بقوله (وما يتبع) ما نافية ومفعول يدعون محذوف أى ليس يتبع (الذين يدعون من دون الله شركاء) شركاء فى الحقيقة انما هى أسماء لا مسميات لها الا ان شركة الله فى الربوبية محال وانما حذف أحد المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثانى مفعول يتبع ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم زاد فى التأكيد فقال (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقد مر مثله فى سورة الانعام ثم ذكر طرفا من آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) طلبا للراحة (والنهار مبصرا) ذا ابصار باعتبار صاحبه أى جعله مضيئا لتهتدوا به فى حوائجكم وهذا ان طرفان من منافع الليل والنهار (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تأمل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا آخر من أباطيلهم فقال (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) وقد مر فى البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله (هو الغنى) وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا أجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وأيضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذى يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلى القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وأيضا الغنى لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح أن يتولد منه مثله لصح أن يكون هو أيضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ فى البرهان فقال (له ما فى السموات وما فى الارض) واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شئ منها ولده لان الاب يساوى الابن فى الطبيعة بخلاف المالك ثم

الرسالة والبلاغ عنه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه فان توليتم أيها القوم عنى بعد دعائى اياكم وتبليغ رسالة ربى اليكم مدبرين فأعرضتم عما دعوتكم اليه من الحق والاقرار بتوحيد الله واخلاص العبادة له وتركتم اشراك الآلهة فى عبادته فتضيع منكم وتفريط فى واجب حق الله عليكم لا بسبب من قبلى فانى لم أسألكم على ما دعوتكم اليه أجرا ولا عوضا أعتاضه منكم باجابتكم اياى الى ما دعوتكم اليه من الحق والهدى ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء ان أجرى الا على الله يقول جل ثناؤه ان جزائى وأجر عملى وثوابه الا على ربى لا عليكم أيها القوم ولا على غيركم وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرنى ربى أن أكون من المذعنين له بالطاعة المنقادين لامره ونهيه المتذللين له ومن أجل ذلك أدعوكم اليه وبأمره آمركم بترك عبادة الاوثان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه فيما أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى فنجيناه ومن معه ممن حمل معه فى الفلك يعنى فى السفينة وجعلناهم خلائف يقول وجعلنا الذين نجيناهم مع نوح فى السفينة خلائف فى الارض من قومه الذين كذبوه بعد أن أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا يعنى بحججنا وأدلتنا على توحيدنا ورسالة رسولنا نوح يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين وهم الذين أنذرهم نوح عقاب الله على تكذيبهم اياه وعبادتهم الاصنام يقول له جل ثناؤه انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم رسولهم فان عاقبة من كذب من قومك ان تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذى كان من عاقبة قوم نوح حين كذبوه يقول جل ثناؤه فليحذروا أن يحل بهم مثل الذى حل بهم ان لم يتوبوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ﴾ يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الى قومهم فأتوهم ببينات من الحجج والأدلة على صدقهم وأنهم لله رسل وأن ما يدعونهم اليه حق فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يقول فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الامم الخالية من قبلهم كذلك نطبع على قلوب المعتدين يقول تعالى ذكره كما طبعنا على قلوب أولئك ختمنا عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ولا يستجيبون لدعائهم اياهم الى ربهم بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام كذلك نطبع على قلوب من اعتدى على ربه فتجاوز ما أمره به من توحيده وخالف ما دعاهم اليه رسلهم من طاعته عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ﴾ يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح الى قومهم موسى وهرون ابنى عمران الى فرعون مصر وملئه يعنى وأشراف قومه وسادتهم بآياتنا يقول بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم اليه من الاذعان لله بالعبودة والاقرار لهما بالرسالة فاستكبروا يقول فاستكبروا عن الاقرار بما دعاهم اليه موسى وهرون وكانوا قوما مجرمين يعنى آثمين بربهم بكفرهم بالله تعالى

زيف دعواهم الفاسدة فقال (ان عندكم من سلطان بهذا) أى ما عندكم من حجة بهذا القول قال فى الكشاف والباء حقها أن تتعلق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان أقول كأنه نظر الى أن استعمال الباء بمعنى فى أكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال (أتقولون على الله مالا تعلمون) ثم أوعدهم على افترائهم فقال (قل ان الذين يفترون) الآية ثم بين أن ذلك المفترى ان فاز بشئ من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة من رياسة ظاهرة وغرض زائل فذلك (متاع قليل) فى الدنيا ثم لابد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد والعذاب الاليم أعاذنا الله منه ﴿ التأويل وما تكون فى شأن من النبوة وما تتلو من شأن النبوة من قرآن ولا تعملون يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من عمل من الاعمال من قبول القرآن وردّه من مثقال ذرة مما أظهر من حركة فى أرض البشرية بعمل من أعمال الخير والشر ولا فى السماء أى فى سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا أصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا أكبر من النية وهو العمل ألا ان أولياء الله الذين هم أعداء النفوس لا خوف عليهم من تمنى النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى فى الحياة الدنيا بالوقائع والمبشرات وفى الآخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الأزلية حيث قال للولى كن وليا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركى النفوس فى تزيين شهوات الدنيا ولذاتها فى نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء فى الدنيا وفى الآخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الآخرة بل ربما يعينه على الآخرة كما جاء فى الحديث الربانى وان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى فان أفقرته يفسده ذلك ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض أى القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن أى يظنون أنهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذى جعل لكم ليل البشرية لتستريحوا فيه من تعب

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءهم الحق من عندنا يعنى فلما جاءهم بيان ما دعاهم اليه موسى وهرون وذلك الحجج التى جاءهم بها وهى الحق الذى جاءهم من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون أنه يبين لمن رآه وعاينه أنه سحر لا حقيقة له قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم من عند الله أسحر هذا واختلف أهل العربية فى سبب دخول ألف الاستفهام فى قوله أسحر هذا فقال بعض نحويى البصرة أدخلت فيه على الحكاية لقولهم لانهم قالوا أسحر هذا فقال أتقولون أسحر هذا وقال بعض نحويى الكوفة انهم قالوا هذا سحر ولم يقولوه بالالف لان أكثر ما جاء بغير ألف قال فيقال فلم أدخلت الالف فيقال قد يجوز أن تكون من قبلهم وهم يعلمون أنه سحر كما يقول الرجل للجائزة اذا أتته أحق هذا وقد علم أنه حق قال وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم أسحر هذا ما أعظمه وأولى ذلك فى هذا بالصواب عندى أن يكون المقول محذوفا ويكون قوله أسحر هذا من قيل موسى منكرا على فرعون وملئه قولهم للحق لما جاءهم سحر فيكون تأويل الكلام حينئذ قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم وهى الآيات التى أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه سحرا أسحر هذا الحق الذى ترونه فيكون السحر الاول محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى أسحر هذا على أنه مراد فى الكلام كما قال ذو الرمة

فلما لبسن الليل أو حين نصبت * له من خذا آذانها وهو جانح

يريد أو حين أقبل ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكما قال جل ثناؤه فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم والمعنى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه فى أشباه لما ذكرنا كثيرة يتعب احصاؤها وقوله ولا يفلح الساحرون يقول ولا ينجح الساحرون ولا يبقون

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون وملؤه لموسى أجئتنا لتلفتنا يقول لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا من قبل مجيئك من الدين يقال منه لفت فلان عنق فلان اذا لواها كما قال ذو الرمة * لفتا وتهزيعا سواء اللفت * التهزيع الدق واللفت اللى كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتلفتنا قال لتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا وقوله وتكون لكما الكبرياء فى الارض يعنى العظمة وهى الفعلياء من الكبر ومنه قول ابن الرقاع

سودا غير فاحش لابدا * منه تجباره ولا كبرياء

حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الملك * قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال السلطان فى الارض * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال الملك فى الارض * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الطاعة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الملك * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى

الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد قال السلطان في الارض وهذه الاقوال كلها متقاربات المعاني وذلك أن الملك سلطان والطاعة ملك غير أن معنى الكبرياء هو ماثبت في كلام العرب ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك وقوله ومانحن لكما بمؤمنين يقول ومانحن لكما ياموسى وهرون بمؤمنين يعني بمقرين بانكما رسولان أرسلتما الينا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لقومه ائتوني بكل من يسحر من السحرة عليم بالسحر فلما جاء السحرة فرعون قال موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم وفي الكلام محذوف قد ترك وهو فأتوه بالسحرة فلما جاء السحرة ولكن اكتفى بدلالة قوله فلما جاء السحرة على ذلك فترك ذكره وكذلك بعد قوله ألقوا ما أنتم ملقون محذوف أيضا قد ترك ذكره وهو فألقوا حبالهم وعصيهم فلما ألقوا قال موسى ولكن اكتفى بدلالة ماظهر من الكلام عليه فترك ذكره ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره فلما ألقوا ما هم ملقوه قال لهم موسى ماجئتم به السحر واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ماجئتم به السحر على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون انه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم قال موسى الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين والبصريين ماجئتم به آلسحر على وجه الاستفهام من موسى الى السحرة عما جاؤا به أسحر هو أم غيره وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام لان موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكا فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له فيحتاج الى استخبار السحرة عنه أي شئ هو وأخرى أنه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة عما جاءهم به فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه في الخبر عما جاؤا به من الباطل فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم أنه عالم ببطول ماجاؤا به من ذلك بالحق الذي أتاه ومبطل كيدهم بجده وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخرى فان قال قائل فما وجه دخول الالف واللام في السحر ان كان الامر على ماوصفت وأنت تعلم أن كلام العرب في نظير هذا أن يقولوا ماجاءني به عمرو درهم والذي أعطاني أخوك دينار ولا يكادون أن يقولوا الذي أعطاني أخوك الدرهم وماجاءني به عمرو الدينار قيل له بلى كلام العرب ادخال الالف واللام في خبر ما والذي اذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب بل لا يجوز اذا كان ذلك كذلك الا بالالف واللام لان الخبر حينئذ خبر عن شئ بعينه معروف عند الفريقين وانما يأتي ذلك بغير الالف اذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شئ بعينه فحينئذ لا تدخل الالف واللام في الخبر وخبر موسى كان خبرا عن معروف عنده وعند السحرة وذلك أنها كانت نسبت ماجاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله علما له على صدقه ونبوته الى أنه سحر فقال لهم موسى السحر الذي وصفتم به ماجئتكم به من الآيات أيها السحرة هو الذي جئتم به أنتم لا ماجئتكم به أنا ثم أخبرهم أن الله سيبطله فقال ان الله سيبطله يقول سيذهب

بقاء تصرفات الخيال حتى تثبت الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذ البنوة أخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف والابتداء هو مبتدأ ضلالة اليهود والنصارى له ما في السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما في الارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والآفات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا يظفرون بكشف الحقائق ثم تذيقهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فأحسوا بالالم والله أعلم

﴿واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض ومانحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه

على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى

به فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى فدحرجها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شئ ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعنى انه لا يصلح عمل من سعى فى أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه وقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبى بن كعب ما أتيتم به سحر وفى قراءة ابن مسعود ما جئتم به سحر وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخترنا من القراءة فيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى انه قال للسحرة ويحق الله الحق يقول ويثبت الله الحق الذى جئتكم به من عنده فيعليه على باطلكم ويصححه بكلماته يعنى بأمره ولو كره المجرمون يعنى الذين اكتسبوا الاثم بربهم بمعصيتهم اياه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين ﴾ يقول تعالى ذكره فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والأدلة الا ذرية من قومه خائفين من فرعون وملئهم * اختلف أهل التأويل فى معنى الذرية فى هذا الموضع فقال بعضهم الذرية فى هذا الموضع القليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال كان ابن عباس يقول الذرية القليل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه الذرية القليل كما قال الله تعالى كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين * وقال آخرون معنى ذلك فما آمن لموسى الا ذرية من أرسل اليه موسى من بنى اسرائيل لطول الزمان لان الآباء ماتوا وبقى الأبناء فقيل لهم ذرية لانهم كانوا ذرية من هلك ممن أرسل اليهم موسى عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال أولاد الذين أرسل اليهم من طول الزمان ومات آباؤهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما آمن لموسى الا ذرية من قومه قال أولاد الذين أرسل اليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال أبناء أولئك الذين أرسل اليهم فطال عليهم الزمان وماتت آباؤهم * وقال آخرون بل معنى ذلك فما آمن لموسى الا ذرية من قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال كانت الذرية التى آمنت لموسى من أناس غير بنى اسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وقد روى عن ابن عباس خبر يدل على خلاف هذا القول وذلك ما حدثنى به المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذرية من قومه يقول بنى اسرائيل فهذا الخبر

ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾

﴿ القراآت وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان أجرى بفتح الياء حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمر وابن عامر وحفص ويكون لكم بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التأنيث آلسحر بالمد يزيد وأبو عمرو أن تبوءا بالياء الخراز وحمزة فى الوقف وان شاء لين الهمزة الآخرون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون ابن عامر غير الحلوانى عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفى كلتا القراءتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلوانى عن هشام تتبعان بتشديدها فى الحالين آمنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف بدلا من آمنت حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة والآخرون بالتشديد ﴿ الوقوف نبأنوح م لئلا يوهم أن اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون ٥ من أجر ط على النجح لان التقدير وقد أمرت من المسلمين ٥ بآياتنا ج للفاء ولان أمر النظر للعبرة يقتضى التثبت للتدبر المنذرين ٥ من قبل ط المعتدين ٥

مجرمين ○ مبين ○ لما جاءكم ط بناء على أن التقدير أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله أسحر يستحق الابتداء وسيجيء له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون ○ في الارض ط بمؤمنين ○ عليم ○ ملقون ○ ما جئتم به ط لمن قرأ آلسحر مستفهما السحر ط سيبطله ط المفسدين ○ المجرمون ○ أن يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام المسرفين ○ مسلمين ○ توكلنا ج للعدول مع اتحاد القائل الظالمين ○ لا للعطف الكافرين ○ ج وأقيموا الصلاة ط لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وان أريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين ○ الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله آتيت وربنا تكرار للاول لاجل التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الأليم ○ لا يعلمون ○ وعدوا ط الغرق لا لان قال جواب اذا المسلمين ○ المفسدين ○ آية ط لغافلون ○ ﴿ التفسير لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام من أسلوب الى أسلوب أقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد التي سبق ذكرها في الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها أنه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان أي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أي ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها أن يراد به المكث أي شق عليكم مكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة الا خمسين عاما ولاشك أن من ألف طريقة ويدعى الى خلافها ولاسيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها أن يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون الى علي أرجلهم في الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله (فعلى الله توكلت) أي ان شدة بغضكم لي تحملكم على الاقدام على ايذائي وأنا لا أقابل ذلك الشر

ينبئ عنه أنه كان يرى ان الذرية في هذا الموضع هم بنو اسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون * وأولى هذه الاقوال عندي بتأويل الآية القول الذي ذكرته عن مجاهد وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل اليه موسى من بني اسرائيل فهلكوا قبل أن يقروا بنبوته لطول الزمان فأدركت ذريتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى وانما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لانه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فلأن تكون الهاء في قوله من قومه من ذكر موسى لقربها من ذكره أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها اذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر و بعد فان في قوله على خوف من فرعون وملئهم الدليل الواضح على أن الهاء في قوله الا ذرية من قومه من ذكر موسى لا من ذكر فرعون لانها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام على خوف منه ولم يكن على خوف من فرعون وأما قوله على خوف من فرعون فانه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى فتأويل الكلام فما آمن لموسى الا ذرية من قومه من بني اسرائيل وهم خائفون من فرعون وملئهم أن يفتنوهم وقد زعم بعض أهل العربية أنه انما قيل فما آمن لموسى الا ذرية من قومه لان الذين آمنوا به انما كانت أمهاتهم من بني اسرائيل وآباؤهم من القبط فقيل لهم الذرية من أجل ذلك كما قيل لابناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم أبناء والمعروف من معنى الذرية في كلام العرب أنها أعقاب من نسبت اليه من قبل الرجال والنساء كما قال الله جل ثناؤه ذرية من حملنا مع نوح وكما قال ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ثم قال بعد وزكريا ويحيى وعيسى والياس فجعل من كان من قبل الرجال والنساء من ذرية ابراهيم وأما قوله وملئهم فان الملأ الاشراف وتأويل الكلام على خوف من فرعون ومن أشرافهم واختلف أهل العربية فيمن عنى بالهاء والميم اللتين في قوله وملئهم فقال بعض نحويي البصرة عنى بها الذرية وكأنه وجه الكلام الى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأ الذرية من بني اسرائيل وقال بعض نحويي الكوفة عنى بهما فرعون قال وانما جاز ذلك وفرعون واحد لان الملك اذا ذكر لخوف أو سفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم اليه والى من معه وقال ألا ترى أنك تقول قدم الخليفة فكثر الناس تريد بمن معه وقدم فعلت الاسعار لا تنوي بقدومه قدوم من معه قال وقد يكون أن يريد بفرعون آل فرعون و يحذف آل فرعون فيجوز كما قال واسئل القرية تريد أهل القرية والله أعلم قال ومثله قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال الهاء والميم عائدتان على الذرية ووجه معنى الكلام الى أنه على خوف من فرعون وملأ الذرية لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل اليهم موسى من كان أبوه قبطيا وأمه اسرائيلية فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى وقوله أن يفتنهم يقول كان ايمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب فصدهم عن دينهم و يحملهم على الرجوع عن ايمانهم والكفر بالله وقال أن يفتنهم فوحد ولم يقل أن يفتنوهم (١) لدليل الخبر عن فرعون بذلك أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدم من قوله على خوف من فرعون وملئهم وقوله وان فرعون لعال في الارض يقول تعالى ذكره وان فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه وانه لمن المسرفين وانه لمن المتجاوزين الحق

(١) لعل في العبارة تحريفا شوشها والغرض ظاهر تأمل كتبه مصححه

بالتوكل على الله فان ذلك هجيرى قديما وحديثا وإما قوله فأجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت أنكرت على شيأ فالله حسبى فاعمل ما تريد ولا يحسن أن يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فأجمعوا أمركم اعزموا عليه من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفراء وقال أبو الهيثم أجمع أمره أى جعله جميعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه أنه يقول مرة أفعل كذا ومرة أفعل كذا فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه أى جعله جميعا فهذا هو الاصل فى الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل أجمعت على الامر أى عزمت عليه والفصيح أجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه أى مع شركائكم ومن قرأ بالرفع جعله عطفا على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تأكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما من هم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم أنه عليه السلام قال فى أول الامر فعلى الله توكلت ليدل على أنه واثق بوعد الله جازم بأن تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم أورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا أمركم كأنه قال حصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى أنفسكم شركاءكم الذين تزعمون أن حالكم يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) قال أبو الهيثم أى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم أى التبس وقال الليث لقى غمة من أمره اذا لم يهتد له وقال الزجاج أى ليكن أمركم الذى أجمعتموه ظاهرا منكشفا أى تجاهروننى بالاهلاك

الى الباطل وذلك كفره بالله وتركه الايمان به وجحوده وحدانية الله وادعاؤه لنفسه الالوهة وسفكه الدماء بغير حلها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه يا قوم ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وصدقتم بربوبيته فعليه توكلوا يقول فبه فثقوا ولأمره فسلموا فانه لن يخذل وليه ويسلم من توكل عليه ان كنتم مسلمين يقول ان كنتم مذعنين لله بالطاعة فعليه توكلوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فقال قوم موسى لموسى على الله توكلنا أى به وثقنا واليه فوضنا أمرنا وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يقول جل ثناؤه مخبرا عن قوم موسى أنهم دعوا ربهم فقالوا يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين ولا تمتحنهم بنا يعنون قوم فرعون وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى سألوه ربهم من اعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم فقال بعضهم سألوه أن لا يظهرهم عليهم فيظنوا أنهم خير منهم وأنهم انما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهو ان الآخرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا يظهروا علينا فيروا أنهم خير منا حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال قالوا لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تسلطهم علينا فيفتنونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تسلطهم علينا فيفتنونا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيفتنونا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال أيضا فيفتنونا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تعذبنا بأيدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا فيفتنوا بنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تعذبنا بأيدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا علهم ولا عذبوا فيفتنوا بنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بأيديهم فيفتنوا ويقولوا لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم وما عذبوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تبتلنا ربنا فتجهدنا ونجعله فتنة لهم هذه الفتنة وقرأ فتنة للظالمين قال المشركون حين كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ويرمونهم أليس ذلك فتنة لهم وسوأ لهم وهى بلية للمؤمنين * والصواب من

ويحتمل أن يراد بهذا الامر العيش والحال أى أهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببى غصة وحالكم عليكم غمة أى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا آخر فقال (ثم اقضوا الى) ذلك الامر الذى تريدون بى أى أدوا الى قطعه واحكموا بصحته وامضائه وعن القفال أن فيه تضمينا والمعنى ألقوا الى ما استقر عليه رأيكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام

بقوله (ولا تنظرون) أى عجلوا ذلك بأشد ما تقدرون عليه من غير اهمال ومعلوم أن مثل هذا الكلام لا يصدر الا ممن بلغ فى التوكل الغاية القصوى ثم بين أن كل ما أتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس فقال (فان توليتم) أعرضتم عن نصحى وتذكيرى (فما سألتكم من أجر) فما كان عندى ما ينفركم عنى وتهمونى لاجله من طمع أو غرض عاجل (ان أجرى) ليس أجرى (الا على الله) أى ما نصحتكم الا لوجهه ولا يشينى الا هو وفى الآية نكتة كأنه أراد أنه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى الله توكلت الى آخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الآية (وأمرت أن أكون من المسلمين) أى سواء قبلتم دين الاسلام أو لم تقبلوه فأنا مأمور بأن أكون على دين الاسلام أو مأمور بالاستسلام لكل ما ألقى من قبل هذه الدعوة (فكذبوه) بقوا على تكذيبهم الى آخر المدة المتطاولة (فنجيناه ومن معه فى الفلك) قد ذكرنا فى الأعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنا لك (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لشأن اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (ثم بعثنا من بعده) من بعد نوح (رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) الآية وقدمر تفسيرها فى أواسط الاعراف الا أنه زيد ههنا الفظة به فقيل لتناسب ما قبله وهو كذبوا بآياتنا وكذلك فى الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء (ثم بعثنا من بعدهم) بعد الرسل أو الامم (بآياتنا) يعنى الآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوى آثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات أما قوله (أسحر هذا) فليس بمقول لقوله أتقولون لانهم قطعوا فى قوله ان هذا لسحر مبين بأنه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه أن يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر فى قوله سمعناهم يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة أى مطاعن الناس فكأنه قال أتعيبون الحق وتطعنون ابن

القول فى ذلك أن يقال ان القوم رغبوا الى الله فى أن يجيرهم من أن يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء وكل ما كان من أمر كان لهم مصدة عن اتباع موسى والاقرار به وبما جاءهم به فانه لا شك أنه كان لهم فتنة وكان من أعظم الامور لهم ابعادا من الايمان بالله ورسوله وكذلك من المصدة كان لهم عن الايمان أن لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة فى أنفسهم من بلية تنزل بهم فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادا القوم فرعون عن الايمان بالله بأسبابهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ونجنا يا ربنا برحمتك فخلصنا من أيدى القوم الكافرين قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاشياء القذرة من خدمتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بمصر بيوتا يقال منه تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه وكذلك تبوأ مصحفا اذا اتخذه وبوأته أنا بيتا اذا اتخذته له واجعلوا بيوتكم قبلة يقول واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله واجعلوا بيوتكم قبلة فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حميد عن عكرمة عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة قال مساجد حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال أمروا أن يتخذوها مساجد * قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يفرقون من فرعون وقومه أن يصلوا فقال لهم اجعلوا بيوتكم قبلة يقول اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال خافوا فامروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شبل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا لا يصلون الا فى البيع وكانوا لا يصلون الا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم * قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانت بنو اسرائيل تخاف فرعون فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول مساجد * قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يصلون فى بيوتهم يخافون حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن أبى سنان عن الضحاك أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد حدثنا

فيه ثم أنكر عليهم قولهم فقال أسحر هذا أو يقال مفعول تقولون محذوف وهو قولهم ان هذا لسحر مبين أو يقال جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا منكرين لما جاءهم به أجئتمونا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون حاصل صنيعهم تخييل وتمويه (قالوا أجئتنا لتلفتنا) التركيب يدل على الالتواء ومنه (٧ - ١) الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو

ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا فى بيوتهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال قال أبى زيد اجعلوا فى بيوتكم مساجدكم تصلون فيها تلك القبلة * وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة يعنى الكعبة **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين قال قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا فى بيوتهم وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ألا ترى أنه يقول فى بيوت أذن الله أن ترفع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون أن يصلوا فى الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا فى بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة ثم ذكر مثله سواء * قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا مساجد * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ثم ذكر مثله سواء * قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا مساجد * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة * وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير واجعلوا بيوتكم قبلة قال يقابل بعضها بعضا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى قدمنا بيانه وذلك أن الاغلب من معانى البيوت وان كانت المساجد بيوتا البيوت المسكونة اذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد لان المساجد لها اسم هى به معروفة خاص لها وذلك المساجد فأما البيوت المطلقة بغير وصلها بشئ ولا اضافتها الى شئ فالبيوت المسكونة وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس اياها فى قبل المساجد والصلوات فاذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز توجيه معانى كلام الله الا الى الاغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذى نزل به دون الخفى المجهول مالم تأت دلالة تدل على غير ذلك ولم يكن على قوله واجعلوا بيوتكم قبلة دلالة تقطع

الصرف واللى (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) أى الملك والعز فى أرض مصر قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضا فالنبى صلى الله عليه وسلم اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته اليه وصار أكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل أنهم علموا عدم قبولهم دعوة موسى بأمرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص فى طلب الدنيا والجد فى بقاء الرياسة ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما ان ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين (وما نحن لكما بمؤمنين) ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة فى الاعراف أما قوله ما جئتم به فمعناه الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذى سبق كأنهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع فى وهمه أنه يسأل عن الرجل الذى ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فالاستفهام يبتدأ وجئتم به خبره كأنه قيل أى شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ آلسحر أى أهو لسحر أو السحر جئتم به (ان الله سيبطله) باظهار المعجزة عليه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يؤيده بجميل الخاتمة (ويحق الله الحق) يثبته (بكلماته) بمواعيده أو بما سبق من قضائه أو بأوامره (فما آمن لموسى) أى فى أول أمره (الا ذرية من قومه) قال ابن عباس لفظة الذرية يعبر بها عن القوم على وجه التحقير ولا ريب أن المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد

أولاد من أولاد قومه كأنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف من فرعون أن يصرفهم عن دينهم بتسليط أنواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية أقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وأمهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى أظهر لانه أقرب المذكورين ولما نقل أن الذين آمنوا به كانوا من بني اسرائيل والضمير في (ملئهم) اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو أصحاب يأتمرون له أو المراد آل فرعون بحذف المضاف أو للذرية يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم يدل على ذلك قوله (أن يفتنهم) أي يعذبهم فرعون ثم أكد أسباب الخوف بقوله (وان فرعون لعال) لغالب (في الارض) أرض مصر (وانه لمن المسرفين) في القتل والتعذيب أو لمن المجاوزين الحد لانه من أخس العبيد فادعى الربوبية العليا (وقال موسى) تثبيتا لقومه (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به وبآياته (فعليه توكلوا) خصوه بتفويض أموركم اليه (ان كنتم مسلمين) قال العلماء المؤخر في مثل هذه السورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك قوة فان ضربك زيد فاضربه فكأنه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بأنه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع أموركم اليه وحده (فقالوا) مؤتمرين لموسى (على الله توكلنا) ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنة) أي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم أو صرفهم عن دينهم أو المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في أنا لسنا على الحق ويجوز أن تكون الفتنة بمعنى المفتون أي لا تجعلنا مفتونين بأن تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في أن يصون دينهم عن الفساد أتبعوه سؤال عصمة أنفسهم فقالوا (ونجنا) الآية وفي ذلك دليل على أن عنايتهم

العذر بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب لم يجز لنا توجيهه الى غير الظاهر الذي وصفنا وكذلك القول في قوله قبله وأقيموا الصلاة يقول تعالى ذكره وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها وقوله وبشر المؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام وبشر مقيمي الصلاة المطيعي الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم﴾ يقول تعالى ذكره وقال موسى يا ربنا انك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم وهم الملأ زينة من متاع الدنيا وأثاثها وأموالا من أعيان الذهب والفضة في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك يقول موسى لربه ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا الناس عن سبيلك ويصدوهم عن دينك وقرأ ذلك آخرون ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا هم عن سبيلك فيجوروا عن طريق الهدى فان قال قائل أفكان الله جل ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليضلوا الناس عن دينه أو ليضلوا هم عنه فان كان ذلك أعطاهم ذلك فقد كان منهم ما أعطاهم لأجله فلا عتب عليهم في ذلك قيل ان معنى ذلك بخلاف ما توهمت وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله ليضلوا فقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك ربنا فضلوا عن سبيلك كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا وانما التقطوه فكان لهم قال فهذه اللام تجيء في هذا المعنى وقال بعض نحويي الكوفة هذه اللام لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا هم دعا عليهم وقال آخر هذه اللامات في قوله ليضلوا وليكون لهم عدوا وما أشبهها بتأويل الخفض آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم والتقطوه لكونه لانه قد آلت الحالة الى ذلك والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخفض ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى قال الله تعالى يحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم أي لاعراضكم ولم يحلفوا لاعراضهم وقال الشاعر

سموت ولم تكن أهلا لتسمو * ولكن المضيع قد يصاب

قال وانما يقال وما كنت أهلا للفعل ولا يقال لتفعل الا قليلا قال وهذا منه * والصواب من القول في ذلك عندي أنها لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والاموال لتفتنهم فيه ويضلوا عن سبيلك عبادك عقوبة منك وهذا كما قال جل ثناؤه لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم هذا دعاء من موسى دعا الله على فرعون وملئه أن يغير أموالهم عن هيئتها ويبدلها الى غير الحال التي هي بها وذلك نحو قوله من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها يعني به من قبل أن نغيرها عن هيئتها التي هي بها يقال منه طمست عينه أطمسها وأطمسها طمسا وطموسا وقد تستعمل العرب الطمس في العفو والدثور وفي الاندقاق والدروس كما قال كعب بن زهير

من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك في هذا الموضع فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا ذكر

بصالح الدين فوق اهتمامهم بصالح النفس وهكذا يجب أن تكون عقيدة كل مسلم والله الموفق (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون فى البيوت فمنهم من ذهب الى أنها المساجد كقوله فى بيوت أذن الله أن ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أن يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهى جهة بيت المقدس أو الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنه بأمر الله تعالى فى أيام نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة أى صلوا فى بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة أما السبب فى اتخاذ هذه البيوت فأن يصلوا فى بيوتهم خفية خيفة من الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك فى أول الاسلام بمكة أو المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما أظهر فرعون العداوة الشديدة أمر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل أن يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب أولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلاة واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير فى قوله (وبشر المؤمنين) لان الغرض الأصلى من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذى هو الاصل فى الرسالة وفيه تعظيم لشأن البشارة والمبشر (قال الضعيف مؤلف الكتاب) قد سنح فى خاطرى وقت هذه الكتابة أن الخطاب فى قوله وبشر المؤمنين لنبينا صلى الله عليه وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون البشارة أنه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم أمروا باتخاذ موضع يرجعون اليه البتة للعبادة والله أعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ فى اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر أولا

من قال ذلك حدثنى زكريا بن يحيى بن زائدة قال ثنا حجاج قال ثنى ابن جريج عن عبد الله ابن كثير قال بلغنا عن القرظى فى قوله ربنا اطمس على أموالهم قال اجعل سكرهم حجارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن محمد بن كعب القرظى قال اجعل سكرهم حجارة حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية اطمس على أموالهم قال اجعلها حجارة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله اطمس على أموالهم قال صارت حجارة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن زروعهم تحولت حجارة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن حروثهم صارت حجارة حدثنا المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان ربنا اطمس على أموالهم قال يقولون صارت حجارة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى الحمانى قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله ربنا اطمس على أموالهم قال صارت حجارة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا أن حروثهم صارت حجارة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ربنا اطمس على أموالهم قال جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا اطمس على أموالهم قال قد فعل ذلك وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شئ * وقال آخرون بل معنى ذلك أهلكها ذكر من قال ذلك حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا اطمس على أموالهم قال أهلكها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ربنا اطمس على أموالهم يقول دمر عليهم وأهلك أموالهم وأما قوله واشدد على قلوبهم فانه يعنى واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالايمان كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وقال موسى قبل أن يأتى فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له وحال بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واشدد على قلوبهم يقول واطبع على قلوبهم حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم بالضلالة * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم قال بالضلالة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت

سبب الدعاء عليه فلهذا (قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا) فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب وأثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله (ليضلوا) لام التعليل كأن موسى عليه السلام قال يارب انك أعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل أن يضلوا ففيه دلالة على أنه تعالى تسبب لضلالهم وأراد منهم ذلك والالم ينهى أسبابه ثم شرع في الدعاء عليهم بالطمس على أموالهم والطمس المحو أو المسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل أن نطمس وجوها و بالشد على قلوبهم ومعناه الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر للغائب دعا عليهم بثلاثة أمور بالضلال وبالطمس وبالشد كأنه لما علم بالتجربة وطول الصحبة أن ايمانهم كالمحال أو علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره قائلا ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه واستمر على غيه سلمنا أن قوله ليضلوا ليس دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا أن اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا ولم لا يجوز أن يكون لا مقدرة أي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم أن تضلوا أي أن لا تضلوا أو يكون حرف الاستفهام مقدرا في آتيت على سبيل التعجب أما قوله تعالى (فلا يؤمنوا) فاما أن يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما أن يكون جوابا بالقوله واشدد ويجوز أن يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد (قال قد أجيبت دعوتكما) أضاف الدعوة اليهما لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان الا أنه خص موسى بالذكر في الآية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه

حدثنا عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله واشدد على قلوبهم يقول أهلكهم كفارا وأما قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فان معناه فلا يصدقوا بتوحيد الله و يقروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا يؤمنوا بالله فيما يرون من الآيات حتى يروا العذاب الاليم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال سمعت المنقري يقول فلا يؤمنوا يقول دعا عليهم واختلف أهل العربية في موضع يؤمنوا فقال بعض نحويي البصرة هو نصب لان جواب الامر بالفاء أو يكون دعاء عليهم اذ عصوا وقد حكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول هو نصب عطفا على قوله ليضلوا عن سبيلك وقال آخر منهم وهو قول نحويي الكوفة موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم بمعنى فلا آمنوا كما قال الشاعر

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى * ولا تلقني الا وأنفك راغم

بمعنى فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ولا القينى على الدعاء وكان بعض نحويي الكوفة يقول هو دعاء كأنه قال اللهم فلا يؤمنوا قال وان شئت جعلتها جوابا بالسئلته اياه لان المسئلة خرجت على لفظ الامر فتجعل فلا يؤمنوا في موضع نصب على الجواب وليس بسهل قال ويكون كقول الشاعر

يا ناق سيري عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

قال وليس الجواب بسهل في الدعاء لانه ليس بشرط * والصواب من القول في ذلك أنه في موضع جزم على الدعاء بمعنى فلا آمنوا وانما اخترت ذلك لان ما قبله دعاء وذلك قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فالحاق قوله فلا يؤمنوا اذ كان في سياق ذلك بمعناه أشبه وأولى وأما قوله حتى يروا العذاب الاليم فان ابن عباس كان يقول معناه حتى يروا الغرق وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الغرق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ وهذا خبر من الله عن اجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهرون دعاء هما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم يقول جل ثناؤه قال الله لهما قد أجيبت دعوتكما في فرعون وملئه وأموالهم فان قال قائل وكيف نسبت الاجابة الى اثنين والدعاء انما كان من واحد قيل ان الداعي وان كان واحدا فان الثاني كان مؤمنا وهو هرون فلذلك نسبت الاجابة اليهما لان المؤمن داع وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة في قوله قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون يؤمن فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما وقد زعم بعض أهل العربية أن العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين وأنشد في ذلك

فقلت لصاحبي لا تعجلانا * بنزع أصوله واجتز شيحا

حدثنا ابن وكيع قال ثنا زكريا بن عدى عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمن هرون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وزيد بن حباب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمن هرون * قال ثنا أبو معاوية عن شيخ له عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمن هرون حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمن هرون * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد وعبد الله بن أبى جعفر عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس قال دعا موسى وأمن هرون فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن عكرمة فى قوله قال قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهرون يؤمن فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قد أجيبت دعوتكما لموسى وهرون * قال ابن جريج قال عكرمة أمن هرون على دعاء موسى فقال الله قد أجيبت دعوتكما فاستقيما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان هرون يقول آمين فقال الله قد أجيبت دعوتكما فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها وأما قوله فاستقيما فانه أمر من الله تعالى لموسى وهرون بالاستقامة والثبات على أمرهما من دعاء فرعون وقومه الى الاجابة الى توحيد الله وطاعته الى أن يأتيهم عقاب الله الذى أخبرهما أنه أجابهما فيه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فاستقيما فامضيا لأمرى وهى الاستقامة * قال ابن جريج يقولون ان فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة وقوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يقول ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فتسعجلان قضائى فان وعدى لا خلف له وان وعيدى نازل بفرعون وعذابى واقع به وبقومه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ يقول تعالى ذكره وقطعنا ببنى اسرائيل البحر حتى جاوزوه فأتبعهم فرعون يقول فتبعهم فرعون وجنوده يقال منه أتبعته وتبعته بمعنى واحد وقد كان الكسائى فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول اذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهمز الالف واذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم فانه من اتبعت مشددة التاء غير مهموزة الالف بغيا على موسى وهرون ومن معهما من قومهما من بنى اسرائيل وعدوا يقول واعتداء عليهم وهو مصدر من قولهم عدا فلان على فلان فى الظلم يعدو عليه عدوا مثل غزا يغزو غزوا وقد روى عن بعضهم أنه كان يقرأ بغيا وعدوا وهو أيضا مصدر من قولهم عدا يعدو عدوا مثل علا يعلو علوا حتى اذا أدركه الغرق يقول حتى اذا أحاط به الغرق وفى الكلام متروك قد ترك ذكره لدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه فغرقناه حتى اذا أدركه الغرق وقوله قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة آمنت يقول أقررت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم وهو قراءة عامة

والعدو مجاوزة الحد وفى الآية سؤال وهو أن فرعون تاب ثلاث مرات احداها قوله (آمنت) وثانيتها (أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل) وثالثتها (وأنا من المسلمين) فلم تقبل توبته والجواب من وجوه الاول أنه ايمان اليائس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافى التكليف الثانى انهما لم تكن مقرونة بالاخلاص وانما كانت لدفع البلية الحاضرة والمحنة الناجزة الثالث أن ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد والمخذول كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روى أن بعض بنى اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلعله أراد الايمان بذلك العجل الذى آمنوا بعبادته فى ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سبب زيادة الكفر الخامس أن أكثر اليهود يميلون الى التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكأنه ما آمن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما أنه لو قيل ألف مرة لا اله الا الله لم يصح ايمان الا اذا قرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع روى أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا ما قول الامير فى عبد نشأ فى مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يغرق فى البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبريل اليه خطه فعرفه أما قوله (آلآن) فالمشهور من الأخبار أنه قول جبريل وقيل له قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين أجمل الغرق وأدركك وقوله (وكنت من المفسدين) فى مقابلة قوله

وأنا من المسلمين يروى أن جبريل أخذ يملأ فاه بالطين حين قال آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء أن هذا الخبر غير صحيح لان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب أن يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخر قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه أن يقول لموسى وهرون فقولا له قولا لينا ثم يأمر جبريل بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا بأمر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبريل فائدة اللهم الا أن يقال انه درس حال البحر في فيه في وقت لا ينفعه ايمانه غضبا لله على الكافر قوله (فاليوم ننجيك ببدنك) فيه أقوال منها أن معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد أن تغرق وقوله ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وانما أنت بدن قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور أو المراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شئ ولم يتغير أو عريانا لست الابدان وفيه نوع تهكم كأنه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك أو نخلصك من السجن ولكن بعد أن تموت وقيل ننجيك ببدنك أي نلقيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك أي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب يعرف بها فأخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى عليه السلام وأما قوله (لتكون لمن خلفك آية) فقيل ان قوما اعتقدوا في الهيته وزعموا أن مثله لا يموت فأظهر الله تعالى أمره بأن أخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم وكانت مطروحة على ممر من بني اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى أراد أن يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة به

المدينة والبصرة أنه بفتح الالف من أنه على اعمال آمنت فيها ونصبها به وقرأ آخرون آمنت انه بكسر الالف من انه على ابتداء الخبر وهي قراءة عامة الكوفيين والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد ابن كعب عن عبد الله بن شداد قال اجتمع بعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ستمائة ألف فلما أدركهم فرعون فرأوه قالوا يا موسى أين المخرج فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ويبس لهم البحر وكشف الله عن وجه الارض وخرج فرعون على فرس حصان أدهم على لونه من الدهم ثمانمائة ألف سوى ألوانها من الدواب وكانت تحت جبريل عليه السلام فرس وديق ليس فيها أنثى غيرها وميكائيل يسوقهم لا يشذ رجل منهم الا ضمه الى الناس فلما خرج آخر بني اسرائيل دنا منه جبريل ولصق به فوجد الحصان ريح الانثى فلم يملك فرعون من أمره شيأ وقال أقدموا فليس القوم أحق بالبحر منكم ثم أتبعهم فرعون حتى اذا هم أولهم أن يخرجوا ارتطم ونادى فيها آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين ونودي الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس * وعن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رفعه أحدهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان جبرائيل كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا اله الا الله حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جعل جبرائيل عليه السلام يدس أو يحشو في فم فرعون الطين مخافة أن تدركه الرحمة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن كثير بن زاذان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قال لي جبرائيل يا محمد لو رأيتني وأنا أغطه وأدس من حمئة في فيه مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له يعني فرعون حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فقال جبرائيل يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة حدثني المثنى قال ثني عمرو عن حكام قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قال فرعون لا اله الا الله جعل جبرئيل يحشو في فيه الطين والتراب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال أخبرني من سمع ميمون بن مهران يقول في قوله آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال أخذ جبرئيل من حمأة البحر فضرب بها فاه أو قال ملأ بها فاه مخافة أن تدركه رحمة الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسين بن علي عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال خطب

ما سمعوا منه قوله أنا ربكم الأعلى ليكون ذلك زجرا للعابرين عن مثل طريقته ويعرفوا أنه كان بالامس فى نهاية الجلالة ثم آل أمره الى ما آل فلا يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك بالساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للامم الآتية ثم زجر هذه الامة عن ترك النظر فى الدلائل وحثهم على التأمل والاعتبار فقال (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون)

الضحاك بن قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين قال الله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * قال ثنى أبى عن شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن فرعون لما أدركه الغرق جعل جبرئيل يحثو فى فيه التراب خشية أن يغفر له * قال ثنا محمد بن عبيد عن عيسى بن المغيرة عن ابراهيم التيمى أن جبرئيل عليه السلام قال ما خشيت على أحد من بنى آدم الرحمة الا فرعون فانه حين قال ما قال خشيت أن تصل الى الرب فيرحمه فأخذت من حمأة البحر وزبده فضربت به عينيه ووجهه * قال أخبرنا أبو خالد الاحمر عن عمر بن يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال جبرئيل عليه السلام لقد حشوت فاه الحمأة مخافة أن تدركه الرحمة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره معرفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته واساءته الى نفسه أيام صحته بتماديه فى طغيانه ومعصيته ربه حين فزع اليه فى حال حلول سخطه به ونزول عقابه مستجيرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر وغشيته كرب الموت آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين له المنقادين بالذلة له المعترفين بالعبودية آلآن تقر لله بالعبودية وتستسلم له بالذلة وتخلص له الالوهة وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فأسخطته على نفسك وكنت من المفسدين فى الارض الصادين عن سبيله فهلا وأنت فى مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ يقول تعالى ذكره لفرعون فاليوم نجعلك على نجوة من الارض ببدنك ينظر اليك هالكا من كذب بهلاكك لتكون لمن خلفك آية يقول لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك فينزجرون عن معصية الله والكفر به والسعى فى أرضه بالفساد والنجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الارض ومنه قول أوس بن حجر

فمن بعقوته كمن بنجوته * والمستكن كمن يمشى بقرواح

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن أبى السليل عن قيس بن عباد وغيره قال قالت بنو اسرائيل لموسى انه لم يمت فرعون قال فأخرجه الله اليهم ينظرون اليه مثل الثور الاحمر حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن أبى السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بنى اسرائيل قال فحدثنا ان أول جنود فرعون لما انتهى الى البحر هابت الخيل اللهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها أحسبه أنا قال فانسل فاتبعه قال فلما تتام آخر جنود فرعون فى البحر وخرج آخر بنى اسرائيل أمر البحر فانطبق عليهم فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه قال فرمى به على الساحل كانه ثور أحمر يترا آه بنو اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد فاليوم ننجيك ببدنك قال ببدنه جسده رمى به البحر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح

۞ التأويل وتل عليهم نبأ نوح الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامى فى الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائى الى الله ببراهينه الواضحة فاسألتكم من أجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظى الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء الله فى أرضه وباقى التأويل كما مر فى الأعراف وهكذا فى قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازى ويحق الله الحق أى الذكر بكلماته وهى لا اله الا الله ولو كره أهل الهوى والنفوس الامارة فآمن لموسى القلب الا صفاته أو بعض صفات فرعون النفس بتبديل أخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها أن يصرفهم الى حالها الطبيعية التى جبلت عليها وأوحينا الى موسى القلب وهرون السر أن هيئا لصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا فى عالم النفس السفلى واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق وأقيموا الصلاة أدعوا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة أمرهم أن ينقطعوا أو يقطعوا بتلك الملاذ عن السير فى طلبك ربنا اطمس على أموالهم بمحقها وتحقيرها فى

(١٥ - ابن جرير حادى عشر) نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم علية فى طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب الحق حتى يذيقهم ألم الفطام عن الدنيا ومشتهياتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببنى اسرائيل هم القلب والسر وصفاتها والبحر بحر

الروحانية الملكوتية فأتبعهم فرعون النفس وصفاتها بعد الفطام عن شوائب عالم الملك قهرا وقسرا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته فى لجى بحر الوصال وبلغت أفواج أمواجه الى ساحل البشرية أدرك فرعون النفس الغرق فاستمسك بعروة ذلك الفريق وقال آمنت ومن أمارات أجنبية فرعون النفس من عالم الروح أنه لم يتمسك بحبل التوحيد والمعرفة بيد الصدق والاستقلال ولم يقل آمنت بالله الذى لا اله الا هو وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك أى نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا على كمال قدرتنا وعنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من أهل النجاة والدرجات بعد أن كان من أهل الهلاك والدركات والله حسبنا ﴿ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا

عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاوز موسى البحر بجميع من معه التقى البحر عليهم يعنى على فرعون وقومه فأغرقهم فقال أصحاب موسى انا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فأخرجه فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنكر ذلك طوائف من بنى اسرائيل فقذفه الله على ساحل البحر ينظرون اليه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتكون لمن خلفك آية قال لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك فأخرجه الله آية وعظة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن أبى السليل عن قيس بن عباد أو غيره بنحو حديث ابن عبد الاعلى عن معمر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك * قال ثنا محمد بن بكير عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كذب بعض بنى اسرائيل بموت فرعون فمر به على ساحل البحر ليراه بنو اسرائيل قال كأنه ثور أحمر * وقال آخرون تنجو بجسدك من البحر فتخرج منه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنجى الله فرعون لبنى اسرائيل من البحر فنظروا اليه بعد ما غرق فان قال قائل وما وجه قوله ببدنك وهل يجوز أن ينجيه بغير بدنه فيحتاج الكلام الى أن يقال فيه ببدنك قيل كان جائزا أن ينجيه بهيئته حيا كما دخل البحر فلما كان جائزا ذلك قيل فاليوم ننجيك ببدنك ليعلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ولكن ميتا وقوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس عن آياتنا يعنى عن حججنا وأدلتنا على أن العبادة والالوهة لنا خالصة لغافلون يقول لساهون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا بنى اسرائيل منازل صدق قيل عنى بذلك الشام وبيت المقدس وقيل عنى به الشام ومصر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك مبوأ صدق قال منازل صدق مصر والشام حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مبوأ صدق قال بوأهم الله الشام وبيت المقدس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق الشام وقرأ الى الارض التى باركنا فيها للعالمين وقوله ورزقناهم من الطيبات يقول ورزقنا بنى اسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يقول جل

تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ۞ القرآت بوا نامثل أنشانا ونجعل بالنون يحيى وحماد الآخرون بالياء التحتانية ثم ننجي من الانجاء نصر وروح ويزيد ننجي المؤمنين من الانجاء أيضا على وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالتشديد فيهما ۞ الوقوف الطيبات ج للابتداء بالنفي مع الفاء العلم ط يختلفون ○ من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين ○ لا للعطف الخاسرين ○ لا يؤمنون ○ لا لتعلق لو بما قبلها الأليم ○ يونس ط حين ○ جميعا ط مؤمنين ○ باذن الله ط أي وهو يجعل لا يعقلون ○ والارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون ○ من قبلهم ط من المنتظرين ○ كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل أو يكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجي المؤمنين انجاء كذلك وحقا علينا اعتراض المؤمنين ○ يتوفاكم ج لاحتمال أن يراد وقد أمرت المؤمنين ○ لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستئناف المشركين ○ ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين ○ الا هو ج للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم ○ من ربكم ج لنفسه ج عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ○ ط يحكم الله ج لاحتمال العطف والاستئناف الحاكمين ○ ۞ التفسير لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده أراد أن يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل فقال (ولقد بوأنا) أي أسكنا هم مسكن صدق أو اسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان أو مصدرا والعرب اذا مدحت شيأ أضافته الى الصدق ليعلم أن كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن ويوجد فيه فيكون

تثنا وفما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل أن يبعث محمد النبي صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوة محمد والاقرار به وبعثه غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوبا عندهم فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا فذلك قوله فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبيا لله فوضع العلم مكان المعلوم وكان بعضهم يتأول العلم ههنا كتاب الله ووحيه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم (١) بغيا بينهم قال العلم كتاب الله الذي أنزله وأمره الذي أمرهم به وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم أهل هذه الاهواء هل اقتتلوا الا على البغي قال والبغي وجهان وجه النفاسة في الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها وبغي في العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ويرى نفسه مصيبا عالما فيبغي باصابته وعلمه على هذا المخطئ وقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني اسرائيل فيك يوم القيامة فيما كانوا فيه من أمرى في الدنيا يختلفون بأن يدخل المكذبين بك منهم النار والمؤمنين بك منهم الجنة فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كنت يا محمد في شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزل اليك من أن بني اسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولا الى خلقه لأنهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والانجيل فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من أهل التوراة والانجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والايمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال التوراة والانجيل الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فامنوا به يقول فاسئلهم ان كنت في شك بأنك مكتوب عندهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هم أهل الكتاب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعني أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك نبي الله صلى الله عليه وسلم فان قال قائل أوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شك من خبر الله أنه حق يقين حتى قيل له فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قيل لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم حدثني يعقوب

(١) نظم هذه الآية حتى جاءهم العلم ان ربك وأما آية الجاثية الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا الخ فتنبه

ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فقال لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال ماشك وماسأل حدثني الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ومنصور عن الحسن في هذه الاية قال لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل فان قال فما وجه مخرج هذا الكلام اذ ان كان الامر على ماوصفت قيل قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه ان كنت مملوكي فانته الى أمري والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك أنه عبده كذلك قول الرجل منهم لابنه ان كنت ابني فبرني وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه وان ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم وذكر ذلك بشواهد وأن منه قول الله تعالى واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا في حقيقة خبر الله وصحته والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالما ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا اذ كان القرآن بلسانهم نزل وأما قوله لقد جاءك الحق من ربك الاية فهو خبر من الله مبتدأ يقول تعالى ذكره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك لله رسول وأن هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك ويجدون نعتك عندهم في كتبهم فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته ولو قال قائل ان هذه الاية خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته صلى الله عليه وسلم ممن كان قد أظهر الايمان بلسانه تنبيها له على موضع تعرف حقيقة أمره الذي يزيل اللبس عن قلبه كما قال جل ثناؤه يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما كان قولا غير مدفوعة صحته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكونن يا محمد من الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فتكون ممن غبن حظه وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهي لعنته اياهم بقوله ألا لعنة الله على الظالمين فثبتت عليهم يقال منه حق علي فلان كذا يحق عليه اذا ثبت ذلك عليه ووجب وقوله لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية يقول لا يصدقون بحجج الله ولا يقرون بواحدانية ربهم ولا بأنك لله رسول ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعاينوها حتى يعاينوا العذاب الاليم كما لم يؤمن فرعون وملؤه اذ حقت عليهم كلمة ربك حتى عاينوا العذاب الاليم فحينئذ قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت

المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني اسرائيل اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام فبوأ الصدق الشام ومصر وما يدانيها فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك فقد أورثهم الله جميع ما كان تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا وكانوا على طريقة واحدة حتى قرؤا التوراة فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف وأحدثوا المذاهب المتعددة وإما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع أنزلناهم منزل الصدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا في نعته وصفته وآمن به قوم وبقي على الكفر آخرون وبالجملة فالله تعالى يقضي بين المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شأن كتابهم أو في شأن رسوله حقق حقيقته وحقيقة ما أنزل عليه بقوله (فان كنت في شك) والشك في اللغة ضم الشئ بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر في العقد وشككته بالرمح أي خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكال البيوت المصطفة والشال يضم الى ما يتوهمه شيأ آخر خلافه والخطاب فيه للرسول في الظاهر والمراد أمته كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعيد ذلك (قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني) ولانه لو كان شاكا في شأنه لكان غيره بالشك أولى ويمكن أن يقال الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا عدم وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين

وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمأنينة وفيه استمالة لأمته والحث لهم على السؤال عما كانوا منه فى شك وفيه أن أهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاخبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل الى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل ان نافية أى فما كنت فى شك يعنى لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتأتى منه الشك ومن المسؤل منه قال المحققون هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الدارى وكعب الاحبار لأنهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لأنهم اذا بلغوا حد التواتر وقرؤا آية من التوراة والانجيل تدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لان تلك الآية لما بقيت مع توفر دواعيهم على تحريف نعته كانت من أقوى الدلائل والظاهر أن المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مما أنزلنا اليك وقيل السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال (لقد جاءك الحق من ربك) ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون فى صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا فى الظاهر لنبيه قائلا (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن) الآية والمراد فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين أن له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة أما الاولون فأشار اليهم بقوله (ان الذين حقت) الآية وقدم مثله فى هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع اليأس وموتهم على الكفر مكتوب عند الله وثبت عليهم قوله فى الازل بما يجرى عليهم لكنها كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد

به بنو اسرائيل حين لم ينفعه قيله فكذلك هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك من قومك من عبدة الاوثان وغيرهم لا يؤمنون بك فيتبعونك الا فى الحين الذى لا ينفعهم ايمانهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قال حق عليهم سخط الله بما عصوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حق عليهم سخط الله بما عصوه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾ يقول تعالى ذكره فهلا كانت قرية آمنت وهى كذلك فيما ذكر فى قراءة أبى ومعنى الكلام فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه فنفعها ايمانها ذلك فى ذلك الوقت كما لم ينفع فرعون ايمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه فى غيه واستحقاقه سخط الله بمعصيته الا قوم يونس فانهم نفعهم ايمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم ايمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم وأخرجهم منهم وأخبر خلقه أنه نفعهم ايمانهم خاصة من بين سائر الامم غيرهم فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها بمعنى فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود فكيف نصب قوم وقد علمت أن ما قبل الاستثناء اذا كان جحدا كان ما بعده مرفوعا وأن الصحيح من كلام العرب ما قام أحد الا أخوك وما خرج أحد الا أبوك قيل ان ذلك انما يكون كذلك اذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله وذلك أن الاخ من جنس أحد وكذلك الاب ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله كان الفصيح من كلامهم النصب وذلك لو قلت ما بقى فى الدار أحد الا الوتد وما عندنا أحد الا كلبا أو حمار الان الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد ومنه قول النابغة الذبيانى

• أعيت جوابا وما بالربع من أحد * ثم قال

الا الأوارى لأيا ما أبينها * والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

فنصب الأوارى اذ كان مستثنى من غير جنسه فكذلك نصب قوم يونس لانهم أمة غير الامم الذين استثنوا منهم ومن غير جنسهم وشكلهم وان كانوا من بنى آدم وهذا الاستثناء الذى يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ولو كان قوم يونس بعض الامة الذين استثنوا منهم كان الكلام رفعا ولكنهم كما وصفت وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها يقول لم تكن قرية آمنت فنفعها الايمان اذا نزل بها بأس الله الا قرية يونس قال ابن جريج قال مجاهد فلم تكن قرية آمنت فنفعها ايمانها كما نفع قوم يونس ايمانهم الا قوم يونس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يقول لم يكن هذا فى الامم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فترك الا قوم

وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقدمر أمثال هذه الابحاث مرارا كثيرة وأما الآخرون فذلك قوله (فلولا كانت) أى فهلا حصلت (قرية) واحدة (آمنت) تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل معاينة العذاب (فنفعها ايمانها) لوقوعه فى وقت الاختيار والتكليف دون أوان الياس والاضطرار (الاقوم يونس) هواستثناء منقطع أى ولكن قوم يونس لان أول الكلام جرى على القرية وان كان المراد أهلها وقيل ان لولا فى هذا المقام بمعنى النفى كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الاقوم يونس يروى أن يونس صلى الله عليه وسلم بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجىء فى سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسودها ثلاثة يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فجعل بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى ان الرجل منهم كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا ياحى حين لاحى وياحى محيى الموتى وياحى لا اله الا أنت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ثم بين أن الايمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال (ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا) قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل

يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف الله فى قلوبهم التوبة ولبسوا المسوح وألهوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله أربعين ليلة فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم قال وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بنينوى أرض الموصل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الاقوم يونس قال بلغنا أنهم خرجوا فنزلوا على تل وفرقوا بين كل بهيمة وولدها يدعون الله أربعين ليلة حتى تاب عليهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحمانى عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن صالح المرى عن قتادة عن ابن عباس ان العذاب كان هبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الاقدر ثلثى ميل فلما دعوا كشف الله عنهم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * واسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا قال كما نفع قوم يونس زاد أبو حذيفة فى حديثه قال لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها ايمانها الاقوم يونس متعناهم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ثنا رجل قد قرأ القرآن فى صدره فى امارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحدث عن قوم يونس حين أنذر قومه فكذبوه فأخبرهم ان العذاب يصيبهم ففارقهم فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب (١) لكنهم خرجوا من مساكنهم وصعدوا فى مكان رفيع وأنهم جأروا الى ربهم ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب وأن يرجع اليهم رسولهم قال ففى ذلك أنزل فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين فلم تكن قرية غشيها العذاب ثم أمسك عنها الاقوم يونس خاصة فلما رأى ذلك يونس لكنه ذهب عاتبا على ربه وانطلق مغاضبا وظن أن لن نقدر عليه حتى ركب فى سفينة فأصاب أهلها عاصف الريح فذكر قصة يونس وخبره **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح قال لما رأوا العذاب ينزل فرقوا بين كل أنثى وولدها من الناس والانعام ثم قاموا جميعا فدعوا الله وأخلصوا ايمانهم فرأوا العذاب يكشف عنهم قال يونس حين كشف عنهم العذاب أرجع اليهم وقد كذبتهم وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة فعند ذلك خرج مغضبا وساء ظنه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال لما أرسل يونس الى قومه يدعوهم الى الاسلام وترك ما هم عليه قال فدعاهم فأبوا فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان فى جوف الليل أخذ مخلاته فتزود فيها شيأ ثم خرج فلما أصبحوا تغشاهم العذاب كما يتغشى الانسان الثوب فى القبر ففرقوا بين الانسان وولده وبين البهيمة وولدها ثم عجوا الى الله فقالوا آمنا بما جاء به يونس وصدقنا فكشف الله عنهم العذاب فخرج يونس ينظر العذاب فلم يرشيأ قال جربوا علىّ كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

(١) قوله لكنهم خرجوا وقوله بعد لكنه ذهب لعل لفظ الاستدراك فى الموضعين من زيادة الناسخ تأمل كتبه مصححه

ايمان أهل الارض بالكلية فدل هذا على أنه تعالى ما أراد ايمان الكل وأول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر وأجيب بأن الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الآية وكذا المشيئة على ايمان الالجاء ومشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر أن القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال (أفأنت تكره) فأولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بأن الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام في المكره من هو وما هو الا الله وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على خلق الايمان ومعناه أنه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا أنت بدليل قوله (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس) أي الكفر والفسق (على الذين لا يعقلون) وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون يعني المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على أنه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحجر واذا كان أصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه أولى أجابت المعتزلة بأن المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين أن الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى أمر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض فقال (قل انظروا ماذا في السموات والارض) أي شيء فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر أن التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاء فقال (وما تغني) يحتمل أن تكون ما نافية أي لا تفيد هذه (الآيات والنذر) وهي جمع نذير صفة أو مصدر في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وأن تكون استفهامية للانكار بمعنى أي شيء يغني عنهم ثم قال (فهل ينتظرون) والمراد أن الانبياء المتقدمين

هاج عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال ثنا ابن مسعود في بيت المال قال ان يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم أنه يأتيهم الى ثلاثة أيام ففرقوا بين كل والدة وولدها ثم خرجوا فأروا الى الله واستغفروه فكف الله عنهم العذاب وغدا يونس ينظر العذاب فلم يرشيأ وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فانطلق مغاضبا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا صالح المري عن أبي عمران الجوني عن أبي الجلد جيلان قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال قولوا ياحي حين لا حي وياحي محيي الموتى وياحي لا اله الا أنت فكشف عنهم العذاب ومتعوا الى حين **حدثنا** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال بلغني في حرف ابن مسعود فلولا يقول فهلا وقوله لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا يقول لما صدقوا رسولهم وأقروا بما جاءهم به بعدما أظلهم العذاب وغشيهم أمر الله ونزل بهم البلاء كشفنا عنهم عذاب الهوان والذل في حياتهم الدنيا ومتعناهم الى حين يقول وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم الى حين مماتهم ووقت فناء أعمارهم التي قضيت فناءها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ولو شاء يا محمد ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا بك فصدقوك أنك لي رسول وأن ما جئتهم به وما تدعوهم اليه من توحيد الله واخلاص العبودة له حق ولكن لا يشاء ذلك لانه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولا أنه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور الا من سبقت له السعادة في الكتاب الاول قبل أن يخلق السموات والارض وما فيهن وهؤلاء الذين عجبوا من صدق ايحائنا اليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بانذاره ممن قد سبق له عندي أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ونحو هذا في القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن من قومه الا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول فان قال قائل فما وجه قوله لآمن من في الارض كلهم جميعا فالكل يدل على الجميع والجميع على الكل فما وجه تكرار ذلك وكل واحدة منهما تغني عن الاخرى قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي أهل البصرة جاء بقوله جميعا في هذا الموضع توكيدا كما قال لا تتخذوا الهين اثنين ففي قوله الهين دليل على الاثنين وقال غيره جاء بقوله جميعا بعد كلهم لان جميعا لا تقع الا توكيدا وكلهم يقع توكيدا واسما فلذلك جاء بجميعا بعد كلهم قال ولو قيل انه جمع بينهما ليعلم أن معناهما واحد لجاز ههنا قال وكذلك الهين اثنين العدد كله يفسر به فيقال رأيت قوما أربعة فلما جاء باثنين وقد اكتفى بالعدد منه لانهم يقولون عندي درهم

كانوا يتوعدون كفار زمانهم بأيام مشتملة على أنواع العذاب أو بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه (قل فانتظروا) وفيه تهديد ووعيد بأنه سينزل بهؤلاء مثل ما أنزل بأولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول وأتباعه كما حكى تلك الاحوال الماضية بقوله (ثم ننجي رسلنا) الآية قالت المعتزلة (حقا علينا) المراد به الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيأ ثم أمر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال (قل يا أيها الناس) والمعنى يا أهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا أني مبرأ عن أديانكم الباطلة (ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم) وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق أولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا أولان الموت أشد الاحوال مهابة في القلوب فكان أقوى في الزجر والردع أولانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكأنه قال أعبد الله الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الآية اشارة الى أنه لن يوافقهم في دينهم كيلا يشكوا في أمره ويقطعوا أطماعهم عنه ولما ذكر أنه لا يعبد الا الله بين أنه مأمور بالايمان والمعرفة فقال (وأمرت أن أكون) أي بأن أكون (من المؤمنين) ثم عطف عليه قوله وأن أقم وجهك ولا تدع نظرا الى المعنى كأنه قيل له كن مؤمنا ثم أقم ولا تدع أو المراد وأمرت بكذا وأوحي الى أن أقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه أن يوصل أن بالامر والنهي وشبهه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال ومعنى أقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين أو من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل أو المراد توجه الكلية الى طلب الدين كمن يريد أن ينظر الى شئ نظرا تاما فانه يقيم وجهه في مقابلته لا يصرفه عنه ثم أكد الامر

﴿ القول

ودرهمان فيكفي من قولهم عندي درهم واحد ودرهمان اثنان فاذا قالوا دراهم قالوا ثلاثة لان الجمع يلتبس والواحد والاثنان لا يلتبسان لم يثن الواحد والتثنية على تنافي الجمع لانه ينبغي أن يكون مع كل واحد واحد لان درهما يدل على الجنس الذي هو منه وواحد يدل على كل الاجناس وكذلك اثنان يدلان على كل الاجناس ودرهمان يدلان على أنفسهما فلذلك جاء بالاعداد لانه الاصل وقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه لن يصدق بالله ولن يتبعك ويقر بما جئت به الا من شاء ربك أن يصدق لا باكراهك اياه ولا بحرصك على ذلك أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك يقول له جل ثناؤه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وما كان لنفس خلقتها من سبيل الى تصديق يكون منك يا محمد الا بأن آذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها ثم خلها فان هداها بيد خالقها وكان الثوري يقول في تأويل قوله الا باذن الله ما حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان في قوله وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله قال بقضاء الله وأما قوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فانه يقول تعالى ذكره ان الله يهدي من يشاء من خلقه للايمان بك يا محمد ويأذن له في تصديق فيصدق ويتبعك ويقر بما جئت به من عند ربك ويجعل الرجس وهو العذاب وغضب الله على الذين لا يعقلون يعني الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما دعاهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويجعل الرجس قال السخط ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها وفي الارض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فان في ذلك لكم ان عقلتم وتدبرتم عظة ومعتبرا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات يقول الله جل ثناؤه وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون يقول جل ثناؤه وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار لا يؤمنون بشئ من ذلك ولا يصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم محذرا مشركى قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم نحو الذى حل بنظرائهم من قبلهم من سائر الامم الخالية من قبلهم السالكة فى تكذيب رسل الله وجحود توحيد ربهم سبيلهم فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك المكذبون بما جئتهم به من عند الله الا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام أسلافهم الذين كانوا على مثل الذى هم عليه من الشرك والتكذيب الذين مضوا قبلهم فخلوا من قوم نوح وعاد وثمود قل لهم يا محمد ان كانوا ذلك ينتظرون فانتظروا عقاب الله اياكم ونزول سخطه بكم انى من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التى تحل بكم من الله ﴿ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم يقول وقائع الله فى الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس فى قوله فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين قال خوفهم عذابه ونقمته وعقوبته ثم أخبرهم أنه اذا وقع من ذلك أمر أنجى الله رسله والذين آمنوا معه فقال الله ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الامم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله فان ذلك اذا جاء لم يهلك به سواهم ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك ثم ننجى هنالك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وصدقه واتبعه على دينه كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممهم فأنجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حق على أممهم كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين يقول كما فعلنا بالماضين من رسلنا فأنجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين فننجيك وننجى المؤمنين بك حقا علينا غير شك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا أن أوحيت اليك ان كنتم فى شك أيها الناس من دينى الذى أدعوكم اليه فلم تعلموا أنه حق من عند الله فانى لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنى شيأ فتشكوا فى صحته وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف وانما معنى الكلام ان كنتم فى شك من دينى فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه وانما ينبغى لكم أن تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الاصنام التى لا تعقل شيأ ولا تضر ولا تنفع فأما دينى فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه لأنى أعبد الله الذى يقبض الخلق فيميتهم اذا شاء وينفعهم ويضر من يشاء وذلك أن عبادة من كان كذلك لا يستنكرها ذو فطرة صحيحة وأما عبادة الاوثان فينكرها كل ذى لب وعقل صحيح وقوله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم يقول ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم فيميتكم عند آجالكم وأمرت أن أكون من المؤمنين يقول وهو الذى أمرنى أن أكون من المصدقين بما جاءنى من عنده ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وأن الثانية عطف على أن الاولى ويعنى بقوله أقم وجهك للدين أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا مستقيما عليه غير معوج عنه الى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة

بالنهى عن ضده فقال (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت) أى فان دعوت من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل للاختصار واذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ماسوى مدبر الكل وضع للشئ فى غير موضعه ثم صرح بأنه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لاغيره فقال (وان يمسسك الله) الآية وقد مر تفسير مثلها فى أول سورة الانعام

وثن ولا تكونن من المشركين يقول ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والانداد فتكون من الهالكين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيأ لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة والاصنام يقول لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها فانها لا تنفع ولا تضر فان فعلت ذلك فدعوتها من دون الله فانك اذا من الظالمين يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان يصبك الله يا محمد بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك الا ربك الذي أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد وان يردك بخير يقول وان يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور فلا راد لفضله يقول فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ولا يردك عنه ولا يحرمكه لانه الذي بيده السراء والضراء دون الآلهة والاوثان ودون ما سواه يصيب به من يشاء يقول يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء من يشاء ويريد من عباده وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه الى الايمان به وطاعته الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذبه بعد التوبة والانابة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم يعني كتاب الله فيه بيان كل ما بالناس اليه حاجة من أمر دينهم فمن اهتدى يقول فمن استقام فسلك سبيل الحق وصدق بما جاءه من عند الله من البيان فانما يهتدي لنفسه يقول فانما يستقيم على الهدى ويسلك قصد السبيل لنفسه فايا ها يبغي الخير بفعله ذلك لا لغيرها ومن ضل يقول ومن اعوج عن الحق الذي أتاه من عند الله وخالف دينه وما بعث به محمدا والكتاب الذي أنزله عليه فانما يضل عليها يقول فان ضلاله ذلك انما يجني به على نفسه لا على غيرها لانه لا يؤخذ بذلك غيرها ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه ولا تزر وازرة وزر أخرى وما أنا عليكم بوكيل يقول وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم انما أمركم الى الله وهو الذي يقوم من شاء منكم وانما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أرسلت به اليكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ يقول تعالى ذكره واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه اليك وتنزيله الذي ينزله عليك فاعمل به واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الاذى والمكاره وعلى ما نالك منهم حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل وهو خير الحاكمين يقول وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر وقتلهم بالسيف وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم أو يتوبوا وينيبوا الى طاعته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أنت عليهم بوكيل واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قال هذا منسوخ حتى يحكم الله حكم الله بجهادهم وأمره بالغلظة عليهم والله الموفق للصواب والحمد لله وحده والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

﴿تفسير السورة التي يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ قال

قال الواحدي (وان يردك بخير) من القلب وأصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز ابدال كل واحد منهما بالآخر وأقول في تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على أن الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره في الهداية والضلال فقال (قل يا أيها الناس) الآية وفسرها الاشاعرة بأن من حكم له في الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك وان من حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة في دفعه كما مر في سورة الانعام قد جاءكم

أبو جعفر قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله الر والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده عما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله كتاب أحكمت آياته يعنى هذا الكتاب الذى أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن ورفع قوله كتاب بنية هذا كتاب فأما على قول من زعم أن قوله الر مراد به سائر حروف المعجم التى نزل بها القرآن وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها وان معنى الكلام هذه الحروف كتاب أحكمت آياته فان الكتاب على قوله ينبغى أن يكون مرفوعا بقوله الر وأما قوله أحكمت آياته ثم فصلت فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم تأويله أحكمت آياته بالامر والنهى ثم فصلت بالثواب والعقاب ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنى أبو محمد الثقفى عن الحسن فى قوله كتاب أحكمت آياته ثم فصلت قال أحكمت بالامر والنهى وفصلت بالثواب والعقاب حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الكريم بن محمد الجرجانى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن الر كتاب أحكمت آياته قال أحكمت فى الامر والنهى وفصلت بالوعيد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن رجل عن الحسن الر كتاب أحكمت آياته قال بالامر والنهى ثم فصلت قال بالثواب والعقاب وروى عن الحسن قول خلاف هذا وذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى بكر عن الحسن قال و حدثنا عباد ابن العوام عن رجل عن الحسن قال أحكمت بالثواب والعقاب ثم فصلت بالامر والنهى * وقال آخرون معنى ذلك أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت فبين منها الحلال والحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أحكمت آياته ثم فصلت قال أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بينها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه أحكم الله آياته من الدخل والخلل والباطل ثم فصلها بالامر والنهى وذلك أن احكام الشئ اصلاحه واتقانه واحكام آيات القرآن احكامها من خلل يكون فيها أو باطل يقدر ذو زيغ أن يلحق فيها من قبله وأما تفصيل آياته فانه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهى وكان بعض المفسرين يفسر قوله فصلت بمعنى فسرت وذلك نحو الذى قلنا فيه من القول ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ثم فصلت قال فسرت حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فصلت قال فسرت * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد ثم فصلت قال فسرت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال قتادة معناه بينت وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل وهو شبيه المعنى بقول مجاهد وأما قوله من لدن حكيم خبير فان معناه حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها خبير بما يؤول اليه عواقبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله من لدن حكيم خبير يقول من عند حكيم خبير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير﴾ يقول تعالى ذكره ثم فصلت بأن لا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له وتخلعوا

بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه الآية وقالت المعتزلة المراد أنه بين الشريعة وأزاح العلة وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فانفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس أن الآية منسوخة بآية القتال ولا يخفى ضعفه ثم أمره باتباع الوحى والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر عليه الى أن يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم فى الصبر شعر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى
وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

الآلهة والانداد ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس انني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الاصنام وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته واخلاص العبادة والالوهة له ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يقول تعالى ذكره ثم فصلت آياته بان لا تعبدوا الا الله وبأن استغفروا ربكم ويعني بقوله وأن استغفروا ربكم وأن اعملوا أيها الناس من الاعمال ما يرضى ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الاوثان والاصنام واشراككم الآلهة والانداد في عبادته وقوله ثم توبوا اليه يقول ثم ارجعوا الى ربكم باخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الانداد وبراءتكم من عبادتها ولذلك قيل وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ولم يقل وتوبوا اليه لان التوبة معناها الرجوع الى العمل بطاعة الله والاستغفار استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين والعمل لله لا يكون عملا له الا بعد ترك الشرك به فاما الشرك فان عمله لا يكون الا للشيطان فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة اليه بعد الاستغفار من الشرك لان أهل الشرك كانوا يرون أنهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم وهم على شركهم مقيمون وقوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فانكم اذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها وأنسأ لكم في آجالكم الى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى فأنتم في ذلك المتاع فخذوه بطاعة الله ومعرفة حقه فان الله منعم يحب الشاكرين وأهل الشكر في مزيد من الله وذلك قضاؤه الذي قضى وقوله الى أجل مسمى يعني الموت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الى أجل مسمى قال الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الى أجل مسمى وهو الموت حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الى أجل مسمى قال الموت وأما قوله ويؤت كل ذي فضل فضله فانه يعني يثيب كل من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسبا بذلك مريدا به وجه الله أجزل ثوابه وفضله في الآخرة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويؤت كل ذي فضل فضله قال ما احتسب به من ماله أو عمل بيده أو رجله أو كلمه أو ما تطوع به من أمره كله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال * وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه الا أنه قال أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه وما تطول به من أمره كله حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال وما تطول به من أمره كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويؤت كل ذي فضل فضله أي في الآخرة * وقد روي عن ابن مسعود أنه كان يقول في تأويل ذلك ما حدثت به عن المسيب بن شريك عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود في قوله ويؤت كل ذي فضل فضله قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره وقوله وان تولوا فاني

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني
صبرت على شيء أمر من الصبر

﴿التأويل﴾ ولقد بوأنا بني اسرائيل يعني متولدات الروح العلوي من القلب والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليا في العالم النوراني ورزقناهم من الطيبات من الفيض الرباني الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب فكل ما فاض من صفة الروحانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم

أخاف عليكم عذاب يوم كبير يقول تعالى ذكره وان أعرضوا عما دعوتهم اليه من اخلاص العبادة لله وترك عبادة الآلهة وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة اليه فأدبر واموليين عن ذلك فانى أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وقال جل ثناؤه وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير ولكنه مما قد تقدمه قول والعرب اذا قدمت قبل الكلام قولا خاطبت ثم عادت الى الخبر عن الغائب ثم رجعت بعد الى الخطاب وقد بينا ذلك فى غير موضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذكره الى الله أيها القوم مآبكم ومصيركم فاحذروا عقابه ان توليتم عما أدعوكم اليه من التوبة اليه من عبادتكم الآلهة والاصنام فانه مخلدكم نار جهنم ان هلكتم على شركم قبل التوبة اليه وهو على كل شئ قدير يقول وهو على احيائكم بعد مماتكم وعقابكم على اشراككم به الاوثان وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ألا انهم يثنون صدورهم فقرأته عامة قراء الامصار ألا انهم يثنون صدورهم على تقدير يفعلون من ثنيت والصدور منصوبة واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله فقال بعضهم ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن حصين عن عبد الله بن شداد فى قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عبد الله بن شداد بن الهاد قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان المنافقون اذا مر وابه ثنى أحدهم صدره و يطأطئ رأسه فقال الله ألا انهم يثنون صدورهم الآية حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن حصين قال سمعت عبد الله ابن شداد يقول فى قوله يثنون صدورهم قال كان أحدهم اذا مر بالنبى صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وتغشى بثوبه كى لا يراه النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم اذا فعلوا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال شكا وامتراء فى الحق ليستخفوا من الله ان استطاعوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم شكا وامتراء فى الحق ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال تضيق شكا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال تضيق شكا وامتراء فى الحق قال ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال من جهالتهم به قال الله ألا حين يستغشون ثيابهم فى ظلمة الليل فى أجواف بيوتهم يعلم تلك

فمن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا و بوجه آخر مبوأ صدق بين الاصبعين من أصابع الرحمن فما اختلفوا حتى أدركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاء فان كنت فى شك خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه أبواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن أنه مما يخادع به الاطفال فلا يدرى هل هو من كرامة الاجتباء أو من وخامة الابتلاء فكان النبى صلى الله عليه وسلم من خصوصية انما أنا بشر مثلكم يرتع فى هذه الرياض وباختصاص يوحى الى يسقى بكاسات المناولات

الساعة ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم يحنى ظهره ويستغشى بثوبه * وقال آخرون انما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا انهم يثنون صدورهم الآية قال كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله قال تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون وذلك أخفى ما يكون ابن آدم اذا حنى صدره واستغشى بثوبه وأضمر همه في نفسه فان الله لا يخفى ذلك عليه حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يستغشون ثيابهم قال أخفى ما يكون الانسان اذا أسر في نفسه شيأ وتغطى بثوبه فذلك أخفى ما يكون والله يطلع على ما في نفوسهم والله يعلم ما يسرون وما يعلنون * وقال آخرون انما هذا اخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة وأنهم معه وعلى دينه يقول جل ثناؤه ألا انهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ثم أخبر جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم * وقال آخرون كانوا يفعلون ذلك اذا ناجى بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال هذا حين يناجي بعضهم بعضا وقرأ ألا حين يستغشون ثيابهم الآية وروى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك ألا انهم تثنوني صدورهم على مثال تحلولى الثمرة تفعوعل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس يقرأ ألا انهم تثنوني صدورهم قال كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط الا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم الى السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول سمعت ابن عباس يقرؤها ألا انهم تثنوني صدورهم قال سألته عنها فقال كان ناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن يصيبوا فيفضوا الى السماء * وروى عن ابن عباس في تأويل ذلك قول آخر وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال أخبرت عن عكرمة أن ابن عباس قرأ ألا انهم تثنوني صدورهم وقال ابن عباس تثنوني صدورهم الشك في الله وعمل السيئات يستغشون ثيابهم يستكبر أو يستكن من الله والله يراه يعلم ما يسرون وما يعلنون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ ألا انهم تثنوني صدورهم قال عكرمة تثنوني صدورهم قال الشك في الله وعمل السيئات فيستغشي ثيابه ويستكن من الله والله يراه ويعلم ما يسرون وما يعلنون * والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو ألا انهم يثنون صدورهم على مثال يفعلون والصدور نصب بمعنى يحنون صدورهم ويكبونها كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يثنون صدورهم يقول يكبون حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون ما في قلوبهم ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما عملوا بالليل والنهار حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ألا انهم يثنون صدورهم يقول تثنوني صدورهم وهذا التأويل الذي تأوله الضحاك على

من تلك الحياض فشك عند سكره
أنها من شهود التلوين أو من كشوف
التمكين فأدركته العناية الازلية
فأكرم بخطاب لقد جاءك الحق من
ربك فلا تكونن بل كان هذا النهي
نهي التكوين فما كان ممتريا ولهذا
قال والله لا أشك ولا أسأل الا مثل
أيام الذين خلوا من أنه كل ميسر لما
خلق له قل فانتظروا ظهور ما قدر
لكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم
بالفناء عن النفس وصفاتها
حنيفا طاهرا عن لوث
الالتفات الى
ماسواه
والله أعلم

مذهب قراءة ابن عباس الا أن الذى حدثناه كذا ذكر القراءة فى الرواية فاذا كانت القراءة التى ذكرنا أولى القراءتين فى ذلك بالصواب لاجماع الحجة من القراء عليها فأولى التأويلات بتأويل ذلك تأويل من قال انهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تناجوه بينهم وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لان قوله ليستخفوا منه بمعنى ليستخفوا من الله وان الهاء فى قوله منه عائدة على اسم الله ولم يجر لمحمد ذكر قبل فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهى فى سياق الخبر عن الله فاذ كان ذلك كذلك كانت بأن تكون من ذكر الله أولى واذا صح أن ذلك كذلك كان معلوما أنهم لم يحدثوا أنفسهم أنهم يستخفون من الله الا بجهلهم به فأخبرهم جل ثناؤه أنه لا يخفى عليه سر أمورهم وعلانيتها على أى حال كانوا تغشوا بالثياب أو ظهروا بالبراز فقال ألا حين يستغشون ثيابهم يعنى يتغشون ثيابهم يتغطونها ويلبسون يقال منه استغشى ثوبه وتغشاه قال الله واستغشوا ثيابهم وقالت الخنساء

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها * وتارة أتغشى فضل أطمارى

يعلم ما يسرون يقول جل ثناؤه يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم اذا حنوها على ما فيها وثنوها وما تناجوه بينهم فأخفوه وما يعلنون سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من ايمان وكفر وحق وباطل وخير وشر وما تستجنه عما لم يجنه بعد كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا حين يستغشون ثيابهم يقول يغطون رؤسهم « قال أبو جعفر » فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون فى صدركم الشك فى شئ من توحيده أو أمره أو نهيه أو فيما ألزمكم الايمان به والتصديق فتهلكوا باعتقادكم ذلك والله أعلم

﴿ تم الجزء الحادى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثانى عشر أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الارض الآيات ﴾

الجـــزء الثـــانى عشر

من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه فى التفسير أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره ﴾

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه
« أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على
بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووى
أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه
قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٨ هجريه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم ابن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها وما تدب دابة في الارض والدابة الفاعلة من دب فهو يدب وهو داب وهي دابة ﴿الا على الله رزقها يقول الا ومن الله رزقها الذي يصل اليها هو به متكفل وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد في قوله ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها قال ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعا ولكن ما كان من رزق فمن الله حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها قال كل دابة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها يعني كل دابة والناس منهم * وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن كل ماش فهو دابة وأن معنى الكلام ومادابة في الارض وان من زائدة وقوله ويعلم مستقرها حيث تستقر فيه وذلك مأواها الذي تأوي اليه ليلا أو نهارا ومستودعها الموضع الذي يودعها اما بموتها فيه أو دفنها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال مستقرها حيث تأوي ومستودعها حيث تموت حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويعلم مستقرها يقول حيث تأوي ومستودعها يقول اذا ماتت حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن الحكم عن مقسم عن

أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان

ابن عباس يعلم مستقرها ومستودعها قال المستقر حيث تأوى والمستودع حيث تموت * وقال آخرون مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويعلم مستقرها في الرحم ومستودعها في الصلب مثل التي في الانعام **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويعلم مستقرها ومستودعها قال المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ويعلم مستقرها يقول في الرحم ومستودعها في الصلب * وقال آخرون المستقر في الرحم والمستودع حيث تموت ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي ويعلى وابن فضيل عن اسمعيل عن ابراهيم عن عبدالله ويعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها الارحام ومستودعها الارض التي تموت فيها * قال ثنا عبيدالله عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبدالله ويعلم مستقرها ومستودعها المستقر الرحم والمستودع المكان الذي تموت فيه * وقال آخرون مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث تموت فيه ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع ابن أنس قوله ويعلم مستقرها ومستودعها قال مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث تموت ومن حيث تبعث وانما اخترنا القول الذي اخترناه فيه لان الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزق الدواب من رزق فمنه فاولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام ويعني بقوله كل في كتاب مبين عدد كل دابة ومبلغ أرزاقها وقدر قرارها في مستقرها ومدة لبثها في مستودعها كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب مبين يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدها وهذا اخبار من الله جل ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه أنه قد علم الاشياء كلها وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدها يقول لهم تعالى ذكره فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجدهم فكيف يخفى عليه ما تنطوي عليه نفوسهم اذا ثنوا به صدورهم واستغشوا عليه ثيابهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي اليه مرجعكم أيها الناس جميعا هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام يقول أفيعجز من خلق ذلك من غير شئ أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم وقيل ان الله تعالى ذكره خلق السموات والارض وما فيهن في الايام الستة فاجتزئ في هذا الموضع بذكر خلق السموات والارض من ذكر خلق ما فيهن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني اسمعيل بن أمية عن أيوب ابن خالد عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها من كل دابة يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله في ستة أيام قال بدأ خلق الارض في يومين وقدر فيها أقواتها في يومين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب قال بدأ الله خلق السموات والارض يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وفرغ منها يوم الجمعة فخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة قال فجعل مكان كل يوم ألف سنة

كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾

۞ القرآت وان تولوا باظهار النون وتشديد التاء البزي وابن فليح فاني أخاف بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير غير انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ۞ الوقوف الرق كوفي خبير ٥ لا بناء على أن الا يتعلق بما قبله الا الله ط و بشير ٥ لا للعطف فضله ج كبير ٥ مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستئناف قدير ٥ منه ط ثيابهم لا بناء على ان عامل حين قوله يعلم يعلنون ج الصدور ٥ ومستودعها ط مبين ٥ عملا ط مبين ٥ ما يحبسه ط يستهزؤن ٥ منه ج لحذف جواب لئن أي ليأسن وقيل جوابها انه والاول أوجه كفور ٥ غني ط

فور ٥ لا للاستثناء الصالحات ط كبير ٥ ملك ط نذير ٥ وكيل ٥ ط لان أم استفهام تقريع افتراه ط صادقين ٥ الاهو ج ط للاستفهام مع الفاء مسلمون ٥ يخسرون ٥ الا النار ز بناء على ان ليس بمنزلة حرف النفي والوصل أوجه لان ليس فعل ماض وهو مع ما عطف عليه المجموع جزاء يعملون ٥ ورحمة ط يؤمنون به ط موعده ج لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون ٥ كذبا ط على ربهم الشاني ج لان ما بعده يحتمل أن يكون من قول الأشهاد أو ابتداء اخبار الظالمين ٥ لا عوجا ط من أولياء م لئلا يوهم أن ما بعده صفة أولياء العذاب ط يبصرون ٥ يفترون ٥ الاخسرون ٥ الى ربهم لان ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون ٥ والسميع ط مثلا ط تذكرون ٥

التفسير (الر) ان كان اسما للسورة فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد أو كان معناه أنا الله أرى فقوله (كتاب) خبر مبتدا محذوف أى هذا الكتاب والاشارة اما الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى (أحكمت) نظمت نظما رصينا من غير نقض ونقص أو جعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما أو منعت من الفساد والبطلان من قولهم أحكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح أى لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله على العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنة وعلى أصول جميع الشرائع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعانى فصل انفرد به أو جعلت فصولا سورة سورة

و حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام قال من أيام الآخرة كل يوم مقداره ألف سنة ابتدأ فى الخلق يوم الاحد وختم الخلق يوم الجمعة فسميت الجمعة وسبت يوم السبت فلم يخلق شيأ وقوله وكان عرشه على الماء يقول وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق السموات والارض وما فيهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قول الله وكان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيأ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان عرشه على الماء ينبئكم ربكم تبارك وتعالى كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والارض حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وكان عرشه على الماء قال هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء والأرض حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض قال فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هرون القطان الرازق قالا ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن يعلى ابن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبي رزين قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا المسعودى قال أخبرنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن ابن حصين وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا عليه فجعل يبشرهم ويقولون أعطنا حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا من عنده وجاء قوم آخرون فدخلوا عليه فقالوا جئنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتفقه فى الدين ونسأله عن بدء هذا الامر قال فاقبلوا البشرى اذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا قالوا قبلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر قبل كل شئ ثم خلق سبع سموات ثم أتانى آت فقال تلك ناقتك قد ذهبت فخرجت ينقطع دونها السراب ولوددت أنى تركتها حدثنا محمد بن منصور قال ثنا اسحق بن سليمن قال ثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وكان عرشه على الماء قال كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها أخرى ثم أطبقهما بلؤلؤة واحدة قال ومن دونهما جنتان قال وهى التى لا تعلم نفس أو قال وهما التى لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قال وهى التى لا تعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قول الله وكان عرشه على الماء قال على أى شئ كان الماء قال على متن الريح حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء قال على متن الريح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن سعيد عن ابن عباس مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا ميسر الحلبى عن أرطاة بن المنذر قال سمعت ضمرة يقول ان الله كان عرشه على الماء وخلق السموات والارض بالحق وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق

وآية وآية أو فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها تكاليف العباد (٥) وبين ما يحتاجون اليه فى اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخى فى الحال كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وأحكمت صفة كتاب و (من لدن) صفة ثانية أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكمت وفصلت أى من عنده احكامها وتفصيلها وفى قوله (حكيم خبير) لف ونشر لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الأمور احتج الجبائى بقوله أحكمت ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر من القديم وأجيب بأنه لا نزاع فى حدوث الأصوات والحروف وانما النزاع فى الكلام النفسى وقوله (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أى لأجل ذلك أو يكون أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل ثم قيل للنبى صلى الله عليه وسلم قل لهم لا تعبدوا وجوز فى الكشاف أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله محكيا على لسان النبى صلى الله عليه وسلم يغرى أمته على اختصاص الله بالعبادة كأنه قال ترك عبادة غير الله مثل فضرب الرقاب والضمير فى منه لله عز وجل حالا من نذير وبشير أى انى لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك ويجوز أن يكون منه صلة لنذير أى أنذركم منه ومن عذابه ويكون صلة بشير محذوفا أى أبشركم بثوابه ثم عطف على قوله أن لا تعبدوا قوله (وأن استغفروا) أى اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشئ الذى به يطلب ذلك وهو التوبة فقال (ثم توبوا اليه) فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان آخرا فى الحصول كان أولا فى الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا أى توبوا

شيأ من الخلق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول ان العرش كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض قبضة من صفاء الماء ثم فتح القبضة فارتفع دخان ثم قضاهن سبع سموات فى يومين ثم أخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات فى يومين والسموات فى يومين وخلق الارض فى يومين ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع وقوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا يقول ليختبركم أيكم أحسن عملا يقول أيكم أحسن له طاعة كما حدثنا عن داود بن المحبر قال ثنا عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا يعنى الثقلين وقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك انكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم فتلوت عليهم بذلك تنزيلى ووحيى ليقولن ان هذا الا سحر مبين أى ما هذا الذى تتلوه علينا مما تقول الا سحر لسامعه مبين حقيقته أنه سحر وهذا على تأويل من قرأ ذلك ان هذا الا سحر مبين وأما من قرأ ان هذا الا ساحر مبين فانه يوجه الخبر بذلك عنهم الى أنهم وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه فيما أتاهم به من ذلك ساحر مبين وقد بينا الصواب من القراءة فى ذلك فى نظائره فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد العذاب فلم نعجله لهم وأنسأنا فى آجالهم الى أمة معدودة ووقت محدود وسنين معلومة وأصل الأمة ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين ثم تستعمل فى معان كثيرة ترجع الى معنى الأصل الذى ذكرت وانما قيل للسنين المعدودة والحين فى هذا الموضع ونحوه أمة لان فيها تكون الأمة وانما معنى الكلام ولئن أخرنا عنهم العذاب الى مجىء أمة وانقراض أخرى قبلها * وبنحو الذى قلنا من أن معنى الأمة فى هذا الموضع الأجل والحين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن و حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان الثورى عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس و حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة قال الى أجل محدود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس بمثله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الى أمة معدودة قال أجل معدود حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال الى أجل معدود حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الى أمة معدودة قال الى حين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة يقول أمسكنا عنهم العذاب الى أمة معدودة قال ابن جريج قال مجاهد الى حين

ثم قال توبوا أي أخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من انف الذنوب وقيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار أن يطلب من الله الاعانة في ازالة مالا ينبغي والتوبة سعي الانسان في الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الامتثال أمرين الأول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حياة طيبة ﴿سؤال﴾ كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة وقول النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء وأجيب بأن المراد أن لا يهلكهم بعذاب الاستئصال أو يرزقهم كيف كان والجواب الثاني أن الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا في ذاته هينا عليه مافاته من اللذات العاجلة قانعا بما يصيبه من الخيرات الزائلة قوله (ويؤت) أي في الآخرة (كل ذي فضل فضله) أي موجب فضل ذلك الشخص ومقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمله بحسب تزايد الطاعات وتسمية العمل الحسن فضلا تشريف ويجوز أن يعود الضمير في فضله الى الله تعالى وفيه تنبيه على أن الدرجات في الجنة تتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم أوعد على مخالفة الأمر فقال (وان تولوا) أي تتولوا فحذفت احدى التاءين والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة (فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة الموصوف بالعظم والثقل أيضا ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله (الى الله

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة يقول الى أجل معلوم وقوله ليقولن مايحبسه يقول ليقولن هؤلاء المشركون مايحبسه أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به تكذيبا منهم به وظنا منهم أن ذلك انما أخر عنهم لكذب المتوعد كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قوله ليقولن مايحبسه قال للتكذيب به أو أنه ليس بشيء وقوله ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم يقول تعالى ذكره تحقيقا لوعيده وتصحيحا لخبره ألا يوم يأتيهم العذاب الذي يكذبون به ليس مصروفا عنهم يقول ليس يصرفه عنهم صارف ولا يدفعه عنهم دافع ولكنه يحل بهم فيهلكهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله وكان استهزاؤهم به الذي ذكره الله قبلهم قبل نزوله مايحبسه نقلا بأنبيائه * وبنحو الذي قلنا في ذلك كان بعض أهل التأويل يقول ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قال ماجاءت به أنبياؤهم من الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور﴾ يقول تعالى ذكره ولئن أذقنا الانسان منا رخاء وسعة في الرزق والعيش فبسطنا عليه من الدنيا وهي الرحمة التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع ثم نزعناها منه يقول ثم سلبناه ذلك فأصابته مصائب أجاحته فذهبت به انه ليؤوس كفور يقول يظل قنطا من رحمة الله آيسا من الخير وقوله يؤوس فعول من قول القائل يئس فلان من كذا فهو يؤوس اذا كان ذلك صفته له وقوله كفور يقول هو كفور لنعم أنعم عليه قليل الشكر لربه المتفضل عليه بما كان وهب له من نعمته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور قال يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية فكفور لما بك منها واذا نزعت منك يبتغي لك فراغك فيؤوس من روح الله قنوط من رحمته كذلك المرء المنافق والكافر ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ يقول تعالى ذكره ولئن نحن بسطنا للانسان في دنياه ورزقناه رخاء في عيشه ووسعنا عليه في رزقه وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه ولئن أذقناه نعماء وقوله بعد ضراء مسته يقول بعد ضيق من العيش كان فيه وعسرة كان يعالجها ليقولن ذهب السيآت عني يقول تعالى ذكره ليقولن عند ذلك ذهب الضيق والعسرة عني وزالت الشدائد والمكاره إنه لفرح فخور يقول تعالى ذكره إن الانسان لفرح بالنعم التي يعطاها مسرور بها فخور يقول ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا وما بسط له فيها من العيش وينسى صروفها ونكد العوارض فيها ويدع طلب النعيم الذي يبقى والسرور الذي يدوم فلا يزول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ذهب السيآت عني غرة بالله وجراءة عليه انه لفرح والله لا يحب الفرحين فخور بعد ما أعطى وهو لا يشكر الله ثم استثنى جل ثناؤه من الانسان الذي وصفه بهاتين الصفتين الذين صبروا وعملوا الصالحات وانما جاز استثناؤهم منه لان الانسان بمعنى الجنس ومعنى الجمع وهو كقوله والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال تعالى ذكره إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ان تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها لم يثنهم ذلك عن طاعة الله ولكنهم صبر والأمره وقضائه فان نالوا فيها رخاء وسعة

مرجعكم) أى لاحكم فى ذلك اليوم الا لله ولا رجوع الا الى جزائه وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فاحذروا نكم بعذاب يكون

شكروه وأدوا حقوقه بما آتاهم منها يقول الله أولئك لهم مغفرة يغفرها لهم ولا يفضحهم بها
فى معادهم وأجر كبير يقول ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم ثواب على أعمالهم الصالحة التى عملوها
فى دار الدنيا جزيل وجزاء عظيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج الا الذين صبروا عند البلاء وعملوا الصالحات عند النعمة لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير قال
الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن
يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شئ وكيل﴾ يقول تعالى
ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك ربك أن تبلغه من أمرك
تبليغه ذلك وضائق بما يوحى اليك صدرك فلا تبلغه اياهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء
معه ملك له مصدق بأنه لله رسول يقول تعالى ذكره فبلغهم ما أوحيته اليك فانك انما أنت نذير
تنذرهم عقابى وتحذرهم بأسى على كفرهم بى وانما الآيات التى يسألونكها عندى وفى سلطانى
أنزلها اذا شئت وليس عليك الا البلاغ والانذار والله على كل شئ وكيل يقول والله القيم بكل شئ
وبيده تدبيره فانفذ لما أمرتك به ولا يمنعك مسئلتهم اياك الآيات من تبليغهم وحيى والنفوذ
لأمرى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال الله لنبيه فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك أن تفعل فيه ما أمرت وتدعوا اليه كما أرسلت قالوا لولا أنزل عليه كنز لانرى
معه مالا أين المال أو جاء معه ملك ينذر معه انما أنت نذير فبلغ ما أمرت ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم
به ودلالة على صحة نبوتك هذا القرآن من سائر الآيات غيره اذ كانت الآيات انما تكون لمن أعطيها
دلالة على صدقه لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثلها وهذا القرآن جميع الخلق عجزت عن أن يأتوا
بمثله فان هم قالوا افتريته أى اختلقته وتكذبته ودل على أن معنى الكلام ماذكرنا قوله أم
يقولون افتراه الى آخر الآية ويعنى تعالى ذكره بقوله أم يقولون افتراه أى أيقولون افتراه وقد
دللنا على سبب ادخال العرب أم فى مثل هذا الموضع فقل لهم يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن
مفتريات يعنى مفتعلات مختلقات ان كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى وليس بآية معجزة
كسائر ما سئلته من الآيات كالكنز الذى قلتم هلا أنزل عليه أو الملك الذى قلتم هلا جاء معه نذيرا له
مصدقا فانكم قومى وأنتم من أهل لسانى وأنا رجل منكم ومحال أن أقدر أخلق وحدى مائة سورة
وأربع عشرة سورة ولا تقدروا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها ولا سيما اذا استعنتم
فى ذلك بمن شئتم من الخلق يقول جل ثناؤه قل لهم وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله
يعنى سوى الله لافتراء ذلك واختلاقه من الآلهة فان أنتم لم تقدروا على أن تفتروا عشر سور مثله
فقد تبين لكم أنكم كذبة فى قولكم افتراه وصحت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله
ولم يكن لكم أن تتخيروا الآيات على ربكم وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذبون به أنه من
عند الله مثل الذى تسألون من الحجة وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها وقوله ان كنتم صادقين
لقوله فأتوا بعشر سور مثله وانما هو قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ان كنتم صادقين أن هذا
القرآن افتراه محمد وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك من الآلهة والانداد حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أم يقولون افتراه قد قالوه قل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات وادعوا شهداءكم قال يشهدون أنها مثله هكذا قال القاسم فى حديثه ۞ القول

المعذب به مثله وفيه من التهديد
ما فيه ولكن الآية تتضمن البشارة
من وجه آخر وذلك أن الحاكم
الموصوف بمثل هذه العظمة
والقدرة والاستقلال فى الحكم اذا
رأى عاجزا مشرفا على الهلاك
فانه يرحم عليه ولا يقيم لعذابه وزنا
اللهم لا تخيب رجاءنا فانك واسع
المغفرة ثم ذكر أن التولى عن
الأوامر المذكورة باطنا كالتولى
عنها ظاهرا فقال (ألا انهم يثنون)
يقال ثنى صدره عن الشئ اذا ازور
عنه وانحرف وطوى عنه نفسها
* قال المفسرون وههنا اضمار
أى يثنون صدورهم ويريدون
(ليستخفوا منه) أى من الله ثم كرر
كلمة (ألا) تنبيها على وقت استخفائهم
وهو (حين يستغشون ثيابهم)
أى يريدون الاستخفاء فى وقت
استغشاء الثياب قال الكلبى ثنى
صدورهم كناية عن نفاقهم لما
روى أن طائفة من المشركين منهم
الاخنس بن شريق قالوا اذا أغلقنا
أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا
ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة
محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا
لا حاجة الى الاضمار وقيل انه
حقيقة وذلك أن بعض الكفار
كان اذا مر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثنى صدره وولى ظهره
واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يتلو من القرآن وليقول فى
نفسه ما يشتهى من الطعن ثم
استأنف قوله (يعلم ما يسرون وما
يعلنون) تنبيها على أنه لا فائدة لهم

فى الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسرائر كما أنه عالم بالظواهر ثم أكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا

لمصالحها ومهامها فضلا وامتنانا وكرما والمستودع ماقبل ذلك من الامكنة من صلب أو رحم أو بيضة وقال الفراء مستقرها حيث تأوى اليه ليلا أو نهارا ومستودعها موضعها الذى تموت فيه وقد مر تمام الاقوال فى سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالآية على أن الحرام رزق لأنها تدل على أن ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا أو بحسب الاستحقاق عند المعتزلة شبه النذر ثم انا نرى انسانا لا يأكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعالى رزقا ثم ختم الآية بقوله (كل فى كتاب مبين) أى كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها ثابت فى علم الله أو فى اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته فى قوله ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين يروى أن موسى عليه السلام عند نزول الوحى عليه تعلق قلبه بأهله فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت منها صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضرب بها فخرجت دودة كالذرة وفى فمها شئ يجرى مجرى الغذاء لها فسمع الدودة تقول سبحان من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى ويذكرنى ولا ينسانى ثم أكد دلائل قدرته بقوله (وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء) قال كعب الأحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال أبو بكر الأصم هذا كقولك لاسماء الاعلى الارض وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملصقا بالآخر وعلى هذا فيكون الآن أيضا عرشه على الماء

واحسانا فقال (ومامن دابة) الاية والمستقر مكانها من الارض

فى تأويل قوله تعالى ﴿فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء المشركين فان لم يستجب لكم من تدعونهم دون الله الى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ولم تطيقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك فاعلموا وأيقنوا أنه انما أنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم بعلم الله واذنه وأن محمدا لم يفتره ولا يقدر أن يفتريه وأن لا اله الا هو يقول وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق الا الله الذى له الخلق والأمر فاخلعوا الأنداد والآلهة وأفردوا له العبادة وقد قيل ان قوله فان لم يستجيبوا لكم خطاب من الله لنبيه كأنه قال فان لم يستجب لك هؤلاء الكفار يا محمد فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم الله وذلك تأويل بعيد من المفهوم وقوله فهل أنتم مسلمون يقول فهل أنتم مذعنون له بالطاعة ومخلصون له العبادة بعد ثبوت الحجة عليكم وكان مجاهد يقول عنى بهذا القول أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فهل أنتم مسلمون قال لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون قال لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل فان لم يستجيبوا لكم والخطاب فى أول الكلام قد جرى لواحد وذلك قوله قل فأتوا ولم يقل فان لم يستجيبوا لك على نحو ما قد بينا قبل فى خطاب رئيس القوم وصاحب أمرهم أن العرب تخرج خطابه أحيانا مخرج خطاب الجمع اذ كان خطابه خطابا لأتباعه وجنده وأحيانا مخرج خطاب الواحد اذ كان فى نفسه واحدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴾ يقول تعالى ذكره من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وأثاثها وزينتها يطلب به نوف اليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها وهم فيها يقول وهم فى الدنيا لا يبخسون يقول لا ينقصون أجرها ولكنهم يوفونه فيها * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وهى ما يعطيهم الله من الدنيا بحسناتهم وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله الا لالتماس الدنيا يقول الله أوفيه الذى التمس فى الدنيا من المثابة وحبط عمله الذى كان يعمل التماس الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها قال ثواب ما عملوا فى الدنيا من خير أعطوه فى الدنيا وليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها قال وربما عملوا من خير أعطوه فى الدنيا وليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها قال هى مثل الآية التى فى الروم وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن سعيد بن جبير من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها قال من عمل للدنيا وفيه فى الدنيا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها قال من عمل عملا مما أمر الله به من صلاة أو صدقة لا يريد بها وجه الله أعطاه الله فى الدنيا ثواب ذلك مثل ما أنفق فذلك قوله نوف اليهم أعمالهم فيها فى الدنيا وهم فيها لا يبخسون

وقال فى الكشاف المراد أنه ما كان تحت العرش خلق سوى الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى أن الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما والالزم أن يكون خلقهما قبل أن يعتبر بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه تعالى وقال أبو مسلم العرش البناء أى بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء تحركه شبه سيلان الماء أى وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الآية بيان كمال قدرته فى امساك الجرم العظيم على الصغير أما قوله (ليبلوكم) فالمعتزلة قالوا اللام للتعليل وذلك أنه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وأن يعاملهم معاملة المختبر المبتلى لأحوالهم كيف يعملون فيجازى كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان أحكامه غير معللة بالمصالح ومعناه أنه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر والاستماع فى قولك انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن كلاما قال فى الكشاف الذين هم أحسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم من الفساق والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز أن يقال ان أحسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث أتبع ذلك قوله (ولئن قلت) الآية والاشارة فى قوله (ان هذا الا سحر) الى البعث أى هو باطل كبطلان السحر أو الى القرآن لانه الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وقال القفال

أجرما عملوا فيها أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها الآية **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عيسى يعنى ابن ميمون عن مجاهد فى قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها قال ممن لا يقبل منه جوزى به يعطى ثوابه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عيسى الحرشى عن مجاهد من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها قال ممن لا يقبل منه يعجل له فى الدنيا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أى لا يظلمون يقول من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته فى الدنيا ثم يفضى الى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة وهم فيها لا يبخسون أى فى الآخرة لا يظلمون **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور و **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن قتادة من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآية قال من كان انما همته الدنيا انما يطلب أعطاه الله مالا وأعطاه فيها ما يعيش وكان ذلك قصاصا له بعمله وهم فيها لا يبخسون قال لا يظلمون * قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ليث بن أبى سليم عن محمد بن كعب القرظى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أحسن من محسن فقد وقع أجره على الله فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الآية يقول من عمل عملا صالحا فى غير تقوى يعنى من أهل الشرك أعطى على ذلك أجرا فى الدنيا يصل رحما يعطى سائلا يرحم مضطرا فى نحو هذا من أعمال البر يعجل الله له ثواب عمله فى الدنيا يوسع عليه فى المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع عنه من مكاره الدنيا فى نحو هذا وليس له فى الآخرة من نصيب **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا حفص بن عمر أبو عمر الضرير قال ثنا همام عن قتادة عن أنس فى قوله نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون قال هى فى اليهود والنصارى * قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا يزيد بن زريع عن أبى رجاء الازدى عن الحسن نوف اليهم أعمالهم فيها قال طيباتهم **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن وهيب أنه بلغه أن مجاهدا كان يقول فى هذه الآية هم أهل الرياء هم أهل الرياء * قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال ثنى الوليد ابن أبى الوليد أبو عثمان أن عقبة بن مسلم حدثه أن شفى بن ماتع الاصبحى حدثه أنه دخل المدينة فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا فقالوا أبو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلى قلت أنشدك بحق وبحق لما حدثتنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته قال فقال أبو هريرة أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نشغ نشغة ثم أفاق فقال لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا البيت ما فيه أحد غيرى وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خارا على وجهه واسندته طويلا ثم أفاق فقال حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة نزل الى العباد ليقضى بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول له

معناه أن هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم وبر

قر أساحر فالاشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم بين أنه متى تأخر عنهم العذاب الذى توعدهم الرسول به أخذوا فى الاستهزاء وقالوا ما الذى حبسه عنا فقال (ولئن أخرنا عنهم) الآية والامة اشتقاقها من الأم وهو القصد والمراد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هى فى الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان صلاة العصر أى فى ذلك الحين فالمراد الى حين ينقضى أمة معدودة من الناس وقال فى الكشاف أى جماعة من الاوقات والعذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر عن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين ومعنى ما يحبسه أى شئ يمنعه من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء والتكذيب فأجابهم الله بقوله (ألا يوم يأتيهم) وهو متعلق بخبر ليس أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم واستدل به من جوز تقديم خبر ليس على ليس لانه اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها أولى والا لزم التابع مزية على المتبوع ثم قال (وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) أراد يستعجلون ولكنه وضع يستهزؤن موضعه لان استعجالهم للعذاب كان على وجه الاستهزاء وانما قال وحاق بلفظ الماضى لانه جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان فى حالتى السراء والضراء فقال (ولئن أذقنا الانسان) الآية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء فى قوله الا الذين آمنوا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والنقص والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد وقد مر ذكر

الملائكة كذبت ويقول الله له بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقال له فيما قتلت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له بل أردت أن يقال فلان جرىء وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر لهم النار يوم القيامة * قال الوليد أبو عثمان فأخبرنى عقبة أن شفيا هو الذى دخل على معاوية فأخبره بهذا * قال أبو عثمان وحدثنى العلاء بن أبى حكيم أنه كان سيافا لمعاوية قال فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبى هريرة فقال أبو هريرة وقد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هلك وقلنا هذا الرجل شر ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وقرأ الى وباطل ما كانوا يعملون حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن عيسى بن ميمون عن مجاهد من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية قال ممن لا يتقبل منه يصوم ويصلى يريد به الدنيا ويدفع عنه وهم الآخرة وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين ذكرت أنا نوفيهم أجور أعمالهم فى الدنيا ليس لهم فى الآخرة الا النار يصلونها وحبط ما صنعوا فيها يقول وذهب ما عملوا فى الدنيا وباطل ما كانوا يعملون لانهم كانوا يعملون لغير الله فأبطله الله وأحبط عامله أجره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به﴾ يقول تعالى ذكره أفمن كان على بينة من ربه قد بين له دينه فتبينه ويتلوه شاهد منه واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم يعنى بقوله أفمن كان على بينة من ربه محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خلف قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا شيبان عن قتادة عن عروة عن محمد بن الحنفية قال قلت لابى يا أبت أنت التالى فى ويتلوه شاهد منه قال لا والله يابنى وددت أنى كنت أنا هو ولكنه لسانه حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن ويتلوه شاهد منه قال لسانه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قوله ويتلوه شاهد منه قال لسانه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا الحكم بن عبد الله أبو النعمان العجلى قال ثنا شعبة عن أبى رجاء عن الحسن مثله حدثنى على بن الحسن الأزدى قال ثنا المعافى بن عمران عن قرة بن خالد عن الحسن مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن كان على بينة من ربه وهو محمد كان على بينة من ربه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله ويتلوه شاهد منه قال لسانه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويتلوه شاهد منه قال لسانه هو الشاهد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن شعبة عن أبى رجاء عن الحسن مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن مثله * وقال آخرون يعنى بقوله ويتلوه شاهد منه محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن سليمن العلاف عن الحسين بن على فى قوله ويتلوه شاهد منه قال الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن

وكيع

وكيع قال ثنا غندر عن عوف قال ثنى سليمن العلاف قال بلغنى أن الحسين بن على قال ويتلوه شاهد منه قال محمد صلى الله عليه وسلم * قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن سليمن العلاف سمع الحسين بن على ويتلوه شاهد منه يقول محمد هو الشاهد من الله **حدثنى** يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على بينة من ربه والقرآن يتلوه شاهد منه أيضا من الله بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد أفمن كان على بينة من ربه قال النبى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن نضر بن عربى عن عكرمة مثله * قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله **حدثنا** الحرث قال ثنا أبو خالد سمعت سفيان يقول أفمن كان على بينة من ربه قال محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هو على بن أبى طالب ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا رزيق ابن مرزوق قال ثنا صباح الفراء عن جابر عن عبد الله بن يحيى قال قال على رضى الله عنه ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل فأنت فأى شئ نزل فيك فقال على أما تقرأ الآية التى نزلت فى هود ويتلوه شاهد منه * وقال آخرون هو جبرئيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ويتلوه شاهد منه انه كان يقول جبرئيل **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل و **حدثنا** به أبو كريب مرة أخرى باسناده عن ابراهيم فقال قال يقولون على انما هو جبرئيل **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد قال هو جبرئيل تلا التوراة والانجيل والقرآن وهو الشاهد من الله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان **وحدثنا** محمد بن عبد الله المخرمى قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا سفيان **وحدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى **وحدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم مثله * قال ثنا سهل بن يوسف قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم مثله * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال جبرئيل * قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى صالح ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل * قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أفمن كان على بينة من ربه يعنى محمدا هو على بينة من الله ويتلوه شاهد منه جبرئيل شاهد من الله يتلو على محمد ما بعث به **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية قال هو جبرئيل * قال ثنا أبى عن نضر بن عربى عن عكرمة قال هو جبرئيل * قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال جبرئيل **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أفمن كان على بينة من ربه يعنى محمدا على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فهو جبرئيل شاهد من الله بالذى يتلو من كتاب الله الذى أنزل على محمد قال ويقال ويتلوه شاهد منه يقول يحفظه الملك الذى معه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال كان مجاهد يقول فى قوله أفمن كان على بينة من ربه قال يعنى محمدا ويتلوه شاهد منه قال جبرئيل * وقال آخرون

الكافر ولأن وصف اليأس والكفران والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك أنه يعتقد أن السبب فى حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة أخرى فيقع فى اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها الذهوله عن السعادات الاخروية الروحانية فيظن أنه قد فاز بغاية الامانى ونهاية المقاصد وأما المؤمن فحاله على العكس ولذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير أما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق أقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على أن الانسان لا يصبر عن أقل القليل ولا عليه وفيه أن جميع نعم الدنيا فى قلة الاعتبار وسرعة الزوال تشبه حلم النائمين وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة أو أمن أو جدة ونزعها سلبها واليؤس والكفور بناء للمبالغة والنعماء انعام يظهر أثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك قال الواحدى لانها أخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حوراء وعوراء والسيآت يريد بها المصائب التى ساءته ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا أو ائتنا بالملائكة ليشهدوا لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) واختلفوا فى ذلك البعض فعن ابن عباس أن المشركين قالوا له ائتنا بكتاب ليس فيه شتم آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بكتابك وقال الحسن طلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يترك قوله ان الساعة آتية وأجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول أن يترك بعض ما أوحى الله اليه لانه ينافى المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فأولوا

الآية بأن أمثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير فى أداء الوحى فلهذا خوطب بها أولعله كان على

هو ملك يحفظه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و يتلوه شاهد منه قال معه حافظ من الله ملك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون وسويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن أيوب عن مجاهد و يتلوه شاهد منه قال ملك يحفظه * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عمن سمع مجاهدا و يتلوه شاهد منه قال الملك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و يتلوه شاهد منه يتبعه حافظ من الله ملك **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن مجاهد و يتلوه شاهد منه قال الملك يحفظه يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد و يتلوه شاهد منه قال ملك من الله ملك * وأولى هذه الاقوال التى ذكرناها بالصواب فى تأويل قوله و يتلوه شاهد منه قول من قال هو جبرئيل لدلالة قوله ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة على صحة ذلك وذلك أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لم يتل قبل القرآن كتاب موسى فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال عنى به لسان محمد صلى الله عليه وسلم أو محمد نفسه أو على قول من قال عنى به على ولا يعلم أن أحدا كان تلا ذلك قبل القرآن أو جاء به ممن ذكر أهل التأويل أنه عنى بقوله و يتلوه شاهد منه غير جبرئيل عليه السلام فان قال قائل فان كان ذلك دليلا على أن المعنى به جبرئيل فقد يجب أن تكون القراءة فى قوله ومن قبله كتاب موسى بالنصب لان معنى الكلام على ما تأولت يجب أن يكون و يتلوا القرآن شاهد من الله ومن قبل القرآن كتاب موسى قيل ان القراء فى الامصار قد أجمعت على قراءة ذلك بالرفع فلم يكن لأحد خلافها ولو كانت القراءة جاءت فى ذلك بالنصب كانت قراءة صحيحة ومعنى صحيحا فان قال فما وجه رفعهم اذا الكتاب على ما ادعيت من التأويل قيل وجه رفعهم هذا أنهم ابتدؤا الخبر عن مجئ كتاب موسى قبل كتابنا المنزل على محمد فرفعوه بمن قبله والقراءة كذلك والمعنى الذى ذكرت من معنى تلاوة جبرئيل ذلك قبل القرآن وان المراد من معناه ذلك وان كان الخبر مستأنفا على ما وصفت اكتفاء بدلالة الكلام على معناه وأما قوله اماما فانه نصب على القطع من كتاب موسى وقوله ورحمة عطف على الامام كأنه قيل ومن قبله كتاب موسى اماما لبنى اسرائيل يأتمون به ورحمة من الله تلاه على موسى كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن منصور عن ابراهيم فى قوله ومن قبله كتاب موسى قال من قبله جاء بالكتاب الى موسى وفى الكلام محذوف قد ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه منه وهو أفمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة كمن هو فى الضلالة متردد لا يهتدى لرشد ولا يعرف حقا من باطل ولا يطلب بعمله الا الحياة الدنيا وزينتها وذلك نظير قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة و يرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون والدليل على حقيقة ما قلنا فى ذلك أن ذلك عقيب قوله من كان يريد الحياة الدنيا الآية ثم قيل أهذا خير أمن كان على بينة من ربه والعرب تفعل ذلك كثيرا اذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ما حذفت وذلك كقول الشاعر

وأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

وقوله أولئك يؤمنون به يقول هؤلاء الذين ذكرت يصدقون و يقرون به ان كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون ان محمدا افتراه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن يكفر بهذا القرآن فيجحد أنه من عند الله من الاحزاب وهم المتحزبة على ملة الهم فالنار موعده

انه

ثم بسورة فى يونس وفى البقرة وهذا كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كمثل ما أكتب فاذا عجز قال اكتب عشرة

انه يصير الهافى الآخرة بتكذيبه يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تكُ فى مرية منه يقول فلا تكُ فى شكٍّ منه من أن موعد من كفر بالقرآن من الاحزاب النار وأن هذا القرآن الذى أنزلناه اليكَ من عند الله ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن فقال ان هذا القرآن الذى أنزلناه اليكَ يا محمد الحق من ربكَ لا شكَّ فيه ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأن ذلكَ كذلكَ فان قال قائل أو كان النبى صلى الله عليه وسلم فى شكٍّ من أن القرآن من عند الله وأنه حق حتى قيل له فلا تكُ فى مرية منه قيل هذا نظير قوله فان كنت فى شكٍّ مما أنزلنا اليكَ وقد بيناذلكَ هنالكَ * وبنحو الذى قلنا فى ذلكَ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلكَ حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب قال نبئت أن سعيد بن جبير قال ما بلغنى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه فى كتاب الله تعالى حتى قال لا يسمع بى أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بما أرسلت به الا دخل النار قال سعيد فقلت أين هذا فى كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئكَ يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال من أهل الملل كلها حدثنا محمد بن عبد الله المخرمى وابن وكيع قالا ثنا جعفر ابن عون قال ثنا سفيان عن أيوب عن سعيد بن جبير فى قوله ومن يكفر به من الاحزاب قال من الملل كلها حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن سعيد بن جبير قال كنت لا أسمع بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه أو قال تصديقه فى القرآن فبلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بى أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بما أرسلت به الا دخل النار فجعلت أقول أين مصداقها حتى أتيت على هذه أفمن كان على بينة من ربه الى قوله فالنار موعده قال فالاحزاب الملل كلها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال ثنى أيوب عن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسمع بى من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى فلا يؤمن بى الا دخل النار فجعلت أقول أين مصداقها فى كتاب الله قال وقلما سمعت حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم الا وجدت له تصديقا فى القرآن حتى وجدت هذه الآيات ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده الملل كلها * قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال الكفار أحزاب كلهم على الكفر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه أى يكفر ببعضه وهم اليهود والنصارى قال بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يسمع بى أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ثم يموت قبل أن يؤمن بى الا دخل النار حدثنى المثنى قال ثنا يوسف بن عدى النضرى قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن أبى موسى الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع بى من أمتى أو يهودى أو نصرانى فلم يؤمن بى لم يدخل الجنة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئكَ يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره وأى الناس أشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه أولئكَ يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يعرضون يوم القيامة على ربهم فيسألهم عما كانوا فى دار الدنيا يعملون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا قال الكافر والمنافق أولئكَ يعرضون على ربهم فيسألهم عن أعمالهم وقوله ويقول الأشهاد يعنى الملائكة والانبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون وهم

أسطر مثل ما أكتب فاذا ظهر عجزه عنه قال فى آخر الامر قد اقتصرت منكَ على سطر واحد مثله ثم اذا أراد غاية المبالغة قال قد جوزت لكَ أن تستعين بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال (فان لم يستجيبوا) الى معارضة القرآن أو الى الايمان (لكم) أى لكَ وللمؤمنين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم أو الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) أى ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الظاهرة والغائبة ومعنى الامر راجع الى الثبات أى اثبتوا على ما أنتم عليه من العلم واليقين بشأن القرآن ودوموا على التوحيد الذى استفدتم من القرآن أو دلكم على ذلكَ عجز آلهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الآية بقوله (فهل أنتم مسلمون) وفيه نوع من التهديد كأنه قيل للمسلمين اذا تبينتم صدق قول محمد صلى الله عليه وسلم وازددتم بصيرة وطمأنينة وجب عليكم الزيادة فى الاخلاص والطاعة وتفسير آخر وهو أن يكون الضمير فى لم يستجيبوا لمن فى من استطعتم والخطاب فى لكم للمشركين وكذا فى قوله فاعلموا وفى أنتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنه منزل من عند الله وأن توحيده واجب ثم رغبهم فى أصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل أنتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم أوعد من كانت همته مقصورة على زينة الحياة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا أو عنادا فقال (من كان يريد) الآية عن أنس أنهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان صلى الله

جمع شاهد مثل الاصحاب الذى هو جمع صاحب هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يقول شهد هؤلاء الاشهاد فى الآخرة على هؤلاء المفترين على الله فى الدنيا فيقولون هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا على ربهم يقول الله ألا لعنة الله على الظالمين يقول ألا غضب الله على المعتدين الذى كفروا بربهم * وبنحو ما قلنا فى قوله ويقول الاشهاد قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويقول الاشهاد قال الملائكة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الملائكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقول الاشهاد والاشهاد الملائكة يشهدون على بنى آدم بأعمالهم حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الأشهاد قال الخلائق أو قال الملائكة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويقول الاشهاد الذين كانوا يحفظون أعمالهم عليهم فى الدنيا هؤلاء الذين كذبوا على ربهم حفظوه وشهدوا به عليهم يوم القيامة قال ابن جريج قال مجاهد الاشهاد الملائكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان قال سألت الاعمش عن قوله ويقول الاشهاد قال الملائكة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ويقول الاشهاد يعنى الانبياء والرسل وهو قوله ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء قال وقوله ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم يقولون يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد وهشام عن قتادة عن صفوان بن محرز المازنى قال بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال سمعت نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف كذا فيقول رب أعرف مرتين حتى اذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الأشهاد ألا هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا هشام عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كنا نحدث أنه لا يخزى يومئذ أحد فيخفى خزيه على أحد ممن خلق الله أو الخلائق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون الناس عن الايمان به والاقرار له بالعبودة واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد من مشركى قريش وهم الذين كانوا يفتنون عن الاسلام من دخل فيه ويبغونها عوجا يقول ويلتمسون سبيل الله وهو الاسلام الذى دعا الناس اليه محمد يقول زيغا وميلا عن الاستقامة وهم بالآخرة هم كافرون يقول وهم بالبعث بعد الممات مع صدهم عن سبيل الله وبغيهم اياها عوجا كافرون يقول هم جاحدون ذلك منكرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾ يعنى جل ذكره بقوله أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله يقول جل ثناؤه انهم لم يكونوا بالذين يعجزون ربهم

عليه وسلم يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكرو البعث وقال آخرون هى عامة فى الكافر والمسلم المرائى وقال القاضى المراد من كان يريد بعمل الخير الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم نوصل اليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة يدعى برجل جامع للقرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه آناء الليل والنهار فيقول الله كذبت أردت أن يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك ثم يؤتى بمن قتل فى سبيل الله فيقول قاتلت فى الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال فلان جرىء قال أبو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتى وقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة وروى أن أبا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية فبكى معاوية حتى ظننا أنه هالك ثم أفاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآيتان ثم بين أن بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال (أفمن كان) والمعنى أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أى لا يعقبونهم فى المنزلة عند الله ولا يقاربونهم نظيره اذا أتاك العلماء والجهال فاستأذن الجهال للدخول قبل العلماء فتقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد أن العلماء ينبغى أن يدخلوا أولا ثم الجهال ويمكن أن يقال التقدير أفمن كان (على بينة من ربه)

كمن يريد الحياة الدنيا فحذف الخبر للعلم به ومثله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما واعلم

بهربهم منه في الارض اذا أراد عقابهم والانتقام منهم ولكنهم في قبضته وملكه لا يمتنعون منه اذا أرادهم ولا يفوتونه هربا اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يقول ولم يكن لهؤلاء المشركين اذا أراد عقابهم من دون الله أنصار ينصرونهم من الله ويحولون بينهم وبينه اذا هو عذبهم وقد كانت لهم في الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء وقوله يضاعف لهم العذاب يقول تعالى ذكره يزاد في عذابهم فيجعل لهم مكان الواحد اثنان وقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فانه اختلف في تأويله فقال بعضهم ذلك وصف الله به هؤلاء المشركين أنه قد ختم على سمعهم وأبصارهم وأنهم لا يسمعون الحق ولا يبصرون حجج الله سماع منتفع ولا ابصار مهتد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون صم عن الحق فما يسمعونه بكم فما ينطقون به عمى فلا يبصرونه ولا ينتفعون به حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا خيرا فينتفعوا به ولا يبصروا خيرا فيأخذوا به حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال فلا يستطيعون خاشعة * وقال آخرون انما عنى بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء آلهة الذين يصدون عن سبيل الله وقالوا معنى الكلام أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الارض يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يعني الآلهة أنها لم يكن لها سمع ولا بصر وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه كرهت ذكره لضعف سنده * وقال آخرون معنى ذلك يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه وبما كانوا يبصرون ولا يتأملون حجج الله بأعينهم فيعتبروا بها قالوا والباء كان ينبغي لها أن تدخل لانه قد قال فلهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون بكذبهم في غير موضع من التنزيل أدخلت فيه الباء وسقوطها جائز في الكلام كقولك في الكلام لاحن بما فيك ما علمت وبما علمت وهذا قول قاله بعض أهل العربية والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله ابن عباس وقتادة من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ولا يبصرونه ابصار مهتد لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم في طاعة الله وقد كانت لهم أسماع وأبصار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله بادعائهم له شركاء فسلك ما كانوا يدعونه الها من دون الله غير مسلكهم وأخذ طريقا غير طريقهم فضل عنهم لانه سلك بهم الى جهنم وصارت آلهتهم عدما لا شئ لانها كانت في الدنيا حجارة أو خشبا أو نحاسا أو كان الله وليا فسلك به الى الجنة وذلك أيضا غير مسلكهم وذلك أيضا ضلال عنهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ يقول تعالى ذكره حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا في الآخرة هم الأخسرون الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار وذلك هو الخسران المبين وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم جرمت كسبت الذنب وأجرمته وان العرب كثيرا ما تستعملها اياه في مواضع الأيمان وفي مواضع لابد كقولهم لا جرم أنك ذاهب بمعنى لابد حتى استعملوا ذلك في مواضع التحقيق فقالوا لا جرم

آناء الليل ساجدا وقائما واعلم أن أول هذه الآية يشتمل على ألفاظ أربعة مجملة الاول أن هذا الذي وصفه الله بأنه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه أهو من التلاوة أم من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها أقوال أصحها أن معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي هو على البينة مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتأويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القرآن ومنه أي من الله أو من القرآن المتقدم ذكره في قوله أم يقولون افتراه (ومن قبله كتاب موسى) أي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة حال كونها (اماما) أو أعني اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل أن المعارف اليقينية المكتسبة اما أن يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما أن يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالآخر كان المطلوب أوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلاثة جميعا البينة وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه الصالح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة

هذا الدين شك ولا ارتياب وقيل أفمن كان محمد صلى الله عليه وسلم والبينة القرآن ويتلوه يقرؤه شاهد هو جبرائيل نزل بأمر الله وقرأ القرآن

على محمد أو شاهد من محمد هو لسانه أو شاهد هو بعض محمد يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو يتلوه أي يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي صلى الله عليه وسلم هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس أنه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القرآن ويتلوه يعقب القرآن شاهد من الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أو الانجيل لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله أو ذلك الشاهد كون القرآن واقعا على وجه يعرف المتأمل فيه اعجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله (أولئك يؤمنون به) أي بالقرآن ثم أوعد غيرهم بقوله (ومن يكفر به من الاحزاب) يعني أهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس (فالنار موعده فلا تك في مرية) في شك (منه) من القرآن أو من الموعد ولما أبطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحياة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله أفمن كان على بينة أراد أن يبطل ما كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها شفعاء تشفع لهم فقال (ومن أظلم) ثم قال (أولئك يعرضون) لم يحمل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف أراد أنهم يعرضون فيفضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم أنهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال أو المراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بأمر الله من الانبياء والمؤمنين

فانهما

ليقومن بمعنى حقا ليقومن فمعنى الكلام لامنع عن أنهم ولا صد عن أنهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا في الدنيا بطاعة الله وأخبتوا الى ربهم * واختلف أهل التأويل في معنى الاخبات فقال بعضهم معنى ذلك وأنابوا الى ربهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم قال الاخبات الانابة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخبتوا الى ربهم يقول وأنابوا الى ربهم * وقال آخرون معنى ذلك وخافوا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وأخبتوا الى ربهم يقول خافوا * وقال آخرون معناه اطمأنوا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخبتوا الى ربهم قال اطمأنوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك خشعوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأخبتوا الى ربهم الاخبات التخشع والتواضع * قال أبو جعفر وهذه الاقوال متقاربة المعاني وان اختلفت ألفاظها لان الانابة الى الله من خوف الله ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة والطمأنينة اليه من الخشوع له غير أن نفس الاخبات عند العرب الخشوع والتواضع وقال الى ربهم ومعناه وأخبتوا لربهم وذلك ان العرب تضع اللام موضع الى والى موضع اللام كثيرا كما قال تعالى بأن ربك أوحى لها بمعنى أوحى اليها وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك لانهم وصفوا بأنهم عمدوا باخباتهم الى الله وقوله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها ولكنهم فيها لابثون الى غير نهاية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ﴾ يقول تعالى ذكره مثل فريق الكفر والايمان كمثل الاعمى الذي لا يرى بعينه شيأ والاصم الذي لا يسمع شيأ فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به لشغله بكفره بالله وغلبة خذلان الله عليه لا يسمع داعي الله الى الرشاد فيجيبه الى الهدى فيهتدي به فهو مقيم في ضلالته يتردد في حيرته والسميع والبصير فكذلك فريق الايمان أبصر بحجج الله وأقر بما دلت عليه من توحيد الله والبراءة من الآلهة والانداد ونبوة الانبياء عليهم السلام وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع قال الاعمى والاصم الكافر والبصير والسميع المؤمن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع الفريقان الكافران والمؤمنان فأما الاعمى والاصم فالكافران وأما البصير والسميع فهما المؤمنان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع الآية هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه وعمي عنه فلا يبصره وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به يقول تعالى هل يستويان مثلا يقول هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتيهما في أنفسهما عندكم أيها الناس

أو أرادأنهم يحبسون فى المواقف وتعرض أعمالهم على الرب قال مجاهد الأشهاد الملائكة الحفظة وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الأشهاد أى الناس وقيل هم الأنبياء لقوله ولنسألن المرسلين والأشهاد اما جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد كشريف وأشراف قال أبو على وهذا أرجح لكثرة ورود شهيد فى القرآن ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة فى اعتبار قول الأشهاد المبالغة فى اظهار الفضيحة وباقى الآية قدمر تفسيرمثلها فى الاعراف (أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض) أى لم يكن يمكنهم أن يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد والضعيف والقوى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) تنصرهم وتمنعهم من عقابه جمع تعالى بين مايرجع اليهم وبين مايرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم فى الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل هذا من كلام الأشهاد والمراد أنه تعالى لو شاء عقابهم فى الدنيا لعاقبهم ولكنه أراد انظارهم وتأخيرهم الى هذا اليوم (يضاعف لهم العذاب) من قبل الكفر والصد أى الضلال والاضلال (ما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه فى الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بتخليق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن الوقوف على دلائل الحق ويوافقه ماروى عن ابن عباس أنه قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان فى الدنيا وذلك قوله ما كانوا يستطيعون الآية وفى الآخرة كما قال يدعون الى

فانهما لا يستويان عندكم فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله أفلا تذكرون يقول جل ثناؤه أفلا تعتبرون أيها الناس وتتفكرون فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما فتنزجروا عما أنتم عليه من الضلال الى الهدى ومن الكفر الى الايمان فالاعمى والاصم والبصير والسميع فى اللفظ أربعة وفى المعنى اثنان ولذلك قيل هل يستويان مثلا وقيل كالاعمى والاصم والمعنى كالاعمى الاصم وكذلك قيل والبصير والسميع والمعنى البصير السميع كقول القائل قام الظريف العاقل وهو ينعت بذلك شخصا واحدا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم أيها القوم نذير من الله أنذركم بأسه على كفركم به فامتنوا به وأطيعوا أمره ويعنى بقوله مبين يبين لكم عما أرسل به اليكم من أمر الله ونهيه * واختلفت القراء فى قراءة قوله انى فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض المدنيين بكسر ان على وجه الابتداء اذ كان فى الارسال معنى القول وقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة بفتح ان على اعمال الارسال فيها كأن معنى الكلام عندهم لقد أرسلنا نوحا الى قومه بأنى لكم نذير مبين * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان متفقتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ كان مصيبا للصواب فى ذلك وقوله أن لا تعبدوا الا الله فمن كسر الالف فى قوله انى جعل قوله أرسلنا عاملا فى أن التى فى قوله أن لا تعبدوا الا الله ويصير المعنى حينئذ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أن لا تعبدوا الا الله وقل لهم انى لكم نذير مبين ومن فتحها رد أن فى قوله أن لا تعبدوا على علمها فيكون المعنى حينئذ لقد أرسلنا نوحا الى قومه بأنى لكم نذير مبين بأن لا تعبدوا الا الله ويعنى بقوله بأن لا تعبدوا الا الله أيها الناس (١) عبادة الآلهة والاوثان واشراكها فى عبادته وأفردوا الله بالتوحيد وأخلصوا له العبادة فانه لا شريك له فى خلقه وقوله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم يقول انى أيها القوم ان لم تخصوا الله بالعبادة وتفردوه بالتوحيد وتخلعوا ما دونه من الانداد والاوثان أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذب فيه وجعل الاليم من صفة اليوم وهو من صفة العذاب اذ كان العذاب فيه كما قيل وجعل الليل سكنا وانما السكن من صفة ما سكن فيه دون الليل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ يقول تعالى ذكره فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم وهم الملأ الذين كفروا بالله وجحدوا نبوة نبيهم نوح عليه السلام ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا يعنون بذلك أنه آدمى مثلهم فى الخلق والصورة والجنس كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا الى خلقه وقوله وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى يقول وما نراك اتبعك الا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والاشراف فيما نرى ويظهر لنا وقوله بادى الرأى اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والعراق بادى الرأى بغير همز البادى وبهمز الرأى بمعنى ظاهر الرأى من قولهم بدا الشئ يبدو اذا ظهر كما قال الراجز

أضحى نخالى شبهى بادى بدى * وصار للفحل لسانى ويدى

بادى بدى بغير همز وقال آخر * وقد علتنى ذرأة بادى بدى * وقرأ ذلك بعض أهل البصرة بادئ الرأى مهموزا أيضا بمعنى مبتدأ الرأى من قولهم بدأت بهذا الامر اذا ابتدأت به قبل غيره * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندنا قراءة من قرأ بادى بغير همز البادى وبهمز الرأى لان معنى ذلك الكلام الا الذين هم أراذلنا فى ظاهر الرأى وفيما يظهر لنا وقوله وما نرى لكم علينا من فضل يقول

(١) لعله أيها الناس اتركوا عبادة الخ وحرر كتبه مصححه

السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول القائل هذا الكلام مما لا أستطيع أن أسمعه وهذا الشخص لا أستطيع أن أبصره والمراد بالاولياء الاصنام كأنه قال الذى سموه أولياء ليسوا فى الحقيقة بأولياء ثم نفى كونهم أولياء بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا وعيد واعلم أنه سبحانه وصف الكفار فى هذه الآيات بصفات كثيرة الاولى ومن أظلم ممن افترى الثانية أولئك يعرضون أى فى موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزى والفضيحة فى قوله ويقول الأشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم فى القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالآخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار أولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من أولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشرة والثانية عشرة ما كانوا يستطيعون الآية الثالثة عشرة أولئك الذين خسروا أنفسهم وقدمر فى الانعام الرابعة عشرة وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق فى يونس الخامسة عشرة لاجرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لابد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفى وجرم أى قطع معناه لا قطع قاطع أنهم فى الآخرة هم الأخسرون) وقال الزجاج لا نفى لما ظنوا أنه ينفعهم وجرم معناه كسب والمعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهرى وهذا من أحسن ما قيل فى هذه اللفظة قوله فى وعد المؤمنين وأخبتوا الى

وما نتبين لكم علينا من فضل نأتموه بمخالفتكم إيانا فى عبادة الاوثان الى عبادة الله واخلاص العبادة له فنتبعكم طلب ذلك الفضل وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا بل نظنكم كاذبين وهذا خطاب من نوح عليه السلام وذلك أنهم انما كذبوا نوحا دون أتباعه لان أتباعه لم يكونوا رسلا وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع كما قيل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وتأويل الكلام بل نظنك يا نوح فى دعواك أن الله ابتعثك الينا رسولا كاذبا وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله بادى الرأى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى قال فيما ظهر لنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه اذ كذبوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى على علم ومعرفة وبيان من الله لى ما يلزمنى له ويجب على من اخلاص العبادة له وترك اشراك الاوثان معه فيها وآتانى رحمة من عنده يقول ورزقنى منه التوفيق والنبوة والحكمة فآمنت به وأطعته فيما أمرنى ونهانى فعميت عليكم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة فعميت بفتح العين وتخفيف الميم بمعنى فعميت الرحمة عليكم فلم تهتدوا لها فتقروا بها وتصدقوا رسولكم عليها وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم اعتبارا منهم ذلك بقراءة عبد الله وذلك أنها فيما ذكر فى قراءة عبد الله فعماها عليكم * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه فعميت عليكم بضم العين وتشديد الميم للذى ذكر وامن العلة لمن قرأه ولقربه من قوله أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فأضاف الرحمة الى الله فكذلك تعميته على الآخرين بالاضافة اليه أولى وهذه الكلمة مما حولت العرب الفعل عن موضعه وذلك أن الانسان هو الذى يعمى عن ابصار الحق اذ يعمى عن ابصاره والحق لا يوصف بالعمى الا على الاستعمال الذى قد جرى به الكلام وهو فى جوازه لاستعمال العرب اياه نظير قولهم دخل الخاتم فى يدى والخف فى رجلى ومعلوم أن الرجل هى التى تدخل فى الخف والاصبع فى الخاتم ولكنهم استعملوا ذلك كذلك لما كان معلوما المراد فيه وقوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يقول أنأخذكم بالدخول فى الاسلام وقد عماه الله عليكم لها كارهون يقول وأنتم لالزامنا كموها كارهون يقول لا نفعل ذلك ولكن نكل أمركم الى الله حتى يكون هو الذى يقضى فى أمركم ما يريد ويشاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال نوح يا قوم ان كنت على بينة من ربى قال قد عرفتها وعرفت بها أمره وأنه لا اله الا هو وآتانى رحمة من عنده الاسلام والهدى والايمان والحكمة والنبوة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرأيتم ان كنت على بينة من ربى الآية أما والله لو استطاع نبى الله صلى الله عليه وسلم لألزمها قومه ولكن لم يستطع ذلك ولم يملكه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن داود عن أبى العالية قال فى قراءة أبى أنلزمكموها من شطر أنفسنا وأنتم لها كارهون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن الزبير عن ابن عيينة قال أخبرنا عمرو بن دينار قال قرأ ابن عباس أنلزمكموها من شطر أنفسنا قال عبد الله من شطر أنفسنا من تلقاء أنفسنا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال

ربهم) معناه اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهى الارض المطمئنة وفيه اشارة الى أن الاعمال لابد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمئنانهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب وضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل فى بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بأن شبههما تارة بالاعمى والبصير وأخرى بالاصم والسميع واما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع ولا شك أن الفريق الكافر هو الذى وصفه بالصفات الخمس عشرة وأما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله أفمن كان على بينة وقيل المذكورون فى قوله ان الذين آمنوا ثم أنكر تساويهما فى الاحكام والمراتب بقوله (هل يستويان مثلا) أى تشبيها وفى قوله (أفلا تذكرون) تنبيه على أن علاج هذا العمى وهذا الصمم ممكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله تعالى وتوفيقه ﴿ التأويل ﴾ الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعنى ما أنزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا ورأس العلم اللدنى أن تقول لأمتك يا محمد أن لا تعبدوا الا الله وأن استغفروا ربكم مما ضاع من عمركم فى غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقى فى المقامات العلية الى أجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذى فضل فضله أى يؤت كل ذى صدق

ثنا سفيان عن داود بن أبى هند عن أبى العالية عن أبى بن كعب أنلزمكموها من شطر قلوبنا وأنتم لها كارهون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و ياقوم لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ وهذا أيضا خبر من الله عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم ياقوم لا أسألكم على نصيحتى لكم ودعايتكم الى توحيد الله واخلاص العبادة له مالا أجرا على ذلك فتتهمونى فى نصيحتى وتظنون أن فعلى ذلك طلب عرض من أعراض الدنيا ان أجرى الا على الله يقول ما ثواب نصيحتى لكم ودعايتكم الى ما أدعوكم اليه الا على الله فانه هو الذى يجازينى و يثيبنى عليه وما أنا بطارد الذين آمنوا وما أنا بمقص من آمن بالله وأقر بوحدانيته وخلع الاوثان وتبرأ منها بأن لم يكونوا من عليتكم وأشرافكم انهم ملاقو ربهم يقول ان هؤلاء الذين تسألونى طردهم صائرون الى الله والله سائلهم عما كانوا فى الدنيا يعملون لا عن شرفهم وحسبهم وكان قيل نوح ذلك لقومه لان قومه قالوا له كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم قال قالوا له يا نوح ان أحببت أن نتبعك فاطردهم والا فلن نرضى أن نكون نحن وهم فى الامر سواء فقال ما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم فيسألهم عن أعمالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وحدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح جميعا عن مجاهد قوله ان أجرى الا على الله قال جزائى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقوله ولكنى أراكم قوما تجهلون يقول ولكنى أيها القوم أراكم قوما تجهلون الواجب عليكم من حق الله واللازم لكم من فرائضه ولذلك من جهلكم سألتمونى أن أطرد الذين آمنوا بالله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ و ياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ﴾ يقول و ياقوم من ينصرنى فيمنعنى من الله ان هو عاقبنى على طردى المؤمنين الموحدين الله ان طردتهم أفلا تذكرون يقول أفلا تتفكرون فيما تقولون فتعلمون خطأه فتتوبوا عنه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين ﴾ وقوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله عطف على قوله و ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ومعنى الكلام و ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لا يفنيها شئ فأدعوكم الى اتباعى عليها ولا أعلم أيضا الغيب يعنى ما خفى من سرائر العباد فان ذلك لا يعلمه الا الله فأدعى الربوبية وأدعوكم الى عبادتى ولا أقول أيضا انى ملك من الملائكة أرسلت اليكم فأكون كاذبا فى دعواى ذلك بل أنا بشر مثلكم كما تقولون أمرت بدعائكم الى الله وقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا يقول ولا أقول للذين اتبعونى وآمنوا بالله ووحدوه الذين تستحقرهم أعينكم وقلتم انهم أراذلكم لن يؤتيكم الله خيرا وذلك الايمان بالله الله أعلم بما فى أنفسهم يقول الله أعلم بضمائر صدورهم واعتقاد قلوبهم وهو ولى أمرهم فى ذلك وانما لى منهم ما ظهر وبدا وقد أظهروا الايمان بالله واتبعونى فلا أطردهم ولا أستحل ذلك انى اذا لمن الظالمين يقول انى ان قلت لهؤلاء الذين أظهروا الايمان بالله وتصديق لن يؤتيهم الله خيرا وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لى على غير علم منى بما فى نفوسهم وطردتهم بفعلى ذلك لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله المعتدين ما أمرهم الله به وذلك هو الظلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن

واجتهاد فى الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل أن المتاع الحسن فى مراتب السير الى الله وابتاء الفضل فى درجات السير فى الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الاحين يستغشون ثياب الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان النور المرشش ومن نقص الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من ثنى الصدور انه عليم بذات الصدور أى بما فى الصدور من القلوب الظلمانية ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها الان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاؤه يجب أن يكون ملائما لمزاجه فعلى ذمة كرم الله أنه كما خلق أجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافقا لمزاج كل منها ثم يهديها الى ما هو أوفق لها ويعلم مستقرها فى العدم كيف قدرها مستعدة للصور المختصة بها ومستودعها الذى تؤل اليه عند ظهور مافيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه محل الابتلاء ومحل السعداء والاشقياء ولئن قلت للاشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة فان الحياة الحقيقة تكون بعد الموت عن الحياة الطبيعية ليقولن الذين كفروا ستروا حسن استعدادهم الفطرى بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين أى كلام مموه لا أصل له ولئن أخرنا عنهم عذاب البعد الى أمة الى حين ظهور ذوق العذاب فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا

﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم

جريج قوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله التى لا يفنيها شئ فأكون انما أدعوكم لتتبعونى عليها لأعطيكم منها ولا أقول انى ملك نزلت من السماء برسالة ما أنا الا بشر مثلكم ولا أعلم الغيب ولا أقول اتبعونى على علم الغيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم نوح لنوح عليه السلام قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فيما عدتك ودعوا له أنك لله رسول يعنى بذلك أنه لن يقدر على شئ من ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جادلتنا قال ماريتنا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قالوا يا نوح قد جادلتنا قال ماريتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا قال ابن جريج تكذيبا بالعذاب وانه باطل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب يا قوم ليس الذى تستعجلون من العذاب الى انما ذلك الى الله لا الى غيره هو الذى يأتيكم به ان شاء وما أنتم بمعجزين يقول ولستم اذا أراد تعذيبكم بمعجزيه أى بفائتيه هربا منه لانكم حيث كنتم فى ملكه وسلطانه وقدرته حكمه عليكم جار ولا ينفعكم نصحى يقول ولا ينفعكم تحذيرى عقوبته ونزول سطوته بكم على كفركم به ان أردت أن أنصح لكم فى تحذيرى اياكم ذلك لان نصحى لا ينفعكم لانكم لا تقبلونه ان كان الله يريد أن يغويكم يقول ان كان الله يريد أن يهلككم بعذابه هو ربكم واليه ترجعون يقول واليه ترددون بعد الهلاك حكى عن طيئ أنها تقول أصبح فلان غاويا أى مريضا وحكى عن غيرهم سماعا منهم أغويت فلانا بمعنى أهلكته وغوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات وذكر أن قول الله فسوف يلقون غيا أى هلاكا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون﴾ يقول تعالى ذكره أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك افترى محمد هذا القرآن وهذا الخبر عن نوح قل لهم ان افتريته فتخرصته واختلقته فعلى اجرامى يقول فعلى اثمى فى افترائى ما افتريت على ربى دونكم لا تؤاخذون بذنبى ولا اثمى ولا أؤاخذ بذنبكم وأنا برىء مما تجرمون يقول وأنا برىء مما تذنبون وتأثمون بربكم من افترائكم عليه ويقال منه أجرمت اجراما وجرمت أجرم جرما كما قال الشاعر

طريد عشيرة ورهين ذنب * بما جرمت يدى وجنى لسانى

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ يقول تعالى ذكره وأوحى الله الى نوح لما حق على قومه القول وأطلهم أمر الله انه لن يؤمن بالله فيوحده ويتبعك على ما تدعوه اليه من قومك الا من قد آمن فصدق بذلك واتبعك فلا تبتئس يقول فلا تستكن ولا تحزن بما كانوا يفعلون فانى مهلكهم ومنقذك منهم ومن اتبعك وأوحى الله ذلك اليه بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وهو تفتعل من البؤس يقال ابتأس فلان بالامر يبتئس ابتئاسا كما قال لبيد بن ربيعة

فى مأتم كنعاج صا * رة يبتئسن بما لقينا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح

كاذبين قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم

عن مجاهد فلا تبتئس قال لا تحزن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فلا تبتئس بما كانوا يفعلون يقول فلا تحزن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قال لا تأس ولا تحزن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وذلك حين دعا عليهم قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قوله فلا تبتئس يقول فلا تأس ولا تحزن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فحينئذ دعا على قومه لما بين الله له أنه لن يؤمن من قومه الا من قد آمن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ﴾ يقول تعالى ذكره وأوحى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وأن اصنع الفلك وهو السفينة كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الفلك السفينة وقوله بأعيننا يقول بعين الله ووحيه كما يأمرك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واصنع الفلك بأعيننا ووحينا وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ الطائر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ووحينا قال كما أمرك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بأعيننا ووحينا كما أمرك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس واصنع الفلك بأعيننا ووحينا قال بعين الله قال ابن جريج قال مجاهد ووحينا قال كما أمرك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بأعيننا ووحينا قال بعين الله ووحيه وقوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون يقول تعالى ذكره ولا تسألنى فى العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك فأكسبوها تعديا منهم عليها بكفرهم بالله الهلاك بالغرق انهم مغرقون بالطوفان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا تخاطبنى قال يقول ولا تراجعنى قال تقدم أن لا يشفع لهم عنده ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره ويصنع نوح السفينة وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه يقول هزؤا من نوح ويقولون له أتحولت نجارا بعد النبوة وتعمل السفينة فى البر فيقول لهم نوح ان تسخروا منا الان تهزؤا منا اليوم فانا نهزأ منكم فى الآخرة كما تهزؤن منا فى الدنيا فسوف تعلمون اذا عاينتم عذاب الله من الذى كان الى نفسه مسيأ منا وكانت صنعة نوح السفينة كما حدثنى المثنى وصالح بن مسمار قالا ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا موسى بن يعقوب قال ثنى قائد مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع أن ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أخبره أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح لرحم أم الصبى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نوح مكث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها

لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى

لا أسألكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال

ثم جعل يعمل سفينة ويمرون فيسألونه فيقول أعملها سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة فى البر فكيف تجرى فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء فى السكك خشيت أم الصبى عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثى الجبل فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بين يديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وبابها فى عرضها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مفضل بن فضالة عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال فانطلق بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه قال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب حام بن نوح قال فضرب الكثيب بعصاه قال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب قال له عيسى هكذا هلكت قال لا ولكن مت وأنا شاب ولكنى ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثر أروث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فلما وقع الفار بحبل السفينة يقرضه أوحى الله الى نوح أن اضرب بين عينى الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت قال بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت قال ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت قال فقلنا يا رسول الله ألا ننطلق به الى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له قال فقال له عد باذن الله قال فعاد ترابا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن عبيد بن عمير الليثى أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعنى قوم نوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا فى المعصية وعظمت فى الارض منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتى قرن الا كان أخبث من القرن الذى قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيأ حتى شكا ذلك من أمرهم نوح الى الله تعالى كما قص الله علينا فى كتابه رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا الى آخر القصة حتى قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الى آخر القصة فلما شكا ذلك منهم نوح الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا أى بعد اليوم انهم مغرقون فأقبل نوح على عمل الفلك ولهى عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه الا هو وجعل قومه يمرون به وهو فى ذلك من عمله فيسخرون منه ويستهزؤن به فيقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب

الامر واستوت على الجودى وقيل بعد اللقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ﴿ القراآت انى لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والآخرون بفتحها بادئ بالهمزة أبو عمرو ونصير الرأى بالياء أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف فعميت مجهولا مشددا حمزة وعلى وخلف وحفص الباقون بضدهما أنلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس أجرى الا بالفتح أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص ولكنى أريكم بالفتح حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ونعيمى ان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بأعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلى وخلف وحفص مجريها بالضم وبالامالة أبو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بنى بفتح الياء عاصم اركب معنا مظهرا عاصم وحمزة عمل على أنه فعل غير بالنصب على وسهل ويعقوب الآخرون عمل غير بالرفع فيهما تسئلن بالنون المشددة المكسورة لادغام النون المخففة فى نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم فى الحالين ابن عامر وقالون بإثبات الياء فى الوصل أبو جعفر ونافع غير قالون بفتح النون المشددة ابن كثير تسألنى بغير نون التأكيد واثبات الياء يخزيه

في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغير ياء في الحالين انى أعظك أن أعوذ بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو

يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ويقولون له فيما يبغي يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة قال واعظم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال ويزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يصنعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وأن يجعله ثلاثة أطباق سفلا ووسطا وعلوا وأن يجعل فيه كوى ففعل نوح كما أمره الله حتى اذا فرغ منه وقد عهد الله اليه اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فقال اذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمر الله وكانوا قليلا كما قال الله وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ذكرا وأنثى وحمل فيه بنيه الثلاثة سام وحام ويافث ونساءهم وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر نوح وبنوه وأزواجهم ثم أدخل ما أمره به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال سمعته يقول كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار وأدخل صدره مسك ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فيهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويحك ادخل وان كان الشيطان معك قال كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك علي يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني يا عدو الله فقال مالك بد من أن تحملني فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه من آمن به وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر فلما دخل وحمل معه من حمل تحرك ينابيع الغوط الاكبر وفتح أبواب السماء كما قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فدخل نوح ومن معه الفلك وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن احتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة ثم احتمل الماء كما تزعم أهل التوراة وكثر الماء واشتد وارتفع يقول الله لمحمد وحملناه على ذات ألواح ودسر والدسر المسامير الحديد فجعلت الفلك تجري به وبمن معه في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذي هلك وكان في معزل حين رأى نوح من صدق موعد ربه ما رأى فقال يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وكان شقيا قد أضمر كفرا قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وكان عهد الجبال وهي حرز من الامطار اذا كانت فظن أن ذلك كما كان يعهد قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء حتى طغى وارتفع فوق الجبال كما تزعم أهل التوراة بخمسة عشر ذراعا فباد ما على وجه الارض من الخلق من كل شئ فيه الروح أو شجر فلم يبق شئ من الخلائق الا نوح ومن معه في الفلك والاعوج بن عنق فيما يزعم أهل الكتاب فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان * قال ابن حميد قال سلمة وحدثني حسن بن علي بن زيد عن يوسف بن مهران قال سمعته يقول لما آذى نوحا في الفلك عذرة الناس أمر أن يمسح ذنب الفيل فمسحه فخرج منه خنزيران وكفى ذلك عنه وان الفأرة تولدت في الفلك فلما آذته أمر أن يأمر الاسد يعطس فعطس فخرج من منخريه هران يأكلان عنه الفأر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن علي بن زيد

﴿ الوقوف مبين ٥ لا الا الله ط أليم ٥ الرأي ج كاذبين ٥ فعميت عليكم ط كارهون ٥ مالا ط آمنوا ط تجهلون ٥ طردتهم ط تذكرون ٥ خيرا ط أنفسهم ج الظالمين ٥ الصادقين ٥ بمعجزين ٥ أن يغويكم ط ترجعون ٥ ط افتراه ط تجرمون ٥ يفعلون ٥ ج للآية والعطف ظلموا ج لاحتمال التعليل مغرقون ٥ سخروا منه ط تسخرون ٥ ط تعلمون ٥ لا لان ما بعده مفعول مقيم ٥ التنور ٥ لا لأن ما بعده جواب اذا ومن آمن ط قليل ٥ ط ومرساها ط رحيم ٥ الكافرين ٥ من الماء ط رحم ج لاتفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين ٥ الظالمين ٥ الحاكمين ٥ من أهلك ج علم ط الجاهلين ٥ علم ط الخاسرين ٥ معك ط أليم ٥ البك ج ط لاحتمال ما بعده الحال أو الاستئناف هذا ط وعلى قوله فاصبر أحسن للابتداء بان للمتقين ٥ ﴾ التفسير لما أورد على الكفار أنواع الدلائل أكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من أسلوب الى أسلوب في الموعظة فبدأ بقصة نوح ومعنى (اني لكم) أي متلبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن كسر فعلى ارادة القول و (أن لا تعبدوا) بدل من اني لكم نذير أي أرسلناه بأن لا تعبدوا (الا الله) أو يكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير ووصف اليوم بأليم لوقوع الام فيه فيكون مجازا وكذا الوجعل الوصف للعذاب والحرب بالحوار ثم حكى أنه طعن أشراف قومه في نبوته من ثلاث جهات الاولى

أنه بشر مثلهم الثانية أنه لم يتبعه الا الاراذل يعنون أصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا

كنت صادقا لا تبعك الأكياس من الناس والاشراف منهم والاراذل جمع أرذل وقيل جمع الارذال جمع رذل وهو الدون من كل شئ في منظره وحالاته ومعنى (بادي الرأي) أول الرأي وهو نصب على الظرف أي اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية أو معناه ظاهر الرأي من قولك بدا الشئ اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها وبروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد أنهم اتبعوك في الظاهر و باطنهم بخلافه أو اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه و يجوز أن يتعلق بادي الرأي بقوله أراذلنا أي كونهم كذلك أمر ظاهر لكل من يراهم عيانا و يتأكد هذا التأويل بما نقل عن مجاهد أنه قرأ الا الذين هم أراذلنا رأي العين وانما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم أن المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا أن ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وأن الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الآخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي متابعة النبي الشبهة الثالثة (وما نرى لكم علينا من فضل) لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل (بل نظنكم كاذبين) خطاب لنوح ولمن آمن به بتبعيته أو خطاب للاراذل كأنهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما أجاب به نوح قومه وهو أن حصول المساواة في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله (أرأيتم ان كنت على بينة) برهان (من ربي وآتاني) بايتاء تلك البينة (رحمة) وعلى هذا البينة

عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال لما كان نوح في السفينة قرض الفأر حبال السفينة فشكا نوح فأوحى الله اليه فمسح ذنب الاسد فخرج سنوران وكان في السفينة عذرة فشكا ذلك الى ربه فأوحى الله اليه فمسح ذنب الفيل فخرج خنزيران حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني قال ثنا الاسود بن عامر قال أخبرنا سفيان بن سعيد عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس بنحوه حدثت عن المسيب بن أبي رزق عن الضحاك قال قال سليمن القرشي عمل نوح السفينة في أربعمائة سنة وأنبت الساج أربعين سنة حتى كان طوله أربعمائة ذراع والذراع الى المنكب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه فسوف تعلمون أيها القوم اذا جاء أمر الله من الهالك من يأتيه عذاب يخزيه يقول الذي يأتيه عذاب الله منا ومنكم يهينه و يذله و يحل عليه عذاب مقيم يقول و ينزل به في الآخرة مع ذلك عذاب دائم لا انقطاع له مقيم عليه أبدا وقوله حتى اذا جاء أمرنا يقول و يصنع نوح الفلك حتى اذا جاء أمرنا الذي وعدناه ان يجيء قومه من الطوفان الذي يغرقهم وقوله وفار التنور اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه انبجس الماء من وجه الارض وفار التنور وهو وجه الارض ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال في قوله وفار التنور قال التنور وجه الارض قال قيل له اذا رأيت الماء على وجه الارض فاركب أنت ومن معك قال والعرب تسمي وجه الارض تنور الارض حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن الضحاك بنحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا الشيباني عن عكرمة في قوله وفار التنور قال وجه الارض حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة وسفيان بن وكيع قالا ثنا ابن ادريس عن الشيباني عن عكرمة وفار التنور قال وجه الارض * وقال آخرون هو تنور الصبح من قولهم نور الصبح تنويرا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا محمد بن فضيل قال ثنا عبد الرحمن بن اسحق عن عباس مولى أبي جحيفة عن أبي جحيفة عن علي رضي الله عنه قوله حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قال هو تنوير الصبح حدثنا ابن وكيع واسحق بن اسرائيل قالا ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن زياد مولى أبي جحيفة عن أبي جحيفة عن علي في قوله وفار التنور قال تنوير الصبح حدثنا حماد بن يعقوب قال أخبرنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن مولى أبي جحيفة أراه قد سماه عن أبي جحيفة عن علي وفار التنور قال تنوير الصبح حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا هشيم عن ابن اسحق عن رجل من قريش عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفار التنور قال طلع الفجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن اسحق عن رجل قد سماه عن علي بن أبي طالب قوله وفار التنور قال اذا طلع الفجر * وقال آخرون معنى ذلك وفار أعلى الارض وأشرف مكان فيها بالماء وقال التنور أشرف الارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور كنا نحدث أنه أعلى الارض وأشرفها وكان علما بين نوح و بين ربه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال سمعت قتادة قوله وفار التنور قال أشرف الارض وأرفعها فار الماء منه * وقال آخرون هو التنور الذي يختبز فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله

والرحمة ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس (فعميت) خفيت أو أخفيت البينة أو كل من البينة والرحمة أى صارت مظلمة مشتبهة فى عقولكم والبينة توصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار نتيجتها كما أن دليل القوم ان كان بصيرا اهتدوا وان كان أعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال (أنلزمكموها) أى أنكرهكم على قبول البينة (وأنتم لها كارهون) والمراد أنا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم ذكر أنه لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا أو فقيرا (وما أنا بطارد الذين آمنوا) عن ابن جريج أنهم قالوا ان أحببت يا نوح أن نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله (انهم ملاقو ربهم) فيعاقب من يطردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من الايمان الصحيح أو النفاق بزعمكم أو المراد انهم معتقدون لقاء ربهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) لقاء ربكم وانهم خير منكم أو قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين أراذل ثم أكد عدم طردهم بقوله (ويا قوم من ينصرنى من الله) من يمنعنى من عقابه (ان طردتهم) لان العقل والشرع توافقا على أنه لا بد من تعظيم المؤمن البر المتقى ومن اهانة الكافر الفاجر فكيف يليق بنبى الله أن يقلب هذه القضية سؤال ان كان طرد المؤمن لطلب مرضاة الكافر معصية فكيف فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهى عنه بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الجواب أنه لم يكن ذلك طردا مطلقا وانما عين لاجلهم أوقاتا مخصوصة ولأشراف قريش

حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قال اذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فانه هلاك قومك **حدثنى** يعقوب بن ابرهيم قال ثنا هشيم عن أبى محمد عن الحسن قال كان تنورا من حجارة كان لحواء حتى صار الى نوح قال فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفار التنور قال حين انبجس الماء وأمر نوح أن يركب هو ومن معه فى الفلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفار التنور قال انبجس الماء منه آية أن يركب بأهله ومن معه فى السفينة **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال آية أن يركب أهله ومن معه فى السفينة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه الا أنه قال آية بأن يركب بأهله ومن معهم فى السفينة **حدثنى** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا خلف بن خليفة عن ليث عن مجاهد قال نبع الماء فى التنور فعلمت به امرأته فأخبرته قال وكان ذلك فى ناحية الكوفة * قال ثنا القاسم قال ثنا على بن ثابت عن السرى بن اسمعيل عن الشعبى أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الحميد الحمانى عن النضر أبى عمر الخزاز عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وفار التنور قال فار التنور بالهند **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وفار التنور كان آية لنوح اذا خرج منه الماء فقد أتى الناس الهلاك والغرق وكان ابن عباس يقول فى معنى فار نبع **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وفار التنور قال نبع «قال أبو جعفر» وفوران الماء سورة دفعته يقال منه فار الماء يفور فورا وفورانا وذلك اذا سارت دفعته * وأولى هذه الاقوال عندنا بتأويل قوله التنور قول من قال هو التنور الذى يخبز فيه لان ذلك هو المعروف من كلام العرب وكلام الله لا يوجه الا الى الاغلب الاشهر من معانيه عند العرب الا أن تقوم حجة على شئ منه بخلاف ذلك فيسلم لها وذلك أنه جل ثناؤه انما خاطبهم بما خاطبهم به لافهامهم معنى ما خاطبهم به قلنا لنوح حين جاء عذابنا قومه الذى وعدناه نوحا أن نغشيهم به وفار التنور الذى جعلنا فورانه بالماء آية مجىء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه احمل فيها يعنى فى الفلك من كل زوجين اثنين يقول من كل ذكر وأنثى كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كل زوجين اثنين قال ذكر وأنثى من كل صنف **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من كل زوجين اثنين فالواحد زوج والزوجين ذكر وأنثى من كل صنف * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من كل زوجين اثنين قال ذكر وأنثى من كل صنف • قال ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين يقول من كل صنف اثنين **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من كل زوجين اثنين يعنى الزوجين اثنين ذكرا وأنثى * وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين الزوجان فى كلام العرب الاثنان قال ويقال عليه زوجا نعال اذا كانت عليه نعلان ولا يقال عليه زوج نعال وكذلك عنده زوجا حمام وعليه زوجا قيود وقال ألا تسمع الى قوله وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى

أو قاتا أخرى فعوتب على ذلك القدر لكانت فى حق نوح أولى فلم يقل من الذى يخلصنى من عذابه وأجيب بأنه مخصوص بآيات العفو ثم ذكر أنه كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعى أن عنده خزائن الله حتى يحجدوا أن له فضلا عليهم من هذه الجهة (ولا أعلم الغيب) حتى أصل به الى ما أريده لنفسى ولأتباعى وأطلع على الضمائر (ولا أقول انى ملك) أتعظم بذلك عليكم بل طريقى الخضوع والتواضع وعدم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقدمر فى الانعام سائر ما يتعلق بالآية ومعنى (تزدرى) تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وفى قوله تعالى (الله أعلم بما فى أنفسهم) دلالة على أنهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق (انى اذا) أى ان قلت شيأ من ذلك كنت من الظالمين لنفسى أو ان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع أنه لا وقوف لى على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قائلين (يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) قال أهل المعانى أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جادلنى فلان فأكثر لم ترد أنه أعطى عطيتين أقل فأكثر بل تريد أن الوصف مقارن للموصوف وفى الآية دلالة على أن الجدال فى تقرير دلائل التوحيد من دأب أكابر الانبياء ثم استعجلوا العذاب الذى كان يتوعدهم به فاجاب نبى الله بان ذلك ليس الى وانما هو بمشيئة الله وارادته ولا يعجزه عن ذلك أحد وقوله (ولا ينفعكم نصحى) كقول القائل لامرأته أنت طالق ان دخلت الدار ان أكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار فأكل الخبز ولهذا قال الفقهاء المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى فكأنه قيل (ان كان الله يريد أن يغويكم) فان أردت ان أنصح لكم قال

فانما هما اثنان وقال بعض البصريين من أهل العربية فى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين قال فجعل الزوجين الضربين الذكور والاناث قال وزعم يونس أن قول الشاعر

وأنت امرؤ تعدو على كل غرة * فتخطئ فيها مرة وتصيب

يعنى به الذئب قال فهذا أشد من ذلك * وقال آخرون منهم الزوج اللون قال وكل ضرب يدعى زوجا واستشهد ببيت الاعشى فى ذلك

وكل زوج من الديباج يلبسه * أبو قدامة محبو بذاك معا

وبقول لبيد

وذى بهجة كن المقانب صوته * وزينه أزواج نور مشرب

وذكر أن الحسن قال فى قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين السماء زوج والارض زوج والشتاء زوج والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج حتى يصير الامر الى الله الفرد الذى لا يشبهه شئ وقوله وأهلك الا من سبق عليه القول يقول واحمل أهلك أيضا فى الفلك يعنى بالاهل والنساء وأزواجه الا من سبق عليه القول يقول الا من قلت فيهم انى مهلكه مع من أهلك من قومك ثم اختلفوا فى الذى استثناه الله من أهله فقال بعضهم هو بعض نساء نوح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وأهلك الا من سبق عليه القول قال العذاب هى امرأته كانت من الغابرين فى العذاب * وقال آخرون بل هو ابنه الذى غرق ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب عن أبى روق عن الضحاك فى قوله وأهلك الا من سبق عليه القول قال ابنه غرق فيمن غرق وقوله ومن آمن يقول واحمل معهم من صدقك واتبعك من قومك يقول الله وما آمن معه الا قليل يقول وما أقر بوحدانية الله مع نوح من قومه الا قليل واختلفوا فى عدد الذين كانوا آمنوا معه فحملهم معه فى الفلك فقال بعضهم فى ذلك كانوا ثمانية أنفس ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل قال ذكر لنا أنه لم يتم فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ونساؤهم فجميعهم ثمانية حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة قالا ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبى غنية عن أبيه عن الحكم وما آمن معه الا قليل قال نوح وثلاثة بنيه وأربع كنائنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج حدثت أن نوحا حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه وامرأة نوح فهم ثمانية بأزواجهم وأسماء بنيه يافث وسام وحام وأصاب حام زوجته فى السفينة فدعا نوح أن يغير نطفته فجاء بالسودان * وقال آخرون بل كانوا سبعة أنفس ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش وما آمن معه الا قليل قال كانوا سبعة نوح وثلاث كنائنه وثلاث بنين * وقال آخرون كانوا عشرة سوى نسائهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فار التنور حمل نوح فى الفلك من أمره الله به وكانوا قليلا كما قال الله فحمل بنيه الثلاثة سام وحام ويافث ونساءهم وستة أناسى ممن كان آمن فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم * وقال آخرون بل كانوا ثمانين نفسا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس حمل نوح معه فى السفينة ثمانين انسانا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان كان بعضهم يقول كانوا ثمانين يعنى القليل الذى قال الله وما آمن معه الا قليل حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنى حسين بن واقد الخراسانى قال ثنى أبو نهيك

لم ينفعكم نصحى واحتجاج الاشاعرة بالآية ظاهر وأجابت المعتزلة بأنه

قال سمعت ابن عباس يقول كان فى سفينة نوح ثمانون رجلا أحدهم جرهم * والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله وما آمن معه الا قليل يصفهم بأنهم كانوا قليلا ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح فلا ينبغى أن يتجاوز فى ذلك حد الله اذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره وقال نوح اركبوا فى الفلك بسم الله مجراها ومرساها وفى الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه وهو قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل فحملهم نوح فيها وقال لهم اركبوا فيها فاستغنى بدلالة قوله وقال اركبوا فيها عن حمله اياهم فيها فترك ذكره واختلفت القراء فى قراءة قوله بسم الله مجراها ومرساها فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين بسم الله مجراها ومرساها بضم الميم فى الحرفين كليهما واذا قرئ كذلك كان من أجرى وأرسى وكان فيه وجهان من الاعراب أحدهما الرفع بمعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها فيكون المجرى والمرسى مرفوعين حينئذ بالباء التى فى قوله بسم الله والآخر النصب بمعنى بسم الله عند اجرائها وارسائها أو وقت اجرائها وارسائها فيكون قوله بسم الله كلاما مكتفيا بنفسه كقول القائل عند ابتدائه فى عمل يعمله بسم الله ثم يكون المجرى والمرسى منصوبين على ما نصبت العرب قولهم الحمد لله سرارك واهلالك يعنون الهلال أوله وآخره كأنهم قالوا الحمد لله أول الهلال وآخره ومسموع منهم أيضا الحمد لله ما اهلالك الى سرارك وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بسم الله مجراها ومرساها بفتح الميم من مجراها وضمها من مرساها فجعلوا مجراها مصدرا من جرى يجرى مجرى ومرساها من أرسى يرسى ارساء واذا قرئ ذلك كذلك كان فى اعرابهما من الوجهين نحو الذى فيهما اذا قرئا مجراها ومرساها بضم الميم فيهما على ما بينت وروى عن أبى رجاء العطاردى أنه كان يقرأ ذلك بسم الله مجريها ومرسيها بضم الميم فيهما وبصيرهما نعت الله واذا قرئا كذلك كان فيهما أيضا وجهان من الاعراب غير أن أحدهما الخفض وهو الاغلب عليهما من وجهى الاعراب لان معنى الكلام على هذه القراءة بسم الله مجرى الفلك ومرسيها فالمجرى نعت لاسم الله وقد يحتمل أن يكون نصبا وهو الوجه الثانى لأنه يحسن دخول الالف واللام فى المجرى والمرسى كقولك بسم الله المجريها والمرسيها واذا حذفتا نصبتا على الحال اذ كان فيهما معنى النكرة وان كانا مضافين الى المعرفة وقد ذكر عن بعض الكوفيين أنه قرأ ذلك مجراها ومرساها بفتح الميم فيهما جميعا من جرى ورسا كأنه وجهه الى أنه فى حال جريها وحال رسوها وجعل كلتا الصفتين للفلك كما قال عنترة

فصبرت نفسا عند ذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

والقراءة التى نختارها فى ذلك قراءة من قرأ بسم الله مجراها بفتح الميم ومرساها بضم الميم بمعنى بسم الله حين تجرى وحين ترسى وانما اخترت الفتح فى ميم مجراها لقرب ذلك من قوله وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ولم يقل تجرى بهم ومن قرأ بسم الله مجراها كان الصواب على قراءته أن يقرأ وهى تجرى بهم وفى اجماعهم على قراءة تجرى بفتح التاء دليل واضح على أن الوجه فى مجراها فتح الميم وانما اخترنا الضم فى مرساها لاجماع الحجة من القراء على ضمها ومعنى قوله مجراها ومرساها وقفها من وقفها الله وأرساها وكان مجاهد يقرأ ذلك بضم الميم فى الحرفين جميعا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسم الله مجراها

لا يلزم من فرض أمر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ليبين لهم أنه تعالى بنى أمر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فائدة ولو تشبث الخصم بالجبر لزم افحام النبى ومن الجائز أن يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا بشم فهلك أو يراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غيا أى خيبة من خير الآخرة أو يراد به منع الالطاف وقد تقدم أمثال ذلك مرارا ثم أشار الى المبدا والمعاد بقوله (هو ربكم واليه ترجعون) ثم أنكر الله سبحانه عليهم قولهم انما ادعاء نوح أنه أوحى اليه مفترى فقال (أم يقولون افتراه) فأمره بأن يجيب بكلام منصف هو قوله (قل ان افتريته فعلى اجرامى) أى عقاب اثمى وهو الافتراء (وأنا برىء مما تجرمون) أى من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الى وههنا اضمار كأنه قيل لكنى ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وأنا برىء منه وأكثر المفسرين على أن هذه الآية من تمام قصة نوح وعن مقاتل أنها من قصة محمد صلى الله عليه وسلم وقعت فى اثناء قصة نوح قوله سبحانه (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن) اقناط له من ايمانهم الذى كان يتوقعه منهم بدليل قوله (الا من قد آمن) فان قد للتوقع وقوله (فلا تبتئس) تسلية له أى لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام منهم قال أكثر المعتزلة انه لا يجوز أن ينزل الله عذاب الاستئصال على قوم يعلم أن فيهم من يؤمن أو فى أولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا على

الاهلال بمجموع الامرين فدل ذلك على أنهما لو لم يحصلا لم يجز الاهلال وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خبر معلوم يوجب الوقوع

نعم كلما يقع يجب أن يكون على ملكه ماشاء ثم عرفه وجه اهلاكهم وألهمه وجه خلاص من آمن فقال (واصنع الفلك) وهو أمر ايجاب على الأظهر لانه لاسبيل الى صون روحه عن الهلاك فى الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل أمر اباحة كمن أمر أن يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف أن الامر ظاهره الوجوب وان قطعنا النظر عن فائدته وغايته وقوله (بأعيننا ووحينا) فى موضع الحال أى متلبسا بذلك والسبب فيه أن اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين أحدهما أن لا يمنعه أعداؤه عن ذلك العمل وأشار اليه بقوله بأعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة والثانى أن يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب ونحتها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر وقيل المراد عين الملك الذى كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى فى شأنهم وقيل علل عدم الخطاب بقوله (انهم مغرقون) أى انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل لا تخاطبنى فى تعجيل عقابهم فانهم يغرقون فى الوقت المعين لذلك فلا فائدة فى الاستعجال فلكل أمة أجل وقيل المراد بالذين ظلموا امرأته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله (ويصنع الفلك و) الحال أنه (كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) يحتمل أن يكون هذا جوابا لكلما

ومرساها قال حين يركبون ويجرون ويرسون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسم الله حين يركبون ويجرون ويرسون حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسم الله مجراها ومرساها قال بسم الله حين يجرون وحين يرسون حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا أبو روق عن الضحاك فى قوله اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها قال اذا أراد أن يركب قال بسم الله فأرست واذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وقوله ان ربى لغفور رحيم يقول ان ربى لساتر ذنوب من تاب وأناب اليه رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وهى تجرى بهم والفلك تجرى بنوح ومن معه فيها فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه يام وكان فى معزل عنه لم يركب معه الفلك يابنى اركب معنا الفلك ولا تكن مع الكافرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ يقول تعالى ذكره قال ابن نوح لما دعاه نوح الى أن يركب معه السفينة خوفا عليه من الغرق سآوى الى جبل يعصمنى من الماء يقول سأصير الى جبل أتحصن به من الماء فيمنعنى منه أن يغرقنى ويعنى بقوله يعصمنى يمنعنى مثل عصام القربة الذى يشد به رأسها فيمنع الماء أن يسيل منها وقوله لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم يقول لا مانع اليوم من أمر الله الذى قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك الا من رحمنا فأنقذ نامنه فانه الذى يمنع من شاء من خلقه ويعصم فمن فى موضع رفع لان معنى الكلام لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله الا الله وقد اختلف أهل العربية فى موضع من فى هذا الموضع فقال بعض نحويى الكوفة هو فى موضع نصب لان المعصوم بخلاف العاصم والمرحوم معصوم قال كأن نصبه بمنزلة قوله مالهم به من علم الا اتباع الظن قال ومن استثناء اتباع الظن والرفع فى قوله

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

لم يجزله الرفع فى من لان الذى قال الا اليعافير جعل أنيس البر اليعافير وما أشبهها وكذلك قوله اتباع الظن يقول عليهم ظن قال وأنت لا يجوز لك فى وجه أن تقول المعصوم هو عاصم فى معنى ولكن لو جعلت العاصم فى تأويل معصوم لا معصوم اليوم من أمر الله لجاز رفع من قال ولا بأس أن يخرج المفعول على فاعل ألا ترى قوله من ماء دافق معناه والله أعلم مدفوق وقوله فى عيشة راضية معناها مرضية قال الشاعر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

ومعناه المكسو وقال بعض نحويى البصرة لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم على لكن من رحم ويجوز أن يكون على لا ذا عصمة أى معصوم ويكون الا من رحم رفعا بدلا من العاصم ولا وجه لهذه الاقوال التى حكيناها عن هؤلاء لان كلام الله تعالى انما يوجه الى الافصح الاشهر من كلام من نزل بلسانه ما وجدا الى ذلك سبيل ولم يضطر ناشئ الى أن نجعل عاصما فى معنى معصوم ولا الا بمعنى لكن اذ كنا نجد ذلك فى معناه الذى هو معناه فى المشهور من كلام العرب نجعل ذلك صحيحا وهو ما قلنا من أن معنى ذلك قال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحمنا فأنجاه من عذابه كما يقال لا منجى اليوم من عذاب الله الا الله ولا مطعم اليوم من طعام زيد الا زيد نفسه هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم وقوله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يقول

وقوله (قال ان تسخروا) استئناف على تقدير سؤال سائل كأنه قيل ماذا قال نوح حينئذ ويحتمل

بين نوح وابنه موج الماء فغرق فكان ممن أهلكه الله بالغرق من قوم نوح صلى الله عليه وسلم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ يقول الله تعالى ذكره وقال الله للارض بعد ما تناهى أمره فى هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق يا أرض ابلعى ماءك أى تشربى من قول القائل بلع فلان كذا يبلعه أو بلعه يبلعه اذا ازدرده ويا سماء أقلعى يقول أقلعى عن المطر أمسكى وغيض الماء ذهبت به الارض ونشفته وقضى الامر يقول قضى أمر الله فضى بهلاك قوم نوح واستوت على الجودى يعنى الفلك استوت أرست على الجودى وهو جبل فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة وقيل بعدا للقوم الظالمين يقول قال الله أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح حدثنا عباد بن يعقوب الاسدى قال ثنا المحاربى عن عثمان بن مطر عن عبد العزيز بن عبد الغفور عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من رجب ركب نوح السفينة فصام هو وجميع من معه وجرت بهم السفينة ستة أشهر فانتهى ذلك الى المحرم فأرست السفينة على الجودى يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكرا لله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كانت السفينة أعلاها للطير ووسطها للناس وفى أسفلها السباع وكان طولها فى السماء ثلاثين ذراعا ودفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب وأرست على الجودى يوم عاشوراء ومرت بالبيت فطافت به سبعا وقد رفعه الله من الغرق ثم جاءت اليمن ثم رجعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن قتادة قال هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم فقال لمن معه من كان منكم اليوم صائما فليتم صومه ومن كان مفطرا فليصم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال (١) كان فى زمن نوح شبر من الارض لا انسان يدعيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنها يعنى الفلك استقلت بهم فى عشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة يوم واستقرت على الجودى شهرا وأهبط بهم فى عشر من المحرم يوم عاشوراء

وبنحو ما قلنا فى تأويل قوله وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وغيض الماء قال نقص وقضى الامر قال هلاك قوم نوح حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال قال ابن جريج وغيض الماء نشفته الارض حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا سماء أقلعى يقول أمسكى وغيض الماء يقول ذهب الماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وغيض الماء والغيوض ذهاب الماء واستوت على الجودى حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واستوت على الجودى قال جبل بالجزيرة تشامخت الجبال من الغرق وتواضع هو لله فلم يغرق فأرسيت عليه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واستوت على الجودى قال الجودى جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق وأرسيت سفينة نوح عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

(١) لعله ما كان فى زمن نوح شبر من الارض لانسان الخ تأمل كتبه مصححه

أن يكون سخروا بدلا من مر أو صفة لملأ وقال جواب قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا فى دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم مروا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يصنعها فى مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينذرهم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وليس منه عين ولا أثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون منه فأجابهم بقوله ان تسخروا منا فى الحال (فانا نسخر منكم) فى المستقبل اذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة أو ان حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم فى استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن الجهل بحقيقة الامر والبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الاغمار وسمى جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فى الدنيا وهو عذاب الغرق (ويحل عليه عذاب مقيم) فى الآخرة لازم لزوم الدين الحال للغريم ومن موصولة أو استفهامية وقدم فى الانعام روى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين وكانت من خشب

الساج وجعل لها ثلاثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والأعلى للناس ولما يحتاجون اليه من الزاد وحمل

معه جسد آدم وقال الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة قوله (حتى اذا جاء أمرنا هي غاية لقوله ويصنع الفلك أي كان يصنعها الى أن جاء وقت الامر بالاهلاك (وفار التنور) أي نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هي التي يختبز فيها فقيل هو مما استوى فيه العربي والعجمي وقيل معرب لانه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لآدم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قاله مجاهد والشعبي وعن علي رضي الله عنه أنه في مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة قاله مقاتل وقيل بالهند روى أن امرأته كانت تخبز فأخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في تلك الحال بوضع الاشياء في السفينة وكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة لواقعة الطوفان ويروى عن علي رضي الله عنه أيضا أن المراد بالتنور وجه الارض لقوله وفجرنا الارض عيونا وعنه أيضا كرم الله وجهه أن معنى فار التنور طلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمي الوطيس والمراد اذا رأيت الامر يشتد والماء يكثر فاركب في السفينة وذلك قوله (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) والزوجان شيئان يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى فمن قرأ بالاضافة فمعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرأ بالتنوين فالمراد احمل من كل شئ زوجين واثنين للتأكيد ولا يبعد أن يكون النبات داخلا فيه لاحتياج الناس اليه (وأهلك) معطوف على مفعول احمل وكذا من آمن وقوله (الا من سبق عليه

عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واستوت على الجودي يقول على الجبل واسمه الجودي حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان واستوت على الجودي قال جبل بالجزيرة تمسخت الجبال وتواضع حين أرادت أن ترقا عليه سفينة نوح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واستوت على الجودي أبقاها الله لنا بوادي أرض الجزيرة عبرة وآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول واستوت على الجودي هو جبل بالموصل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نوحا بعث الغراب لينظر الى الماء فوجد جيفة فوقع عليها فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون فأعطيت الطوق الذي في عنقها وخضاب رجليها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أراد الله أن يكفف ذلك يعني الطوفان أرسل ريحا على وجه الارض فسكن الماء واستدت ينابيع الارض الغمر الاكبر وأبواب السماء يقول الله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الى بعد اللقوم الظالمين فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه في أول يوم من الشهر العاشر رؤي رؤوس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع اليه فأرسل الحمامة فرجعت اليه ولم يجد لرجليها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتونة فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الارض ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع فعلم نوح أن الارض قد برزت فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان الى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الاول من سنة اثنتين بر زوجه الارض فظهر اليبس وكشف نوح غطاء الفلك ورأى وجه الارض وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في سبع وعشرين ليلة منه قيل لنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول تزعم ناس أن من غرق من الولدان مع آبائهم وليس كذلك انما الولدان بمنزلة الطير وسائر من أغرق الله بغير ذنب ولكن حضرت آجالهم فماتوا لآجالهم والمدركون من الرجال والنساء كان الغرق عقوبة من الله لهم في الدنيا ثم مصيرهم الى النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين﴾ يقول تعالى ذكره ونادى نوح ربه فقال رب انك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي وقد هلك ابني وابني من أهلي وان وعدك الحق الذي لا خلف له وأنت أحكم الحاكمين بالحق فاحكم لي بأن تنفي لي بما وعدتني من أن تنجي لي أهلي وترجع الى ابني كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنت أحكم الحاكمين قال أحكم الحاكمين بالحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ يقول الله تعالى ذكره قال الله يا نوح ان الذي غرقته فأهلكته الذي تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك * واختلف أهل التأويل في معنى قوله ليس من أهلك فقال بعضهم معناه ليس من ولدك هو من غيرك وقالوا كان ذلك من حنث ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن في قوله انه ليس من أهلك قال لم يكن ابنه حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن

يمان

القول) قال الضحاك أراد ابنه وامرأته قدر الله لهما الكفر اذ علم منهما ذلك ثم

يمان عن شريك عن جابر عن أبي جعفر ونادى نوح ابنه قال ابن امرأته حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أصحاب ابن أبي عروبة فيهم الحسن قال لا والله ما هو بابنه * قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر ونادى نوح ابنه قال هذه بلغة طي لم يكن ابنه كان ابن امرأته حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عوف ومنصور عن الحسن في قوله انه ليس من أهلك قال لم يكن ابنه وكان يقرؤها انه عمل غير صالح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال كنت عند الحسن فقال نادى نوح ابنه لعمر الله ما هو ابنه قال قلت يا أبا سعيد يقول ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله انه ليس من أهلك قال قلت انه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه قال ان أهل الكتاب يكذبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال سمعت الحسن يقرأ هذه الآية انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فقال عند ذلك والله ما كان ابنه ثم قرأ هذه الآية فخانتاهما قال سعيد فذكرت ذلك لقتادة قال ما كان ينبغي له أن يحلف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تسألن ما ليس لك به علم قال تبين لنوح أنه ليس بابنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلا تسألن ما ليس لك به علم قال بين الله لنوح أنه ليس بابنه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ابن جريج في قوله ونادى نوح ابنه قال ناداه وهو يحسبه أنه ابنه وكان ولد على فراشه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن نور عن أبي جعفر انه ليس من أهلك قال لو كان من أهله لنجا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا سفيان عن عمرو سمع عبيد بن عمير يقول نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراش من أجل ابن نوح حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن الحسن قال لا والله ما هو بابنه * وقال آخرون معنى ذلك ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبي عامر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ونادى نوح ابنه قال هو ابنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان قال ثنا أبو عامر عن الضحاك قال قال ابن عباس هو ابنه ما بغت امرأة نبي قط حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي عامر الهمداني عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال ما بغت امرأة نبي قط قال وقوله انه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وغيره عن عكرمة عن ابن عباس قال هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية قال عكرمة في بعض الحروف انه عمل عملا غير صالح والخيانة تكون على غير باب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان عكرمة يقول كان ابنه ولكن كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل له انه ليس من أهلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري وابن عيينة عن موسى بن أبي عائشة عن سليمن بن قتة قال سمعت ابن عباس يسئل وهو الى جنب الكعبة عن قول الله تعالى فخانتاهما قال أما انه لم يكن بالزنا ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون وكانت هذه تدل على الاضياف ثم قرأ انه عمل غير صالح * قال ابن عيينة وأخبرني عمار

قال (وما آمن معه الا قليل) أي نفر قليل عن مقاتل أنهم ثمانون وبهم سموا قرية الثمانين بناحية الموصل لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل في بعض الروايات إن ابليس دخل معه السفينة وفيه بعد لانه جسم نارى فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح وأهله (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها) الآية فيه أبحاث الاول أن الركوب متعد بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة أي علوتها فما الفائدة في زيادة لفظة في قال الواحدي فائدته أن يعلم أنه أمرهم بأن يكونوا في جوف الفلك لا على ظهره الثاني قوله بسم الله اما أن تتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو أي مسمين الله أو قائلين باسم الله ومجريها ومرسيها مصدران حذف منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج أو يراد مكان الاجراء والارساء أو زمانهما وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل أو بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرساها كلاما واحدا واما أن يكون باسم الله مجريها ومرساها كلاما آخر من مبتدا وخبر أي باسم الله اجراؤها وارساؤها يروى أنه كان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله

فرست ويجوز أن يفخم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بانه اجراؤها وارساؤها وكان نوح أمرهم بالركوب أولا ثم أخبرهم بأن اجراءها

وارساءها بذكر اسم الله أو بأمره من ضمير الفلك ولا تكون جملة مستأنفة ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كأنه قال اركبوا فيها مقدرين أن اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسا الشئ يرسو اذا ثبت وأرساه غيره يروى أنها سارت لاول يوم من رجب أو لعشر مضين منه فسارت ستة أشهر ثم استوت على الجودي يوم العاشر من المحرم ويروى أنها مرت بالبيت وطافت به سبعا فأعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله (ان ربي لغفور رحيم) كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كان القوم اعتقدوا أنهم نجوا ببركة ايمانهم وعملهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على أن الانسان في كل حال من أحواله لا ينفك عن ظلمات الخطا والزلل فيحتاج الى مغفرة الله ورحمته وفي الآية اشارة الى أن العاقل اذا ركب في سفينة الفكر ينبغي أن يكون قد برئ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب وربط قلبه وعلق همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايقان وتتخلص عن أمواج الشبه والظنون والاوهام قال في الكشاف (وهي تجري بهم) متصل بمحذوف كأنه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري بهم وهم فيها (في موج كالجبال) في التراكم والارتفاع فلعل الامواج أحاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كأنها في داخل تلك الامواج واختلف المفسرون في قوله (ونادى نوح ابنه) فالاكثرون على أنه ابنه في الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة ولا استبعاد في كون ولد النبي كافرا كعكسه

الدهني أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال كان ابن نوح ان الله لا يكذب قال ونادى نوح ابنه قال وقال بعض العلماء ما بغت امرأة نبي قط **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير قال قال الله وهو الصادق وهو ابنه ونادى نوح ابنه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سعيد عن موسى بن أبي عائشة عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال ما بغت امرأة نبي قط **حدثنا** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال سألت أبا بشر عن قوله انه ليس من أهلك قال ليس من أهل دينك وليس ممن وعدتك أن أنجيهم * قال يعقوب قال هشيم كان عامة ما كان يحدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن عبيد عن يعقوب بن قيس قال أتى سعيد بن جبير رجل فقال يا أبا عبد الله الذي ذكر الله في كتابه ابن نوح ابنه هو قال نعم والله ان نبي الله أمره أن يركب معه في السفينة فعصى فقال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح لمعصية نبي الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية البجلي عن سعيد ابن جبير أنه جاء اليه رجل فسأله فقال أرأيتك ابن نوح ابنه فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يحدث الله محمدا نادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكن خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن **حدثني** يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أبي هرون الغنوي عن عكرمة في قوله ونادى نوح ابنه قال أشهد أنه ابنه قال الله ونادى نوح ابنه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا هو ابنه **حدثني** فضالة بن الفضل الكوفي قال قال ربيع سأل رجل الضحاك عن ابن نوح فقال ألا تعجبون الى هذا الاحمق يسألني عن ابن نوح وهو ابن نوح كما قال الله قال نوح لابنه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه قرأ ونادى نوح ابنه وقوله ليس من أهلك قال يقول ليس هو من أهلك قال يقول ليس هو من أهل ولا يتك ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك انه عمل غير صالح قال يقول كان عمله في شرك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال هو والله ابنه لصلبه **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله ليس من أهلك قال ليس من أهل دينك ولا ممن وعدتك أن أنجيه وكان ابنه لصلبه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قال يا نوح انه ليس من أهلك يقول ليس ممن وعدناه النجاة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله انه ليس من أهلك يقول ليس من أهل ولا يتك ولا ممن وعدتك أن أنجي من أهلك انه عمل غير صالح يقول كان عمله في شرك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون وثابت بن الحجاج قالا هو ابنه ولد على فراشه

* وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال تأويل ذلك انه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم لانه كان لدينك مخالفا وبي كافرا وكان ابنه لان الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه ابنه فقال ونادى نوح ابنه وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر وليس في قوله انه ليس من أهلك دلالة على أنه ليس بابنه اذ كان قوله ليس من أهلك محتملا من المعنى ما ذكرنا ومحتملا أنه ليس من أهل دينك ثم يحذف الدين فيقال انه ليس من أهلك كما قيل واسأل القرية التي كنا فيها وأما قوله انه عمل غير صالح فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء الامصار انه عمل غير صالح بتنوين عمل ورفع غير واختلف الذين قرؤا ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه ان مسألتك اياي هذه عمل غير صالح ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع

واعترض على هذا القول بأنه كيف ناداه مع كفره وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا

قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم انه عمل غير صالح قال ان مسألتك اياى هذه عمل غير صالح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه عمل غير صالح أى سوء فلا تسألن ما ليس لك به علم حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انه عمل غير صالح يقول سؤالك عما ليس لك به علم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن حمزة الزيات عن الأعمش عن مجاهد قوله انه عمل غير صالح قال سؤالك اياى عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم * وقال آخرون بل معناه ان الذى ذكرت أنه ابنك فسألتنى أن أنجيه عمل غير صالح أى انه لغير رشدة وقالوا الهاء فى قوله انه عائدة على الابن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن أنه قرأ عمل غير صالح قال ماهو والله بابنه وروى عن جماعة من السلف أنهم قرؤا ذلك انه عمل غير صالح على وجه الخبر عن الفعل الماضى وغير منصوبة وممن روى عنه أنه قرأ ذلك كذلك ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قتة عن ابن عباس أنه قرأ عمل غير صالح ووجهوا تأويل ذلك الى ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا غندر عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس انه عمل غير صالح قال كان مخالفا له فى النية والعمل ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الامصار الا بعض المتأخرين واعتل فى ذلك بخبر روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ذلك كذلك غير صحيح السند وذلك حديث روى عن شهر بن حوشب فمرة يقول عن أم سلمة ومرة يقول عن أسماء بنت يزيد ولا نعلم لبنت يزيد ولا نعلم لشهر سماعا يصح عن أم سلمة * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وذلك رفع عمل بالتنوين ورفع غير يعنى أن سؤالك اياى ما تسألنيه فى ابنك المخالف دينك الموالى أهل الشرك بى من النجاة من الهلاك وقد مضت اجابتى اياك فى دعائك لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم عمل غير صالح لانه مسألة منك الى أن لا أفعل ما قد تقدم منى القول بانى أفعله فى اجابتى مسألتك اياى فعله فذلك هو العمل غير الصالح وقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم نهى من الله تعالى ذكره نبيه نوحا أن يسأله عن أسباب أفعاله التى قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر يقول له تعالى ذكره انى يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب اهلاكى ابنك الذى أهلكته فلا تسألن بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالى وليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين فى مسألتك اياى عن ذلك وكان ابن زيد يقول فى قوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين أن تبلغ الجهالة بك أن لا أفى لك بوعد وعدتك حتى تسألنى ما ليس لك به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين * واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تسألن ما ليس لك به علم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار فلا تسألن ما ليس لك به علم بكسر النون وتخفيفها ونحوا بكسرها الى الدلالة على الياء التى هى كناية اسم الله فلا تسألن وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض أهل الشام فلا تسألن بتشديد النون وفتحها بمعنى فلا تسألن يا نوح ما ليس لك به علم * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا تخفيف النون وكسرها لان ذلك هو الفصيح من كلام العرب المستعمل بينهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن انابة نوح عليه السلام بالتوبة اليه من زلته فى مسألته التى سأله ربه فى ابنه قال رب انى أعوذ بك أى أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لى به علم مما قد استأثرت بعلمه وطويت علمه عن خلقك

وأجيب بأنه كان منافقا وظن نوح أنه مؤمن أو ظن أنه كافر الا أنه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله (ولا تكن مع الكافرين) أو لعل شفقة الابوة حملته على ذلك النداء وعن محمد بن على الباقر والحسن البصرى أنه كان ابن امرأته ويؤيده ما روى أن عليا رضى الله عنه قرأ ونادى نوح ابنها ويؤكد هذا الظن قوله ان ابنى من أهلى دون أن يقول انه منى وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة واليه الاشارة بقوله تعالى خانتاهما ورد هذا القول بأنه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بأن امرأة نوح كانت تقول زوجى مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه وقوله (وكان فى معزل) هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وأبعده أى كان فى مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن السفينة وعمن فيها أو كان فى معزل عن دين أبيه وقيل فى معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح أنه يريد مفارقة الكفرة ولكن قوله ولا تكن مع الكافرين لا يساعد هذا القول وقوله يا بنى بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها اكتفاء به عن الالف المبدلة من الياء ويجوز أن يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بأن قال (سآوى الى جبل) فأجاب نوح بأنه (لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) واعترض عليه بأن معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف يصح استثناؤه من العاصم وأجيب بان من فاعلة

فاغفر لى زلتى فى مسألتى اياك ما سألتك فى ابنى وان أنت لم تغفر لى وترحمنى فتنقذنى من غضبك أكن من الخاسرين يقول من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره يانوح اهبط من الفلك الى الارض بسلام منا يقول بأمن منا أن ومن معك من اهلا كا وبركات عليك يقول(١) وبركات عليك وعلى أمم ممن معك يقول وعلى قرون تجىء من ذرية من معك من ولدك فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة وبارك عليهم قبل أن يخلقهم فى بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ثم أخبر تعالى ذكره نوحا عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته فقال له وأمم يقول وقرون وجماعة سنمتعهم فى الحياة الدنيا يقول نرزقهم فيها ما يتمتعون به الى أن يبلغوا آجالهم ثم يمسهم منا عذاب أليم يقول ثم نذيقهم اذا وردوا علينا عذابا مؤلما موجعا ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الى آخر الآية قال دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة ودخل فى ذلك العذاب والمتاع كل كافر وكافرة الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك قال دخل فى السلام كل مؤمن ومؤمنة وفى الشر كل كافر وكافرة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج وعلى أمم ممن معك يعنى ممن لم يولد قد قضى البركات لمن سبق له فى علم الله وقضائه السعادة وأمم سنمتعهم من سبق له فى علم الله وقضائه الشقاوة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بنحوه الا أنه قال وأمم سنمتعهم متاع الحياة الدنيا ممن قد سبق له فى علم الله وقضائه الشقاوة قال ولم يهلك الولدان يوم غرق قوم نوح بذنب آبائهم كالطير والسباع ولكن جاء أجلهم مع الغرق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم قال هبطوا والله عنهم راض هبطوا بسلام من الله كانوا أهل رحمة من أهل ذلك الدهر ثم أخرج منهم نسلا بعد ذلك أمما منهم من رحم ومنهم من عذب وقرأ وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم وذلك انما افترق الامم من تلك العصابة التى خرجت من ذلك الماء وسلمت حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية يقول بركات عليك وعلى أمم ممن معك لم يولدوا أوجب الله لهم البركات لما سبق لهم فى علم الله من السعادة وأمم سنمتعهم يعنى متاع الحياة الدنيا ثم يمسهم مناعذاب أليم لما سبق لهم فى علم الله من الشقاوة حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن أنه كان اذا قرأ سورة هود فأتى على يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك حتى ختم الآية قال الحسن فأنجى الله نوحا والذين آمنوا وهلك الممتعون حتى ذكر الانبياء كل ذلك يقول أنجاه الله وهلك الممتعون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم قال بعد الرحمة حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال أخبرنا عبد الله بن شوذب قال سمعت داود بن أبى هند يحدث عن الحسن أنه أتى على هذه الآية اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم قال فكان ذلك حين بعث الله عادا فارسل اليهم هودا فصدقه مصدقون وكذب

---

(١) لعله و ببركات عليك تأمل

مكذبون

فى المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب الذى مر ذكره فى قوله ان ربى لغفور رحيم وهو عاصم لا معصوم أو هو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من أمر الله الا لمن رحم أو العاصم بمعنى ذو العصمة كلابن وتامر وذو العصمة المعصوم أو المضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم (وحال بينهما الموج) أى بسبب هذه الحيلولة تخرج من أن يخاطبه نوح فصار من جملة الغرقى قوله سبحانه (وقيل يا أرض) الآية مما اختص بمزيد البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعانى فتكلموا فيها وفى وجوه محاسنها فلا علينا أن نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنقول النظر فيها من أربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعانى ومن جهتى الفصاحتين المعنوية واللفظية أما من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه أنه عز سلطانه أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وأن نقطع طوفان السماء فانقطع وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض وأن نقضى أمر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضى وأن تستوى السفينة على الجودى وهو جبل بقرب الموصل فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى فبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمأمور الذى لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وعلى تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ فى تكوين المقصود تصوير الاقتداره

مكذبون حتى جاء أمر الله فلما جاء أمر الله نجى الله هودا والذين آمنوا معه وأهلك الله المتمتعين ثم بعث الله ثمود فبعث اليهم صالحا فصدقه مصدقون وكذبه مكذبون حتى جاء أمر الله فلما جاء أمر الله نجى الله صالحا والذين آمنوا معه وأهلك الله المتمتعين ثم استقر أمر الانبياء نبيا نبيا على نحو من هذا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذه القصة التى أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه من أنباء الغيب يقول هى من أخبار الغيب التى لم تشهدها فتعلمها نوحيها اليك يقول نوحيها اليك نحن فنعرفكها ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا الوحى الذى نوحيه اليك فاصبر على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته وما تلقى من مشركى قومك كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين يقول ان الخير من عواقب الامور لمن اتقى الله فأدى فرائضه واجتنب معاصيه فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم فى الآخرة والظفر فى الدنيا بالطلبة كما كانت عاقبة نوح اذ صبر لأمر الله أن نجاه من الهلكة مع من آمن به وأعطاه فى الآخرة ما أعطاه من الكرامة وغرق المكذبين به فأهلكهم جميعهم * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا القرآن وما كان علم محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ما صنع نوح وقومه لولا ما بين الله له فى كتابه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى قوم عاد أخاهم هودا فقال لهم ياقوم اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان مالكم من اله غيره يقول ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالالوهة ان أنتم الا مفترون يقول ما أنتم فى اشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون تختلقون الباطل لانه لا اله سواه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه ياقوم لا أسألكم على ما أدعوكم اليه من اخلاص العبادة لله وخلع الاوثان والبراءة منها جزاء وثوابا ان أجرى إلا على الذى فطرنى يقول ان ثوابى وجزائى على نصيحتى لكم ودعائكم الى الله إلا على الذى خلقنى أفلا تعقلون يقول أفلا تعقلون أنى لو كنت أبتغى بدعايتكم الى الله غير النصيحة لكم وطلب الحظ لكم فى الدنيا والآخرة لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا وطلبت منكم الأجر والثواب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أجرى إلا على الذى فطرنى أى خلقنى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه ويا قوم استغفروا ربكم يقول آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم والاستغفار هو الايمان بالله فى هذا الموضع لان هودا صلى الله عليه وسلم انما دعا قومه الى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم كما قال نوح لقومه اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى وقوله ثم توبوا اليه يقول ثم توبوا الى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الايمان به يرسل السماء عليكم مدرارا يقول فانكم ان آمنتم بالله وتبتم من كفركم به أرسل قطر السماء عليكم بدرا لكم الغيث فى وقت حاجتكم اليه وتحيا بلادكم من الجدب والقحط * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح

وأن السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كأنهما عقلاء مميزون قد أحاطا علما يوجب الامتثال والاذعان لخالقهما فاستعمل قيل بدل أريد مجازا اطلاقا للمسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء والخطابان أيضا على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض كالمأمورين المنقادين وأيضا استعار لغور الماء فى الارض البلع الذى هو اعمال القوة الجاذبة فى الطعوم للشبه بين الغور والبلع وهو الذهاب الى مقر خفى وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفى جعل الماء مكان الغذاء أيضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء لتقوى الارض بالماء فى الانبات للزروع والاشجار تقوى الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعى لكونها موضوعة للاستعمال فى الغذاء دون الماء ثم أمر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب فى الامر دون أن يقول ليبلع ترشيحا لاستعارة النداء اذ كونه مخاطبا من صفات الحى كما أن كونه منادى من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون أن يقول ليبلع ماؤها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار مستعيرا لاحتباس المطر الاقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم ما كان ثم أمر على سبيل الاستعارة وخاطب فى الامر لمثل ما تقدم فى ابلعى من ترشيح استعارة النداء ثم قال (وغيض الماء) غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى (وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا)

فلم يصرح بالفاعل سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا تتأتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره ومثله فى صدر الآية ليستدل من ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شأن الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه ينبئ عن الظلم المطلق وعن علة قيامة الطوفان * وأما النظر فيها من جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها فذلك أنه اختير النداء لانها أكثر استعمالا ولدلالتها على تبعيد المنادى الذى يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا لم يقل يا أرضى بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا أيتها الارض للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شأنه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير ابلعى على ابتلعى لكونه أخصر ولمجىء حظ التجانس بينه وبين أقلعى أو فر وقيل ماء لفظ المفرد لما فى الجمع من الاستكثار المتأبى عنه مقام العزة والاقتدار وكذا فى افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعى لئلا يلزم تعميم الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل فيه اقتصر عليه فحذف من اقلعى حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعى ماءك فبلعت لان عدم تخلف المأمور به عن أمر الآمر المطاع معلوم واختير غيض على غيض المشددة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دون أن يقال ماء الطوفان أو أمر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف العهدى ولم يقل سويت لتناسب أول القصة وهى تجرى بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت أخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا للقوم دون أن يقال ليبعد القوم من بعد

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مدرارا يقول يتبع بعضها بعضا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يرسل السماء عليكم مدرارا قال يدر ذلك عليهم قطرا ومطرا وأما قوله ويزدكم قوة الى قوتكم فان مجاهدا كان يقول فى ذلك ما **حدثنى** به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ويزدكم قوة الى قوتكم قال شدة الى شدتكم **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * واسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد فذكر مثله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويزدكم قوة الى قوتكم قال جعل لهم قوة فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة الى قوتهم وذكر لنا أنه انما قيل لهم ويزدكم قوة الى قوتكم قال انه كان قد انقطع النسل عنهم سنين فقال هود لهم ان آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد لأن ذلك من القوة وقوله ولا تتولوا مجرمين يقول ولا تدبروا عما أدعوكم اليه من توحيد الله والبراءة من الاوثان والاصنام مجرمين يعنى كافرين بالله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم هود لهود ياهود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول فنسلم لك ونقر بأنك صادق فيما تدعونا اليه من توحيد الله والاقرار بنبوتك وما نحن بتاركى آلهتنا بقولك وما نحن بتاركى آلهتنا يعنى لقولك أو من أجل قولك وما نحن لك بمؤمنين يقول قالوا وما نحن لك بما تدعى من النبوة والرسالة من الله ببينا بمصدقين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول قوم هود أنهم قالوا له اذ نصح لهم ودعاهم الى توحيد الله وتصديقه وخلع الاوثان والبراءة منها لا نتركك عبادة آلهتنا وما نقول الا أن الذى حملك على ذمها والنهى عن عبادتها أنه أصابك منها خبل من جنون فقال هود لهم انى أشهد الله على نفسى وأشهدكم أيضا أيها القوم أنى برىء مما تشركون فى عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه فكيدونى جميعا يقول فاحتالوا أنتم جميعا وآلهتكم فى ضرى ومكروهى ثم لا تنظرون يقول ثم لا تؤخرون ذلك فانظروا هل تنالوننى أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتنى به من السوء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال أصابتك الأوثان بجنون **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال أصابك الأوثان بجنون **حدثنى** المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا سفيان عن عيسى عن مجاهد الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال سبت آلهتنا وعبتها فأجنتك * قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اعتراك بعض آلهتنا بسوء أصابك بعض آلهتنا بسوء يعنون الأوثان * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال أصابك الأوثان بجنون **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال تصيبك آلهتنا بالجنون **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال ما يحملك على ذم آلهتنا الا أنه

أصابك

بالكسر بعد بالفتح اذا هلك للتأكيد مع الاختصار ودلالة لام الملك على أن البعد حق لهم وقول القائل بعداله من المصادر التى لا يستعمل اظهار فعلها ثم أطلق الظلم ليتناول ظلم أنفسهم وظلمهم غيرهم وأما ترتيب الجمل فقدم النداء على الأمر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما فى نداء الحى وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين نتيجة البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقصود القصة وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودى وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة الماء ثم ختمت القصة بما ختمت من التعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تغريق الاطفال بسبب اجرام الكفار وأجيب على أصول الاشاعرة بأنه لا يسئل عما يفعل وعلى أصول المعتزلة بأنه يعوض الاطفال والحيوانات كما فى ذبحها واستعمالها فى الاعمال الشاقة وقد روى جمع من المفسرين أنه سبحانه أعقم أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ أربعين وهذا مع تكلفه لا يتمشى فى الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر أن القائل فى قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الآية ويحتمل أن يكون القائل نوحا وأصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل بسبب اجتماع القوم الظلمة أنه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر أليق * وأما النظر فى الآية من جهة الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية المراد بأبلغ وجه وأتمه وأما من جهة الفصاحة اللفظية فهى أنها كالعسل

أصابك منها سوء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انما تصنع هذا بآلهتنا أنها أصابتك بسوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير أصابتك آلهتنا بشر حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء يقولون نخشى أن يصيبك من آلهتنا سوء ولا نحب أن تعتريك يقولون يصيبك منها سوء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء يقولون اختلط عقلك فأصابك هذا مما صنعت بك آلهتنا وقوله اعتراك افتعل من عرانى الشئ يعرونى اذا أصابك كما قال الشاعر

* من القوم يعروه اجترام وماثم *

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم﴾ يقول انى على الله الذى هو مالكى ومالككم والقيم على جميع خلقه توكلت من أن تصيبونى أنتم وغيركم من الخلق بسوء فانه ليس من شئ يدب على الارض الا والله مالكه وهو فى قبضته وسلطانه ذليل له خاضع فان قال قائل وكيف قيل هو آخذ بناصيتها فخص بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد قيل لان العرب كانت تستعمل ذلك فى وصفها من وصفته بالذلة والخضوع فتقول ما ناصية فلان الا بيد فلان أى انه له مطيع يصرفه كيف شاء وكانوا اذا أسروا الاسير فأرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتد وا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة فخاطبهم الله بما يعرفون فى كلامهم والمعنى ما ذكرت وقوله ان ربى على صراط مستقيم يقول ان ربى على طريق الحق يجازى المحسن من خلقه باحسانه والمسىء باساءته لا يظلم أحدا منهم شيأ ولا يقبل منهم الا الاسلام والايمان به كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان ربى على صراط مستقيم الحق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربى على كل شئ حفيظ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه فان تولوا يقول فان أدبروا معرضين عما أدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة الاوثان فقد أبلغتكم أيها القوم ما أرسلت به اليكم وما على الرسول الا البلاغ ويستخلف ربى قوما غيركم يهلككم ربى ثم يستبدل ربى منكم قوما غيركم يوحدونه ويخلصون له العبادة ولا تضرونه شيأ يقول ولا تقدرون له على ضر اذا أراد هلاككم أو أهلككم وقد قيل لا يضره هلاككم اذا أهلككم لا تنقصونه شيأ لانه سواء عنده كنتم أو لم تكونوا ان ربى على كل شئ حفيظ يقول ان ربى على جميع خلقه ذو حفظ وعلم يقول هو الذى يحفظنى من أن تنالونى بسوء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء قوم هود عذابنا نجينا منه هودا والذين آمنوا بالله معه برحمة منا يعنى بفضل منه عليهم ونعمة ونجيناهم من عذاب غليظ يقول نجيناهم أيضا من عذاب غليظ يوم القيامة كما نجيناهم فى الدنيا من السخطة التى أنزلتها بعاد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ يقول تعالى ذكره

فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة عذبة على العذبات ولعل ماتركنا من لطائف هذه الآية بل كل آية أكثر مما ذكر والله تعالى أعلم بمراده من كلامه (ونادى نوح ربه) أى أراد أن يدعوه (فقال رب ان ابنى من أهلى) بعض سواء كان من صلبه أو ربيبه (وان وعدك) أى كل ماتعده به (الحق) الثابت الذى لاشك فى انجازه وقد وعدتنى أن تنجى أهلى (وأنت أحكم الحاكمين) أعلمهم وأعدلهم لانه لافضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز أن يكون الحاكم بمعنى ذى الحكمة كدارع (قال يانوح انه ليس من أهلك) أى من أهل دينك أو من أهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بأن العبرة بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال (انه عمل غير صالح) من قرأ على لفظ الفعل فمعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك والتكذيب ومن قرأ على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفى قوله غير صالح دون أن يقول فاسد تعريض بل تصريح بأنه انما نجا من نجا بالصلاح ويحتمل على هذه القراءة أن يعود الضمير فى انه الى سؤال نوح أى ان نداءك هذا المتضمن لسؤال انجاء ابنك عمل غير صالح وقيل المراد أن هذا الابن ولدزنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال وبخه عليه بقوله (فلا تسألن مالیس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين) قال المحققون الظاهر أن ابنه كان منافقا فلذلك اشتبه أمره على نوح وحمله شفقة الابوة أولا على دعوته الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج لجأ الى الله فى خلاصه من الغرق وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمتنا وعذابنا عاندوا بادلة الله وحججه وعصوا رسله الذين أرسلهم اليهم للدعاء الى توحيده واتباع أمره واتبعوا أمر كل جبار عنيد يعنى كل مستكبر على الله مائل عن الحق لايذعن له ولا يقبله يقال منه عند عن الحق فهو يعند عنودا والرجل عاند وعنود ومن ذلك قيل للعرق الذى ينفجر فلا يرقأ عرق عاند أى ضار ومنه قول الراجز

* انى كبير لا أطيق العندا * حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واتبعوا أمر كل جبار عنيد المشرك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود﴾ يقول تعالى ذكره وأتبع عاد قوم هود فى هذه الدنيا غضبا من الله وسخطة يوم القيامة مثل اللعنة التى سلفت لهم من الله فى الدنيا ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود يقول أبعدهم الله من الخير يقال كفر فلان ربه وكفر به وشكرت لك وشكرتك وقيل ان معنى كفروا ربهم كفروا نعمة ربهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا فقال لهم ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له وأخلصوا له العبادة دون ماسواه من الآلهة فمالكم من اله غيره يستوجب عليكم العبادة ولا تجوز الالوهة الا اله هو أنشأكم من الارض يقول هو ابتدأ خلقكم من الارض وانما قال ذلك لانه خلق آدم من الارض فخرج الخطاب لهم اذ كان ذلك فعله بمن هم منه واستعمركم فيها يقول وجعلكم عمارا فيها فكان المعنى فيه أسكنكم فيها أيام حياتكم من قولهم أعمر فلان فلانا داره وهى له عمرى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واستعمركم فيها قال أعمركم فيها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واستعمركم فيها يقول أعمركم وقوله فاستغفروه يقول اعملوا عملا يكون سببا لمغفرة الله عليكم ذنوبكم وذلك الايمان به واخلاص العبادة له دون ماسواه واتباع رسوله صالح ثم توبوا اليه يقول ثم اتركوا من الاعمال مايكرهه ربكم الى مايرضاه ويحبه ان ربى قريب مجيب يقول ان ربى قريب ممن أخلص له العبادة ورغب اليه فى التوبة مجيب له اذا دعاه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا واننالفى شك مما تدعونا اليه مريب﴾ يقول تعالى ذكره قالت ثمود لصالح نبيهم ياصالح قد كنت فينا مرجوا أى كنا نرجو أن تكون فينا سيدا قبل هذا القول الذى قلته لنا من أنه مالنا من اله غير الله أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا يقول أتنهانا أن نعبد الآلهة التى كانت آباؤنا تعبدها وانناالفى شك مما تدعونا اليه مريب يعنون أنهم لايعلمون صحة مايدعوهم اليه من توحيد الله وأن الالوهة لاتكون الا له خالصا وقوله مريب أى يوجب التهمة من أريبته فأنا أريبه اريابة اذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة ومنه قول الهذلى

كنت اذا أتوته (١) من غيب * يشم عطفى ويبز ثوبى * كأنما أريبته بريب

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير﴾ يقول تعالى ذكره قال صالح لقومه من ثمود ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى يقول ان كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنت

(١) لغة فى أتيته

فعوتب على ذلك لانه لما وعده الله انجاء أهله واستثنى منهم من سبق عليه القول كان عليه أن يتوكل على الله حق توكله ويعلم أن كل من كان من أهله مؤمنا فانه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يصبر الى تبين الحال توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع الى الله قائلا (رب انى أعوذ بك أن أسألك) فيما يستقبل من الزمان (ما ليس لى به علم) تأديبا لآدابك واتعاظا بعظتك (والا تغفر لى) ما فرط منى من الخطا فى باب الاجتهاد أو من قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر وهذا التضرع مثل تضرع أبيه وأبينا آدم فى قوله ربنا ظلمنا الآية فلذلك عفى عنه (وقيل يا نوح اهبط) أى من السفينة بعد استوائها على الجبل أو انزل من الجبل الى الفضاء ملتبسا (بسلام منا) بسلامة من التهديد والوعيد بل من جميع الآفات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان خائفا من عدم المأكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق فى الأرض شئ يمكن أن ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل أى مسلما عليك مكرما والبركات الخيرات النامية الثابتة وفسروها فى هذا المقام بأنه وعده بأن بجميع أهل الأرض من الأشخاص الانسانية يكون من نسله اما لأنه لم يكن فى السفينة الا من هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من أهله وبقى النسل والتوالد فى ذريته دليله قوله سبحانه وجعلنا ذريته هم الباقين فنوح آدم الاصغر وقيل لما وعده السلامة من الآفات وعده أن موجبات السلامة والراحة تكون فى التزايد والثبات لا عليك وحدك بل (وعلى أمم ممن معك) ان كان من للبيان فالمراد الامم الذين كانوا معه فى السفينة

وآتانى منه رحمة يقول وآتانى منه النبوة والحكمة والاسلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته يقول فمن الذى يدفع عنى عقابه اذا عاقبنى ان أنا عصيته فيخلصنى منه فما تزيدوننى بعذركم الذى تعتذرون به من أنكم تعبدون ما كان يعبد آباؤكم غير تخسير لكم يخسركم حظوظكم من رحمة الله كما

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فما تزيدوننى غير تخسير يقول ما تزدادون أنتم الا خسارا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود اذ قالوا له وانشائى شك مما تدعونا اليه مريب وسألوه الآية على ما ادعاهم اليه يا قوم هذه ناقة الله لكم آية يقول حجة وعلامة ودلالة على حقيقة ما أدعوكم اليه فذروها تأكل فى أرض الله فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها ولا تمسوها بسوء يقول لا تقتلوها ولا تناولوها بعقر فيأخذكم عذاب قريب يقول فانكم ان تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ يقول تعالى ذكره فعقرت ثمود ناقة الله وفى الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه وهو فكذبوه فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام يقول استمتعوا فى دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب يقول هذا الأجل الذى أجلتكم وعدمن الله وعدكم بانقضائه الهلاك ونزول العذاب بكم غير مكذوب يقول لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وذكر لنا أن صالحا حين أخبرهم أن العذاب أتاهم لبسوا الانطاع والأكسية وقيل لهم ان آية ذلك أن تصفر ألوانكم أول يوم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث وذكر لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا وقالوا عليكم الفصيل فصعد الفصيل القارة والقارة الجبل حتى اذا كان اليوم الثالث استقبل القبلة وقال يا رب أمى يا رب أمى ثلاثا قال فأرسلت الصيحة عند ذلك وكان ابن عباس يقول لو صعدتم القارة لرأيتم عظام الفصيل وكانت منازل ثمود بحجر بين الشام والمدينة

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قال بقية آجالهم

حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس قال لو صعدتم على القارة لرأيتم عظام الفصيل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء ثمود عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا به معه برحمة منا يقول بنعمة وفضل من الله ومن خزى يومئذ يقول ونجيناهم من هوان ذلك اليوم وذله بذلك العذاب ان ربك هو القوى فى بطشه اذا بطش بشئ أهلكه كما أهلك ثمود حين بطش بها العزيز فلا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر بل يغلب كل شئ ويقهره ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة برحمة منا ومن خزى يومئذ قال نجاه الله برحمة منا ونجاه من خزى يومئذ

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال قلنا له حدثنا حديث ثمود قال أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود كانت ثمود قوم صالح أعمرهم الله فى الدنيا فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم فقالوا يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول

لانهم كانوا جماعات أوهم أصل الأمم التى انشعبت منه وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على أمم ناشئة ممن معك الى آخر الدهر هذا ل

الأمة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة المتوالدة فقال (وأمم) وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف أى وممن معك أمم (سنمتعهم) فى الدنيا (ثم يمسهم) فى الآخرة (منا عذاب أليم) عن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود وصالح ولوط وشعيب و (تلك) اشارة الى قصة نوح وهو مبتدأ والجمل بعدها أخبار وقوله (ولا قومك) للمبالغة كقول القائل لا تعرف هذه المسئلة لا أنت ولا قومك ولا أهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فجملها أشهر من أن يخفى ومعنى (من قبل هذا) أى من قبل هذا الايحاء أو العلم الذى كسبته بالوحى أو من قبل هذا الوقت وكأن هذه القصة أعيدت فى هذه السورة تثبيتا للنبى صلى الله عليه وسلم على انذار قومه ولذلك ختمت بقوله (فاصبر) كما صبر نوح و (ان العاقبة) الحميدة (للمتقين)

﴿ التأويل ما نزل الا بشرا مثلنا ﴾ أى مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه أن النفس بنظرها السفلى ترى الروح العلوى سفليا فلهذا تنظر الى النبى ولا ترى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى والارذل من اتباع الروح البدن والجوارح الظاهرة فان الغالب على الخلق أن البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالافعال الشرعية ولكن النفس الأمارة تكون على كفرها ولا تخلى البدن أن يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لاكثر الخلق

الله فدعا صالح ربه فأخرج لهم الناقة فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربهم خلوا عنها وعن الماء وحلبوها البنا ملؤا كل اناء ووعاء وسقاء حتى اذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيأ فملؤا كل اناء ووعاء وسقاء فأوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم فقالوا ما كنا لنفعل فقال إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود فقالوا ما علامة ذلك المولود فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال وكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤا فجمع بينهما مجلس فقال أحدهما لصاحبه ما يمنعك أن تزوج ابنك قال لا أجد له كفؤا قال فان ابنتى كفؤ له وأنا أزوجك فزوجه فولد بينهما ذلك المولود وكان فى المدينة ثمانية رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون فلما قال لهم صالح انما يعقرها مولود فيكم اختاروا ثمانى نسوة قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا كانوا يطوفون فى القرية فاذا وجدوا المرأة تمخض نظروا ما ولدت ان كان غلاما قتلنه فنظرن ما هو وان كانت جارية أعرضن عنها فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذى يريد رسول الله صالح فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالا لو أن صالحا أراد هذا قتلناه فكان شر مولود وكان يشب فى اليوم شباب غيره فى الجمعة ويشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة فاجتمع الثمانية الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون وفيهم الشيخان فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جديه فكانوا تسعة وكان صالح لا ينام معهم فى القرية كان فى مسجد يقال له مسجد صالح فيه يبيت بالليل فاذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم واذا أمسى خرج الى مسجده فبات فيه قال حجاج وقال ابن جريج لما قال لهم صالح انه سيولد غلام يكون هلاكهم على يديه قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم بقتلهم فقتلوهم الا واحدا قال فلما بلغ ذلك المولود قالوا لو كنا قتلنا أولادنا لكان لكل رجل منا مثل هذا هذا عمل صالح فأتمروا بينهم بقتله وقالوا نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا فنرصده عند مصلاه فنقتله فلا يحسب الناس الا أنا مسافرون كما نحن فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم فأصبحوا رضخا فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون فى القرية أى عباد الله أما رضى صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون وأجمعوا عنها الا ذلك ابن العاشر ثم رجع الحديث الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأرادوا أن يمكروا بصالح فشوا حتى أتوا على سرب على طريق صالح فاختبأ فيه ثمانية وقالوا اذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيتناهم فأمر الله الأرض فاستوت عليهم قال فاجتمعوا ومشوا الى الناقة وهى على حوضها قائمة فقال الشقى لأحدهم انتها فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فأضرب عن ذلك فبعث آخر فأعظم ذلك فجعل لا يبعث رجلا الا تعاظمه أمرها حتى مشوا اليها وتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وأتى رجل منهم صالحا فقال أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه بانى الله انما عقرها فلان انه لا ذنب لنا قال فانظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلا يقال له القارة قصيرا فصعد وذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فطال فى السماء حتى ما يناله الطير قال ودخل صالح القرية فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا غرغوة ثم رغا أخرى ثم رغا أخرى فقال صالح لقومه لكل رغوة أجل يوم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ألا ان آية العذاب أن اليوم

الاول تصبح وجوهكم مصفرة واليوم الثانى محمرة واليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا فاذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كأنها خضبت بالدماء فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث فاذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمغر وكانت أكفانهم الأنطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم فينظرون الى السماء مرة والى الارض مرة فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أومن تحت أرجلهم من الارض فخسفا وغرقا فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت فى الأرض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى دارهم جاثمين

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله من بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا واحدا كان فى حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله قيل ومن هو يارسول الله قال أبو رغال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم وأراهم مرتى الفصيل حين ارتقى فى القارة ۞ قال ابن جريج وأخبرنى موسى بن عقبة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم ۞ قال ابن جريج قال جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما مر بوادى ثمود وهو عامد الى تبوك قال فأمر أصحابه أن يسرعوا السير وأن لا ينزلوا به ولا يشربوا من مائه وأخبرهم أنه واد ملعون قال وذكر لنا أن الرجل الموسر من قوم صالح كان يعطى المعسر منهم ما يتكفنون به وكان الرجل منهم يلحد لنفسه ولاهل بيته لميعاد نبى الله صالح الذى وعدهم وحدث من رآهم بالطرق والافنية والبيوت فيهم شبان وشيوخ أبقاهم الله عبرة وآية

حدثنا اسمعيل بن المتوكل الاشجعى من أهل حمص قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا عبد الله بن واقد عن عبد الله بن عثمان بن خثيم قال ثنا أبو الطفيل قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك نزل الحجر فقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله لهم الناقة آية فكانت تلج عليهم يوم ورودهم الذى كانوا يترقون منه ثم يحلبونها مثل ما كانوا يترقون من مائهم قبل ذلك لبنا ثم تخرج من ذلك الفج فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام وكان وعدا من الله غير مكذوب فأهلك الله من كان منهم فى مشارق الأرض ومغاربها الا رجلا واحدا كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله قالوا ومن ذلك الرجل يارسول الله قال أبو رغال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود﴾ يقول تعالى ذكره وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من عقر ناقة الله وكفرهم به الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين قد جثمتهم المنايا وتركتهم خمودا بأفنيتهم كما

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

وجوارحه فى التكاليف الشرعية فتقول للروح ان تردأن أومن بك وأتخلق بأخلاقك فامتع البدن وجوارحه فى التكاليف من ينصرنى من الله من يمنعنى من قهره ان منعت البدن من الطاعة فاقتصر على مجرد ايمان النفس وتخلقها باخلاق الروح كما هو معتقد أهل الفلسفة والاباحة يقولون ان أصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن والتحلى بالاخلاق الحميدة أفلا تذكرون أن جمعية الباطن ونوره من نتائج استعمال الشرع فى الظاهر فالنور فى الشرع والظلمة فى الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من ظلمات الطبع الى نور الشرع لن يؤتيهم الله خيرا أى استعدادا لتحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله أعلم بما فى نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال وأنا برىء مما تجرمون من التكذيب وفيه أن ذنوب النفس لا تؤثر فى صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبرئا من ذنوب النفس متأسفا على معاملات النفس وتتبع هواها وأوحى الى نوح الروح أنه لن يؤمن من قومك وهم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها والبدن وجوارحه الا من قد آمن من خواص العباد وهم القلب وصفاتها والسر وصفات النفس والبدن وجوارحه فاما النفس فانها لا تؤمن أبدا اللهم الا نفوس الأنبياء وخواص الاولياء فانها تسلم أحيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان أعمال الشر لنفوس السعداء كالجلد للاكسير ينقلب ذهبا مقبولا عند طرح الروح عليها

فكذلك تنقلب أعمال الشر خيرا عند طرح التوبة عليها أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس على نفوس الاشقياء لان أعمالها حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون فى النار على وجوههم واصنع الفلك اتخذ يانوح الروح سفينة الشريعة بنظرنا لا بنظرك فان نظرك تبع الحواس يبصر ظاهرها ويغفل عن أسرارها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا فان الظلم من شيم النفوس انهم مغرقون فى بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليه ملأهم النفس وهواها وصفاتها يسخرون من استعمال أركان الشريعة اذلم يفهموا حقائقها حتى اذا جاء أمرنا وهو حد البلوغ والركوب فى سفينة الشريعة وفار ماء الشهوة من تنور القالب قلنا احمل فى سفينة الشريعة من كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء والغضب وزوجه الحلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع والتأنى مع العجلة وأهلك وهم صفات الروح لا النفس ومن آمن وهم القلب والسر وفى قوله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله اشارة الى أن من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الآباء والمعلمين لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع فى سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بأمر الله وذكره مجراها من الله ومرساها الى الله كقوله وأن الى ربك المنتهى فى موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين القالب وكان فى معزل من معرفة الله وطلبه ساوى الى جبل العقل يعصمنى من الماء الفتن لا عاصم اليوم اى اذا نبع ماء الشهوات من أرض البشرية ونزل ماء ملاذ الدنيا وزينتها

عن قتادة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين يقول أصبحوا قد هلكوا كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم يعيشوا فيها ولم يعمروا بها كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا فيها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ألا ان ثمود كفروا ربهم يقول ألا ان ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدوها ألا بعدا لثمود يقول ألا أبعد الله ثمود لنزول العذاب بهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جاءت رسلنا من الملائكة وهم فيما ذكر كانوا جبرئيل وملكين آخرين وقيل ان الملكين الآخرين كانا ميكائيل واسرافيل معه ابراهيم يعنى ابراهيم خليل الله بالبشرى يعنى بالبشارة واختلفوا فى تلك البشارة التى أتوبها فقال بعضهم هى البشارة باسحق وقال بعضهم هى البشارة بهلاك قوم لوط قالوا سلاما يقول فسلموا عليه سلاما ونصب سلاما بأعمال قالوا فيه كأنه قيل قالوا قولا وسلموا تسليما قال سلام يقول قال ابراهيم لهم سلام فرفع سلام بمعنى عليكم السلام أو بمعنى سلام منكم وقد ذكر عن العرب أنها تقول سلم بمعنى السلام كما قالوا حل وحلال وحرم وحرام وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت ۞ كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح

بمعنى سلام وقد روى كما انكل وقد زعم بعضهم أن معناه اذا قرئ كذلك نحن سلم لكم من المسالمة التى هى خلاف المحاربة وهذه قراءة عامة قراء الكوفيين وقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة قالوا سلاما قال سلام على أن الجواب من ابراهيم صلى الله عليه وسلم لهم بنحو تسليمهم عليكم السلام والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متفقتا بتا المعنى لان السلم قد يكون بمعنى السلام على ما وصفت والسلام بمعنى السلم لان التسليم لا يكاد يكون الا بين أهل السلم دون الأعداء فاذا ذكر تسليم من قوم على قوم ورد الآخرين عليهم دل ذلك على مسالمة بعضهم بعضا وهما مع ذلك قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة فى القراءة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وقوله فما لبث أن جاء بعجل حنيذ وأصله محنوذ صرف من مفعول الى فعيل وقد اختلف أهل العربية فى معناه فقال بعض أهل البصرة منهم معنى المحنوذ المشوى قال ويقال منه حنذت فرسى بمعنى سخنته وعرقته واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز ۞ ورهبا من حنذه أن يهرجا ۞ وقال آخر منهم حنذ فرسه أى أضمره وقال قالوا حنذه يحنذه حنذا أى عرقه وقال بعض أهل الكوفة كل ما انشوى فى الأرض اذا خددت له فيه فدفنته وغممته فهو الحنيذ والمحنوذ قال والخيل تحنذ اذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق قال ويقال اذا سقيت فاحنذ يعنى اخفس يريد أقل الماء وأكثر النبيذ وأما التأويل فانهم قالوا فى معناه ما أنا ذاكره وذلك ما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بعجل حنيذ يقول نضيج حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بعجل حنيذ قال بعجل حسيل البقر والحنيذ المشوى النضيج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى بعجل حنيذ قال نضيج سخن أنضج بالحجارة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما لبث أن جاء بعجل حنيذ والحنيذ النضيج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بعجل حنيذ قال نضيج قال وقال الكلبى والحنيذ الذى يحنذ فى الارض

حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر في قوله بجاء بعجل حنيذ قال الحنيذ الذي يقطر ماء وقد شوى وقال حفص الحنيذ مثل حناذ الخيل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذبحه ثم شواه في الرضف فهو الحنيذ حين شواه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو يزيد عن يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية بجاء بعجل حنيذ قال المشوي الذي يقطر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال الحنيذ الذي يقطر ماؤه وقد شوى حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك بعجل حنيذ قال نضيج حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله بعجل حنيذ الذي أنضج بالحجارة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان قال لبث أن جاء بعجل حنيذ قال مشوي حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول حنيذ يعني شوى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال الحناذ الانضاج . « قال أبو جعفر » وهذه الاقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقاربات المعاني بعضها من بعض وموضع أن في قوله أن جاء بعجل حنيذ نصب بقوله فما لبث أن جاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط ﴾ يقول تعالى ذكره فلما رأى ابراهيم أيديهم لا تصل الى العجل الذي أتاهم به والطعام الذي قدم اليهم نكرهم وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم اليهم فيما ذكر كفوا عن أكله لانهم لم يكونوا ممن يأكله وكان امساكهم عن أكله عند ابراهيم وهم ضيفانه مستنكرا ولم تكن بينهم معرفة وراعه أمرهم وأوجس في نفسه منهم خيفة وكان قتادة يقول كان انكاره ذلك من أمرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وكانت العرب اذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ بخير وأنه يحدث نفسه بشر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم قال كانوا اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وأنه يحدث نفسه بشر ثم حدثوه عند ذلك بما جاؤا وقال غيره في ذلك ما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن الاسود بن قيس عن جندب بن سفيان قال لما دخل ضيف ابراهيم عليه السلام قرب اليهم العجل فجعلوا ينكتون بقداح في أيديهم من نبل ولا تصل أيديهم اليه نكرهم عند ذلك يقال منه نكرت الشيء أنكره وأنكرته أنكره بمعنى واحد ومن نكرت وأنكرت قول الاعشى

وأنكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

جمع اللغتين جميعا في البيت وقال أبو ذؤيب

فنكرنه فنفرن وامترست به * هوجاء هادية وهاد جرشع

وقوله وأوجس منهم خيفة يقول أحس في نفسه منهم خيفة وأضمرها قالوا لا تخف يقول قالت الملائكة لما رأت ما بابراهيم من الخوف منهم لا تخف منا وكن آمنا فانا ملائكة ربك أرسلنا الى قوم لوط ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وامرأته قائمة فضحكت ﴾ يقول تعالى ذكره وامرأته سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ وهي ابنة عم ابراهيم قائمة قيل كانت قائمة من

الآفات وغيض ماء الفتن ببركة الشرع وقضي الامر ما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة على الجودي وهو مقام التمكين بعد مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو ما وعد نوح الروح عند اهباطه الى العالم السفلي من الرجوع الى العالم العلوي انه ليس من أهلك وكان للروح أربعة بنين ثلاثة من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فنفى عن النفس أهلية الدين والملة لانها خلقت للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد والخلاص من طوفان الفتن وأم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ثم يمسهم في الآخرة عذاب البعد عن المألوفات فاصبر على تربية الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

﴿ والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان أنتم الا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي

وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم

ولا تضرونه شيأ ان ربي على كل شئ حفيظ ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك

عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ﴿

﴿ القراآت فطرني بفتح الياء أبو جعفر ونافع والبزي غير الخزاعي إني أشهد بالفتح أبو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزي وابن فليح ويستخلف بالجزم الخزاز عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج أبو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلي والشموني والبرجمي وعباس الآخرون بالجر ألا ان ثمود غير منصرف والوقف بغير الألف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود بالتنوين في الوصل

وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عليه السلام وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم جالس مع الرسل وقوله فضحكت اختلف أهل التأويل في معنى قوله فضحكت وفي السبب الذي من أجله ضحكت فقال بعضهم ضحكت الضحك المعروف تعجبا من أنها وزوجها ابراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط أقبلت تمشي في صورة رجال شباب حتى نزلوا على ابراهيم فتضيفوه فلما رآهم ابراهيم أجلهم فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فذبحه ثم شواه في الرضف فهو الحنيذ حين شواه وأتاهم فقعد معهم وقامت سارة تخدمهم فذلك حين يقول وامرأته قائمة وهو جالس في قراءة ابن مسعود فلما قربه اليهم قال ألا تأكلون قالوا يا ابراهيم انا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبرئيل الى ميكائيل فقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى أيديهم لا تصل اليه يقول لا يأكلون فزع منهم وأوجس منهم خيفة فلما نظرت اليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت عجبا لأضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا * وقال آخرون بل ضحكت من أن قوم لوط في غفلة وقد جاءت رسل الله لهلاكهم ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما أوجس ابراهيم خيفة في نفسه حدثوه عند ذلك بما جاؤا فيه فضحكت امرأته وعجبت من أن قوما أتاهم العذاب وهم في غفلة فضحكت من ذلك وعجبت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أنه قال ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ومما أتاهم من العذاب * وقال آخرون بل ضحكت ظنا منها بهم أنهم يريدون عمل قوم لوط ذكر من قال ذلك

حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن قيس في قوله وامرأته قائمة فضحكت قال لما جاءت الملائكة ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط * وقال آخرون بل ضحكت لما رأت بزوجها ابراهيم من الروع ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي فضحكت قال ضحكت حين راعوا ابراهيم مما رأت من الروع بابراهيم * وقال آخرون بل ضحكت حين بشرت باسحق تعجبا من أن يكون لها ولد على كبرسنها وسن زوجها ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول لما أتى الملائكة ابراهيم عليه السلام فرآهم راعه هيئتهم وجمالهم فسلموا عليه وجلسوا اليه فقام فأمر بعجل سمين فحنذله فقرب اليهم الطعام فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة وسارة وراء البيت تسمع قالوا لا تخف انا نبشرك بغلام حليم مبارك وبشر به امرأته سارة فضحكت وعجبت كيف يكون لي ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير فقالوا أتعجبين من أمر الله فانه قادر على ما يشاء فقد وهبه الله لكم فأبشروا به وقد قال بعض من كان يتأول هذا التأويل ان هذا من المقدم الذي معناه التأخير كأن معنى الكلام عنده وامرأته قائمة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقالت يا ويلتا ءألد وأنا عجوز * وقال آخرون بل معنى قوله فضحكت في هذا الموضع فحاضت ذكر من قال ذلك

حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن عمرو ابن الازهر عن ليث عن مجاهد في قوله فضحكت قال حاضت وكانت ابنة بضع وتسعين سنة قال وكان ابراهيم ابن مائة سنة * وقال آخرون بل ضحكت سرورا بالامن منهم لما قالوا لابراهيم لا تخف

وذلك

على ﴿ الوقوف هودا ط غيره ط مفترون ○ أجرا ط فطرنى ط
تعقلون ○ مجرمين ○ بمؤمنين ○ بسوء ط تشركون ○ لا لاتنظرون ○ وربكم ط بناصيتها ط مستقيم ○ به اليكم ط للاستئناف الالمن قرأ ويستخلف بالجزم غيركم ج لاحتمال مابعده الاستئناف والحال شيأ ط حفيظ ○ منا ج لحق المحذوف أى وقد نجيناهم غليظ ○ ط عنيد ○ ويوم القيامة ط ربهم ط هود ○ صالحا م لما مر فى الاعراف غيره ط اليه ط مجيب ○ مريب ○ تخسير ○ قريب ○ أيام ط مكذوب ط يومئذ ط العزيز ○ جاثمين ○ لا لكاف التشبيه فيها ط ربهم ط لثمود ○ ﴿ التفسير قد مر فى الاعراف تفسير قوله والى عاد الآية ومعنى قوله ان أنتم الا مفترون أنكم كاذبون فى قولكم ان هذه الاصنام يحسن عبادتها مع أنها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قول نوح (ياقوم لا أسألكم عليه أجرا) لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع أفلا تعقلون أن نصح من لا يطلب الا جر الا من الله لا يكون من التهمة فى شئ قيل انما قال فى قصة نوح مالا دون أجرا لذكر الخزائن بعده فلفظ المال بها أليق وحذف الواو من ياقوم لانه أراد الاستئناف أو البدل دون العطف (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) قد مر مثله فى أول السورة وقال الاصم المراد سلوه أن يغفر لكم ما تقدم لكم من اسرافكم ثم اعزموا على أن لا تعودوا الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم فى الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة والزراعة مفتخرين بها أو توا من البطش والقوة فقدم اليهم فى باب الدعوة الى الدين والترغيب

وذلك أنه قد كان خافهم وخافتهم أيضا كما خافهم ابراهيم فلما أمنت ضحكت فأتبعوها البشارة باسحق وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنه لم يسمع ضحكت بمعنى حاضت من ثقة وذكر بعض أهل العربية من البصريين أن بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أن العرب تقول ضحكت المرأة حاضت قال وقد قال الضحك الحيض وقد قال بعضهم الضحك العجب وذكر بيت أبى ذؤيب

بفاء بمزج لم ير الناس مثله * هو الضحك الا أنه عمل النحل

وذكر أن بعض أصحابه أنشده فى الضحك بمعنى الحيض

وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الجوف يوم اللقا

قال وذكر له بعض أصحابه أنه سمع للكميت

فأضحكت الضباع سيوف سعد * بقتلى مادفن ولا ودينا

وقال يريد الحيض قال وبلحرث بن كعب يقولون ضحكت النخلة اذا أخرجت الطلع أو البسر وقالوا الضحك الطلع قال وسمعنا من يحكى أضحكت حوضا أى ملأته حتى فاض قال وكأن المعنى قريب بعضه من بعض كله لانه كأنه شئ يمتلئ فيفيض * وأولى الاقوال التى ذكرت فى ذلك بالصواب قول من قال معنى قوله فضحكت فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لانه ذكر عقيب قولهم لابراهيم لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط فاذا كان ذلك كذلك وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لابراهيم لا تخف كان الضحك والتعجب انما هو من أمر قوم لوط ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب﴾ يقول تعالى ذكره فبشرنا سارة امرأة ابراهيم ثوابا منا لها على تنكيرها وتعجبها من فعل قوم لوط باسحق ولد الها ومن وراء اسحق يعقوب يقول ومن خلف اسحق يعقوب من ابنها اسحق والوراء فى كلام العرب ولد الولد وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال ومن وراء اسحق يعقوب قال الوراء ولد الولد حدثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى قال كل واحد منهما حدثنى أبو اليسع اسمعيل بن حماد بن أبى المغيرة مولى الاشعرى قال كنت الى جنب جدى أبى المغيرة بن مهران فى مسجد على بن زيد فربنا الحسن بن أبى الحسن فقال ياأبا المغيرة من هذا الفتى قال ابنى من وراثى فقال الحسن فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب حدثنا عمرو بن على ومحمد ابن المثنى قالا ثنا محمد بن أبى عدى قال ثنا داود بن أبى هند عن الشعبى فى قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قال ولد الولد هو الوراء حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر فى قوله ومن وراء اسحق يعقوب قال الوراء ولد الولد حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو عمرو الأزدى قال سمعت الشعبى يقول ولد الولد هم الولد من الوراء حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت قال جاء رجل الى ابن عباس ومعه ابن ابنه فقال من هذا معك قال هذا ابن ابنى قال هذا ولدك من الوراء قال فكأنه شق على ذلك الرجل فقال ابن عباس ان الله يقول فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فولد الولد هم من الوراء حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال لما ضحكت سارة وقالت عجبا لأضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا قال لها جبرئيل أبشرى بولد اسمه اسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضربت

فيه ما كانت همتهم معقودة به الاخروية وكأنه انما خص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول أصل جميع النعم والثانى أصل فى الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة فى المال وقيل فى النكاح وروى أنه حبس عنهم القطر بشؤم التكذيب ثلاث سنين وأعقم نساؤهم فوعدوا أنهم ان آمنوا أحيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمدرار الكثير الدر كما مر فى أول الانعام عن الحسن بن على رضى الله عنه أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال انى رجل ذو مال لا يولد لى فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى انه ربما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال وبنين ثم قال هود (لا تتولوا) أى لا تعرضوا عما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على الاجرام والآثام فجحدوا هودا وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه ولم يشتهر منه معجزة ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة مع أولئك الاقوام من غير مبالاة وتوان آية من الآيات وقوله (عن قولك) حال من الضمير كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) لا يصدق مثلنا مثلك أبدا ثم زعموا أن بعض آلهتهم اعتراه بسوء أى غشيه وأورثه الخبل والجنون لانه كان يسب آلهتهم وذلك قولهم (ان نقول الا اعتراك) والا لغو أى ما نقول شيأ الا هذا

وجهها عجبا فذلك قوله فصكت وجهها وقالت ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد قالت سارة ما آية ذلك قال فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا بيعا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فضحكت يعنى سارة مما عرفت من أمر الله جل ثناؤه ولما تعلم من قوم لوط فبشروها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب بابن و بابن ابن فقالت وصكت وجهها يقال ضربت على جبينها ياويلتاء ألد وأنا عجوز الى قوله ان حميد مجيد واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء العراق والحجاز ومن وراء اسحق يعقوب برفع يعقوب و يعيد ابتداء الكلام بقوله ومن وراء اسحق يعقوب وذلك وان كان خبرا مبتدأ ففيه دلالة على معنى التبشير وقرأه بعض قراء أهل الكوفة والشأم ومن وراء اسحق يعقوب نصبا فأما الشامى منهما فذكر أنه كان ينحو بيعقوب نحو النصب باضمار فعل آخر مشاكل للبشارة كأنه قال ووهبنا له من وراء اسحق يعقوب فلما لم يظهر وهبنا عمل فيه التبشير وعطف به على موضع اسحق اذ كان اسحق وان كان مخفوضا فانه بمعنى المنصوب بعمل بشرنا فيه كما قال الشاعر

جئنى بمثل بنى بدر لقومهم * أومثل أسرة منظور بن سيار
أوعامر بن طفيل فى مركبه * أوحارثا يوم نادى القوم ياحار

وأما الكوفى منهما فانه قرأه بتأويل الخفض فيما ذكر عنه غير أنه نصبه لانه لا يجرى وقد أنكر ذلك أهل العلم بالعربية من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم وقالوا خطأ أن يقال مررت بعمرو فى الدار وفى الدار زيد وأنت عاطف بزيد على عمرو الا بتكرير الباء واعادتها فان لم تعد كان وجه الكلام عندهم الرفع وجاز النصب فان قدم الاسم على الصفة جاز حينئذ الخفض وذلك ان قلت مررت بعمرو فى الدار وزيد فى البيت وقد أجاز الخفض والصفة معترضة بين حرف العطف والاسم بعض نحويى البصرة * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه رفعا لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب والذى لا يتناكره أهل العلم بالعربية وما عليه قراء الامصار فأما النصب فيه فان له وجها غير أنى لا أحب القراءة به لان كتاب الله نزل بافصح اللسن العرب والذى هو أولى بالعلم بالذى نزل به من الفصاحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالت ياويلتاء ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد﴾ يقول تعالى ذكره قالت سارة لما بشرت باسحق أنها له تعجبا مما قيل لها من ذلك اذ كانت قد بلغت السن التى لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء وقيل انها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة وابراهيم ابن مائة سنة وقد ذكرت الرواية فيما روى فى ذلك عن مجاهد قبل وأما ابن اسحق فانه قال فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت سارة يوم بشرت باسحق فيما ذكر لى بعض أهل العلم ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة سنة ياويلتا وهى كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشئ والاستنكار للشئ فيقولون عند التعجب ويل أمه رجلا ما أرجله وقد اختلف أهل العربية فى هذه الالف التى فى ياويلتا فقال بعض نحوى البصرة هذه ألف حقيقة اذا وقفت قلت ياويلتاه وهى مثل ألف النده فلطفت من أن تكون فى السكت وجعلت بعدها الهاء لتكون أبين لها وأبعد فى الصوت وذلك لان الالف اذا كانت بين حرفين كان لها صدى كنحو الصوت يكون فى جوف الشئ فيتردد فيه فتكون

أكثر

أكثروا بين وقال غيره هذه ألف الندبة فاذا وقفت عليها بخاز وان وقفت على الهاء فجائز وقال ألا ترى أنهم قد وقفوا على قوله ويدعوا الانسان فحذفوا الواو وأثبتوها وكذلك ما كنا نبغي بالياء وغير الياء قال وهذا أقوى من ألف الندبة وهائها * والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الالف ألف الندبة والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز في الكلام لاستعمال العرب ذلك في كلامهم وقوله يا ويلتا يا عجوزتا تقول أني يكون لي ولد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا والبعل في هذا الموضع الزوج وسمي بذلك لانه قيم أمرها كما سموا مالك الشئ بعله وكما قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء الانهار والعيون البعل لأن مالك الشئ القيم به والنخل البعل بماء السماء حياته وقوله ان هذا الشئ عجيب يقول ان كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله يقول الله تعالى ذكره قالت الرسل لها أتعجبين من أمر أمر الله به أن يكون وقضاء قضاه الله فيك وفي بعلك وقوله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت يقول رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت ابراهيم وجعلت الالف واللام خلفا من الاضافة وقوله انه حميد مجيد يقول ان الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه مجيد يقول ذو مجد ومدح وثناء كريم يقال في فعل منه مجد الرجل يمجد مجادة اذا صار كذلك واذا أردت أنك مدحته قلت مجدته تمجيدا

القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب﴾ يقول تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الخوف الذي أوجسه في نفسه من رسلنا حين رأى أيديهم لا تصل الى طعامه وأمن أن يكون قصد في نفسه وأهله بسوء وجاءته البشرى باسحق ظل يجادلنا في قوم لوط وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع يقول ذهب عنه الخوف وجاءته البشرى باسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى باسحق ويعقوب ولد من صلب اسحق وأمن مما كان يخاف قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء وقد قيل معنى ذلك وجاءته البشرى أنهم ليسوا اياه يريدون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجاءته البشرى قال حين أخبروه أنهم أرسلوا الى قوم لوط وأنهم ليسوا اياه يريدون * قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر * وقال آخرون بشر باسحق وأما الروع فهو الخوف يقال منه راعني كذا يروعني روعا اذا خافه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لرجل كيف لك بروعة المؤمن ومنه قول عنترة

ماراعني الا حمولة أهلها * وسط الديار تسف حب الخمخم

بمعنى ما أفزعني * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الروع الفرق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فلما ذهب عن ابراهيم الروع قال الفرق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فلما ذهب عن ابراهيم الروع قال الفرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما ذهب عن ابراهيم الروع قال ذهب عنه الخوف وقوله يجادلنا في قوم لوط يقول يخاصمنا كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي

فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرأ منهم ومن شركهم فأشهد الله وذلك اشهاد صحيح وأشهدهم أيضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد علي أني لا أحبك تهكما به وقد مر قوله (فكيدوني) الآية في آخر سورة الاعراف وقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا اذا أسروا الاسير فأرادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته على أنه لا مالك الا هو وقوله (ان ربي على صراط مستقيم) دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه معنى ان ربك لبالمرصاد أي لا يخفى عليه شئ ولا يفوته هارب (فان تولوا فقد أبلغتكم) كقول القائل ان أكرمتني الآن فقد أكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فأنا غير معاتب ولا مقصر لاني قد قضيت حق الرسالة وفي قوله (ويستخلف) اشارة الى عذاب الاستئصال وأنه يخلق بعدهم من هو أطوع منهم وأنه لا ينقص من ملكه شيأ (ان ربي على كل شئ حفيظ) يحفظ أعمال العباد حتى يجازيهم عليها أو يحفظني من شركهم وكيدكم أو يحفظني من الهلاك (والذين آمنوا معه) قيل كانوا أربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل وامتنان أو بسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح (ونجيناهم من عذاب غليظ) أطلق التنجية أولا ثم قيدها على معنى وكانت

تلك التنجية من عذاب غليظ سموم تدخل في أفواههم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا ويحتمل أن يراد بالثانية النجاة من عذاب

نجيح عن مجاهد يجادلنا يخاصمنا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله يجادلنا يكلمنا وقال لان ابراهيم لا يجادل الله انما يسأله و يطلب منه وهذا من الكلام جهل لان الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط فقول القائل ابراهيم لا يجادل موهما بذلك أن قول من قال في تأويل قوله يجادلنا يخاصمنا أن ابراهيم كان يخاصم ربه جهل من الكلام وانما كان جداله الرسل على وجه المحاجة لهم ومعنى ذلك وجاءته البشرى يجادل رسلنا ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل وكان جداله اياهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي قال ثنا جعفر عن سعيد يجادلنا في قوم لوط قال لما جاء جبرئيل ومن معه قالوا لابراهيم انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال لهم ابراهيم أتهلكون قرية فيها اربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم بعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه حدثنا أبو كريب قال ثنا الحماني عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يجادلنا في قوم لوط ذكر لنا أن مجادلته اياهم أنه قال لهم أرأيتم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أمعذبوها أنتم قالوا لا حتى صار ذلك الى عشرة قال أرأيتم ان كان فيها عشرة أمعذبوهم أنتم قالوا لا وهي ثلاث قرى فيها ما شاء الله من الكثرة والعدد حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يجادلنا في قوم لوط قال بلغنا أنه قال لهم يومئذ أرأيتم ان كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا ان كان فيهم خمسون لم نعذبهم قال أربعون قالوا وأربعون قال ثلاثون قالوا وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير * قال ابن عبد الاعلى قال محمد بن ثور قال معمر بلغنا أنه كان في قرية لوط أربعة آلاف ألف انسان أو ما شاء الله من ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو ابن حماد قال ثنا أسباط عن السدي فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى قال ما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم لوط فجادلهم في قوم لوط قال أرأيتم ان كان فيها مائة من المسلمين أتهلكونهم قالوا لا فلم يزل يحط حتى بلغ عشرة من المسلمين فقالوا لا نعذبهم ان كان فيهم عشرة من المسلمين ثم قالوا يا ابراهيم أعرض عن هذا انه ليس فيها الا أهل بيت من المؤمنين هو لوط وأهل بيته وهو قول الله تعالى ذكره يجادلنا في قوم لوط فقالت الملائكة يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يعني ابراهيم جادل عن قوم لوط ليرد عنهم العذاب قال فيزعم أهل التوراة أن مجادلة ابراهيم اياهم حين جادلهم في قوم لوط ليرد عنهم العذاب انما قال للرسل فيما يكلمهم به أرأيتم ان كان فيهم مائة مؤمن أتهلكونهم قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا تسعين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا ثمانين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا سبعين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا ستين قالوا لا قال أفرأيتم ان كانوا خمسين قالوا لا قال أفرأيتم ان كان رجلا واحدا مسلما قالوا لا قال فلما لم يذكروا لابراهيم أن فيها مؤمنا واحدا قال ان فيها لوطا يدفع به عنهم العذاب قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين قالوا يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

الآخرة ولا عذاب أغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا وأشار الى قبورهم وآثارهم بقوله (وتلك عاد) فانظروا واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم مجملة فقال (جحدوا بآيات ربهم) فلم يتسلقوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الواجب بالذات (وعصوا رسله) قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لا نفرق بين أحد من رسله (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أطاعوا رؤساءهم وكبراءهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير ألا والنداء على كفرهم والدعاء عليهم بالبعد بعد اهلاكهم دلالة على تفظيع شأنهم وأنهم كانوا مستأهلين للدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل أن يراد البعد من رحمة الله في الآخرة وقوله (قوم هود) عطف بيان لعاد اما للتأكيد ومزيد التقرير واما لأن عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخرى وهي ارم قوله في قصة ثمود (هو أنشأكم) تقديم الضمير للحصر أي لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض أن الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن أن يقال ان الانسان مخلوق من المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في (واستعمركم) من العمارة أي جعلكم عمارا للارض وأمركم بالعمارة فمنها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال مع ما كان منهم من الظلم فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى اليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وقيل من العمر نحو استبقاكم

ثنى بحاج قال قال ابن جريج قال ابراهيم أتهلكونهم ان وجدتم فيهم مائة مؤمن ثم تسعين حتى هبط الى خمسة قال وكان فى قرية لوط أربعة آلاف ألف حدثنا محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا أبو المثنى ومسلم أبو الحبيل الاشجعى قالا لما ذهب عن ابراهيم الروع الى آخر الآية قال ابراهيم أتعذب عالما من عالمك كثيرا فيهم مائة رجل قال لا وعزتى ولا خمسين قال فاربعين فثلاثين حتى انتهى الى خمسة قال لا وعزتى لا أعذبهم ولو كان فيهم خمسة يعبدونى قال الله عز وجل فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين أى لوطا وابنتيه قال فحل بهم العذاب قال الله عز وجل وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وقال فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط والعرب لا تكاد تتلقى لما اذا وليها فعل ماض الا بما ض يقولون لما قام فقت ولا يكادون يقولون لما قام أقوم وقد يجوز فيما كان من الفعل له تطاول مثل الجدال والخصومة والقتال فيقولون فى ذلك لما لقيته أقاتله بمعنى جعلت أقاتله وقوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب يقول تعالى ذكره ان ابراهيم لبطىء الغضب متذلل لربه خاشع له منقاد لأمره منيب رجاع الى طاعته كما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد أواه منيب قال القانت الرجاع وقد بينا معنى الأواه فيما مضى باختلاف المختلفين والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول بما أغنى عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول رسله لابراهيم يا ابراهيم أعرض عن هذا وذلك قيلهم له حين جادلهم فى قوم لوط فقالوا دع عنك الجدال فى أمرهم والخصومة فيه فانه قد جاء أمر ربك يقول قد جاء أمر ربك بعذابهم وحق عليهم كلمة العذاب ومضى فيهم بهلاكهم القضاء وانهم آتيهم عذاب غير مردود يقول وان قوم لوط نازل بهم عذاب من الله غير مدفوع وقد ذكر الرواية بما ذكرنا فيه عمن ذكر ذلك عنه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاءت ملائكتنا لوطا ساءه مجيئهم وهو فعل من السوء وضاق بهم بمجيئهم ذرعا يقول وضاقت نفسه غما بمجيئهم وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله فى حال ماساءه مجيئهم وعلم من قومه ما هم عليه من اتيانهم الفاحشة وخاف عليهم فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعا وعلم أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه ولذلك قال هذا يوم عصيب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا يقول ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا باضيافه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن حذيفة أنه قال لما جاءت الرسل لوطا أتوه وهو فى أرض له يعمل فيها وقد قيل لهم والله أعلم لا تهلكوهم حتى يشهد لوط قال فأتوه فقالوا انا ممتضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية والله ما أعلم على ظهر الارض انا سا أخبث منهم قال فمضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال فانطلق بهم فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال حذيفة فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائى عن سعيد بن بشير عن قتادة قال أتت الملائكة لوطا وهو فى مزرعة له وقال الله للملائكة ان شهد لوط عليهم أربع شهادات فقد أذنت لكم فى هلكتهم فقالوا يا لوط انا نريد أن نضيفك الليلة فقال وما بلغكم أمرهم قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك أربع

منكم عند انقضاء أعماركم أو جعلكم معمرين ديارکم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنه أعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعنى كونه تعالى قريبا قد مر فى قوله واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وذلك فى البقرة ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا ﴾ عن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح وكمال العقل واصابة الرأى وقيل كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فظننا أنك من الانصار والاحباب وأهل الموافقة فى الدين فكيف أظهرت العداوة والبغضاء ثم أضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الآباء ثم صرحوا بالتوقف والريب فى أمره ومريب من أرابه اذا أوقعه فى الريبة أو من أراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازى واعلم أن قوله (وانا لفى شك) بنون الوقاية ههنا على الاصل وأما فى سورة ابراهيم فانما قال وانا بغير نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا على الجمع فكان اجتماع النونات مستكرها فأجابهم هو بقوله (ان كنت على بينة) الآية وبنى أمره على الفرض والتقدير لأن خطاب المخالف على هذا الوجه أقرب الى القبول كأنه قال قدروا أنى على بينة (من ربى) وأنى نبى على الحقيقة فمن يمنعنى من عذاب الله (ان عصيته) فى أوامره (فما تزيدوننى غير تخسير) أى على هذا التقدير تخسرون أعمالى وتبطلونها أو فما تزيدوننى بما تحملوننى عليه الا

أنى أنسبكم الى الخسران وأقول انكم خاسرون والمعنى الاول أقرب لانه كالدلالة

على أن متابعتهم لا تزيده الا خسران
قريب) عاجل لا يستأخر الا ثلاثة
أيام و (غير مكذوب) من باب الاتساع
أى غير مكذوب فيه فحذف الحرف
وأجرى الضمير مجرى المفعول به
أو من باب المجاز كأن الوعد اذا أوفى
به فقد صدق ولم يكذب أو المكذوب
مصدر كالمجلود وصف به قوله (فلما جاء
أمرنا) بالفاء وفى قصة هود بالواو لامكان
التعقيب ههنا بدليل قوله عذاب
قريب ومثله فى قصة لوط لقوله
أليس الصبح بقريب وأما فى قصة
هود فانه قال ويستخلف بلفظ
المستقبل ومثله فى قصة شعيب
سوف تعلمون من يأتيه بحرف
التسويف فلم يكن الفاء مناسبا
واعتبر هذا المعنى فى سائر المواضع
كما فى سورة يوسف قال ولما جهزهم
بالواو أولا لأن التعقيب لم يكن مرادا
ثم قال فلما جهزهم لامكان التعقيب
والله أعلم قوله (ومن خزى يومئذ)
معطوف على محذوف والتقدير
نجيناصالحا ومن معه من العذاب
النازل بقومه ومن الخزى الذى
لزمهم أو يتعلق بمعطوف محذوف
أى ونجيناهم من خزى يومئذ كما
قال ونجيناهم من عذاب غليظ
والمعنيان كما قلنا هنالك والقراءتان
فى يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ
يجوز بناؤه على الفتح والتنوين فى
اذ عوض من المضاف اليه أعنى
الجملة والتقدير يوم اذ كان كذا
وكسر الذال للساكنين (ان ربك هو
القوى العزيز) القادر الغالب فمن قدرته
ميز المؤمن من الكافر ومن عزته
وقهره أهلك الكفار بالصيحة التى
سمعوها من جانب السماء اما بواسطة
جبرئيل واما لاحداثها فى سحاب
مع برق شديد محرق وانما تصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد فى الهواء يوجب تاذى

مرات فشهد عليهم لوط أربع شهادات فدخلوا معه منزله **حدثنى** موسى بن هرون قال
ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال خرجت الملائكة من عند ابراهيم
نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقى من الماء لاهلها
وكانت له ابنتان اسم الكبرى رثيا والصغرى زغرتا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم فمكانكما
لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة
ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم وقد كان قومه نهوه أن يضيف
رجلا فقالوا دخل عنا فلنضف الرجال فجاءهم فلم يعلم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته
فأخبرت قومها فقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط فجاءه قومه يهرعون اليه
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال خرجت الرسل فيما يزعم أهل التوراة
من عند ابراهيم الى لوط بالمؤتفكة فلما جاءت الرسل لوطا ساء بهم وضاق بهم ذرعا وذلك
من تخوف قومه عليهم أن يفضحوه فى ضيفه فقال هذا يوم عصيب وأما قوله وقال هذا
يوم عصيب فانه يقول وقال لوط هذا اليوم يوم شديد شره عظيم بلاؤه يقال منه عصب يومنا
هذا يعصب عصبا ومنه قول عدى بن زيد

وكنت لزاز خصمك لم أعدد * وقد سلكوك فى يوم عصيب

وقول الراجز

يوم عصيب يعصب الأبطالا * عصب القوى السلم الطوالا

وقول الآخر

وانك ان لا ترض بكر بن وائل * يكن لك يوم بالعراق عصيب

وقال كعب بن جعيل

ويلبون بالحضيض فئام * عارفات منه بيوم عصيب

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو حذيفة قال
ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عصيب شديد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قال هذا يوم عصيب يقول شديد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق قال هذا يوم عصيب أى يوم بلاء وشدة **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور
عن معمر عن قتادة يوم عصيب شديد **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن
على عن ابن عباس قوله وقال هذا يوم عصيب أى يوم شديد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى
﴿وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيآت قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم
فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد﴾ يقول تعالى ذكره وجاء لوطا قومه
يستحثون اليه يرعدون مع سرعة المشى مما بهم من طلب الفاحشة يقال أهرع الرجل من برد
أو غضب أو حمى اذا أرعد وهو مهرع اذا كان معجلا حريصا كما قال الراجز

* بمعجلات نحوه مهارع * ومنه قول مهلهل

فجاؤا يهرعون وهم أسارى * نقودهم على رغم الانوف

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يهرعون اليه قال يهرولون
وهو الاسراع فى المشى **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

عن

عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد والمحاربي عن جويبر عن الضحاك وجاءه قومه يهرعون اليه قال يسعون اليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فأتوه يهرعون اليه يقول سراعا اليه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يهرعون اليه قال يسرعون اليه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وجاءه قومه يهرعون اليه يقول يسرعون المشي اليه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاءه قومه يهرعون اليه قال يهرولون في المشي * قال سفيان يهرعون اليه يسرعون اليه حدثنا سوار بن عبد الله قال قال سفيان بن عيينة في قوله يهرعون اليه قال كأنهم يدفعون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب قال ثنا حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال أقبلوا يسرعون مشيا بين الهرولة والجز حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وجاءه قومه يهرعون اليه يقول مسرعين وقوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات يقول من قبل مجيئهم الى لوط كانوا يأتون الرجال في أدبارهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يأتون الرجال وقوله قال ياقوم هؤلاء بناتي يعني نساء أمته فانكحوهن فهن أطهر لكم كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال أمرهم لوط بتزويج النساء وقال هن أطهر لكم حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال وبلغني هذا أيضا عن مجاهد حدثنا ابن وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال لم تكن بناته ولكن كن من أمته وكل نبي أبو أمته حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال أمرهم أن يتزوجوا النساء لم يعرض عليهم سفاحا حدثني يعقوب قال ثنا أبو بشر سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله هن أطهر لكم قال (١) ما عرض عليهم نكاحا ولا سفاحا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قال أمرهم أن يتزوجوا النساء وأراد نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يقي أضيافه ببناته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني التزويج * ثني أبو جعفر عن الربيع في قوله هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني التزويج حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا محمد بن شبيب الزهراني عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قول لوط هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني نساؤهم هن بناته هو نبيهم وقال في بعض القراءة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وجاءه قومه يهرعون اليه قالوا أولم ننهك أن تضيف العالمين قال هؤلاء بناتي هن أطهر لكم ان كنتم فاعلين أليس منكم رجل رشيد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما جاءت الرسل لوطا أقبل قومه اليهم حين أخبروا بهم يهرعون اليه فيزعمون والله أعلم أن امرأة لوط هي التي أخبرتهم بمكانهم وقالت ان عند لوط لضيفانا ما رأيت أحسن ولا أجمل قط منهم وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين فلما جاءوه

(١) يريد أنه لم يعرض بناته عليهم نكاحا ولا سفاحا وانما عرض نساءهم فتنبه كتبه مصححه

أيضا اذا قويت أوجبت الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله (ألا ان ثمود) الى آخره شبيه بما مر في قصة هود والتأويل كما مر في سورة الاعراف والله أعلم ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود

مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ ۞ القراآت سلم بكسر السين بلا ألف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة

وحفص الآخرون بالرفع سيء بهم وبابه كضرب مجهولا أبو جعفر ونافع وابن عامر وعلى ورويس الآخرون سيء مثل قيل تخزون

بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل ضيفى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمر وفاسر وبابه بهمزة الوصل أبو جعفر ونافع وابن كثير وعباس من طريق الموصلى وحمزة فى الوقف وان شاء لين الهمزة الا امرأتك بالرفع ابن كثير وأبو عمرو الباقون بالنصب ۞ الوقوف سلاما ط حنيذ ○ خيفة ط قوم لوط ○ ط باسحق ط لمن قرأ يعقوب بالرفع يعقوب ○ شيخا ط عجيب ○ أهل البيت ط مجيد ○ فى قوم لوط ط منيب ○ عن هذا ج لاحتمال التعليل أمر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود ○ عصيب ○ اليه ج للعطف ولاختلاف النظم السيات ط ضيفى ط رشيد ○ من حق ج لما مر مانريد ○ شديد ○ الا امرأتك ط أصابهم ط الصبح ط بقريب ○ منضود ○ لا لان مابعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد ○ ۞ التفسير الرسل ههنا الملائكة وأجمعوا على أن الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على أحسن مايكون من صورة الغلمان وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكر الله تعالى فى سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابراهيم وفى الذاريات هل أتاك حديث ضيف ابراهيم والظاهر أن البشرى هى البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك ومعنى سلام أمركم سلام أو سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على

قالوا أولم ننهك عن العالمين أى ألم نقل لك لا يقربنك أحد فانا لن نجد عندك أحدا الا فعلته الفاحشة قال ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فأنا أفدى ضيفى منكم بهن ولم يدعهم الا الى الحلال من النكاح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله هؤلاء بناتى قال النساء * واختلفت القراء فى قراءة قوله هن أطهر لكم فقرأته عامة القراء برفع أطهر على أن جعلوا هن اسما وأطهر خبره كأنه قيل بناتى أطهر لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال وذكر عن عيسى بن عمر البصرى أنه كان يقرأ ذلك هن أطهر لكم بنصب أطهر وكان بعض نحويى البصرة يقول هذا لا يكون انما ينصب خبر الفعل الذى لا يستغنى عن الخبر اذا كان بين الاسم والخبر هذه الاسماء المضمرة وكان بعض نحويى الكوفة يقول من نصبه جعله نكرة خارجة من المعرفة ويكون قوله هن عمادا للفعل فلا يعمله وقال آخر منهم مسموع من العرب هذا زيدا ياه بعينه قال فقد جعله خبرا لهذا مثل قولك كان عبد الله اياه بعينه قال وانما لم يجز أن يقع الفعل ههنا لان التقريب رد كلام فلم يجتمعا لانه يتناقض لان ذلك اخبار عن معهود وهذا اخبار عن ابتداء ما هو فيه ها أنا ذا حاضرا وزيد هو العالم فتناقض أن يدخل المعهود على الحاضر فلذلك لم يجز والقراءة التى لا أستجيز خلافها فى ذلك الرفع هن أطهر لكم لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه مع صحته فى العربية وبعد النصب فيه من الصحة وقوله فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى يقول فاخشوا الله أيها الناس واحذروا عقابه فى اتيانكم الفاحشة التى تأتونها وتطلبونها ولا تخزون فى ضيفى يقول ولا تذلونى بأن تركبوا منى فى ضيفى ما يكرهون أن تركبوه منهم والضيف فى لفظ واحد فى هذا الموضع بمعنى جمع والعرب تسمى الواحد والجمع ضيفا بلفظ واحد كما قالوا رجل عدل وقوم عدل وقوله أليس منكم رجل رشيد يقول أليس منكم رجل ذو رشد ينهى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفى فيحول بينهم وبين ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد أى رجل يعرف الحق وينهى عن المنكر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم مانريد﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم لوط لوط لقد علمت يالوط مالنا فى بناتك من حق لانهن ليس لنا أزواجا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق أى من أزواج وانك لتعلم مانريد وقوله وانك لتعلم مانريد يقول قالوا وانك يالوط لتعلم أن حاجتنا فى غير بناتك وأن الذى نريده وما تنهانا عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وانك لتعلم مانريد انا نريد الرجال حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وانك لتعلم مانريد أى ان بغيتنا لغير ذلك فلما لم يتناهوا ولم يرتدعوا قوله ولم يقبلوا منه شيأ مما عرض عليهم من أمور بناته قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد﴾ يقول تعالى ذكره قال لوط لقومه حين أبوا الا المضى لما قد جاؤاله من طلب الفاحشة وأيس من أن يستجيبوا له الى شىء مما عرض عليهم لو أن لى بكم قوة بانصار تنصرنى عليكم وأعوان تعيننى أو آوى الى ركن شديد يقول أو أنضم الى عشيرة مانعة تمنعنى منكم لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه منى فى أضيافى وحذف جواب لو لدلالة الكلام عليه وأن معناه مفهوم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لوط لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يقول الى جند شديد لقاتلتكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أو آوى الى ركن شديد

قال

قال العشيرة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة الى ركن شديد قال العشيرة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن أو آوى الى ركن شديد قال الى ركن من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله أو آوى الى ركن شديد قال بلغنا أنه لم يبعث نبي بعد لوط الا فى ثروة من قومه حتى النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد أى عشيرة تمنعنى أو شيعة تنصرنى لحلت بينكم و بين هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قال يعنى به العشيرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن أن هذه الآية لما نزلت لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن مبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوط لقد كان يأوى الى ركن شديد فلا أدرى أنبى استكان حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحيم عن محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله على لوط ان كان ليأوى الى ركن شديد اذ قال لقومه لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ما بعث الله بعده من نبى الا فى ثروة من قومه قال محمد والثروة الكثرة والمنعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمن بن بلال عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثنى بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب الزهرى قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله أو آوى الى ركن شديد قد كان يأوى الى ركن شديد يعنى الله تبارك وتعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بعث الله بعده من نبى الا فى ثروة من قومه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن أبى يونس سمع أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله لوطا فانه كان يأوى الى ركن شديد * قال ثنا ابن أبى مريم سعيد بن عبد الحكم قال ثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية أو أتى على هذه الآية قال رحم الله لوطا ان كان ليأوى الى ركن شديد وذكر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط عليه السلام الا فى ثروة من قومه حتى بعث الله نبيكم فى ثروة من قومه يقال من آوى الى ركن شديد أويت اليك فأنا آوى اليك أو يا معنى صرت اليك وانضممت كما قال الراجز

الحدوث لامكان تقدير الفعل قال العلماء ان سلام ابراهيم كان أحسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وانما صح وقوع سلام مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى المتكلم اذ أصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلما فمعناه السلام أيضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال أبو على الفارسى يحتمل أن يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرأى أضيافا لم ير مثلهم فما لبث (أن جاء) أى فما لبث فى أن جاء بل عجل أو فما لبث مجيئه (بعجل) هو ولد البقرة (حنيذ) مشوى فى حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل أهل البادية معروف ومعناه مأخوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذى يقطر دسما لقوله بعجل سمين تقول حنذت الفرس اذا ألقيت عليها الجل حتى يقطر عرقا (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) الى العجل أو الطعام (نكرهم) أى أنكرهم واستنكر فعلهم (وأوجس) أضمر (منهم خيفة) لانه ما كان يعرف أنهم ملائكة وكان من عادة العرب أنه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل فى طرف من الارض بعيدا عن الناس فلما امتنعوا من الاكل خاف أن يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف أنهم ملائكة الله لقولهم لا تخف (انا أرسلنا الى قوم لوط) لم يقولوا لا تخف انا ملائكة بل ذكروا سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف أن يكون نزولهم لامر أنكره الله أو لتعذيب

قومه والاحتمال الاول وهو أنه كان لا يعرف أنهم ملائكة أقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك أكلهم على توقع الشر منهم وانما

الاضياف ليكونوا على صفة يحبها لأنه كان مشغوفا بالضيافة وبهم عرف الملائكة خوفه قيل بالتغير في وجهه أو بتعريف الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب (وامرأته) وهي سارة بنت هاران بن ناحور ابنة عم ابراهيم (قائمة) وراء الستر تسمع تحاورهم أو كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود (فضحكت) قال العلماء لا بد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة وقيل بهلاك أهل الخبائث وعن السدى أن ابراهيم قال لهم ألا تأكلون قالوا انا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه أن تذكروا اسم الله على أوله وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل أن يتخذ ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك اليك فاني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم معجزة دالة على أنهم من الملائكة فدعوا ربهم باحياء العجل المشوى فطفر ذلك العجل المشوى الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم أتاهم العذاب وهم غافلون وقيل تعجبت من خوف ابراهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلاثة أنفس وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد وعكرمة ضحكت أي حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني استعدادها لعلوق الولد من قرأ

يأوي الى ركن من الاركان * في عدد طيس ومجدبان

وقيل ان لوطا لما قال هذه المقالة وجدت الرسل عليه لذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول قال لوط لو أن لي قوة أو آوي الى ركن شديد فوجد عليه الرسل وقالوا ان ركنك لشديد * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ يقول تعالى ذكره قالت الملائكة للوط لما قال لوط لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد ورأوا ما لقي من الكرب بسببهم منهم يا لوط انا رسل ربك أرسلنا لاهلاكهم وانهم لن يصلوا اليك والى ضيفك بمكروه فهون عليك الامر فأسر باهلك بقطع من الليل يقول فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك بقطع الليل يقال منه أسرى وسرى وذلك اذا سار بليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك * واختلفت القراء في قراءة قوله فأسر فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين فاسر وصل بغير همز الالف من سرى وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة فأسر بهمز الالف من أسرى والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما أهل قدوة في القراءة وهما لغتان مشهورتان في العرب معناهما واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب في ذلك وأما قوله الا امرأتك فان عامة القراء من الحجاز والكوفة وبعض أهل البصرة قرؤا بالنصب الا امرأتك بتأويل فأسر باهلك الا امرأتك وعلى أن لوطا أمر أن يسري باهله سوى زوجته فانه نهي أن يسري بها وأمر بتخليفها مع قومها وقرأ ذلك بعض البصريين الا امرأتك رفعا بمعنى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك فان لوطا قد أخرجها معه وانه نهي لوط ومن معه ممن أسرى معه أن يلتفت سوى زوجته وانها التفتت فهلكت لذلك وقوله انه مصيبها ما أصابهم يقول انه مصيب امرأتك ما أصاب قومك من العذاب ان موعدهم الصبح يقول ان موعد قومك الهلاك الصبح فاستبطأ ذلك منهم لوط وقال لهم بل عجلوا لهم الهلاك فقالوا أليس الصبح بقريب أي عند الصبح نزول العذاب بهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أليس الصبح بقريب أي انما ينزل بهم من صبح ليلتك هذه فامض لما تؤمر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال قضت الرسل من عند ابراهيم الى لوط فلما أتوا لوطا وكان من أمرهم ما ذكر الله قال جبرئيل للوط يا لوط انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين فقال لهم لوط أهلكوهم الساعة فقال له جبرئيل عليه السلام ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فأنزلت على لوط أليس الصبح بقريب قال فأمره أن يسري بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا امرأته قال فسار فلما كانت الساعة التي أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فجعل عاليها سافلها وأمطر عليها حجارة من سجيل قال وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال كان لوط أخذ على امرأته أن لا تذيع شيأ من سر أضيافه قال فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه رأتهم في صورة لم ترمثلها قط وانطلقت تسعى الى قومها فأتت النادي فقالت بيدها هكذا وأقبلوا يهرعون مشيا بين الهرولة والجمز فلما انتهوا الى لوط قال لهم لوط ما قال الله في كتابه قال جبرئيل يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قال فقال بيده فطمس أعينهم فجعلوا يطلبونهم يلمسون الحيطان وهم لا يبصرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن حذيفة قال لما بصرت بهم يعني بالرسل عجوز السوء امرأته انطلقت

فأنذرتهم فقالت انه تضيف لوطا قوم ما رأيت قوما أحسن وجوها قال ولا أعلمه الا قالت ولا أشد بياضا وأطيب ريحا قال فأتوه يهرعون اليه كما قال الله فأصفق لوط الباب قال فجعلوا يعالجونه قال واستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم فأذن له فصفقهم بجناحه فتركهم عميانا يترددون في أخبث ليلة ما أتت عليهم قط فأخبروه انا رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل قال ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ثم سمعت الصوت فالتفتت وأرسل الله عليها حجرا فأهلكها وقوله ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فاراد نبي الله ما هو أعجل من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائي عن سعيد بن بشير عن قتادة قال انطلقت امرأته يعني امرأة لوط حين رأتهم يعني حين رأت الرسل الى قومها فقالت انه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط أحسن وجوها ولا أطيب ريحا فجاؤا يهرعون اليه فبادرهم لوط الى أن يزجهم على الباب فقال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين فقالوا أولم ننهك عن العالمين فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة وطمست أعينهم فقالوا يا لوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كما أنت حتى تصبح قال واحتمل جبرئيل قريات لوط الاربع في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم ثم قلبهم فجعل الله عاليها سافلها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال حذيفة لما دخلوا عليه ذهبت عجوزه تجوز السوء فأتت قومها فقالت لقد تضيف لوطا الليلة قوم ما رأيت قوما قط أحسن وجوها منهم قال فجاؤا يسرعون فعاجلهم لوط فقام ملك فلز الباب بقول فسده واستأذن جبرئيل في عقوبتهم فأذن له فضربهم جبرئيل بجناحه فتركهم عميانا فباتوا بشر ليلة ثم قالوا انا رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك قال فبلغنا أنها سمعت صوتا فالتفتت فأصابها حجر وهي شاذة من القوم معلوم مكانها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن حذيفة بنحوه الا أنه قال (١) فعاجلهم لوط حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما قال لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد بسط حينئذ جبرئيل عليه السلام جناحه ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في أدبار بعض عميانا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط أسحر قوم في الارض فذلك قوله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم وقالوا للوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها واتبع أدبار أهلك يقول سر بهم وامض وا حيث تؤمرون فاخرجهم الله الى الشام وقال لوط أهلكوهم الساعة فقالوا انا لم نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه امرأته فذلك قوله الا آل لوط نجيناهم بسحر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال فلما رأى الله ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم فأتوا ابراهيم وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه فلما بشروا سارة بالولد قاموا وقام معهم ابراهيم يمشي قال أخبروني لم بعثتم وما خطبكم قالوا انا أرسلنا الى أهل سدوم لندمرها وانهم قوم سوء قد استغنوا بالرجال عن النساء قال ابراهيم ان كان فيهم خمسون رجلا صالحا قالوا اذا لا نعذبهم فجعل ينقص حتى قال أهل البيت قالوا ان كان فيها بيت صالح قال فلوط وأهل بيته قالوا ان امرأته هواها معهم فلما يئس ابراهيم انصرف ومضوا الى أهل سدوم فدخلوا على لوط فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم فأرسلت الى أهل القرية انه قد نزل بناقوم لم ير قوم قط أحسن منهم ولا أجمل فتسامعوا بذلك فغشوا دار لوط من كل ناحية وتسوروا

(١) لعله فعاجلهم لوط فتنبه كتبه مصححه

موجود من بعد اسحق ومن قرأ بالنصب فعلى العبارة المتروكة كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب أقول من المحتمل ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة أي وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الوراء ولد الولد ووجهه أن يراد بيعقوب أولاده كما يقال هاشم ويراد أولاده (ياويلتى) كلمة تلهف وقد مرت في المائدة في ياويلتى أعجزت و (شيخا) نصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى أنبه أو أشير (ان هذا) يعني ان تولد ولد من هرمين (لشئ عجيب) عادة فأزال الملائكة تعجبها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستئناف (رحمة الله وبركاته عليكم) يا أهل بيت خليل الرحمن والمقصود أن رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخرق العادات في أهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل أن يكون انتصاب أهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم ثم أكدوا ازالة التعجب بقولهم (انه حميد) محمود في أفعاله (مجيد) ذو الكرم الكامل فلا يليق به منع الطالب عن مطلوبه (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الخوف الذي لحقه حين أنكر أضيافه وجاءته البشرى) البشارة بحصول الولد (يجادلنا في قوم لوط) في معناهم وفي شأنهم وهو جواب لما على حكاية الحال أو لان لما ترد لمضارع الى الماضي عكس ان ويحتمل أن يكون جواب لما محذوفا دل عليه يجادلنا أي اجترأ علي خطابنا أو قال كذا ثم ابتدأ فقال يجادلنا وقيل معناه أخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف أي يجادل رسلنا لا بمعنى مخالفة أمر الله فان ذلك يكون معصية بل سعيا في تأخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم يروى

أنهم قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا فأربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله قال الاصوليون ان ابراهيم كان يقول ان أمر الله ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون الفور اما القرائن أو لأن مطلق الامر يستدعي ذلك فهذه هي المجادلة أو لعل ابراهيم كان يدعي أن الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح في واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله (ان ابراهيم لحليم) غير عجول في الامور (أواه) كثير التأوه من الذنوب (منيب) راجع الى الله في كل ما يسنح له وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة أن العذاب قد حق عليهم قالوا (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء أمر ربك) باهلاكهم (وانهم آتيهم) لاحق بهم (عذاب غير مردود) فلا رادلقضائه فلا ينفع فيهم جدال ولا دعاء (ولما جاءت رسلنا) المذكورون (لوطا سيء بهم) أصله سوئ لانه من ساءه يسوءه نقيض سره يسره نقلت الكسرة الى الفاء وأبدلت العين ياء ومن قرأ سيء بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة (وضاق بهم ذرعا) قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة وأصله أن البعير يذرع بيده في سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك

عليهم الجدران فلقيهم لوط فقال يا قوم لا تفضحون في ضيفي وأنا أزوجكم بناتي فهن أطهر لكم فقالوا لو كنا نريد بناتك لقد عرفتنا مكانهن فقال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فوجد جبريل وقالوا ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود فمسح أحدهم أعينهم بجناحه فطمس أبصارهم فقالوا سحرنا انصرفوا بنا حتى نرجع اليه فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في كتابه فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الارض فقلبها ونزلت حجارة من السماء فتتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ونجى لوطا وأهله الا امرأته

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وعن أبي بكر بن عبد الله وأبو سفيان عن معمر عن قتادة عن حذيفة دخل حديث بعضهم في بعض قال كان ابراهيم عليه السلام يأتيهم فيقول ويحكم أنهاكم عن الله أن تعرضوا لعقوبته فلم يطيعوا حتى اذا بلغ الكتاب أجله لمحل عذابهم وسطوات الرب بهم قال فانتهت الملائكة الى لوط وهو يعمل في أرض له فدعاه الى الضيافة فقالوا انا مضيفوك الليلة وكان الله تعالى عهد الى جبريل عليه السلام أن لا تعذبهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط الى الضيافة ذكر ما يعمل قومه من الشر والفواحش العظام فمشى معهم ساعة ثم التفت اليهم فقال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ما أعلم على وجه الارض شرا منهم أين أذهب بكم الى قومي وهم شر خلق الله فالتفت جبريل الى الملائكة فقال احفظوا هذه واحدة ثم مشى ساعة فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستحيا منهم قال أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية وما أعلم على وجه الارض شرا منهم ان قومي شر خلق الله فالتفت جبريل الى الملائكة فقال احفظوا هاتان ثنتان فلما انتهى الى باب الدار بكى حياء منهم وشفقة عليهم وقال ان قومي شر خلق الله أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ما أعلم على وجه الارض أهل قرية شرا منهم فقال جبريل للملائكة احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب فلما دخلوا ذهبت عجوزه عجوز السوء فصعدت فلوحت بثوبها فأتاها الفساق يهرعون سراعا قالوا اما عندك فلان ضيف لوط الليلة قوما ما رأيت أحسن وجوها منهم ولا أطيب ريحا منهم فهرعوا مسارعين الى الباب فعاجلهم لوط على الباب فدافعوه طويلا هو داخل وهم خارج يناشدهم الله ويقول هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فقام الملك فلزم الباب يقول فسده واستأذن جبريل في عقوبتهم فأذن الله له فتمثل في الصورة التي يكون فيها في السماء فنشر جناحه ولجبريل جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه جبك جبك مثل المرجان وهو اللؤلؤ كأنه الثلج وقدماه الزبرجد الخضرة فقال يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك امض يا لوط من الباب ودعني وإياهم فتنحى لوط عن الباب ففرج عليهم فنشر جناحه فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم أمر لوطا فاحتمل بأهله من ليلته قال فأسر بأهلك بقطع من الليل

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قال لوط لقومه لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد والرسل تسمع ما يقول وما يقال له وبرون ما هو فيه من كربه فلما رأوا وما بلغه قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك أي بشيء تكرهه فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب أي انما ينزل بهم العذاب من صبح ليلتك هذه فامض لما تؤمر * قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث أن الرسل عند ذلك سفعوا في وجوه الذين جاؤا لوطا من قومه براودونه عن ضيفه فرجعوا عميانا قال يقول الله ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس

عباس قوله بقطع من الليل قال بطائفة من الليل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بقطع من الليل بطائفة من الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله بقطع من الليل قال جوف الليل وقوله واتبع أدبارهم يقول واتبع أدبار أهلك ولا يلتفت منكم أحد وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولا يلتفت منكم أحد قال لا ينظر وراءه أحد الا امرأتك وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون قال فى حرف ابن مسعود فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا يدل على صحة القراءة بالنصب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء أمرنا بالعذاب وقضاؤنا فيهم بالهلاك جعلنا عاليها يعنى عالى قريتهم سافلها وأمطرنا عليها يقول وأرسلنا عليها حجارة من سجيل واختلف أهل التأويل فى معنى سجيل فقال بعضهم هو بالفارسية سنك وكل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من سجيل بالفارسية أولها حجر وآخرها طين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك وكل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السجيل الطين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة من سجيل قالا من طين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد عن وهب قال سجيل بالفارسية سنك وكل حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى حجارة من سجيل أما السجيل فقال ابن عباس هو بالفارسية سنك وجل سنك هو الحجر وجل هو الطين يقول أرسلنا عليهم حجارة من طين حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن السدى عن عكرمة عن ابن عباس حجارة من سجيل قال طين فى حجارة * وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حجارة من سجيل قال السماء الدنيا قال والسماء الدنيا اسمها سجيل وهى التى أنزل الله على قوم لوط وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول السجيل هو من الحجارة الصلب الشديد ومن الضرب ويستشهد على ذلك بقول الشاعر * ضربا تواصى به الأبطال سجيلا * وقال بعضهم تحول اللام نونا وقال آخر منهم هو فعيل من قول القائل أسجلته أرسلته فكأنه من ذلك أى مرسلة عليهم وقال آخر منهم بل هو من سجلت له سجلا من العطاء فكأنه قيل منحوا ذلك البلاء فأعطوه وقالوا أسجله أهمله وقال بعضهم هو من السجل لانه كان فيها علم كالكتاب وقال آخر منهم بل هو طين يطبخ كما يطبخ الآجر وينشد بيت الفضل بن عباس

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

فهذا من سجلت له سجلا أعطيته * والصواب من القول فى ذلك عندنا ما قاله المفسرون وهو أنها

بالأمر ذرعا (وقال هذا يوم عصيب) أى شديد من العصب الشد كأنه أريد اشتداد ما فيه من الامور عن ابن عباس انطلقوا من عند ابراهيم الى لوط وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بنى آدم فى غاية الحسن ولم يعرف لوط أنهم ملائكة الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة أنه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لأنه ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السبب أن قومه منعوه عن ادخال الضيف داره وقيل عرف أنهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه والصحيح هو الاول يروى أنه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها فذلك قوله (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال أبو عبيدة يستحثون اليه كأنه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهرى الاهراع الاسراع وأهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى أو غضب أو فزع وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى أهرعه خوفه أو حرصه ثم بين أن اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال (ومن قبل كانوا يعملون السيآت) الفواحش فمرنوا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم فى ذلك العمل قبل ذلك فأراد أن يقى

أضيافه ببناته فقال (هؤلاء بناتي) عن قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد وسعيد بن جبير أراد نساء أمته لان النبي كالاب لامته واحترم

هذا القول لان عرض البنات الحقيقيات على الفجار لا يليق بذوي المروآت ولان اللواتي من صلبه لا تكفي للجمع العظيم ولما روى أنه لم يكن له الا بنتان وأقل الجمع ثلاثة والقائلون بالقول الاول قالوا ما دعا القوم الى الزنا بهن وانما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان أو مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما في أول الاسلام زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع بن عبد العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن أكثر من ثنتين ويجوز أن يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجدبل طمعا فيهم أن يستحيوا منه ويرقوا له وأطهر بمعنى الطاهر لانه لا طهارة في نكاح الزنا (فاتقوا الله) بإيثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تفضحوني من الخزي أولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء (في ضيفي) في حق أضيافي من خزي الضيف والجار يورث للضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز أن يكون مصدرا (أليس منكم رجل رشيد) صالح أو مصلح مرشد يمتنع أو يمنع عن مثل هذا العمل القبيح (قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكأنه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا (وانك لتعلم ما نريد) ويجوز أن يراد انهن لسن لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع أو يراد انك تدعونا الى نكاحهن

حجارة من طين وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع وذلك قوله لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين وقد روي عن سعيد بن جبير أنه كان يقول هي فارسية ونبطية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال فارسية ونبطية سجيل فذهب سعيد بن جبير في ذلك الى ان اسم الطين بالفارسية جل لا يل وأن ذلك لو كان بالفارسية لكان سجل لا سجيل لان الحجر بالفارسية يدعى سج والطين جل فلا وجه لكون الياء فيها وهي فارسية وقد بينا الصواب من القول عندنا في أول الكتاب بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد ذكر عن الحسن البصري أنه قال كان أصل الحجارة طينا فشددت وأما قوله منضود فان قتادة وعكرمة يقولان فيه ما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة منضود يقول مصفوفة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منضود يقول مصفوفة * وقال الربيع بن أنس فيه ما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله منضود قال نضد بعضه على بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر الهذلي بن عبد الله أما قوله منضود فانها في السماء منضودة معدة وهي من عدة الله التي أعد للظلمة * وقال بعضهم منضود يتبع بعضه بعضا عليهم قال فذلك نضده * والصواب من القول في ذلك ما قاله الربيع بن أنس وذلك أن قوله منضود من نعت سجيل لا من نعت الحجارة وانما أمطر القوم حجارة من طين صفة ذلك الطين أنه نضد بعضه الى بعض فصير حجارة ولم يمطروا الطين فيكون موصوفا بأنه تتابع على القوم بمجيئه وانما كان جائزا أن يكون على ما تأوله هذا المتأول لو كان التنزيل بالنصب منضودة فيكون من نعت الحجارة حينئذ وأما قوله مسومة عند ربك فانه يقول معلمة عند الله أعلمها الله والمسومة من نعت الحجارة ولذلك نصبت ونعت بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مسومة قال معلمة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج مسومة لا تشاكل حجارة الارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة مسومة قال مطوقة بها نضح من حمرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسومة عليها اسما معلومة حدث بعض من رآها أنها حجارة مطوقة عليها أو بها نضح من حمرة ليست كحجارتكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله مسومة قال عليها اسما خطوط حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي مسومة قال المسومة المختمة وأما قوله وما هي من الظالمين ببعيد فانه يقول تعالى ذكره متهددا مشركي قريش وما هذه الحجارة التي أمطرتها على قوم لوط من مشركي قومك يا محمد ببعيد أن يمطروها ان لم يتوبوا من شركهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو عتاب الدلال سهل بن حماد قال ثنا شعبة قال ثنا أبان بن تغلب عن مجاهد في قوله وما هي من الظالمين ببعيد قال أن يصيبهم ما أصاب القوم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما هي من الظالمين ببعيد قال يرهب بها من يشاء حدثني المثنى قال ثنا اسحق

قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا أبوحذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وماهى من الظالمين ببعيد يقول ما أجارالله منها ظالما بعد قوم لوط حدثنى محمد بن عبدالأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وعكرمة وماهى من الظالمين ببعيد يقول لم يبرأ منها ظالم بعدهم حدثنا على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن قتادة فى قوله وماهى من الظالمين ببعيد قال يعنى ظالمى هذه الامة قال والله ما أجار منها ظالما بعد حدثنا موسى بن هرون قال ثنا حماد قال ثنا أسباط عن السدى وماهى من الظالمين ببعيد يقول من ظلمة العرب ان لم يتوبوا فيعذبوا بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر الهذلى ابن عبدالله قال يقول وماهى من الظالمين ببعيد من ظلمة أمتك ببعيد فلا يأمنها منهم ظالم وكان قلب الملائكة عالى أرض سدوم سافلها كما حدثنا أبوكريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن مجاهد قال أخذ جبرئيل عليه السلام قوم لوط من سرحهم ودورهم حلهم بمواشيهم وأمتعتهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم حدثنا به أبوكريب مرة أخرى عن مجاهد قال أدخل جبرئيل جناحه تحت الارض السفلى من قوم لوط ثم أخذهم بالجناح الأيمن فأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها حدثنى المثنى قال ثنا أبوحذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كان يقول فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها قال لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافى جناحه * قال ثنا شبل قال فحدثنى هذا ابن أبى نجيح عن ابراهيم بن أبى بكر قال ولم يسمعه ابن أبى نجيح عن مجاهد قال فحملها على خوافى جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها شرفها فذلك قول الله جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل قال مجاهد فلم يصب قوما ما أصابهم ان الله طمس على أعينهم ثم قلب قريتهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها الى السماء حتى سمع أهل السماء ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعهم الحجارة قال قتادة وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروتها الوسطى ثم ألوى بها الى جو السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ثم أتبع شذاذ القوم صخرا قال وهى ثلاث قرى يقال لها سدوم وهى بين المدينة والشام قال وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف وذكر لنا أن ابراهيم عليه السلام كان يشرف يقول سدوم يوم ما لك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أصبحوا يعنى قوم لوط نزل جبرئيل فاقتلع الارض من سبع أرضين فحملها حتى بلغ السماء الدنيا فذلك حين يقول والمؤتفكة أهوى المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل الارض فاقتلعها بجناحه فمن لم يمت حين أسقط الارض أمطر الله عليه وهو تحت الارض الحجارة ومن كان منهم شاذا فى الارض وهو قول الله فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ثم تبعهم فى القرى فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله وذلك قول الله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر وأبوسفيان عن معمر عن قتادة قال بلغنا أن جبرئيل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه فانتسف به أرضهم بما فيها من

أى لفعلت بكم وصنعت وبالغت فى دفعكم قال أهل المعانى حذف الجواب أبلغ لأن الوهم يذهب الى أنواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لوأن لى ما أتقوى به عليكم فسمى موجب القوة بالقوة ويحتمل أن يريد بالقوة القدرة والطاقة (أوآوى) أنضم (الى ركن شديد) حام منيع شبه الركن من الجبل فى شدته وقوله أوآوى عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل أنه تمنى دفعهم بنفسه أو بمعاونة غيره قال ذلك من شدة القلق والحيرة فى الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد رقت عليه وحزنت له ان ركنك لشديد وقال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد فما بعث نبى بعد ذلك الا فى ثروة من قومه ويحتمل أن يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيأمن من شرهم ويحتمل أنه لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى أن آوى الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روى أنه أغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) وهذه جملة موضحة للتى قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فأمره الملائكة أن يفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فصاروا لايعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان فى بيت لوط سحرة ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط وأهله فقال (فاسر بأهلك) الباء

للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من السرى أو زائدة ان كانت للقطع من الاسراء (بقطع من الليل) عن ابن عباس أى

آخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين (ولا يلتفت منكم أحد) أى لا ينظر الى ماوراءه (الا امرأتك) أكثر القراء على النصب فاعترض بأن الفصيح فى مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح فأجاب جار الله بان الرفع بدل من أحد على القياس والنصب مستثنى من قوله فأسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بأن الاستثناء من أسر يقتضى كونها غير مسرى بها والاستثناء من لا يلتفت يقتضى كونها مسريا بها لان الالتفات بعد الاسراء فتكون مسريا بها غير مسرى بها ويمكن أن يجاب بان أسر وان كان مطلقا فى الظاهر الا أنه فى المعنى مقيد بعدم الالتفات اذ المراد أسر بأهلك اسراء لا التفات فيه الا امرأتك فانك تسرى بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا ان شئت من أسر وان شئت من لا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الامر أتك فى كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن أن يقال انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من أسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم أن تكون مأمورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا زيد كان ذلك أمرا لزيد بالقيام اللهم الا أن يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم أحد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما أصابهم واذا كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبا للمعصية قاله فى الكشاف

قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع مافيها فضمها فى جناحه فحواها وطواها فى جو جناحه ثم صعد بها الى السماء الدنيا حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب وكانوا أربعة آلاف ألف ثم قلبها فأرسلها الى الارض منكوسة ودمدم بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعها حجارة من سجيل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنى محمد بن كعب القرظى قال حدثت أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله جبرئيل عليه السلام الى المؤتفكة قرية لوط عليه السلام التى كان لوط فيهم فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى ان أهل السماء الدنيا ليسمعون نباح كلابها وأصوات دجاجها ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله بالحجارة يقول الله جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات وكن خمس قريات صنعة وصعوة وعنرة ودوما وسدوم وهى القرية العظمى ونجى الله لوطا ومن معه من أهله الا امرأته كانت فيمن هلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ولد مدين أخاهم شعيبا فلما أتاهم قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره يقول أطيعوه وتذللوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه مالكم من اله غيره يقول مالكم من معبود سواه يستحق عليكم العبادة غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكاييلكم وموازينكم انى أراكم بخير * واختلف أهل التأويل فى الخير الذى أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين انه يراهم به فقال بعضهم كان ذلك رخص السعر وحذرهم غلاءه ذكر من قال ذلك **حدثنى** زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود الواسطى قال ثنا محمد بن موسى عن الذيال بن عمرو عن ابن عباس انى أراكم بخير قال رخص السعر وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط قال غلاء سعر **حدثنى** أحمد ابن على النصرى قال ثنى عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا صالح بن رستم عن الحسن وذكر قوم شعيب قال انى أراكم بخير قال رخص السعر **حدثنى** محمد بن عمرو بن على قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبى عامر الخراز عن الحسن فى قوله انى أراكم بخير قال الغنى ورخص السعر * وقال آخرون عنى بذلك انى أرى لكم مالا وزينة من زين الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله انى أراكم بخير قال يعنى خير الدنيا وزينتها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انى أراكم بخير أبصر عليهم قشر امن قشر الدنيا وزينتها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى أراكم بخير قال فى دنياكم كما قال الله تعالى ان ترك خيرا اسماه خيرا الان الناس يسمون المال خيرا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه وذلك قوله انى أراكم بخير يعنى بخير الدنيا وقد يدخل فى خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا ورخص السعر ولا دلالة على أنه عنى بقيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض فذلك على كل معانى خيرات الدنيا التى ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها وانما قال ذلك شعيب لأن قومه كانوا فى سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم كثيرة أموالهم فقال لهم لا تنقصوا الناس حقوقهم فى مكاييلكم وموازينكم فقد وسع الله عليكم رزقكم وانى أخاف عليكم بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم فى مكاييلكم وموازينكم عذاب يوم محيط يقول أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه فجعل المحيط نعتا لليوم وهو من نعت العذاب اذ كان مفهوما معناه وكان العذاب فى اليوم فصار كقولهم بعض جبتك محترقة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس

أشياءهم

أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه أوفوا الناس الكيل والميزان بالقسط يقول بالعدل وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التى هى مما يكال أو يوزن حقوقهم على ما وجب لهم من التمام بغير بخس ولا نقص وقوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تنقصوا الناس حقوقهم التى يجب عليكم أن توفوهم كيلا أو وزنا أو غير ذلك كما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا على بن صالح بن حى قال بلغنى فى قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم قال لا تنقصوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول لا تظلموا الناس أشياءهم وقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول ولا تسيروا فى الارض تعملون فيها بمعاصى الله كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال لا تسيروا فى الارض وحدثت عن المسيب عن أبى روق عن الضحاك فى قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول لا تسعوا فى الارض مفسدين يعنى نقصان الكيل والميزان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله بقية الله خير لكم ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط فأحله لكم خير لكم من الذى يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده وحلاله وحرامه وهذا قول روى عن ابن عباس باسناد غير مرتضى عند أهل النقل * وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه طاعة الله خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد بقية الله خير لكم قال طاعة الله خير لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم ابن أبى بزة عن مجاهد بقية الله قال طاعة الله خير لكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بقية الله قال طاعة الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد بقية الله خير لكم قال طاعة الله خير لكم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بقية الله خير لكم قال طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * وقال آخرون معنى ذلك حظكم من ربكم خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين حظكم من ربكم خير لكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بقية الله خير لكم قال حظكم من الله خير لكم * وقال آخرون معناه رزق الله خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عمن ذكره عن ابن عباس بقية الله قال رزق الله * وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين قال الهلاك فى العذاب والبقية فى الرحمة وانما اخترت فى تأويل ذلك القول الذى اخترته لان الله تعالى ذكره انما تقدم اليهم بالنهى عن بخس الناس أشياءهم فى المكيال والميزان والى ترك التطفيف فى الكيل والبخس فى الميزان دعاهم شعيب فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ فى الوفاء فى الدنيا والآخرة أولى مع أن قوله بقية الله انما هى مصدر من قول القائل بقيت بقية من كذا فلا وجه لتوجيه معنى ذلك الا الى بقية الله التى أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم من بقيتكم من الحرام الذى يبقى لكم من ظلمكم الناس ببخسكم اياهم فى الكيل والوزن وقوله وما أنا عليكم بحفيظ يقول وما أنا عليكم أيها الناس برقيب أرقبكم عند كيلكم

الكلام خلل لا يمكن اجتماعهما على الصحة والقراءتان يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراآت كلها روى أنها لما سمعت هدة العذاب أى صوته التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وقيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا يصح الاستثنا آن من غير شائبة التناقض كأنه أمر لوطا أن يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فانها هالكة من الهالكين ثم أمر أن يقطعوا العلائق وأخبر أن امرأته تبقى متعلقة القلب بها يروى أنه قال لهم متى موعدهلاكهم فقيل له (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا) باهلاكهم (جعلنا) أى جعل رسلنا (عاليها سافلها) روى أن جبرئيل أدخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك لم يتبدد لهم طعام ولم ينكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك وكل كأنه مركب من حجر وطين وهو فى غاية الصلابة وقيل سجيل أى مثل السجل وهى الدلو العظيمة أو مثلها فى تضمن الاحكام الكثيرة وقيل أى مرسلة عليهم من أسجلته اذا أرسلته وقيل أى مما كتب الله أن يعذب به أو كتب عليه أسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين أى من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم من أسماء

أسماء الدنيا ومعنى (منضود) موضوع بعضها فوق بعض فى النزول يأتى على سبيل المتابعة والتلاحق أو نضد فى السماء نضدا صعد الاهلاك

الظلمة وفى السماء معادنها فى جبال وحجرة عن الحسن والسدى عليها أمثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها اسما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به وقال أبو صالح رأيت منها عند أم هانئ حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع ومعنى (عند ربك) أى فى خزائنه لا يتصرف فى شئ منها الا هو أو مقرر فى علمه اهلاك من أهلك بكل واحد منها (وما هى) أى تلك الحجارة (من الظالمين) أى من كل ظالم (ببعيد) وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبرئيل عن هذا فقال يعنى من ظالمى أمتك ما من ظالم الا وهو يصدد سقوط الحجر عليه ساعة فساعة وقيل أى تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمى أهل مكة تمرون بها فى مسايركم الى الشام وقيل المراد أنها وان كانت فى السماء الا أنها اذا هوت منها فهى أسرع شئ لحوقا بالمرمى فكانت كأنها بمكان قريب والله تعالى أعلم بمراده

﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط و ياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

(مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد (مسومة) معلمة للعذاب أو بياض

ووزنكم هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم وانما على أن أبلغكم رسالة ربى فقد أبلغتكموها

﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم شعيب ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الاوثان والاصنام أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء من كسر الدراهم وقطعها وبخس الناس فى الكيل والوزن انك لأنت الحليم وهو الذى لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله فى حال الرضا الرشيد يعنى رشيد الامر فى أمر دياهم أن يتركوا عبادة الاوثان كما **حدثنا** محمود بن خداش قال ثنا حماد بن خالد الخياط قال ثنا داود بن قيس عن زيد ابن أسلم فى قول الله أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد قال كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم أو قال قطع الدراهم الشك من حماد **حدثنا** سهل بن موسى الرازى قال ثنا ابن أبى فديك عن أبى مودود قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول بلغنى أن قوم شعيب عذبوا فى قطع الدراهم وجدت ذلك فى القرآن أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى قال عذب قوم شعيب فى قطعهم الدراهم فقالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء * قال ثنا حماد بن خالد الخياط عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم فى قوله أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء قال كان مما نهاهم عنه حذف الدراهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء قال نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم فقالوا انما هى أموالنا نفعل فيها ما نشاء ان شئنا قطعناها وان شئنا حرقناها وان شئنا طرحناها * قال وأخبرنا ابن وهب قال وأخبرنى داود بن قيس المرى أنه سمع زيد ابن أسلم يقول فى قول الله قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء قال زيد كان من ذلك قطع الدراهم وقوله أصلاتك كان الاعمش يقول فى تأويلها ما قراءتك فان قال قائل وكيف قيل أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء وانما كان شعيب نهاهم أن يفعلوا فى أموالهم ما قد ذكرت أنه نهاهم عنه فيها قيل ان معنى ذلك بخلاف ما توهمت وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك فقال بعض البصريين معنى ذلك أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء وليس معناه تأمرك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء لانه ليس بذا أمرهم * وقال بعض الكوفيين نحو هذا القول قال وفيها وجه آخر يجعل الامر كالنهى كأنه قال أصلاتك تأمرك بذا وتنهانا عن ذا فهى حينئذ مردودة على ان الاولى منصوبة بقوله تأمرك وأن الثانية منصوبة عطفا بها على ما التى فى قوله ما يعبد واذا كان ذلك كذلك كان معنى الكلام أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نترك أن نفعل فى أموالنا ما نشاء وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ ما نشاء فمن قرأ ذلك كذلك فلا مؤونة فيه وكانت أن الثانية حينئذ معطوفة على أن الاولى وأما قولهم لشعيب انك لأنت الحليم الرشيد فانهم أعداء الله قالوا ذلك له استهزاء به وانما سفهوه وجهلوه بهذا الكلام وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج انك لأنت الحليم الرشيد قال يستهزؤن **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انك لأنت الحليم الرشيد المستهزؤن يستهزؤن بانك لأنت الحليم الرشيد

القول

فى

في تأويل قوله تعالى ﴿قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب﴾ يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه ياقوم أرأيتم ان كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم اليه من عبادة الله والبراءة من عبادة الاوثان والاصنام وفيما أنهاكم عنه من افساد المال ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا طيبا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يقول وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه بل لا أفعل الا بما آمركم به ولا أنتهي الا عما أنهاكم عنه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه يقول لم أكن لأنهاكم عن أمر أركبه أو آتيه ان أريد الا الاصلاح يقول ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه الا اصلاحكم واصلاح أمركم ما استطعت يقول ما قدرت على اصلاحه لئلا ينالكم من الله عقوبة منكلة بخلافكم أمره ومعصيتكم رسوله وما توفيقي الا بالله يقول وما اصابتي الحق في محاولتي اصلاحكم واصلاح أمركم الا بالله فانه هو المعين على ذلك ان لا يعني عليه لم أصب الحق فيه وقوله عليه توكلت يقول الى الله أفوض أمري فانه ثقتي وعليه اعتمادي في أموري وقوله واليه أنيب واليه أقبل بالطاعة وأرجع بالتوبة كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واليه أنيب قال أرجع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله واليه أنيب قال أرجع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واليه أنيب قال أرجع ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه وياقوم لا يجرمنكم شقاقي يقول لا يحملنكم عداوتي وبغضي وفراق الدين الذي أنا عليه على الاصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله وعبادة الاوثان وبخس الناس في المكيال والميزان وترك الانابة والتوبة فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من العذاب أو قوم صالح من الرجفة وما قوم لوط الذين ائتفكت بهم الارض منكم ببعيد هلاكهم أفلا تتعظون به وتعتبرون يقول فاعتبروا بهؤلاء واحذروا أن يصيبكم بشقاقي مثل الذي أصابهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يجرمنكم شقاقي يقول لا يحملنكم فراقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا يجرمنكم شقاقي يقول لا يحملنكم شقاقي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لا يجرمنكم شقاقي قال عداوتي وبغضائي وفراقي حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما قوم لوط منكم ببعيد قال انما كانوا حديثي عهد قريب(١) يعني قوم نوح وعاد وثمود وصالح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما قوم لوط منكم ببعيد قال انما كانوا حديثي عهد قريب بعد نوح وثمود * قال أبو جعفر وقد يحتمل أن يقال معناه وما دار قوم لوط منكم ببعيد ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه استغفروا ربكم أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون من عبادة الآلهة والاصنام وبخس الناس

(١) لعله يعني بعد قوم الخ تأمل كتبه مصححه

وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط وياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد﴾ القراآت اني بالفتح أراكم بالامالة أبو جعفر ونافع وأبو عمرو والبزي وكذلك روى عن أهل مكة اني أخاف شقاقي أن يفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وصلوا تك كما مر في سورة التوبة في قوله ان صلاتك سكن توفيق بالفتح أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ونافع أرهطي بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وبعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وأبو جعفر ونافع وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى ۞ الوقوف شعيبا ط غيره ط محيط ٥ مفسدين ٥

مؤمنين ج للابتداء بالنفي مع ط الا بالله ط أنيب ○ صالح ط بعيد ○ اليه ط ودود ○ ضعيفا ج لان لولا للابتداء مع الواو لرجمناك ز لحق النفي وكون الواو للحال أوجه بعزيز ○ من الله ط للفصل بين الاستخبار والاخبار واتحاد المقصود وجه للوصل ظهريا ط محيط ○ عاملط تعلمون ○ لا كاذب ط للفصل بين الخبر والطلب رقيب ○ جاثمين ○ لا فيها ط ثمود ○ مبين ○ لا لتعلق الجار فرعون ج للنفي مع الواو للعطف أو للحال برشيد ○ النار ط المورود ○ القيامة ط المرفود ○ وحصيد ○ أمر ربك ج تتبيب ○ ظالمة ط شديد ○ ۞ التفسير نقص المكيال يشمل معنيين بأن ينقص في الايفاء من القدر الواجب ويزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهي بقوله (اني أراكم بخير) أي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو بنعمة من الله حقها أن تشكر لتزداد لا أن تكفر فتزال (واني اخاف عليكم) عن ابن عباس أنه فسر الخوف بالعلم وقال آخرون انه الظن الغالب لانه كان يجوز ازدجارهم وانتهاءهم والعذاب المحيط المهلك المستأصل كأنه أحاط بهم بحيث لا ينفلت منهم أحد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد المجازي باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل عذاب الآخرة والاظهر العموم قوله (أوفوا المكيال) الى قوله أشياءهم قدمر تفسير مثله في الاعراف وقوله (ولا تعثوا في الارض مفسدين) مضى تفسيره في أوائل البقرة بقي في الآية سؤال وهو أنه سبحانه نهى أولا

حقوقهم في المكاييل والموازين ثم توبوا اليه يقول ثم ارجعوا الى طاعته والانتهاء الى أمره ونهيه ان ربي رحيم يقول هو رحيم بمن تاب وأناب اليه أن يعذبه بعد التوبة ودود يقول ذو محبة لمن أناب وتاب اليه يوده ويحبه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم شعيب لشعيب ياشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به وانا لنراك فينا ضعيفا ذكر أنه كان ضريرا فلذلك قالوا له انا لنراك فينا ضعيفا ذكر من قال ذلك **حدثني** عبد الأعلى بن واصل قال ثنا أسد بن زيد الجصاص قال أخبرنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله وانا لنراك فينا ضعيفا قال كان أعمى **حدثنا** عباس بن أبي طالب قال ثني ابراهيم بن مهدي المصيصي قال ثنا خلف بن خليفة عن سفيان عن سعيد مثله **حدثنا** أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا ابراهيم بن زياد واسحق بن المنذر وعبد الملك بن زيد قالوا ثنا شريك عن سالم عن سعيد مثله * قال ثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح قالا سمعنا شريكا يقول في قوله وانا لنراك فينا ضعيفا قال أعمى **حدثنا** سعدويه قال ثنا عباد عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان قوله وانا لنراك فينا ضعيفا قال كان ضعيف البصر قال سفيان وكان يقال له خطيب الانبياء * قال ثنا الحماني قال ثنا عباد عن شريك عن سالم عن سعيد وانا لنراك فينا ضعيفا قال كان ضرير البصر وقوله ولولا رهطك لرجمناك يقول يقولون ولولا أنت في عشيرتك وقومك لرجمناك يعنون لسببناك وقال بعضهم معناه لقتلناك ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولولا رهطك لرجمناك قال قالوا لولا أن نتقي قومك ورهطك لرجمناك وقوله وما أنت علينا بعزيز يعنون ما أنت ممن يكرم علينا فيعظم علينا اذلاله وهوانه بل ذلك علينا هين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط﴾ يقول تعالى ذكره قال شعيب لقومه ياقوم أعززتم قومكم فكانوا أعز عليكم من الله واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأتمرون لامره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق عظمته يقال للرجل اذا لم يقض حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها الا يلتفت اليها واذا اقتضاها قيل جعلها أمامه ونصب عينيه ويقال ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهريا أي خلف ظهرك كما قال الشاعر

* وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر * بمعنى أنهم يظهرون بحوائج الناس فلا يلتفتون اليها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعز عليهم من الله وصغر شأن الله عندهم عز ربنا وجل ثناؤه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واتخذتموه وراءكم ظهريا قال قفا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ياقوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا يقول عززتم قومكم وأظهرتم ربكم **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتخذتموه وراءكم ظهريا قال لم تراقبوه في شيء انما تراقبون قومي واتخذتموه وراءكم ظهريا يقول عززتم قومكم وأظهرتم ربكم **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واتخذتموه وراءكم ظهريا قال لم تراقبوه في شيء انما تراقبون قومي واتخذتموه وراءكم ظهريا لا تخافونه **حدثنا** الحسن

ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أرهطى أعز عليكم من الله قال أعززتم قومكم واغتررتم بربكم سمعت اسحق بن أبى اسرائيل قال قال سفيان واتخذتموه وراءكم ظهريا كما يقول الرجل للرجل خلفت حاجتى خلف ظهرك فلا تخذتموه وراءكم ظهريا استخففتم بأمره فاذا أراد الرجل قضاء حاجة صاحبه جعلها أمامه بين يديه ولم يستخف بها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا قال الظهرى الفضل مثل الجمال يخرج معه بالبل ظهاريه فضل لا يحمل عليها شيا الا أن يحتاج اليها قال فيقول انما ربكم عندكم مثل هذا ان احتجتم اليه وان لم تحتاجوا اليه فليس بشئ * وقال آخرون معنى ذلك واتخذتم ماجاء به شعيب وراءكم ظهريا فالهاء التى فى قوله واتخذتموه على هذا من ذكر ماجاء به شعيب عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا قال تركتم ماجاء به شعيب * قال ثنا جعفر بن عون عن سفيان عن جابر عن مجاهد قال نبذوا أمره حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز عن سفيان عن جابر عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا قال نبذتم أمره حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا (١) قال هم رهط شعيب تركهم ماجاء به وراء ظهورهم ظهريا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال و حدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتخذتموه وراءكم ظهريا قال استثناؤهم رهط شعيب وتركهم ماجاء به شعيب وراء ظهورهم ظهريا وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لقرب قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا من قوله أرهطى أعز عليكم من الله فكانت الهاء فى قوله واتخذتموه بأن تكون من ذكر الله لقرب جوارها منه أشبه وأولى * وقوله ان ربى بما تعملون محيط يقول ان ربى محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه منه شئ وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه ويا قوم اعملوا على مكانتكم يقول على تمكنكم يقال منه الرجل يعمل على مكينته ومكنته أى على اتئاده ومكن الرجل يمكن مكنا ومكانة ومكانا وكان بعض أهل التأويل يقول فى معنى قوله على مكانتكم على منازلكم فمعنى الكلام اذا ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذى تعملونه انى عامل على تؤدة من العمل الذى أعمله سوف تعلمون أينا الجانى على نفسه والمخطئ عليها والمصيب فى فعله المحسن الى نفسه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه شعيب لقومه الذى يأتيه منا ومنكم أيها القوم عذاب يخزيه يقول يذله ويهينه ومن هو كاذب يقول ويخزى أيضا الذى هو كاذب فى قيله وخبره منا ومنكم وارتقبوا أى انتظروا وتفقدوا من الرقبة يقال منه رقبت فلانا أرقبه رقبة وقوله انى معكم رقيب يقول انى أيضا ورقبة لذلك العذاب معكم وناظر اليه عن هو نازل منا ومنكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء قضاؤنا فى قوم شعيب بعذابنا نجينا شعيبا رسولنا والذين آمنوا به فصدقوه على ماجاءهم به من عند ربهم مع شعيب من عذابنا الذى بعثنا على قومه برحمة منا له ولمن آمن به واتبعه على ماجاءهم به من عندربهم وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخمدتهم فأهلكتهم بكفرهم بربهم وقيل ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم فأصبحوا فى ديارهم

(١) لعله قال استثناؤهم رهط شعيب وتركهم الخ كما فى الرواية منه بعد تأمل وحرر كتبه مصححه

بضده هو أن النهى عن النقص فى المبايعة وان كان يفيد تصريحه تعييرا وتوبيخا لكنه يوهم النهى عن أصل المبايعة فلدفع هذا الخيال أمر بايفاء الكيل ففيه اباحة أصل المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن فى العقول لزيادة الترغيب وفيه أيضا فائدة أخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم أن ماجاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروأة لا تقف عند حد وانما الواجب شئ من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما أن غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شئ من الرأس (بقية الله) قيل ثواب الله وقيل طاعته ورضاه كقوله والباقيات الصالحات خير وقيل أى ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم) بشرط أن تؤمنوا لان شيأ من الاعمال لا ينفع مع الكفر ان كنتم مصدقين لى فيما أنصح لكم ولا ريب أن الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فينفتح له أبواب المكاسب والخيانة تجر الفقر لتنفر الناس عنه وعن معاملته وصحبته قالت المعتزلة فى اضافة البقية الى الله دليل على أن الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية أى اتقاؤه الصارف عن المعاصى والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ) أعمالكم لاجازيكم انما أنا مبلغ ناصح وقد أعذر من أنذر قوله (أصلاتك) قيل أى دينك وايمانك لان الصلاة عماد الدين فعبر عن الشئ باسم معظم أركانه وقيل المراد الاتباع لانه أصل الصلاة ومنه المصلى للذى يتلو السابق والمعنى دينك

أى اتباعه بأمرك بذلك والاظهر أن المراد به الاعمال المخصوصة

يروى أن شعيبا عليه السلام كان كثير الصلاة فكان قومه اذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فقصر

بقولهم أصلاتك تأمرك السخرية والهزء فكأن الصلاة التي يداوم عليها الليل ونهارا هي من باب الجنون والوساوس ومعنى تأمرك أن تتركك تأمرك بتكليف أن تتركك على حذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله (أو أن نفعل) معطوف على ما في ما يعبد أي تأمرك صلاتك بتركك ما يعبد آباؤنا وبتركك أن نفعل (في أموالنا ما نشاء) روى أنه كان ينهاهم عن قطع أطراف الدراهم كما كان يأمرهم بتركك التطفيف والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير (انك لأنت الحليم الرشيد) قيل انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا فيما بينهم بالحلم والرشد فكأنهم قالوا له انك المعروف بهذه السيرة فكيف تنهانا عن دين ألفناه وسيرة تعودناها ثم أشار عليه السلام الى ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف وجواب الشرط محذوف اكتفى عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى أرأيتم ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وقد آتاني بعد هذه السعادات الروحانية السعادات الدنيوية من الخيرات والمنافع الجليلة هل يسعني مع هذه الاكرامات أن أخون في وحيه ولا آمركم بتركك الشرك وبفعل الطاعة والانبياء لا يبعثون الا لذلك (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه فالمعنى لا أجعل فعلي مخالفا لقولي فلا أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها (ان أريد الا الاصلاح) الا أن

جاثمين على ركبهم وصرعى بأفنيتهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود﴾ يقول تعالى ذكره كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه حين أصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك ولم يغنوا من قولهم غنيت بمكان كذا اذا أقمت به ومن قول النابغة

غنيت بذلك اذهم لي جيرة * منها بعطف رسالة وتودد

وكما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كأن لم يغنوا فيها قال يقول كأن لم يعيشوا فيها حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله وقوله ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود يقول تعالى ذكره ألا أبعد الله مدين من رحمته بأحلال نقمته بهم كما بعدت ثمود يقول كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته بانزال سخطه بهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا على توحيدنا وحجة تبين لمن عاينها وتأملها بقلب صحيح أنها تدل على توحيد الله وكذب كل من ادعى الربوبية دونه وبطول قول من أشرك معه في الالوهة غيره الى فرعون وملئه يعني الى أشراف جنده وتباعه فاتبعوا أمر فرعون يقول فكذب فرعون وملؤه موسى وجحدوا وحدانية الله وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله واتبع ملأ فرعون أمر فرعون دون أمر الله وأطاعوه في تكذيب موسى وردما جاءهم به من عند الله عليه يقول الله تعالى ذكره وما أمر فرعون برشيد يعني أنه لا يرشد أمر فرعون من قبله في تكذيب موسى الى خير ولا يهديه الى صلاح بل يورده نار جهنم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾ يقول تعالى ذكره يقدم فرعون قومه يوم القيامة يقودهم فيمضي بهم الى النار حتى يوردهموها ويصليهم سعيرها وبئس الورد يقول وبئس الورد الذي يردونه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يقدم قومه يوم القيامة قال فرعون يقدم قومه يوم القيامة يمضي بين أيديهم حتى يهجم بهم على النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يقدم قومه يوم القيامة يقول يقود قومه فأوردهم النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله يقدم قومه يوم القيامة يقول أضلهم فأوردهم النار حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سمع ابن عباس يقول في قوله فأوردهم النار قال الورد الدخول حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فأوردهم النار كان ابن عباس يقول الورد في القرآن أربعة أو رادي هود قوله وبئس الورد المورود وفي مريم وان منكم الا واردها وورد في الانبياء حصب جهنم أنتم لها واردون وورد في مريم أيضا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا كان ابن عباس يقول كل هذا الدخول والله ليردن جهنم كل بر وفاجر ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود﴾ يقول الله تعالى ذكره وأتبعهم الله في هذه يعني في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر لعنته ويوم القيامة يقول وفي يوم القيامة أيضا يلعنون لعنة أخرى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة قال لعنة أخرى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح

عن

عن مجاهد وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة قال زيد وابلعنته لعنة أخرى فتلك لعنتان حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود اللعنة فى أثر اللعنة * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة قال زيد والعنة أخرى فتلك لعنتان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى هذه قال فى الدنيا ويوم القيامة أردفوا بلعنة أخرى زيدوها فتلك لعنتان وقوله بئس الرفد المرفود يقول بئس العون المعان اللعنة المزيدة فيها أخرى منها وأصل الرفد العون يقال منه رفد فلان فلانا عند الامير يرفده رفدا بكسر الراء واذا فتحت فهو السقى فى القدح العظيم والرفد القدح الضخم ومنه قول الاعشى

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر أقيال

ويقال رفد فلان حائطه وذلك اذا أسنده بخشبة لئلا يسقط والرفد بفتح الراء المصدر يقال منه رفده يرفده رفدا والرفد اسم الشئ الذى يعطاه الانسان وهو المرفد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بئس الرفد المرفود قال لعنة الدنيا والآخرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بئس الرفد المرفود قال لعنهم الله فى الدنيا وزيدلهم فيها اللعنة فى الآخرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ويوم القيامة بئس الرفد المرفود قال لعنة فى الدنيا وزيدوا فيها العنة فى الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود يقول ترادفت عليهم اللعنتان من الله لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال أصابتهم لعنتان فى الدنيا رفدت احداهما الاخرى وهو قوله ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذا القصص الذى ذكرناه لك فى هذه السورة والنبأ الذى أنبأناكه فيها من أخبار القرى التى أهلكنا أهلها بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله نقصه عليك فنخبرك به منها قائم يقول (١) منها بنيانه بائد بأهله هالك ومنها قائم بنيانه عامر ومنها حصيد بنيانه خراب متداع قد تعفى أثره دارس من قولهم زرع حصيد اذا كان قد استؤصل قطعه وانما هو محصود ولكنه صرف الى فعيل كما قد بينا فى نظائره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد يعنى بالقائم قرى عامرة والحصيد قرى خامدة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قائم وحصيد قال قائم على عروشها وحصيد مستأصلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منها قائم يرى مكانه وحصيد لا يرى له أثر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج منها قائم قال خاو على عروشه وحصيد ملزق بالارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن الاعمش منها قائم وحصيد قال خربنيانه حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش منها قائم وحصيد قال الحصيد ما قد خربنيانه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله منها قائم وحصيد منها قائم يرى أثره وحصيد بادلا يرى أثره ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم

(١) لعل فيه زيادة من الناسخ تأمل

استطاعتى لاصلاحكم أو بدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته منه أو المضاف محذوف أى الا الاصلاح اصلاح ما استطعت أو مفعولا للاصلاح فقد يعمل المصدر المعرف كقوله * ضعيف النكاية اعداءه * أى الا أن أصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم ثم بين أن كل ما يأتى ويذر فوقوعه بتسهيل الله وتأييده فقال (وما توفيقى الا بالله) والتوفيق أن توافق ارادة العبد ارادة الله تعالى (عليه توكلت) أخصه بتفويض الامور اليه لانه مبدأ المبادئ (واليه أنيب) لانه المعاد الحقيقى وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم منه ثم أوعدهم بقوله (لا يجرمنكم شقاقى) لا يكسبنكم خلافى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح العقيم (أو قوم صالح) من الصيحة (وما قوم لوط منكم ببعيد) لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه مؤنث ولا ببعيدين حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف أى وما اهلاكهم ببعيد لانهم أهلكوا فى عهد قريب من عهدهم أو المراد وما هم بشئ بعيد أو بزمان أو مكان بعيد وجوز وا أن يستوى فى بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوهما (ان ربى رحيم ودود) يجوز أن يكون بمعنى فاعل أو مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على أن سبق الكفر والمعصية لا ينبغى أن يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء فى التقرير والبيان (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) اما لقلة الرغبة أو قالوا تهكما واستهانة كما يقول الرجل

التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك ومازادوهم غير تتبيب ﴾ يقول تعالى ذكره وما عاقبنا أهل هذه القرى التى اقتصصنا نبأها عليك يا محمد بغير استحقاق منهم عقوبتنا فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتنا هم فى غير موضعها ولكن ظلموا أنفسهم يقول ولكنهم أوجبوا لانفسهم بمعصيتهم الله وكفرهم به عقوبته وعذابه فأحلوا بها مالم يكن لهم أن يحلوه بها وأوجبوا لها مالم يكن لهم أن يوجبوه لها فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ يقول فما دفعت عنهم آلهتهم التى يدعونها من دون الله ويدعونها أربابا من عقاب الله وعذابه اذا أحله بهم ربهم من شئ ولا ردت عنهم شيأ منه لما جاء أمر ربك يا محمد يقول لما جاء قضاء ربك بعذابهم فحق عليهم عقابه وزل بهم سخطه ومازادوهم غير تتبيب يقول ومازادتهم آلهتهم عند مجئ أمر ربك هؤلاء المشركين بعقاب الله غير تخسير وتدمير واهلاك يقال منه تبته أتبته تتبيبا ومنه قولهم للرجل تبا لك قال جرير

عرانة من بقية قوم لوط * ألا تبا لما فعلوا تبابا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سعيد بن سلام أبو الحسن البصرى قال ثنا سفيان عن نسير بن ذعلوق عن ابن عمر فى قوله ومازادوهم غير تتبيب قال غير تخسير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد غير تتبيب قال تخسير حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة غير تتبيب يقول غير تخسير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة غير تتبيب قال غير تخسير وهذا الخبر من الله تعالى ذكره وان كان خبرا عمن مضى من الامم قبلنا فانه وعيد من الله جل ثناؤه لنا وأيتها الامة أنا ان سلكنا سبيل الامم قبلنا فى الخلاف عليه وعلى رسوله سلك بنا سبيلهم فى العقوبة واعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال اعتذر يعنى ربنا جل ثناؤه الى خلقه فقال وما ظلمناهم بما ذكرنا لك من عذاب من عذبنا من الامم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم حتى بلغ ومازادوهم غير تتبيب قال مازادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تتبيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد ﴾ يقول تعالى ذكره وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التى اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب على خلافهم أمرى وتكذيبهم رسلى وجحودهم آياتى فكذلك أخذى القرى وأهلها اذا أخذتهم بعقابى وهم ظالمة لانفسهم بكفرهم بالله واشراكهم به غيره وتكذيبهم رسله ان أخذه أليم يقول ان أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم يقول موجع شديد الايجاع وهذا أمر من الله تحذير لهذه الأمة أن يسلكوا فى معصيته طريق من قبلهم من الامم الفاجرة فيحل بهم ما حل بهم من المثلات كما حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن بريد بن أبى بردة عن أبيه عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى وربما أمهل قال يمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ان الله حذر هذه الامة سطوته بقوله وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد وكان عاصم الجحدرى يقرأ ذلك وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة وذلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وما عليه قراءة الامصار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ يقول تعالى ذكره ان فى أخذنا من أخذنا من أهل القرى التى اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس لآية يقول لعبرة وعظة لمن

لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما أدرى ما تقول وقيل لانه كان ألثغ (وانا لنراك فينا ضعيفا) عن الحسن مهينا أى لا عزة لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا ان أردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى لأن العمى سبب الضعف أو لانه لغة حمير وزيف هذا القول أما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظة فينا يأباه لأن الاعمى فيهم وفى غيرهم وأما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلأن الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وأنه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلأن يمنع من النبوة كان أولى ثم ذكروا أنهم انما لم يريدوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم شر القتل وهو الرمى بالحجارة أو المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم أكدوا المذكور بقولهم (وما أنت علينا بعزيز) وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم من أهل ديننا فالكلام واقع فى فاعل العز لا فى الفعل وهو العز ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما لم يقل أعز عليكم منى ايذانا بأن التهاون بنبى الله كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه) أى أمر الله أو ما جئت به (وراءكم ظهريا) منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب أى جعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد فى حقهم فقال (ان ربى بما تعملون محيط) ثم زاد فى الوعيد والتهديد بقوله (اعملوا على مكانتكم) وقد مر

خاف عقاب الله وعذابه فى الآخرة من عباده وحجة عليه لربه وزاجرا يزجره عن أن يعصى الله ويخالفه فيما أمره ونهاه وقيل بل معنى ذلك ان فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة بان الله سينجى له وعده ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة انا سوف ننجى لهم ما وعدناهم فى الآخرة كما وفينا للانبياء أنا ننصرهم وقوله ذلك يوم مجموع له الناس يقول تعالى ذكره هذا اليوم يعنى يوم القيامة يوم مجموع له الناس يقول يحشر الله له الناس من قبورهم فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود يقول وهو يوم تشهده الخلائق لا يتخلف منهم أحد فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذب رسله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن مجاهد فى قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قال يوم القيامة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن عكرمة مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن على بن زيد عن يوسف المكى عن ابن عباس قال الشاهد محمد والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن على بن زيد عن ابن عباس قال الشاهد محمد والمشهود يوم القيامة ثم تلا هذه الآية ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود حدثت عن المسيب عن جويبر عن الضحاك قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قال ذلك يوم القيامة يجتمع فيه الخلق كلهم ويشهده أهل السماء وأهل الارض ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما نؤخره الا لأجل معدود﴾ يقول تعالى ذكره وما نؤخر يوم القيامة عنكم أن نجيئكم به الا لآن يقضى فنقضى له أجلا فعددناه وأحصاه فلا يأتى الا لاجله ذلك لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد﴾ يقول تعالى ذكره يوم يأتى يوم القيامة أيها الناس وتقوم الساعة لا تكلم نفس الا باذن ربها * واختلفت القراء فى قراءة قوله يوم يأتى فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة باثبات الياء فيها يوم يأتى لا تكلم نفس وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة وبعض الكوفيين باثبات الياء فيها فى الوصل وحذفها فى الوقف وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بحذف الياء فى الوصل والوقف يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه * والصواب من القراءة فى ذلك عندى يوم يأت بحذف الياء فى الوصل والوقف اتباعا لخط المصحف وانها لغة معروفة لهذيل تقول ما أدرما تقول ومنه قول الشاعر

كفاك كف ما تليق درهما * جودا وأخرى تعط بالسيف الدما

وقيل لا تكلم وانما هى لا تتكلم فحذف احدى التاءين اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها وقوله فمنهم شقى وسعيد يقول فمن هذه النفوس التى لا تكلم يوم القيامة الا باذن ربها شقى وسعيد وعاد على النفس وهى فى اللفظ واحدة بذكر الجميع فى قوله فمنهم شقى وسعيد يقول تعالى ذكره فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وهو أول نهاق الحمار وشبهه وشهيق وهو آخر نهيقه اذا رددده فى الجوف عند فراغه من نهاقه كما قال رؤبة بن العجاج

حشرج فى الجوف سحيلا أو شهق * حتى يقال ناهق وما نهق

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا

من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه ثم بالغ فى التهديد بقوله (وارتقبوا) انتظروا عاقبة الشقاق (انى معكم رقيب) راقب كالضريب بمعنى الضارب أو مراقب كالعشير والنديم أو مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقى القصة على قياس قصة صالح وأخذ الصيحة وأخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاصل الا أنه لما جاء فى قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد التأنيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله (كما بعدت ثمود) لما روى الكلبى عن ابن عباس قال لم يعذب الله أمتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم من فوقهم قوله سبحانه (بآياتنا وسلطان مبين) قال فى التفسير الكبير الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع وان لم يتأكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذى يعضده الحس وقال فى الكشاف يجوز أن يراد ان الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لانها أبهرها وقوله (الى فرعون) متعلق بأرسلنا (فاتبعوا أمر فرعون) أى شأنه وطريقه أو أمره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى (وما أمر فرعون برشيد) أى ليس فى أمره رشد انما فيه غى وضلال وفيه تعريض بأن الرشد والحق فى أمر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى أمره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم فى الضلال فكذلك

يقدمهم أى يتقدمهم يوم القيامة الى النار وهم على أثره ويجوز أن يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما أمر فرعون بحميد العاقبة ثم فسره بأنه (يقدم قومه) أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته ويقال قدمه وقدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش ومثله أقدم ومنه مقدم العين وانما قال (فأوردهم) بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع والورد المورود الذى وردوه شبه فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم نعى عليهم بقوله (وبئس الورد) الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت جاز نظرا الى الدار وفى تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم (وأتبعوا فى هذه) حذف صفته فى هذه الآية اكتفاء بما مر فى قصة عاد و (بئس الرفد المرفود) أى بئس العطاء المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك أن اللعنة فى الدنيا رفدت أى أعينت وأمدت باللعنة فى الآخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان لعنة من الله والملائكة واللاعنين فى الدنيا ولعنة فى الآخرة (ذلك) الذى ذكرنا أو ذلك النبأ بعض (أنباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) خبر بعد خبر ثم استأنف فقال (منها قائم وحصيد) أى ومنها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عاف فى الاثر كالزرع المحصود (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به أهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم فى الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استحقوا بما قدرت أن ترد (عنهم آلهتهم التى

أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لهم فيها زفير وشهيق يقول صوت شديد وصوت ضعيف ◦ قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن أبى العالية فى قوله لهم فيها زفير وشهيق قال الزفير فى الحلق والشهيق فى الصدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية بنحوه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال صوت الكافر فى النار صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق **حدثنا** أبو هشام الرفاعى ومحمد بن معمر البحرانى ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالوا ثنا أبو عامر قال ثنا سليمان بن سفيان قال ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر قال لما نزلت هذه الآية ففيم نشقى وسعيد سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبى الله فعلام نعمل على شئ قد فرغ منه أم على شئ لم يفرغ منه قال ففقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على شئ قد فرغ منه يا عمر وجرت به الاقلام ولكن كل ميسر لما خلق له اللفظ لحديث ابن معمر وقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد يعنى تعالى ذكره بقوله خالدين فيها لابثين فيها ويعنى بقوله ما دامت السموات والارض أبدا وذلك أن العرب اذا أرادت أن تصف الشئ بالدوام أبدا قالت هذا دائم دوام السموات والارض يعنى أنه دائم أبدا وكذلك يقولون هو باق ما اختلف الليل والنهار وما سمر لنا سمير وما ألأت العفر بأذنابها يعنون بذلك كله أبدا فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفون به بينهم فقال خالدين فيها ما دامت السموات والارض والمعنى فى ذلك خالدين فيها أبدا وكان ابن زيد يقول فى ذلك بنحو ما قلنا فيه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض قال ما دامت الارض أرضا والسماء سماء ثم قال لا ما شاء ربك واختلف أهل العلم والتأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم هذا استثناء استثناه الله فى أهل التوحيد أنه يخرجهم من النار اذا شاء بعد أن أدخلهم النار ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال الله أعلم بثنياه وذكر لنا أن ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابوها ثم يدخلهم الجنة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك والله أعلم بثنيته ذكر لنا أن ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوب أصابتهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يقال لهم الجهنميون **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا شيبان بن فروخ قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة وتلا هذه الآية فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الى قوله لما يريد فقال عند ذلك ثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار قال قتادة ولا نقول مثل ما يقول أهل حروراء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبى مالك يعنى ثعلبة عن أبى سنان فى قوله فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال استثناء فى أهل التوحيد **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الضحاك بن مزاحم فأما الذين شقوا ففى النار الى قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال يخرج قوم من النار فيدخلون الجنة فهم الذين استثنى لهم **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن عامر بن جشب عن خالد بن معدان فى قوله لابثين فيها أحقابا وقوله خالدين فيها الا ما شاء ربك انهما فى أهل التوحيد ◦ وقال آخرون الاستثناء فى هذه الآية فى أهل التوحيد الا أنهم قالوا معنى قوله الا ما شاء ربك الا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار ووجهوا الاستثناء

يدعون) يعبدون وهى حكاية حال ماضية بأس الله حين جاء (وما زادوهم) يعنى آلهتهم (غير تتبيب) تخسير تب خسر وتبه غيره أوقعه فى الخسران كانوا يعتقدون فى الأصنام أنها تعين فى الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستنفعهم عند الله فى الآخرة فلم تنفعهم فى الدنيا حين جاءهم عذاب الله وصيورتهم ذلك الاعتقاد عذاب النار فى الآخرة فهم فى خسران الدارين ثم بين أن عذابه غير مقصور على أولئك الأقوام ولكنه يعم كل ظالم سيوجد فقال (وكذلك) أى مثل ذلك الاخذ (أخذ ربك) فالأخذ مبتدأ وكذلك خبره وقوله (وهى ظالمة) حال من القرى باعتبار أهلها (ان أخذه أليم شديد) وجميع صعب على المأخوذ وهو تحذير من وخامة عاقبة كل ظلم على الغير أو على النفس فعلى العاقل أن يبادر الى التوبة ولا يغتر بالامهال ﴿ التأويل ولا تنقصوا مكيال المحبة وميزان الطلب فمكيال المحبة عداوة ماسوى الله وميزان الطلب السير على قدمى الشريعة والطريقة انى أراكم بخير هو حسن الاستعداد الفطرى وانى أخاف عذاب فساد الاستعداد فى طلب غير الحق بالقسط فى تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم حقوق النصيحة وحسن العشرة فى الله ولله ولا تعثوا فى أرض وجودكم مفسدين بقية الله بقاؤكم ببقائه خير لكم مما فاتكم بايفاء المكيال والميزان رزقا حسنا نورانا مما أرانى به اصلاح الامور والاستعدادات ان ساعدنى التوفيق ومما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة ومما أمر

الى أنه من قوله فأما الذين شقوا ففى النار الا ما شاء ربك لا من الخلود ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا ابن التيمى عن أبيه عن أبى نضرة عن جابر أو أبى سعيد يعنى الخدرى أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد قال هذه الآية تأتى على القرآن كله يقول حيث كان فى القرآن خالدين فيها تأتى عليه * قال وسمعت أبا مجلز يقول هو جزاؤه فان شاء الله تجاوز عن عذابه * وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس خالدين فيها ما دامت السموات والارض لا يموتون ولا هم منها يخرجون ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال استثناء الله قال يأمر النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن الشعبى قال جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا * وقال آخرون أخبرنا الله بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله عطاء غير مجذوذ أنها فى الزيادة على مقدار مدة السموات والارض قال ولم يخبرنا بمشيئته فى أهل النار وجائز أن تكون مشيئته فى الزيادة وجائز أن تكون فى النقصان ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك فقرأ حتى بلغ عطاء غير مجذوذ قال وأخبرنا بالذى يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لأهل النار * وأولى هذه الاقوال فى تأويل هذه الآية بالصواب القول الذى ذكرنا عن قتادة والضحاك من أن ذلك استثناء فى أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار خالدين فيها أبدا الا ما شاء من ترك هم فيها أقل من ذلك ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة كذا قد بينا فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وانما قلنا ذلك أولى الاقوال بالصحة فى ذلك لان الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود فى النار وتظاهرت بذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فغير جائز أن يكون استثناء فى أهل الشرك وأن الاخبار قد تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يدخل قوما من أهل الايمان به بذنوب أصابوها النار ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة فغير جائز أن يكون ذلك استثناء فى أهل التوحيد قبل دخولها مع صحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا وأنا ان جعلناه استثناء فى ذلك كنا قد دخلنا فى قول من يقول لا يدخل الجنة فاسق ولا النار مؤمن وذلك خلاف مذاهب أهل العلم وما جاءت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فسد هذان الوجهان فلا قول قال به القدوة من أهل العلم الا الثالث ولأهل العربية فى ذلك مذهب غير ذلك سنذكره بعد ونبينه ان شاء الله تعالى وقوله ان ربك فعال لما يريد يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره من الانتقام منه ولكنه يفعل ما يشاء فيمضى فعله فيهم وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة وبعض الكوفيين وأما الذين سعدوا بفتح السين وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وأما الذين سعدوا بضم السين بمعنى رزقوا السعادة * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فان قال قائل وكيف قيل سعدوا فيما لم يسم فاعله ولم يقل أسعدوا وأنت لا تقول فى الخبر فيما سمى فاعله سعده الله بل انما تقول أسعده الله قيل ذلك نظير قولهم هو مجنون محبوب فيما لم يسم فاعله فاذا سموا فاعله قيل أجنه الله وأحبه والعرب تفعل ذلك كثيرا وقد بينا

فرعون يريد لأن فرعون النفس أمارة بالسوء اذا أخذ القرى قرى الاجساد منها قائم قابل لتدارك ما فات ومنها ما هو محصود بفوات

الاستعداد والله تعالى أعلم بالصواب

الأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا

(ان فى ذلك لآية (٧٣) لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره

بعض ذلك فيما مضى من كتابنا هذا وتأويل ذلك وأما الذين سعدوا برحمة الله فهم فى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض يقول أبدا الا ماشاء ربك فاختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم الا ماشاء ربك من قدر ما مكثوا فى النار قبل دخولهم الجنة قالوا وذلك فمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الضحاك فى قوله وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال هو أيضا فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول خالدين فى الجنة مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك يقول الا ما مكثوا فى النار حتى ادخلوا الجنة

* وقال آخرون معنى ذلك الا ماشاء ربك من الزيادة على قدر مدة دوام السموات والارض قالوا وذلك هو الخلود فيها أبدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن أبى مالك يعنى ثعلبة عن أبى سنان وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال ومشيئته خلودهم فيها ثم أتبعها فقال عطاء غير مجذوذ واختلف أهل العربية فى وجه الاستثناء فى هذا الموضع فقال بعضهم فى ذلك معنيان أحدهما أن يجعله استثناء يستثنى ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا أن أرى غير ذلك وعزمك على ضربه قال فكذلك قال خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ولا يشاؤه قال والقول الآخر أن العرب اذا استثنت شيأ كثيرا مع مثله ومع ما هو أكثر منه(١) كان معنى الاومعنى الواو سواء فمن ذلك قوله خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ما شاء الله من زيادة الخلود فيجعل الامكان سوى فيصلح وكأنه قال خالدين فيها مادامت السموات والارض سوى ما زادهم من الخلود والابد وهذا فى الكلام أن تقول لى عليك ألف الا الالفين اللذين قبله قال وهذا أحب الوجهين الى لان الله لا يخلف وعده وقد وصل الاستثناء بقوله عطاء غير مجذوذ فدل على أن الاستثناء لهم فى الخلود غير منقطع عنهم * وقال آخر منهم بنحو هذا القول وقالوا جائز فيه وجه ثالث وهو أن يكون استثنى من خلودهم فى الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث وهو البرزخ الى أن يصيروا الى الجنة ثم هو خلود الابد يقول فلم يغيبوا عن الجنة الا بقدر اقامتهم فى البرزخ * وقال آخر منهم جائز أن يكون دوام السموات والارض بمعنى الابد على ما تعرف العرب وتستعمل وتستثنى المشيئة من دوامها لان أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السموات والارض فى الدنيا لا فى الجنة فكأنه قال خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دوام السماء والارض الا ماشاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب القول الذى ذكرته عن الضحاك وهو وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك من قدر مكثهم فى النار من لدن دخلوها الى أن ادخلوا الجنة وتكون الآية معناها الخصوص لان الاستثناء من كلام العرب فى الاتوجيهها الى معنى الاستثناء واخراج معنى ما بعدها مما قبلها الا أن يكون معهود لالة تدل على خلاف ذلك ولا دلالة فى الكلام أعنى فى قوله الا ماشاء ربك تدل على أن معناه غير معنى الاستثناء المفهوم فى الكلام فيوجه اليه وأما قوله عطاء غير مجذوذ فانه يعنى عطاء من الله غير مقطوع عنهم من قولهم جذذت الشئ أجذه جذا اذا قطعته كما قال النابغة

تجذ السلوقى المضاعف نسجه * ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

يعنى بقوله تجذ تقطع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك عطاء غير مجذوذ قال غير مقطوع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عطاء غير مجذوذ يقول غير منقطع حدثنى

(١) لعل فى العبارة سقطا وتحريفا كما يعلم من بقيتها فتأمل وحرر المنى

المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس عطاء غير مجذوذ يقول عطاء غير مقطوع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مجذوذ قال مقطوع حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله عطاء غير مجذوذ قال غير مقطوع * قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قوله عطاء غير مجذوذ قال أما هذه فقد أمضاها يقول عطاء غير منقطع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله عطاء غير مجذوذ غير منزوع منهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تك فى شك يا محمد مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والاصنام أنه ضلال وباطل وأنه بالله شرك ما يعبد هؤلاء الا كما يعبد آباؤهم من قبل يقول الا كعبادة آبائهم من قبل عبادتهم لها يخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الاوثان الا اتباعا منهم منهاج آبائهم واقتفاء منهم آثارهم فى عبادتهم وها لا عن أمر الله اياهم بذلك ولا بحجة تبينوها توجب عليهم عبادتها ثم أخبر جل ثناؤه نبيه ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك فقال جل ثناؤه وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص يعنى حظهم مما وعدتهم أن أوفيهموه من خير أو شر غير منقوص يقول لا أنقصهم مما وعدتهم بل أتم ذلك لهم على التمام والكمال كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما وعدوا فيه من خير أو شر حدثنا أبو كريب ومحمد بن بشار قالا ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس مثله الا أن أبا كريب قال فى حديثه من خير وشر حدثنى المثنى قال أخبرنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما قدر لهم من الخير والشر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال ما يصيبهم من خير أو شر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال نصيبهم من العذاب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب﴾ يقول تعالى ذكره مسليا نبيه فى تكذيب مشركى قومه اياه فيما أتاهم به من عند الله بفعل بنى اسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله يقول له تعالى ذكره ولا يحزنك يا محمد تكذيب هؤلاء المشركين لك وامض لما أمرك به ربك من تبليغ رسالته فان الذى يفعل بك هؤلاء من رد ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضرائهم من الامم قبلهم وسنة من سنتهم ثم أخبره جل ثناؤه عما فعل قوم موسى به فقال ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التوراة كما آتيناك الفرقان فاختلف فى ذلك الكتاب قوم موسى فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به وتكذيب بعض ولولا كلمة سبقت من ربك يقول تعالى ذكره ولولا كلمة سبقت يا محمد من ربك بأنه لا يعجل على خلقه بالعذاب ولكن يأتى حتى يبلغ الكتاب أجله لقضى بينهم يقول لقضى بين المكذب منهم به والمصدق باهلاك الله

بغافل عما تعملون) ۞ القرا آت وما يؤخره بالياء يعقوب والمفضل الباقون بالنون يوم يأتى بانبات الياء فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلى فى الوصل الآخرون بحذف الياء لا تكلم بتشديد التاء البزى وابن فليح سعدوا بضم السين حمزة وعلى وخلف وحفص قيل انه على حذف الهمزة من أسعدوا لان سعدوا لازم ولكنه قد جاء المسعود الآخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وأبو بكر وحماد الباقون بالتشديد لما مشددا ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك فى الطارق الباقون بالتخفيف وزلفا بضمتين يزيد الآخرون بفتح اللام فؤادك وبابه بغير همز الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وكذلك فى آخر النمل أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة ۞ الوقوف الآخرة ط مشهود ○ معدود ط باذنه ج لاختلاف الجملتين مع فاء التعقيب وسعيد ○ شهيق ○ لا لان ما يتلوه حال والعامل فيه ما فى النار من معنى الفعل شاء ربك ط يريد ○ شاء ربك ط لان التقدير يعطون عطاء مجذوذ ○ هؤلاء ط من قبل ط منقوص ○ فاختلف فيه ط بينهم ط مريب ○ أعمالهم ط خبير ○ ولا تطغوا ط بصير ○ النار لا لأن ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا تنصرون ○ من الليل ط السيآت ط للذاكرين ○ المحسنين ○

منهم ج لان التقدير وقد اتبع مجرمين ٥ مصلحون ٥ مختلفين ٥ لا رحم ربك ط خلقهم ط أجمعين ٥ فوادك ج اذ التقدير وقد جاءك للمؤمنين ٥ مكانتكم ط عاملون ٥ لا للعطف وانتظروا ج أى فانا منتظرون ط وتوكل عليه ط تعملون ٥ ۞ التفسير (ان فى ذلك) الذى قصصناه عليك من أحوال الأمم (لآية) لعبرة (لمن خاف) أى لمن هو أهل لأن يخاف (عذاب الآخرة) كقوله هدى للمتقين لأن انتفاعه يعود اليهم قال القفال فى تقرير هذا الاعتبار انه اذا علم أن هؤلاء عذبوا على ذنوبهم فى الدنيا وهى دار العمل فلأن يعذبوا عليها فى الآخرة التى هى دار الجزاء أولى واعترض عليه فى التفسير الكبير بأن ظاهر الآية يقتضى أن العلم بان القيامة حق كالشرط فى حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستئصال فى الدنيا والقفال جعل الامر على العكس قال والأصوب عندى أن هذا تعريض لمن زعم أن اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وأن هذه الاحوال التى ظهرت فى أيام الانبياء عليهم السلام مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قرانات الكواكب واذا كان كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء عليهم السلام أما الذى يؤمن بالقيامة ويخاف عذابها فيقطع بأن هذه الوقائع ليست بسبب الكواكب واتصالاتها فيستفيد مزيد الخشية والاعتبار أقول وهذا نظر عميق والأظهر ماذكرت أولا ومثله فى القرآن كثير ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ثم لما كان لعذاب الآخرة دلالة على يوم القيامة أشار اليه بقوله (ذلك يوم مجموع) أى يجمع لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (الناس) وأوثر اسم

المكذب به منهم وانجائه المصدق به وانهم لفى شك منه مريب يقول وان المكذبين به منهم لفى شك من حقيقته أنه من عند الله مريب يقول يريبهم فلا يدرون أحق هو أم باطل ولكنهم فيه متمترون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء أهل المدينة والكوفة وان مشددة كلا لما مشددة واختلف أهل العربية فى معنى ذلك فقال بعض نحويى الكوفيين معناه اذا قرئ كذلك وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم ولكن لما اجتمعت الميمات حذفت واحدة فبقيت ثنتان فأدغمت واحدة فى الاخرى كما قال الشاعر

وانى لما أصدر الامر وجهه * اذا هو أعيا بالنبيل مصادره

ثم تخفف كما قرأ بعض القراء والبغى يعظم يخفف الياء مع الياء وذكر أن الكسائى أنشده

(١) واشمت الاعداء بنا فاضحوا * لدى يتباشرون بما لقينا

وقال يريد لدى يتباشرون بما لقينا فحذف ياء الحركتين واجتماعهن قال ومثله

كأن من أحرها القادم * محرم نجد فارع المحارم

وقال أراد الى القادم فحذف اللام عند اللام * وقال آخرون معنى ذلك اذا قرئ كذلك وان كلا شديدا وحقا ليوفينهم ربك أعمالهم قال وانما يراد اذا قرئ ذلك كذلك وان كلا لما بالتشديد والتنوين ولكن قارئ ذلك كذلك حذف منه التنوين فأخرجه على لفظ فعل لما كما فعل ذلك فى قوله ثم أرسلنا تترى فقرأته بعضهم بالتنوين كما قرأ من قرأ لما بالتنوين وقرأها آخرون بغير تنوين كما قرأ لما بغير تنوين من قرأه وقالوا أصله من اللم من قول الله تعالى وتأكلون التراث أكلا لما يعنى أكلا شديدا * وقال آخرون معنى ذلك اذا قرئ كذلك وان كلا الا ليوفينهم كما يقول القائل لقد قمت عنا وبالله الا قمت عنا ووجدت عامة أهل العلم بالعربية ينكرون هذا القول ويأبون أن يكون جائزا توجيه لما الى معنى الا فى اليمين خاصة وقالوا الوجه أن يكون ذلك بمعنى الاجاز أن يقال قام القوم لما أخاك بمعنى الا أخاك ودخولها فى كل موضع صلح دخول الا فيه وأنا أرى أن ذلك فاسد من وجه هو أبين مما قاله الذين حكينا قولهم من أهل العربية فى فساده وهو أن إن اثبات للشئ وتحقيق له والا أيضا تحقيق أيضا وانما تدخل نقضا لجحد قد تقدمها فاذا كان ذلك معناها فواجب أن تكون عند متأولها التأويل الذى ذكرنا عنه أن تكون ان بمعنى الجحد عنده حتى تكون الا نقضا لها وذلك ان قاله قائل قول لا يخفى جهل قائله اللهم الا أن يخفف قارئ ان فيجعلها بمعنى ان التى تكون بمعنى الجحد وان فعل ذلك فسدت قراءته ذلك كذلك أيضا من وجه آخر وهو أنه يصير حينئذ ناصبا الكل بقوله ليوفينهم وليس فى العربية أن ينصب ما بعد الا من الفعل الاسم الذى قبلها لا تقول العرب ما زيدا الا ضربت فيفسد ذلك اذا قرئ كذلك من هذا الوجه الا أن يرفع رافع الكل فيخالف بقراءته ذلك كذلك قراءة القراء وخط مصاحف المسلمين ولا يخرج بذلك من العيب بخروجه من معروف كلام العرب وقد قرأ ذلك بعض قراء الكوفيين وان كلا بتخفيف ان ونصب كلا لما مشددة وزعم بعض أهل العربية أن قارئ ذلك كذلك أراد ان الثقيلة فخففها وذكر عن أبى زيد البصرى أنه سمع كأن ثدييه حقان فنصب بكأن والنون مخففة من كأن ومنه قول الشاعر

ووجه مشرق النحر * كأن ثدييه حقان

وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف ان ونصب كلا وتخفيف لما وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك

(١) يحرر البيت فانا لم نعثر عليه وكذا ما بعده

كذلك قصد المعنى الذى حكيناه عن قارئ الكوفة من تخفيفه نون ان وهو يريد تشديدها ويريد بما التى فى لما التى تدخل فى الكلام صلة وأن يكون قصد الى تحميل الكلام معنى وان كلا ليوفينهم ويجوز أن يكون معناه كان فى قراءته ذلك كذلك وان كلا ليوفينهم أى ليوفين كلا فيكون نيته فى نصب كل كانت بقوله ليوفينهم فان كان ذلك أراد ففيه من القبح ماذكرت من خلافه كلام العرب وذلك أنها لا تنصب بفعل بعد لام اليمين اسما قبلها وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والبصرة وان مشددة كلا لما مخففة ليوفينهم ولهذه القراءة وجهان من المعنى أحدهما أن يكون قارئها أراد وان كلا لمن ليوفينهم ربك أعمالهم فيوجه ما التى فى لما الى معنى من كما قال جل ثناؤه فانكحوا ماطاب لكم من النساء وان كان أكثر استعمال العرب لها فى غير بنى آدم وينوى باللام التى فى لما اللام التى يتلقى بها ان جوابا لها وباللام التى فى قوله ليوفينهم لام اليمين دخلت فيما بين ما وصلتها كما قال جل ثناؤه وان منكم لمن ليبطئن وكما يقال هذا ما لغيره أفضل منه والوجه الآخر أن يجعل ما التى فى لما بمعنى ما التى تدخل صلة فى الكلام واللام التى فيها هى اللام التى يجاب بها واللام التى فى ليوفينهم هى أيضا اللام التى يجاب بها ان كررت وأعيدت اذ كان ذلك موضعها وكانت الاولى مما تدخلها العرب فى غير موضعها ثم تعيدها بعد فى موضعها كما قال الشاعر

فلو أن قومى لم يكونوا أعزة * لبعد لقد لاقيت لابد مصرعى

وقرأ ذلك الزهرى فيما ذكر عنه وان كلا بتشديد ان ولما بتنوينها بمعنى شديدا وحقا وجميعا وأصح هذه القراآت مخرجا على كلام العرب المستفيض فيهم قراءة من قرأ وان بتشديد نونها كلا لما بتخفيف ما ليوفينهم ربك بمعنى وان كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم فى هذه السورة لمن ليوفينهم ربك أعمالهم بالصالح منها بالجزيل من الثواب وبالطالح منها بالشديد من العقاب فتكون ما بمعنى من واللام التى فيها جوابا لان واللام فى قوله ليوفينهم لام قسم وقوله انه بما يعملون خبير يقول تعالى ذكره ان ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد خبير لا يخفى عليه شئ من عملهم بل يخبر ذلك كله ويعلمه ويحيط به حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاستقم أنت يا محمد على أمر ربك والدين الذى ابتعثك به والدعاء اليه كما أمرك ربك ومن تاب معك يقول ومن رجع معك الى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره ولا تطغوا يقول ولا تعدوا أمره الى ما نهاكم عنه انه بما تعملون بصير يقول ان ربكم أيها الناس بما تعملون من الاعمال كلها طاعتها ومعصيتها بصير ذو علم بها لا يخفى عليه منها شئ وهو لجميعها مبصر يقول تعالى ذكره فاتقوا الله أيها الناس أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره فانه ذو علم بما تعملون وهو لكم بالمرصاد وكان ابن عيينة يقول فى معنى قوله فاستقم كما أمرت ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان فى قوله فاستقم كما أمرت قال استقم على القرآن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تطغوا قال الطغيان خلاف الله وركوب معصيته ذلك الطغيان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تميلوا أيها الناس الى قول هؤلاء الذين كفروا بالله فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم فتمسكم النار بفعلكم ذلك وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولى يليكم ثم لا تنصرون يقول فانكم ان فعلتم ذلك لم ينصركم الله بل يخليكم من نصرته ويسلط

المفعول على فعله لاجل افادة الثبات وأن حشر الاولين والآخرين فيه صفة له (٧٥) لازمة نظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ماليس فى الفعل (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه الخلائق فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف والوصف الاول أن هذا يدل على حضور الناس فيه مع اطلاع البعض منهم على أحوال الباقين من المحاسبة والمساءلة ليس بحيث لا يعرف كل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى وانما فسرنا اليوم بأنه مشهود فيه لا أنه مشهود فى نفسه لان سائر الايام تشركه فى كونها مشهودات وانما يحصل التمييز بأنه مشهود فيه دون غيره كما تميز يوم الجمعة عن أيام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها (وما نؤخره الا لاجل معدود) أى انقضاء مدة معلومة عين الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احداهما أن وقت القيامة متعين لا يتقدم ولا يتأخر والثانية أن ذلك الأجل متناه وكل متناه فانه يفنى لامحالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض أهوال ذلك اليوم فقال (يوم يأت) حذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل وفاعل يأتى قيل الله كقوله أو يأتى ربك أى أمره أو حكمه دليله قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشئ المهيب الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعيينه ليكون أقوى فى التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم أو باذكر مضمرا أو بالانتهاء المقدر أى ينتهى الاجل يوم يأتى وتاء التأنيث محذوفة من لا تكلم والآيات الدالة على التكلم فى ذلك اليوم مع الآيات الدالة على نفى التكلم كقوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا

عليكم عدوكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار يعنى الركون الى الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية ولا تركنوا الى الذين ظلموا يقول لا ترضوا أعمالهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا يقول لا ترضوا أعمالهم يقول الركون الرضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال لا ترضوا أعمالهم فتمسكم النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال قال ابن عباس ولا تميلوا الى الذين ظلموا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار يقول لا تلحقوا بالشرك وهو الذى خرجتم منه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال الركون الادهان وقرأ وذوا لو تدهن فيدهنون قال تركن اليهم ولا تنكر عليهم الذى قالوا وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسله قال وانما هذا لاهل الكفر وأهل الشرك وليس لأهل الاسلام أما أهل اقانوب من أهل الاسلام فالله أعلم بذنوبهم وأعمالهم ما ينبغى لأحد أن يصالح على شئ من معاصى الله ولا يركن اليه فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأقم الصلاة يا محمد يعنى صل طرفى النهار يعنى الغداة والعشى * واختلف أهل التأويل فى التى عنيت بهذه الآية من صلوات العشى بعد اجماع جميعهم على أن التى عنيت من صلاة الغداة الفجر فقال بعضهم عنيت بذلك صلاة الظهر والعصر قالوا وهما من صلاة العشى ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد أقم الصلاة طرفى النهار قال الفجر وصلاتى العشى يعنى الظهر والعصر حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن مجاهد فى قوله أقم الصلاة طرفى النهار قال صلاة الفجر وصلاة العشى حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أفلح بن سعيد قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول أقم الصلاة طرفى النهار قال فطرفا النهار الفجر والظهر والعصر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى أقم الصلاة طرفى النهار قال طرفى النهار الفجر والظهر والعصر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن ابن مغراء عن جويبر عن الضحاك فى قوله أقم الصلاة طرفى النهار قال الفجر والظهر والعصر * وقال آخرون بل عنى بها صلاة المغرب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أقم الصلاة طرفى النهار يقول صلاة الغداة وصلاة المغرب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن عوف عن الحسن أقم الصلاة طرفى النهار قال صلاة الغداة والمغرب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أقم الصلاة طرفى النهار الصبح والمغرب * وقال آخرون عنى بها صلاة العصر

ذكر

يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة أو نفى العذر الصحيح المقبول وأثبت العذر الباطل الكاذب ثم قسم أهل الموقف المجموعين للحساب أو الافراد العامة التى دلت عليها نفس فقال (فمنهم شقى وسعيد) أى ومنهم سعيد ولا خلاف فى أن الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما الجنة والنار فى الآخرة وانما النزاع فى أن العمل سبب للشقاء مثلا كما هو مذهب المعتزلة أو الشقاء سبب العمل كما هو مذهب أهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار له لاساءته وعند السنى جريان القلم عليه فى الازل بأنه من أهل النار وأنه يعمل عمل أهل النار والتحقيق فى المسألة قد مر مرارا قيل قد بقى ههنا قسم آخر ليسوا من أهل النار ولا من أهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم أصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفى الثالث أما قوله فى صفة أهل النار (لهم فيها زفير وشهيق) ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة فى القلب بسبب انحصار الروح فيه وحينئذ يرتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين تدل على كرب شديد وغم عظيم والحاصل أنهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة آخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى أعلى دركات جهنم وطمعوا فى أن يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد ويردونهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم فى النار هو الزفير وانحطاطهم مرة أخرى هو الشهيق

وقال أبو مسلم الزفير ما يجتمع فى الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذى يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعها الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال أبو العالية الزفير فى الحلق والشهيق فى الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال أهل التحقيق قوة ميلهم الى الدنيا ولذاتها زفير وضعفهم عن الاستعداد بكمالات الروحانيات شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى أن عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول أما القرآن فقوله سبحانه (خالدين فيها مادامت السموات والارض) أى مدة بقائهما (الا ماشاء ربك) وفيه استدلالان الاول أن مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والأرض المتناهية بالاتفاق الثانى استثناء المشيئة ويؤكد هذا النص قوله لابثين فيها أحقابا وأما الحديث فما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وأما المعقول فهو أن العقاب ضرر خال عن النفع لا فى حق الله تعالى ولا فى حق المكلف فيكون قبيحا وأيضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهى بعقاب لا نهاية له ظلم والجمهور من الامة على أن عذاب الكافر دائم وأجابوا عن الآية بأن المراد سموات الآخرة وأرضها المشار اليهما بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لأهل الآخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق حصول العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وأيضا القرآن قد ورد على استعمالات العرب وانهم يعبرون

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن جويبر عن الضحاك فى قوله أقم الصلاة طرفى النهار قال صلاة الفجر والعصر * قال ثنا زيد بن حباب عن أفلح بن سعيد القبائى عن محمد بن كعب أقم الصلاة طرفى النهار الفجر والعصر حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو رجاء عن الحسن فى قوله أقم الصلاة طرفى النهار قال صلاة الصبح وصلاة العصر حدثنى الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبى قال ثنا مبارك عن الحسن قال قال الله لنبيه أقم الصلاة طرفى النهار قال طرفى النهار الغداة والعصر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أقم الصلاة طرفى النهار يعنى صلاة العصر والصبح حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن أقم الصلاة طرفى النهار الغداة والعصر حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن أفلح بن سعيد عن محمد بن كعب أقم الصلاة طرفى النهار الفجر والعصر حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن أقم الصلاة طرفى النهار قال الغداة والعصر * وقال بعضهم بل عنى بطرفى النهار الظهر والعصر وبقوله زلفا من الليل المغرب والعشاء والصبح * وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هى صلاة المغرب كما ذكرنا عن ابن عباس وانما قلنا هو أولى بالصواب لاجماع الجميع على أن صلاة أحد الطرفين من ذلك صلاة الفجر وهى تصلى قبل طلوع الشمس فالواجب اذ كان ذلك من جميعهم اجماعا أن تكون صلاة الطرف الآخر المغرب لانها تصلى بعد غروب الشمس ولو كان واجبا أن يكون مرادا بصلاة أحد الطرفين قبل غروب الشمس وجب أن يكون مرادا بصلاة الطرف الآخر بعد طلوعها وذلك ما لا نعلم قائلا قاله الا من قال عنى بذلك صلاة الظهر والعصر وذلك قول لا تحيل فساده لانهما الى أن يكونا جميعا من صلاة أحد الطرفين أقرب منهما الى أن يكونا من صلاة طرفى النهار وذلك أن الظهر لا شك أنها تصلى بعد مضى نصف النهار فى النصف الثانى منه فمحال أن تكون من طرف النهار الأول وهى فى طرفه الآخر فاذا كان لا قائل من أهل العلم يقول عنى بصلاة طرف النهار الأول صلاة بعد طلوع الشمس وجب أن يكون غير جائز أن يقال عنى بصلاة طرف النهار الآخر صلاة قبل غروبها واذا كان ذلك كذلك صح ما قلنا فى ذلك من القول وفسد ما خالفه وأما قوله وزلفا من الليل فانه يعنى ساعات من الليل وهى جمع زلفة والزلفة الساعة والمنزلة والقربة وقيل انما سميت المزدلفة وجمع من ذلك لانها منزل بعد عرفة وقيل سميت بذلك لازدلاف آدم من عرفة الى حواء وهى بها ومنه قول العجاج فى صفة بعير

ناج طواه الأين مما وجفا * طى الليالى زلفا فزلفا

واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق وزلفا بضم الزاى وفتح اللام وقرأه بعض أهل المدينة بضم الزاى واللام كأنه وجهه الى أنه واحد وأنه بمنزلة الحلم وقرأه بعض المكيين وزلفا بضم الزاى وتسكين اللام وأعجب القراآت فى ذلك الى أن أقرأها وزلفا بضم الزاى وفتح اللام على معنى جمع زلفة كما تجمع غرفة غرف وحجرة حجر وانما اخترت قراءة ذلك كذلك لان صلاة العشاء الآخرة انما تصلى بعد مضى زلف من الليل وهى التى عنيت عندى بقوله وزلفا من الليل ونحو الذى قلنا فى قوله وزلفا من الليل قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وزلفا من الليل قال الساعات من الليل صلاة العتمة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل

عن الدوام والتأبيد بقولهم مادامت السموات والارض ونظيره قولهم ما اختلف الليل والنهار وما أشبه ذلك ومالاح كوكب ويمكن أيضا أن يقال حاصل الآية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات والارض دائمة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا لكنهما لم تدوما فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيأ وبعبارة أخرى دلت الآية على أنه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم يوجدا لم يلزم منه أن لا يوجد عقابهم أو يوجد فالآية لا تدل الا على حصول العقاب لهم دهرا طويلا ومدة مديدة وأما انه هل يكون له آخر أم لا فذلك انما يستفاد من دليل آخر كقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الاستدلال بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري والفراء أن هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشيئة كقولك والله لأضربنك الا أن أرى غير ذلك وقد يكون عزمك على ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك وردت بالفرق فان معنى الآية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشيئة قد حصلت جزما ولقائل أن يقول الماضي ههنا في معنى الاستقبال مثل ونادى أصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا بمعنى سوى أي سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم كأنه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له وقال الاصم وغيره المراد زمان مكثهم في الدنيا أو في البرزخ أو في الموقف وقيل الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كأنهم يصيرون آخر

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس زلفا من الليل يقول صلاة العتمة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن عوف عن الحسن وزلفا من الليل قال العشاء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى بن آدم عن سفيان عن عبيدالله بن أبي يزيد قال كان ابن عباس يعجبه التأخير بالعشاء ويقرأ وزلفا من الليل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وزلفا من الليل قال ساعة من الليل صلاة العتمة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وزلفا من الليل قال العتمة وما سمعت أحدا من فقهائنا ومشايخنا يقول العشاء ما يقولون الا العتمة * وقال قوم الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم باقامتها زلفا من الليل صلاة المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع واللفظ ليعقوب قالا ثنا ابن علية قال ثنا أبو رجاء عن الحسن وزلفا من الليل قال هما زلفتان من الليل صلاة المغرب وصلاة العشاء **حدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن أشعث عن الحسن في قوله وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء **حدثني** الحسن بن علي قال ثنا أبي قال ثنا مبارك عن الحسن قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل قال زلفا من الليل المغرب والعشاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما زلفتا الليل المغرب والعشاء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع * **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال قد بين الله مواقيت الصلاة في القرآن قال أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل قال دلوكها اذا زالت عن بطن السماء وكان لها في الارض في ء وقال أقم الصلاة طرفي النهار الغداة والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما زلفتا الليل المغرب والعشاء **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وزلفا من الليل قال يعني صلاة المغرب وصلاة العشاء **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أفلح بن سعيد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول زلفا من الليل المغرب والعشاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن أفلح بن سعيد عن محمد بن كعب مثله **حدثني** الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وزلفا من الليل المغرب والعشاء **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عاصم بن سليمان عن الحسن قال زلفتا الليل المغرب والعشاء **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك في قوله وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن عاصم عن الحسن وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن جويبر عن الضحاك وزلفا من الليل قال المغرب والعشاء **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن الحسن زلفا من الليل صلاة المغرب والعشاء وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات يقول تعالى ذكره ان الانابة الى طاعة الله والعمل بما يرضيه يذهب آثام معصية الله ويكفر الذنوب * ثم اختلف

أهل

أهل التأويل فى الحسنات التى عنى الله فى هذا الموضع اللاتى يذهبن السيئات فقال بعضهم هن الصلوات الخمس المكتوبات ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى الورد بن ثمامة عن أبى محمد بن الحضرمى قال ثنا كعب فى هذا المسجد قال والذى نفس كعب بيده ان الصلوات الخمس لهن الحسنات التى يذهبن السيئات كما يغسل الماء الدرن **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أفلح قال سمعت محمد ابن كعب القرظى يقول فى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات قال هن الصلوات الخمس **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن مجاهد ان الحسنات الصلوات **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة جميعا عن عوف عن الحسن ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس **حدثنى** زريق بن السخب قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال الصلوات الخمس **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سعيد الجريرى قال ثنى أبو عثمان عن سلمان قال والذى نفسى بيده ان الحسنات التى يمحو الله بهن السيئات كما يغسل الماء الدرن الصلوات الخمس **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن عبد الله بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن أبى اسحق عن مزيدة ابن زيد عن مسروق ان الحسنات يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس **حدثنى** محمد بن عمارة الاسدى وعبد الله بن أبى زياد القطوانى قالا ثنا عبد الله بن يزيد قال أخبرنا حيوة قال أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشى من بنى تيم من رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رحمه الله يقول جلس عثمان يوما وجلسنا معه بفناء المؤذن فدعا عثمان بماء فى اناء أظنه سيكون فيه قدر مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئى هذا ثم قال من توضأ وضوئى هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت ليلته يتمرغ ثم ان قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات **حدثنى** سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبو زرعة قال ثنا حيوة قال ثنا أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد فذكر نحوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال وهن الحسنات ان الحسنات يذهبن السيئات **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد قالا ثنا زهرة بن معبد قال سمعت الحرث مولى عثمان بن عفان يقول جلس عثمان بن عفان يوما على المقاعد ثم ذكر نحو ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه قال وهن الحسنات ان الحسنات يذهبن السيئات

ربك وهذا التأويل انما يليق بقاعدة الاشاعرة وأكدوه بقوله (ان ربك فعال لما يريد) فكأنه تعالى يقول أظهرت القهر والقدرة ثم أظهرت المغفرة والرحمة لأنى فعال لما أريد وليس لأحد على حكم البتة وأما المعتزلة فكانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثانى لا يساعده لحصول الاجماع على أن أحدا من أهل الجنة لا يدخل النار فالصواب أن يقال انه استثناء من الخلود فى عذاب النار ومن الخلود فى نعيم الجنة فان أهل النار ينقلون الى الزمهرير والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله وأهل الجنة ينقلون الى العرش أو الى ما هو أعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله أكبر ثم قالوا انه ختم آية الوعيد بقوله ان ربك فعال لما يريد وآية الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ رعاية للمطابقة كأنه قال انه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطى أهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له والجذ القطع وأما الجواب عن الحديث فقد قال فى الكشاف ان صح فمعناه أنهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلق جهنم وصفق أبوابها وأقول يحتمل أن يكون الالف سبب عدم الاحساس بالعذاب بل يكون سبب الالتذاذ بالمألوف فيكون خلق جهنم اشارة الى هذا المعنى وأما الجواب عن المعقول فهو أن السير فى الله ومبدأه من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنه أيضا يجب أن يكون غير متناه أو نقول لا نهاية لنوره فلا غاية لظلمة الغافل عنه والمنكر له أو نقول أوضع الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص ذاهلا عنه كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا

يكون انسانا فى الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات فى هذا المقام كثيرة والمعنى واحد

يدركه من وفق له وخلق لاجله ولما فرغ من أقاصيص عبدة الاصنام وبيان أحوال الاشقياء والسعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرح أحوال الكفرة من قومه فى ضمن نهى له عن الامتراء فى سوء مغبتهم قائلا (فلا تكُ) حذف النون لكثرة الاستعمال (فى مرية) فى شك (مما يعبد) ما مصدرية أو موصولة أى من عبادة (هؤلاء) أو من الذى يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهى عن الشك فى سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهى مستأنفا فقال (ما يعبدون الا كما يعبد) كالذى يعبده (آباؤهم) أو كعبادة آبائهم والحاصل أنهم شبهوا بآبائهم فى لزوم الجهل والتقليد (وانا لموفوهم نصيبهم) من الرزق والخيرات الدنيوية أو من ازالة العذر وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب أو نصيبهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم وفى الكشاف أن (غير منقوص) حال من النصيب ليعلم أنه تام كامل اذ يجوز أن يوفى بعض الشئ كقولك وفيته شطر حقه قلت هى مغالطة لان قول القائل وفيته شطر حقه التوفية تعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب أن يقال انه حال مؤكدة أو صفة تقوم مقام المصدر أى توفية نحو ولا تعثوا فى الارض مفسدين أى افسادا ثم أورد نظيرا لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم آخرون كما اختلف فى القرآن والغرض أن انكار الحق عادة قديمة للخلق (ولولا كلمة سبقت من ربك) هى

حدثنا محمد بن عوف قال ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا أبى قال ثنا ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلن الصلوات كفارات لما بينهن فان الله قال ان الحسنات يذهبن السيئات حدثنا ابن سيار الفزارى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدى قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت معه تحت شجرة فأخذ غصنا من أغصانها يابسا فهزه حتى تحات ورقه ثم قال ألا تسألنى لم أفعل هذا يا سلمان فقلت ولم تفعله فقال ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق ثم تلا هذه الآية أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل الى آخر الآية * وقال آخرون هو قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد ان الحسنات يذهبن السيئات قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر * وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك قول من قال فى ذلك هن الصلوات الخمس لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتواترها عنه أنه قال مثل الصلوات الخمس مثل نهر جار على باب أحدكم ينغمس فيه كل يوم خمس مرات فاذا يبقين من درنه وان ذلك فى سياق أمر الله باقامة الصلوات والوعد على اقامتها الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد على ما لم يجر ذكر من صالحات سائر الاعمال اذا خص بالقصد بذلك بعض دون بعض وقوله ذلك ذكرى للذاكرين يقول تعالى هذا الذى أوعدت عليه من الركون الى الظلم وتهددت فيه والذى وعدت فيه من اقامة الصلوات اللواتى يذهبن السيئات تذكرة ذكرت بها قوما يذكرون وعدى فيرجون ثوابه ووعيده فيخافون عقابه لا من قد طبع على قلبه فلا يجيب داعيا ولا يسمع زاجرا وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه بعض ما يحرم عليه فتاب من ذنبه ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن ابراهيم عن علقمة والاسود قالا قال عبد الله بن مسعود جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى عالجت امرأة فى بعض أقطار المدينة فأصبت منها ما دون أن أمسها فأنا هذا فاقض فى ما شئت فقال عمر لقد سترك الله لو سترت على نفسك قال ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبى صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه فلما أتاه قرأ عليه أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال رجل من القوم هذا له يا رسول الله خاصة قال بل للناس كافة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى لقيت امرأة فى البستان فضممتها الى وباشرتها وقبلتها وفعلت بها كل شئ غير أنى لم أجامعها فسكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فدعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقرأها عليه فقال عمر يا رسول الله ألله خاصة أم للناس كافة قال لا بل للناس كافة ولفظ الحديث لابن وكيع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب أنه سمع ابراهيم بن زيد يحدث عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وجدت امرأة فى بستان ففعلت بها كل شئ غير أنى لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك فافعل بى ما شئت فلم يقل

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فذهب الرجل فقال عمر لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فقال ردوه على فردوه فقرأ عليه أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين قال فقال معاذ بن جبل ألله وحده يا نبى الله أم للناس كافة فقال بل للناس كافة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا أبو عوانة عن سماك عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخذت امرأة فى البستان فأصبت منها كل شئ غير أنى لم أنكحها فاصنع بى ماشئت فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فلما ذهب دعاه فقرأ عليه هذه الآية أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلى قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت ابراهيم يحدث عن خاله الاسود عن عبد الله أن رجلا لقى امرأة فى بعض طرق المدينة فأصاب منها مادون الجماع فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال معاذ بن جبل يارسول الله لهذا خاصة أو لنا عامة قال بل لكم عامة حدثنا أبو المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة قال أنبأنى سماك قال سمعت ابراهيم يحدث عن خاله عن ابن مسعود أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم لقيت امرأة فى حش بالمدينة فأصبت منها مادون الجماع نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو قطن عمرو بن الهيثم البغدادى قال ثنا شعبة عن سماك عن ابراهيم عن خاله عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم قال جاء فلان بن معتب رجل من الانصار فقال يارسول الله دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله الا أنى لم أوقعها فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه حتى نزلت هذه الآية أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات الآية فدعاه فقرأها عليه حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية * وحدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل * وحدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن جميعا عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة شيأ لا أدرى ما بلغ غير أنه مادون الزنا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل ألى هذه يارسول الله قال لمن أخذ بها من أمتى أو لمن عمل بها حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا فيصة عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى عثمان قال كنت مع سلمان فأخذ غصن شجرة يابسة فحته وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ فأحسن الوضوء تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق ثم قال أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة وحسين الجعفى عن زائدة قال ثنا عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ قال أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما ترى فى رجل لقى امرأة لا يعرفها فليس يأتى الرجل من امرأته شيأ الا قد أتاه منها غير أنه لم يجامعها فأنزل الله هذه الآية أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم صل قال معاذ قلت يارسول الله ألله خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين عامة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن رجلا أصاب من امرأة مادون الجماع فأتى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله عن ذلك فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أنزلت أقم الصلاة

ان رحمتى سبقت غضبى أو هى ان دار الجزاء الآخرة لا الدنيا أو هى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال (لقضى بينهم) بين قوم موسى أو بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب الانجاء والاهلاك وهذه من جملة التسلية أيضا (وانهم) يعنى قوم موسى أو قومك (لفى شك منه) من كتابه أو من كتابك أو من أمر المعاد أو القضاء أو الجزاء ثم جمع الاولين والآخرين فى حكم توفية الجزاء ثوابا أو عقابا فقال (وان كلا) التنوين فيه عوض عن المضاف اليه أى وان كلهم يعنى ان جميع المختلفين فيه ومن قرأ بالتخفيف فعلى اعمال المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما فى لم يكن ولم يك ومن قرأ لما مخففا فاللام هى الداخلة فى خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب القسم المقدر كما فصلوا بالالف بين النونات فى قولهم اضربنان ويمكن أن يكون ما نكرة أى لخلق أو جمع والله ليوفينهم ربك أعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود ومن قرأ لما مشددا فأصله لمن ما قلبت النون ميما فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الاولى تخفيفا وجاز حذف الاولى وابقاء الساكنة لاتصال اللام بها ويجوز أن يكون أصله لما بالتنوين كما فى قراءة الزهرى وسليمن بن أرقم فحذف فبقى لما ممدودا ومعناه ملومين أى مجموعين وقرأ أبى وان كل لما ليوفينهم على أن ان نافية ولما بمعنى الا كما فى الطارق ولا يخفى ما فى الآية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيأ من

الحقوق لا يضيع عنده منها لفظة
ان ومنها لام خبران ومنها كل
ومنها ما المزيدة ومنها القسم
ومنها لام القسم ومنها نون التاكيد
ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان
من يربيك يقدر على توفية حقك
ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الآية
بقوله (انه بما يعملون خبير) فانه اذا
كان عالما بكل المعلومات قادرا على
كل المقدورات كان عالما بعمل كل
أحد وبمقدار جزاء عمله وقادرا على
ايصال ذلك اليه ثم ان كلامه حق
وصدق وقد أخبر عن التوفية مع
المؤكدات المذكورة فيقع وعده
ووعيده لا محالة ثم أمر نبيه لتقتدى
به أمته بكلمة جامعة للعقائد
والأعمال قائلا (فاستقم كما أمرت)
عن جعفر الصادق رضى الله عنه
معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعنى
الوثوق به والتوكل عليه (ومن تاب
معك) عطف على الضمير فى فاستقم
وصح للفصل أو هو ابتداء أى ومن
تاب معك فليستقم أو مفعول معه
ثم كما أمر بالاستقامة على جادة الحق
نهى عن الانحراف عنها فقال (ولا
تطغوا) والطغيان مجاوزة الحد
وقال ابن عباس يريد تواضعوا
للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص
بعضهم الطغيان بالتجاوز عن
حدود القرآن بتحليل حرامه
وتحريم حلاله وهذه الآية
أصل عظيم فى الشريعة فيكون
الترتيب فى الوضوء واجبا كما ورد فى
القرآن وكذلك القول فى الحدود
والكفارات ونصاب الزكاة وأعداد
الركعات وغيرها من جميع
المأمورات والمنهيات ويجب

طرفى النهار وزلفا من الليل الآية فقال معاذ يا رسول الله ألله خاصة أم للناس عامة قال هى للناس عامة
حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الرحمن
ابن أبى ليلى قال أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبوية
قال ثنا اسحق بن ابراهيم قال ثنى عمرو بن الحرث قال ثنى عبد الله بن سالم عن الزبيدى
قال ثنا سليم بن عامر أنه سمع أبا أمامة يقول ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله أقم فى حد الله مرة واثنتين فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقيمت الصلاة
فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال أين هذا القائل أقم فى حد الله قال أنا قال
هل أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فانك من خطيئتك كما ولدتك أمك فلا تعد وأنزل
الله حينئذ على رسوله أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنى
جرير عن عبد الملك عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان جالسا عند النبى صلى الله
عليه وسلم فجاء رجل فقال يا رسول الله رجل أصاب من امرأة ما لا يحل له لم يدع شيأ يصيبه الرجل
من امرأته الا أتاه الا أنه لم يجامعها قال يتوضأ وضوأ حسنا ثم يصلى فأنزل الله هذه الآية أقم الصلاة
طرفى النهار وزلفا من الليل الآية فقال معاذ هى له يا رسول الله خاصة أم للمسلمين عامة قال بل للمسلمين
عامة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن عمرو بن
دينار عن يحيى بن جعدة أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ذكر امرأة وهو جالس
مع النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذنه لحاجة فأذن له فذهب يطلبها فلم يجدها فأقبل الرجل يريد
أن يبشر النبى صلى الله عليه وسلم بالمطر فوجد المرأة جالسة على غدير فدفع فى صدرها وجلس بين
رجليها فصارذ كرمثل الهدبة فقام نادما حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع فقال
له النبى صلى الله عليه وسلم استغفر ربك وصل أربع ركعات قال وتلا عليه أقم الصلاة طرفى النهار
وزلفا من الليل الآية حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع
عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبى اليسر بن عمرو الانصارى قال أتتنى امرأة تبتاع
منى بدرهم تمرا فقلت ان فى البيت تمرا أجود من هذا فدخلت فأهويت اليها فقبلتها فأتيت أبا بكر
فسألته فقال استر على نفسك وتب واستغفر الله فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخلفت
رجلا غازيا فى سبيل الله فى أهله بمثل هذا حتى ظننت أنى من أهل النار حتى تمنيت أنى أسلمت
ساعتئذ قال فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة فنزل جبرئيل فقال أين أبو اليسر فجئت
فقرأ على أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل الى الذاكرين قال انسان له يا رسول الله
خاصة أم للناس عامة قال للناس عامة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا قيس بن
الربيع عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبى اليسر قال لقيت امرأة فالتزمتها
غير أنى لم أنكحها فأتيت عمر بن الخطاب فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا فلم أصبر
حتى أتيت أبا بكر رضى الله عنه فسألته فقال اتق الله واستر على نفسك ولا تخبرن أحدا قال فلم أصبر
حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال له هل جهزت غازيا قلت لا قال فهل خلفت
غازيا فى أهله قلت لا فقال لى حتى تمنيت أنى كنت دخلت فى الاسلام تلك الساعة قال فلما ولى
دعانى فقرأ على أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل فقال له أصحابه ألهذا خاصة أم للناس عامة
فقال بل للناس عامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنى سعيد عن قتادة أن رجلا أصاب من
امرأة قبلة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله هلكت فأنزل الله ان الحسنات يذهبن

السيئات ذلك ذكرى للذاكرين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن سليمان التيمي قال ضرب رجل على كفل امرأة ثم أتى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فكلما سأل رجلا منهما عن كفارة ذلك قال أمغزية هي قال نعم قال لا أدري ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أمغزية هي قال نعم قال لا أدري حتى أنزل الله أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن عطاء في قول الله تعالى أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل أن امرأة دخلت على رجل يبيع الدقيق فقبلها فأسقط في يده فأتى عمر فذكر ذلك له فقال اتق الله ولا تكن امرأة غاز فقال الرجل هي امرأة غاز فذهب الى أبي بكر فقال مثل ما قال عمر فذهبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم جميعا فقال له كذلك ثم سكت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم فأنزل الله أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الصلوات المفروضات ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء بن أبي رباح قال أقبلت امرأة حتى جاءت انسانا يبيع الدقيق لتبتاع منه فدخل بها البيت فلما خلا لها قبلها قال فسقط في يديه فانطلق الى أبي بكر فذكر ذلك له فقال أبصر لا تكونن امرأة رجل غاز فبينما هم على ذلك نزل في ذلك أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل قيل لعطاء المكتوبة هي قال نعم هي المكتوبة فقال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير هي المكتوبات قال ابن جريج عن يزيد ابن رومان ان رجلا من بني غنم دخلت عليه امرأة فقبلها ووضع يده على دبرها فجاء الى أبي بكر رضى الله عنه ثم الى عمر رضى الله عنه ثم أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أقم الصلاة الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين فلم يزل الرجل الذي قبل المرأة يذكر فذلك قوله ذكرى للذاكرين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره واصبر يا محمد على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه رجاء جزيل ثواب الله على ذلك فان الله لا يضيع ثواب عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره فيذهب به بل يوفره أحوج ما يكون اليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة الذين أهلكتهم بمعصيتهم اياي وكفرهم برسلي من قبلكم أولو بقية يقول ذو بقية من الفهم والعقل يعتبرون مواعظ الله ويتدبرون حججه فيعرفون مالهم في الايمان بالله وعليهم في الكفر به ينهون عن الفساد في الارض يقول ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم وأهل الكفر بالله عن كفرهم به في أرضه الا قليلا ممن أنجينا منهم يقول لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا يسيرا فانهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض فنجاهم الله من عذابه حين أخذ من كان مقيما على الكفر بالله عذابه وهم أتباع الانبياء والرسل ونصب قليلا لان قوله الا قليلا استثناء منقطع مما قبله كما قال الاقوم يونس لما آمنوا وقد بينا ذلك في غير موضع بما أغنى عن اعادته * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اعتذر فقال فلولا كان من القرون من قبلكم حتى بلغ الا قليلا ممن أنجينا منهم فاذا هم الذين نجوا حين نزل عذاب الله وقرأ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية الى قوله الا قليلا ممن أنجينا منهم قال يستثنيهم الله من كل قوم حدثنا

الاحتياط في المسائل الاجتهادية وفي القياسات وكذا في الاخلاق والملكات وفي كل ماله طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الصراط المستقيم المأمور بالاستقامة والثبات عليه ولا ريب أن معرفته صعبة وبتقدير معرفته فالعمل به والبقاء عليه أصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية في القرآن أشد ولا أشق من هذه حتى ان أصحابه قالوا له لقد أسرع فيك الشيب فقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود أعني هذه الآية منها ثم لما كان لقرين السوء مدخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الأخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشئ في غير موضعه فقال (ولا تركنوا) أي لا تميلوا بالمحبة والهوى (الى الذين ظلموا) فقال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شئ من تلك الأبواب فأما مداخلتهم لدفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون أقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده وفي قوله (فتمسكم النار) اشارة الى أن الظلمة أهل النار بل هم في النار أو كالنار أو لئلا ما يأكلون في بطونهم الا النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله (وما لكم من دون الله) من تتمة الجزاء وقال في الكشاف الواو للحال (من أولياء) من أنصار أي لا يقدر على منعكم من عذاب

الله الاهو (ثم لاتنصرون) ثم لاينصركم هو أيضا وفيه اقناط كلى وفائدة ثم تبعيد النصرة من الظلم قال أهل التحقيق الركون الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا أى الذين حدث منهم الظلم فلم يقل ولاتميلوا الى الظالمين ليدل على أن قليلا من الميل الى من حدث منه شئ من الظلم يوجب هذا العقاب واذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم فى نفسه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه وقال سفيان فى جهنم وادلا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم خص من أنواع الاستقامة اقامة الصلاة تنبيها على شرفها فقال (وأقم الصلاة) قيل تمسك بعض الخوارج بهذه الآية على أن الواجب من الصلاة ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفان بكونهما زلفا من الليل فان ما لايكون نهارا يكون ليلا غاية ما فى الباب أن هذا يقتضى عطف الصفة على الموصوف وهو كثير فى كلامهم ولئن سلم وجوب صلاة أخرى الا أن قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة الصلاة طرفى النهار كفارة لترك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالآية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفى النهار منصوب على الظرف لاضافتهما الى الوقت فيكتسب

محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود قال سألنى بلال عن قول الحسن فى العذرة فقال سمعت الحسن يقول قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم قال بعث الله هودا الى عاد فنجى الله هودا والذين آمنوا معه وهلك الممتعون وبعث الله صالحا الى ثمود فنجى الله صالحا وهلك الممتعون فجعلت أستفرغ الامم فقال ما أراه الا كان حسن القول فى العذر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم أى لم يكن من قبلكم من ينهى عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم وقوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه يقول تعالى ذكره واتبع الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ما أترفوا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه قال ما أنظروا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه من دنياهم وكان هؤلاء وجهوا تأويل الكلام واتبع الذين ظلموا الشئ الذى أنظرهم فيه ربهم من نعيم الدنيا ولذاتها ايثارا له على عمل الآخرة وما ينجيهم من عذاب الله * وقال آخرون معنى ذلك واتبع الذين ظلموا ما تجبروا فيه من الملك وعتوا عن أمر الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه قال فى ملكهم وتجبرهم وتركوا الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال وتركهم الحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل حديث محمد بن عمرو سواء * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر تعالى ذكره أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا فاستكبروا وكفروا بالله واتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا فاستكبروا عن أمر الله وتجبروا وصدوا عن سبيله وذلك أن المترف فى كلام العرب هو المنعم الذى قد غذى باللذات ومنه قول الراجز

نهدى رؤس المترفين الصناد * الى أمير المؤمنين الممتاد

وقوله وكانوا مجرمين يقول وكانوا مكتسبى الكفر بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾ يقول تعالى ذكره وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى التى أهلكها التى قص عليك نبأها ظلما وأهلها مصلحون فى أعمالهم غير مسيئين فيكون اهلاكه اياهم مع اصلاحهم فى أعمالهم وطاعتهم ربهم ظلما ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم فى غيهم وتكذيبهم رسلهم وركوبهم السيئات وقد قيل معنى ذلك لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله وذلك قوله بظلم يعنى بشركه وأهلها مصلحون فيما بينهم لا يتظالمون ولكنهم يتعاطون الحق بينهم وان كانوا مشركين وانما يهلكهم اذا تظالموا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره ولو شاء ربك يا محمد لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة واحدة ودين واحد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة يقول لجعلهم مسلمين كلهم وقوله ولا يزالون مختلفين يقول تعالى ذكره ولا يزال الناس مختلفين الا من رحم ربك ثم اختلف أهل التأويل فى الاختلاف الذى وصف الله الناس أنهم لا يزالون به فقال بعضهم هو الاختلاف فى الاديان فتأويل ذلك على

مذهب هؤلاء ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودى ونصرانى ومجوسى ونحو ذلك وقال قائلو هذه المقالة استثنى الله من ذلك من رحمهم وهم أهل الايمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن طلحة بن عمرو عن عطاء ولا يزالون مختلفين قال اليهود والنصارى والمجوس والحنيفية هم الذين رحم ربك حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء ولا يزالون مختلفين قال اليهود والنصارى والمجوس الا من رحم ربك قال هم الحنيفية حدثنى يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال أخبرنا منصور بن عبد الرحمن قال قلت للحسن قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال الناس مختلفون على أديان شتى الا من رحم ربك فمن رحم غير مختلفين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن حسن بن صالح عن ليث عن مجاهد ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الا من رحم ربك قال أهل الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الا من رحم ربك قال أهل الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه * قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد العزيز عن منصور بن عبد الرحمن قال سئل الحسن عن هذه الآية ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال الناس كلهم مختلفون على أديان شتى الا من رحم ربك فمن رحم غير مختلف فقلت له ولذلك خلقهم فقال خلق هؤلاء لجنته وهؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن ليث عن مجاهد فى قوله ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الا من رحم ربك قال أهل الحق * قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قوله ولا يزالون مختلفين قال أهل الحق وأهل الباطل الا من رحم ربك قال أهل الحق * قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك الا من رحم ربك قال أهل الحق ليس فيهم اختلاف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن جريج عن عكرمة ولا يزالون مختلفين قال اليهود والنصارى الا من رحم ربك قال أهل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الا من رحم ربك قال أهل الحق حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال لا يزالون مختلفين فى الهوى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك فأهل رحمة الله أهل جماعة وان تفرقت دورهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل فرقة وان اجتمعت دورهم وأبدانهم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك قال من جعله على الاسلام * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الحسن ابن واصل عن الحسن ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الا من رحم ربك * قال ثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ولا يزالون مختلفين قال أهل الباطل الا من رحم ربك قال أهل الحق حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يزالون مختلفين فى الرزق فهذا فقير وهذا غنى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه أن الحسن قال مختلفين فى الرزق سخر بعضهم لبعض وقال بعضهم مختلفين

المضاف حكم المضاف اليه كقولك أتيته نصف النهار والطرفان هما الغدوة وهى الفجر والعشية وفيها الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى (وزلفا) جمع زلفة كظلم وظلمة أى ساعات (من الليل) قريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وازدلف اليه وقرئ زلفا بسكون اللام نحو بسرة وبسر والزلف فيمن قرأ بضمتين نحو بسر وبسر وقيل زلفا أى قربا فيكون معطوفا على الصلاة أى أقم الصلاة وأقم زلفا أى صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل وبالجملة فصلاة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفى النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب أبى حنيفة أن التنوير بالفجر أفضل وتأخير العصر أفضل لان الامة أجمعت على أن نفس الطرفين وهما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلاة فكل وقت كان أقرب الى الطرفين كان أولى باقامة الصلاة فيه حملا للمجاز على ما هو أقرب الى الحقيقة ما أمكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازى فى تفسيره ولقائل أن يقول هذا لا يتمشى فى صلاة الفجر لان الطرف الاول للنهار فى الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد الصلاة منه لا مقرب ولا أدرى كيف ذهب عليه هذا المعنى مع افراط عصبيته للشافعى واستدل أيضا لابى حنيفة على مذهبه فى وجوب الوتر أن أقل الجمع ثلاثة فتجب اقامة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاث زلف من الليل أى ثلاث ساعات

ذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء فتعين أن تكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب على أمته لقوله فاتبعوه ولمانع أن يمنع أن أقل الجمع ثلاثة أشياء ثم ان كل ساعة لأجل صلاة ثم ان كل ما يجب على النبي صلى الله عليه وسلم يجب على الامة لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله أعم من أن يكون على تلك الجهة أم لا (ان الحسنات يذهبن السيئات) قال المفسرون نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها ان في البيت أجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها وأصاب منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال أنتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذه له خاصة أم للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوأ حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس أي الصلوات الخمس كفارة لسائر الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقد يحتج بالآية على أن المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو رأس الاعمال الحسنة (ذلك) المذكور من قوله فاستقم الى ههنا (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين وارشاد

في المغفرة والرحمة أو كما قال * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى الا من رحم ربك فآمن بالله وصدق رسله فانهم لا يختلفون في توحيد الله وتصديق رسله وما جاءهم من عند الله وانما قلت ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك لان الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس انما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ولو كان خبرا عن اختلافهم في الرزق ونحوه لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم وأما قوله ولذلك خلقهم فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه وللاختلاف خلقهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن مبارك بن فضالة عن الحسن ولذلك خلقهم قال للاختلاف **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا منصور بن عبد الرحمن قال قلت للحسن ولذلك خلقهم فقال خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن منصور عن الحسن مثله **حدثني** المثنى قال ثنا المعلى ابن أسد قال ثنا عبد العزيز عن منصور بن عبد الرحمن عن الحسن بنحوه * قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن خالد الحذاء أن الحسن قال في هذه الآية ولذلك خلقهم قال خلق هؤلاء لهذه وخلق هؤلاء لهذه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن قال ولذلك خلقهم قال أما أهل رحمة الله فانهم لا يختلفون اختلافا يضرهم **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولذلك خلقهم قال خلقهم فريقين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم يختلف وذلك قوله فمنهم شقي وسعيد **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء في قوله ولا يزالون مختلفين قال يهود ونصارى ومجوس الا من رحم ربك قال من جعله على الاسلام ولذلك خلقهم قال مؤمن وكافر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان قال ثنا الاعمش ولذلك خلقهم قال مؤمن وكافر **حدثني** يونس قال أخبرنا أشهب قال سئل مالك عن قول الله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال خلقهم ليكونوا فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير * وقال آخرون بل معنى ذلك وللرحمة خلقهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن حسن بن صالح عن ليث عن مجاهد ولذلك خلقهم قال للرحمة **حدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن ليث عن مجاهد ولذلك خلقهم قال للرحمة **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرني أبو حفص عن ليث عن مجاهد مثله الا أنه قال للرحمة خلقهم **حدثني** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولذلك خلقهم قال للرحمة خلقهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عمن ذكره عن ثابت عن الضحاك ولذلك خلقهم قال للرحمة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة ولذلك خلقهم قال أهل الحق ومن اتبعه لرحمته **حدثني** سعد بن عبد الله قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك قال للرحمة خلقهم

ولم يخلقهم للعذاب * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال ولذلك اختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم لان الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم فعم بقوله ولذلك خلقهم صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له فان قال قائل فان كان تأويل ذلك كما ذكرت فقد ينبغى أن يكون المختلفون غير ملومين على اختلافهم اذ كان لذلك خلقهم ربهم وأن يكون المتمتعون هم الملومين قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى الكلام ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم وملهم الا من رحم ربك فهداه للحق ولعلمه وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقى والسعيد خلقهم فعنى اللام فى قوله ولذلك خلقهم بمعنى على كقولك للرجل أكرمتك على برك بى وأكرمتك لبرك بى وأما قوله وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله وخلافهم أمره وقوله وتمت كلمة ربك فهم كقول القائل حلفى لأزورنك وبدالى لآتينك ولذلك تلقيت بلام اليمين وقوله من الجنة وهى ما اجتن عن أبصار بنى آدم والناس يعنى وبنى آدم وقيل انهم سموا جنة لانهم كانوا على الجنان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدالله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك وانما سموا الجنة أنهم كانوا على الجنان والملائكة كلهم جنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدالله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك قال الجنة الملائكة وأما معنى قول أبى مالك هذا أن ابليس كان من الملائكة والجن ذريته وان الملائكة تسمى عنده الجن لما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره وكلا نقص عليك يا محمد من أنباء الرسل الذين كانوا قبلك ما نثبت به فؤادك فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك وردّ عليك ما جئتهم به ولا يضق صدرك فتترك بعض ما أنزلت اليك من أجل أن قالوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك اذا علمت مالقى من قبلك من رسلى من أممها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال لتعلم مالقيت الرسل قبلك من أممهم واختلف أهل العربية فى وجه نصب كلا فقال بعض نحويى البصرة نصب على معنى ونقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك كلا كان الكل منصوب عنده على المصدر من نقص بتأويل ونقص عليك ذلك كل القصص وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال ذلك غير جائز وقال انما نصب كلا بنقص لان كلا بنيت على الاضافة كان معها اضافة أولم يكن وقال أراد كله نقص عليك وجعل ما نثبت ردا على كلا وقد بينت الصواب من القول فى ذلك وأما قوله وجاءك فى هذه الحق فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه وجاءك فى هذه السورة الحق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا شعبة عن خليد بن جعفر عن أبى اياس عن أبى موسى وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن خليد بن جعفر عن أبى اياس معاوية بن قرة عن أبى موسى مثله حدثنا ابن بشار قال ثنى سعيد بن عامر قال ثنا عوف عن أبى رجاء عن ابن عباس فى قوله وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن أبى عوانة عن أبى بشر عن عمرو العنبرى عن ابن عباس وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبدالرحمن بن مهدى عن أبى عوانة عن أبى بشر عن رجل من بنى العنبر قال خطبنا ابن عباس فقال وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه

للمسترشدين ثم أمر بالصبر على التكاليف المذكورة أمر اونهيا ونص على أن الاتيان بها احسان وأن جزاءه سيحصل لا محالة فقال (واصبر) الآية ثم عاد الى أحوال الامم الخالية وبين أن السبب فى حلول عذاب الاستئصال بهم أمران الاول أنه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله (فلولا) أى فهلا (كان من القرون من قبلكم أولو بقية) ذوو خير ورشد وفضل وذلك أن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصارت البقية مثلا فى الجودة يقال فلان من بقية القوم أى من خيارهم ومن أمثالهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا وجوز فى الكشاف أن يكون من البقوى كالتقية فى التقوى أى فهلا كان منهم ذوو ابقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه (الا قليلا) استثناء متصل لان فى تحضيضهم على النهى عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا ناسا قليلا ومن فى (ممن أنجينا) للبيان أى هم الذين أنجيناهم قال فى الكشاف لان النجاة انما هى للناهين وحدهم ولقائل أن يقول اذا كان النهى عن المنكر فرض كفاية لم يلزم أن تنحصر النجاة فى الناهين فيحتمل أن تكون من للتبعيض ويجوز على ما فى الكشاف أن يكون الاستثناء منقطعا معناه ولكن قليلا ممن أنجيناه من القرون نهوا عن الفساد قال ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسد الانه يكون تحضيضا لاولى البقية على

النهى عن الفساد الا للقليل من
الناجين منهم كما تقول هلا قرأ
قومك القرآن الا الصلحاء منهم
تريد استثناء الصلحاء من المحضضين
على قراءة القرآن أقول لم لا يجوز أن
يكون المراد من استثناء الصلحاء
منهم أنه لا حاجة لهم الى التحضيض
كأنك قلت أحضض قومك على
القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون
الى ذلك لانهم مواظبون عليها على
أن فى جعل الاستثناء منقطعا شبه
تناقض لان أول الكلام يدل على
أنه لم يكن فيهم ناه وآخره يدل على
أن القليل منهم قد نهوا فتأمل فى
هذا المقام فانه من مزلة الاقدام
السبب الثانى فى نزول العذاب
قوله (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا)
ما غرقوا (فيه) من التنعم والترف
من حيث الرياسة والثروة وأسباب
العيش الهنى ورفضوا ما وراء ذلك
مما يتعلق بأمر الدين فهذه الجملة
معطوفة على مدلول الجملة
التحضيضية أى ما كان من القرون
ناس كذا واتبع الظالمون كذا
ويجوز أن يكون فى الكلام اضمار
والواو للحال كأنه قيل أنجينا القليل
وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم
والمترف الذى أبطرته النعمة وصبى
مترف منعم البدن وقوله (وكانوا
مجرمين) اما معترضة واما معطوف
على اتبع أى وكانوا مجرمين بذلك
أو على أترفوا أى اتبعوا الاتراف
وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات
مغمور بالآثام أو أريد بالاجرام
اغفالهم للشكر ثم بين أنه ما ينبغى له
سبحانه أن يهلك القرى بظلم قال
أهل السنة أى بسبب مجرد
الشرك والحال أنهم مصلحون
فى المعاملة والعشرة فيما بينهم وذلك

السورة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاعمش عن سعيد بن جبير
قال سمعت ابن عباس قرأ هذه السورة على الناس حتى بلغ وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة
حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عوف عن مروان الأصغر عن ابن
عباس انه قرأ على المنبر وجاءك فى هذه الحق فقال فى هذه السورة حدثنا أبو كريب قال ثنا
وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن ليث عن مجاهد وجاءك فى هذه الحق قال
فى هذه السورة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد وجاءك فى هذه السورة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن
مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك
عن عطاء عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن أبى جعفر الرازى
عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال هذه السورة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا
عبد الرحمن بن سعيد قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس مثله حدثنى يعقوب
قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أبو رجاء عن الحسن فى قوله وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه السورة
حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة عن أبى رجاء عن الحسن بمثله
حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن أبى
رجاء عن الحسن مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن عن أبان بن تغلب عن مجاهد مثله
حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجاءك فى هذه الحق
قال فى هذه السورة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حدثنى المثنى
قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن أبى رجاء قال سمعت الحسن البصرى يقول فى قول الله تعالى
وجاءك فى هذه الحق قال يعنى فى هذه السورة * وقال آخرون معنى ذلك وجاءك فى هذه
الدنيا الحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر
قال ثنا شعبة عن قتادة وجاءك فى هذه الحق قال فى هذه الدنيا حدثنا أبو كريب قال
ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة وجاءك فى هذه الحق قال
كان الحسن يقول فى الدنيا * وأولى التأويلين بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال وجاءك
فى هذه السورة الحق لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله فان قال قائل أولم يجئ
النبى صلى الله عليه وسلم الحق من سور القرآن الا فى هذه السورة فيقال وجاءك فى هذه السورة
الحق قيل له بلى قد جاءه فيها كلها فان قال فما وجه خصوصه اذا فى هذه السورة بقوله وجاءك
فى هذه الحق قيل ان معنى الكلام وجاءك فى هذه السورة الحق مع ما جاءك فى سائر سور القرآن
أو الى ما جاءك من الحق فى سائر سور القرآن لا أن معناه وجاءك فى هذه السورة الحق دون سائر
سور القرآن وقوله وموعظة يقول وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتبين لهم عبره ممن كفر به
وكذب رسله وذكرى للمؤمنين يقول وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله كى لا يغفلوا عن الواجب
لله عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون
وانتظروا انا منتظرون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد للذين
لا يصدقونك ولا يقرون بوحدانية الله اعملوا على مكانتكم يقول على هيئتكم وتمكنكم ما أنتم
عاملوه فانا عاملون ما نحن عاملوه من الاعمال التى أمرنا الله بها وانتظروا ما وعدكم الشيطان فانا
منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله وانتظروا انا منتظرون قال يقول انتظروا مواعيد الشيطان اياكم على مايزين لكم انا منتظرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولله يا محمد ملك كل ماغاب عنك فى السموات والارض فلم تطلع عليه ولم تعلمه كل ذلك بيده وبعلمه لايخفى عليه منه شئ وهو عالم بما يعمله مشركو قومك وما اليه مصير أمرهم من اقامة على الشرك أواقلاع عنه وتوبة واليه يرجع الامر كله يقول والى الله معاد كل عامل وعمله وهو مجاز جميعهم بأعمالهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واليه يرجع الامر كله قال فيقضى بينهم بحكمه بالعدل يقول فاعبده يقول فاعبد ربك يا محمد وتوكل عليه يقول وفوض أمرك اليه وثق به وبكفايته فانه كافى من توكل عليه وقوله وما ربك بغافل عما تعملون يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك بل هو محيط به لايعزب عنه شئ منه وهو لهم بالمرصاد فلا يحزنك اعراضهم عنك ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحق وامض لأمر ربك فانك بأعيننا حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى عن عبد الله بن رباح عن كعب قال خاتمة التوراة خاتمة هود * آخر تفسير سورة هود والحمد لله المعبود المقصود

﴿ تفسير السورة التى يذكر فيها يوسف صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير فقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله الر تلك آيات الكتاب المبين والقول الذى نختاره فى تأويل ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وأما قوله تلك آيات الكتاب المبين فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه تلك آيات الكتاب المبين بين حلاله وحرامه ورشده وهداه ذكر من قال ذلك حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا الوليد بن سلمة الفلسطينى قال أخبرنى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه فى قول الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين قال بين حلاله وحرامه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الر تلك آيات الكتاب المبين اى والله لمبين تركيبه هداه ورشده حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله الر تلك آيات الكتاب المبين قال بين الله رشده وهداه * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا الوليد بن سلمة قال ثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ أنه قال فى قول الله عز وجل الكتاب المبين قال بين الحروف التى سقطت عن ألسن الاعاجم وهى ستة أحرف * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال معناه هذه آيات الكتاب المبين لمن تلاه وتدبر مافيه من حلاله وحرامه ونهيه وسائر ماحواه من صنوف معانيه لان الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين ولم يخص ابانته عن بعض مافيه دون جميعه فذلك على جميعه اذ كان جميعه مبينا عما فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره انا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب لأن لسانهم وكلامهم عربى فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه وذلك قوله عز وجل لعلكم تعقلون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ نحن نقص عليك أحسن

أن حقوق الله تعالى مبنية على المساهلة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير أن عذاب الاستئصال انما نزل بقوم لوط وشعيب لما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد فى الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال فى الحكمة أن يهلك الله القرى ظالما لها وأهلها قوم مصلحون فى العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بأن اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر أن الكل بمشيئته وارادته فقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) مهدية والمعتزلة يحملون هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر وقد مر مرارا (ولا يزالون مختلفين) فى الاديان والأخلاق والافعال فمنهم من أنكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم كلها والمعارف ولم يثبت لهذا العالم الجسمانى مبدأ أصلا وهم الدهرية ومنهم من أثبت له مبدأ موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا المقام تحقيق ليس ههنا موضع بيانه ومنهم من أنكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من أثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفى كل واحدة من هذه الطوائف اختلافات لاتكاد تدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف فى الآية على الاختلاف فى الالوان والألسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف فى الاديان وما يتعلق بها لانه ينبو عن ذلك ماقبل الكلام

وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة وما بعده وهو قوله (الا من رحم ربك) قالت المعتزلة الا ناساهداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال أهل السنة جميع الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة أيضا في حق الكافر وهذه الرحمة أمر مختص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال (ولذلك خلقهم) فاختلف العلماء في المشار اليه بذلك فالمعتزلة قالوا ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان منه الاختلاف خلقهم ينيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره أو ولما ذكر من الرحمة خلقهم والاشاعرة قالوا ولاجل ماذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث أنه خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا والدلائل الدالة على أن الكل بايجاده وتخليقه وأن خلاف معلومه محال والى هذا أشار بقوله (وتمت كلمة ربك) أي علمه وارادته أو قوله للملائكة (لأملأن جهنم) الآية وفرق المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكور في السورة فقال (وكلا) أي وكل نبأ نقص عليك وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل و(ما نثبت) بدل من كلا أو المراد وكل نوع من الاقتصاص على أنه مصدر أي على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت فؤاده زيادة اليقين والطمأنينة لان تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم أو المعنى تثبيت قلبه على أداء

القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم نحن نقص عليك يا محمد أحسن القصص بوحينا اليك هذا القرآن فتخبره فيه عن الاخبار الماضية وأنباء الامم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية وان كنت من قبله لمن الغافلين يقول تعالى ذكره وان كنت يا محمد من قبل أن نوحيه اليك لمن الغافلين عن ذلك لا تعلمه ولا شيأ منه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نحن نقص عليك أحسن القصص من الكتب الماضية وأمور الله السالفة في الامم وان كنت من قبله لمن الغافلين وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسئلة أصحابه اياه أن يقص عليهم ذكر الرواية بذلك حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا حكام الرازي عن أيوب عن عمرو الملائي عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا قال فنزلت نحن نقص عليك أحسن القصص حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن عن عمرو بن قيس قال قالوا يا نبي الله فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن عون بن عبد الله قال مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله حدثنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث ثم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص حدثنا محمد بن سعيد العطار قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا خلاد الصفار عن عمرو بن قيس عن مصعب بن سعد عن سعد قال أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن قال فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله لعلكم تعقلون الآية قال ثم تلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول لو حدثتنا فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها قال خلاد و زاد فيه رجل آخر قالوا يا رسول الله أو قال أبو يحيى ذهبت من كتابي كلمة فأنزل الله ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ اذ قال يوسف لابيه يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان كنت يا محمد لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اذ قال لأبيه يعقوب بن اسحق يا أبت اني رأيت أحد عشر كوكبا يقول اني رأيت في منامي أحد عشر كوكبا وقيل ان رؤيا الانبياء كانت وحيا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال كانت رؤيا الانبياء وحيا وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس اني رأيت أحد عشر كوكبا قال كانت الرؤيا فهم وحيا وذكر أن الاحد العشر الكوكب التي رآها في منامه ساجدة مع الشمس والقمر ما حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له بستانة اليهودي فقال له يا محمد أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بشيء فنزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فقال هل أنت مؤمن ان أخبرتك باسمائها قال نعم فقال جريان والطارق والذيال وذو الكتفين وقابس ووثاب

وعمودان والفليق والمصبح والضروح وذوالفرغ والضياء والنور فقال اليهودى والله انها لأسماؤها وقوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين يقول والشمس والقمر رأيتهم فى منامى سجودا وقال ساجدين والكواكب والشمس والقمر انما يخبر عنها بفعلة وفاعلات لا بالواو والنون انما هى علامة جمع أسماء ذكور بنى آدم أو الجن أو الملائكة وانما قيل ذلك كذلك لان السجود من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون أو الواو والنون فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك كما قيل يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقال رأيتهم وقد قيل انى رأيت أحد عشر كوكبا فكرر الفعل وذلك على لغة من قال كلمت أخاك كلمته توكيدا للفعل بالتكرير وقد قيل ان الكواكب الاحد عشر كانت اخوته والشمس والقمر أبويه ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا اخوته أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يعنى بذلك أبويه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن السدى فى قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر الآية قال رأى أبويه واخوته سجودا له فاذا قيل له عمن قال ان كان حقا فان ابن عباس فسره **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال الكواكب اخوته والشمس والقمر أبواه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى رأيت أحد عشر كوكبا اخوته والشمس أمه والقمر أبوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال قال سفيان كان أبويه واخوته **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك قوله فى ارأيت أحد عشر كوكبا هم اخوة يوسف والشمس والقمر هما أبواه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية قال أبواه واخوته قال فنعاه اخوته وكانوا أنبياء فقالوا ما رضى أن يسجد له اخوته حتى سجد له أبواه حين بلغهم وروى عن ابن عباس أنه قال الكواكب اخوته والشمس والقمر أبوه وخالته من وجه غير محمود فكرهت ذكره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين﴾ يقول جل ذكره قال يعقوب لابنه يوسف يابنى لا تقصص رؤياك هذه على اخوتك فيحسدوك فيكيدوا لك كيدا يقول فيبغوا لك الغوائل ويناصبوك العداوة ويطيعوا فيك الشيطان ان الشيطان للانسان عدو مبين يقول ان الشيطان لآدم وبنيه عدو قد أبان لهم عداوته وأظهرها يقول فاحذر الشيطان أن يغرى اخوتك بك بالحسد منهم لك ان أنت قصصت عليهم رؤياك وانما قال يعقوب ذلك لانه قد كان تبين له من اخوته قبل ذلك حسده كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى قال نزل يعقوب الشام فكان همه يوسف وأخاه فحسده اخوته لما رأوا حب أبيه له ورأى يوسف فى المنام كأن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين فحدث أباه بها فقال يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الآية واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله فيكيدوا لك كيدا فقال بعض نحويى البصرة معناه فيتخذوا لك كيدا وليست مثل ان كنتم للرؤيا تعبرون تلك أرادوا أن يوصل الفعل اليها باللام كما يوصل بالباء كما تقول قدمت له طعاما تريد قدمت اليه وقال بأكثر ما قدمتم لهن ومثله قوله قل الله يهدى للحق قال وان شئت كان فيكيدوا لك كيدا فى معنى فيكيدوا لك وتجعل اللام مثل لربهم يرهبون وقد قال لربهم يرهبون انما هو بمكان ربهم يرهبون وقال بعضهم

الرسالة وتحمل الاذى من قومه أسوة بسائر الانبياء (وجاءك فى هذه) السورة أو فى هذه الانباء (الحق) وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدا والوسط والمعاد (وموعظة) وهى الدلائل المقنعة الموقعة للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص أنفع والثانى للعوام أنجع (وذكرى للمؤمنين) وهى الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة فى الآخرة المحصلة لما هنالك من السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم أن المعارف الالهية لا بد لها من قابل وفاعل وقابلها القلب وانه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو محيء هذه السورة بل آية منها وهى قوله فاستقم كما أمرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب فى غاية الحسن ثم أمر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البينات من أهل مكة وغيرهم فقال (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا) وقد مر تفسير مثله فى هذه السورة وفى الانعام (وانتظروا) ما يعدكم الشيطان (انا منتظرون) ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر فانا منتظرون بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة بآية مشتملة على جميع المطالب من أمر المبدا والوسط والمعاد وقد سبق تقريره فى آخر البقرة فى تفسير آية آمن الرسول فلا حاجة الى الاعادة

أدخلت اللام فى ذلك كما تدخل فى قولهم حمدت لك وشكرت لك وحمدتك وشكرتك وقال هذا لما عليها الفعل فكذلك قوله فيكيدوا لك كيدا تقول فيكيدولك أو يكيدوا لك فيقصدولك ويقصدوا لك قال وكيدا توكيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يعقوب لابنه يوسف لما قص عليه رؤياه وكذلك يجتبيك ربك وهكذا يجتبيك ربك يقول كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجودا فكذلك يصطفيك ربك كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العنقزى عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة وكذلك يجتبيك ربك قال يصطفيك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث فاجتباه واصطفاه وعلمه من عبر الاحاديث وهو تأويل الاحاديث وقوله ويعلمك من تأويل الاحاديث يقول ويعلمك ربك من علم ما يؤل اليه أحاديث الناس عما يرونه فى منامهم وذلك تعبير الرؤيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويعلمك من تأويل الاحاديث قال عبارة الرؤيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويعلمك من تأويل الاحاديث قال تأويل الكلام العلم والحلم وكان يوسف أعبر الناس وقرأ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وقوله ويتم نعمته عليك باجتبائه اياك واختياره وتعليمه اياك تأويل الاحاديث وعلى آل يعقوب يقول وعلى أهل دين يعقوب وملته من ذريته وغيرهم كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق باتخاذه هذا خليلا وتنجيته من النار وفديته هذا بذبح عظيم كالذى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال أخبرنا أبو اسحق عن عكرمة فى قوله ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق قال فنعمته على ابراهيم أن نجاه من النار وعلى اسحق أن نجاه من الذبح وقوله ان ربك عليم حكيم يقول ان ربك عليم بمواضع الفضل ومن هو أهل للاجتباء والنعمة حكيم فى تدبيره خلقه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان فى يوسف واخوته الاحد عشر آيات يعنى عبر وذكر للسائلين يعنى السائلين عن أخبارهم وقصصهم وانما أراد جل ثناؤه بذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك أنه يقال ان الله تبارك وتعالى انما أنزل هذه السورة على نبيه يعلمه فيها ما لقى يوسف من اخوته واذايته من الحسد مع تكرمة الله اياه تسلية له بذلك مما يلقى من اذايته وأقاربه من مشركى قريش كذلك كان بن اسحق يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال انما قص الله تبارك وتعالى على محمد خبر يوسف وبغى اخوته عليه وحسدهم اياه حين ذكر رؤياه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بغى قومه وحسده حين أكرمه الله عز وجل بنبوته ليتأسى به * واختلفت القراء فى قراءة قوله آيات للسائلين فقرأته عامة قراء الامصار آيات على الجماع وروى عن مجاهد وابن كثير أنهما قرآ ذلك على التوحيد والذى هو أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك على الجماع لاجماع الحجة من القراء عليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين ﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان فى يوسف واخوته آيات لمن سأل عن شأنهم حين قالوا اخوة يوسف ليوسف وأخوه من أمه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة يقولون ونحن جماعة ذو وعدد أحد عشر رجلا والعصبة من الناس هم عشرة فصاعدا قيل الى خمسة عشر ليس لها واحد من لفظها كالنفر والرهط ان أبانا لفى ضلال مبين يعنون ان أبانا يعقوب

التأويل مادامت السموات والارض أى مادامت سموات الارواح والقلوب وأرض النفوس البشرية الا ماشاء ربك من الاشقياء وذلك أن أهل الشقاء ضربان شقى وأشقى فالشقى بالمعاصى سعيد بالتوحيد فيخلص من النار آخرا والأشقى وهو الكافر يبقى فيها مخلدا ومن أهل الجنة سعيد يبقى خالدا فيها وأسعد وهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهنالك مقام الوحدة الذى لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ لموفوهم نصيبهم الذى قدر لهم فى الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضى بينهم بالهلاك عاجلا لفى شك منه اشارة الى الضلال وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا أى كل واحد من الضالين ومن المضلين فاستقم أمر التكوين ولذلك قال كما أمرت أى فى الازل وفى قوله ومن تاب معك اشارة الى أن النفوس جبلت على الاعوجاج فتحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب أمر التكوين كالنبى صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت يعنى ان الاعمال الصالحة فى الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة فى قضاء الحوائج النفسانية الضرورية وذلك أن تعلق الروح النورى العلوى بالجسد الظلمانى السفلى موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفى خسر الا أن يتداركه أنوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فتندفع عنه ظلمة

لى خطا من فعله فى ايثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة ويعنى بالمبين أنه خطأ يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا قال يعنون بنيامين قال وكانوا عشرة * قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى ان أبانا لفى ضلال مبين قال فى ضلال من أمرنا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونحن عصبة قال العصبة الجماعة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين﴾ يقول جل ثناؤه قال اخوة يوسف بعضهم لبعض اقتلوا يوسف أو اطرحوه فى أرض من الارض يعنون مكانا من الارض يخل لكم وجه أبيكم يعنون يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف فانه قد شغله عنا وصرف وجهه عنا اليه وتكونوا من بعده قوما صالحين يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف وذنبهم الذى يركبونه فيه فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوما صالحين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال تتوبون مما صنعتم أو من صنيعكم * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين﴾ يقول تعالى ذكره قال قائل من اخوة يوسف لا تقتلوا يوسف وقيل ان قائل ذلك روبيل كان ابن خالة يوسف ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تقتلوا يوسف ذكر لنا انه روبيل كان أكبر القوم وهو ابن خالة يوسف فنهاهم عن قتله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اقتلوا يوسف الى قوله ان كنتم فاعلين قال ذكر لى والله أعلم أن الذى قال ذلك منهم روبيل الأكبر من بنى يعقوب وكان أقصدهم فيه رأيا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله لا تقتلوا يوسف قال كان أكبر اخوته وكان ابن خالة يوسف فنهاهم عن قتله وقيل كان قائل ذلك منهم شمعون ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف قال هو شمعون وقوله وألقوه فى غيابة الجب يقول وألقوه فى قعر الجب حيث يغيب خبره * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة غيابات الجب على الجماع وقرأ ذلك عامة قراء سائر الامصار غيابة الجب بتوحيد الغيابة وقراءة ذلك بالتوحيد أحب الى والجب بئر وقيل انه اسم بئر ببيت المقدس ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى غيابة الجب قال بئر ببيت المقدس **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله غيابة الجب قال بئر ببيت المقدس والغيابة كل شئ غيب شيأ فهو غيابة والجب البئر غير المطوية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى غيابة الجب فى بعض نواحيها فى أسفلها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقوه فى غيابة الجب يقول فى بعض نواحيها **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وألقوه فى غيابة الجب قال قالها كبيرهم الذى تخلف قال

الجد السفلى مثاله القاء الحبة فى الارض فانه من خسران الحبة الا أن يتداركه الماء وسائر الاسباب فيربيها الى أن تصير الحبة الواحدة الى سبعمائة وما زاد ذلك الذى ذكرنا من التدارك عظة للذاكرين الذين يريدون أن يذكروا الله فى جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكأنهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات فى محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون صورة التحضيض وحقيقته السؤال لجاب بأنه لم يكن كذلك لانك فاعل مختار فعال لما تريد خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار ولا اعتراض لأحد عليك يؤيده قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة طالبة للحق متوجهة اليه ولا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله الا من رحم ربك ولذلك أى لطلب الله خلقهم بحسن الاستعداد ولان رحمته سبقت غضبه ولكن وقوع فريق فى طريق القهر ضرورى فى الوجود وهو قوله وتمت كلمة ربك جرى به القلم للضرورة وما نبهت به فؤاده التنبيت منه والتشكيك منه بيده مفاتيح أبواب اللطف والقهر وقل للذين لا يؤمنون لطلب الحق ووجدانه اعملوا فى طلب المقاصد من باب القهر انا عاملون فى طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتائج أعمالكم انا منتظرون ثمرات أعمالنا ولله غيب السموات والارض أى ما غاب عنكم مما أودع من لطفه فى سموات القلوب

ومن قهره فى أرض النفوس واليه يرجع أمر أهل السعادة والشقاء ومظاهر اللطف والقهر فاعبده أيها الطالب للحق فانك مظهر اللطف وتوكل عليه فى الطلب لاعلى طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل فى الازل عما تعملون الى الابد والله حسبى

﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية وقيل فيما بين مكة الى المدينة وقت الهجرة حروفها سبعة آلاف ومائة وست وستون كلمها ألف وسبعمائة وست وأربعون آياتها مائة واحدى عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا

والجب البئر بالشام **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وألقوه فى غيابة الجب يعنى الركية **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا عبيدة قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول الجب البئر وقوله يلتقطه بعض السيارة يقول يأخذه بعض مارة الطريق من المسافرين ان كنتم فاعلين يقول ان كنتم فاعلين ما أقول لكم فذكر أنه التقطه بعض الاعراب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يلتقطه بعض السيارة قال التقطه ناس من الاعراب وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ تلتقطه بعض السيارة بالتاء **حدثنى** بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن هرون عن مطر الوراق عن الحسن وكأن الحسن ذهب فى تأنيث بعض السيارة الى أن فعل بعضها فعلها والعرب تفعل ذلك فى خبر كان عن المضاف الى مؤنث يكون الخبر عن بعضه خبرا عن جميعه وذلك كقول الشاعر

أرى مرّ السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

فقال أخذن منى وقد ابتدأ الخبر عن المراذ كان الخبر عن المرّ خبرا عن السنين وكما قال الآخر

اذا مات منهم سيد قام سيد * فدانت له أهل القرى والكنائس

فقال دانت له والخبر عن أهل القرى لان الخبر عنهم كالخبر عن القرى ومن قال ذلك لم يقل فدانت غلام هند لان الغلام لو ألقى من الكلام لم تدل هند عليه كما يدل الخبر عن القرية على أهلها ولذلك لو قيل فدانت له القرى كان معلوما أنه خبر عن أهلها وكذلك بعض السيارة لو ألقى البعض فقيل تلتقطه السيارة علم أنه خبر عن البعض أو الكل ودل عليه الخبر عن السيارة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف اذ تآمروا بينهم وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب لوالدهم يعقوب يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف فتتركه معنا اذا نحن خرجنا خارج المدينة الى الصحراء ونحن له ناصحون نحوطه ونكلؤه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ﴾ واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة يرتع ويلعب بكسر العين من يرتع وبالياء فى يرتع ويلعب على معنى يفتعل من الرعى ارتعيت فأنا أرتعى كأنهم وجهوا معنى الكلام الى أرسله معنا غدا يرتع الابل ويلعب وانا له لحافظون وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة أرسله معنا غدا يرتع ويلعب بالياء فى الحرفين جميعا وتسكين العين من قولهم رتع فلان فى ماله اذا لهى فيه ونعم وأنفقه فى شهواته ومن ذلك قولهم فى مثل من الامثال القيد والرتعة ومنه قول القطامى

أكفرا بعد ردّ الموت عنى * وبعد عطائك المائة الرتاعا

وقرأ بعض أهل البصرة نرتع بالنون ونلعب بالنون فيهما جميعا وسكون العين من نرتع **حدثنى** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال كان أبو عمرو يقرأ نرتع ونلعب بالنون قال فقلت لابى عمرو كيف يقولون نلعب وهم أنبياء قال لم يكونوا يومئذ أنبياء * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه فى الحرفين كليهما بالياء وبجزم العين فى يرتع لان القوم انما سألوا أباهم ارسال يوسف معهم وخدعوه بالخبر عن مسألتهم اياه ذلك عما ليوسف فى ارساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه الى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك لا بالخبر عن أنفسهم وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب يقول يسعى وينشط

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يرتع ويلعب قال يلهو وينشط ويسعى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال ينشط ويلهو حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يرتع ويلعب قال يسعى ويلهو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم عن جويبر عن الضحاك قوله يرتع ويلعب قال يتلهى ويلعب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يرتع ويلعب قال يتلهى ويلعب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى يرتع ويلعب قال ينشط ويلعب * قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى أرسله معنا غدا يرتع ويلعب يلهو * قال ثنا حسين بن على عن شيبان عن قتادة أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال ينشط ويلعب حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا نعيم بن ضمضم العامرى قال سمعت الضحاك ابن مزاحم فى قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال يسعى وينشط وكان الذين يقرؤن ذلك يرتع ويلعب بكسر العين من يرتع يتأولونه على الوجه الذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أرسله معنا غدا يرتع ويلعب قال يرعى غنمه وينظر ويعقل فيعرف ما يعرف الرجل * وكان مجاهد يقول فى ذلك بما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله نرتع يحفظ بعضنا بعضا نتكالأ نتحارس حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نرتع قال يحفظ بعضنا بعضا نتكالأ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج بنحوه فتأويل الكلام أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم وننشط فى الصحراء ونحن حافظوه من أن يناله شئ يكرهه أو يؤذيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب لهم انى ليحزننى أن تذهبوا به معكم الى الصحراء مخافة عليه من الذئب أن يأكله وأنتم عنه غافلون لا تشعرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف لوالدهم يعقوب لئن أكل يوسف الذئب فى الصحراء ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه وهم العصبة انا اذا لخاسرون يقول انا اذا لعجزة هالكون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ وفى الكلام متروك حذف ذكره اكتفاء بما ظهر عما ترك وهو فأرسله معهم فلما ذهبوا به وأجمعوا يقول وأجمع رأيهم وعزموا على أن يجعلوه فى غيابة الجب كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قوله انى ليحزننى أن تذهبوا به الآية قال قال لن أرسله معكم انى أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فأرسله معهم فأخرجوه وبه عليهم كرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه قال يهوذا ليس قد أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فجعلوا يدلونه فى البئر فيتعلق

يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ ﴿ القراآت يا أبت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرأ ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء (١) الباقون بالكسر فى الحالين أحد عشر بسكون العين يزيد وابن عباس والخزازى ساجدين بفتح الياء الاعشى والبرجمى يا بنى بفتح الياء أيا كان حفص والمفضل الباقون بكسرها ورؤيالك بالامالة على غير قتيبة وليث وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ يزيد وأبو عمر غير شجاع وورش من طريق الاصبهانى والاعشى وحمزة فى الوقف بغير همزة آية للسائلين على التوحيد ابن كثير الآخرون آيات على الجمع يخل لكم بالادغام شجاع من طريق

(١) تحرر قراءة الباقين

أبى غالب وأبو شعيب غيابات وما بعده على الجمع أبو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد لا تأمنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلوانى عن قالون الآخرون باشمام الذئب وما بعده بغير همز أبو عمرو وغير شجاع وأوقفه ويزيد والاعشى وورش وخلف وعلى وحمزة فى الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما وبالجزم عاصم وحمزة وعلى وخلف بكسر العين فى الاول أبو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وأبو عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمى وأبى ربيعة عن قنبل فانهما ترتع بالكسر مع الياء بعده نرتع ويلعب بالجزم فيهما مع النون فى الاول والياء فى الثانى يعقوب عن رويس ليحزننى أن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ نافع ليحزننى أن بفتح الياء أيضا ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة وعلى وهشام يابشرى بالامالة غير مضافة حمزة وعلى وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يابشرى بغير امالة واضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يابشراى بالاضافة الى ياء المتكلم ۞ الوقوف الرقف كوفى المبين ○ ط كوفى أيضا وغيرهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون اذا جواب معنى القسم فى القرآن ق والوصل أصح لان الواو للحال الغافلين ○ ساجدين ○ كيدا ط مبين ○ واسحق ط حكيم ○ للسائلين ○ عصبة ط مبين ○ ج والعربية توجب الوقف وان قل ان الابتداء به لا يحسن صالحين ○ فاعلين ○ لناصحون ○ لحافظون ○ غافلون ○ لخاسرون ○ فى غيابة الجب ج لاحتمال أن يكون جواب لما

بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فى الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك قال انى لم أر شيأ فدلوه فى البئر حتى اذا بلغ نصفها ألقوه ارادة أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فيها فقام عليها قال فلما ألقوه فى البئر جعل يبكى فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فلما هم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فقام يصلى فمنعهم وقال قد أعطيتمونى موثقا أن لا تقتلونى وكان يهوذا يأتيه بالطعام وقوله فلما ذهبوا به وأجمعوا أدخلت الواو فى الجواب كما قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل

فأدخل الواو فى جواب لما وانما الكلام فلما أجزنا ساحة الحى انتحى بنا وكذلك فلما ذهبوا به وأجمعوا لان قوله أجمعوا هو الجواب وقوله وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم يقول وأوحينا الى يوسف لتنبئن اخوتك بأمرهم هذا يقول بفعلهم هذا الذى فعلوه بك وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون وان يدرون * ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله عز وجل بقوله وهم لا يشعرون فقال بعضهم عنى بذلك أن الله أوحى الى يوسف أن يوسف سينبئ اخوته بفعلهم به ما فعلوه من القائه فى الجب وبيعهم اياه وسائر ما صنعوا به من صنيعهم واخوته لا يشعرون بوحى الله اليه بذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأوحينا اليه الى يوسف حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا قال أوحينا الى يوسف لتنبئن اخوتك * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون قال أوحى الى يوسف وهو فى الجب أن سينبئهم بما صنعوا وهم لا يشعرون بذلك الوحى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وأوحينا اليه قال الى يوسف * وقال آخرون معنى ذلك وأوحينا الى يوسف بما اخوته صانعون به واخوته لا يشعرون باعلام الله اياه بذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم وهو فى البئر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون قال أوحى الله الى يوسف وهو فى الجب أن ينبئهم بما صنعوا به وهم لا يشعرون بذلك الوحى حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة بنحوه والا أنه قال أن سينبئهم * وقال آخرون بل معنى ذلك أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به وهم لا يشعرون أنه يوسف ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وهم لا يشعرون يقول وهم لا يشعرون أنه يوسف حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا صدقة بن عبادة الاسدى عن أبيه قال سمعت ابن عباس يقول لما دخل اخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون قال جىء بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به فألقيتموه فى غيابة الجب قال ثم نقره فطن فأتيتم أباكم فقلتم ان الذئب أكله وجئتم على قميصه بدم كذب قال فقال بعضهم لبعض ان هذا الجام ليخبره بخبركم قال ابن عباس فلا نرى هذه الآية نزلت الا فيهم لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجاؤا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف

عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) يقول جل ثناؤه وجاء اخوة يوسف أباهم بعد ما ألقوا يوسف فى غيابة الجب عشاء يبكون وقيل ان معنى قوله نستبق ننتضل من السباق كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى قال أقبلوا على أبيهم عشاء يبكون فلما سمع أصواتهم فزع وقال ما لكم يا بنى هل أصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال فما فعل يوسف قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته وقال أين القميص فجاؤه بالقميص عليه دم كذب فأخذ القميص فطرحه على وجهه ثم بكى حتى تخضب وجهه من دم القميص وقوله وما أنت بمؤمن لنا يقولون وما أنت بمصدقنا على قيلنا ان يوسف أكله الذئب ولو كنا صادقين كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وما أنت بمؤمن لنا قال بمصدق لنا (١) ولو كنا صادقين اما خبر عنهم أنهم غير صادقين فذلك تكذيب منهم أنفسهم أو خبر منهم عن أبيهم أنه لا يصدقهم لو صدقوه فقد علمت أنهم لو صدقوا أباهم الخبر صدقهم قيل ليس معنى ذلك بواحد منهما وانما معنى ذلك وما أنت بمصدق لنا ولو كنا من أهل الصدق الذين لا يتهمون لسوء ظنك بنا وتهمتك لنا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) يقول تعالى ذكره وجاؤا على قميصه بدم كذب وسماه الله كذبا لان الذين جاؤا بالقميص وهو فيه كذبوا فقالوا ليعقوب هو دم يوسف ولم يكن دمه وانما كان دم سخلة فيما قيل ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد ابن عبد الصمد الانصارى قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال دم سخلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال دم سخلة شاة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بدم كذب قال دم سخلة يعنى شاة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بدم كذب قال دم سخلة شاة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بدم كذب قال كان ذلك الدم كذبا لم يكن دم يوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بدم كذب قال دم سخلة شاة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله بدم كذب قال بدم سخلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قال ذبحوا جديا من الغنم ثم لطخوا القميص بدمه ثم أقبلوا الى أبيهم فقال يعقوب ان كان هذا الذئب لرحيما كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه يا بنى يا يوسف ما فعل بك بنو الاماء حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن سماك ابن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لو أكله السبع لخرق القميص حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد قال ثنا سفيان باسناده عن ابن عباس مثله الا أنه قال لو أكله الذئب لخرق القميص حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لو كان الذئب أكله لخرقه حدثنى عبيد الله بن أبى زياد قال ثنا عثمان بن عمرو قال ثنا قرة عن الحسن قال جىء بقميص يوسف الى يعقوب فجعل ينظر اليه فيرى أثر الدم ولا يرى فيه خرقا قال يا بنى ما كنت أعهد الذئب حليما حدثنا أحمد بن عبد الصمد الانصارى قال ثنا أبو عاصم

محذوفا والواو فى وأوحينا للاستئناف تقديره فعلوا وأمضوا عليه وأن تكون الواو مقحمة والجواب أوحينا لا يشعرون ٥ يبكون ٥ ط فأكله الذئب ج لابتداء النفى مع واو العطف صادقين ٥ كذب ط أمرا ط جميل ط تصفون ٥ دلوه ط غلام ط بضاعة ط يعملون ٥ معدودة ج لاحتمال الواو الحال الزاهدين ٥ ۞ التفسير قال فى الكشاف (تلك) اشارة الى (آيات) السورة و(الكتاب المبين) السورة أى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم أو التى بين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف أقول مدار هذه التفاسير على أن أبان لازم ومتعد يقال أبان الشئ وأبان هو بنفسه (انا أنزلناه) أى هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف يعنى هذه السورة فى حال كونه (قرآنا عربيا) والقرآن اسم جنس يقع على كله وعلى بعضه وقوله قرآنا عربيا يسمى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائى بانزال القرآن وبكونه عربيا وآيات على أنه محدث لأن هذه من أوصاف المحدثات وأجيب بأنه لا نزاع فى حدوث الالفاظ وانما النزاع فى الكلام النفسى ومعنى (لعلكم تعقلون) ارادة

(١) لعله فان قال قائل قوله ولو كنا الخ

أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائى فيه دليل على أنه أراد من المكلفين كلهم أن يعقلوا توحيده وأمر دينه وأجيب بأن الآية لا تدل الا على أنه أنزل هذه السورة وأراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على أنه أراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال أهل اللغة القصص اشتقاقه من قص أثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيأ فشيأ ومثله التلاوة لانه يتلو أى يتبع ما حفظ منه آية بعد آية ثم ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون أحسن مثله لاضافته الى المصدر ويكون المفعول أى المقصوص محذوفا وهو الوحى لدلالة أوحينا عليه أو يكون هذا القرآن مفعوله ومفعول أوحينا محذوفا كأنه قيل نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اياه اليك وعلى هذا فالحسن يرجع الى المنطق لا الى القصة وحسن المنطق كونه على أبدع طريقة وأعجب أسلوب لان هذه الحكاية مقتصة فى كتب الاولين وفى كتب التواريخ ولم يبلغ شئ منه الى حد الاعجاز وان أريد بالقصص المقصوص كما يراد بالنبأ والخبر المنبأ والمخبر فالحسن يرجع الى القصة ولاسيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف فى الدارين ووجه حسنها اشتمالها على الغرائب والعجائب والنكت والعبر وأن الصبر مفتاح الفرج وأن ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد ويروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

العقدى عن قرة قال سمعت الحسن يقول لما جاؤا بقميص يوسف فلم ير يعقوب شقا قال يا بنى والله ما عهدت الذئب حليما **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا حماد بن مسعدة عن عمران بن مسلم عن الحسن قال لما جاء اخوة يوسف بقميصه الى أبيهم قال جعل يقلبه فيقول ما عهدت الذئب حليما أكل ابنى وأبقى على قميصه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لما أتوا نبى الله يعقوب بقميصه قال ما أرى أثر سبع ولا طعن ولا خرق **حدثنى** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بدم كذب الدم كذب لم يكن دم يوسف **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا مجالد عن الشعبى قال ذبحوا جديا ولطخوه من دمه فلما نظر يعقوب الى القميص صحيحا عرف أن القوم كذبوه فقال لهم ان كان هذا الذئب لحليما حيث رحم القميص ولم يرحم ابنى فعرف أنهم قد كذبوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجاؤا على قميصه بدم كذب قال لما أتى يعقوب بقميص يوسف فلم ير فيه خرقا قال كذبتم لو أكله السبع لخرق قميصه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق الأزرق ويعلى عن زكريا عن سماك عن عامر قال كان فى قميص يوسف ثلاث آيات حين جاؤا على قميصه بدم كذب قال وقال يعقوب لو أكله الذئب لخرق قميصه **حدثنى** الحسن بن محمد قال ثنا محمد قال ثنا زكريا عن سماك عن عامر قال انه كان يقول فى قميص يوسف ثلاث آيات حين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرا وحين قد من دبر وحين جاؤا على قميصه بدم كذب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عامر قال كان فى قميص يوسف ثلاث آيات الشق والدم وألقاه على وجه أبيه فارتد بصيرا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن قال لما جىء بقميص يوسف الى يعقوب فرأى الدم ولم ير الشق قال ما عهدت الذئب حليما * قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا قرة عن الحسن بمثله فان قال قائل كيف قيل بدم كذب وقد علمت أنه كان دما لا شك فيه وان لم يكن كان دم يوسف قيل فى ذلك من القول وجهان أحدهما أن يكون قيل بدم كذب لانه كذب فيه كما يقال للسراب الهلال وكما قيل فمار بحت تجارتهم وذلك قول كان بعض نحويى البصرة يقوله * والوجه الآخر وهو أن يقال هو مصدر بمعنى مفعول وتأويله وجاؤا على قميصه بدم مكذوب كما يقال ماله عقل وراء معقول ولا له جلد ولا له مجلود والعرب تفعل ذلك كثيرا تضع مفعولا فى موضع المصدر والمصدر فى موضع مفعول كما قال الراعى

حتى اذا لم يتركوا لعظامه * لحما ولا لفؤاده معقولا

وذلك كان يقوله بعض نحويى الكوفة وقوله قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذبا لهم فى خبرهم ذلك ما الامر كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم أمرا يقول بل زينت لكم أنفسكم أمرا فى يوسف وحسنته ففعلتموه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا قال بفعلكم بل زينت لكم أنفسكم أمرا وقوله فصبر جميل يقول فصبرى على ما فعلتم بى فى أمر يوسف صبر جميل أو فهو صبر جميل وقوله والله المستعان على ما تصفون يقول والله أستعين على كفانى شر ما تصفون من الكذب وقيل ان الصبر الجميل هو الصبر الذى لا جزع فيه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فصبر جميل قال ليس فيه جزع **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن

ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد فصبر جميل في غير جزع * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل قال صبرا لا شكوى فيه قال من بث فلم يصبر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله فصبر جميل قال صبر لا شكوى فيه * قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فصبر جميل ليس فيه جزع **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن مجاهد في قوله فصبر جميل قال في غير جزع **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن بعض أصحابه قال يقال ثلاث من الصبر أن لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ولا تزكي نفسك * قال أخبرنا الثوري عن حبيب ابن أبي ثابت أن يعقوب النبي صلى الله عليه وسلم كان قد سقط حاجباه فكان يرفعهما بخرقة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تبارك وتعالى اليه يا يعقوب أتشكوني قال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي وقوله والله المستعان على ما تصفون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله المستعان على ما تصفون أي على ما تكذبون

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وجاءت مارة الطريق من المسافرين فأرسلوا واردهم وهو الذي يرد المنهل والمنزل وورودها ماءه مصيره اليه ودخوله فأدلى دلوه يقول أرسل دلوه في البئر يقال أدليت الدلو في البئر اذا أرسلتها فيها فاذا استقيت فيها قلت دلوت أدلو دلوا وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه فترك وذلك فأدلى دلوه فتعلق به يوسف فخرج فقال المدلي يا بشرى هذا غلام وبالذي قلنا في ذلك جاءت الاخبار عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فتعلق يوسف بالحبل فخرج فلما رآه صاحب الحبل نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى يا بشرى هذا غلام **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فتشبث الغلام بالدلو فلما خرج قال يا بشرى هذا غلام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلوا واردهم يقال أرسلوا رسولهم فلما أدلى دلوه تشبث بها الغلام قال يا بشرى هذا غلام واختلفوا في معنى قوله يا بشرى هذا غلام فقال بعضهم ذلك تبشير من المدلي دلوه أصحابه في اصابته يوسف بأنه أصاب عبدا ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال يا بشرى هذا غلام تباشروا به حين أخرجوه وهي بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يا بشرى هذا غلام قال بشرهم واردهم حين وجد يوسف * وقال آخرون بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه ناداه المدلي لما خرج يوسف من البئر متعلقا بالحبل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي يا بشرى هذا غلام قال نادى رجلا من أصحابه يقال له بشرى فقال يا بشرى هذا غلام **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا خلف بن هشام قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس بن

ملوا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله (نحن نقص عليك أحسن القصص) كل ذلك يؤمرون بالقرآن (وان كنت) هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وان الشأن كنت انت من قبل ايحائنا اليك (لمن الغافلين) عن هذه القصة أو عن الدين والشريعة (اذ قال) بدل اشتمال من أحسن القصص لان الوقت مشتمل على القصص فاذا قص وقته فقد قص المقصوص أو منصوب باضمار اذكر و(يوسف) ليس عربيا على الأصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني ومن ظن أنه من آسف يؤسف بناء على أنه قرئ بكسر السين وبفتحها فموجد فيه وزن الفعل أيضا فقد أخطأ لان القراءة المشهورة تأباه ولن يكون الاسم عربيا تارة وأعجميا أخرى وهذا الخلاف روي في يونس أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم قال النحويون التاء في (يا أبت) عوض من ياء الاضافة وهي للتأنيث لانها قد تقلب هاء في الوقف و يجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حامة ذكر والكسرة فيه لمناسبة الياء التي هي بدل منها والفتحة اما فتحة الياء فيمن يفتحها أو الفتحة الباقية بعد حذف الالف من ياء يا أبتا (اني رأيت) هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له

لاتقصص رؤياك ولأن ذلك لو كان في اليقظة لكانت آية عظيمة ولم يخف على أحد من قرأ (أحد عشر) بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الاثني عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روى جابر أن يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي أن أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي إي والله انها لأسماؤها وأقول ان أكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند أهل الهيئة فان صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل وانما كرر الفعل لطول الكلام أو على تقدير سؤال كأنه قيل له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين والظاهر أن هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما أجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لأن السجود من شأن العقلاء كقوله للاصنام وتراهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم أحياء ناطقة

الربيع عن السدي في قوله يا بشرى هذا غلام قال كان اسم صاحبه بشرى **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدي في قوله يا بشرى هذا غلام قال اسم الغلام بشرى قال يا بشرى كما تقول يا زيد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة يا بشرى بإثبات ياء الاضافة غير أنه أدغم الالف في الياء طلبا للكسرة التي تلزم ما قبل ياء الاضافة من المتكلم في قولهم غلامي وجاريتي في كل حال وذلك لغة طيئ كما قال أبو ذؤيب

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين يا بشري بارسال الياء وترك الاضافة واذا قرئ ذلك كذلك احتمل وجهين من التأويل أحدهما ما قاله السدي وهو أن يكون اسم رجل دعاه المستقي باسمه كما يقال يا زيد ويا عمرو فيكون بشري في موضع رفع بالنداء والآخر أن يكون أراد اضافة البشرى الى نفسه فحذف الياء وهو يريدها فيكون مفردا وفيه نية الاضافة كما تفعل العرب في النداء فتقول يا غلام اصبري ويا نفسي اصبري ويا بني لا تفعل ويا بني لا تفعل فتفرد وترفع وفيه نية الاضافة وتنصب أحيانا فتكسر كما تقول يا غلام أقبل ويا غلامي أقبل وأعجب القراءة في ذلك الى قراءة من قرأ بارسال الياء وتسكينها لانه ان كان اسم رجل بعينه كان معروفا فيهم كما قال السدي فذلك هي القراءة الصحيحة لا شك فيها وان كان من التبشير فانه يحتمل ذلك اذا قرئ كذلك على ما بينت وأما التنوين والاضافة في الياء فقراءة شاذة لا أرى القراءة بها وان كانت لغة معروفة لاجماع الحجة من القراء على خلافها وأما قوله وأسروه بضاعة فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم وأسروه الوارد المستقي وأصحابه من التجار الذين كانوا معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها بعض أهل مصر لانهم خافوا ان علموا أنهم اشتروه بما اشتروه به أن يطلبوا منهم فيه الشركة ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأسروه بضاعة قال صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم انما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه ان علموا بثمنه وتبعهم اخوته يقولون للمدلي وأصحابه استوثق منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر فقال من يبتاعني ويبشر فاشتراه الملك والملك مسلم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال خيفة أن يستشركوهم ان علموا به واتبعهم اخوته يقولون للمدلي وأصحابه استوثقوا منه لا يأبق حتى أوقفوه بمصر وسائر الحديث مثل حديث محمد بن عمرو **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحو غير أنه قال خيفة أن يشاركوهم فيه ان علموا بثمنه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال خيفة أن يستشركوهم فيه ان علموا به وقال أيضا حتى أوقفوه بمصر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدي وأسروه بضاعة قال لما اشتراه الرجلان فرقا من الرفقة أن يقولوا اشتريناه فيسألونهم الشركة فقالا ان سألونا ما هذا قلنا بضاعة استبضعناه أهل الماء فذلك قوله وأسروه بضاعة بينهم * وقال آخرون بل معنى ذلك وأسره التجار بعضهم من بعض ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن رجل عن مجاهد وأسروه بضاعة قال أسره التجار بعضهم من بعض **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن

مجاهد وأسروه بضاعة قال أسره التجار بعضهم من بعض * وقال آخرون معنى ذلك وأسروا بيعه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأسروه بضاعة قال أسروا بيعه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن جابر عن مجاهد وأسروه بضاعة قال قالوا لاهل الماء انما هو بضاعة * وقال آخرون انما عنى بقوله وأسروه بضاعة اخوة يوسف أنهم أسروا شأن يوسف أن يكون أخاهم قالوا هو عبد لنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأسروه بضاعة يعنى اخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم فكتم يوسف شأنه مخافة أن تقتله اخوته واختار البيع فذكره اخوته لوارد القوم فنادى أصحابه قال يا بشرى هذا غلام يباع فباعه اخوته * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال وأسروا وارد القوم المدلى دلوه ومن معه من أصحابه من رفقته السيارة أمر يوسف انهم اشتروه خيفة منهم أن يستشركوهم وقالوا لهم هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء وذلك أنه عقيب الخبر عنه فلأن يكون ما وليه من الخبر خبرا عنه أشبه من أن يكون خبرا عمن هو بالخبر عنه غير متصل وقوله والله عليم بما يعملون يقول تعالى ذكره والله ذو علم بما يعمله باعة يوسف ومشتروه فى أمره لا يخفى عليه من ذلك شئ ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضى فيه وفيهم حكمه السابق فى علمه وليرى اخوة يوسف و يوسف وأباه قدرته فيه وهذا وان كان خبرا من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيه صلى الله عليه وسلم فانه تذكير من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وتسلية منه له عما كان يلقى من أقربائه وأنسبائه المشركين من الاذى فيه يقول له فاصبر يا محمد على ما نالك فى الله فانى قادر على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون كما كنت قادرا على تغيير ما لقى يوسف من اخوته فى حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا ولم يكن ترك ذلك لهوان يوسف علىّ ولكن لما مضى علمى فيه وفى اخوته فكذلك تركى تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك علىّ ولكن لسابق علمى فيك وفيهم ثم يصير أمرك وأمرهم الى علوك عليهم واذعانهم لك كما صار أمر إخوة يوسف الى الاذعان ليوسف بالسؤدد عليهم وعلو يوسف عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وشروه به وباع اخوة يوسف يوسف فأما اذا أراد الخبر عن انه ابتاعه قال اشتريته ومنه قول ابن مفرغ الحميرى

وشريت بردا ليتنى * من قبل برد كنت هامه

يقول بعت بردا وهو عبد كان له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن أبى معشر عن ابراهيم أنه كره الشراء والبيع للبدوى قال والعرب تقول اشر لى كذا وكذا أى بع لى كذا وكذا وتلا هذه الآية وشروه بثمن بخس دراهم معدودة يقول باعوه وكان بيعه حراما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اخوة يوسف أحد عشر رجلا باعوه حين أخرجه المدلى بدلوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنى حجاج عن ابن جريج وشروه قال قال ابن عباس فلا حاجة الى العذر عبر أبوه رؤياه بان اخوته سيسجدون له وهم أحد عشر وكذا أبواه وهما الشمس والقمر وقيل هما أبوه وخالته لان أمه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدارة التى حول القمر وهى الهالة واذا عصا صغيرة وثبت عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال يا بنى أن تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه أربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الردية يظهر أثرها عن قريب كيلا يبقى المؤمن فى الغم والحزن والرؤيا الجيدة يبطئ أثرها لتكون بهجة المؤمن أدوم قوله (فيكيدوا) منصوب باضمار أن جوابا للنهى واللام فى (لك) لتأكيد الصلة مثل نصحتك ونصحت لك وقال فى الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون أبلغ فى التخويف وقيل متعلق بالمصدر الذى بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيأ من تعبير رؤياه فقال (وكذلك) أى ومثل اجتبائك لهذه الرؤيا الشريفة (يجتبيك ربك) لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته وخصص الحسن الاجتباء بالنبوة قال فى الكشاف (ويعلمك)

فبيع بينهم حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله وشروه بثمن بخس قال باعوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فباعه اخوته بثمن بخس * وقال آخرون بل عنى بقوله وشروه بثمن بخس السيارة أنهم باعوا يوسف بثمن بخس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وشروه بثمن بخس وهم السيارة الذين باعوه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال تأويل ذلك وشروا اخوة يوسف يوسف بثمن بخس وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسروا شراءه يوسف من أصحابهم خيفة أن يستشركوهم بادعائهم أنه بضاعة ولم يقولوا ذلك الا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم واستخاصا لهم الذي ابتاعوه به لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه بثمن بخس ولو كان مبتاعوه من اخوته فيه من الزاهدين لم يكن لقيلهم لرفقائهم هو بضاعة معنى ولا كان لشرائهم اياه وهم فيه من الزاهدين وجه الا أن يكونوا كانوا مغلوبا على عقولهم لأنه محال أن يشترى صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير اكراه مكره له عليه ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول هو بضاعة لم أشتره مع زهده فيه بل هذا القول من قول من هو بسلعته ضنين لنفاستها عنده ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح وأما قوله بخس فانه يعني نقص وهو مصدر من قول القائل بخست فلانا حقه اذا ظلمته يعني ظلمه فنقصه مما يجب له من الوفاء أبخسه بخسا ومنه قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم وانما أريد بثمن مبخوس منقوص فوضع البخس وهو مصدر مكان مفعول كما قيل بدم كذب وانما هو بدم مكذوب فيه واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم قيل بثمن بخس لانه كان حراما عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك وشروه بثمن بخس قال البخس الحرام حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي بن عاصم عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول كان ثمنه بخسا حراما لم يحل لهم أن يأكلوه حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله وشروه بثمن بخس قال باعوه بثمن بخس قال كان بيعه حراما وشراؤه حراما حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك بثمن بخس قال حرام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بثمن بخس يقول لم يحل لهم أن يأكلوا ثمنه * وقال آخرون معنى البخس هنا الظلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشروه بثمن بخس قال البخس هو الظلم وكان بيع يوسف وثمنه حراما عليهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة وشروه بثمن بخس قال ظلم * وقال آخرون عنى بالبخس في هذا الموضع القليل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن جابر عن عامر قال البخس القليل حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن جابر عن عكرمة مثله وقد بينا الصحيح من القول في ذلك وأما قوله دراهم معدودة فانه يعني عز وجل أنهم باعوه بدراهم غير موزونة ناقصة غير وافية لزهدهم كان فيه وقيل انما قيل معدودة ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الاربعين لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهما لان أقل أوزانهم وأصغرها كان الاوقية وكان وزن الاوقية أربعين درهما قالوا وانما دل بقوله معدودة على قلة الدراهم التي باعوه بها فقال بعضهم

كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو بعلمك ويتم نعمته عليك أقول ولعل ادخاله في حكم التشبيه ليس بضائر وفي (تأويل الأحاديث) وجوه منها أنه تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم سمي التعبير تأويلا لانه يؤل أمره الى ما رآه في المنام أو يؤل أمر ما رآه في المنام الى ذلك والأحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة لأنها التي يتحدث بها الناس ومنها أنه تبيين معاني كتب الله وسنن الانبياء لان المفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها أن الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه وأما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والأخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة لان التمام المطلق في حق البشر ليس الا بالنبوة ولأن اتمام النعمة عليه مشبه باتمامها على ابراهيم واسحق ومن المعلوم أن الامتياز بينهما وبين أقرانهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والأسباط من صلبه ويكون وجه التشبيه انجاءه من السجن والمحن كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل علم يعقوب أن يوسف واخوته أنبياء استدلا لا بضوء الكواكب واعترض بما فرط منهم في حق يوسف وأجيب بأن ذلك قبل

كان عشرين درهما ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن زهير عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال ان ما اشترى به يوسف عشرون درهما **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة قال عشرون درهما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن نوف البكالي في قوله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة قال عشرون درهما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع * **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن نوف البكالي بخس دراهم قال كانت عشرين درهما **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن نوف مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله بثمن بخس دراهم معدودة قال عشرون درهما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي دراهم معدودة قال كانت عشرين درهما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أنه بيع بعشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبي ادريس عن عطية قال كانت الدراهم عشرين درهما اقتسموها درهمين درهمين * وقال آخرون بل كان عددها اثنين وعشرين درهما أخذ كل واحد من اخوة يوسف وهم أحد عشر رجلا درهمين درهمين منها ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا أسباط قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد دراهم معدودة قال اثنين وعشرين درهما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله دراهم معدودة قال اثنان وعشرون درهما لاخوة يوسف أحد عشر رجلا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله دراهم معدودة * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * وقال آخرون بل كانت أربعين درهما ذكر من قال ذلك **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن جابر عن عكرمة دراهم معدودة قال أربعين درهما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال باعوه ولم يبلغ ثمنه الذي باعوه به أوقية وذلك أن الناس كانوا يتبايعون في ذلك الزمان بالاواقي فما قصر عن الاوقية فهو عدد يقول الله وشروه بثمن بخس دراهم معدودة أي لم يبلغ الاوقية * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونة ولم يحد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين وأن يكون كان أربعين وأقل من ذلك وأكثر وأي ذلك كان فانها كانت معدودة غير موزونة وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين ولا في الجهل به دخول ضرر فيه والايمان بظاهر التنزيل فرض وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه وقوله وكانوا فيه من الزاهدين يقول تعالى ذكره وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين لا يعلمون كرامته على الله ولا يعرفون منزلته عنده فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده ليخلولهم وجهه منه ويقطعوه عن القرب منه لتكون المنافع التي كانت مصروفة الى يوسف دونهم مصروفة

النبوة وقيل اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعم الآخرة وذلك أنه جعلهم ملوكا وأنبياء و (ابراهيم واسحق) عطف بيان لأبويك لان أبا الجد في حكم الاب (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) لا يضع الشئ الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف بعدها على يوسف حتى قال وأخاف أن يأكله الذئب والجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله أخاف أن يأكله الذئب كيلا يتهاونوا في حفظه فان للوسائط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحديثهم (آيات للسائلين) لمن سأل عن تلك القصة وعرفها أو آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه أنه صلى الله عليه وسلم يجب أن يصبر على بغي قومه الى أن يظهر أمره كما فعل يوسف يروى أن أسامي اخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة وهؤلاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد وآشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (اذ قالوا) ظرف لكان أو منصوب باضمار اذكر (ليوسف) في لام الابتداء تحقيق لمضمون الجملة (وأخوه) أي لأبيه وأمه عنوا بنيامين (أحب) اذا كان أفعل التفضيل

مستعملا بمن لم يتصرف فيه (ونحن عصبة) الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لأن الامور تعصب بكفايتهم أى انه يفضلهما فى المحبة علينا وهما ابنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة نكفى مهماته ونقوم بمصالحه (ان أبانا لفى ضلال مبين) أرادوا ضلالا خاصا وهو البعد عن طريق الصلاح وحسن المعاشرة مع الأولاد ولم يعلموا أن المحبة أمر يتعلق بالقلب وليس لله فيه تكليف ولعل يعقوب تفرس فى يوسف ما أوجب اختصاصه بمزيد البر ومن جملة أقوالهم أنهم قالوا لما تشاوروا فى أمره (اقتلوا يوسف) قيل الآمر بالقتل شمعون أو دان ورضى به الباقون فعلوا جميعا آمرين والظاهر أنه قال بعضهم بذلك بدليل أنه لم يقع القتل ولقولهم (أو اطرحوه) فكان بعضهم أشار الى القتل وبعضهم الى الطرح ومهما صدر أمر من بعض القوم صح اسناده اليهم كقوله واذ قتلتم نفسا وانتصب (أرضا) على الظرف كالظروف المبهمة أى أرضا مجهولة بعيدة عن العمارة (يخل لكم وجه أبيكم) تخلص محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه تصوير الاقباله عليهم بالكلية ويجوز أن يراد بالوجه ذاته أو المراد يفرغ لكم من الشغل بيوسف (وتكونوا) مجزوم لانه معطوف على جواب الامر (من بعده) من بعد قتله أو اطراحه أو من بعد يوسف اذا قتل أو غرب (قوما صالحين) تائبين الى الله أو الى أبيه لعذر تعهدونه مما جنيتم عليه أو المراد صلاح

اليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبى مرزوق عن جويبر عن الضحاك وكانوا فيه من الزاهدين قال لم يعلموا بنبوته ومنزلته من الله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله وجاءت سيارة فنزلت على الجب فأرسلوا واردهم فاستقى من الماء فاستخرج يوسف فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاما لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه فزهدوا فيه فباعوه وكان بيعه حراما وباعوه بدراهم معدودة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك وكانوا فيه من الزاهدين قال اخوته زهدوا فلم يعلموا منزلته من الله ونبوته ومكانه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال اخوته زهدوا فيه لم يعلموا منزلته من الله عز وجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول جل ثناؤه وقال الذى اشترى يوسف من بائعه بمصر وذكر أن اسمه قطفير **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان اسم الذى اشتراه قطفير وقيل ان اسمه اطفير بن روحيب وهو العزيز وكان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة كذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل ان الذى باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن نويب بن عنقاء بن مديان بن ابراهيم كذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته واسمها فيما ذكر ابن اسحق راعيل بنت رعائيل **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أكرمى مثواه يقول أكرمى موضع مقامه وذلك حيث يثوى ويقيم فيه يقال ثوى فلان بمكان كذا اذا أقام فيه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أكرمى مثواه منزلته وهى امرأة العزيز **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه قال منزلته **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال اشتراه الملك والملك مسلم وقوله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ذكر أن مشترى يوسف قال هذا القول لامرأته حين دفعه اليها لانه لم يكن له ولد ولم يأت النساء فقال لها أكرميه عسى أن يكفينا بعض ما نعانى من أمورنا اذا فهم الامور التى نكلفها وعرفها أو نتخذه ولدا يقول أو نتبناه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان اطفير فيما ذكر لى رجلا لا يأتى النساء وكانت امرأته راعيل امرأة حسناء ناعمة طاعمة فى ملك ودنيا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وأبو بكر حين تفرس فى عمر والتى قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن محمد قال ثنا أسباط عن السدى قال انطلق بيوسف الى مصر فاشتراه العزيز ملك مصر فانطلق به الى بيته فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا **حدثنا** أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامرأته أكرمى مثواه والقوم فيه زاهدون وأبو بكر حين

تفرس فى عمر فاستخلفه والمرأة التى قالت يا أبت استأجره وقوله وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يقول عز وجل وكما أنقذنا يوسف من أيدى اخوته وقد هموا بقتله وأخرجناه من الجب بعد أن ألقى فيه فصيرناه الى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر كذلك مكناله فى الارض فجعلناه على خزائنها وقوله ولنعلمه من تأويل الاحاديث يقول تعالى ذكره وكى نعلم يوسف من عبارة الرؤيا مكناله فى الارض كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من تأويل الاحاديث قال عبارة الرؤيا حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى ولنعلمه من تأويل الاحاديث قال تعبير الرؤيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولنعلمه من تأويل الاحاديث قال عبارة الرؤيا وقوله والله غالب على أمره يقول تعالى ذكره والله مستول على أمر يوسف بسوسه ويدبره ويحوطه والهاء فى قوله على أمره عائدة على يوسف وروى عن سعيد بن جبير فى معنى غالب ما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير والله غالب على أمره قال فعال وقوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس الذين زهدوا فى يوسف فباعوه بثمن خسيس والذين صاروا بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم لا يعلمون ما الله بيوسف صانع واليه يوسف من أمره صائر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره ولما بلغ يوسف أشده يقول ولما بلغ منتهى شدته وقوته فى شبابه وحده وذلك فيما بين ثمانى عشرة سنة الى ستين سنة وقيل الى أربعين سنة يقال منه مضت أشد الرجل أى شدته وهو جمع مثل الأضر والاسر لم يسمع له بواحد من لفظه ويجب فى القياس أن يكون واحده شدكما واحد الأضر ضر وواحد الأسر سر كما قال الشاعر

هل غير أن كثر الأشد وأهلكت * حرب الملوك أكائر الاموال

* (وقال جميد) *

وقد أتى لو تعتب العواذل * بعد الأشد أربع كوامل

وقد اختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله به فى هذا الموضع من مبلغ الأشد فقال بعضهم عنى به ثلاث وثلاثون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد قالا ثنا عمرو بن محمد قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد مثله حدثت عن على بن الهيثم عن بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول فى قوله ولما بلغ أشده قال بضعا وثلاثين سنة * وقال آخرون بل عنى به عشرون سنة ذكر من قال ذلك حدثت عن على بن المسيب عن أبى روق عن الضحاك فى قوله ولما بلغ أشده قال عشرين سنة وروى عن ابن عباس من وجه غير مرضى أنه قال ما بين ثمانى عشرة سنة الى ثلاثين وقد بينت معنى الأشد * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشده حكما وعلما والأشد هو انتهاء قوته وشبابه وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثمانى عشرة سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ولا دلالة له فى كتاب الله ولا أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى اجماع الامة على أى ذلك كان واذا لم يكن ذلك موجودا من الوجه الذى ذكرت فالصواب أن يقال

دنياهم وانتظام أمورهم وتفرغهم لمهماتهم بعد يوسف بفراغ البال (قال قائل منهم) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وأدبا وهو الذى قال فلن أبرح الارض (لا تقتلوا يوسف) لأن القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من أولاد الانبياء (وألقوه فى غيابت الجب) سمى البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شئ سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر وأظلم من أسفلها ومن قرأ على الجمع فلأن للجب أقطارا ونواحى (يلتقطه بعض السيارة) أى الرفقة السائرة قال ابن عباس أى المارة والالتقاط تناول الشئ من الطريق ونحوه يستعمل فى الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ (ان كنتم فاعلين) ان لم يكن من فعل هذا الامر بد فهذا هو الرأى ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر أمارات ذلك على صحائف أعماله وأقواله فلذلك قالوا (مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون) ما وجدنا فى بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) من قرأ بالجزم فمن الرتعة كالأمنة وهى الخصب والسعة ومن قرأ بالكسر فعلى حذف الياء من يرتعى مستعارا من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا ينفع فمن قرأ بالياء فلا اشكال لان الصبى لا تكليف عليه ومن قرأ بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمى

لعبا لانه فى صورته أو اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر قال صلى الله عليه وسلم لجابر فهلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك (قال انى ليحزننى) لام الابتداء للتأكيد أو لتخصيص المضارع بالحال (وأخاف أن يأكله الذئب) أصله الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذأبت الريح اذا أتت من كل جهة قيل كان أرضهم مذأبة فلذلك قال أخاف وقيل رأى فى النوم أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء فى أمثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله (انا اذا) جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط حلفوا له ان كان ما خافه وحالهم أنهم رجال كفاة وحماة فهم اذن الخاسرون عاجزون أو مستحقون للدعاء عليهم بالخسار أو المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بأمرين أحدهما أن ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثانى خوفه عليه من الذئب فلم يجيبوا عن الاول لأنه هو الذى كان يغيظهم فلم يعبؤا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثانى وههنا اضمار والتقدير فأذن لهم وأرسله معهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا) عزموا على (أن يجعلوه فى غيابات الجب) قيل هو بئر ببيت المقدس وقيل بأرض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوفا فافى الآية اضمار آخر كما تقدم فى الوقوف قال السدى

فيه كما قال عز وجل حتى تثبت حجة بصحة ما قيل فى ذلك من الوجه الذى يجب التسليم له فيسلم لها حينئذ وقوله تيناه حكما وعلما يقول تعالى ذكره أعطيناه حينئذ الفهم والعلم كما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حكما وعلما قال العقل والعلم قبل النبوة وقوله وكذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته اياى الحكم والعلم ومكنته فى الارض واستنقذته من أيدى اخوته الذين أرادوا قتله كذلك نجزى من أحسن فى عمله فأطاعنى فى أمرى وانتهى عما نهيته عنه من معاصى وهذا وان كان مخرج ظاهره على كل محسن فان المراد به محمد نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول له عز وجل كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقى من اخوته ما لقى وقاسى من البلاء ما قاسى فكنته فى الارض ووطأت له فى البلاد فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركى قومك الذين يقصدونك بالعداوة وأمكن لك فى الارض وأوتيك الحكم والعلم لان ذلك جزائى أهل الاحسان فى أمرى ونهيى **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وكذلك نجزى المحسنين يقول المهتدين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره وراودت امرأة العزيز وهى التى كان يوسف فى بيتها عن نفسه أن يواقعها كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولما بلغ أشده راودته التى هو فى بيتها عن نفسه امرأة العزيز **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمر وقال ثنا أسباط عن السدى وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه قال أحبته ، قال ثنى أبى عن اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قال قالت تعاله وقوله وغلقت الابواب يقول وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف لما أرادت منه وراودته عليه بابا بعد باب وقوله وقالت هيت لك اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة هيت لك بفتح الهاء والتاء بمعنى هلم لك وادن وتقرب كما قال الشاعر لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

أبلغ أمير المؤمنيـ * ـن أخا العراق اذا أتيتا أن العراق وأهله * عنق اليك فهيت هينا

يعنى تعال واقرب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك تأوله من قرأه كذلك **حدثنى** محمد بن عبد الله المخرمى قال ثنا أبو الجواب قال ثنا عمار بن رزيق عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هيت لك قال هلم لك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله هيت لك قال هلم لك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال هيت لك تقول هلم لك **حدثنى** المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن عاصم ابن بهدلة عن زر بن حبيش أنه كان يقرأ هذا الحرف هيت لك نصبا أى هلم لك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله هيت لك قال تقول هلم لك **حدثنى** أحمد بن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا النضر بن على الجزرى عن عكرمة مولى ابن عباس فى قوله هيت لك قال هلم لك قال هى بالحورانية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالت هيت لك قال كان الحسن يقول هلم لك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن هيت لك يقول بعضهم هلم لك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وقالت هيت لك قال هلم لك وهى بالقبطية **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن عمرو عن الحسن هيت لك قال كلمة بالسريانية أى عجل **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن هيت لك قال هلم لك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا خلف بن هشام قال ثنا محبوب عن قتادة عن الحسن

هيت لك قال هلم لك * قال ثنا عفان قال ثنا حماد عن عاصم عن زر هيت لك أي هلم **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الثوري قال بلغني في قوله هيت لك قال هلم لك **حدثنا** أحمد ابن يوسف قال ثنا أبو عبيد قال ثنا علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ هيت لك وقال تدعوه الى نفسها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى هيت لك قال لغة عربية تدعوه بها **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال لغة بالعربية تدعوه بها الى نفسها **حدثنا** الحسن قال ثنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل حديث محمد بن عمرو سواء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن هيت لك بفتح الهاء والتاء وقال تقول هلم لك **حدثني** الحرث قال أبو عبيدة كان الكسائي يحكيها يعني هيت لك قال وقال وهي لغة لاهل حوران وقعت الى الحجاز معناها تعال قال وقال أبو عبيد سألت شيخا عالما من أهل حوران فذكر أنها لغتهم يعرفها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هيت لك قال تعال **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقالت هيت لك قال هلم لك الى وقرأ ذلك جماعة من المتقدمين وقالت هئت لك بكسر الهاء وضم التاء والهمز بمعنى تهيأت لك من قول القائل هئت للامر أهيء هيئة وممن روى ذلك عنه ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة غيرهما **حدثنا** أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا الحجاج عن هرون عن أبان العطار عن قتادة أن ابن عباس قرأها كذلك مكسورة الهاء مضمومة التاء قال أحمد قال أبو عبيد لا أعلمها الا مهموزة **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن أبان العطار عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي هئت لك أي تهيأت لك * قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان عكرمة يقول تهيأت لك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال هئت لك قال عكرمة تهيأت لك **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عاصم بن بهدلة قال كان أبو وائل يقول هئت لك أي تهيأت لك وكان أبو عمرو بن العلاء والكسائي ينكران هذه القراءة **حدثت** عن علي ابن المغيرة قال قال أبو عبيدة معمر بن المثنى شهدت أبا عمرو وسأله أبو أحمد أو أحمد وكان عالما بالقرآن عن قول من قال هئت لك بكسر الهاء وهمز الياء فقال أبو عمرو ينسى إي باطل جعلها فعلت من تهيأت فهذا الخندق فاستعرض العرب حتى تنتهي الى اليمن هل تعرف أحدا يقول هئت لك **حدثني** الحرث قال ثنا القاسم قال لم يكن الكسائي يحكي هئت لك عن العرب وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة هيت لك بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء * وقرأه بعض المكيين هيت لك بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء وقرأه بعض البصريين وهو عبد الله بن اسحق هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وقد أنشد بعض الرواة بيتا لطرفة بن العبد في هيت بفتح الهاء وضم التاء وذلك

ليس قومي بالأبعدين اذا ما * قال داع من العشيرة هيت

وأولى القراءة في ذلك قراءة من قرأه هيت لك بفتح الهاء والتاء وتسكين الياء لانها اللغة المعروفة في العرب دون غيرها وأنها فيما ذكر قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن أبي وائل قال ابن مسعود قد سمعت القراء فسمعتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم واياكم والتنطع والاختلاف فانما هو كقول أحدكم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله هيت لك فقلت يا أبا عبد الرحمن ان ناسا يقرؤنها هيت لك فقال عبد الله الى أقرؤها كما علمت

ان يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه بفعل يصيح يا أبتاه لم تعلم ما يصنع بابنك أولاد الاماء فقال يهوذا أما أعطيتموني موثقا أن لا تقتلوه فلما أرادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى ينقذوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروى أنه عليه السلام لما ألقي في الجب قال يا شاهدا غير غائب وباقريبا غير بعيد وياغالبا غير مغلوب اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا وحكي أن ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فأخرجه وألبسه اياه (وأوحينا اليه) في صغر السن كما أوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم) لتحدثن

أحب الىّ حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبى وائل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ هذه الآية وقالت هيت لك قال فقالوا له ما كنا نقرؤها الا هيت لك فقال عبد الله لو أقرؤها كما علمت أحب الىّ حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن منصور عن أبى وائل قال قال عبد الله هيت لك فقال له مسروق ان ناسا يقرؤنها هيت لك فقال دعونى فانى أقرأ كما أقرئت أحب الى حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة عن الاعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال هيت لك بنصب الهاء والتاء وبلا همز وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن العرب لا تثنى هيت لك ولا تجمع ولا تؤنث وأنها تصوره فى كل حال وانما يتبين العدد بما بعده وكذلك التأنيث والتذكير وقال تقول للواحد هيت لك وللاثنين هيت لكما وللجمع هيت لكم وللنساء هيت لكن وقوله قال معاذ الله يقول جل ثناؤه قال يوسف اذ دعته المرأة الى نفسها وقالت له هلم الى أعتصر بك من الذى تدعونى اليه وأستجير به منه وقوله انه ربى أحسن مثواى يقول ان صاحبك وزوجك سيدى كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى معاذ الله انه ربى قال سيدى * قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح انه ربى قال سيدى حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى قال سيدى يعنى زوج المرأة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال معاذ الله انه ربى يعنى أطفير يقول انه سيدى وقوله أحسن مثواى يقول أحسن منزلتى وأكرمنى وأتمننى فلا أخونه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أحسن مثواى أمننى على بيته وأهله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أحسن مثواى فلا أخونه فى أهله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أحسن مثواى قال يريد يوسف سيد مزوج المرأة وقوله انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا يدرك البقاء ولا ينجح من ظلم ففعل ما ليس له فعله وهذا الذى تدعونى اليه من الفجور ظلم وخيانة لسيدى الذى ائتمننى على منزله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انه لا يفلح الظالمون قال هذا الذى تدعونى اليه ظلم ولا يفلح من عمل به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ﴾ ذكر أن امرأة العزيز لما همت بيوسف وأرادت مراودته جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى ولقد همت به وهم بها قال قالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال هو للتراب يأكله فلم تزل حتى أطمعته فهمت به وهم بها فدخلا البيت وغلقت الابواب وذهب ليحل سراويله فاذا هو بصورة يعقوب قائما فى البيت قد عض على أصبعه يقول يا يوسف تواقعها فانما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات ووقع الى الارض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فربط سراويله وذهب ليخرج يشتد فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه وسقط وطرحه يوسف واشتد نحو الباب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أكبت عليه يعنى المرأة تطمعه مرة وتخيفه أخرى وتدعوه الى لذة

اخوتك عافعلوا بك (وهم لا يشعرون) أنك يوسف لعلو شأنك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المنسى المغير للهيآت والاشكال يروى أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم ويقال له يوسف وكان بدنيه دونكم وانكم انطلقتم به وألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لأبيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس وبجوز أن يراد وهم لا يشعرون أنا آنسناه بالوحى وأزلنا الوحشة عن قلبه فتتعلق الجملة بقوله وأوحينا روى أن امرأة حاكت الى شريح فبكت فقال له الشعبى يا أبا أمية أما تراها تبكى قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما ينبغى لأحد أن يقضى الا بما أمر أن يقضى به من السنة المرضية عن مقاتل انما جاؤا عشاء لئلا تظهر أمارة الخجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب فزع وقال مالكم يا بنى هل أصابكم فى غنمكم شئ قالوا لا قال فالكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) أى نتسابق فى العدو أو فى الرمى وقيل ننتضل (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لشدة محبتك ليوسف وفيه دليل لمن يزعم أن الايمان هو التصديق (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة فكيف وأنت سئ الظن بنا غير واثق بقولنا (وجاؤا على قميصه) نصب على الظرف أى فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا تتقدم عليه (بدم كذب) ذى كذب

من حاجة الرجال فى جمالها وحسنها وملكها وهو شاب مستقبل يجد من شبق الرجال ما يجد الرجل حتى رق لها مما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى هم بها وهمت به حتى خلوا فى بعض بيوته ومعنى الهم بالشئ فى كلام العرب حديث المرء نفسه بمواقعته ما لم يواقع فأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فان أهل العلم قالوا فى ذلك ما أنا ذاكره وذلك ما حدثنا أبو كريب وسفيان بن وكيع وسهل ابن موسى الرازى قالوا ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمن عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن لفظ الحديث لابى كريب حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن عيينة قال سمع عبيد الله بن أبى يزيد ابن عباس فى ولقد همت به وهم بها قال جلس منها مجلس الخاتن وحل الهميان حدثنا زياد بن عبد الله الحسانى وعمرو بن على والحسن بن محمد قالوا ثنا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى يزيد قال سمعت ابن عباس سئل ما بلغ من هم يوسف قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن حدثنى زياد بن عبد الله قال ثنا محمد بن أبى عدى عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة ولقد همت به وهم بها قال استلقت له وحل ثيابه حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس ولقد همت به وهم بها ما بلغ قال استلقت له وجلس بين رجليها وحل ثيابه أو ثيابها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبى مليكة قال سئل ابن عباس عن قوله ولقد همت به وهم بها ما بلغ من هم يوسف قال حل الهميان يعنى السراويل حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت الاعمش عن مجاهد فى قوله ولقد همت به وهم بها قال حل السراويل حتى التبان واستلقت له حدثنا زياد بن عبد الله الحسانى قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الاعمش عن مجاهد فى قوله ولقد همت به وهم بها قال حل سراويله حتى وقع على التبان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد همت به وهم بها قال جلس منها مجلس الرجل من امرأته حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال ثنى القاسم بن أبى بزة ولقد همت به وهم بها قال أما همها به فاستلقت له وأما همه بها فانه قعد بين رجليها ونزع ثيابه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنى حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن أبى مليكة قال قلت لابن عباس ما بلغ من هم يوسف قال استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا يحيى بن اليمان عن سفيان عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير وعكرمة قالا حل السراويل وجلس منها مجلس الخاتن حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن شريك عن جابر عن مجاهد ولقد همت به وهم بها قال استلقت وحل ثيابه حتى بلغ التبان حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن أبى حصين عن سعيد بن جبير ولقد همت به وهم بها قال أطلق نكة سراويله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمن عن ابن أبى مليكة قال شهدت ابن عباس سئل عن هم يوسف ما بلغ قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن فان قال قائل وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا وهو لله نبى قيل ان أهل العلم اختلفوا فى ذلك فقال بعضهم كان ممن ابتلى من الانبياء بخطيئة فانما ابتلاه الله

أو دم هو الكذب بعينه مبالغة يروى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ويروى أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات آية ليعقوب على كذبهم وآية حين ألقاه البشير على وجهه فارتد بصيرا وآية على براءة يوسف حين قد من دبر ولما تبين يعقوب بالآيات المذكورة أو بالوحى أنهم كاذبون قال على سبيل الاضراب (بل سولت) قال ابن عباس بل زينت (لكم أنفسكم أمرا) فى شأنه وهو تفعيل من السول الامنية قال الازهرى وأصله مهموز غير أن العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال فى الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير دليل التعظيم (فصبر جميل) لابد من تقدير مبتدإ أو خبر أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفى الحديث أنه الذى لا شكوى فيه أى الى الخلق لقوله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وقيل أى لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت يحكى أنه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى قال يارب خطيئة فاغفرها لى ثم بين أن الصبر على ما وصفوه من هلاله

يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال (والله المستعان على ما تصفون) فالقرينتان كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الآية أن الصبر ان كان لأجل الرضا بقضاء الله تعالى أو لاستغراقه في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بأن هذا الصبر كان فيه اعانة الظالمين واهمال تخليص المظلوم من المحن والشدائد والترقية فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتنقير ولو بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره وأجيب بأن الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه أو لعله ان بالغ في البحث أقدموا على قتله أو علم أن الله تعالى يصون يوسف وسيعظم أمره بالآخرة فلم يرد هتك ستر أولاده والقاءهم في ألسنة الناس كقول القائل * فاذا رميت يصيبني سهمي * فكان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال (وجاءت سيارة) عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف في الجب فأخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف (فأرسلوا واردهم) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم (فأدلى دلوه)

بها ليكون من الله عز وجل على وجل اذا ذكرها فيجد في طاعته اشفاقا منها ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته * وقال آخرون بل ابتلاهم الله بذلك ليعرفهم موضع نعمته عليهم بصفحه عنهم وتركه عقوبته عليه في الآخرة * وقال آخرون بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الاياس من عفوه عنهم اذا تابوا * وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأولوا القرآن بآرائهم فانهم قالوا في ذلك أقوالا مختلفة فقال بعضهم معناه ولقد همت المرأة بيوسف وهم بها يوسف أن يضربها أو ينالها بمكروه لهمها به مما أرادته من المكروه ولولا أن يوسف رأى برهان ربه وكفه ذلك عما هم به من أذاها لا أنها ارتدعت من قبل نفسها قالوا والشاهد على صحة ذلك قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء قالوا فالسوء هو ما كان هم به من أذاها وهو غير الفحشاء * وقال آخرون منهم معنى الكلام ولقد همت به فتناهى الخبر عنها ثم ابتدئ الخبر عن يوسف فقيل وهم بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه كأنهم وجهوا معنى الكلام الى أن يوسف لم يهم بها وأن الله انما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لهم بها ولكنه رأى برهان ربه فلم يهم بها كما قيل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ويفسد هذين القولين أن العرب لا تقدم جواب لولا قبلها الا تقول لقد قمت لولا زيد وهي تريد لولا زيد لقد قمت هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن الذين عنهم يؤخذ تأويله * وقال آخرون منهم بل قد همت المرأة بيوسف وهم يوسف بالمرأة غير أن همهما كان تمثيلا منهما بين الفعل والترك لا عزما ولا ارادة قالوا ولا حرج في حديث النفس ولا في ذكر القلب اذا لم يكن معهما عزم ولا فعل وأما البرهان الذي رآه يوسف فترك من أجله مواقعة الخطيئة فان أهل العلم مختلفون فيه فقال بعضهم نودي بالنهي عن مواقعة الخطيئة ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس لولا أن رأى برهان ربه قال نودي يا يوسف أترني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له * قال ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه قال تمثال صورة وجه أبيه قال سفيان عاضا على اصبعه فقال يا يوسف ترني فتكون كالطير ذهب ريشه **حدثني** زياد ابن عبد الله الحساني قال ثنى محمد بن أبي عدي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال قال ابن عباس نودي يا ابن يعقوب لا تكن كالطائر له ريش فاذا زنى ذهب ريشه أو قعد لا ريش له قال فلم يتعظ على النداء فلم يزد على هذا * قال ابن جريج وحدثني غير واحد أنه رأى أباه عاضا على اصبعه **حدثني** أبو كريب قال ثنا وكيع * **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال قال ابن عباس لولا أن رأى برهان ربه قال نودي فلم يسمع فقيل له يا ابن يعقوب تريد أن ترني فتكون كالطير تنتف فلا ريش له **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن طلحة عن عمرو الحضرمي عن ابن أبي مليكة قال بلغني أن يوسف لما جلس بين رجلي المرأة فهويحل هميانه نودي يا يوسف بن يعقوب لا تزن فان الطير اذا زنى تناثر ريشه فأعرض ثم نودي فأعرض فمثل له يعقوب عاضا على اصبعه فقام **حدثني** المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال نودي يا ابن يعقوب لا تكن كالطير اذا زنى ذهب ريشه وبقي لا ريش له فلم يطع على النداء ففزع **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن أبي مليكة قال قال ابن عباس نودي يا ابن يعقوب لا تكونن كالطائر له ريش فاذا زنى ذهب ريشه قال أو قعد لا ريش له فلم يعط على النداء شيأ حتى رأى برهان ربه ففرق ففر **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي

سليمن عن ابن أبي مليكة قال قال ابن عباس نودي يا ابن يعقوب أترتني فتكون كالطير ووقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن همام ابن يحيى عن قتادة قال نودي يوسف فقيل أنت مكتوب في الانبياء تعمل عمل السفهاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال نودي يوسف بن يعقوب ترتني فتكون كالطير تتف فلا ريش له * وقال آخرون البرهان الذي رأى يوسف فكف عن مواقعة الخطيئة من أجله صورة يعقوب عليهما السلام يتوعده ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد العنقزي قال أخبرنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة أو تمثال وجه يعقوب عاضا على اصبعه فخرجت شهوته من أنامله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن العنقزي عن اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال وجه أبيه قائلا بكفه هكذا وبسط كفه فخرجت شهوته من أنامله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع و **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب عاضا على أصابعه فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله **حدثنا** يونس بن عبد الاعلى قال ثنا عبد الله ابن وهب قال أخبرني ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة يعقوب واضعا أنمله على فيه يتوعده ففر **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا جرير بن حازم قال سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس في قوله ولقد همت به وهم بها قال حين رأى يعقوب في سقف البيت قال فنزعت شهوته التي كان يجدها حتى خرج يسعى الى باب البيت فتبعته المرأة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع و **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن قرة بن خالد السدوسي عن الحسن قال زعموا والله أعلم أن سقف البيت انفرج فرأى يعقوب عاضا على أصابعه **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال يعقوب عاضا على اصبعه يقول يوسف يوسف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن نحوه **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عمرو العنقزي قال أخبرنا سفيان الثوري عن أبي حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال وجه يعقوب فخرجت شهوته من أنامله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير قال رأى صورة فهما وجه يعقوب عاضا على أصابعه فدفع في صدره فخرجت شهوته من أنامله فكل ولد يعقوب ولده اثنا عشر رجلا الا يوسف فانه نقص بتلك الشهوة ولم يولد له غير أحد عشر **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن البرهان الذي رأى يوسف يعقوب **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عيسى بن المنذر قال ثنا أيوب بن سويد قال ثنا يونس بن يزيد الايلي عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا أن رأى برهان ربه قال يعقوب **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة

أرسلها في البئر قال الواحدي فاذا نزعها وأخرجها قيل دلا يدلو (قال يا بشرى) التقدير فظهر يوسف فقال الوارد يا بشرى كأنه ينادي البشرى ويقول تعالى فهذا أوانك ومتى قال الوارد هذا الكلام قال جمع من المفسرين حين رأى يوسف متعلقا بالحبل وقال آخرون لما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشرى فنادى يا بشرى كما يقال يا زيد والأكثرون على أنها بمعنى البشارة فقال أبو علي يحتمل أن يكون منادى مضموما مثل يا رجل وأن يكون منصوبا مثل يا رجلا كأنه جعل ذلك النداء شائعا في جنس البشرى ومن قرأ بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في (وأسروه) إما عائد الى الوارد وأصحابه أي أخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط أو في الشراء ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء أنهم كتموه من الرفقة أو قالوا ان أهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس أنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد آبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ولعل الوجه الاول أولى بدليل قوله (بضاعة) وهي نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة وأصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى أعلم (والله عليم بما يعملون) فيه وعيد اما

للوارد وأصحابه حيث استبضعوا ماليس لهم أو لاخوة يوسف وذلك ظاهر وفيه أن كيد الأعداء لا يدفع شيأ مما علم الله من حال المرء والضمير فى قوله (وشروه) اما أن يعود الى الوارد وأصحابه أى باعوه (بثمن) قليل لان الملتقط للشئ متهاون به (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما فى يده قال أهل اللغة (١) زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عنه معناه رغب فيه واما أن يعود الى الاخوة والمعنى باعوه أو الى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير فى وكانوا ان عاد الى الاخوة فقلة رغبتهم فى يوسف ظاهرة والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك أنهم اعتقدوا أنه أبق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس أن اخوته عادوا الى الجب بعد ثلاثة أيام يتعرفون خبره فلما لم يروه فى الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا هذا عبد أبق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم عرفوا أنه ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالآخرة بثمن بخس أى مبخوس ناقص عن القيمة أو ناقص العيار وقال ابن عباس البخس هنا الحرام لان ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهى الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى

(١) الذى فى الصحاح وغيره أن زهد عنه وفيه معناهما الرغبة عن الشئ فتأمل كتبه مصححه

قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة وحدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال مثل له يعقوب **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال جلس منها مجلس الرجل من امرأته حتى رأى صورة يعقوب فى الجدار **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن القاسم بن أبى بزة قال قوله يا ابن يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فاذا زنى قعد ليس له ريش فلم يعرض للنداء وقعد فوق رأسه فرأى وجه يعقوب عاضا على اصبعه فقام مرعوبا استحياء من الله تعالى ذكره فذلك قول الله سبحانه وتعالى لولا أن رأى برهان ربه وجه يعقوب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن النضر بن عربى عن عكرمة قال مثل له يعقوب عاضا على أصابعه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن نضر بن عربى عن عكرمة مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن أبى حصين عن سعيد بن جبير قال مثل له يعقوب فدفع فى صدره فخرجت شهوته من أنامله * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن على بن بذيمة قال كان ولد لكل رجل منهم اثنا عشر ابنا الا يوسف وولد له أحد عشر من أجل ما خرج من شهوته **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو شريح سمعت عبيد الله بن أبى جعفر يقول بلغ من شهوة يوسف أن خرجت من بنانه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يعلى بن عبيد عن محمد الخراسانى قال سألت محمد بن سيرين عن قوله لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب عاضا على أصابعه يقول يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الله اسمك فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء **حدثنى** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن فى قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى يعقوب عاضا على اصبعه يقول يوسف **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة رأى صورة يعقوب فقال يا يوسف تعمل عمل الفجار وأنت مكتوب فى الأنبياء فاستحيا منه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لولا أن رأى برهان ربه رأى آية من آيات ربه حجزه الله بها عن معصيته ذكر لنا أنه مثل له يعقوب حتى كلمه فعصمه الله ونزع كل شهوة كانت فى مفاصله * قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أنه مثل له يعقوب وهو عاض على اصبع من أصابعه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى سالم عن أبى صالح قال رأى صورة يعقوب فى سقف البيت عاضا على اصبعه يقول يا يوسف يا يوسف يعنى قوله لولا أن رأى برهان ربه **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور ويونس عن الحسن فى قوله لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة يعقوب فى سقف البيت عاضا على اصبعه **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبى صالح مثله وقال عاضا على اصبعه يقول يوسف يوسف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال تمثل يوسف الى صورة يعقوب عاضا على اصبعه يقول يا يوسف فذلك حيث كف وقام فانصرف **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم وأبى حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى صورة فيها وجه يعقوب عاضا على أصابعه فدفع فى صدره فخرجت شهوته من بين أنامله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مسعر عن أبى

حصين عن سعيد بن جبير لولا أن رأى برهان ربه قال رأى تمثال وجه أبيه فخرجت الشهوة من أنامله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا أبو عوانة عن اسمعيل ابن سالم عن أبي صالح لولا أن رأى برهان ربه قال تمثال صورة يعقوب في سقف البيت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا جعفر بن سليمن عن يونس بن عبيد عن الحسن قال رأى يعقوب عاضا على يده * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي حصين عن سعيد بن جبير في قوله لولا أن رأى برهان ربه قال يعقوب ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا أن رأى برهان ربه آية من ربه يزعمون أنه مثل له يعقوب فاستحيا منه * وقال آخرون بل البرهان الذي رأى يوسف ما أوعد الله عز وجل على الزنا أهله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي مودود قال سمعت محمد بن كعب القرظي قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت فاذا كتاب في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي مودود عن محمد بن كعب قال رفع يوسف رأسه الى سقف البيت حين هم فرأى كتابا في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * قال ثنا زيد بن الحباب عن أبي معشر عن محمد بن كعب لولا أن رأى برهان ربه قال لولا ما رأى في القرآن من تعظيم الزنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رأى يوسف ثلاث آيات من كتاب الله ان عليكم لحافظين الآية وقوله وما تكون في شأن الآية وقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت * قال نافع سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي وزاد آية رابعة ولا تقربوا الزنا حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي لولا أن رأى برهان ربه فقال ما حرم الله عليه من الزنا * وقال آخرون بل رأى تمثال الملك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه يقول آيات ربه أرى تمثال الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان بعض أهل العلم فيما بلغني يقول البرهان الذي رأى يوسف فصرف عنه السوء والفحشاء يعقوب عاضا على اصبعه فلما رآه انكشف هاربا وقال بعضهم انما هو خيال اطفير سيده حين دنا من الباب وذلك أنه لما هرب منها واتبعته ألفيا سيدها لدى الباب * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه لولا أن رأى يوسف برهان ربه وذلك آية من آيات الله زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب وجائز أن تكون صورة الملك وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك من أي والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى والايمان به وترك ما عدا ذلك الى عالمه وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء يقول تعالى ذكره كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عما هم به من الفاحشة كذلك نسبب له في كل ما عرض له من هم يهم به فيما لا يرضاه ما يزجره ويدفعه عنه كي نصرف عنه ركوب ما حرمنا عليه واتيان الزنا لنطهره من دنس ذلك وقوله انه من عبادنا المخلصين اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة انه من عبادنا المخلصين بفتح اللام من المخلصين بتأويل ان يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا اثنين وعشرين أخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهوذا فانه لم يأخذ شيأ وروى أن اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق والظاهر أن الضمير في فيه عائد الى يوسف ويحتمل أن يعود الى الثمن البخس أي أخذوا في ثمنه ما ليس يرغب فيه قال النحويون قوله فيه ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا تتقدم نفس الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يقال مثلا وكانوا زيدا من الضاربين فهو بيان كأنه قيل في أي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه والله تعالى أعلم

التأويل

تلك آيات الكتاب دلالات كتاب المحبوب الى المحب للهداية الى طريق الوصال ولهذا كانت أحسن القصص لانها أتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة بأحوال الانسان اذ قال يوسف القلب لابيه يعقوب الروح اني رأيت أحد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة أي المذكرة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة ولكل من هذه اضاءة أي ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس رأيتهم لي ساجدين وهذا مقام كملية الانسان أن يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى

وكذلك يجتبيك ربك على سائر المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تأويل الاحاديث العلم اللدنى المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بأن يتجلى لك ويستوى لك اذ القلب عرش حقيقى للرب وعلى آل يعقوب أى متولدات الروح من القوى والحواس كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم السر واسحق الخفى وبهما يستحق القلب لقبول فيض التجلى وهنالك لله ألطاف خفية لا يتبع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل آيات للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف القلب وأخوه بنيامين الحس المشترك فان له اختصاصا بالقلب أحب الى أبينا منا لان القلب عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسى للعرش اقتلوا يوسف القلب بسكين الهوى وبسم الميل الى الدنيا أو اطرحوه فى أرض البشرية يخل لكم وجه أبيكم يقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للنعم الحيوانى والنفسانى قال قائل منهم هو يهوذا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب وألقوه فى غيابة الجب القالب وسفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية يرتع فى المراتع البهيمية ويلعب فى ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وآفاتها لئن أكله الذئب الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع أجزاء الانسان

واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا وقرأ ذلك بعض قراء البصرة انه من عبادنا المخلصين بكسر اللام بمعنى أن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا فلم يشركوا بنا شيأ ولم يعبدوا شيأ غيرنا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القراء وهما متفقتا المعنى وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره فهو مخلص لله التوحيد والعبادة ومن أخلص توحيد الله وعبادته فلم يشرك بالله شيأ فهو ممن أخلصه الله فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ يقول جل ثناؤه واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجره عنها وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضى حاجتها منه التى راودته عليها فأدركته فتعلقت بقميصه فجذبته اليها مانعة له من الخروج من الباب فقدته من دبر يعنى شقته من خلفه لا من قدام لأن يوسف كان هو الهارب وكانت هى الطالبة كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واستبقا الباب قال استبق هو والمرأة الباب وقد قميصه من دبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما رأى برهان ربه انكفت عنها هاربا واتبعته فأخذت قميصه من دبر فشقته عليه وقوله وألفيا سيدها لدى الباب يقول جل ثناؤه وصادفا سيدها وهو زوج المرأة لدى الباب يعنى عند الباب كالذى حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا الثورى عن رجل عن مجاهد وألفيا سيدها قال سيد زوجها لدى الباب قال عند الباب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن سعيد عن أشعث عن الحسن عن زيد بن ثابت قال السيد الزوج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألفيا سيدها لدى الباب أى عند الباب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وألفيا سيدها لدى الباب قال جالسا عند الباب وابن عمها معه فلما رأته قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ انه راودنى عن نفسى فدفعته عن نفسى فشققت قميصه قال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى وفررت منها فأدركتنى فشققت قميصى فقال ابن عمها تبيان هذا فى القميص فان كان القميص قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فأتى بالقميص فوجده قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألفيا سيدها لدى الباب اطفير قائما على باب البيت فقالت وهابته ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم ولطخته مكانها بالبيت فرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح فقال هو وصدقه الحديث هى راودتنى عن نفسى وفرقا من أن يتهمها صاحبها على القبيح فقال هو وصدقه الحديث هى راودتنى عن نفسى وفرقا قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يقول تعالى ذكره قالت امرأة العزيز لزوجها لما ألفياه عند الباب تخافت أن يتهمها بالفجور ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا الا أن يسجن فى السجن أو الا عذاب أليم يقول موجع وانما قال الا أن يسجن أو عذاب أليم لان قوله الا أن يسجن بمعنى الا السجن فعطف العذاب عليه وذلك أن أن وما عملت فيه بمنزلة الاسم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته

من ارادته الفاحشة منها مكذبا لها فيما قذفته به ودفعا لما نسب اليه ما أنا راودتها عن نفسها بل هي راودتني عن نفسي وقد قيل ان يوسف لم يرد ذكر ذلك لو لم تقذفه عند سيدها فما قذفته به ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا شيبان عن أبي اسحق عن نوف الشيباني قال ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الآية قال فغضب فقال هي راودتني عن نفسي وأما قوله وشهد شاهد من أهلها فان أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد فقال بعضهم كان صبيا في المهد ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تكلم أربعة في المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي بكر الهذلي عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال عيسى وصاحب يوسف وصاحب جريج يعني تكلموا في المهد **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا زائدة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وشهد شاهد من أهلها قال صبي **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وشهد شاهد من أهلها قال كان في المهد صبيا **حدثني** محمد ابن عبيد المحاربي قال ثنا أيوب بن جابر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير في قوله وشهد شاهد من أهلها قال صبي **حدثني** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن سعيد بن جبير بمثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال كان صبيا في مهده **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن هلال بن يساف وشهد شاهد من أهلها قال صبي في المهد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبي مرزوق عن جويبر عن الضحاك وشهد شاهد من أهلها قال صبي أنطقه الله ويقال ذو رأي برأيه **حدثنا** الحسن بن محمد قال أخبرنا عفان قال ثنا حماد قال أخبرني عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وشهد شاهد من أهلها يزعمون أنه كان صبيا في الدار **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وشهد شاهد من أهلها قال كان صبيا في المهد ◦ وقال آخرون كان رجلا ذا لحية ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كان ذا لحية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها قال كان من خاصة الملك ◦ وبه قال **حدثنا** أبي عن عمران بن حدير سمع عكرمة يقول وشهد شاهد من أهلها قال ما كان بصبي ولكن كان رجلا حكيما **حدثنا** سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة وذكر عنده وشهد شاهد من أهلها فقالوا كان صبيا فقال انه ليس بصبي ولكنه رجل حكيم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها قال كان رجلا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن

في هلاك القلب وربحها في سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى أن من خصوصية تعلق الروح بالقالب أن يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وان كانت للنفس شقي وجاؤا أباهم عشاء أي في النصف الآخر من مدة العمر نستبق نتشاغل باللهو في أيام الشباب وتركنا يوسف القلب مهملا معطلا عن الاستكمال فأكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه أي قالب القلب بدم كذب هو آثار الملكات الردية زعموا أنها قد سرت الى القلب وأزالت نور الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدر والله المستعان على ما تصفون من رين القلب وموته وجاءت سيارة هي هبوب نفحات ألطاف الحق فأرسلوا واردهم وارد من واردات الحق فأدلى دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة الى أن للجذبة بشارة في تعلقها بالقلب كما أن للقلب بشارة في خلاصه من جب الطبيعة كما قال تعالى يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين وبما يعملون من شرائه بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في أيام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع الردية العاجلة والله أعلم

وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته

أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو
نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف
في الأرض ولنعلمه من تأويل
الأحاديث والله غالب على أمره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ولما بلغ أشده آتيناه حكما
وعلما وكذلك نجزي المحسنين
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواي
انه لا يفلح الظالمون ولقد همت
به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر
وألفيا سيدها لدى الباب قالت
ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن
يسجن أو عذاب أليم قال هي
راودتني عن نفسي وشهد شاهد من
أهلها ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر
قال انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم يوسف أعرض عن هذا
واستغفري لذنبك انك كنت من
الخاطئين وقال نسوة في المدينة
امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه
قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال
مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت
اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت
كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه
وقطعن أيديهن وقلن حاش لله
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم

مجاهد وشهد شاهد من أهلها قال رجل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن
مجاهد في قوله وشهد شاهد من أهلها قال رجل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش
عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وشهد شاهد من أهلها قال رجل **حدثنا** الحسن بن محمد
قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد
شاهد من أهلها قال ذو نية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط
عن السدي قال ابن عمها كان الشاهد من أهلها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا
عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وشهد شاهد من أهلها
قال ذو لحية **حدثني** المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة
عن ابن عباس قال كان ذا لحية **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن
جابر عن ابن أبي مليكة وشهد شاهد من أهلها قال كان من خاصة الملك **حدثنا** بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشهد شاهد من أهلها قال رجل حكيم كان من أهلها
حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله وشهد شاهد من
أهلها قال رجل حكيم من أهلها **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن
منصور عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها قال كان رجلا **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن
عون قال أخبرنا هشيم عن بعض أصحابه عن الحسن في قوله وشهد شاهد من أهلها قال رجل
له رأي أشار برأيه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وشهد شاهد من أهلها قال
يقال انما كان الشاهد مشيرا رجلا من أهل الطفير وكان يستعين برأيه الا أنه قال أشهد ان كان
قميصه قد من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين * وقيل معنى قوله وشهد شاهد حكم حاكم **حدثت**
بذلك عن الفراء عن معلى بن هلال عن أبي يحيى عن مجاهد * وقال آخرون انما عنى بالشاهد
القميص المقدود ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وشهد شاهد من أهلها قال قميصه مشقوق من
دبر فتلك الشهادة **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قوله وشهد شاهد من أهلها قميصه مشقوق من دبر فتلك الشهادة **حدثنا** ابن وكيع
قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها لم يكن من الانس * قال ثنا
حفص عن ليث عن مجاهد وشهد شاهد من أهلها قال كان من أمر الله ولم يكن انسيا
* والصواب من القول في ذلك قول من قال كان صبيا في المهد للخبر الذي ذكرناه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه ذكر من تكلم في المهد فذكر أن أحدهم صاحب يوسف فأما ما قاله
مجاهد من أنه القميص المقدود فما لا معنى له لان الله تعالى ذكره أخبر عن الشاهد الذي شهد
بذلك أنه من أهل المرأة فقال وشهد شاهد من أهلها ولا يقال للقميص هو من أهل الرجل ولا
المرأة وقوله ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لان المطلوب اذا كان هاربا فانما
يؤتى من قبل دبره فكان معلوما أن الشق لو كان من قبل لم يكن هاربا مطلوبا ولكن كان يكون
طالبا مدفوعا وكان يكون ذلك شهادة على كذبه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق قال قال أشهدان كان قميصه قد من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين وذلك أن الرجل
انما يريد المرأة مقبلا وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين وذلك أن الرجل
لا يأتي المرأة من دبر وقال انه لا ينبغي أن يكون في الحق الا ذلك فلما رأى الطفير قميصه قد من

درعرف أنه من كيدها فقال انه من كيد كن ان كيدكن عظيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال يعنى الشاهد من أهلها القميص يقضى بينهما ان كان قميصه قدمن قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قدمن دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وانما حذفت أن التى تتلقى بها الشهادة لانه ذهب بالشهادة الى معنى القول كأنه قال وقال قائل من أهلها ان كان قميصه كما قيل يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين لانه ذهب بالوصية الى القول وقوله فلما رأى قميصه قدمن دبر خبر عن زوج المرأة وهو القائل لها ان هذا الفعل من كيدكن أى صنيعكن يعنى من صنيع النساء ان كيدكن عظيم وقيل انه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين﴾ وهذا فيما ذكر عن ابن عباس خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف يعنى بقوله يوسف يا يوسف أعرض عن هذا يقول أعرض عن ذكر ما كان منها اليك فيما راودتك عليه فلا تذكره لاحد كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوسف أعرض عن هذا قال لا تذكره واستغفرى أنت زوجك يقول سليه أن لا يعاقبك على ذنبك الذى أذنبت وأن يصفح عنه فيستره عليك انك كنت من الخاطئين يقول انك كنت من المذنبين فى مراودة يوسف عن نفسه يقال منه خطئ فى الخطيئة يخطأ خطأ وخطأ كما قال جل ثناؤه انه كان خطأ كبيرا والخطأ فى الامر وحكى فى الصواب أيضا الصوب (١) والصوب كما قال الشاعر

لعمرك انما خطئى وصوبى ٭ علىّ وان ما أهلكت مال

وانشد بيت أمية

عبادك يخطؤن وأنت رب ٭ بكفيك المنايا والحتوم

من خطئ الرجل وقيل انك كنت من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لانه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء وانما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيخطئ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز فى مدينة مصر وشاع من أمرهما فيها ما كان بينهم وقلن امرأة العزيز تراود فتاها عبدها عن نفسه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وشاع الحديث فى القرية وتحدث النساء بأمره وأمرها وقلن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أى عبدها وأما العزيز فانه الملك فى كلام العرب ومنه قول أبى دواد

درة غاص عليها تاجر ٭ جليت عند عزيز يوم طل

يعنى بالعزيز الملك وهو من العزة وقوله قد شغفها حبا يقول قد وصل حب يوسف الى شغاف قلبها وشغاف القلب حجابه وغلافه الذى هو فيه واياه عنى النابغة بقوله

وقد حال هم دون ذلك داخل ٭ دخول شغاف تبتغيه الاصابع

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول فى قوله شغفها حبا قال دخل حبه تحت الشغاف حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قد شغفها حبا قال دخل حبه فى شغافها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا

(١) ان لم يكن مكررا فهو مبتدأ خبره كما قال الخ كتبه مصححه

يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من من الصاغرين قال رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ ۞ القرا آت هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء أبو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازى عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلوانى عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء النجارى عن هشام (٣) الباقون هيت لك بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان أبو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلى وخلف ربى أحسن بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن كثير من قبل ومن دبر بالاختلاس عباس قد شغفها مدغما أبو عمرو وعلى وحمزة وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم الآخرون بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده فى الحالين بالالف أبو عمرو ربى السجن بفتح السين على أنه مصدر يعقوب الباقون بالكسر ۞ الوقوف ولدا ط فى الارض ز بناء على أن الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا أو هى عطف على محذوف قبله أى ليتمكن ولنعلمه والاظهر أنها تتعلق بمحذوف بعده أى ولنعلمه من تأويل الاحاديث كان ذلك التمكن الاحاديث ط لا يعلمون ٥ وعلما ط المحسنين ٥ هيت

(٣) فيه سقط فراجع القراء

لكَ ط الظالمون ○ همت به ز قد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو لحقق ماهم به كذا قال السجاوندى وأقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد وهم بها ج برهان ربه ط والفحشاء ط المخلصين ○ لدى الباب ○ أليم ○ عن نفسى لم يذكر الائمة عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راود تنى أو على جملة هى راودتنى من أهلها ج على تقدير وقال ان كان من الكاذبين ○ الصادقين ○ من كيدكن ط عظيم ○ عن هذا سكتة للعدول عن مخاطب الى مخاطب لذنبك ج لاحتمال التعليل الخاطئين ○ عن نفسه ج لان قد لتحسين الابتداء مع اتحاد القائل حبا ط مبين ○ عليهن ج بشرا ط كريم ○ فيه ط فاستعصم ط لاحتمال القسم الصاغرين ○ اليه ج للشرط مع الواو الجاهلين ○ كيدهن ط العليم ○ حين ○

۞ التفسير قد ثبت فى الاخبار أن الذى اشتراه اما من الاخوة أو من الواردين ذهب به الى مصر و باعه فاشتراه العزيز واسمه قطفير أو اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان يلى خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل من العمالق وقد آمن بيوسف ومات فى حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف روى أن العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة وأقام فى

(١) أى بالغين المعجمة كما صرح بذلك فى الدر فتنبه

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قد شغفها حبا قال دخل حبه فى شغافها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قد شغفها حبا قال كان حبه فى شغافها * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثل حديث الحسن بن محمد عن شبابة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قد شغفها حبا يقول علقها حبا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قد شغفها حبا يقول غلبها حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن أيوب بن عائذ الطائى عن الشعبى قد شغفها حبا قال المشغوف المحب والمشغوف المجنون * وقال حدثنا أبى عن أبى الأشهب عن أبى رجاء والحسن قد شغفها حبا قال أحدهما قد علقها حبا وقال الآخر قد صدعها حبا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله قد شغفها حبا قال قد بطنها حبا قال يعقوب قال أبو بشر أهل المدينة يقولون قد بطنها حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن قال سمعته يقول فى قوله قد شغفها حبا قال بطنها حبا وأهل المدينة يقولون ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن قرة عن الحسن قد شغفها حبا قال قد بطن بها حدثنا الحسن قال ثنا أبو قطن قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن قد شغفها حبا قال بطنها حبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قد شغفها حبا قال بطن بها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قد شغفها حبا قال استبطنها حبها اياه حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد شغفها حبا أى قد علقها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قد شغفها حبا قد علقها حبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال هو الحب الذى بالقلب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك فى قوله قد شغفها حبا يقول هلكت عليه حبا والشغاف شغاف القلب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى قد شغفها حبا قال والشغاف جلدة على القلب هاهنا لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار بالغين قد شغفها على معنى ما وصفت من التأويل وقرأ ذلك أبو رجاء فقد شعفها بالعين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا أبو الاشهب عن أبى رجاء قد شعفها * قال ثنا خلف قال ثنا هشيم عن أبى الاشهب أو عوف عن أبى رجاء قد شعفها حبا * قال ثنا خلف قال ثنا محبوب قال قرأه عوف قد شعفها * قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا هرون عن أسيد عن الاعرج قد شعفها حبا وقال شعفها (١) اذا كان هو يحبها ووجه هؤلاء الكلام الى أن الحب قد عمها وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول هو من القائل قد شعف بها كأنه ذهب بها كل مذهب من شعف الجبال وهى رؤسها وروى عن ابراهيم النخعى أنه قال الشغف شغاف الحب والشعف شعف الدابة حين تذعر حدثنى بذلك الحرث عن القاسم أنه قال يروى ذلك عن أبى عوانة عن مغيرة عنه * قال الحرث قال القاسم يذهب ابراهيم أن أصل الشعف هو الذعر قال وكذلك هو كما قال ابراهيم فى الاصل الا أن العرب ربما استعملت الكلمة فوضعتها فى غير موضعها قال امرؤ القيس

أتقتلنى وقد شغفت فؤادها * كما شغف المهنوءة الرجل الطالى

قال وشغف المرأة من الحب وشعف المهنوءة من الذعر فشبه لوعة الحب وجواه بذلك * وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد شغفها حبا قال ان الشغف والشعف مختلفان والشعف فى البغض والشغف فى الحب وهذا الذى قاله ابن زيد لا معنى له لان الشعف فى كلام العرب بمعنى عموم الحب أشهر من أن يجهله ذو علم بكلامهم * والصواب فى ذلك عندنا من القراءة قد شغفها بالغين لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله انا لنراها فى ضلال مبين قلن إنا لنرى امرأة العزيز فى مراودتها فتاها عن نفسه وغلبة حبه عليها لفى خطأ من الفعل وجور عن قصد السبيل مبين لمن تأمله وعلمه أنه ضلال وخطأ غير صواب ولا سداد وانما كان قيلهن ما قلن من ذلك وتحدثهن بما تحدثن به من شأنها وشأن يوسف مكرا منهن فيما ذكر لتريهن يوسف ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ﴾ يقول تعالى ذكره فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتى قلن فى المدينة فيما ذكر الله عز وجل عنهن وكان مكرهن ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى فلما سمعت بمكرهن يقول بقولهن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أظهر النساء ذلك من قولهن تراود عبدها مكرا بها لتريهن يوسف وكان يوصف لهن بحسنه وجماله فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما سمعت بمكرهن أى بحديثهن أرسلت اليهن يقول أرسلت الى النسوة اللاتى تحدثن بشأنها وشأن يوسف وأعتدت أفعلت من العتاد وهو العدة ومعناه أعدت لهن متكأ يعنى مجلسا للطعام وما يتكئن عليه من النمارق والوسائد وهو مفتعل من قول القائل اتكأت يقال ألق له متكأ يعنى ما يتكئ عليه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد وأعتدت لهن متكأ قال طعاما وشرابا ومتكأ * قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وأعتدت لهن متكأ قال يتكئن عليه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأعتدت لهن متكأ قال مجلسا * قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن أبى الاشهب عن الحسن أنه كان يقرأ متكأ ويقول هو المجلس والطعام * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن يزيد من قرأ متكا خفيفة يعنى طعاما ومن قرأ متكأ يعنى المتكأ فهذا الذى ذكرنا عمن ذكرنا عنه من تأويل هذه الكلمة هو معنى الكلمة وتأويل المتكأ وأنها أعدت للنسوة مجلسا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج ثم فسر بعضهم المتكأ بأنه الطعام على وجه الخبر عن الذى أعد من أجله المتكأ وبعضهم عن الخبر عن الاترج اذ كان فى الكلام وآتت كل واحدة منهن سكينا لان السكين انما تعد للاترج وما أشبهه مما يقطع به وبعضهم على البزما ورد حدثنى هرون بن حاتم المقرئ قال ثنا هشيم بن الزبرقان عن أبى روق عن الضحاك فى قوله وأعتدت لهن متكأ قال البزما ورد وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى المتكأ هو النمرق يتكأ عليه وقال زعم قوم أنه الاترج قال وهذا أبطل باطل فى الارض ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبى عبيدة ثم قال والفقهاء أعلم بالتأويل منه ثم قال ولعله بعض ما ذهب من كلام العرب فان الكسائى كان يقول قد ذهب

منزله ثلاث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم آتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلاث وثلاثين وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك فى أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاء آباءكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى (أكرمى مثواه) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما أى حسنا مرضيا وفى هذه العبارة دلالة على أنه عظم شأن يوسف كما يقال سلام على المجلس العالى وقال فى الكشاف المراد تعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة فى صحبتنا ويقال للرجل كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل الرجل به من انسان رجل أو امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام فى لامرأته تتعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال (عسى أن ينفعنا) بكفاية بعض مهماتنا (أو نتخذه ولدا) لان قطفير كان لا يولد له ولد وكان خصورا وعن ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز حين قال لامرأته أكرمى مثواه فتفرس فى يوسف ما تفرس والمرأة التى أتت موسى وقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر وروى أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه

فعرفه ثم قال (وكذلك) أى كما أنعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه (مكناله) فى أرض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهى (ولنعلمه) قدم فى الوقوف بيان متعلقه وفى أوائل السورة معنى تأويل الاحاديث والمراد من الآية حكاية اعلاء شأن يوسف فى الكمالات الحقيقية وأصولها القدرة وأشار اليها بقوله مكنا والعلم وأشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب أن ابتداء ذلك كان حين ألقى فى الجب كما قال وأوحينا اليه لتنبئنهم وكان يرتقى فى ذلك الى أن بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق (والله غالب على أمره) أى على أمر نفسه لا منازع له ولا مدافع أو على أمر يوسف لم يكله الى غيره ولم ينجح كيد اخوته فيه ولم يكن الا ما أراد الله ودبر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال أمره فقال (ولما بلغ أشده) قيل فى الاشد ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون الى ثنتين وستين (آتيناه حكما وعلما) فالحكم الحكمة العملية والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان أصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون أولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدنى بخلاف أصحاب الافكار والانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلاء والمحن ففتح عليه أبواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبى حاكم على الخلق والعلم علم الدين وقيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة

من كلاب العرب شيئا كثيرا نقرض أهله والقول فى أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبى عبيدة كما أبو عبيد لا شك فيه غير أن أبا عبيدة لم يبعد من الصواب فى هذا القول بل القول كما قال من أن قال للمتكأ هو الاترج انما بين المعد فى المجلس الذى فيه المتكأ والذى من أجله أعطين السكاكين لأن السكاكين معلوم أنها لا تعد للمتكأ الا لتخريقه ولم يعطين السكاكين لذلك ومما يبين صحة القول الذى ذكرناه عن ابن عباس من أن المتكأ هو المجلس ثم روى عن مجاهد عنه ما حدثنى به سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا قال أعطتهن أترجا وأعطت كل واحدة منهن سكينا فبين ابن عباس فى رواية مجاهد هذه ما أعطت النسوة وأعرض عن ذكر ما هو معنى المتكأ اذ كان معلوما معناه ذكر من قال فى تأويل المتكأ ما ذكرنا حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس وأعتدت لهن متكأ قال الترنج حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عوف قال حدثنا عن ابن عباس أنه كان يقرؤها متكأ مخففة ويقول هو الاترج حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية وأعتدت لهن متكأ قال الطعام حدثنى يعقوب والحسين ابن محمد قالا ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وأعتدت لهن متكأ قال طعاما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن مثله حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا غندر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله وأعتدت لهن متكأ قال طعاما حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير نحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأ متكأ فهو الطعام ومن قرأها متكا خففها فهو الاترج حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله متكأ قال طعاما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو خالد القرشى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال من قرأ متكا خفيفة فهو الاترج حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث قال سمعت بعضهم يقول الاترج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأعتدت لهن متكأ أى طعاما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله * قال ثنا يزيد عن أبى رجاء عن عكرمة فى قوله متكأ قال طعاما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وأعتدت لهن متكأ يعنى الاترج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأعتدت لهن متكأ والمتكأ الطعام * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وأعتدت لهن متكأ قال الطعام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأعتدت لهن متكأ قال طعاما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله متكا فهو كل شئ يحز بالسكين قال الله تعالى ذكره

عن امرأة العزيز والنسوة اللاتى تحدثن بشأنها فى المدينة وآتت كل واحدة منهن سكينا يعنى بذلك جل ثناؤه وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتى حضرنها سكينا لتقطع به من الطعام ما تقطع به وذلك ما ذكرت أنها آتتهن اما من الاترج واما من البزماورد أو غير ذلك مما يقطع بالسكين كما

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وآتت كل واحدة منهن سكينا وأترجا يأكلنه

حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس وآتت كل واحدة منهن سكينا قال أعطتهن أترجا وأعطت كل واحدة منهن سكينا

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وآتت كل واحدة منهن سكينا ليحتززن به من طعامهن

حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآتت كل واحدة منهن سكينا وأعطتهن ترنجا وعسلا فكن يحززن الترنج بالسكين ويأكلن بالعسل وفى هذه الكلمة بيان صحة ما قلنا وأخبرنا فى قوله وأعتدت لهن متكأ وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن ايتاء امرأة العزيز النسوة السكاكين وترك ماله آتتهن السكاكين اذ كان معلوما أن السكاكين لا تدفع الى من دعى الى مجلس الا لقطع ما يؤكل اذا قطع بها فاستغنى بفهم السامع بذكر ايتائها اصواحبها السكاكين عن ذكر ماله آتتهن ذلك فكذلك استغنى بذكر اعتدادها لهن المتكأ عن ذكر ما يعتد له المتكأ مما يحضر المجالس من الاطعمة والأشربة والفواكه وصنوف الآنية لفهم السامعين بالمراد من ذلك ودلالة قوله وأعتدت لهن متكأ عليه فأما نفس المتكأ فهو ما وصفنا خاصة دون غيره وقوله وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه يقول تعالى ذكره وقالت امرأة العزيز ليوسف اخرج عليهن فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه يقول جل ثناؤه فلما رأين يوسف أعظمنه وأجللنه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أكبرنه أعظمنه

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح ، قال ونا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما رأينه أكبرنه أى أعظمنه

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وقالت اخرج عليهن ليوسف فلما رأينه أكبرنه أعظمنه

حدثنا اسمعيل بن سيف العجلى قال ثنا على بن عابس قال سمعت السدى يقول فى قوله فلما رأينه أكبرنه قال أعظمنه

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اخرج عليهن فخرج فلما رأينه أعظمنه وبهتن

حدثنا اسمعيل بن سيف قال ثنا عبد الصمد بن على الهاشمى عن أبيه عن جده فى قوله فلما رأينه أكبرنه قال حضن

حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله فلما رأينه أكبرنه يقول أعظمنه

حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد مثله وهذا القول أعنى القول الذى روى عن عبد الصمد عن أبيه عن جده فى معنى أكبرنه أنه حضن ان لم يكن عنى به أنهن حضن من اجلالهن يوسف واعظامهن ما كان الله قسم له من البهاء والجمال ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معاينتهن اياه فقول لا معنى له لأن تأويل ذلك فلما رأين يوسف أكبرنه فالهاء التى فى أكبرنه من ذكر يوسف ولا شك أن من المحال أن يحضن يوسف ولكن الخبران كان صحيحا عن ابن عباس على ما روى خليق أن يكون حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها فحينئذ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس والتحقيق فى هذا الباب أن استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وفى أوان الصغر تكون الرطوبات مستولية عليها فتضعف تلك الآلات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الآلات صالحة لان تستعملها النفس الانسانية فى تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ أشده اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال فى الكشاف (وكذلك نجزى المحسنين) فيه تنبيه على أنه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بأن النبوة غير مكتسبة والحق أن الكل بفضل الله ورحمته ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم فى كل ما يصل الى الانسان من الفيوض والآثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة ولم جرا عن الحسن من أحسن عباده ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله ثم ان يوسف كان فى غاية الحسن والجمال فلما شب طمعت فيه امرأة العزيز وذلك قوله (وراودته) والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى الخداع أى فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يزله

عن الشئ الذى يريد أن يخرجه من يده وقد يخص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هى عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطء والجماع وانما قال (التى هو فى بيتها) ولم يقل زليخا قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المرأة (وغلقت الابواب) لاريب أن التشديد يدل على التكثير لان غلق متعد كنقيضه وهو فتح والمفسرون رووا أن الأبواب كانت سبعة (وقالت هيت لك) هذه اللغة فى جميع القرآن اسم فعل بمعنى هلم الاعند من قرأ هئت لك بهاء مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهىء مثل جاء يجىء بمعنى تهيأ قال النحويون هيت جاء بالحركات الثلاثة فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهى صوت قائم مقام المصدر كأف له أى لك أقول هذا واذا لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اما خبر أى تهيأت واما أمر أى أقبل وقد روى الواحدى باسناده عن أبى زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتالج أى تعال عربه القرآن وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانبارى هذا وفاق بين لغة قريش وأهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم فى القسطاس ولغة العرب والفرس فى السجيل ولغة العرب والترك فى الغساق ولغة العرب والحبشة فى ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام أجاب يوسف عليه السلام

كان معناه فى ذلك أنهن حضن لما أكبرن من حسن يوسف وجماله فى أنفسهن ووجدن مايجد النساء من مثل ذلك وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده فى أكبرن بمعنى حضن بيتا لا أحسب أن له أصلا لانه ليس بالمعروف عند الرواة وذلك

نأتى النساء على أطهارهن ولا * نأتى النساء اذا أكبرن اكبارا

وزعم أن معناه اذا حضن وقوله وقطعن أيديهن اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه أنهن حززن بالسكين فى أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقطعن أيديهن حززن بالسكين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقطعن أيديهن قال حززن بالسكاكين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقطعن أيديهن قال حززن بالسكين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى وقطعن أيديهن قال جعل النسوة يحززن أيديهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج حدثنا اسمعيل بن سيف قال ثنا على بن عابس قال سمعت السدى يقول كانت فى أيديهن سكاكين مع الأترج فقطعن أيديهن وسالت الدماء فقلن نحن نلومك على حب هذا الرجل ونحن قد قطعنا أيدينا وسالت الدماء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد جعلن يحززن أيديهن بالسكين ولا يحسبن الا أنهن يحززن الترنج قد ذهبت عقولهن مما رأين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقطعن أيديهن وحززن أيديهن حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا ابن كدينة عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال جعلن يقطعن أيديهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقطعن أيديهن قال جعلن يحززن أيديهن ولا يشعرن بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت ليوسف اخرج عليهن فخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وغلبت عقولهن عجبا حين رأينه فجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التى معهن ما يعقلن شيأ مما يصنعن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ۞ وقال آخرون بل معنى ذلك أنهن قطعن أيديهن حتى أبنها وهن لا يشعرن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قطعن أيديهن حتى ألقينها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وقطعن أيديهن قال قطعن أيديهن حتى ألقينها * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عنهن أنهن قطعن أيديهن وهن لا يشعرن لاعظام يوسف وجائز أن يكون ذلك كان قطعا بانة وجائز أن يكون كان قطع حز وخدش ولا قول فى ذلك أصوب من التسليم لظاهر التنزيل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال أعطى يوسف وأمه ثلث الحسن حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله مثله * وبه عن أبى الاحوص عن عبد الله قال قسم ليوسف وأمه ثلث الحسن حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله قال أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الخلق حدثنى أحمد

ابن ثابت وعبد الله بن محمد الرازيان قالا ثنا عفان قال أخبرنا حماد بن سلمة قال أخبرنا ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف وأمه شطر الحسن **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي معاذ عن يونس عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطى يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا وأعطى الناس الثلثين أو قال أعطى يوسف وأمه الثلثين وأعطى الناس الثلث **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال قسم الحسن نصفين فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن والنصف الآخر بين سائر الخلق **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال قسم الحسن نصفين فقسم ليوسف وأمه النصف والنصف لسائر الناس **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي قال قسم الحسن نصفين فجعل ليوسف وسارة النصف وجعل لسائر الخلق نصف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عيسى بن يزيد عن الحسن أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا وأعطى الناس الثلثين وقوله وقلن حاش لله اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفيين حاش لله بفتح الشين وحذف الياء وقرأه بعض البصريين باثبات الياء حاشى لله وفيه لغات لم يقرأ بها حاشى الله كما قال الشاعر

حاشى أبي ثوبان ان به ٭ ضنا عن الملحاة والشتم

وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ بهذه اللغة وحاش لله بتسكين الشين والالف يجمع بين الساكنين وأما القراءة فانما هي باحدى اللغتين الاولتين فمن قرأ حاش لله بفتح الشين واسقاط الياء فانه أراد لغة من قال حاشى لله باثبات الياء ولكنه حذف الياء لكثرتها على ألسن العرب كما حذفت العرب الالف من قولهم لا أب لغيرك ولا أب لشانيك وهم يعنون لا أبا لغيرك ولا أبا لشانيك وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يزعم أن لقولهم حاشى لله موضعين في الكلام أحدهما التنزيه والآخر الاستثناء وهو في هذا الموضع عندنا بمعنى التنزيه لله كأنه قيل معاذ الله وأما القول في قراءة ذلك فانه يقال للقارئ الخيار في قراءته بأي القراءتين شاء ان شاء بقراءة الكوفيين وان شاء بقراءة البصريين وهو حاش لله وحاشى لله لانهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد وما عدا ذلك فلغات لا تجوز القراءة بها لانا لا نعلم قارئا قرأ بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقلن حاش لله قال معاذ الله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حاش لله معاذ الله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقلن حاش لله معاذ الله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حاش لله معاذ الله ٭ قال ثنا عبد الوهاب عن عمرو عن الحسن حاش لله معاذ الله **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله ما هذا بشرا يقول قلن ما هذا بشرا لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحدا فقلن لو كان من البشر لكان بعض ما رأينا من صورة البشر ولكنه من الملائكة لا من البشر كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقلن حاش لله ما هذا بشرا ما هكذا تكون البشر وبهذه القراءة قرأ عامة قراء الامصار وقد **حدثت** عن يحيى بن زياد الفراء قال ثني دعامة بن رجاء

بثلاثة أجوبة الاول (قال معاذ الله) وهو من المصادر التي لا يجوز اظهار فعلها أي أعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى أن حق الله تعالى يمنع عن هذا العمل الثاني (انه) والضمير للشأن (ربي) أي سيدي ومالكي بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع أو المراد التربية أي الذي ربياني (أحسن مثواي) حين قال أكرمي مثواه وفي هذا اشارة الى أن حق الخلق أيضا يمنع عن ذلك العمل وقيل أراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب الثالث قوله (انه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيء أو أراد الذين يزنون لانهم ظلموا أنفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة فعلى العاقل أن يحترز عنها فما أحسن نسق هذه الأجوبة قوله سبحانه (ولقد همت به وهم بها) لا شك أن الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهريين ان تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال أبو جعفر الباقر رضي الله عنه باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انها طمعت فيه وانه طمع فيها حتى هم أن يحل التكة وعن ابن عباس أنه حل الهميان أي السربال وجلس منها مجلس المجامع وعنه أيضا أنها استلقت له وقعد هو بين شعبها الاربع وروى أن يوسف حين قال ذلك لعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء وقال آخرون ان

الهمة ما كانت الاميلة النفس ولم يخرج شئ منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية العقل والحكمة متجاذبتين أما الاولون فقد فسروا برهان ربه بأن المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت فى زاوية من زوايا البيت فسترته بالانواب فقال يوسف ولم فقالت أستحيي من الهى هذا أن يرانى على المعصية فقال يوسف تستحيي من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا أستحيي من الهى القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا أفعل ذلك أبدا وعن ابن عباس أنه مثل له يعقوب عاضا فوه على أصابعه قائلا أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب فى زمرة الانبياء والى هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب به فى صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهم ما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبرئيل أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان زمرة الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وأما الآخرون فما سلموا شيأ من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا ترادف

التيمى وكان غرا عن أبى الحويرث الحنفى أنه قرأ ما هذا بشرى أى ما هذا عشترى يريد بذلك أنهن أنكرن أن يكون مثله مستعبدا يشترى ويباع وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع من الامصار على خلافها وقد بينا أن ما أجمعت عليه فغير جائز خلافها فيه وأما نصب البشر فان أهل الحجاز اذا أسقطوا الباء من الخبر نصبوه فقالوا ما عمر وقائما وأما أهل نجد فان من لغتهم رفعه يقولون ما عمر وقائم ومنه قول بعضهم حيث يقول

لشتان ما أنوى و ينوى بنو أبى * جميعا فما هذان مستويان

تمنوا لى الموت الذى يشعب الفتى * و كل فتى والموت يلتقيان

وأما القرآن فجاء بالنصب فى كل ذلك لانه نزل بلغة أهل الحجاز وقوله ان هذا الا ملك كريم يقول قلن ما هذا الا ملك من الملائكة كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان هذا الا ملك كريم قال قلن ملك من الملائكة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ﴾ يقول تعالى ذكره قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتى قطعن أيديهن فهذا الذى أصابكن فى رؤيتكن اياه وفى نظرة منكن نظرتن اليه ما أصابكن من ذهاب العقل وغروب الفهم ولها اليه حتى قطعتن أيديكن هو الذى لمتننى فى حبى اياه وشغفه فؤادى به فقلن قد شغف امرأة العزيز فتاها حبا انا لنراها فى ضلال مبين ثم أقرت لهن بأنها قد راودته عن نفسه وأن الذى تحدثن به عنها فى أمره حق فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم مما راودته عليه من ذلك كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم تقول بعد ما حل السراويل استعصى لا أدرى ما بداله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاستعصم أى فاستعصى حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فاستعصم يقول فامتنع وقوله ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين تقول ولئن لم يطاوعنى على ما أدعوه اليه من حاجتى اليه ليسجنن تقول ليحبسن فى السجن وليكونا من أهل الصغار والذلة بالحبس والسجن ولأهينه والوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مشددة كما قيل ليبطئن وأما قوله وليكونا فان الوقف عليه بالالف لانها النون الخفيفة وهى شبيهة نون الاعراب فى الاسماء فى قول القائل رأيت رجلا عندك فاذا وقف على الرجل قيل رأيت رجلا فصارت النون ألفا فكذلك ذلك فى وليكونا ومثله قوله لنسفعا بالناصية ناصية الوقف عليه بالألف لما ذكرت ومنه قول الاعشى

وصل على حين العشيات والضحى * ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وانما هو فاعبدن ولكن اذا وقف عليه كان الوقف بالالف ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين ﴾ وهذا الخبر من الله يدل على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف فى المراودة عن نفسه وتوعدته بالسجن والحبس ان لم يفعل ما دعته اليه فاختار السجن على ما دعته اليه من ذلك لانها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك كان محالا أن يقول رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه وهو لا يدعى الى شئ ولا يخوف بحبس والسجن هو الحبس نفسه وهو بيت الحبس وبكسر السين قرأ قراء الامصار كلها والعرب تضع الاماكن المشتقة من الافعال مواضع الافعال فتقول طلعت

الشمس مطلعا وغربت مغربا فيجعلونها وهى أسماء خلفا من المصادر فكذلك السجن فاذا فتحت السين من السجن كان مصدرا صحيحا وقد ذكر عن بعض المتقدمين أنه يقرؤه السجن أحب الى بفتح السين ولا أستجيز القراءة بذلك لاجماع الحجة من القراء على خلافها وتأويل الكلام قال يوسف يارب الحبس فى السجن أحب الى مما يدعونني اليه من معصيتك ويراودنني عليه من الفاحشة كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه من الزنا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يوسف وأضاف الى ربه واستعانه على ما نزل به رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه أى السجن أحب الى من أن آتى ما تنكره وقوله والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن يقول وان لم تدفع عنى يارب فعلهن الذى يفعلن بى فى مراودتهن اياى على أنفسهن أصب اليهن يقول أميل اليهن وأتابعهن على ما يردن منى ويهوين من قول القائل صبا فلان الى كذا ومنه قول الشاعر

الى هند صبا قلبى * وهند مثلها يصبى

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أصب اليهن يقول أتابعهن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والا تصرف عنى كيدهن أى ما أتخوف منهن أصب اليهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين قال لا يكن منك أنت العون والمنعة لا يكن منى ولا عندى وقوله وأكن من الجاهلين يقول واكن بصبوتى اليهن من الذين جهلوا حقك وخالفوا أمرك ونهيك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأكن من الجاهلين أى جاهلا اذا ركبت معصيتك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم﴾ ان قال قائل وما وجه قوله فاستجاب له ربه ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه ولا دعاء بصرف كيدهن عنه وانما أخبر ربه أن السجن أحب اليه من معصيته قيل ان فى اخباره بذلك شكاية منه الى ربه مما لقى منهن وفى قوله والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن معنى دعاء ومسألة منه ربه صرف كيدهن ولذلك قال الله تعالى ذكره فاستجاب له ربه وذلك كقول القائل لآخر ان لا تزرنى أهنك فيجيبه الآخر اذا أزورك لان فى قوله ان لا تزرنى أهنك معنى الامر بالزيارة وتأويل الكلام فاستجاب الله ليوسف دعاءه فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم أى نجاه من أن يركب المعصية فيهن وقد نزل به بعض ما حذر منهن وقوله انه هو السميع دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه ودعاء كل داع من خلقه العليم بطلبه وحاجته وما يصلحه وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ يقول تعالى ذكره ثم بدا للعزيز زوج المرأة التى راودت يوسف عن نفسه وقيل بدا لهم وهو واحد لانه لم يذكر باسمه ويقصد بعينه وذلك نظير قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقيل ان قائل ذلك كان واحدا وقيل معنى قوله ثم بدا لهم فى الرأى الذى كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقا ورأوا أن يسجنوه من بعد ما رأوا الآيات ببراءته مما قذفته به امرأة العزيز وتلك الآيات كانت قد القميص من دبر وخمشا فى الوجه وقطع أيديهن كما

الزواجر فهو عليه السلام كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظر فى برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما أعطاه الله من النفس القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم اذا لقى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى منه عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبى الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهى عن امضاء العزمة قالوا والهم لا يتعلق بالاعيان وانما يتعلق بالمعانى فأنتم تضمرون أنه قد هم بخالطتها ونحن نقول هم بدفعها ولولا أن عرف برهان ربه وهو أن الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بأن يدفعها أمكن أن يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولى هاربا عنها وفى قوله وهم بها فائدة أخرى هى أن ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته فى النساء وعوز قدرته عليهن بل لأجل أن دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية وقد ادعى البراءة بقوله هى راودتنى وبقوله رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه والمرأة اعترفت بذلك حين قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الآن حصحص الحق وزوج المرأة صدقه فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من أهلها كما يجىء وشهد له الله تعالى فقال (كذلك) أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو الأمر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة

حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن نصر بن عوف عن عكرمة عن ابن عباس ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات قال كان من الآيات قد في القميص وخمش في الوجه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وابن نمير عن نصر عن عكرمة مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات قال قد القميص من دبر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد من بعد ما رأوا الآيات قال قد القميص من دبر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من بعد ما رأوا الآيات قال الآيات حزهن أيديهن وقد القميص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قد القميص من دبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه براءته مما اتهم به من شق قميصه من دبر ليسجننه حتى حين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي من بعد ما رأوا الآيات قال الآيات القميص وقطع الايدي وقوله ليسجننه حتى حين يقول ليسجننه الى الوقت الذي يرون فيه رأيهم وجعل الله ذلك الحبس ليوسف فيما ذكر عقوبة له من همه بالمرأة وكفارة لخطيئته حدثت عن يحيى بن أبي زائدة عن اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس ليسجننه حتى حين عنى يوسف عليه السلام ثلاث عشرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وأنساه الشيطان ذكر ربه وقال لهم انكم لسارقون فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وذكر أن سبب حبسه في السجن كان شكوى امرأة العزيز الى زوجها أمره وأمرها كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين قال قالت المرأة لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر اليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذري فاما أن تأذن لي فاخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستني فذلك قول الله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين * وقد اختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في ليسجننه فقال بعض البصريين دخلت ههنا لانه موضع يقع فيه أي فلما كان حرف الاستفهام يدخل فيه دخلته النون لان النون تكون في الاستفهام تقول بدا لهم أيهم يأخذن أي استبان لهم وأنكر ذلك بعض أهل العربية فقال هذا عين وليس قوله هل تقومن بيمين ولتقومن لا يكون الا يمينا * وقال بعض نحويي الكوفة بدا لهم بمعنى القول والقول يأتي بكل الكلام بالقسم وبالاستفهام فلذلك جاز بدا لهم قام زيد وبدا لهم ليقومن وقيل ان الحين في هذا الموضع معنيّ به سبع سنين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن داود عن عكرمة ليسجننه حتى حين قال سبع سنين ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره ودخل مع يوسف السجن فتيان فدل بذلك على متروك قد ترك من الكلام وهو ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين فسجنوه وأدخلوه السجن ودخل معه فتيان فاستغنى بدليل قوله ودخل معه السجن فتيان على ادخالهم يوسف السجن من ذكره وكان الفتيان فيما ذكر غلامين من غلمان

السيد (والفحشاء) الزنا أو السوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم أكد الشهادة بقوله (انه من عبادنا) والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد في التأكيد فوصفه بالمخلصين أي هو من جملة من اتصف في طاعاته بصفة الاخلاص أو من جملة من أخلصه الله تعالى بناء على قراءتي فتح اللام وكسرها ويحتمل أن يكون من للابتداء لا للتبعيض أي هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم عليه السلام فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف عليه السلام وأنه برئ من الذنب ولو كان قد وجدت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في آدم وذي النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله أعلم بحقائق الامور وقوله (واستبقا الباب) أي تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدرا وانما وحد الباب لانه أراد الدانى لاجميع الابواب التي غلقتها روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب (وقدت قميصه من دبر) لانها اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق طولا (وألفيا سيدها) صادفا بعلها وهو قطفير وانما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة روى أنهما ألفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة ثم انه كان للسائل أن يسأل فما قالت المرأة اذ ذاك فقيل قالت (ما جزاء) هي استفهامية أو نافية معناه أي شئ جزاؤه أو ليس جزاؤه الا السجن أو

مان مصر الأكبر أحدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فطرح فى السجن يعنى يوسف ودخل معه السجن فتيان غلامان كانا للملك الأكبر الريان بن الوليد كان أحدهما على شرابه والآخر على بعض أمره فى سخطة سخطها عليهما اسم أحدهما مجلث والآخر نبو ونبو الذى كان على الشراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ودخل معه السجن فتيان قال كان أحدهما خباز الملك على طعامه وكان الآخر ساقيه على شرابه وكان سبب حبس الملك الفتيين فيما ذكر ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال ان الملك غضب على خبازه بلغه أنه يريد أن يسمه فحبسه وحبس صاحب شرابه ظن أنه مالأه على ذلك فحبسهما جميعا فذلك قول الله تعالى ودخل معه السجن فتيان وقوله قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما أدخل السجن قال لمن فيه من المحبسين وسألوه عن عمله انى أعبر الرؤيا فقال أحد الفتيين اللذين أدخلا معه السجن لصاحبه تعال فلنجربه كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قال لما دخل يوسف السجن قال أنا أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب هذا العبد العبرانى نترا أى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيأ فقال الخباز إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه وقال الآخر انى أرانى أعصر خمرا حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن ابراهيم عن عبد الله قال ما رأى صاحبا يوسف شيأ انما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم انما سأله الفتيان عن رؤيا كانا رأياها على صحة وحقيقة وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما رأى الفتيان يوسف قالا والله يا فتى لقد أحببناك حين رأيناك * قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يوسف قال لهم حين قالا له ذلك أنشد كما الله أن لا تحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم لقد أحبنى أبى فدخل على بحبه بلاء ثم لقد أحبتنى زوجة صاحبى هذا فدخل على بحبها اياى بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما قال فأبيا الا حبه والفه حيث كان وجعلا يحبهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين أدخلا السجن رؤيا فرأى مجلث أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه ورأى نبو أنه يعصر خمرا فاستفتياه فيها وقالا له نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين ان فعلت وعنى بقوله أعصر خمرا أى انى أرى فى نومى أنى أعصر عنبا وكذلك ذلك فى قراءة ابن مسعود فيما ذكر عنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى سلمة الصائغ عن ابراهيم بن بشير الانصارى عن محمد بن الحنفية قال فى قراءة ابن مسعود انى أرانى أعصر عنبا وذكر أن ذلك من لغة أهل عمان وأنهم يسمون العنب خمرا ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انى أرانى أعصر خمرا يقول أعصر عنبا وهو بلغة أهل عمان يسمون العنب خمرا حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع * وثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك انى أرانى أعصر خمرا قال عنبا أرض كذا وكذا يدعون العنب خمرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس انى أرانى أعصر خمرا قال عنبا حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى حمزة عن عكرمة قال أتاه فقال رأيت فيما يرى النائم أنى غرست حبلة من عنب فنبتت فخرج فيه عناقيد فعصرتهن ثم سقيتهن الملك فقال تمكث فى السجن ثلاثة أيام ثم تخرج فتسقيه

العذاب الاليم وربما فسر العذاب الاليم بالضرب بالسياط جمعت بين غرضين تنزيه ساحتها عند ذوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى أن يواتيها خوفا ان لم يواتها طوعا ثم انها لحبها يوسف راعت دقائق المحبة فذكرت السجن أولا ثم العذاب لان المحب لا يريد ألم المحبوب ما أمكن وأيضا لم تصرح بذكر يوسف وأنه أرادها سوأ بل قصدت العموم ليندرج يوسف فيه وفى قولها (الا أن يسجن) اشعار بأن ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لأجعلنك من المسجونين ففيه اشعار بالتأبيد (قال) يوسف (هى راودتنى عن نفسى) وانما صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها قال سبحانه (وشهد شاهد من أهلها) قال جمع من المفسرين الشاهد ابن عم المرأة وكان رجلا حكيما اتفق فى ذلك الوقت أنه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا أنا لا ندرى أيكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدام فأنت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلف فالرجل صادق وأنت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها (انه من كيدكن) وعن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك أن الشاهد ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وعن مجاهد الشاهد هو

خمرا وقوله وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله يقول تعالى ذكره وقال الآخر من الفتيين انى أرانى فى منامى أحمل فوق رأسى خبزا يقول أحمل على رأسى فوضعت فوق مكان على تأكل الطير منه يعنى من الخبز وقوله نبئنا بتأويله يقول أخبرنا بما يؤول اليه ما أخبرناك أنا رأيناه فى منامنا ويرجع اليه كما حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نبئنا بتأويله قال به قال الحرث قال أبو عبيد يعنى مجاهد أن تأويل الشئ هو الشئ قال ومنه تأويل الرؤيا انما هو الشئ الذى تؤل اليه وقوله انا نراك من المحسنين اختلف أهل التأويل فى معنى الاحسان الذى وصف به الفتيان يوسف فقال بعضهم هو أنه كان يعود مريضهم ويعزى حزينهم واذا احتاج منهم انسان جمع له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا خلف بن خليفة عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال كنت جالسا معه ببلخ فسئل عن قوله نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال قيل له ما كان احسان يوسف قال كان اذا مرض انسان قام عليه واذا احتاج جمع له واذا ضاق أوسع له حدثنا اسحق عن أبى اسرائيل قال ثنا خلف بن خليفة عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال سأل رجل الضحاك عن قوله انا نراك من المحسنين ما كان احسانه قال كان اذا مرض انسان فى السجن قام عليه واذا احتاج جمع له واذا ضاق عليه المكان أوسع له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن قتادة قوله انا نراك من المحسنين قال بلغنا أن احسانه أنه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فطال حزنهم فجعل يقول أبشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا أجرا ان لهذا ثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وأحسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك ما نحب إنا كنا فى غير هذا منذ حبسنا لما تخبرنا من الاجر والكفارة والطهارة فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق بن ابراهيم خليل الله وكانت عليه محبة وقال له عامل السجن يا فتى والله لو استطعت خليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن اسارك فكن فى أى بيوت السجن شئت حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن خلف الاشجعى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك فى انا نراك من المحسنين قال كان يوسع للرجل فى مجلسه ويتعاهد المرضى * وقال آخرون معناه انا نراك من المحسنين اذا نبأتنا تأويل رؤياك هذه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استفتياه فى رؤياهما وقالا له نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين ان فعلت * وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب القول الذى ذكرناه عن الضحاك وقتادة فان قال قائل وما وجه الكلام ان كان الامر اذا كما قلت وقد علمت أن مسألتهما يوسف أن ينبئهما بتأويل رؤياهما ليست من الخبر عن صفته بانه يعود المريض ويقوم عليه ويحسن الى من احتاج فى شئ وانما يقال للرجل نبئنا بتأويل هذا فانك عالم وهذا من المواضع التى تحسن بالوصف بالعلم لا بغيره قيل ان وجه ذلك أنهما قالا له نبئنا بتأويل رؤيانا محسنا الينا فى اخبارك ايانا بذلك كما نراك تحسن فى سائر أفعالك انا نراك من المحسنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا لا يأتيكما أيها الفتيان فى منامكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله فى يقظتكما قبل أن يأتيكما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

قال

القميص المشقوق من خلف وضعف بأن القميص لا يوصف بالشهادة ولا بكونه من الأهل واعترض على القول الاول بأن العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال أن الرجل قصد المرأة وهى قد غضبت عليه ففر فعدت خلفه كى تدركه وتضربه ضربا وجيعا وأجيب بأن هناك أمارات أخر منها أن يوسف كان عبد الهم والعبد لا يمكنه أن يتسلط على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال كتزين المرأة فوق المعتاد وما شوهد من أحوال يوسف فى مدة اقامته بمنزلهم واعترض على القول الثانى بأن شهادة الصبى أمر خارق للعادة فتكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولا لكونه من أهلها فائدة وأيضا الفظ شاهد لا يقع فى العرف الا على من تقدمت معرفته بالواقعة والجواب أن تعيين الطريق فى الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من أهلها أوجب للحجة عليها وألزم لها والشاهد ههنا مجاز ووجه حسنه أنه أدى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال فى الكشاف التنكير فى قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر أما الضمير فى قوله فلما رأى وفى قوله قال انه من كيدكن فقيل انه للشاهد الذى هو ابن عمها كما ذكرنا أى ان قولك وهو ما جزاء من أراد باهلك سوأ أو ان هذا الامر وهو الذى أفضى الى هذه الريبة من عملكن (ان كيدكن عظيم) قال بعض العلماء أنا أخاف النساء أكثر مما أخاف الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا

قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال قال يوسف لهما لا يأتيكما طعام ترزقانه فى النوم الا نبأتكما بتأويله فى اليقظة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يوسف لهما لا يأتيكما طعام ترزقانه يقول فى نومكما الا نبأتكما بتأويله ويعنى بقوله بتأويله ما يؤول اليه ويصير ما رأيا فى منامهما من الطعام الذى رأيا أنه أتاهما فيه وقوله ذلكما مما علمنى ربى يقول هذا الذى أذكر أنى أعلمه من تعبير الرؤيا مما علمنى ربى فعلمته انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وجاء الخبر مبتدأ أى تركت ملة قوم والمعنى ما ملت وانما ابتدأ بذلك لان فى الابتداء الدليل على معناه وقوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله يقول انى برئت من ملة من لا يصدق بالله ويقر بوحدانيته وهم بالآخرة هم كافرون يقول وهم مع تركهم الايمان بوحدانية الله لا يقرون بالمعاد والبعث ولا بثواب ولا عقاب وكررت هم مرتين فقيل وهم بالآخرة هم كافرون لما دخل بينهما قوله بالآخرة فصارت هم الاولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قيل وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قيل أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون فان قال قائل ما وجه هذا الخبر ومعناه من يوسف وأين جوابه الفتيين عما سألاه من تعبير رؤياهما من هذا الكلام قيل له ان يوسف كره أن يجيبهما عن تأويل رؤياهما لما علم من مكروه ذلك على أحدهما فأعرض عن ذكره وأخذ فى غيره ليعرضا عن مسألته الجواب عما سألاه من ذلك وبنحو ذلك قال بعض أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله قال فكره العبارة لهما وأخبرهما بشئ لم يسألاه عنه لعبرهما أن عنده علما وكان الملك اذا أراد قتل انسان صنع له طعاما معلوما فأرسل به اليه فقال يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الى قوله تشكرون فلم يدعاه فعدل بهما وكره العبارة لهما فلم يدعاه حتى عبرلهما فعدل بهما وقال ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار الى قوله يعلمون فلم يدعاه حتى عبرلهما فقال ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان وعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن جريج فقوله لا يأتيكما طعام ترزقانه فى اليقظة لا فى النوم وانما أعلمهما على هذا القول أن عنده علم ما يؤول اليه أمر الطعام الذى يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره لانه قد علم النوع الذى اذا أتاهما كان علامة لقتل من أتاه ذلك منهما والنوع الذى اذا أتاه كان علامة لغير ذلك فأخبرهما أنه عنده علم ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ يعنى بقوله واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب واتبعت دينهم لا دين أهل الشرك ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ يقول ما جاز لنا أن نجعل لله شريكا فى عبادته وطاعته بل الذى علينا افراده بالالوهة والعبادة ذلك من فضل الله علينا يقول اتباعى ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب على الاسلام وتركى ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون من فضل الله الذى تفضل به علينا فأنعم اذ أكرمنا به وعلى الناس يقول وذلك أيضا من فضل الله على الناس اذ أرسلنا اليهم دعاة الى توحيده وطاعته ولكن أكثر الناس لا يشكرون يقول ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه لانه لا يعلم من أنعم به عليه ولا يعرف المتفضل به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذلك من فضل الله علينا أن جعلنا أنبياء وعلى الناس يقول أن بعثنا اليهم رسلا

وقال للنساء ان كيدكن عظيم وأقول لا شك أن القرآن كلام الله الا أن هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريد الله تعالى امضاءه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا عرضن أنفسهن عليهم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان ثم قال الشاهد (يوسف) أى يا يوسف فحذف حرف النداء (أعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به (واستغفرى) يا امرأة (لذنبك) والاستغفار اما من الزوج أو من الله تعالى لانهم كانوا يثبتون الاله الاعظم ويجعلون الاصنام شفعاء ولهذا قال يوسف لصاحبه فى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (انك كنت من الخاطئين) من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقيل الضمير فى رأى وفى قال لزوج المرأة وأنه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار قاله أبو بكر الاصم (وقال نسوة) هو اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى ولذلك حسن حذف التاء من فعله وقد تضم نونها قال الكلبى هن أربع فى مدينة مصر امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وزاد مقاتل امرأة الحاجب والفتى الغلام الشاب والفتاة الجارية (قد شغفها) أى خرق حبه شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب و (حبا)

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول يارب شاكر نعمة غير منعم عليه لا يدرى ورب حامل فقه غير فقيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن لأن أحدهما كان مشركا فدعاه بهذا القول الى الاسلام وترك عبادة الآلهة والاوثان فقال ياصاحبى السجن يعنى يامن هو فى السجن وجعلهما صاحبيه لكونهما فيه كما قال الله تعالى لسكان الجنة فأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وكذلك قال لأهل النار وسماهم أصحابها لكونهم فيها وقوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار يقول أعبادة أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر خير أم عبادة المعبود الواحد الذى لا ثانى له فى قدرته وسلطانه الذى قهر كل شئ فذلله وسخره فأطاعه طوعا وكرها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون الى قوله لا يعلمون لما عرف نبى الله يوسف أن أحدهما مقتول دعاهما الى حظهما من ربهما والى نصيبهما من آخرتهما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ياصاحبى السجن يوسف يقوله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم دعاهما الى الله والى الاسلام فقال ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار أى خير أن تعبدوا الها واحدا أو آلهة متفرقة لا تغنى عنكم شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يعنى بقوله ماتعبدون من دونه ماتعبدون من دون الله وقال ماتعبدون وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين فقال ياصاحبى السجن لانه قصد المخاطب به ومن هو على الشرك بالله مقيم من أهل مصر فقال للمخاطب بذلك ماتعبد أنت ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الاوثان الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أربابا شركا منهم وتشبيها لها فى أسمائها التى سموها بها بالله تعالى عن أن يكون له مثل أو شبيه ما أنزل الله بها من سلطان يقول سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها ولا وضع لهم على أن تلك الاسماء أسماؤها دلالة ولا حجة ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء وقوله ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه يقول وهو الذى أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه الا الله الذى له الالوهة والعبادة خالصة دون كل ماسواه من الاشياء كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية فى قوله ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه قال أسس الدين على الاخلاص لله وحده لا شريك له وقوله ذلك الدين القيم يقول هذا الذى دعوتكما اليه من البراءة من عبادة ماسوى الله من الاوثان وأن تخلصا العبادة لله الواحد القهار هو الدين القويم الذى لا اعوجاج فيه والحق الذى لا شك فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك فلا يعلمون حقيقته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان﴾ يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا هو الذى رأى أنه يعصر خمرا فيسقى ربه يعنى سيده وهو ملكهم خمرا يقول يكون صاحب شرابه

نصب على التمييز وحقيقة شغفه أصاب شغافه كما يقال كبده اذا أصاب كبده وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة أى أحرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هنأه فأحرقه بالقطران وقال ابن الانبارى هذا من الشعف وهو رؤس الجبال أى ارتفع محبته الى أعلى المواضع من قلبها والضلال المبين الخطأ عن طريق الصواب (فلما سمعت بمكرهن) اغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما حسن التعبير عن الاغتياب بالمكر لاشتراكهما فى الاخفاء وقيل التمست منهن كتمان سرها فأفشينه فسمى مكرا (أرسلت اليهن) تدعوهن وقيل أردن بذلك أن يتوسلن الى رؤية يوسف عليه السلام فلهذا سمى مكرا وقيل كن أربعين (وأعتدت) وهيأت (لهن متكأ) موضع اتكاء وأصله موتكأ لانه من توكأت أبدلت الواو تاء ثم أدغمت والمراد هيأت لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفهات كأنها قصدت بذلك تهويل يوسف عليه السلام من مكرها اذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات فى أيديهن السكاكين توهمه أنهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهن كانوا يتكؤن للطعام والشراب والحديث على هيئة المتنعمات ولذلك نهى أن يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن بها وقيل أراد بالمتكأ الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ وقال مجاهد هو طعام يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان القاطع

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيسقي ربه خمرا قال سيده وأما الآخر وهو الذي رأى أن على رأسه خبزا تأكل الطير منه فيصلب فتأكل الطير من رأسه فذكر أنه لما عبر ما أخبراه به أنهما رأياه في منامهما قالا له ما رأينا شيأ فقال لهما قضى الأمر الذي فيه تستفتيان يقول فرغ من الأمر الذي فيه استفتيتما ووجب حكم الله عليكما بالذي أخبرتكما به

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عمارة عن ابراهيم عن عبد الله قال قال اللذان دخلا السجن على يوسف ما رأينا شيأ فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عمارة بن القعقاع عن ابراهيم عن عبد الله قضي الأمر الذي فيه تستفتيان قال لما قالا ما قالا أخبرهما فقالا ما رأينا شيأ فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله في الفتيين اللذين أتيا يوسف والرؤيا انما كانا تحالما ليجرباه فلما أول رؤياهما قالا انما كنا نلعب قال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عمارة عن ابراهيم عن عبد الله قال ما رأى صاحبا يوسف شيأ انما كانا تحالما ليجرباه علمه فقال أحدهما اني أراني أعصر عنبا وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبر قالا ما رأينا شيأ قال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان على ما عبر يوسف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال لجلسائه أما أنت فتصلب فتأكل الطير من رأسك وقال لنبو أما أنت فترد على عملك فيرضى عنك صاحبك قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أو كما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج فيه تستفتيان

(١) حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان عند قولهما ما رأينا رؤيا انما كنا نلعب قال قد وقعت الرؤيا على ما أولت حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذي فيه تستفتيان فذكر مثله ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا اذكرني عند ربك يقول اذكر لي عند سيدك وأخبره بظلمتي وأني محبوس بغير جرم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يعني لنبو أذكرني عند ربك أي اذكر للملك الاعظم مظلمتي وحبسي في غير شئ قال أفعل حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذكرني عند ربك قال للذي نجا من صاحبي السجن يوسف يقول اذكرني عند الملك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن جابر عن أسباط وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك قال عند ملك الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذكرني عند ربك يعني بذلك الملك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك الذي نجا من

(١) كذا في أصله ولم يذكر له تفسيرا وحرر

متكئ على المقطوع بآلة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصورا وهو الاترج (فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان أحسن خلق الله الا أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان أملح قيل كان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه ربه وما كان أحد يستطيع وصفه ويرى تلألؤ وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهري أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة أي دخلت في الكبر بالحيض ووجه حيضهن حينئذ بأن المرأة اذا فزعت أسقطت ولدها فحاضت فالمراد حضن ودهشن وقيل أكبرنه لما رأين عليه من نور النبوة وسيماء الرسالة وآثار الخضوع والاخبات والاخلاق الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن (وقطعن أيديهن) أي جرحنها بأن لم يعرفن الفاكهة من اليد أو بأن لم يفرقوا بين الجانب الحاد من السكين وبين مقابله فوقع الطرف الحاد في أيديهن وكفهن وحصل الاعتماد على ذلك الطرف فجرح الكف وهذا القول شديد الملاءمة لقولهن (حاش لله) أي ننزهه عما يشينه من خصلة ذميمة (ان هذا الا ملك كريم) في السيرة والعفة والطهارة وأما قول زليخا (فذلكن الذي لمتنني فيه)

فانما ينطبق على هذا التأويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة توجب حصول اليأس من الوصال وحصول الغرض المجازى وذلك يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كما أن قولهن حاش لله ما علمنا عليه تعجب من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء واللام فى لله لبيان من يبرأ وينزه وهى حرف من حروف الجر وضع موضع التنزيه والبراءة وقال أبو البقاء الجمهور على أنه ههنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر وحذف الألف من آخره للتخفيف وكثرة دوره على الألسنة تقديره حاشى يوسف أى بعد عن المعصية لخشية الله وصار فى حاشية أى ناحية (ما هذا بشرا) اعمال ما عمل ليس لغة حجازية (ان هذا) أى ما هذا الشخص (الا ملك كريم) استدل بعضهم بالآية على أفضلية الملك كما مر فى أول سورة البقرة قالوا وانما قلن ذلك لما ركز فى العقول أن لا أحسن من صورة الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بأنه لا مشابهة بين صورة الانسان وصورة الملك وأجيب بعد التسليم بتغير المدعى وهو أنهن أردن المشابهة فى الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب وزيف بأن قول النساء لا يصلح للحجة وفى الآية دلالة على أنهن باللوم أحق لانه لحقهن بنظرة واحدة ما لم يلحقها فى مدة طويلة وأنظار كثيرة فلذلك

صاحبى السجن يقول يوسف اذكرنى للملك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمى أنه لما انتهى به الى باب السجن قال له صاحب حاجتك أوصنى بحاجتك قال حاجتى أن تذكرنى عند ربك ينوى الرب الذى ملك يوسف وكان قتادة يوجه معنى الظن فى هذا الموضع الى الظن الذى هو خلاف اليقين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك وانما عبارة الرؤيا بالظن فيحق الله ما يشاء ويبطل ما يشاء وهذا الذى قاله قتادة من أن عبارة الرؤيا ظن فان ذلك كذلك من غير الانبياء فأما الانبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون أو أنه غير كائن ثم يكون مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن لأن ذلك لو جاز عليها فى أخبارها لم يؤمن مثل ذلك فى كل أخبارها واذا لم يؤمن ذلك فى أخبارها سقطت حجتها على من أرسلت اليه فاذا كان ذلك كذلك كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر الا وهو حق وصدق فعلوم اذ كان الأمر على ما وصفت أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن فيقول لأحدهما أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ثم يؤكد ذلك بقوله قضى الأمر الذى فيه تستفتيان عند قولهما لم نر شيأ الا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه أنه كائن لا محالة لا شك فيه وليقينه بكون ذلك قال للناجى منهما اذكرنى عند ربك فبين اذا بذلك فساد القول الذى قاله قتادة فى معنى قوله وقال للذى ظن أنه ناج منهما وقوله فأنساه الشيطان ذكر ربه وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان نسى لها ذكر ربه الذى لو به استغاث لأسرع مما هو فيه خلاصه ولكنه زل بها فأطال من أجلها فى السجن حبسه وأوجع لها عقوبته كما **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جعفر بن سليمان الضبعى عن بسطام بن مسلم عن مالك بن دينار قال لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قال قيل يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يا رب أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت كلمة فويل لاخوتى **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنه يعنى يوسف قال الكلمة التى قال مالبث فى السجن طول مالبث **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا يونس عن الحسن قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته مالبث فى السجن طول مالبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك قال ثم يبكى الحسن فيقول نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لولا كلمة يوسف مالبث فى السجن طول مالبث **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن ابراهيم ابن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لولم يقل يوسف يعنى الكلمة التى قال مالبث فى السجن طول مالبث يعنى حيث يبتغى الفرج من عند غير الله **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لولم يستعن يوسف على ربه مالبث فى السجن طول مالبث **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لولا أن يوسف استشفع على ربه مالبث فى السجن طول مالبث ولكن انما عوقب باستشفاعه على ربه **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن

ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال له اذكرني عند ربك قال فلم يذكره حتى رأى الملك الرؤيا وذلك أن يوسف أنساه الشيطان ذكر ربه وأمره بذكر الملك وابتغاء الفرج من عنده فلبث في السجن بضع سنين بقوله اذكرني عند ربك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال فلبث في السجن بضع سنين عقوبة لقوله اذكرني عند ربك * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثل حديث محمد ابن عمرو سواء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل حديث المثنى عن أبي حذيفة * وكان محمد بن اسحق يقول انما أنسى الشيطان الساقي ذكر أمر يوسف للملك هم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما خرج يعني الذي ظن أنه ناج منهما رد على ما كان عليه ورضي عنه صاحبه فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذي أمره يوسف أن يذكره فلبث يوسف بعد ذلك في السجن بضع سنين يقول جل ثناؤه فلبث يوسف في السجن لقيله للناجي من صاحبي السجن من القيل اذكرني عند سيدك بضع سنين عقوبة له من الله بذلك * واختلف أهل التأويل في قدر البضع الذي لبث يوسف في السجن فقال بعضهم هو سبع سنين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد أبو عثمة قال ثنا سعيد عن قتادة قال لبث يوسف في السجن سبع سنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلبث في السجن بضع سنين قال سبع سنين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ان أبا الهذيل الصنعاني قال سمعت وهبا يقول أصاب أيوب البلاء سبع سنين وترك في السجن يوسف سبع سنين وعذب بختنصر (١) يحول في السباع سبع سنين حدثني المثنى قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال زعموا أنها يعني البضع سبع سنين كما لبث يوسف * وقال آخرون البضع ما بين الثلاث الى التسع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال سمعت أبا قتادة يقول البضع ما بين الثلاث الى التسع حدثنا وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن منصور عن مجاهد بضع سنين قال ما بين الثلاث الى التسع * وقال آخرون بل هو ما دون العشر ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس بضع سنين دون العشرة وزعم الفراء أن البضع لا يذكر الا مع عشر ومع العشرين الى التسعين وهو نيف ما بين الثلاثة الى التسعة وقال كذلك رأيت العرب تفعل ولا يقولون بضع ومائة ولا بضع وألف واذا كانت للذكران قيل بضع والصواب في البضع من الثلاث الى التسع الى العشر ولا يكون دون الثلاث وكذلك ما زاد على العقد الى المائة وما زاد على المائة فلا يكون فيه بضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون﴾ يعني جل ذكره بقوله وقال ملك مصر اني أرى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع من البقر عجاف وقال اني أرى ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره لتعارف العرب بينها في كلامها اذا قال القائل منهم أرى أني أفعل كذا وكذا أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه وان لم يذكر النوم وأخرج الخبر جل ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم وسبع سنبلات خضر يقول وأرى سبع سنبلات خضر في منامي وأخر يقول وسبعا أخر من السنبل يابسات يا أيها الملأ يقول يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي أفتوني في رؤياي فاعبروها ان كنتم للرؤيا عبرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

(١) أي بالمسخ سبعا وصار يحول في السباع كما يؤخذ من الكامل كتبه مصححه

(قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) وسئل ههنا ان يوسف كان حاضرا فلم أشارت بعبارة البعيد وأجاب ابن الانباري بأنها أشارت اليه بعد انصرافه من المجلس وهذا شئ يتعلق بالنقل وأما علماء البيان فانهم بنوا الأمر على أن يوسف حاضر وأجابوا بأنها لم تقل فهذا رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به واستبعادا لمحله أو هو اشارة الى المعنى بقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني كأنها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه يعني أنكن لم تصورنه قبل ذلك حق التصوير والا عذرتنني في الافتتان به ولما أظهرت عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) قال السدي أي بعد حل السراويل والذين يثبتون عصمة الانبياء قالوا ان استعصم بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحرز الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وفيه شهادة من المرأة على أن يوسف ما صدر عنه أمر بخلاف الشرع والعقل أصلا (ولئن لم يفعل ما آمره) قال في الكشاف معناه الذي آمره به فحذف الجار كما في أمرتك الخير أو ما مصدرية والضمير ليوسف أي أمري اياه أي موجب أمري ومقتضاه (وليكونا من الصاغرين) هي نون التأكيد المخففة ولهذا تكتب بالألف لان الوقف عليها بالألف والصغار الذل والهوان ومعلوم أن التوعد بالصغار له تأثير عظيم في حق من كان رفيع النفس

جليل القدر مثل يوسف ثم انه اجتمع على يوسف فى هذه الحالة أنواع من المحن والفتن منها أن زليخا كانت فى غاية الحسن ومنها أنها كانت ذات مال وثروة وقد عزمت أن تبذل الكل ليوسف على تقدير أن يساعدها ومنها أن النسوة اجتمعن عليه مرغبات ومخوفات ومنها أنها كانت ذات قدرة ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله ولا ريب أن نطاق عصمة البشرية يضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا عن كلها وعن أزيد منها ولهذا لجأ يوسف عليه السلام الى الله تعالى قائلا (رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه) لان السجن وان كان مشقة فهى زائلة والذى يدعونه اليه وان كان لذة الا أنها عاجلة مستعقبة لخزى الدنيا وعذاب الآخرة (والا تصرف عنى كيدهن) بترجيح داعية الخير وعزوف النفس أو بمزيد الالطاف والعصمة (أصب اليهن) والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو الى روحها (واكن من الجاهلين) الذين لا يعلمون ما يعلمون ولا يكون فى علمهم فائدة أو من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما كان فى قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه (فاستجاب له ربه) ثم ان المرأة أخذت فى الاحتيال وقالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى فضحنى فى الناس ويقول لهم فى المجالس انى راودته عن نفسه وأنا لا أقدر على اظهار عذرى فاما أن تأذن لى فأخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستنى فعند ذلك وقع

حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى قال ان الله أرى الملك فى منامه رؤيا هالته فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحزاة والقافة فقصها عليهم فقالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ان الملك الريان بن الوليد رأى رؤياه التى رأى فهالته وعرف أنها رؤيا واقعة ولم يدر ما تأويلها فقال للملأ حوله من أهل مملكته انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله بعالمين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴾ يقول تعالى ذكره قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه رؤيا هذه أضغاث أحلام يعنون أنها أحلام رؤيا كاذبة لا حقيقة لها وهى جمع ضغث والضغث أصله الحزمة من الحشيش يشبه بها الاحلام المختلطة التى لا تأويل لها والأحلام جمع حلم وهو ما لم يصدق من الرؤيا ومن الاضغاث(١) قول ابن مقبل

خود كأن فراشها وضعت به * أضغاث ريحان غداة شمال

ومنه قول الآخر

يحمى ذمار جنين قل مانعه * طاو كضغث الخلا فى البطن مكتمن

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام يقول مشتبهة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أضغاث أحلام كاذبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما نقص الملك رؤياه التى رأى على أصحابه قالوا أضغاث أحلام أى فعل الأحلام حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أضغاث أحلام قال أخلاط أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبى مرزوق عن جويبر عن الضحاك قال أضغاث أحلام كاذبة * قال ثنى المحاربى عن جويبر عن الضحاك قالوا أضغاث قال كذب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أضغاث أحلام هى الاحلام الكاذبة وقوله وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يقول وما نحن بما تؤل اليه الأحلام الكاذبة بعالمين والباء الأولى التى فى التأويل من صلة العالمين والتى فى العالمين الباء التى تدخل فى الخبر مع ما التى بمعنى الجحد ورفع أضغاث أحلام لان معنى الكلام ليس هذه الرؤيا بشئ انما هى أضغاث أحلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذى نجا منهما واذكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذى نجا من القتل من صاحبى السجن اللذين استعبر ايوسف الرؤيا واذكر يقول وتذكر ما كان نسى من أمر يوسف وذكر حاجته للملك التى كان سأله عند تعبيره رؤياه أن يذكره له بقوله اذكرنى عند ربك بعد أمة يعنى بعد حين كالذى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس واذكر بعد أمة قال بعد حين حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش

(١) أى بمعناه الحقيقى وهو الحزمة الخ فتنبه كتبه مصححه

واذكر

واذكر بعد أمة بعد حين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال واذكر بعد أمة قال بعد حين حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس مثله * قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذكر بعد أمة يقول بعد حين حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذكر بعد أمة قال ذكر بعد حين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن واذكر بعد أمة بعد حين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واذكر بعد أمة بعد حين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن كثير بعد أمة بعد حين قال ابن جريج وقال ابن عباس بعد أمة بعد سنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي واذكر بعد أمة قال بعد حين حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة واذكر بعد أمة أي بعد حقبة من الدهر وهذا التأويل على قراءة من قرأ بعد أمة بضم الألف وتشديد الميم وهي قراءة القراء في أمصار الاسلام وقد روي عن جماعة من المتقدمين أنهم قرؤا ذلك بعد أمه بفتح الألف وتخفيف الميم وفتحها بمعنى بعد نسيان وذكر بعضهم أن العرب تقول من ذلك أمه الرجل يأمه أمها اذا نسي وكذلك تأوله من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ بعد أمه ويفسرها بعد نسيان حدثنا ابن حميد قال ثنا بهز بن أسد عن همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأ بعد أمه يقول بعد نسيان حدثني أبو غسان مالك بن الخليل اليحمدي قال ثنا ابن أبي عدي عن أبي هرون الغنوي عن عكرمة أنه قرأ بعد أمه والأمه النسيان حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية قال ثنا أبو هرون الغنوي عن عكرمة مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب قال قال هرون وثنى أبو هرون الغنوي عن عكرمة بعد أمه بعد نسيان * قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة واذكر بعد أمه بعد نسيان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس أي بعد نسيان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واذكر بعد أمه قال من بعد نسيانه حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن عبد الكريم أبي أمية المعلم عن مجاهد أنه قرأ واذكر بعد أمه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أب مرزوق عن جويبر عن الضحاك واذكر بعد أمه قال بعد نسيان حدثت عن حسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله واذكر بعد أمه يقول بعد نسيان وقد ذكر فيها قراءة ثالثة وهي ما حدثني به المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن حميد قال قرأ مجاهد واذكر بعد أمه مجزومة الميم مخففة وكأن قارئ ذلك كذلك أراد به المصدر من قولهم أمه يأمه أمها وتأويل هذه القراءة نظير تأويل من فتح الألف والميم وقوله أنا أنبئكم بتأويله يقول أنا أخبركم بتأويله فأرسلون يقول فاطلقوني أمضي لآتيكم بتأويله من عند العالم به وفي الكلام

في قلب العزيز أن الاصلح حبسه حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله تعالى (ثم بدا) أي ظهر (لهم) للعزيز ومن يليه أوله وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الأشراف (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي واعتراف المرأة وشهادة النسوة له بالسيرة الملكية والعفة وفاعل بدا مضمر أي ظهر لهم رأي أو سجنه وانما حذف لدلالة ما يفسره عليه وهو (ليسجننه) والقسم محذوف (حتى حين) الى زمان ممتد عن ابن عباس الى زمان انقطاع القالة وما شاع في المدينة وعن الحسن خمس سنين وعن غيره سبع سنين وعن مقاتل أنه حبس اثنتي عشرة سنة

(التأويل) لما أخرجوا يوسف القلب من جب الطبيعة ذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتراه عزيز مصرها وهو الدليل المربي على جادة الطريقة ليوصله الى عالم الحقيقة فقال لامرأته وهي الدنيا أكرمي مثواه اخدميه بقدر الحاجة الضرورية عسى أن ينفعنا حتى يكون صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا بأكسير النبوة فتصير الشريعة حقيقة والدنيا آخرة أو نتخذه ولدا نربيه بلبان ثدي الشريعة والطريقة الى أن يرى الفطام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا يشير الى أن تمكين يوسف القلب في أرض البشرية انما هو لتعلم العلم اللدني لان الثمرة انما تظهر على الشجرة اذا كان أصل الشجرة راسخا في الارض والله

غالب على أمر القلب فى توجيهه الى محبة الله وطلبه أو على أمر القالب بجذبات العناية واقامته على الصراط المستقيم فتكون تصرفاته بالله ولله وفى الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم خلقوا مستعدين لهذا الكمال وكذلك نجزى المحسنين أى كما أفضنا على القلب ما هو مستحقه من الحكمة والعلم كذلك نجزى الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا أحسنوا الاعمال والاخلاق على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وراودته فيه اشارة الى أن يوسف القلب وان استغرق فى بحر صفات الالوهية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا مادام هو فى بيتها أى فى الجسد الدنياوى وغلقت أبواب أركان الشريعة وقالت هيت لك أقبل الى وأعرض عن الحق قال أى القلب الفانى عن نفسه الباقى بقاء ربه معاذ الله عما سواه أحسن مثواى فى عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية لولا أن رأى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة التى هى من نتائج نظر العناية لنصرف عنه السوء الحرص على الدنيا والفحشاء بصرف حب الدنيا فيه انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازى ووصلوا الى الوجود الحقيقى واستبقا باب الموت الاختيارى وقدت قميص بشريته من دبر بيد شهواتها قبل خروجه من الباب وألفيا سيدها وهو صاحب ولاية

محذوف قد ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وذلك فأرسلوه فأتى يوسف فقال له يا يوسف يا الصديق كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق (١) قال قال الملك للملا حوله انى سبع بقرات سمان الآية وقالوا له ما قال سمع نبو من ذلك ما سمع ومسألته عن تأويلها يوسف وما كان عبر له ولصاحبه وما جاء من ذلك على ما قال من قوله قال أنا أنبئكم بتأ فأرسلون يقول الله تعالى واذكر بعد أمة أى حقبة من الدهر فأتاه فقال يا يوسف ان الملك رأى كذا وكذا فقص عليه الرؤيا فقال فيها يوسف ماذكر الله تعالى لنا فى الكتاب فجاءهم فلق الصبح تأويلها فخرج نبو من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك وأخبره وقيل ان الذى نجا منهما انما قال أرسلونى لان السجن لم يكن فى المدينة ذكر من قال ذلك ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى وقال الذى نجا منهما واذكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون قال ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة فانطلق الساقى الى يوسف فقال أفتنا فى سبع بقرات سمان الآيات قوله أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات فان معناه أفتنا فى سبع بقرات سمان رئين فى المنام يأكلهن سبع منها عجاف وفى سبع سنبلات خضر رئين أيضا وسبع أخر منهن يابسات فأما السمان البقر فانها السنون المخصبة كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف قال أما السمان فسنون منها مخصبة وأما السبع العجاف فسنون مجدبة لا تنبت شيأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفتنا فى سبع بقرات سمان فالسمان المخاصيب والبقرات العجاف هى السنون المحول الجدوب قوله وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أما الخضر فهن السنون المخاصيب اليابسات فهن الجدوب المحول والعجاف جمع عجف وهى المهازيل وقوله لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون يقول كى أرجع الى الناس فأخبرهم لعلهم يعلمون يقول ليعلموا تأويل ما سألته عنه من الرؤيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك تزرعون سبع سنين دأبا يقول تزرعون هذه السبع السنين كما كنتم تزرعون سالف السنين فيما عادتكم فيما مضى والدأب العادة ومن ذلك قول امرئ القيس

كدأبك من أم الحويرث قبلها ٭ وجارتها أم الرباب بمأسل

يعنى كعادتك منها وقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون وهذه مشورة بها نبى الله صلى الله عليه وسلم على القوم ورأى رآه لهم صلاحا يأمرهم باستبقاء طعامهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال لهم نبى الله يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الآية فانما أراد نبى الله صلى الله عليه وسلم البقاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ﴾ يقول ثم يأتى من بعد السنين السبع التى تزرعون فيها دأبا سنون سبع شداد يقول جدوب قحطة يأكلن ما قدمتم لهن يقول يؤكل فيهن ما قدمتم فى اعدادكم أعددتم لهن فى السنين السبعة الخصيبة الطعام والاقوات وقال جل ثناؤه يأكلن فوصف السنين بأنهن يأكلن وانما المعنى أن أهلهن الناحية يأكلون فيهن كما قيل نهارك يا مغرور سهو وغفلة ٭ وليلك نوم والردى لك لازم

فوصف النهار بالسهو والغفلة والليل بالنوم وانما يسهى فى هذا ويغفل فيه وينام فى هذا

(١) فى عبارة ابن اسحق هنا تفكيك ونخشى أن يكون حصل فيها سقط من النساخ فتأمل

المخاطبين بمعناه والمراد منه الاقليل مما تحصنون يقول الا يسيرا مما تحرزونه والاحصان التصيير في الحصن وانما المراد منه الاحراز * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله يأكلن ما قدمتم لهن يقول يأكلن ما كنتم اتخذتم فيهن من القوت الا قليلا مما تحصنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد وهن الجدوب المحول يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد وهن الجدوب يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون مما تدخرون حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الا قليلا مما تحصنون يقول تخزنون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تحصنون تحرزون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون قال مما ترفعون وهذه الاقوال في قوله تحصنون وان اختلفت ألفاظ قائليها فيه فان معانيها متقاربة وأصل الكلمة وتأويلها على ما بينت ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ وهذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقه كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال ثم زاده الله علما سنة لم يسألوه عنها فقال ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ويعني بقوله فيه يغاث الناس بالمطر والغيث وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس قال فيه يغاثون بالمطر حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن يزيد الواسطي عن جويبر عن الضحاك فيه يغاث الناس قال بالمطر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ثم يأتي من بعد ذلك عام قال أخبرهم بشيء لم يسألوه عنه وكان الله قد علمها إياه عام فيه يغاث الناس بالمطر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فيه يغاث الناس بالمطر وأما قوله وفيه يعصرون فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه وفيه يعصرون العنب والسمسم وما أشبه ذلك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وفيه يعصرون قال الاعناب والدهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وفيه يعصرون السمسم دهنا والعنب خمرا والزيتون زيتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون يقول يصيبهم عنب فيعصرون فيه العنب ويعصرون فيه الزيت ويعصرون من كل الثمرات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفيه يعصرون قال يعصرون أعنابهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي وفيه يعصرون قال العنب حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن يزيد الواسطي عن جويبر عن الضحاك وفيه يعصرون قال الزيت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وفيه يعصرون قال كانوا يعصرون الاعناب والثمرات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيه يعصرون قال يعصرون الاعناب والزيتون والثمار

تربية يوسف القلب وزوج زليخا الدنيا لأنه يتصرف في الدنيا كما ينبغي تصرف الرجل في المرأة وشهد شاهد من أهلها هو حاكم العقل الغريزي دون العقل المجرد الذي هو ليس من الدنيا وأهلها في شيء فبين حاكم العقل أن يد تصرف زليخا الدنيا لا تصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص بشريته ان كيدكن عظيم وهو قطع طريق الوصول الى الله لعظيم على القلب السليم يوسف أعرض عن هذا

من الخصب هذا علم آتاه الله يوسف لم يسئل عنه * وقال آخرون معنى قوله وفيه يعصرون وفيه يحلبون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى فضالة عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس وفيه يعصرون قال فيه يحلبون حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد قال ثنا الفرج بن فضالة عن على بن أبى طلحة قال كان ابن عباس يقرأ وفيه تعصرون بالتاء يعنى تحتلبون واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعض قراء أهل المدينة والبصرة والكوفة وفيه يعصرون بالياء بمعنى ما وصفت من قول من قال عصر الاعناب والادهان وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وفيه تعصرون بالتاء وقرأه بعضهم وفيه يعصرون بمعنى يمطرون وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها ما عليه قراء الامصار والصواب من القراءة فى ذلك أن لقارئه الخيار فى قراءته بأى القراءتين الأخريين شاء ان شاء بالياء ردا على الخبر عن الناس على معنى فيه يغاث الناس وفيه يعصرون أعنابهم وأدهانهم وان شاء بالتاء ردا على قوله الا قليلا مما تحصنون وخطابا به لمن خاطبه بقوله يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون لانهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار باتفاق المعنى وان اختلفت الالفاظ بهما وذلك أن المخاطبين بذلك كانوا لا شك أنهم اذا أغيثوا وعصروا أغيث الناس الذين كانوا بناحيتهم وعصروا وكذلك كانوا اذا أغيث الناس بناحيتهم وعصروا أغيث المخاطبون وعصروا فهما متفقتا المعنى وان اختلفت الالفاظ بقراءة ذلك وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله وفيه يعصرون الى وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث ويزعم أنه من العصر والعصر التى بمعنى المنجاة من قول أبى زبيد الطائى

صاديا يستغيث غير مغاث * ولقد كان عصرة المنجود

أى المقهور ومن قول لبيد

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم * وما كان وقافا بغير معصر

وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين وأما القول الذى روى الفرج بن فضالة عن على بن أبى طلحة فقول لا معنى له لانه خلاف المعروف من كلام العرب وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ ﴿ وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم ﴾ يقول تعالى ذكره فلما رجع الرسول الذى أرسلوه الى يوسف الذى قال أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف علم الملك حقيقة ما أفتاه به من تأويل رؤياه وصحة ذلك وقال الملك ائتونى بالذى عبر رؤياى هذه كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فخرج نبو من عند يوسف بما أفتاهم به من تأويل رؤيا الملك حتى أتى الملك فأخبره بما قال فلما أخبره بما فى نفسه بمثل النهار وعرف أن الذى قال كائن كما قال قال ائتونى به حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما أتى الملك رسوله قال ائتونى به وقوله فلما جاءه الرسول يقول فلما جاءه رسول الملك يدعوه الى الملك قال ارجع الى ربك يقول قال يوسف للرسول ارجع الى سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن وأبى أن يخرج مع الرسول واجابة الملك حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قذفوه به من شأن النساء فقال للرسول سل الملك ما شأن النسوة اللاتى قطعن أيديهن والمرأة التى سجنت بسببها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما جاءه الرسول قال ارجع

فان ذكر الدنيا يورث محبتها وحب الدنيا رأس كل خطيئة وقال نسوة هى الصفات البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية فى مدينة الجسد تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شئ يا دنيا اخدمى من خدمنى وأعتدت لهن متكأ أطعمة مناسبة لكل منها وآتت كل واحدة منهن سكينا هو سكين الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى غلبات أحوال القلب على الصفات البشرية وقطعن أيديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم أى ظهر لمربى القلب بلسان الشريعة وهو

الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن والمرأة التى سجنت بسبب أمرها عما كان من ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما أتى الملك رسوله فأخبره قال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك أبى يوسف الخروج معه وقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن الآية قال السدى قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت فى نفس العزيز منه حاجة يقول هذا الذى راود امرأته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن رجل عن أبى الزناد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله يوسف ان كان ذا أناة لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل الى لخرجت سريعا ان كان لحليما ذا أناة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم جاءنى الداعى لأجبته اذ جاءه الرسول فقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن الآية حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى سليمن ابن بلال عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا زكريا بن أبان المقرئ قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثنى بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا حماد عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ هذه الآية ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت أنا لأسرعت الاجابة وما ابتغيت العذر حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ ومحمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو بعث الى لأسرعت فى الاجابة وما ابتغيت العذر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم بشئ حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة أراد نبى الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج حتى يكون له العذر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن قال أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن وقوله ان ربى بكيدهن عليم يقول ان الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التى فعلن بى ويفعلن بغيرى من الناس لا يخفى عليه ذلك كله وهو من وراء جزائهن على ذلك وقيل ان معنى ذلك ان سيدى لطيف العزيز زوج المرأة التى راودتنى عن نفسى ذو علم ببراءتى مما قذفتنى به من السوء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من

شيخ الطريقة ومن يراعى صلاح حال القلب من بعد ما رأوا آثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه فى سجن الشرع الى حين قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واذا كان النبى مع نهاية كماله مأمورا بأن يكون مسجونا فى هذا السجن فكيف بمن دونه والله أعلم ﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما

سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ وفى هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ماذكر عليه عنه وهو فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما جاء الرسول الملك من عند يوسف بما أرسله اليه جمع النسوة وقال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه ويعنى بقوله ماخطبكن ما كان أمركن وما كان شأنكن اذ راودتن يوسف عن نفسه فأجبنه فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق تقول الآن تبين الحق وانكشف فظهر أنا راودته عن نفسه وان يوسف لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى وعمل ما قلت فى معنى الآن حصحص الحق قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس الآن حصحص الحق قال تبين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الآن حصحص الحق تبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الآن حصحص الحق الآن تبين الحق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الآن حصحص الحق قال تبين حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد قال ثنا أسباط عن السدى الآن حصحص الحق قال تبين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدى مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت راعيل امرأة اطفير العزيز الآن حصحص الحق أى الآن برز الحق وتبين أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فيما كان قال يوسف مما ادعت عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال قال الملك ائتونى بهن فقال ماخطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه ودخل معها البيت وحل سراويله ثم شده بعد ذلك فلا ندرى ما بدا له فقالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الآن حصحص الحق تبين وأصل حصحص حص ولكن قيل حصحص كما قيل فكبكبوا فى كبوا وقيل كفكف فى كف وذرذر فى ذر وأصل الحص استئصال الشئ يقال منه حص شعره اذا استأصله جزا وانما أريد فى هذا الموضع حصحص الحق ذهب الباطل والكذب فانقطع وتبين الحق فظهر

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ﴾

يعنى بقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب هذا الفعل الذى فعلته من ردى رسول الملك اليه وتركى اجابته والخروج اليه ومسألتى اياه أن يسأل النسوة اللاتى قطعن أيديهن عن شأنهن اذ قطعن أيديهن انما فعلته ليعلم أنى لم أخنه فى زوجته بالغيب يقول لم أركب منها فاحشة فى حال غيبته عنى واذا لم يركب ذلك بغيبته فهو فى حال مشهده اياه أحرى أن يكون بعيدا من ركوبه ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يقول يوسف ذلك ليعلم الطفير سيده أنى

طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر

لم أخنه بالغيب أنى لم أكن لاخالفه الى أهله من حيث لا يعلمه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب يوسف بقوله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب يوسف يقوله لم أخن سيدى * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال يوسف يقوله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال هذا قول يوسف حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبى صالح فى قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال هو يوسف لم يخن العزيز فى امرأته حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب هو يوسف يقول لم أخن الملك بالغيب وقوله والله لا يهدى كيد الخائنين يقول فعلت ذلك ليعلم سيدى أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين يقول وأن الله لا يسدد صنيع من خان الامانات ولا يرشد فعالهم فى خيانتهموها واتصل قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب بقول امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين لمعرفة السامعين لمعناه كاتصال قول الله تعالى وكذلك يفعلون بقول المرأة وجعلوا أعزة أهلها أذلة وذلك أن قوله وكذلك يفعلون خبر مبتدأ وكذلك قول فرعون لاصحابه فى سورة الاعراف فماذا تأمرون وهو متصل بقول الملا يريد أن يخرجكم من أرضكم والله أعلم

الناس لا يعلمون ياصاحبى السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين

﴿تم الجزء الثانى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثالث عشر وأوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أبرئ نفسى الآيات

(فهرست الجزء الثانى عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

صحيفة	
٢	تأويل قوله تعالى ومامن دابة الآية وبيان الصواب فى معنى الدابة والمستقر والمستودع
٣	تأويل قوله وهو الذى خلق السموات الآية وبيان بدء هذا العالم وخلق السموات فى أيام الاسبوع
٨	بيان أن الانسان اذا عمل الطيبات لاجل الدنيا يستوفى أجر ذلك فيها وليس له فى الآخرة الا ماعمل لها
١٠	تأويل قوله أفمن كان على بينة الآية وذكر الخلاف فى المراد من البينة وبيان الصواب فيها
١٣	بيان نهى الله رسوله عن الشك فى أن النار موعد من كفر
١٣	تأويل قوله ومن أظلم الآية وبيان معنى الأشهاد ومايفعل بالمرء يوم القيامه
١٧	تأويل قوله ولقد أرسلنا نوحا وبيان ماتم لنوح مع قومه
٢٠	تأويل قوله أم يقولون افتراه وبيان أنه من كلام الله لمحمد صلى الله عليه وسلم
٢١	بيان مقدار الزمن الذى مكثه نوح فى قومه يدعوهم الى التوحيد وماصنع قومه به
٢٥	بيان أن أول انفجار الماء كان من أى موضع
٣٠	بيان الموضع واليوم اللذين رست فيهما السفينة ومافعله نوح ومن معه فى ذلك اليوم
٣١	بيان أن ابن نوح الذى أغرق هل هو ابنه أو ابن امرأته
٣٥	تأويل قوله والى عاد وسياق خبر هود معهم
٣٨	تأويل قوله والى ثمود وذكر خبر صالح معهم
٤٢	تأويل قوله ولما جاءت رسلنا ابراهيم وذكر خبره مع الملائكة
٤٩	تأويل قوله ولما جاءت رسلنا لوطا وتمام قصته مع الملائكة وقومه
٦٠	تأويل قوله والى مدين أخاهم شعيبا وذكر نصائحه لأهل مدين وماتم له معهم

صحيفة	
٦٩	تأويل قوله يوم يأت الآية وبيان المراد بالاستثناء المذكور فى شأن أهل النار وأهل الجنة
٧٦	تأويل قوله وأقم الصلاة الآية وبيان ما أشير بالآية اليه من الصلوات
٨٤	تأويل قوله ولو شاء ربك لجعل الناس الآية وبيان أن الاختلاف بالشقاء والسعادة من مقتضيات علمه
٨٩	(تفسير سورة يوسف)
٩٠	ذكر أسماء الكواكب التى رآها يوسف عليه السلام فى منامه
٩٥	ذكر مافعل اخوة يوسف به حين أرادوا القاءه فى الجب
٩٧	ذكر مافعله نبى الله يعقوب حين أتى بنوه بالقميص ملطخا بالدم
١٠٠	ذكر مافعله الذين أخرجوا يوسف من الجب واخفائهم أمره عمن معهم من التجار
١٠١	بيان أن اخوة يوسف باعوه الذى أخرجه بثمن زهيد
١٠٤	بيان من اشترى يوسف من مصر
١٠٥	بيان السن الذى بلغ فيه يوسف أشده
١٠٦	بيان مافعلته امرأة العزيز حين راودت يوسف
١٠٨	بيان البرهان الذى رآه يوسف
١١٥	بيان الخلاف فى الشاهد الذى شهد ليوسف
١١٩	بيان المكر الذى سمعته امرأة العزيز والمتكأ الذى أعدته
١٢٦	ذكر خبر الغلامين اللذين دخلا معه السجن
١٣٣	ذكر الخلاف فى قدر المدة التى لبثها يوسف فى السجن
١٣٣	ذكر المنام الذى رآه الملك وطلب تعبيره
١٣٩	ذكر ماورد فى صبره عليه السلام

(تم فهرست الجزء الثانى عشر من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء الثانى عشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثانى عشر من تفسير ابن جرير)

صحيفة	
٢	(سورة هود)
٤	تفسير قوله تعالى الر الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٨	بيان كيفية خلق السموات والارض
١٣	بيان فائدة التحدى بالقرآن جميعه ثم بعشر سور ثم بسورة
١٩	تأويل تلك الآيات
٢٢	تفسير قوله ولقد أرسلنا نوحا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٩	بيان طول السفينة وما أخذت منه
٣٢	بيان مدة سير السفينة
٣٤	الكلام على آية وقيل يا أرض ابلعى ماءك من جهة المعانى والبيان
٤٠	تاويل تلك الآيات
٤٣	تفسير قوله والى عاد الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٤٦	بيان فوائد الاستغفار
٥٢	تفسير قوله ولقد جاءت رسلنا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٣	ذكر قصة ابراهيم مع الملائكة
٥٧	ذكر قصة لوط مع قومه والملائكة
٦٤	تفسير قوله والى مدين الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

صحيفة	
٦٨	بيان أن العمى تأباه النبوة
٧٣	تفسير قوله ان فى ذلك لآية الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٧٧	بيان ما استدل به بعض الناس على أن عذاب الكفار منقطع ورده
٨٣	بيان أشق آية أنزلت
٩٢	تأويل تلك الآيات
٩٥	(تفسير سورة يوسف)
٩٧	بيان ما احتج به الجبائى على أن القرآن محدث والجواب عنه
١٠٣	بيان أسماء اخوة يوسف عليهم السلام
١٠٧	ذكر ما صنعه اخوة يوسف به حين القائه فى الجب وما تم له معهم حتى باعوه
١١٣	تأويل تلك الآيات
١١٧	تفسير قوله وقال الذى اشتراه من مصر الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٢١	بيان أن للمعدات مدخلا فيما يصل للانسان من الفيوض
١٢٦	بيان ما استدل به على براءة سيدنا يوسف من كل ما لا يليق بمنصب النبوة
١٣١	ذكر ما كان عليه سيدنا يوسف من الجمال
١٣٥	تأويل تلك الآيات

(تم فهرست الجزء الثانى عشر من النيسابورى)

الجـــزء الثـــالث عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٨ هجريه

﴿وقال الذى نجا منهما واذكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى أرجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم﴾ القراآت انى أرانى أعصر بالفتح فى الحرفين أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وافق ابن كثير فى أرانى كليهما الباقون بسكون ياء المتكلم فى الكل نبينا بغير همزة أوقية والاعشى وحمزة فى الوقف ترزقانه مختلسة الحلوانى عن قالون نباتكما مثل أنشانا ربى انى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بائى بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر انى أرى بالفتح أبو جعفر ونافع وأبو عمرو رؤيای بالامالة على غير قتيبة أبو عمرو بالامالة اللطيفة والقول فى ترك الهمزة مثل ما تقدم للرؤيا عمالة على وأبو عمرو بالامالة اللطيفة لعلى أرجع بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وأبو عمرو دأبا بفتح الهمزة

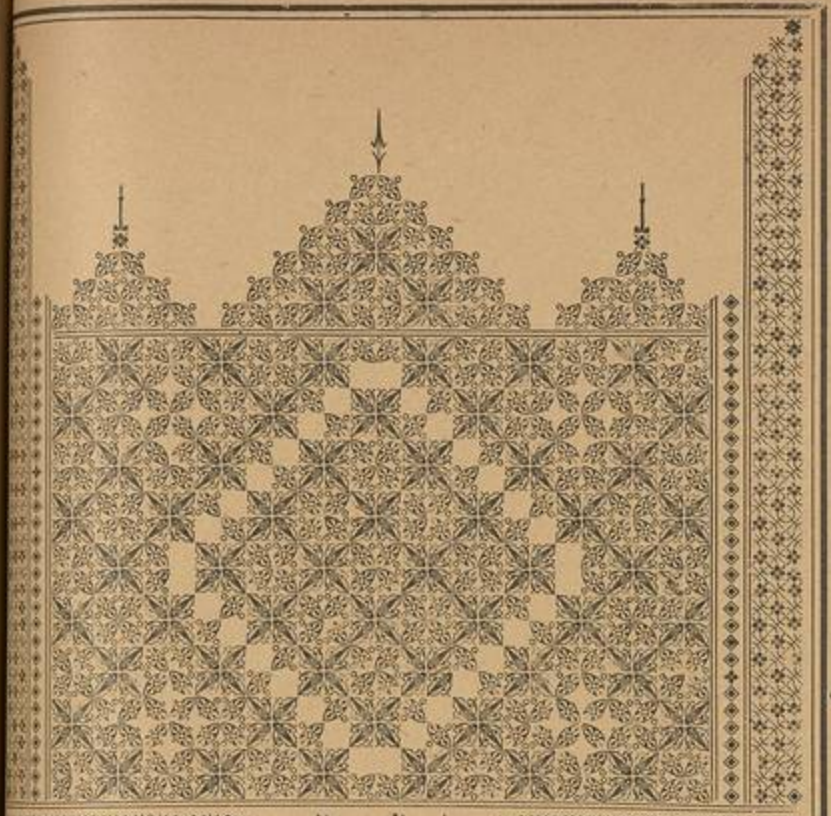

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم﴾ يقول يوسف صلوات الله عليه وما أبرئ نفسى من الخطا والزلل فأزكيها ان النفس لأمارة بالسوء يقول ان النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه وان كان هواها فى غير ما فيه رضا الله الا ما رحم ربى يقول الا أن يرحم ربى من شاء من خلقه فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء ان ربى غفور رحيم وما فى قوله الا ما رحم ربى فى موضع نصب وذلك أنه استثناء منقطع عما قبله كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة منا بمعنى الا أن يرحموا وأن اذا كانت فى معنى المصدر تضارع ما ويعنى بقوله ان ربى غفور رحيم ان الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه يتركه عقوبته عليها وفضيحته بها رحيم به بعد توبته أن يعذبه عليها وذكر أن يوسف قال هذا القول من أجل أن يوسف لما قال ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال ملك من الملائكة ولا يوسف همت بها فقال يوسف حينئذ وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء وقد قيل ان الله تعالى ذكره قال ليوسف ولا يوم همت بها فقالت سرا ويلك هو امرأة العزيز فأحابها يوسف بهذا الجواب وقيل ان يوسف قال ذلك ابتداء من قبل نفسه ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة فسألهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق الآية قال يوسف ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال فقال له جبرئيل ولا يوم همت بما همت فقال وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة قال لهن أنتن راودتن يوسف عن نفسه ثم ذكر سائر الحديث مثل حديث أبى كريب عن وكيع

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا

عمرو قال أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما جمع الملك النسوة قال أتتراودن يوسف عن نفسه ثم ذكر نحوه غير أنه قال فغمزه جبرئيل فقال ولا حين هممت بها فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **و حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قال لما قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال جبرئيل أو ملك ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا وكيع قال ثنا مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير بنحوه الا أنه قال قال له الملك ولا حين هممت بها ولم يقل أو جبرئيل ثم ذكر سائر الحديث مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر وأحمد بن بشير عن مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال فقال له الملك أو جبرئيل ولا حين هممت بها فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل قال لما قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا يوم هممت بما هممت به فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل بمثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عمرو قال أخبرنا مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير مثل حديث ابن وكيع عن محمد بن بشر وأحمد بن بشير سواء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا العلاء بن عبد الجبار وزيد بن حباب عن حماد ابن سلمة عن ثابت عن الحسن ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبرئيل اذكر همك فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** الحسن قال ثنا عفان قال ثنا حماد عن ثابت عن الحسن ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال جبرئيل يا يوسف اذكر همك قال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح في قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال هذا قول يوسف قال فقال له جبرئيل ولا حين حللت سراويلك قال فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الآية **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح بنحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ذكر لنا أن الملك الذي كان مع يوسف قال له اذكر ما هممت به قال نبي الله وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغني أن الملك قال له حين قال ما قال أتذكر همك فقال وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال الملك وطعن في جنبه يا يوسف ولا حين هممت قال فقال وما أبرئ نفسي ﴿ذكر من قال قائل ذلك له المرأة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال قاله يوسف حين جيء به ليعلم العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقالت امرأة العزيز يا يوسف ولا يوم حللت سراويلك فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء ﴿ ذكر من قال قائل ذلك يوسف لنفسه من غير تذكير مذكر ذكره ولكنه تذكر ما كان سلف منه في ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين هو قول يوسف لملكه حين أراه الله عذره فذكره أنه قد هم بها وهمت به فقال يوسف وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة

حفص الآخرون بالسكون تعصرون بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون (٣٠) على الغيبة ما بال النسوة بضم النون الشمونى والبرجمى نفسي رحم ربي بالفتح فيهما أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ۞ الوقوف فتيان ط نحرا ج فصلا بين القصتين مع اتفاق الجملتين الطير منه ط للعدول عن قول آخر منهما الى قولهما المضمر أي فقالا نبئنا بتأويله ج لاحتمال التعليل المحسنين ○ أن يأتيكما ط ربي ط كافرون ○ ويعقوب ط من شئ ط لا يشكرون ○ القهار ○ ط من سلطان ط الا لله ط الا اياه ط لا يعلمون ○ نحرا ج فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين من رأسه ط لأن قوله قضي جواب قولهما كذبنا وما رأينا رؤيا تستفتيان ط لاستئناف حكاية أخرى عند ربك ز سنين ○ ط يابسات ط تعبرون ○ أحلام ج للنفي مع العطف بعالمين ○ فأرسلون ○ يابسات لا لتعلق لعلي يعلمون ○ دأبا ج للشرط مع الفاء تأكلون ○ تحصنون ○ يعصرون ○ ائتوني به ج أيديهن ط عليم ○ عن نفسه ط من سوء ط الحق ز لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد القائل الصادقين ○ الخائنين ○ نفسي ج للحذف أي عن السوء ربي ط رحيم ○ ۞ التفسير تقدير الكلام فحبسوه (ودخل معه) أي مصاحباله في الدخول (السجن فتيان) غلامان للملك الا كبر خبازه وشرابيه نقلا عن أئمة التفسير أو استدلالا برؤياهما المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك أنهما أرادا سمه في الطعام والشراب فأمر بادخالهما السجن ساعة اذ دخل يوسف (قال أحدهما اني أراني) أي في المنام لقولهما نبئنا بتأويله وهو حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أي عنبا تسمية للشئ باسم ما يؤل اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير في قوله (بتأويله) يعود الى ما قصا عليه

وقد يوضع الضمير موضع اسم الاشارة كأنه قيل نبئنا بتأويل ذلك (انا نراك من المحسنين) عبارة الرؤيا وكان أهل السجن يقصون عليه رؤياهم فيؤولها لهم أو نراك من العلماء عبارة ذلك بالقرائن أو من المحسنين الى أهل السجن كان يعود مرضاهم ويوسع عليهم ويراعى دقائق مكارم الاخلاق معهم أو من المحسنين فى طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغمة بتأويل ما رأيناه ان كانت لك يد فى تأويل الرؤيا وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول أبشروا اصبروا توجروا فقالوا ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت يافتى فقال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى أحسن جوارك فكن فى أى بيوت السجن شئت وعن الشعبى ومجاهد أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى أرانى فى بستان فاذا بأصل كرم عليه ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كأس الملك وسقيته وقال الخبازانى أرانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها (قال لا يأتيكما طعام) الى آخره هذا ليس بجواب لهما ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها أن أحد التعبيرين لما كان هو الصلب وكان فى اسماعه كراهة ونفرة أراد أن يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة أو أراد أن يبين علو مرتبته فى العلم وأنه ليس من المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين ولهذا قال السدى أراد لا يأتيكما طعام ترزقانه فى النوم بين بذلك أن علمه بتأويل الرؤيا ليس مقصورا على شئ دون غيره وقيل انه محمول على اليقظة وانه ادعى معرفة الغيب كقول عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تأكلون أى أخبركما (قبل أن يأتيكما) أنه أى طعام هو وأى لون هو وكيف تكون عاقبته أهو ضار أم نافع وأن فيه سما أم لا فقد روى أن الملك كان اذا أراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فأرسله اليه ثم قال (ذلكما) أى هذا التأويل والاخبار بالمغيبات من قبيل الوحى والالهام لا من التكهن والتنجيم الذى يكثر فيهما وقوع الخطا ثم بين سيرته وملته مشيرا فيه الى أنه

بالسوء الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الملك يعنى ملك مصر الأكبر وهو فيما ذكر ابن اسحق الوليد بن الريان **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عنه حين تبين عذر يوسف وعرف أمانته وعلمه قال لاصحابه ائتونى به أستخلصه لنفسى يقول أجعله من خلصائى دون غيرى وقوله فلما كلمه يقول فلما كلم الملك يوسف وعرف براءته وعظم أمانته قال له انك يا يوسف لدينا مكين أمين أى متمكن مما أردت وعرض لك من حاجة قبلنا الرفعة مكانك ومنزلتك لدينا أمين على ما ائتمنت عليه من شئ **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما وجد الملك له عذرا قال ائتونى به أستخلصه لنفسى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أستخلصه لنفسى يقول أتخذه لنفسى **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل قال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى قال قال له الملك انى أريد أن أخلصك لنفسى غير أنى آنف أن تأكل معى فقال يوسف أنا أحق أن آنف أنا ابن اسحق أو أنا ابن اسمعيل «أبو جعفر شك» وفى كتابى ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنى أبى عن سفيان عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل بنحوه غير أنه قال أنا ابن ابراهيم خليل الله ابن اسمعيل ذبيح الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال قال العزيز ليوسف ما من شئ الا وأنا أحب أن تشركنى فيه الا أنى أحب أن لا تشركنى فى أهلى وأن لا يأكل معى عبدى قال أتأنف أن آكل معك فأنا أحق أن آنف منك أنا ابن ابراهيم خليل الله وابن اسحق الذبيح وابن يعقوب الذى ابيضت عيناه من الحزن **حدثنا** أبو كريب قال ثنا سفيان بن عقبة عن حمزة الزيات عن ابن اسحق عن أبى ميسرة قال لما رأى العزيز لبق يوسف وكيسه وظرفه دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه فلما كان بينه وبين المرأة ما كان قالت له تدنى هذا مرة فليتغد مع الغلمان قال له اذهب فتغد مع الغلمان فقال له يوسف فى وجهه ترغب أن تأكل معى أو تنكف أنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم﴾ يقول جل ثناؤه قال يوسف للملك اجعلنى على خزائن أرضك وهى جمع خزانة والالف واللام دخلتا فى الارض خلفا من الاضافة كما قال الشاعر

والأحلام غير عوازب

وهذا من يوسف صلوات الله عليه مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها والقيام بأسباب بلده ففعل ذلك الملك به فيما بلغنى كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اجعلنى على خزائن الارض قال كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام قال فأسلم سلطانه كله اليه وجعل القضاء اليه أمره وقضاؤه نافذ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابراهيم ابن المختار عن شبيه الضبى فى قوله اجعلنى على خزائن الارض قال على حفظ الطعام وقوله انى حفيظ عليم اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك انى حفيظ لما استودعتنى عليم بما ولينى ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انى حفيظ عليم انى حافظ لما استودعتنى عالم بما ولينى قال قد فعلت **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

رسول من عند الله ومنبها على أن الاشتغال بصالح الدين أهم من الاشتغال بصالح الدنيا حتى ان الرجل الذى سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال (انى تركت) أى رفضت بل ما كنت قط ويجوز أن يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفا منهم لانه كان تحت أيديهم وانما ذكرت لفظة هم تنبيها على أنهم مختصون فى ذلك الزمان (٥) بانكار المعاد وتعريضا بأن ايداعه السجن

عن قتادة قوله انى حفيظ عليم يقول حفيظ لما وليت عليم بأمره **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابراهيم ابن المختار عن شبيبة الضبى فى قوله انى حفيظ عليم يقول انى حفيظ لما استودعتنى عليم بسنى المجاعة * وقال آخرون انى حافظ للحساب عليم بالألسن ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن كيسع قال ثنا عمرو عن الاشجعى انى حفيظ عليم حافظ للحساب عليم بالألسن * وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك انى حافظ لما استودعتنى عالم بما أوليتنى لان ذلك عقيب قوله اجعلنى على خزائن الارض ومسألته الملك استكفاءه خزائن الارض فكان اعلامه بان عنده خبرة فى ذلك وكفاية اياه أشبه من اعلامه حفظه الحساب ومعرفته بالألسن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ يقول تعالى ذكره وهكذا وطأنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء يقول يتخذ من أرض مصر منزلا حيث يشاء بعد الحبس والضيق نصيب برحمتنا من نشاء من خلقنا كما أصبنا يوسف بها فمكناه فى الارض بعد العبودة والاسار وبعد الالقاء فى الجب ولا نضيع أجر المحسنين يقول ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فأطاع ربه وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه كما لم نبطل جزاء عمل يوسف اذ أحسن فأطاع الله وكان تمكين الله ليوسف فى الارض كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قال يوسف للملك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم قال الملك قد فعلت فولاه فيما يذكرون عمل اطفير وعزل اطفير عما كان عليه بقول الله وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء الآية قال فذكر لى والله أعلم أن اطفير هلك فى تلك الليالى وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة اطفير راعيل وأنها حين دخلت عليه قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قال فيزعمون أنها قالت أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة كما ترى حسنا وجمالا ناعمة فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى حسنك وهيئتك فغلبتنى نفسى على ما رأيت فيزعمون أنه وجدها عذراء فأصابها فولدت له رجلين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء قال استعمله الملك على مصر وكان صاحب أمرها وكان يلى البيع والتجارة وأمرها كله فذلك قوله وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يتبوأ منها حيث يشاء قال ملكناه فيما يكون فيها حيث يشاء من تلك الدنيا يصنع فيها ما يشاء فوضت اليه قال ولو شاء ان يجعل فرعون من تحت يديه ويجعله فوقه لفعل **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن اسحق الكوفى عن مجاهد قال أسلم الملك الذى كان معه يوسف ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ يقول تعالى ذكره ولثواب الله فى الآخرة خير للذين صدقوا يقول للذين صدقوا الله ورسوله مما أعطى يوسف فى الدنيا من تمكينه له فى أرض مصر وكانوا يتقون يقول وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه فى خلاف أمره واستحلال محارمه فيطيعونه فى أمره ونهيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ يقول تعالى ذكره وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم يوسف وهم ليوسف منكرون لا يعرفونه

بعد معاينة الآيات الشاهدة على براءته لا يصدر الا عمن ينكر الجزاء أشد الانكار والمراد باتباع ملة آبائه الاتباع فى الاصول التى لا تتبدل بتبدل الشرائع ومعنى التنكير فى قوله من شئ الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نعمة الايمان أو نعمة اعطاء القدرة والاختيار على الايمان فلا ينظرون فى الدلائل وهذا يناسب أصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فأولئك كان سعيهم مشكورا (ياصاحبى السجن) أراد ياصاحبى فى السجن كقوله ياسارق الليلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معه أو أراد ياساكنى السجن كقوله أصحاب النار فسبب التعيين أنهما استفتياه من بين الساكنين ثم أنكر عليهم عبادة الاصنام فقال (أأرباب متفرقون) فى العدد وفى الجثة وفيما يتبعها من اختلاف الاعراض والابعاض (خير) ان فرض فيهم خير (أم الله الواحد القهار) لان وحدة المعبود تستدعى توحيد المطلب وتفريد المقصود كونه قهارا غالبا غير مغلوب من وجه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب وصلاح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح

بعبودية الاهو ولا تصلح حقيقة الالهية فى غيره فلذلك قال (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها) أى سميتم الآلهة بتلك الاسماء (أنتم وآباؤكم) والخطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر فكأنهم لا يعبدون الا أسماء فارغة عن المسميات (ما أنزل الله بها) تسمية (من سلطان) أى حجة ثم لما نفى معبودية الغيرين أن لا حكم فى أمر الدين والعبادة الا له فقال (ان الحكم الا لله) ثم ذكر ما حكم به فقال

(أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت بالبراهين (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنه مبدأ المبادئ والمعاد الحقيقي فيتخذون غيره معبودا ويجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعلا وتأثيرا ثم شرع في اجابة مقترحهما وهو تأويل رؤياهما فقال (أما أحدكما) يعني الشرابي (فيسقي ربه) سيده (خمرا) يروى أنه قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن

حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتصلب فتأكل الطير من رأسك قوله (قضي الامر) قال في الكشاف انما وحد الامر وهما أمران مختلفان استفتيا فيهما لان المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا لأجله فكأنهما استفتياه في الامر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك استدلالا برؤياهما فقال ان ذلك الذي ذكرت من أمر التأويل كائن لا محالة صدقتما أو كذبتما وقيل جحدا رؤياهما وقيل عكسا رؤياهما فلما علم الخباز أن تأويل رؤياه شر أنكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذي حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا قالت الحكماء ينبغي أن لا يتصرف في الرؤيا ولا تغير عن وجهها فان الفأل على ما جرى (وقال) يوسف (للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) أي اذكر عند الملك أني مظلوم من جهة اخوتي أخرجوني وباعوني ثم اني مظلوم من جهة النسوة اللاتي حبستني والضمير في ظن ان كان للرجل الناجي فلا اشكال لانهما ما كانا مؤمنين بنبوة يوسف بل كانا حسني الاعتقاد فيه وكان قوله لم يفد في حقهما الا مجرد الظن وان عاد الى يوسف فيرد عليه أنه كان قاطعا بنجاته فما المعنى للظن وأجيب بأنه انما ذكر ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة في ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والاصح أنه قضى بذلك على سبيل البت والقطع لقوله لا يأتيكما طعام الى قوله ذلكما مما علمني ربي فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم أما الضمير في قوله (فأنساه الشيطان) فمن الناس من قال

وكان سبب مجيئهم يوسف فيما ذكر لي كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما اطمأن يوسف في ملكه وخرج من البلاء الذي كان فيه وخلت السنون المخصبة التي كان أمرهم بالاعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة جهد الناس في كل وجه وضربوا الى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد أسا بينهم وكان لا يحمل للرجل الا بعيرا واحدا ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فقدم اخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها فبعث بنيه الى مصر وأمسك أخا يوسف بنيامين فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون فلما نظر اليهم قال أخبروني ما أمركم فاني أنكر شأنكم قالوا نحن قوم من أرض الشأم قال فما جاء بكم قالوا جئنا نمتار طعاما قال كذبتم أنتم عيون كم أنتم قالوا عشرة قال أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم أمير ألف فأخبروني خبركم قالوا انا اخوة بنو رجل صديق وانا كنا اثني عشر وكان أبونا يحب أخا لنا وانه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها وكان أحبنا الى أبينا قال فالى من سكن أبوكم بعده قالوا الى أخ لنا أصغر منه قال فكيف تخبروني أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر اليه فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون قال فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وهم له منكرون قال لا يعرفونه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾ يقول ولما حمل يوسف لاخوته أباعرهم من الطعام فأوقر لكل رجل منهم بعيره قال لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم كيما أحمل لكم بعيرا آخر فتزدادوا به حمل بعير آخر ألا ترون أني أوفي الكيل فلا أبخسه أحدا وأنا خير المنزلين وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه من الناس بهذه البلدة فأنا أضيفكم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأنا خير المنزلين يوسف يقول أنا خير من يضيف بمصر حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما جهز يوسف فيمن جهز من الناس حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم ثم قال لهم ائتوني بأخ لكم من أبيكم أجعل لكم بعيرا آخر أو كما قال ألا ترون أني أوفي الكيل أي لا أبخس الناس شيأ وأنا خير المنزلين أي خير لكم من غيري فانكم ان أتيتم به أكرمت منزلتكم وأحسنت اليكم وازددتم به بعيرا مع عدتكم فاني لا أعطي كل رجل منكم الا بعيرا فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون لا تقربوا بلدي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ائتوني بأخ لكم من أبيكم يعني بنيامين وهو أخو يوسف لابيه وأمه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل يوسف لاخوته فان لم تأتوني به بأخيكم من أبيكم فلا كيل لكم عندي يقول فليس لكم عندي طعام أكيله لكم ولا تقربون يقول ولا تقربوا بلادي وقوله ولا تقربون في موضع جزم بالنهي والنون في موضع نصب وكسرت لما حذفت ياؤها والكلام ولا تقربوني ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا سنراود عنه أباه

أباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم
لعلهم يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف ليوسف اذ قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم
قالوا سنراود عنه أباه ونسأله أن يخليه معنا حتى يجىء به اليك وانا لفاعلون يعنون بذلك وانا لفاعلون
ما قلنا لك انا نفعله من مراودة أبينا عن أخينا منه ولنجتهدن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن
ابن اسحق وانا لفاعلون لنجتهدن وقوله وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم يقول تعالى ذكره
وقال يوسف لفتيانه وهم غلمانه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
وقال لفتيانه أى لغلمانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم يقول اجعلوا أثمان الطعام التى أخذتموها منهم
فى رحالهم والرحال جمع رحل وذلك جمع الكثير فأما القليل من الجمع منه فهو أرحل وذلك جمع
ما بين الثلاثة الى العشرة وبنحو الذى قلنا فى معنى البضاعة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم أى أوراقهم
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم أمر ببضاعتهم التى أعطاهم بها ما أعطاهم
من الطعام فجعلت فى رحالهم وهم لا يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن
السدى قال وقال لفتيته وهو يكيل لهم اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى
أهلهم لعلهم يرجعون الى فان قال قائل ولاية علة أمر يوسف فتيانه أن يجعلوا بضاعة اخوته فى
رحالهم قيل يحتمل ذلك أوجها أحدها أن يكون خشى أن لا يكون عند أبيه دراهم اذ كانت السنة
سنة جدب وقحط فيضر أخذ ذلك منهم به وأحب أن يرجع اليه أو أراد أن يتسع بها أبوه واخوته
مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرما وتفضلا والثالث وهو أن يكون
أراد بذلك أن لا يخلفوه الوعد فى الرجوع اذا وجدوا فى رحالهم ثمن طعام قد قبضوه وملكه عليهم
غيرهم عوضا من طعامهم ويتحرجوا من امساكهم ثمن طعام قد قبضوه حتى يؤدوه على صاحبه
فيكون ذلك أدعى لهم الى العود اليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما رجعوا الى أبيهم
قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون ﴾ يقول تعالى ذكره فلما
رجع اخوة يوسف الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل يقول منع منا الكيل
فوق الكيل الذى كيل لنا ولم يكل لكل رجل منا الا كيل بعير فأرسل معنا أخانا بنيامين يكتل
لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل أبا عرنا وانا له لحافظون من أن يناله مكروه فى سفره وبنحو
الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن
أسباط عن السدى فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا ان ملك مصر أكرمنا كرامة ما لو كان رجل
من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته وانه ارتهن شمعون وقال ائتونى بأخيكم هذا الذى عكف عليه
أبوكم بعد أخيكم الذى هلك فان لم تأتونى به فلا تقربوا بلادى قال يعقوب هل آمنكم عليه الا كما
أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك
مصر فاقرؤه منى السلام وقولوا ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أولينا حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة عن ابن اسحق قال خرجوا حتى قدموا على أبيهم وكان منزلهم فيما ذكر لى بعض أهل
العلم بالعربات من أرض فلسطين بغور الشام وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب أسفل من

من أسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب هو الله تعالى أى الشيطان أنسى يوسف أن يذكر الله تعالى وعلى القولين عوتب باللبث فى السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة لانه القطعة من العدد والبضع القطع ومثله العضب والأكثرون على أن المراد به فى الآية سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك ما لبث فى السجن وعن مالك أنه لما قال له اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء أنسانى ذكر المولى فويل لاخوتى قال المحققون الاستعانة بغير الله فى دفع الظلم جائزة فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالى وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن أبى وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله ولا خلاف فى جواز الاستعانة بالكفار فى دفع الظلم والغرق والحرق الا أن يوسف عليه السلام عوتب على قوله اذكرنى عند ربك لوجوه منها أنه لم يقتد بالخليل جده حين وضع فى المنجنيق فلقيه جبرئيل فى الهواء وقال هل من حاجة فقال أما اليك فلا مع أنه زعم أنه اتبع ملة آبائه ومنها أنه قال ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ وهذا يقتضى نفى الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرنى عند ربك كالمناقض لهذا الكلام ومنها أنه قال عند ربك ومعاذ الله أن زعم أنه الرب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا فى كلامهم ومنها

انه لم يقرن بكلامه ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف أرى الله الملك فى المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بأن استيلاء الضعيف على

ينذر بنوع من أنواع الشر الا أنه لم يعرف تفصيله والشئ اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة ولاسيما اذا كان صاحبه ذا قدرة وتمكين فبهذا الطريق أمر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال (يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى) ثم انه تعالى اذا أراد أمرا هيأ أسبابه فأعجز الله أولئك الملأ عن جواب المسألة وعماه عليهم حتى (قالوا) انها (أضغاث أحلام) ونفوا عن أنفسهم كونهم عالمين بتأويلها واعلم أن الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة اللوح المحفوظ الا أن المانع لها عن ذلك فى اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفى وقت النوم تقل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة فاذا وقفت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت فى الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التأويل وان نزلت آثار مخصوصة مناسبة لذلك الادراك الروحانى الى عالم الخيال فهنالك يفتقر الى المعبر ثم منها ما هى منسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانيات ومنها ما تكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها التشويش وقع فى ترتيبها وتأليفها فهى المسماة بالاضغاث وبالحقيقة الأضغاث ما يكون مبدؤها تشويش القوة المتخيلة لفساد وقع فى القوى البدنية أو لورود أمر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها أعيت المعبرين عن تأويلها ولنشتغل بتفسير الألفاظ أما الملك فريان ابن الوليد ملك مصر وقوله انى أرى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة يجمع على سمان كما يقال رجال كرام وغرف

من حسمى وكان صاحب بادية له شاء وابل فقالوا يا أبانا قد منا على خير رجل أنزل لنا فأكرم مثوانا لنا فأوفانا ولم يبخسنا وقد أمرنا أن نأتيه بأخ لنا من أبينا وقال ان أنتم لم تفعلوا فلا تقربنى ولا تدنوا بلدى فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين واختلفت القراء فى قراءة قوله نكتل فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة نكتل بالنون بمعنى نكتل نحن وهو وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يكتل بالياء بمعنى يكتل هو لنفسه كما نكتال لأنفسنا والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب وذلك أنهم انما أخبروا أباهم أنه منع منهم زيادة الكيل على عدد رؤسهم فقالوا يا أبانا منع منا الكيل ثم سألوه أن يرسل معهم أخاهم ليكتال لنفسه فيزداد اكتال لنفسه واكتالوا هم لانفسهم فقد دخل الاخ فى عددهم فسواء كان الخبر بذلك عن خاص نفسه أو عن جميعهم بلفظ الجميع اذ كان مفهوما معنى الكلام وما أريد به ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره قال أبوهم يعقوب هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذى تسألونى أن أرسله معكم الا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل يقول من قبله واختلفت القراء فى قراءة قوله فالله خير حفظا فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين والبصريين فالله خير حفظ بمعنى والله خيركم حفظا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض أهل مكة فالله خير حافظا بالالف على توجيهه الحافظ الى أنه تفسير للخير كما يقال هو خير رجلا والمعنى فالله خيركم حافظا ثم حذفت الكاف والميم والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما أهل علم بالقرآن فبأيتهما قرأ القارئ فصيب وذلك أن من وصف الله بأنه خير هم حفظا فقد وصفه بأنه خير هم حافظا ومن وصفه بأنه خير هم حافظا فقد وصفه بأنه خير هم حفظا وهو أرحم الراحمين يقول والله أرحم راحم بخلقه يرحم ضعفى على كبر سنى ووحدتى بفقد ولدى فلا يضيعه ولكنه يحفظه حتى يرده على لرحمته ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾ يقول تعالى ذكره ولما فتح اخوة يوسف متاعهم الذى حملوه من مصر من عند يوسف وجدوا بضاعتهم وذلك ثمن الطعام الذى اكتالوه منه ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا يعنى أنهم قالوا لابيهم ما ذا نبغى هذه بضاعتنا ردت الينا تطييبا منهم لنفسه بما صنع بهم فى رد بضاعتهم اليه واذا وجه الكلام الى هذا المعنى كانت ما استفهاما فى موضع نصب بقوله نبغى والى هذا التأويل كان يوجهه قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما نبغى يقول ما نبغى وراء هذا ان بضاعتنا ردت الينا وقد أوفى لنا الكيل وقوله ونمير أهلنا يقول ونطلب لاهلنا طعاما فنشتريه لهم يقال منه مار فلان أهله يميرهم ميرا ومنه قول الشاعر

بعثتك مائرا فمكثت حولا * متى يأتى غيائك من تغيث

ونحفظ أخانا الذى ترسله معنا ونزداد كيل بعير يقول ونزداد على أحمالنا الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعيرا آخر من ابلنا ذلك كيل يسير يقول هذا حمل يسير كما حدثنى الحرث قال ثنا القاسم

كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالأولى أن يوقع الوصف وصفا للمميز كما فى الآية دون العدد لأنه ليس بمقصود بالذات فلهذا قيل سمان بالجر ليكون وصفا للبقرات و يحصل التمييز السبع بنوع من البقرات وهى السمان منهن ولو نصب جعل تمييزا السبع بجنس البقرات أولا ثم يعلم من الوصف أن المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف هو الهزال الذى ليس بعده هزال والنعت أعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله سبع عجاف تقديره بقرات سبع عجاف فحذف للعلم به كما فى قوله وأخر يابسات التقدير وسبعا أخر لانصباب المعنى الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف على الاضافة لان البيان لا يقع بالوصف وحده وقولهم ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز أن يكون قوله وأخر مجرورا عطفا على سنبلات لان لفظ الأخر يأباه و يبطل مقابلة السبع بالسبع وأراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام فى للرؤيا للبيان كما قلنا فى وكانوا فيه من الزاهدين أولان عمل العامل فيما تقدم عليه يضعف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها واو ان تأخر معموله أولان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الأمر أى متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر آخر أو حال أو لتضمن تعبرون معنى تنتدبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقه من العبر بالكسر فالسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تأملت ناحيتها فانتقلت من أحد الطرفين الى الآخر والأضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من أنواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام والصيغة للجمع ولكن الواحد قد يوصف به كما قال رمح أقصاد و برمة أعشار فالمراد هى حلم أضغاث أحلام وقد يطلق الجمع و يراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل و يلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة واحدة و يجوز أن يكون قد قص عليهم أحلاما أخر واللام

قال ثنا حجاج عن ابن جريج ونزداد كيل بعير قال كان لكل رجل منهم حمل بعير فقالوا أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير وقال ابن جريج قال مجاهد كيل بعير حمل حمار قال وهى لغة قال القاسم يعنى مجاهد أن الحمار يقال له فى بعض اللغات بعير **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونزداد كيل بعير يقول حمل بعير **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ونزداد كيل بعير نعديه بعيرا مع ابلنا ذلك كيل يسير ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنى به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه لن أرسل أخاكم معكم الى ملك مصر حتى تؤتون موثقا من الله يقول حتى تعطون موثقا من الله بمعنى الميثاق وهو ما يوثق به من يمين وعهد لتأتنى به يقول لتأتنى بأخيكم الا أن يحاط بكم يقول الا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتونى به و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آتوه موثقهم قال عهدهم **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا أن يحاط بكم الا أن تهلكوا جميعا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ۞ قال و**حدثنا** اسحق قال أخبرنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الا أن يحاط بكم قال الا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله الا أن يحاط بكم الا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعا فيكون ذلك عذرا لكم عندى وقوله فلما آتوه موثقهم يقول فلما أعطوه عهودهم قال يعقوب الله على ما نقول أنا وأنتم وكيل يقول هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده الى مصر ليمتاروا الطعام يا بنى لا تدخلوا مصر من طريق واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذكر أنه قال ذلك لهم لانهم كانوا رجالا لهم جمال وهيئة تخاف عليهم العين اذا دخلوا جماعة من طريق واحد وهم ولد رجل واحد فأمرهم أن يفترقوا فى الدخول اليها كما **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يزيد الواسطى عن جويبر عن الضحاك لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قال خاف عليهم العين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا بنى لا تدخلوا من باب واحد خشى نبى الله صلى الله عليه وسلم العين على بنيه كانوا ذوى صورة و جمال **حدثنا** محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وادخلوا من أبواب متفرقة قال كانوا قد أوتوا صورة و جمالا فخشى عليهم أنفس الناس **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة قال رهب يعقوب عليه السلام عليهم العين **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا تدخلوا من باب واحد

فى الاحلام اما للعهد كانهم أرادوا المنامات الباطلة او للجنس وأرادوا أنهم غير متبحرين فى علم تأويل الرؤيا ولما أعضل على الملا تأويل رؤيا الملك تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤياصاحبه المصلوب وتذكر قوله اذكرنى عند ربك وذلك قوله سبحانه (واذكر) وأصله اذتذكر قلبت التاء والذال كلاهما دالا ثم أدغمت (بعد أمة) أى بعد حين كأنها حصلت من اجتماع أيام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهى النعمة أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة وقرئ بعد أمه بوزن عمه ومعنى و(أنا أنبئكم بتأويله) أخبركم به عمن عنده علمه (فارسلون) اليه لأسأله والخطاب للملا والجمع للتعظيم أوله وللملا حوله والمعنى مرونى باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة وههنا اضمار والمراد فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال (يوسف) أى يا يوسف (أيها الصديق) البليغ الكامل فى الصدق وصفه بهذه الصفة لانه تعرف أحواله من قبل وفيه أنه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لمعلمه وانما أعاد عبارة الملك بعينها لأن التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله (لعلى أرجع) فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بأنه يعيش الى أن يعود اليهم وعلى تقدير أن يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التى لا تحصى كثرة وكذا فى قوله (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانك من العلم فيخلصوك أو يعلمون فتوالك فيكون فيه نوع شك لانه رأى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة لفواصل الآى والا كان مقتضى النسق لعلى أرجع الى الناس فيعلموا ومثله فى هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون (قال) يوسف فى جواب الفتوى (تزرعون سبع سنين) وهو خبر فى معنى الامر يفيد المبالغة فى ايجاب ايجاد المأمور به قال فى الكشاف والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله وأقول يمكن أن يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجدمنهم فى زمن الخصب والمطر لان الزرع يلزم بنزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم فى ذلك الوقت و (دأبا) بتسكين الهمزة

خشى يعقوب على ولده العين حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن أبى معشر عن محمد بن كعب لا تدخلوا من باب واحد قال خشى عليهم العين * قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال خاف يعقوب صلى الله عليه وسلم على بنيه العين فقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد فيقال هؤلاء لرجل واحد ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أجمعوا الخروج يعنى ولد يعقوب قال يعقوب يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة خشى عليهم أعين الناس لهيبتهم وأنهم لرجل واحد وقوله وما أغنى عنكم من الله من شئ يقول وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد قضاه عليكم من شئ صغير ولا كبير لان قضاءه نافذ فى خلقه ان الحكم الا لله يقول ما القضاء والحكم الا لله دون ما سواه من الأشياء فانه يحكم فى خلقه بما يشاء فينفذ فيهم حكمه و يقضى فيهم ولا يرد قضاؤه عليه توكلت يقول على الله توكلت فوثقت به فيكم وفى حفظكم على حتى يردكم الى وأنتم سالمون معافون لا على دخولكم مصرا دخلتموها من أبواب متفرقة وعليه فليتوكل المتوكلون يقول والى الله فليفوض أمورهم المفوضون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة ما كان يغنى دخولهم اياها كذلك عنهم من قضاء الله الذى قضاه فيهم فختمه من شئ الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها الا أنهم قضوا وطر اليعقوب بدخولهم لا من طريق واحد خوفا من العين عليهم فاطمأنت نفسه أن يكونوا أو توا من قبل ذلك أو نالهم من أجله مكروه كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها خيفة العين على بنيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها قال خشية العين عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها قال ما تخوف على بنيه من أعين الناس لهيبتهم وعدتهم وقوله وانه لذو علم لما علمناه يقول تعالى ذكره وان يعقوب لذو علم لتعليمنا اياه وقيل معناه وانه لذو حفظ لما استودعناصدره من العلم واختلف عن قتادة فى ذلك فحدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانه لذو علم لما علمناه أى مما علمناه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن أبى عروبة عن قتادة وانه لذو علم لما علمناه قال انه لعامل بما علم * قال المثنى قال اسحق قال عبد الله قال سفيان انه لذو علم مما علمناه وقال من لا يعمل لا يكون عالما ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول جل ثناؤه ولكن كثيرا من الناس غير يعقوب لا يعلمون ما يعلمه لانا حرمناه ذلك فلم يعلمه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولما دخل ولد يعقوب على يوسف آوى اليه أخاه يقول ضم اليه أخاه لابيه وأمه وكل أخوه لابيه

ويحركان مصدر دأب فى العمل اذا استمر عليه وانتصابه على الحال أى تزرعون ذوى دأب أو على المصدر والعامل فعله أى تدأبون دأبا وانما أمرهم بأن يتركوه فى السنابل الا القدر الذى يأكلونه فى الحال لئلا يقع فيه السوس (ثم يأتى من بعد ذلك) فيه دليل على أن تزرعون اخبار لا أمر (سبع) سنين (شداد) على الناس (يأكلن ما قدمتم لهن) من الاسناد المجازى لان الآكلين أهل تلك السنين لا السنون (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون وتخبؤن والاحصان جعل الشئ فى الحصن كالاحراز جعل الشئ فى الحرز أخبر أنه يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث أو من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت (وفيه يعصرون) العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف والبابسات بالسنين ثم بشرهم بالبركة فى العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحى عن قتادة زاده الله علما وقيل عرف استدلالا فليس بعد انتهاء الجدب الا الخصب والجواب أنه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال وأيضا فى قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحى ولما رجع الشرابى الى الملك وعرض عليه التعبير استحسنه وقال (ائتونى به) فجعل الله سبحانه علمه مبدأ لخلاصه من المحنة الدنيوية فيعلم منه أن العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية أيضا (فلما جاءه الرسول) وهو الشرابى فقال أجب الملك (قال) يوسف (ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) ما شأنهن وما حالهن (ان ربى) أى الله العالم بخفيات الامور أو العزيز الذى ربانى (بكيدهن عليم) وعلى الاول أراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره أو استشهد بعلم الله على أنهن كذبة أو أراد الوعيد أى هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه فى مواقعة سيدته أو تقبيح صورته عند العزيز حتى يرضى بسجنه ومن لطائف الآية أنه أراد فاسأل الملك أن يسأل ما بالهن الا أنه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك

لابيه كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال عرف أخاه فأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال لينم كل أخوين منكم على مثال فلما بقى الغلام وحده قال يوسف هذا ينام معى على فراشى فبات معه فجعل يوسف يشم ريحه ويضمه اليه حتى أصبح وجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا أريحونا منه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما دخلوا يعنى ولد يعقوب على يوسف قالوا هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به قد جئناك به فذكر لى أنه قال لهم قد أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى أو كما قال ثم قال انى أراكم رجالا وقد أردت أن أكرمكم ودعا اضافته فقال أنزل كل رجلين على حدة ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما ثم قال انى أرى هذا الرجل الذى جئتم به ليس معه ثان فسأضمه الى فيكون منزله معى فأنزلهم رجلين رجلين فى منازل شتى وأنزل أخاه معه فآواه اليه فلما خلا به قال انى أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم شيأ مما أعلمتك يقول الله ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه ضمه اليه وأنزله وهو بنيامين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول وسئل عن قول يوسف ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون كيف أجابه حين أخذ بالصواع وقد كان أخبره أخوه وأنتم تزعمون أنه لم يزل متنكرا لهم يكايدهم حتى رجعوا فقال انه لم يعترف له بالنسبة ولكنه قال أنا أخوك مكان أخيك الهالك فلا تبتئس بما كانوا يعملون يقول لا يحزنك مكانه وقوله فلا تبتئس يقول فلا تستكن ولا تحزن وهو فلا تفتعل من البؤس يقال منه ابتأس يبتئس ابتئاسا * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا تبتئس يقول فلا تحزن ولا تيأس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد قال سمعت وهب بن منبه يقول فلا تبتئس يقول لا يحزنك مكانه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فلا تبتئس بما كانوا يعملون يقول لا تحزن على ما كانوا يعملون فتأويل الكلام اذا فلا تحزن ولا تستكن لشئ سلف من اخوتك اليك فى نفسك وفى أخيك من أمرك وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون﴾ يقول ولما حمل يوسف لابل اخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما جهزهم بجهازهم يقول لما قضى لهم حاجتهم ووفاهم كيلهم وقوله جعل السقاية فى رحل أخيه يقول جعل الاناء الذى يكيل به الطعام فى رحل أخيه والسقاية هى المشربة وهى الاناء الذى كان يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يحمله على البحث والتفتيش ومنها أنه لم يذكر سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن أيضا فوصفهن بتقطيع الايدى فقط لا بالترغيب فى الخيانة عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى

ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لأسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذران كان لحليما ذا أناة قال العلماء ان الذى حمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج فى الحال فربما بقى فى قلب الملك من تلك التهمة أثر ولعل الحساد يتسلقون بذلك الى تقبيح أمره عنده وفى هذا التأنى والتثبت تلاف لما صدر منه فى قوله للشرابى اذكرنى عند ربك (قال) الملك بعد احضار النسوة (ما خطبكن) ماشأنكن العظيم (اذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا ليكن أوالى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن جميعا لأن كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها أولأجل امرأة العزيز (قلن حاش لله) تعجبا من عفته ونزاهته (قالت امرأت العزيز) حين عرفت أن لابد من الاعتراف (الآن حصحص الحق) وضح وانكشف وتمكن فى القلوب من قولهم حصحص البعير اذا ألقى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة أى بانت حصة الحق من حصة الباطل أما قوله سبحانه (ذلك ليعلم) الى تمام الآيتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون أنه حكاية قول يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك لأجل التعظيم والمراد ماذكر من رد الرسول والتثبت واظهار البراءة وعن ابن عباس أنه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر أنه قال ذلك فى السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عبد الواحد عن يونس عن الحسن أنه كان يقول الصواع والسقاية سواء هو الاناء الذى يشرب فيه * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد السقاية والصواع شئ واحد كان يشرب فيه يوسف * قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال السقاية الصواع الذى يشرب فيه يوسف حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة جعل السقاية قال مشربة الملك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السقاية فى رحل أخيه وهو اناء الملك الذى كان يشرب فيه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وهى السقاية التى كان يشرب فيها الملك يعنى مكوكه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله جعل السقاية وقوله صواع الملك قال هما شئ واحد السقاية والصواع شئ واحد يشرب فيه يوسف حدثنى عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جعل السقاية فى رحل أخيه هو الاناء الذى كان يشرب فيه الملك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله جعل السقاية فى رحل أخيه قال السقاية هو الصواع وكان كأسا من ذهب فيما يذكرون قوله فى رحل أخيه فانه يعنى فى متاع أخيه ابن أمه وأبيه وهو بنيامين وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى رحل أخيه أى فى متاع أخيه وقوله ثم أذن مؤذن يقول ثم نادى منادو قيل أعلم معلم أيتها العير وهى القافلة فيها الأحمال انكم لسارقون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه والاخ لا يشعر فلما ارتحلوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير انكم لسارقون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم جهزهم بجهازهم وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم وحمل لهم بعيرا بعيرا وحمل لأخيه بعيرا باسمه كما حمل لهم ثم أمر بسقاية الملك وهو الصواع وزعموا أنها كانت من فضة فجعلت فى رحل أخيه بنيامين ثم أمهلهم حتى اذا انطلقوا وأمنوا من لقرية أمر بهم فأدركوا فاحتبسوا ثم نادى منادأيتها العير انكم لسارقون فقفوا وانتهى اليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون ألم نكرم ضيافتكم ونوفكم كيلكم ونحسن منزلتكم ونفعل بكم مالم نفعل بغيركم وأدخلنا كم علينا فى بيوتنا ومنازلنا أو كما قال لهم قالوا بلى وماذاك قال سقاية الملك فقدناها ولا نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وقوله أيتها العير قد بينا فيما مضى معنى العير وهو جمع لا واحد له من لفظه وحكى عن مجاهد أن عير بنى يعقوب كانت حميرا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد أيتها العير قال كانت حميرا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان قال ثنى رجل عن مجاهد فى قوله أيتها العير انكم لسارقون قال كانت العير

عباس أنه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر أنه قال ذلك فى السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل

أى وأنا غائب عنه أو من المفعول أى وهو غائب عنى أو على الظرف أى بمكان الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه الحيانة قد وقعت فى حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك وأجيب بأنه اذا خان وزيره فقد خان الملك من بعض الوجوه أو أراد ليعلم الله لأن المعصية خيانة أو المراد ليعلم الملك أنى لم أخن العزيز أو ليعلم العزيز أنى لم أخنه وليعلم أن الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامرأته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه فكأنه خان حكم الله وفيه تأكيد لأمانته وأنه لو كان خائنا لم يهده الله كيده ولا يخفى أن هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المرأة دليل على نزاهة يوسف عليه السلام من كل سوء قال أهل التحقيق انه لما راعى حرمة سيدته فى قوله ما بال النسوة اللاتى دون أن يقول ما بال زليخا أردت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم أزالت الغطاء واعترفت بأن الذنب كله منها فظهر مما يحكى أن امرأة جاءت بزوجها الى القاضى وادعت عليه المهر فأمر القاضى بأن يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من أداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فانى مقر بصدقها فى دعواها فقالت المرأة لما أكرمنى الى هذا الحد فاشهدوا أنى أبرأت ذمته من كل حق لى عليه ولما كان قول يوسف عليه السلام ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق أو فى هذه الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم أتبع ذلك قوله (وما أبرئ نفسى ان النفس) أى هذا الجنس (لأمارة بالسوء) ميالة الى القبائح راغبة فى المعاصى وفيه أن ترك تلك الخيانة ما كان بقوة النفس وشربها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه (الا ما رحم ربى) الا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة كالملائكة والمراد أنها أمارة بالسوء فى كل وقت وأوان الا وقت رحمة ربى أو الاستثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة والقول الثانى أنه حكاية قول المرأة لان يوسف عليه السلام ما كان حاضرا فى ذلك المجلس والمعنى وان كنت أحلت عليه الذنب عند

بعيرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾ يقول تعالى ذكره قال بنو يعقوب لما نودوا أيتها العير انكم لسارقون وأقبلوا على المنادى ومن بحضرتهم يقولون لهم ماذا تفقدون ما الذى تفقدون قالوا نفقد صواع الملك يقول فقال لهم القوم نفقد مشربة الملك واختلفت القراء فى قراءة ذلك فذكر عن أبى هريرة أنه قرأه صاع الملك بغير واو كأنه وجهه الى الصاع الذى يكال به الطعام وروى عن أبى رجاء أنه قرأه صوع الملك وروى عن يحيى بن يعمر أنه قرأه صوغ الملك بالغين كأنه وجهه الى أنه مصدر من قولهم صاغ يصوغ صوغا وأما الذى عليه قراء الامصار فصواع الملك وهى القراءة التى لا أستجيز القراءة بخلافها لاجماع الحجة عليها والصواع هو الاناء الذى كان يوسف يكيل به الطعام وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذا الحرف صواع الملك قال كهيئة المكوك قال وكان للعباس مثله فى الجاهلية يشرب فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله صواع الملك قال كان من فضة مثل المكوك وكان للعباس منها واحد فى الجاهلية حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سماك عن عكرمة فى قوله قالوا نفقد صواع الملك قال كان من فضة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأ صواع الملك قال وكان اناءه الذى يشرب فيه وكان فى الطول ما هو حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير صواع الملك قال المكوك الفارسى حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال صواع الملك قال هو المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه كانت تشرب فيه الاعاجم * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد عن جويبر عن الضحاك فى قوله صواع الملك قال اناء الملك الذى كان يشرب فيه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يحيى يعنى ابن عباد قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صواع الملك مكوك من فضة يشربون فيه وكان للعباس واحد فى الجاهلية حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة صواع الملك اناء الملك الذى يشرب فيه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله صواع الملك قال هو المكوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال الصواع كان يشرب فيه يوسف حدثنا محمد بن معمر البحرانى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا صدقة بن عباد عن أبيه عن ابن عباس صواع الملك قال كان من نحاس وقوله ولمن جاء به حمل بعير يقول ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولمن جاء به حمل بعير يقول وقر بعير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا

حضوره ولكنى ما أحلته عليه فى غيبته حين كان فى السجن وأن الله لا يهدى فيه تعريض بأنها لما أقدمت على المكر فلا جرم
وأنه لما كان بريئا من الذنب لا جرم طهره الله منه وما أبرئ نفسى من الخيانة مطلقا فانى قد خنته حين قلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا
أودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى كنفس يوسف (ان ربى

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى حمل بعير
حمل طعام (١) وهى لغة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نج
عن مجاهد * قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مج
قوله حمل بعير قال حمل طعام وهى لغة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال
ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى ح
عن ابن جريج عن مجاهد قال قوله حمل بعير قال حمل حمار وقوله وأنا به زعيم يقول وأنا بذ
حمل بعير من الطعام اذا جاءنى بصواع الملك كفيل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأ
ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن
عباس قوله وأنا به زعيم يقول كفيل حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال
ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأنا به زعيم الزعيم هو المؤذن الذى قال أيتها العير
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حد
ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر وأبو خالد الأحمر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد نح
نحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا عبد الواحد بن زيد
ورقاء بن اياس عن سعيد بن جبير وأنا به زعيم قال كفيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد
ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنا به زعيم أى وأنا به كفيل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال
محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنا به زعيم قال كفيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأح
عن جويبر عن الضحاك وأنا به زعيم قال كفيل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سم
أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك فذكر مثله حدثنى الحرث قال
عبد العزيز عن سفيان عن رجل عن مجاهد وأنا به زعيم قال كفيل حدثنا ابن حميد قال
سلمة عن ابن اسحق قال لهم الرسول انه من جاء به فله حمل بعير وأنا به كفيل بذلك حتى أوثق له
ومن الزعيم الذى بمعنى الكفيل قول الشاعر

فلست بآمر فيها بسلم * ولكنى على نفسى زعيم

وأصل الزعيم فى كلام العرب القائم بأمر القوم وكذلك الكفيل والجميل ولذلك قيل رئيس القو
زعيمهم ومدبرهم يقال منه قد زعم فلان زعامة وزعاما ومنه قول ليلى الأخيلية

حتى اذا برز اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين﴾
يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف تالله يعنى والله وهذه التاء فى تالله انما هى واو قلبت تاء كما تفعل
فى التورية وهى من ورّيت والتراث وهى من ورثت والتخمة وهى من الوخامة قلبت الواو فى
كله تاء والواو فى هذه الحروف كلها من الاسماء وليست كذلك فى تالله لانها انما هى واو القسم
جعلت تاء لكثرة ما جرى على ألسن العرب فى الأيمان فى قولهم والله فخصت فى هذه الكلمة

(١) أى حمل حمار من طعام الخ وهو المراد بقوله وهى لغة كما تقدم عنه اه كتبه مصححه

لانهما متهمان بجعل سم الهوى والمعصية فى شراب ملك الروح وطعامه وفى رؤياهما دلالة على أنهما قلبت
من الدنيا وأهل الدنيا نياما فاذا ماتوا انتبهوا انا نرالك من المحسنين الذين يعبدون الله عيانا وشهودا انى تركت ملة قوم فيه اشارة الى
القلب مهما ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة أما أحد كما فيسقى ربه أى سيده بأقداح المعاملات والمجاهد

حيث تاه ومن قال ذلك فى اسم الله فقال تالله لم يقل تالرحمن وتالرحيم ولا مع شئ من أسماء الله ولا مع شئ مما يقسم به ولا يقال ذلك الا فى تالله وحده وقوله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض يقول لقد علمتم ما جئنا لنعصى الله فى أرضكم كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض يقول ما جئنا لنعصى فى الأرض فان قال قائل وما كان أعلم من قيل له لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض بأنهم لم يجيئوا لذلك حتى استجازوا أن يقولوه قيل استجازوا أن يقولوا ذلك لأنهم فيما ذكر وا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم فقالوا لو كنا سراقا لم نرد عليكم البضاعة التى وجدناها فى رحالنا وقيل انهم كانوا قد عرفوا فى طريقهم ومسيرهم أنهم لا يظلمون أحدا ولا يتناولون ما ليس لهم فقالوا ذلك حين قيل لهم انكم لسارقون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين ﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب يوسف لاخوته فما جزاء السرق ان كنتم كاذبين فى قولكم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه يقول جل ثناؤه وقال اخوة يوسف ثواب السرق من وجد فى متاعه السرق فهو جزاؤه يقول فالذى وجد ذلك فى رحله ثوابه بأن يسلم بسرقته الى من سرق منه حتى يسترقه كذلك نجزى الظالمين يقول كذلك نفعل بمن ظلم ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فهو جزاؤه أى سلم به كذلك نجزى الظالمين أى كذلك نصنع بمن سرق منا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر قال بلغنا فى قوله قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين أخبروا يوسف بما يحكم فى بلادهم أنه من سرق أخذ عبدا فقالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه تأخذونه فهو لكم ومعنى الكلام قالوا ثواب السرق الموجود فى رحله كأنه قيل ثوابه استرقاق الموجود فى رحله ثم حذف استرقاق اذ كان معروفا معناه ثم ابتدئ الكلام فقيل هو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين وقد يحتمل وجها آخر أن يكون معناه قالوا ثواب السرق الذى يوجد السرق فى رحله فالسارق جزاؤه فيكون جزاؤه الاول مرفوعا بعمله الخبر بعده ويكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى هو وهو رافع جزاؤه الثانى ويحتمل وجها ثالثا وهو أن تكون من جزائية وتكون مرفوعة بالعائد من ذكره فى الهاء التى فى رحله والجزاء الأول مرفوعا بالعائد من ذكره فى وجد ويكون جواب الجزاء الفاء فى فهو والجزاء الثانى مرفوع بهو فيكون معنى الكلام حينئذ قالوا جزاء السرق من وجد السرق فى رحله فهو ثوابه يسترق ويستعبد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم ﴾ يقول تعالى ذكره ففتش يوسف أوعيتهم ورحالهم طالبا بذلك

خبر الكشوف والمشاهدات وهى باقية فى خدمة ملك الروح أبدا وأما الاخروهو البدن فيصلب بنخيل الموت فيا كل طير آعوان ملك الموت من رأسه الخيالات الفاسدة قضى فى الازل هذا الامر اذكرنى عند ربك يعنى أن القلب المسجون فى بدء أمره يلهم النفس أن تذكره المعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح ويتنبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس الخمس ويسعى فى استخلاص القلب عن أثر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان يوساوسه محاعن النفس أثر الهامات القلب أو الشيطان أنسى القلب ذكر الله حين استغاث النفس لتذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه فى الحال فلبث فى السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التى بها القلب محبوس وهى الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر انى أرى سبع بقرات سمان هن الصفات المذكورة يأكلهن سبع عجاف هن أضدادها وهى القناعة والسخاوة والعفة والغبطة والشفقة والحلم والتواضع يا أيها الملأ يعنى الاعضاء والجوارح والحواس والقوى أفتونى فيما رأيت فى غيب الملكوت ومانحن بتأويل الاحلام أى ليس التصرف فى الملكوت وشواهدها من شأننا فارسلون فيه أن النفس اذا أرادت أن تعلم شيأ مما يجرى فى الملكوت ترجع بقوة التفكر الى القلب فتستخبر عنه فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهم من لسان الغيب أيها الصديق لانه مصدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما يروى للخلق ما كذب الفؤاد ما رأى حدثنى قلبى عن ربى قال فى الكشاف أرجع الى الناس

الى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة فى أوان الطفولية فذروه فى سنبله أى ما حصلتم من هذه الصفات فذروه فى أماكنه ولا تستعملوه الا قليلا مما تعيشون به الى أوان البلوغ وظهور نور العقل فى مصباح السر فى زجاجة القلب كأنه كوكب درى ثم اذا أيد نور العقل بأنوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق فى اظهار خور النفس

وتقواها فيزكيها عن هذه الصفات ويجليها بالصفات الروحانية السبع فكأن السبع العجاف أكلن السبع السمان وانما سمى ما
عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها كثيرا الاقليلا مما يحسن به الانسان حياة قالبه ثم يأتي من بعد ذلك
أي بعد غلبات الصفات الروحانية واضمحلال الصفات البشرية يظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية ونبذ

العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده وحجب أنانيته ولما أخبر القلب بنور الله ما رآه الروح في عالم الملكوت وتأوله استحق قرب الروح وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه وقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما رأين جمال القلب المنور بنور الله قطعن أيديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها وآثرن السعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي القلب المنظور بنظر العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وأن الله لا يهدي كيد الخائنين الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه وللفضل من ربه وما أبرئ نفسي ان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها ربها يقلبها ويغيرها فاذا تنفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة واذا طلعت شمس العناية وصارت ملهمة فالهمها فجورها وتقواها واذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية أشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية مرضية ان ربي غفور لنفس تابت ورجعت اليه رحيم لمن أحسن طاعته وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل

﴿ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني فصار
على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين
ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني

صواع الملك فبدأ في تفتيشه بأوعية اخوته من أبيه فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء أخيهم
وأمه فانه أخر تفتيشه ثم فتش آخرها وعاء أخيه فاستخرج الصواع من وعاء أخيه ونبهوا
قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
عن قتادة قوله فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء الا استغفر الله
مما قذفهم به حتى بقي أخوه وكان أصغر القوم قال ما أرى هذا أخذ شيأ قالوا بلى فاستبره الا وجده
حيث وضعوا سقايتهم ثم استخرجها من وعاء أخيه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا
ابن ثور عن معمر عن قتادة قال فاستخرجها من وعاء أخيه قال كان كلما فتح متاعا استغفر الله
مما صنع حتى بلغ متاع الغلام فقال ما أظن هذا أخذ شيأ قالوا بلى فاستبره حدثنا ابن وكيع
قال ثنا عمرو بن محمد عن أسباط عن السدي قال فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه فلما بقي وعاء
الغلام قال ما كان هذا الغلام ليأخذ هذا قالوا والله لا يترك حتى تنظر في رحله لنذهب وتذهب
نفسك فأدخل يده فاستخرجها من رحله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحاق
قال لما قال الرسول لهم ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا اما نعلمه فينا ولا معنا قال لستم بارحين
حتى أفتش أمتعتكم وأعذر في طلبها منكم فبدأ بأوعيتهم وعاء وعاء يفتشها وينظر ما فيها حتى جاء
على وعاء أخيه ففتشه فاستخرجها منه فأخذ برقبته فانصرف به الى يوسف يقول الله كذلك كدنا
ليوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ذكر لنا أنه كان
كلما بحث متاع رجل منهم استغفر ربه تأثما قد علم أين موضع الذي يطلب حتى اذا بقي أخوه وعلم أنه
بغيته فيه قال لا أرى هذا الغلام أخذه ولا أبالي أن لا أبحث متاعه قال اخوته انه أطيب لنفسه
وأنفسنا أن تستبرئ متاعه أيضا فلما فتح متاعه استخرج بغيته منه قال الله كذلك كدنا ليوسف
واختلف أهل العربية في الهاء والالف اللتين في قوله ثم استخرجها من وعاء أخيه فقال بعض نحويي
البصرة هي من ذكر الصواع قال وأنث وقد قال ولمن جاء به حمل بعير لانه عنى الصواع قال والصواع
مذكر ومنهم من يؤنث الصواع وعنى ههنا السقاية وهي مؤنثة قال وهما اسمان لواحد مثل
الثوب والملحفة مذكر ومؤنث لشيء واحد وقال بعض نحويي الكوفة في قوله ثم استخرجها من
وعاء أخيه ذهب الى تأنيث السرقة قال وان لم يكن الصواع في معنى الصاع فلعل هذا التأنيث
من ذلك قال وان شئت جعلته لتأنيث السقاية قال والصواع ذكر والصاع يؤنث ويذكر فيقال
قال ثلاث أصوع مثل ثلاث أدور ومن ذكره قال أصواع مثل أبواب * وقال آخرهم انما
أنث الصواع حين أنث لانه أريدت به السقاية وذكر حين ذكر لانه أريد به الصواع قال وذلك
مثل الخوان والمائدة وسنان الرمح وعالينه وما أشبه ذلك من الشيء الذي يجتمع فيه اسمان أحدهما
مذكر والآخر مؤنث وقوله كذلك كدنا ليوسف يقول هكذا صنعنا ليوسف حتى يخلص أخاه لابيه
وأمه من اخوته لأبيه باقرارهم أنه له أن يأخذ منهم ويحتبسه في يديه ويحول بينه وبينهم وذلك
أنهم قالوا اذ قيل لهم ما جزاؤه ان كنتم كاذبين جزاء من سرق الصواع أن من وجد ذلك في رحله
فهو مسترق به وذلك كان حكمهم في دينهم فكاد الله ليوسف كما وصف لنا حتى أخذ أخاه منهم

لكم من أبيكم ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل
فأرسل معنا أخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم (١٧) على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين

فصار عنده بحكمهم وصنع الله له وقوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله يقول ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم لانه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترق أحد بالسرق فلم يكن ليوسف أخذ أخيه في حكم ملك أرضه الا أن يشاء الله بكيده الذي كاده له حتى أسلم من وجد في وعائه الصواع اخوته ورفقاؤه بحكمهم عليه وطابت أنفسهم بالتسليم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا فعلة كادها الله له فاعتل بها يوسف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كذلك كدنا ليوسف كادها الله له فكانت علة ليوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله قال الا فعلة كادها الله فاعتل بها يوسف * قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله كذلك كدنا ليوسف قال صنعنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي كذلك كدنا ليوسف يقول صنعنا ليوسف حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله كذلك كدنا ليوسف يقول صنعنا ليوسف واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك فقال بعضهم ما كان ليأخذ أخاه في سلطان الملك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك يقول في سلطان الملك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك يقول في سلطان الملك * وقال آخرون معنى ذلك في حكمه وقضائه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله يقول ما كان ذلك في قضاء الملك أن يستعبد رجلا بسرقة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في دين الملك قال لم يكن ذلك في دين الملك قال حكمه حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح محمد بن ليث المروزي عن رجل قد سماه عن عبد الله بن المبارك عن أبي مودود المدني قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك قال دين الملك لا يؤخذ به من سرق أصلا ولكن الله كاد لأخيه حتى تكلموا ما تكلموا به فأخذهم بقولهم وليس في قضاء الملك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال بلغه في قوله ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك قال كان حكم الملك أن من سرق ضوعف عليه الغرم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك يقول في حكم الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك أي بظلم ولكن الله كاد ليوسف ليضم اليه أخاه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال

ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۞ القراآت حيث نشاء بالنون ابن كثير الآخرون بياء الغيبة أني أوف بفتح ياء المتكلم نافع غير اسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلى وخلف غير أبي بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون تؤتوني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ۞ الوقوف لنفسي ج أمين ٥ الأرض ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عليم ٥ في الارض ج لاحتمال ما بعده الاستئناف أو الحال حيث نشاء ط المحسنين ٥ يتقون ٥ منكرون

٥ من أبيكم ج لحق الاستفهام مع اتحاد القائل المنزلين ٥ ولا تقربون ٥ لفاعلون ٥ يرجعون ٥ لحافظون ٥ من قبل ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار حافظا ص الراحمين ٥ الهم ط لتمام جواب لما ما نبغي ط لان ما بعده جملة مستأنفة موضحة للاستفهامية أو المنفية قبلها الينا ج لاحتمال الاستئناف والعطف

على ونحن نميركيل بعير ٥ ط يسير ٥ بكم ط قال الله قيل يسكت بين الفعل والاسم لان القائل يعقوب لا الله سبحانه والاحسن أن يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل ٥ متفرقة ط من شئ ط لله ط توكلت ط المتوكلون ٥ أبوهم ط لان جواب

لما محذوف أى سلموا باذن الله قضاها ط لا يعلمون ٥

قال ابن زيد فى قوله ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك قال ليس فى دين الملك أن يؤخذ السارق بسرقته قال وكان الحكم عند الانبياء يعقوب وبنيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا يسترق وهذه الأقوال وان اختلفت ألفاظ قائلها فى معنى دين الملك فتقاربة المعانى لان من أخذه فى سلطان الملك عامله بعمله فيرتاه أخذه اذا لم يغيره وذلك منه حكم عليه وحكمه عليه قضاؤه وأصل الدين الطاعة وقد بينت ذلك فى غير هذا الموضع بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله الا أن يشاء الله كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى الا أن يشاء الله ولكن صنعناه بأنهم قالوا فهو جزاؤه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن يشاء الله الا بعلة كادها الله فاعتل بها يوسف وقوله نرفع درجات من نشاء اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم نرفع درجات من نشاء باضافة الدرجات الى من بمعنى نرفع منازل من نشاء رفع منازله ومراتبه فى الدنيا بالعلم على غيره كما رفعنا مرتبة يوسف فى ذلك ومنزلته فى الدنيا على منازل اخوته ومراتبهم وقرأ ذلك آخرون نرفع درجات من نشاء بتنوين الدرجات بمعنى نرفع من نشاء مراتب ودرجات فى العلم على غيره كما رفعنا يوسف فمن على هذه القراءة نصب وعلى القراءة الاولى خفض وقد بينا ذلك فى سورة الانعام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله نرفع درجات من نشاء يوسف واخوته أو تواعلما فرفعنا يوسف فوقهم فى العلم وقوله وفوق كل ذى علم عليم يقول تعالى ذكره وفوق كل عالم من هو أعلم منه حتى ينتهى ذلك الى الله تعالى وانما عنى بذلك أن يوسف أعلم اخوته وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف حتى ينتهى ذلك الى الله تعالى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا أبو عامر العقدى قال ثنا سفيان عن عبد الاعلى الثعلبى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أنه حدث بحديث فقال رجل عنده وفوق كل ذى علم عليم فقال ابن عباس بئسما قلت ان الله هو عليم وهو فوق كل عالم حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير قال حدث ابن عباس بحديث فقال رجل عنده الحمد لله وفوق كل ذى علم عليم فقال ابن عباس العالم الله وهو فوق كل عالم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عبد الاعلى عن سعيد ابن جبير قال كنا عند ابن عباس فحدث حديثا فتعجب رجل فقال الحمد لله فوق كل ذى علم عليم فقال ابن عباس بئسما قلت الله العليم وهو فوق كل عالم حدثنا الحسن بن محمد وابن وكيع قالا ثنا عمرو بن محمد قال أخبرنا اسرائيل عن سالم عن عكرمة عن ابن عباس وفوق كل ذى علم عليم قال يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا والله فوق كل عالم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال أخبرنا أبو الاحوص عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفوق كل ذى علم عليم قال الله الخبير العليم فوق كل عالم حدثنى المثنى قال ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفوق كل ذى علم عليم قال الله

* التفسير الأظهر أن هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله أستخلصه لنفسى يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز وفى قول يوسف اجعلنى على خزائن الارض دلالة أيضا على ما قلنا والاستخلاص طلب خلوص الشئ من شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك أن يتفردوا بالاشياء النفيسة روى أن جبريل دخل على يوسف فى السجن وقال قل اللهم اجعل لى من عندك فرجا ومخرجا وارزقنى من حيث لا أحتسب فقبل الله دعاءه وأظهر هذا السبب فى تخليصه بجاءه الرسول وقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك بخيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه (فلما كلمه) احتمل أن يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك وهذا أولى لان مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها الغير هم يروى أن الملك قال له أيها الصديق انى أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم من حاله ما علم من نزاهة ساحته وعدم مسارعته فى الخروج من السجن وقد وصفه الشرابى من جده فى الطاعة والاحسان الى سكان السجن ما وصف فعظم اعتقاده فيه فعند ذلك (قال انك اليوم لدينا مكين أمين) ويندرج فى المكانة كمال القدرة والعلم أما القدرة فظاهرة وأما العلم فلان

كونه متمكنا من أفعال الخير يتوقف على العلم بأفعال الخير وباضدادها وكونه أمينا متفرع عن كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة قال المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى أيها الصديق قال أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد من قبلك فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلني على خزائن الارض) اللام للعهد أي ولني خزائن أرض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشئ أي يحفظ (اني حفيظ) للامانات وأموال الخزائن (عليم) بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه أياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والشفقة قال الواحدي هذا الطلب خطيئة منه فكانت عقوبته أن أخر عنه المقصود سنة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره الله تعالى عنه سنة وقال آخرون ان التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه لان النبي يجب عليه رعاية الاصلح لامته بقدر الامكان وقد علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضنك فأراد السعي في ايصال النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل الى دفع الظلم والضرر عن الناس الا بالاستعانة من كافر أو فاسق فله أن يستظهر به على أن مجاهدا قد زعم أن الملك كان قد أسلم وقيل كان الملك يصدر عن رأيه فكان في حكم التابع لا المتبوع

فوق كل عالم حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي معشر عن محمد بن كعب قال سأل رجل عليا عن مسئلة فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا فقال علي أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن خالد عن عكرمة في قوله وفوق كل ذي علم عليم قال علم الله فوق كل أحد حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن نصر عن عكرمة عن ابن عباس وفوق كل ذي علم عليم قال الله عز وجل حدثنا ابن وكيع ثنا يعلى بن عبيد عن سفيان عن عبد الاعلى عن سعيد بن جبير وفوق كل ذي علم عليم قال الله أعلم من كل أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ابن شبرمة عن الحسن في قوله وفوق كل ذي علم عليم قال ليس عالم الا فوقه عالم حتى ينتهي العلم الى الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عاصم قال ثنا جويرية عن بشير الهجيمي قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية يوما وفوق كل ذي علم عليم ثم وقف فقال انه والله ما أمسى على ظهر الارض عالم الا فوقه من هو أعلم منه حتى يعود العلم الى الذي علمه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي عن جرير عن ابن شبرمة عن الحسن وفوق كل ذي علم عليم قال فوق كل عالم عالم حتى ينتهي العلم الى الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم الى الله منه بدئ وتعلمت العلماء واليه يعود وفي قراءة عبد الله وفوق كل عالم عليم * قال أبو جعفر ان قال لنا قائل وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه ثم يسرق قوما أبرياء من السرق ويقول أيتها العير انكم لسارقون قيل ان قوله أيتها العير انكم لسارقون انما هو خبر من الله عن مؤذن أذن به لا خبر عن يوسف وجائز أن يكون المؤذن أذن بذلك أن فقد الصواع ولا يعلم بصنيع يوسف وجائز أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف واستجاز الامر بالنداء بذلك لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الاحوال فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرق ويوسف يعني ذلك السرق لا سرقهم الصواع وقد قال بعض أهل التأويل ان ذلك كان خطأ من فعل يوسف فعاقبه الله باجابة القوم اياه ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ﴾ يقول تعالى ذكره قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون أخاه لابيه وأمه وهو يوسف كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ليوسف حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال يعني يوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقد سرق أخ له من قبل قال يوسف وقد اختلف أهل التأويل في السرق الذي وصفوا به يوسف فقال بعضهم كان صنما لجده أبي أمه كسره وألقاه على الطريق ذكر من قال

ووصف نفسه عليه السلام بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لاجل التمدح ولكن للتوصل الى الغرض المذكور (وكذلك) أي مثل ذلك التقريب والانجاء من السجن (مكنا ليوسف في الارض) أرض مصر وهي أربعون فرسخا في أربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) هو أو نشاء نحن على القراءتين والمراد بيان استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه أحد (نصيب برحمتنا من نشاء) فيه

أن الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة تلك المملكة لما لم تتم الا بأمور فعلها الله صارت كأنها من قبل الله تعالى وعلقوا أيضا المشيئة بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة ناقشوا في هذا القيد (ولا نضيع أجر المحسنين) لان اضاعة الاجر تكون للعجز أو للجهل أو للبخل والكل ممتنع في حقه تعالى (ولاجر الآخرة خير) من أجر الدنيا أو خير في نفسه وفي قوله المحسنين وقوله (للذين آمنوا وكانوا يتقون) اشارة الى أن يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين ففيه دلالة على نزاهة يوسف عن كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق يروى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سرير امن ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني مما ترى قال الرأى رأيك قال فاني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من المتارين أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحوما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه (وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) لم يعرفوه لان طول العهد ينسي ولاعتقادهم أنه قد هلك أو لذهابه

دلك حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال ثنا العيص بن الفضل قال ثنا مسعر عن أبي حصين عن سعيد بن جبير ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف صنما لجده أبي أمه كسره وألقاه في الطريق فكان اخوته يعيبونه بذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فقد سرق أخ له من قبل ذكر أنه سرق صنما لجده أبي أمه فعيروه بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل أرادوا بذلك عيب نبي الله يوسف وسرقته التي عابوه بها صنم كان لجده أبي أمه فأخذه انما أراد نبي الله بذلك الخير فعابوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال كانت أم يوسف أمرت يوسف يسرق صنما لخاله يعبده وكانت مسلمة * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي قال كان بنو يعقوب على طعام اصطنع يوسف الى عرق فخبأه فعيروه بذلك ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد أبي الحجاج قال كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة اسحق وكانت أكبر ولد اسحق وكانت اليها منطقة اسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر فكان من اختص بها ممن وليها كان له سلما لا ينازع فيه يصنع فيه ما شاء وكان يعقوب حين ولد له يوسف كان قد حضنته عمته فكان معها واليها فلم يحب أحد شيأ من الأشياء حبها اياه حتى اذا ترعرع وبلغ سنوات وقعت نفس يعقوب عليه أتاها فقال يا أخية سلمي الي يوسف فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة فقالت والله ما أنا بتاركته والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة قال فوالله ما أنا بتاركه قالت فدعه عندي أياما أنظر اليه وأسكن عنه لعل ذلك يسلي عنه أو كما قالت فلما خرج من عندها يعقوب عمدت الى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست ثم قالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف فقالت والله انه لي لسلم أصنع فيه ما شئت قال وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر فقال لها أنت وذاك ان كان فعل ذلك فهو سلم لك ما أستطيع غير ذلك فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت قال فهو الذي تقول اخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * قال ابن حميد قال ابن اسحق لما رأى بنو يعقوب ما صنع اخو يوسف ولم يشكوا أنه سرق قالوا أسفا عليهم لما دخل عليهم في أنفسهم تأنيبا له ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فلما سمعها يوسف قال أنتم شر مكانا سرا في نفسه ولم يبدها لهم والله أعلم بما تصفون وقوله فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون يعني بقوله فأسرها فأضمرها وقال فأسرها فأنث لانه عنى بها الكلمة وهي انتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزا كما قيل تلك من أنباء الغيب وذلك من أنباء القرى وكنى عن الكلمة ولم يجر لها ذكر متقدم والعرب تفعل ذلك كثيرا اذا كان مفهوما المعنى المراد عند سامعي الكلام وذلك نظير قول حاتم الطائي

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وضاق بالنفس الصدر فكنى عنها ولم يجر لها ذكرا ذ كان فى قوله اذا حشرجت يوما دلالة
سامع كلامه على مراده بقوله وضاق بها ومنه قول الله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فقال من بعدها ولم يجر قبل ذلك ذكرا لاسم
مؤنث وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم أما الذى أسر فى نفسه
قوله أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور
عن معمر عن قتادة فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قال
هذا القول **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن
أبيه عن ابن عباس قوله فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم يقول أسر فى نفسه قوله أنتم شر مكانا
والله أعلم بما تصفون وقوله والله أعلم بما تصفون يقول والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به
يعقوب وبنيامين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن
يحيى قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أنتم شر مكانا والله
أعلم بما تصفون يقولون ليوسف يقوله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله
بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة والله أعلم بما تصفون أى بما تكذبون فمعنى الكلام اذا فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها
لهم قال أنتم شر عند الله منزلا ممن وصفتموه بأنه سرق وأخبث مكانا بما سلف من أفعالكم والله
أعلم بكذبكم وان جهله كثير ممن حضر من الناس وذكر أن الصواع لما وجد فى رحل أخى يوسف
وهم لغرمهم بينهم كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما
خرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم وقالوا يا بنى راحيل ما يزال لنا منكم بلاء
أخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخى
فكتموه فى البرية ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم فقالوا لا تذكر
لهم فنؤخذ بها فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع فنقر فيه ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صواعى
يخبرنى أنكم كنتم اثنى عشر رجلا وأنكم انطلقتم باخ لكم فبعتموه فلما سمعها بنيامين قام
الى يوسف ثم قال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحى هو فنقره ثم قال هو حى وسوف
يقول فاصنع بى ما شئت فانه ان علم بى فسوف يستنقذنى قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ثم خرج
الى بنيامين أيها الملك انى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق فسله من سرقه فجعله فى
أذنه فنقره فقال ان صواعى هذا غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى وقد رؤيت مع من
هو قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل فقال أيها الملك والله لتتركنا أو
لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل الا ألقت ما فى بطنها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل

عند أبيه على زيادة محبته اياه وكونه فائقا فى الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا أباهم قال يوسف فلم
يروه وحيدا فريدا فقالوا بل بقى عنده واحد فقال لهم لم خصه بهذا المعنى لاجل نقص فى جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال
لهم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع أنكم فضلاء أدباء فلا بد أن يكون هو زائدا عليكم فى الكمال والجمال فائتونى به

حتى تعرفوا له (ولما جهزهم بجهازهم) هو ما يحتاج اليه فى كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز السفر قال وسمعت أهل البصرة يحكون الجهاز بالكسر وقال الازهرى القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة (قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم) قال العلماء لا بد من كلام يجر هذا الكلام فروى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من أنتم وما شأنكم فانى أنكركم قالوا نحن قوم من أهل الشأم رعاة أصابنا الجهد وجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد فقال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الاخ الحادى عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون قالوا انا ببلاد لا يعرفنا أحد قال فدعوا بعضكم عندى رهينا وأتونى بأخيكم من أبيكم يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فأعطاهم عشرة أحمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا وأخا آخر بقى معه ولا بد لهما من حملين آخرين فاستدل الملك

لأشاهده والاول قول المفسرين والآخران محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله (الا
أتى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين) المضيفين وكان قد أحسن ضيافتهم أوزاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثانى (فان لم تأتونى
كيل لكم عندى ولا تقربون) مجزوم على النهى أولانه داخل فى حكم الجزاء كأنه قيل فان لم تأتونى به تحرموا ولا

(قالوا سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه ونجتهد حتى ننتزعه من يده (وانا لفاعلون) كل ما فى وسعنا فى هذا الباب أو لقادرون على ذلك (وقال لفتيانه) أو لفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة فى أخ ففعلة للقلة ووجهه أن هذا العمل من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجهه أنه قال (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) والرحال عدد كثير ويناسبه الجم الغفير من الغلمان الكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على أنه أمر بوضع بضاعتهم فى رحالهم على وجه لا يعرفون بدليل قوله (لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم) وفرغوا ظروفهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعل والادم وقيل أمر بوضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها أما السبب الذى لاجله أمر يوسف بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف أن لا يكون عند أبيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع أو أراد به التوسعة على أبيه لان الزمان كان زمان قحط أو لأن أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته لؤم أو أراد أن يرجعوا ليعرفوا سبب الرد لانهم أولاد الانبياء فيحترز وا أن يكون ذلك على سبيل السهو أو أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على أبيه ارسال أخيه وقيل يرجعون متعد أى لعلهم يردونها (قالوا يا أبانا منع منا الكيل) أرادوا قول يوسف تأتونى به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع يؤيده قراءة من قرأ نكتل بالنون أى نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ونح

فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنب رويبل فسه وكان بنو يعقوب اذا غضب أحد
فسه الآخر ذهب غضبه فر الغلام الى جنبه فسه فذهب غضبه فقال رويبل من هذا ان فى هذا
لبزرا من بزر يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب رويبل فقال يا أيها الملك لا تذكر يعقوب
فانه سرى الله ابن ذبيح الله ابن خليل الله قال يوسف أنت اذا كنت صادقا ﴿ القول فى تأويله
تعالى ﴿ قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين ﴾ يقول
ذكره قالت اخوة يوسف ليوسف يا أيها العزيز يا أيها الملك ان له أبا شيخا كبيرا كلفا بحب
يعقوب فخذ أحدنا مكانه يعنون فخذ أحدا منا بدلا من بنيامين وخل عنه انا نراك من المحسنين
يقولون انا نراك من المحسنين فى أفعالك وقال محمد بن اسحق فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن اسحق انا نراك من المحسنين انا نرى ذلك منك احسانا ان فعلت ﴿ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون ﴾ يقول تعالى ذكره
قال يوسف لاخوته معاذ الله أعوذ بالله وكذلك تفعل العرب فى كل مصدر وضعته موضع فعل
ويفعل فانها تنصب كقولهم حمدا لله وشكرا له بمعنى أحمد الله وأشكره والعرب تقول
معاذ الله ومعاذة الله فتدخل فيه هاء التأنيث كما يقولون ما أحسن معناة هذا الكلام ومعناه
وعوذة الله وعياذا لله ويقولون اللهم عائذا بك كأنه قيل أعوذ بك عائذا أو أدعوك عائذا أن نأخذ
من وجدنا متاعنا عنده يقول أستجير بالله من أن نأخذ بريء بأسقيم كما حدثنا ابن حميد
ثنا سلمة عن ابن اسحق قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون بذ
ان أخذنا غير الذى وجدنا متاعنا عنده انا اذا نفعل ما ليس لنا فعله ونجور على الناس
ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا
أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون
قال يوسف اذا أتيتم أباكم فاقرؤه السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعوك أن لا تموت حتى
ابنك يوسف حتى يعلم أن فى أرض مصر صديقين مثله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى
استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن
ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ﴾
تعالى ذكره فلما استيأسوا منه فلما يئسوا منه من أن يخلى يوسف عن بنيامين ويأخذ منهم
مكانه وأن يجيبهم الى ما سألوه من ذلك وقوله استيأسوا استفعلوا من يئس الرجل من
يأس كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما استيأسوا منه يئسوا منه
شدته فى أمره وقوله خلصوا نجيا يقول بعضهم لبعض يتناجون لا يختلط بهم غيرهم
جماعة القوم المنتجين يسمى به الواحد والجماعة كما يقال رجل عدل ورجال عدل وقوم زور
وهو مصدر من قول القائل نجوت فلانا أنجوه نجيا جعل صفة ونعتا ومن الدليل على أن
كما ذكرنا قول الله تعالى وقربناه نجيا فوصف به الواحد وقال فى هذا الموضع خلصوا نجيا فوصف
به الجماعة ويجمع النجى أنجية كما قال لبيد

وشهدت أنجية الافاقة عاليا * كعبى وأرداف الملوك شهود

ويقال للجماعة من الرجال نجوى كما قال جل ثناؤه وادهم نجوى وقال ما يكون من نجوى ثلثة هم القوم الذين يتناجون وتكون النجوى أيضا مصدرا كما قال الله انما النجوى من الشيطان ويقول منه نجوت أنجو نجوى فهى فى هذا الموضع المناجاة نفسها ومنه قول الشاعر

بنى بداحب نجوى الرجال * فكن عند سرك حب النجى

والنجوى والنجى فى هذا البيت بمعنى واحد وهو المناجاة وقد جمع بين اللغتين وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله خلصوا نجيا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا وأخلص لهم شمعون وقد كان ارتهنه خلوا بهم نجيا يتناجون بينهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خلصوا نجيا خلصوا وحدهم نجيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق خلصوا نجيا أى خلا بعضهم ببعض ثم قالوا ماذا تأمرون وقوله قال كبيرهم اختلف أهل العلم فى المعنى بذلك فقال بعضهم عنى به كبيرهم فى العقل والعلم لا فى السن وهو شمعون قالوا وكان روبيل أكبرمنه فى الميلاد ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى قال كبيرهم قال هو شمعون الذى تخلف وأكبرمنه أو أكبر منهم فى الميلاد روبيل **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كبيرهم شمعون الذى تخلف وأكبرمنه فى الميلاد روبيل **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد قال كبيرهم قال شمعون الذى تخلف وأكبرهم فى الميلاد روبيل * وقال آخرون بل عنى به كبيرهم فى السن وهو روبيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كبيرهم وهو روبيل أخو يوسف وهو ابن خالته وهو الذى نهاهم عن قتله **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال كبيرهم قال روبيل وهو الذى أشار عليهم أن لا يقتلوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال كبيرهم (١) فى العلم ان أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض الآية فأقام روبيل بمصر وأقبل التسعة الى يعقوب فأخبروه الخبر فبكى وقال يا بنى ما تذهبون مرة الا نقصتم واحدا ذهبتم مرة فنقصتم يوسف وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون وذهبتم الآن فنقصتم روبيل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال ماذا ترون فقال روبيل كما ذكر لى وكان كبير القوم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله لتأتننى به الا أن يحاط بكم ومن قبل ما فرطتم فى يوسف الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة قول من قال عنى بقوله قال كبيرهم روبيل لاجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنا ولا تفهم العرب فى المخاطبة اذا قيل لهم فلان كبير القوم مطلقا بغير وصل الا أحد معنيين اما فى الرياسة عليهم والسؤدد واما فى السن فأما فى العقل فانهم اذا أرادوا ذلك وصلوه فقالوا هو كبيرهم فى العقل فاما اذا أطلق بغير صلته بذلك فلا يفهم الا ما ذكرت وقد قال أهل التأويل لم يكن لشمعون وان كان قد كان من العلم والعقل بالمكان الذى جعله الله به على اخوته رياسة وسؤدد

(١) لعله فى السن تأمل كتبه مصححه

فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وقال (فالله خير حافظا) وحافظا نصب على التمييز واحتمل الثانى الحال نحو لله درّه فارسا (وهو أرحم الراحمين) أرجو أن لا يجمع على مصيبتين وقيل انه تذكر يوسف فقال فالله خير حافظا أى ليوسف لأنه كان يعلم أنه حى (ولما فتحوا متاعهم) هو عام فى كل ما يستمتع به ويجوز أن يراد به ههنا الطعام أو الأوعية أما قوله (ما نبغى) فالبغى بمعنى الطلب وما نافية أو استفهامية المعنى ما نطلب شيأ وراء ما فعل بنا من الاحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو أى شئ نطلب وراء هذا نستظهر بالبضاعة المردودة الينا (ونمير أهلنا) فى رجوعنا الى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شئ مما نخافه (ونزداد) باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا فأى شئ نبغى وراء هذه المباغى ويجوز أن يكون البغى بمعنى الكذب والتزيد فى القول على أن ما نافية أى ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قد منا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا تلك الكرامة قال فى الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله وغير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا لصدقهم وقوله وغير معطوفا على ما نبغى أو يكون كلاما مبتدأ أى ونبغى أن نمير كما تقول سعيت فى حاجة فلان ويجب أو ينبغى أن أسعى ويجوز أن يراد بما نبغى ما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من ارسال أخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين فى رأيهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا الى آخره يقال مار أهله يميرهم اذا أتاه بميرة أى بطعام (ذلك كيل يسير) أى ذلك المكيل لاجلنا قليل نريد أن يضاف اليه ما يكال

لاجل أخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير أى ذلك القدر سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه واختاره
وجوز فى الكشاف أن يكون هذا من كلام يعقوب يعنى أن حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد (قال لن أرسله معكم حتى
موثقا) تعطونى ما أتى به من عند الله وهو الحلف (لتأتنى به الا أن يحاط بكم) استثناء من أعم العام فى المعنى
يقع مثل هذا الاستثناء فى الاثبات
اذا استقام المعنى نحو قرأت الا يوم
كذا وان شئت فأوله بالنفى أى
لا تمتنعون من الاتيان به لعلة من
العلل الا بعلة واحدة هى أن يحاط
بكم أى تهلكوا جميعا قاله مجاهد
أو تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قاله
قتادة (على ما نقول) من طلب الموثق
واعطائه (وكيل) مطلع رقيب قال
جمهور المفسرين انما نهاهم أن
يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم
من اصابة العين وههنا مقامان
الاول أن الاصابة بالعين حق
لاطباق كثير من الامة ولما روى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعوذ الحسن والحسين فيقول
أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل
شيطان وهامة ومن كل عين لامة
أى جامعة لشر من لمه اذا جمعه أو
المراد مملة والتغيير للمزاوجة وعن
عبادة بن الصامت قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم
عدت اليه آخر النهار فرأيته
معافى فقال ان جبرئيل عليه
السلام أتانى فرقانى وقال بسم
الله أرقيك من كل شئ يؤذيك
من كل عين وحاسد الله يشفيك
قال فأفقت وروى أنه دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة
وعندها صبى يشتكى فقالوا
يارسول الله أصابته العين قال أفلا
تسترقون له من العين وعنه صلى الله
عليه وسلم العين حق ولو كان شئ يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عائشة كان يأمر العائن للغسل
أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثانى فى الكشف عن حقيقته قال الجاحظ يمتد من العين أجزاء فتتصل بالشخص المستحسن فتؤثر
وتسرى فيه كتأثير اللسع والسم واعترض الجبائى وغيره بأنه لو كان كذلك لاثر فى غير المستحسن كتأثيره فى المستحسن وأجيب

فيعلم بذلك أنه عنى بقوله قال كبيرهم فاذا كان ذلك كذلك فلم يبق الا الوجه الآخر وهو
فى السن وقد قال الذين ذكرنا جميعا وبيل كان أكبر القوم سنا فصح بذلك القول الذى اخ
وقوله ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله يقول ألم تعلموا أيها القوم أن
يعقوب قد أخذ عليكم عهود الله ومواثيقه لتأتينه به جميعا الا أن يحاط بكم ومن قبل هذا
هذه تفريطكم فى يوسف يقول أولم تعلموا من قبل هذا تفريطكم فى يوسف وانما صرف
الكلام الى هذا الذى قلناه كانت ما حينئذ فى موضع نصب وقد يجوز أن يكون قوله ومن
ما فرطتم فى يوسف خبرا مبتدأ ويكون قوله ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله
متناهيا فتكون ما حينئذ فى موضع رفع كأنه قيل ومن قبل هذا تفريطكم فى يوسف ثابت
ما مرفوعة بمن قبل هذا ويجوز أن تكون ما التى تكون صلة فى الكلام فيكون تأويل الكلام
قبل هذا (١) تفريطكم فى يوسف وقوله فلن أبرح الارض التى أنا بها وهى مصر فأفارقها حتى
لى أبى بالخروج منها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلن أبرح الارض
أنا بها اليوم حتى يأذن لى أبى بالخروج منها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال
شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال شمعون لن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى أو يحكم
وهو خير الحاكمين وقوله أو يحكم الله أو يقضى لى ربى بالخروج منها وترك أخى بنيامين والا
غير خارج وهو خير الحاكمين يقول والله خير من حكم وأعدل من فصل بين الناس وكان أبو
يقول فى ذلك بما حدثنى الحسين بن يزيد السبيعى قال ثنا عبد السلام بن حرب عن أبى
ابن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى قال بالسيف وكأن أبا صالح
تأويل قوله أو يحكم الله لى الى أو يقضى الله لى بحرب من منعنى من الانصراف بأخى بنيامين
أبيه يعقوب فأخبر به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا
ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل
روبيل لاخوته حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذى استخرج من وعائه ارجعوا اخوتى الى أبيكم
يعقوب فقولوا له يا أبانا ان ابنك بنيامين سرق والقراء على قراءة هذا الحرف بفتح السين
والتخفيف ان ابنك سرق وروى عن ابن عباس ان ابنك سرق بضم السين وتشديد الراء على
ما لم يسم فاعله بمعنى أنه سرق وما شهدنا الا بما علمنا واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك
بعضهم بمعناه وما قلنا انه سرق الا بظاهر علمنا بأن ذلك كذلك لان صواع الملك أصيب فى وعائه
أو بعبة غيره ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ارجعوا الى أبيكم فقو
ما كنت راجعا حتى يأتينى أمره فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما اختلف
السرقة فى رحله ونحن ننظر لا علم لنا بالغيب وما كنا للغيب حافظين * وقال آخرون بل معنى
وما شهدنا عند يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته الا بما علمنا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال لهم يعقوب عليه السلام ما يدرى هذا الرجل أن السارق يؤخذ
بسرقته الا بقولكم فقالوا ما شهدنا الا بما علمنا لم نشهد أن السارق يؤخذ بسرقته الا وذلك الذى علمنا
قال وكان الحكم عند الانبياء يعقوب وبنيه أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا فيسترق وقوله وما كنا

(١) لعله فرطتم فى يوسف تأمل كتبه مصححه

المتحسن ان كان صديقا حصل للعائن عند ذلك الاستحسان خوف شديد من زواله وان كان عدوا حصل له خوف شديد من حصوله وعلى التقديرين يسخن الروح وينحصر فى داخل القلب ويحصل فى الروح الباصرة كيفية مسخنة مؤثرة فلهذا السبب أمر النبى صلى الله عليه وسلم العائن بالوضوء ومن أصابته العين بالاغتسال منه وقال أبو هاشم وأبو القاسم البلخى لايمتنع أن صاحب العين اذا شاهد الشئ وأعجب به كانت المصلحة له فى تكليفه أن يغير الله ذلك الشخص حتى لايبقى قلب ذلك المكلف معلقا به وقال الحكماء ليس من شرط المؤثر أن يكون تأثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التأثير نفسانيا محضا أو وهميا كما للماشى على الجذع أو تصوريا كما فى الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة تتصرف فى غير أبدانها بحسبها فمنها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين أما الجبائى وغيره ممن أنكر العين فقد قالوا ان أولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس بكمالهم وجمالهم وهيئتهم فلم يأمن يعقوب أن يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بأن الملك ولده الا أن الله تعالى لم يأمره باظهاره وكان غرضه أن يصل بنيامين اليه فى غيبتهم قاله ابراهيم النخعى واعلم أن العبد يجب عليه أن يسعى بأقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد السعى البليغ يجب أن يعلم أن كل مايدخل فى الوجود فهو بقضاء الله وقدره وأن الحذر لايغنى عن القدر فلهذا قال يعقوب (وما أغنى عنكم من الله من شئ) فقوله الاول مبنى على رعاية الاسباب والوسائط وقوله الثانى الى آخر الآية اشارة الى الحقيقة وتفويض الامر بالكلية الى مسبب الاسباب وقد صدقه الله تعالى فى ذلك بقوله (ما كان يغنى عنهم من الله من شئ) قال ابن عباس ما كان ذلك ليرد قضاء الله تعالى وقال الزجاج وابن الانبارى لو سبق فى علم الله أن العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال ورد ما كان يغنى عنهم رأى يعقوب شيأ قط حيث أصابهم ماساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وأخذ الاخ وتضاعف المصيبة على

لغيب حافظين يقول وما كنا نرى أن ابنك يسرق ويصير أمرنا الى هذا وانما قلنا ونحفظ أخانا مما نالنا الى حفظه منه السبيل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن الحريث أبو عمار المروزى قال ثنا الفضل بن موسى عن الحسن بن واقد عن يزيد عن عكرمة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نعلم أن ابنك يسرق حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما كنا للغيب حافظين لم نشعر أنه سيسرق حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كنا للغيب حافظين قال لم نشعر أنه سيسرق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كنا للغيب حافظين قال لم نشعر أنه سيسرق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأبو سفيان عن معمر عن قتادة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نظن ولا نشعر أنه سيسرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نرى أنه سيسرق حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما كنا للغيب حافظين قال ما كنا نظن أن ابنك يسرق وأولى التأويلين بالصواب عندنا فى قوله وما شهدنا الا بما علمنا قول من قال وما شهدنا بأن ابنك سرق الا بما علمنا من رؤيتنا للصواع فى وعائه لانه عقيب قوله ان ابنك سرق فهو بأن يكون خبرا عن شهادتهم بذلك أولى من أن يكون خبرا عما هو منفصل وذكر أن الغيب فى لغة جير هو الليل بعينه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وانا لصادقون ﴾ يقول وان كنت متهمنا لنا لاتصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق فاسأل القرية التى كنا فيها وهى مصر يقول سل من فيها من أهلها والعير التى أقبلنا فيها وهى القافلة التى كنا فيها التى أقبلنا منها معها عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقته فانك تخبر مصداق ذلك وانا لصادقون فيما أخبرناك من خبره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واسأل القرية التى كنا فيها وهى مصر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واسأل القرية التى كنا فيها قال يعنون مصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قد عرف روبيل فى رجع قوله لاخوته أنهم أهل تهمة لما أبيهم لما كانوا صنعوا فى يوسف وقولهم له اسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيه فقد علموا ما علمنا وشهدوا ما شهدنا ان كنت لاتصدقنا وانا لصادقون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم ﴾ قال أبو جعفر فى الكلام متروك وهو فرجع اخوة بنيامين الى أبيهم وتخلف روبيل فأخبروه خبره فلما أخبروه أنه سرق قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا يقول بل زينت لكم أنفسكم أمرا هممتم به وأردتموه فصبر جميل يقول فصبرى على ما نالنى من فقد ولدى صبر جميل لاجزع فيه ولا شكاية عسى الله أن يأتينى بأولادى جميعا فيردهم على انه هو العليم بوجدتى

الاب (الاحاجة) استثناء منقطع أى ولكن حاجة (فى نفس يعقوب قضاها) وهى اظهار الشفقة والنصيحة أو الخوف من اصابة العين أو حسد أهل مصر أو من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله (وانه لذو علم) يعنى علمه بأن الحذر لا يدفع القدر (لما علمناه) ما مصدرية أو موصولة أى لتعليمنا اياه أو للذى علمناه وقيل العلم الحفظ والمراقبة وقيل المضاف محذوف أى لذوائد ما علمناه وحسن آثاره وانارته كونه عاملا بعلمه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مثل علم يعقوب أو لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة فى العلم وقيل المراد بأكثر الناس المشركون لا يعلمون أن الله تعالى كيف أرشد أولياءه الى العلوم التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة ﴿التأويل﴾ لما تبين لملك الروح قدر يوسف القلب وأمانته وصدقه وحسن استعداده سعى فى خلاصه من سجن صفات البشرية ليكون خالصا له فى كشف حقائق الاشياء ولم يعلم أنه خلق لصلاح جميع رعايا مملكة روحانية وجسمانية كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى جسد بنى آدم مضغة ان صلحت صلح بها سائر الجسد وان فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهى القلب وللقلب اختصاص آخر بالله دون سائر المخلوقات قال سبحانه لا يسعنى أرضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن اجعلنى على خزائن أرض الجسد فان لله تعالى فى كل عضو من الاعضاء خزانة من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزانة من القهران استعمله فى ضده انى حفيظ للخزائن عليم باستعمالها فيما ينفعها دون ما يضرها نصيب برحمتنا فيه أن اصابة اللطف من تلك الخزائن دون القهر موكولة الى مشيئة الله تعالى وجاء اخوة يوسف وهم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم فى الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بشير الى أن يوسف القلب لما التجأت اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا يحضر مع القلب الا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه يوفى بأوفى الكيل مالم يوف قال

و بفقدهم وحزنى عليهم وصدق ما يقولون من كذبه الحكيم فى تدبيره خلقه و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل يقول زينت وقوله عسى الله أن يأتينى بهم جميعا يقول بيوسف وأخيه وروبيل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما جاؤا بذلك الى يعقوب يعنى يقول روبيل لهم اتهمهم وظن أن ذلك كفعلتهم بيوسف ثم قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا أى بيوسف وأخيه وروبيل ﴿الحزن فى تأويل قوله تعالى﴾ (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) يعنى تعالى ذكره بقوله وتولى عنهم وأعرض عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف يعنى يا حزنا عليه يقال ان الاسف هو أشد الحزن والتندم يقال منه أسفت على كذا آسف عليه أسفا يقول الله جل ثناؤه وابيضت عينا يعقوب من الحزن فهو كظيم يقول فهو مكظوم على الحزن يعنى أنه مملوء منه ممسك عليه لا يبينه صرف المفعول منه الى فعيل ومنه قوله والكاظمين الغيظ وقد بينا معناه بشواهده فيما مضى وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ما قلنا فى تأويل قوله وقال يا أسفا على يوسف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتولى عنهم أعرض عنهم وتتام حزنه و بلغ مجهوده حين لحق بيوسف أخوه وهيج عليه حزنه على يوسف فقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف يقول يا حزنى على يوسف **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يا أسفا على يوسف يا حزنا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يا أسفا على يوسف يا حزناه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يا أسفا على يوسف يا حزناه حزنا **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يا أسفا على يوسف يا حزنا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أسفا على يوسف أى حزنا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يا أسفا على يوسف قال يا حزنا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن حميد المعمرى عن معمر عن قتادة نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقال يا أسفا على يوسف (١) **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع **وحدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعيرة عن الضحاك يا أسفا على يوسف قال يا حزنا على يوسف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أبى مرزوق عن جويبر عن الضحاك يا أسفا يا حزناه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك يا أسفا يا حزنا على يوسف **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق

(١) لعله ترك المتن اختصارا اكتفاء بما تقدم عنه بسند محمد بن سعد تأمل كتبه مصححه

قال أخبرنا الثورى عن سفيان العصفرى عن سعيد بن جبير قال لم يعط أحد غير هذه الامة الاسترجاع ألا تسمعون الى قول يعقوب يا أسفا على يوسف حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سعيد بن جبير نحوه ذكر من قال ماقلنا فى تأويل قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فهو كظيم قال كظيم الحزن حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فهو كظيم قال كظيم الحزن حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فهو كظيم قال الحزن حدثنى المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فهو كظيم مكمود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فهو كظيم قال كظيم على الحزن حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله فهو كظيم قال الكظيم الكميد حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى قوله فهو كظيم قال كميد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله كظيم قال كميد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يقول يردد حزنه فى جوفه ولم يتكلم بسوء حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فهو كظيم قال كظيم على الحزن فلم يقل بأسا حدثنا الحسن ابن محمد قال ثنا الحسين بن الحسن قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قال كظيم على الحزن فلم يقل الا خيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن يزيد بن زريع عن عطاء الخراسانى فهو كظيم قال مكروب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فهو كظيم قال من الغيظ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قال الكظيم الذى لا يتكلم بلغ به الحزن حتى كان لا يكلمهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين﴾ يعنى تعالى ذكره قال ولد يعقوب الذين انصرفوا اليه من مصر له حين قال يا أسفا على يوسف تالله لا تزال تذكر يوسف وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تفتؤ تفتر من حبه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تفتؤ ما تفتر من حبه كذا قال الحسن فى حديثه وهو غلط انما هو تفتر من حبه تزال تذكر يوسف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تفتر من حبه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تفتؤ تفتر من حبه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم فيه أن البضاعة كل عمل من الاعمال البدنية التى تحيا بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس تتأدب وتتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم أحسنتم لانفسكم وان تربية القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والاخلاص ثم قال كمال تربية القلب بالتخلية وتجلى صفات الحق وصفات ذاته لعلهم يرجعون من صفة الامارية الى المأمورية والاطمئنان فيستحق بجذبة ارجعى الى ربك رددت الينا فوائده ما ترجع الى يوسف القلب ونميز أهلنا الاعضاء والجوارح نحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة له ونحفظ أحاثا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور السر عند القلب كيل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لتأتنى به مع الفوائد الربانية الا أن يحاط بكم الا أن يغالب عليكم الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تتقربوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاسباب مدخل فى التقريب الا أن الكل موكول الى مسبب الأسباب ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم

قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض (٢٨) حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم ۞ القرا آت انى أنا أخوك بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالاضافة وبياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا وبابه بالالف ثم الياء أبو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الباقون بياء ثم همزة على الأصل لي أبي بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ووافق ابن كثير في أبي ۞ الوقوف يعلمون ○ لسارقون ○ تفقدون ○ زعيم ○ سارقين ○ كاذبين ○ فهو جزاؤه ط الظالمين ○ من وعاء أخيه ط ليوسف ط يشاء الله ط لان ما بعده مستأنف نشاء ط عليم ○ من قبل ط مكانا ج تصفون ○ مكانه ج الثلاثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين ○ عنده لانقطاع اذا بما قبلها الظالمون ○ نجيا ط يوسف ط للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي ج لاحتمال ما بعده الابتداء أو الحال الحاكمين ○ سرق ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل حافظين ○ أقبلنا فيها ط لاختلاف الجملتين والابتداء بان لصادقون ○ أمرا ط جميل ط جميعا ط الحكيم ○ ۞ التفسير روى أنهم لما أتوه بأخيهم بنيامين أنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي

في قوله تالله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف قال لا تفتر من حبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف (١) حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تفتؤ تذكر يوسف قال لا تزال تذكر يوسف يقال منه ما فتئت أقول ذلك وما فتأت لغة أتى وأفتأ فتأ وفتوا وحكى أيضا ما أفتأت به ومنه قول أوس بن حجر

فما فتئت حتى كأن غبارها * سرادق يوم ذي رياح ترفع

وقوله الآخر

فما فتئت خيل تثوب وتدعى * ويلحق منها لاحق وتقطع

بمعنى فما زالت وحذفت لا من قوله تفتؤ وهي مرادة في الكلام لان اليمين اذا كان ما بعدها خبرا يحبها الجحد ولم تسقط اللام التي يجاب بها الايمان وذلك كقول القائل والله لآتينك واذا كان ما بعدها مجحودا تلقيت بما أو بلا فلما عرف موقعها حذفت من الكلام لمعرفة السامع بمعنى الكلام ومنه قول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

فحذفت لا من قوله أبرح قاعدا لما ذكرت من العلة كما قال الآخر

فلا وأبي دهماء زالت عزيزة * على قومها ما قيل الزند قادح

يريد لا زالت وقوله حتى تكون حرضا يقول حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل وأصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق ومنه قول العرجي

انى امرؤ لج بي حب فأحرضني * حتى بليت وحتى شفني السقم

يعني بقوله فأحرضني أذابني فتركني محرضا يقال منه رجل حرض وامرأة حرض وقوم حرض ورجلان حرض على صورة واحدة للذكر والمؤنث وفي التثنية والجمع ومن العرب من يقول للذكر حارض وللانثى حارضة فاذا وصف بهذا اللفظ ثنى وجمع وذكر وأنث ووحد حرض بكل حال ولم يدخله التأنيث لانه مصدر فاذا أخرج على فاعل على تقدير الاسماء لزمه ما يلزم الاسماء من التثنية والجمع والتذكير والتأنيث وذكر بعضهم سماعا رجل محرض اذا كان وجعا وأنشد في ذلك بيتا

طلبته الخيل يوما كاملا * ولو ألفته لأضحى محرضا

وذكر أن منه قول امرئ القيس

أرى المرء ذا الاذواد يصبح محرضا * كأحراض بكر في الديار مريض

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال

(١) كذا في النسخ وهو مكرر سندا ومتنا باللفظ والمعنى فتنبه وحرر كتبه مصححه

أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته ثم أمر أن ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثانى له فاتركوه معى فآواه اليه اى انزله فى المنزل الذى كان يأوى اليه فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى أصبح ولما رأى تأسفه لاخ هلك قال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و (قال انى أنا أخوك) قال وهب أراد انى أقوم لك مقام أخيك فى الايناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين أراد تعريف النسب لان ذلك أقوى فى ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة (فلا تبتئس) افتعال من البؤس الشدة والضر أراد نهيه عن اجتلاب الحزن (بما كانوا يعملون) من دواعى الحسد والاعمال المنكرة التى أقدموا عليها يروى أن بنيامين قال ليوسف أنا لا أرفك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك ولا سبيل الا بأن أنسبك الى ما ليس يحسن قال أنا راض بما رضيت قال فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك أنك قد سرقته فذلك قوله سبحانه (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه) والسقاية مشربة يسقى بها وهى الصواع كان يسقى بها الملك أو الدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب أو فضة مموهة بالذهب أو مرصعا بالجواهر أقوال (ثم أذن مؤذن) نادى مناد ومعناه راجع الى الايذان والاعلام الا أن التشديد يفيد التكثير أو التصويت بالنداء (أيتها العير) أراد أصحاب العير كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبى

ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى تكون حرضا يعنى الجهد فى المرض البالى حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن غير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى تكون حرضا قال دون الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد حتى تكون حرضا قال الحرض ما دون الموت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى تكون حرضا حتى تبلى أو تهرم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى تكون حرضا حتى تكون هرما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أبى بكر الهذلى عن الحسن حتى تكون حرضا قال هرما * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال الحرض الشئ البالى حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله حتى تكون حرضا قال الحرض الشئ البالى الفانى * قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى معاذ عن عبيد بن سليمن عن الضحاك حتى تكون حرضا الحرض البالى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك يقول فى قوله حتى تكون حرضا هو البالى المندثر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى حتى تكون حرضا باليا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما ذكر يعقوب يوسف وما يبغى ولده الذين حضروه فى ذلك الوقت جهلا وظلما ما تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى تكون فاسد الاعقل لك أو تكون من الهالكين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال الحرض الذى قد رد الى أرذل العمر حتى لا يعقل أو تهلك فتكون هالكا قبل ذلك وقوله أو تكون من الهالكين يقول أو تكون ممن هلك بالموت * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد أو تكون من الهالكين قال الموت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو تكون من الهالكين من الميتين حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك أو تكون من الهالكين قال الميتين حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن عون عن أبى بكر الهذلى عن الحسن أو تكون من الهالكين قال الميتين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تكون من الهالكين قال أو تكون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو تكون من الهالكين قال من الميتين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى أو تكون

عير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أى تذهب وتجىء وقيل هى قافلة الحمير كأنها جمع عير وأصلها فعل بالضم كسقف فغيرت الضمة كسرة لاجل الياء كما فى بيض ثم كثر فى الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو أنه كيف جاز لنبى الله يوسف أن يرضى بنسبة قومه الى السرقة وهم برآء وأجاب العلماء بأنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم لانهم لما لم يجدوا السقاية

غلب على ظنونهم أنهم أخذوها أو المؤذن ذكر ماذكر على سبيل الاستفهام أو المراد أنهم سرقوا يوسف عليه السلام من أبيهم أو ان فيكم سارقا وهو الاخ الذى رضى بذلك البهتان فلا ذنب لان الخصم رضى بأن يقال فى حقه ذلك ثم ان اخوة يوسف (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) قيل صواع اسم للصاع والسقاية وصف (ولمن جاء به) أى بالصواع (حمل بعير) من طعام جعلا لمن حمله (وأنا به زعيم) كفيل هو من قول المؤذن وفيه أن الكفالة كانت صحيحة فى شرعهم أيضا اذا كان معلوما فكأن حمل بعير كان عندهم شيأ معلوما كوسق مثلا الا أن هذه كفالة مال لرد السرقة وهو كفالة مالم يجب لانه لا يحل للسارق أن يأخذ شيأ على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم (قالوا تالله) التاء مبدلة من الواو فضعفت عن التصرف فى سائر الاسماء وجعلت فيما هو أحق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على أمرين معجبين أحدهما أنهم علموا أن اخوة يوسف ماجاؤا لأجل الفساد فى الأرض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روى أنهم دخلوا وأفواه دوابهم مشدودة خوفا من أن تتناول زرعا أو طعاما لأحد فى الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على أنواع الطاعات ورد المظالم حتى حكى أنهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم وثانيهما أنهم ماوصفوا قط بالسرقة (قالوا) أى أصحاب يوسف (فما جزاؤه) قال فى الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف أى فما جزاء سرقته ان كنتم من الكاذبين فى جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل أن يعود الى السارق وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا فى الجزاء حتى (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاؤه الرق قال الزجاج وقوله (فهو جزاؤه) زيادة فى البيان أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقال حق السارق القطع جزاؤه لتقرير ماذكر من استحقاقه ويجوز أن يكون مبتدأ وباقى الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل بالخبرية على أن الاصل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو ليكون الضمير الثانى عائد الى المبتدا والاول الى من والكل

من الهالكين قال من الميتين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره قال يعقوب للقائلين له من ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين لست اليكم أشكو بثى وحزنى وانما أشكو بثى وحزنى الى الله ويعنى بقوله انما أشكو بثى ما أشكو همى وحزنى الا الى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج انما أشكو بثى قال ابن عباس بثى همى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يعقوب عن علم بالله انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم به لم أشك ذلك اليكم وأعلم من الله مالا تعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن انما أشكو بثى وحزنى الى الله قال حاجتى وحزنى الى الله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن مثله وقيل ان البث أشد الحزن وهو عندى من بث الحديث وانما يراد منه انما أشكو خبرى الذى أنا فيه من الهم وأبث حديثى وحزنى الى الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن انما أشكو بثى قال حزنى حدثنا ابن بشار قال ثنى يحيى بن سعيد عن عوف عن الحسن انما أشكو بثى وحزنى قال حاجتى وأما قوله وأعلم من الله مالا تعلمون فان ابن عباس كان يقول فى ذلك فيما ذكر عنه ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله وأعلم من الله مالا تعلمون يقول أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وانى سأسجد له حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون قال لما أخبر يعقوب ان الملك أحست نفس يعقوب وقال ما يكون فى الارض صديق الا نبى فطمع قال لعله يوسف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله الآية ذكر لنا أن نبى الله يعقوب لم ينزل به بلاء قط الا أتى حسن ظنه بالله من ورائه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عيسى بن يزيد عن الحسن قال قيل ما بلغ وجد يعقوب على ابنه قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد قال وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار حدثنا ابن حميد مرة أخرى قال ثنا حكام عن أبى معاذ عن يونس عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن المبارك بن مجاهد عن رجل من الازد عن طلحة بن مصرف الايامى قال ثلاثة لا تذكرهن واجتنب ذكرهن لا تشك مرضك ولا تشك مصيبتك ولا تزك نفسك قال وأنبئت أن يعقوب بن اسحق دخل عليه جار له فقال له يا يعقوب مالى أراك انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك قال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف وذكره فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال فانى قد غفرت لك وكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون حدثنا عمرو بن على قال ثنى مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت

وضع المظهر مقام المضمر للتأكيد والمبالغة وجوز فى الكشاف أن يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف أى المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه أما قوله (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء (نجزى الظالمين) فيحتمل أن يكون من بقية كلام اخوة يوسف وأن يكون من كلام أصحاب يوسف والله أعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لابد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لنفى التهمة والوعاء كل ما اذا وضع فيه شئ أحاط به قال قتادة كان لاينظر فى وعاء الا استغفر الله تأثما مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا أخوه قال ما أظن هذا أخذ شيأ فقالوا والله لاتتركه حتى تنظر فى رحله فنظر (ثم استخرجها) أى السقاية أو الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء أخيه) فأخذوا برقبته وحكموا برقيته ثم قال سبحانه (كذلك) أى مثل ذلك الكيد العظيم (كدنا ليوسف) يعنى علمناه اياه وأوحينا به اليه والكيد مبدؤه السعى فى الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لايشعر به فى أمر مكروه لاسبيل الى دفعه وقد سبق فيما تقدم أن أمثال هذه الالفاظ فى حقه تعالى محمولة على النهايات لاعلى البدايات وما هذا الكيد قيل هو أن اخوة يوسف سعوا فى ابطال أمره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل فى الخير أيضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء فعلنا به انتهاء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) لان حكم الملك فى السارق أن يضرب ويغرم مثلى ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس أخيه بناء على دين الملك وحكمه ومعنى (الا أن يشاء الله) هو أن الله كاد له فأجرى على لسان اخوته أن جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توصل بذلك الى أخذ أخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها الى بعض الاغراض الدينية والدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابراهيم على ما حكى عنه من دلائل التوحيد والبراءة من الهية الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم) فوقه أرفع درجة منه فى علمه ثم ان أطلق على الله تعالى أنه

قال بلغنى أن يعقوب كبر حتى سقط حاجباه على وجنتيه فكان يرفعهما بخرقة فقال له رجل ما بلغ بك ما أرى قال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله اليه يايعقوب تشكونى قال خطيئة فاغفرها

حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ثور بن يزيد قال دخل يعقوب على فرعون وقد سقط حاجباه على عينيه فقال ما بلغ بك هذا يا ابراهيم فقالوا انه يعقوب فقال ما بلغ بك هذا يايعقوب قال طول الزمان وكثرة الأحزان فقال الله يايعقوب أتشكونى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى

حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا هشام عن ليث ابن أبى سليم قال دخل جبرئيل على يوسف السجن فعرفه فقال أيها الملك الحسن وجهه الطيبة ريحه الكريم على ربه ألا تخبرنى عن يعقوب أحى هو قال نعم قال أيها الملك الحسن وجهه الطيبة ريحه الكريم على ربه فما بلغ من حزنه قال حزن سبعين مثكلة قال أيها الملك الحسن وجهه الطيبة ريحه الكريم على ربه فهل فى ذلك من أجر قال أجر مائة شهيد

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال حدثت أن جبرئيل أتى يوسف صلى الله عليهما وسلم وهو بمصر فى صورة رجل فلما رآه يوسف عرفه فقام اليه فقال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل لك بيعقوب من علم قال نعم قال أيها الملك الطاهر ثيابه الكريم على ربه كيف هو قال ذهب بصره قال أيها الملك الطاهر ثيابه الكريم على ربه وما الذى أذهب بصره قال الحزن عليك قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه فهل أعطى على ذلك قال أجر سبعين شهيدا

حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو شريح سمعت من يحدث أن يوسف سأل جبرئيل ما بلغ من حزن يعقوب قال حزن سبعين ثكلى قال فما بلغ أجره قال أجر سبعين شهيدا * قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى نافع بن يزيد عن عبيد الله بن أبى جعفر قال دخل جبرئيل على يوسف فى البئر وفى السجن فقال له يوسف ياجبرئيل ما بلغ حزن أبى قال حزن سبعين ثكلى قال فما بلغ أجره من الله قال أجر مائة شهيد

حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول أتى جبرئيل يوسف بالبشرى وهو فى السجن فقال هل تعرفنى أيها الصديق قال أرى صورة طاهرة ونورا وخاطبة لاتشبه أرواح الخاطئين قال فانى رسول رب العالمين وانا الروح الأمين قال فما الذى أدخلك على مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين قال ألم تعلم يايوسف أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين وأن الارض التى يدخلونها هى أطهر الارضين وأن الله قد طهر بك السجن ومحاوله باطهر الطاهرين وابن المطهرين انما يتطهر بفضل طهرك وطهر بائك الصالحين المخلصين قال كيف لى باسم الصديقين وتعدنى من المخلصين وقد أدخلت مدخل المذنبين وسميت بالضالين المفسدين قال لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك فى معصية ربك ولذلك سماك الله فى الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك الصالحين قال لك علم بيعقوب أيها الروح الامين قال نعم وهبه الله الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما ذا له من الاجر ياجبرئيل قال قدر مائة شهيد

حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن ثابت البنانى قال دخل جبرئيل على يوسف فى السجن فعرفه يوسف قال

ذو علم كان هذا العام مخصوصا لانه لا علم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص باقيا على عمومه وان قلنا ان
بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه فى العلم وهو الله تعالى والميل الى هذا التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكون علمه
على حقيقته ووصفه تعالى عين ذاته وفى هذا البحث طول وفى الرمز كفاية يروى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين
نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذى صنعت ففضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل مايزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل هم الذين لايزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم فعند ذلك (قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل) عنوا به يوسف واختلف فى تلك السرقة فعن سعيد بن جبير أن جده أبا أمه كان يعبد الوثن فأمرته أمه بان يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من أبيه أو دجاجة ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف الى أن شب فأراد يعقوب أن ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت أنه قد سرقها وكان فى شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه حسدا وغيظا (فأسرها يوسف) قال الزجاج وغيره الضمير يعود الى الكلمة أو الجملة كأنه قيل فأسر الجملة فى نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله (قال أنتم شر مكانا) والمعنى أنه قال هذه الجملة على سبيل الخفية وطعن الفارسى فى هذا الوجه فقال ان هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق أن القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد الى الاجابة أى أسر يوسف اجابتهم فى ذلك الوقت الى وقت آخر وقيل يعود الى المقالة أو السرقة أى لم يبين يوسف أن تلك السرقة كيف وقعت وأنه ليس فيها ما يوجب الذم والعار وعن ابن عباس أنه قال

فأتاه فسلم عليه فقال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل لك من علم بيعقوب
قال نعم قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل تدرى ما فعل قال ابيضت
عيناه قال أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه مم ذاك قال من الحزن عليك قال
أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه وما بلغ من حزنه قال حزن سبعين مثكلة قال
أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه هل له على ذلك من أجر قال نعم أجر مائة شهيد
حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن
فسلم عليه وجاءه فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقى الثياب فقال له يوسف أيها الملك
الحسن وجهه الكريم على ربه الطيب ريحه حدثنى كيف يعقوب قال حزين عليك حزينا
قال وما بلغ من حزنه قال حزن سبعين مثكلة قال فما بلغ من أجره قال أجر سبعين أو مائة شهيد قال
يوسف فالى من أوى بعدى قال الى أخيك بنيامين قال فتراني ألقاه أبدا قال نعم فبكى يوسف لما ذكر
أبوه بعده ثم قال ما أبالى ما لقيت ان الله أرانيه * قال ثنا عمرو بن محمد عن ابراهيم بن يزيد عن
عمرو بن دينار عن عكرمة قال أتى جبرئيل يوسف وهو فى السجن فسلم عليه فقال له يوسف أيها الملك
أيها الملك الكريم على ربه الطيب ريحه الطاهر ثيابه هل لك من علم بيعقوب قال نعم ما أشد حزنه
قال أيها الملك الكريم على ربه الطيب ريحه الطاهر ثيابه ما اله من الاجر قال أجر سبعين شهيدا
قال أفتراني لاقيه قال نعم قال فطابت نفس يوسف حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث
عن سعيد بن جبير قال لما دخل يعقوب على الملك وحاجباه قد سقطا على عينيه قال الملك ما هذا
قال السنون والاحزان أو الهموم والاحزان فقال ربه يا يعقوب لم تشكونى الى خلقى ألم أفعل
بك وأفعل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن
عبد الرحمن بن زياد عن مسلم بن يسار يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال من بث لم يصبر
ثم قرأ انما أشكو بثى وحزنى الى الله حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا أبو أسامة
عن هشام عن الحسن قال كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب الى يوم رجع ثمانون سنة
لم يفارق الحزن قلبه يبكى حتى ذهب بصره قال الحسن والله ما على الارض يومئذ خليقة أكرم على
الله من يعقوب صلى الله عليه وسلم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا بنى اذهبوا فتحسسوا
من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾
يقول تعالى ذكره حين طمع يعقوب فى يوسف قال لبنيه يا بنى اذهبوا الى الموضع الذى جئتم
منه وخلفتم اخويكم به فتحسسوا من يوسف يقول التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره وأصل
التحسس التفعل من الحس وأخيه يعنى بنيامين ولا تيأسوا من روح الله يقول ولا تقنطوا من أن
يروح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده فيرينيهما انه لا ييأس
من روح الله يقول لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه الا القوم الكافرون يعنى القوم
الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى يا بنى اذهبوا
فتحسسوا من يوسف وأخيه بمصر ولا تيأسوا من روح الله قال من فرج الله أن يرد يوسف

حدثنا

عوقب يوسف ثلاث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق آخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شر مكانا شر منزلة في السرق لانكم سرقتم أخاكم من أبيكم على التحقيق وقلتم أكله الذئب (والله أعلم بما تصفون) المراد أنه يعلم أني لست بسارق في التحقيق ولا أخي أو الله أعلم بأن الذي وصفتموه هل يوجب ذما أم لا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب يهوذا وكان اذا غضب وصاح لم تسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض اخوته اكفوني اسواق أهل مصر وأنا أكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فذهب غضبه وهم أن يصيح فركض يوسف رجله على الارض ليريه أنه شديد وجذبه فسقط فعند ذلك (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) في السن أو في القدر وهو أحب اليه منا (فخذ أحدنا مكانه) استعبادا أو رهنا حتى نبعث الفداء اليك فلعل العفو أو الفداء كان جائزا أيضا عندهم (انا نراك من المحسنين) لو فعلت ذلك أو من المحسنين الينا بأنواع الكرامة ورد البضاعة الى رحالنا أو أرادوا الاحسان الى أهل مصر حيث أعتقهم بعد ما اشترى رقابهم بالطعام (قال) يوسف (معاذ الله) من (أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا) أي اذا أخذنا غيره (لظالمون) في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم أو أراد إن الله أمرني وأوحى الي بأخذ بنيامين فلو أخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي (فلما استيأسوا منه) حيث لم يقبل الشفاعة أي يئسوا والزيادة للمبالغة (خلصوا) اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم (نجيا) مصدر والمضاف محذوف أي ذوي نجوى أو المراد أنهم التناجي في أنفسهم لاستجماعهم بذلك واندفاعهم فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جور ورجال عدل أو صفة موصوف محذوف أي فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وفيم كان تناجيهم الجواب في تدبير أمرهم على أي

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تيأسوا من روح الله أي من رحمة الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ان يعقوب قال لبنيه وهو على حسن ظنه بربه مع الذي هو فيه من الحزن يا بني اذهبوا الى البلاد التي منها جئتم فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله أي من فرجه انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تيأسوا من روح الله يقول من رحمة الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تيأسوا من روح الله قال من فرج الله يفرج عنكم الغم الذي أنتم فيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين﴾ وفي الكلام متروك قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف وذلك فخرجوا راجعين الى مصر حتى صاروا اليها فلما دخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر أي الشدة من الجدب والقحط وجئنا ببضاعة مزجاة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وخرجوا الى مصر راجعين اليها ببضاعة مزجاة أي قليلة لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به الا أن يتجاوز لهم فيها وقدروا ما نزل بأبيهم وتتابع البلاء عليه في ولده وبصره حتى قدموا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز رجاء أن يرحمهم في شأن أخيهم مسنا وأهلنا الضر وعنى بقوله وجئنا ببضاعة مزجاة بدراهم أو ممن لا يجوز في ثمن الطعام الا لمن يتجاوز فيها وأصل الازجاء السوق بالدفع كما قال النابغة الذبياني

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل ۞ تزجي مع الليل من صرادها صررا

يعني تسوق وتدفع ومنه قول أعشى بني ثعلبة

الواهب المائة الهجان وعبدها ۞ عوذا تزجي خلفها أطفالها

وقول حاتم

لبيك على ملحان ضيف مدفع ۞ وأرملة تزجي مع الليل أرملا

يعني أنها تسوقه بين يديها على ضعف منه عن المشي وعجز ولذلك قيل ببضاعة مزجاة لانها غير نافقة وانما تجوز تجويزا (١) على نفع من آخذيها وقد اختلف أهل التأويل في البيان عن تأويل ذلك وان كانت معاني بيانهم متقاربة ذكر أقوال أهل التأويل في ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ببضاعة مزجاة قال رديئة زيوف لا تنفق حتى يوضع منها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال الرديئة التي لا تنفق حتى يوضع منها حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس وجئنا ببضاعة مزجاة

(١) لعله على دفع تأمل وحرر

قال خلق الغرارة والحبل والشئ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال رثة المتاع الحبل والغرارة والشئ حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمن عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال البضاعة الدراهم والمزجاة غير طائل حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن ابن أبي زياد عمن حدثه عن ابن عباس قال كاسدة غير طائل حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سعيد بن جبير وعكرمة وجئنا ببضاعة مزجاة قال سعيد ناقصة وقال عكرمة دراهم فسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وعكرمة مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وعكرمة وجئنا ببضاعة مزجاة قال أحدهما ناقصة وقال الآخر ردية * وبه قال ثنا أبي عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث قال كان سمنا وصوفا حدثنا الحسن قال ثنا علي بن عاصم عن يزيد بن أبي زياد قال سأل رجل عبد الله بن الحرث وأنا عنده عن قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال قليلة متاع الاعراب الصوف والسمن حدثنا اسحق بن زياد القطان أبو يعقوب البصري قال ثنا محمد بن اسحق البلخي قال ثنا مروان بن معاوية الفزاري عن مروان بن عمر والعذري عن أبي اسمعيل عن أبي صالح في قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال الصنوبر والحبة الخضراء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن يزيد بن الوليد عن ابراهيم في قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال قليلة ألا تسمع الى قوله فأوفر لنا وهم يقرؤن كذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال ما أراها الا القليلة لانها في مصحف عبد الله وأوفر ركابنا يعني قوله مزجاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن القعقاع بن يزيد عن ابراهيم قال قليلة ألم تسمع الى قوله وأوفر ركابنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد عن أبي بكر الهذلي عن سعيد بن جبير والحسن بضاعة مزجاة قال سعيد الردية وقال الحسن القليلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن يزيد عن عبد الله بن الحرث قال متاع الأعراب سمن وصوف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية قال دراهم ليست بطائل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مزجاة قال قليلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مزجاة قال قليلة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث وجئنا ببضاعة مزجاة قال شئ من صوف ونحن من

وجه يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن أخيهم فعند ذلك (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل أو في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم أو في العقل والرأي وهو يهوذا وقوله (ما فرطتم) اما ان تكون ما صلة أي ومن قبل هذا قصرتم (في) شأن (يوسف) ولم توفوا بعهدكم أبا كما أن تكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره الظرف تقديره ومن قبل تفريطكم أي وقع من قبل تقصيركم في حقه أو النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا كأنه ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل واما أن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أي قدمتموه في شأن يوسف من الجناية والخيانة ومحل الموصول الرفع أو النصب على الوجهين (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) في الانصراف (أو يحكم الله لي) بالخروج منها أو بالانتصاف من أخذ أخي أو بخلاصه من يده بسبب من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره من الاخوة (ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) قاله بناء على ما شاهد من استخراج الصواع من وعائه أو أراد أنه سرق في قول الملك وأصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد أي في زعمك واعتقادك أو المراد إن ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة واطلاق اسم أحد الشبيهين على الآخر جائز أو القوم ما كانوا حينئذ أنبياء فلا يبعد منهم الذنب وعن ابن عباس أنه قرأ سرق مشددا مبنيا للمفعول أي نسب الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال ومما يدل على أنهم بنوا الامر على الظاهر قوله (وما شهدنا الا بما علمنا) أي الا بقدر ما تيقناه من رؤية الصواع في وعائه (وما كنا للغيب) للامر الخفي (حافظين) فان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة أن الغيب الليل معناه لعل الصواع دس في رحله بالليل من حيث لا يشعر أو ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق قاله مجاهد والحسن وقتادة أو ما علمنا أنا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو استرقاق السارق أخذ أخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا (واسأل القرية التي كنا فيها) الا كثرون على أنها مصر وقيل قرية على باب مصر

وقع فيها التفتيش أى أرسل الى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (و) اسأل أصحاب (العير التى أقبلنا فيها) وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من أهل صنعاء وقال ابن الانبارى ان يعقوب كان من أكابر الانبياء فلا يبعد أن يحمل سؤال القرية على الحقيقة بأن ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد اسأل القرية والعير والجدران والحيطان فانها تجيبك بصحة ماذكرنا وقيل

سمن * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن منصور عن الحسن قال قليلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عمن حدثه عن مجاهد مزجاة قال قليلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن عكرمة قال ناقصة وقال سعيد بن جبير فسول * قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن سعيد بن جبير وجئنا ببضاعة مزجاة قال ردية حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال كاسدة لا تنفق حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال كاسدة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن جويبر عن الضحاك قال كاسدة غير طائل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ببضاعة مزجاة يقول كاسدة غير نافقة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد بن جبير وجئنا ببضاعة مزجاة قال الناقصة وقال عكرمة فيها تجوز * قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الدراهم الردية التى لا تجوز الا بنقصان * قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الدراهم الرذال التى لا تجوز الا بنقصان حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال دراهم فيها جواز حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجئنا ببضاعة مزجاة أى يسيرة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجئنا ببضاعة مزجاة قال المزجاة القليلة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وجئنا ببضاعة مزجاة أى قليلة لا تبلغ ما كنا نشترى به منك الا أن تتجاوز لنا فيها وقوله فأوف لنا الكيل بها وأعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد والدراهم الجائزة الوافية التى لا ترد كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فأوف لنا الكيل أى أعطنا ما كنت تعطينا قبل فان بضاعتنا مزجاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فأوف لنا الكيل قال كما كنت تعطينا بالدراهم الجياد وقوله وتصدق علينا يقول تعالى ذكره قالوا وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والردية فلا تنقصنا من سعر طعامك لردى بضاعتنا ان الله يجزى المتصدقين يقول ان الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى وتصدق علينا قال تفضل بما بين الجياد والردية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن سعيد بن جبير فأوف لنا الكيل وتصدق علينا لا تنقصنا من السعر من أجل ردى دراهمنا واختلفوا فى الصدقة هل كانت حلالا للانبياء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو كانت حراما فقال بعضهم لم تكن حلالا لأحد من الأنبياء عليهم السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن سعيد بن جبير قال ما سأل نبى قط الصدقة ولكنهم قالوا جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا لا تنقصنا من السعر * وروى

ان الشئ اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا فى تأكيد نفى التهمة قائلين (وانا لصادقون) وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجرى مجرى اثبات الشئ بنفسه ولكن الانسان اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشئ فقد يقول بعده أنا صادق فتأمل فيما ذكرته ليزول عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم فعند ذلك (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) وقد مر تفسيره فى أول السورة ولكن المفسرين زادوا شيأ آخر فقيل المراد أنه خيل اليكم أنه سرق وما سرق وقيل أراد سولت لكم أنفسكم اخراج بنيامين والمسير به الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر وألح فى الختم على فى ارساله معكم ولم تعلموا أن قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل أراد فتواهم وتعليمهم والا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته واعترض على هذا القول بأنه كيف يجوز على يعقوب السعى فى اخفاء حكم الله تعالى وأجيب بأن ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان المسروق له مسلما وكان الملك فى ظن يعقوب كافرا ولما طال بلاؤه ومحنته علم بحسن الظن والرجاء أنه

سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب أو لعله علم بالوحى أن يوسف حى وكان بنيامين والكبير الذى قال فلن أبرح الارض قد بقيا فى مصر فلذلك قال (عسى الله أن يأتينى بهم) أى بالثلاثة الغائبين (جميعا انه هو العليم) بحالى (الحكيم) فى كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء

﴿التأويل﴾ لما دخل الاوصاف البشرية ومعهم السر على يوسف القلب آوى القلب السر اليه لانه أخوه الحقيقى بالمناسبة الروحانية فلا

تبتئس اذا وصلت بى بما كانوا يعملون معك فى مفارقتى لان السر مهما كان مفارقا من قلب مقارنا للاوصاف كان محروما عن كمالات مستعدلها فلما جهزهم جهز القلب الاوصاف بما يلائم أحوالها جعل السقاية وهى مشربة كان منها شربه فى رحل أخيه لانهما رضيعا لبان واحد انكم لسارقون (٣٦) سرقتم فى الاول يوسف القلب وشريتموه بثمن بخس من متاع الدنيا وشهواتها وسرقتم فى الآخر مشربة ليست من مشاربكم وفيه أن من ادعى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد أخذ بالسرقة واستردت منه ولمن جاء به حمل بعير من علف الدواب ومراتع الحيوانات لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم أنا من المقبولين المقبلين على يوسف القلب لا نريد الافساد فى أرض الدنيا كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ أخذنا يوسف القلب وألقيناه فى غيابة الجب البشرية بل سعينا فى أن ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها ونحن أذلاء له جزاؤه من وجد فى رحله أى لكل شارب مشرب ولكل شرب فدية ففدية الشارب من مشرب الدنيا صنعته وحرفته وكسبه وفدية الشارب من مشرب الآخرة الدنيا وشهواتها وفدية الشارب من شرب المحبة بذل الوجود كذلك نجزى الظالمين الذين وضعوا صواع الملك فى غير موضعه طمعا فى أن يكونوا حريف الملك وشريبه كذلك كدنا ليوسف أى كما كاد الاوصاف البشرية فى الابتداء بيوسف القلب اذ ألقوه فى جب البشرية كدنا بهم عند قسمة الاقوات من خزانة الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات يأكلون كما تأكل الانعام وقسمة بنيامين السر من مشربة الملك وفوق كل ذى علم آتيناه علم الصعود عليم بجذبه من المصعد الذى يصعد اليه بالعلم المخلوق الى مصعد لا يصعد اليه الا بالعلم القديم وهو السير فى الله بالله الى الله وهذا صواع لا تسعه من أوعية الانسانية ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فيه اشارة الى السر والقلب مع أنهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية والروحانية فانهما قابلان للاستراق من الشهوات الدنيوية والنفسانية ولما رأت الاوصاف البشرية عزة القلب وعرفت اختصاص البشرية أرادت

عن ابن عيينة ما حدثنى به الحرث قال ثنا القاسم قال يحكى عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع قوله فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين * قال الحرث قال القاسم يذهب ابن عيينة الى أنهم لم يقولوا ذلك الا والصدقة لهم حلال وهم أنبياء فان الصدقة انما حرمت على محمد صلى الله عليه وسلم لا علمهم * وقال آخرون انما عنى بقوله وتصدق علينا وتصدق علينا برد أخينا الينا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وتصدق علينا قال رد الينا أخانا وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن جريج وان كان قوله له وجه فليس بالقول المختار فى تأويل قوله وتصدق علينا لان الصدقة فى المتعارف انما هى اعطاء الرجل ذا الحاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله عليه وان كان كل معروف صدقة فتوجيه تأويل كلام الله الى الاغلب من معناه فى كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال مجاهد حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا مروان بن معاوية عن عثمان بن الاسود قال سمعت مجاهدا وسئل هل يكره أن يقول الرجل فى دعائه اللهم تصدق على فقال نعم انما الصدقة لمن يبغى الثواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون﴾ ذكر أن يوسف صلوات الله وسلامه عليه لما قال له اخوته يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين أدركته الرقة وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لى أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه فارفض دمعه ما كاتم باح لهم بالذى يكتم منهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ولكن للتفريق بينه وبين أخيه اذ صنعوا بيوسف ما صنعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر الآية قال فرحمهم عند ذلك فقال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون فتأويل الكلام هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ فرقتم بينهما وصنعتم ما صنعتم اذ أنتم جاهلون يعنى فى حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف وما اليه صار أمره وأمركم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره قال اخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف انك لأنت يوسف فقال نعم أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر يقول انه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ويصبر يقول ويكف نفسه فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله فان الله لا يضيع أجر المحسنين يقول فان الله لا يبطل ثواب احسانه وجزاء طاعته اياه فيما أمره ونهاه وقد اختلف القراء فى قراءة قوله انك لانت يوسف فقرأ ذلك عامة قراء الامصار أئنك على الاستفهام وذكر أن ذلك فى قراءة أبى بن كعب أوأنت يوسف وروى عن ابن محيصن أنه قرأ انك لانت يوسف على الخبر لا على الاستفهام والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة

من قرأه بالاستفهام لاجماع الحجة من القراء عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قال لهم ذلك يعني قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون كشف الغطاء فعرفوه فقالوا أئنك لأنت يوسف الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني من سمع عبد الله بن ادريس يذكر عن ليث عن مجاهد قوله انه من يتق ويصبر يقول من يتق معصية الله ويصبر على السجن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين﴾ يقول جل ثناؤه قال اخوة يوسف له تالله لقد فضلك الله علينا وآثرك بالعلم والحلم والفضل وان كنا لخاطئين يقول وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك في تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك وغير ذلك من صنيعنا الذي صنعنا بك الا خاطئين يعنون مخطئين يقال منه خطئ فلان يخطأ خطأ وخطأ وأخطأ يخطئ اخطاء ومن ذلك قول أمية بن الاسكر

وان مهاجرين تكنفاه * لعمر الله قد خطئا وخابا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال لما قال لهم يوسف أنا يوسف وهذا أخي اعتذروا اليه وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فيما كنا صنعنا بك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تالله لقد آثرك الله علينا وذلك بعد ما عرفهم أنفسهم يقول جعلك الله رجلا حليما ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره قال يوسف لاخوته لا تثريب يقول لا تغيير عليكم ولا افساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الاخوة ولكن لكم عندي الصفح والعفو وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا تثريب عليكم لم يثرب عليهم أعمالهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير قوله لا تثريب عليكم اليوم قال قال سفيان لا تغيير عليكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لا تثريب عليكم اليوم أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال اعتذروا الى يوسف فقال لا تثريب عليكم اليوم يقول لا أذكر لكم ذنبكم وقوله يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وهذا دعاء من يوسف لاخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا اليه وركبوا منه من الظلم يقول عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم فستره عليكم وهو أرحم الراحمين يقول والله أرحم الراحمين ممن تاب من ذنبه وأناب الى طاعته بالتوبة من معصيته كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين حين اعترفوا بذنبهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ قال أبو جعفر ذكر أن يوسف صلى الله عليه وسلم لما عرف نفسه اخوته سألهم عن أبيهم فقالوا ذهب بصره من الحزن فعند ذلك أعطاهم قميصه وقال لهم اذهبوا بقميصي هذا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال قال لهم يوسف ما فعل أبي بعدي قالوا لما فاته بنيامين عمي من الحزن قال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين وقوله يأت بصيرا يقول يعد بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين يقول وجيئوني بجميع أهلكم

أن تفدي نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فقالت فخذ أحدنا مكانه قال معاذ الله أن نقبل بالصحبة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا من الصدق والمحبة والاخلاص عنده أي لا تكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما تكون بعلة الجنسية فلما استيأسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة للتناجي قال كبيرهم وهو العقل ألم تعلموا أن أباكم وهو الروح قد أخذ عليكم موثقا من الله يوم الميثاق أن لا تعبدوا الا الله فلن أبرح أرض فناء القلب وهي الصدر والحاصل أن صفة العقل لما تخلصت عن الاوصاف البشرية خرجت عن أوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لأحكام الحق ارجعوا الى أبيكم الروح على أقدام العبودية وتبديل الاخلاق ان ابنك سرق لانه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها يكال الحب على وفده وما كنا للغيب عند ارتحالنا من الغيب الى الشهادة حافظين لانه جعل السقاية في رحله في غيبتنا واسأل أهل مصر الملكوت وأرواح الانبياء والاولياء قال بل سولت فيه أن للنفس تزيينات وللاوصاف البشرية خيالات يتأذى بها يعقوب الروح لكن عليه أن يصبر على امضاء أحكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله أن يأتيني فيه أن متولدات الروح من القلب والاوصاف وغيرها وان تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد للاستكمال فان الله بجذبات العناية يجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بافتراقهم الحكيم بما في التفريق والجمع من الفوائد

﴿وتولى عنهم وقال يأسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال انما أشكوا بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر

فان الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين

القراآت مزجاة بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو قالوا انك على الخبر أو على حذف حرف الاستفهام ابن كثير ويزيد أئنك بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام يدخل بينهما مدة أينك بهمزة ثم ياء نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد آينك بهمزة ممدودة ثم ياء أبو عمرو وزيد وقالون من يتقي بالياء في الحالين ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بغير ياء اني أعلم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ربي انه بالفتح أيضا أبو جعفر وأبو عمرو وأبي اذ بالفتح أيضا عندهم اخوتي ربي بفتح الياء أيضا يزيد والنجاري عن ورش وقالون غير الحلواني والله أعلم الوقوف عظيم ○ الهالكين ○ لا تعلمون ○ ولا تيأسوا من روح الله ط الكافرون ○ وتصدق علينا ط المتصدقين ○ جاهلون ○ لأنت يوسف ط أخي ز لتجميل الشكر مع اختلاف الجملتين علينا ط لاحتمال أنه ابتداء اخبار من الله وان كان من قول يوسف جاز الوقف أيضا لاتحاد القائل مع الابتداء بان المحسنين ○ الخاطئين

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾ يقول تعالى ذكره ولما فصلت عير بني يعقوب من عند يوسف متوجهة الى يعقوب قال أبوهم يعقوب اني لأجد ريح يوسف ذكر أن الريح استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير فأذن لها فأتته بها ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أبو صخر عن أبي أيوب الهوزني حدثه قال استأذنت الريح أن تأتي يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص الى أبيه قبل أن يأتيه البشير ففعل قال يعقوب اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال هاجت ريح فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال فقال اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس ولما فصلت العير قال أبوهم اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال هاجت ريح فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار عن ابن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول وجد يعقوب ريح يوسف وهو على مسيرة ثمان ليال حدثنا ابن وكيع والحسن بن محمد قالا ثنا سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل قال كنت الى جنب ابن عباس فسئل من كم وجد يعقوب ريح القميص قال من مسيرة سبع ليال أو ثمان ليال حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل قال قال لي أصحابي انك تأتي ابن عباس فسله لنا قال فقلت ما أسأله عن شيء ولكن أجلس حتى يمر السرير فيأتيه الكوفيون فيسألون عن حاجتهم وحاجتي فسمعته يقول وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال قال ابن أبي الهذيل فقلت ذلك كم كان البصرة من الكوفة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا علي بن عاصم عن ضرار بن مرة عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول وجد يعقوب ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال قال فقلت في نفسي ما كان البصرة من الكوفة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس في قوله اني لأجد ريح يوسف قال وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال قال قلت له ذلك كما بين البصرة الى الكوفة والله لحديث أبي كريب حدثنا الحسين بن محمد قال ثنا عاصم وعلي قالا أخبرنا شعبة قال أخبرني أبو سنان قال سمعت عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس في هذه الآية اني لأجد ريح يوسف قال وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة الى الكوفة حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة قال ثنا أبو سنان قال سمعت عبد الله بن أبي الهذيل يحدث عن ابن عباس مثله ○ قال ثنا أبو هشام قال ثنا سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال كنا عند ابن عباس فقال اني لأجد ريح يوسف قال وجد ريح قميصه من مسيرة ثمان ليال حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول ولما فصلت العير قال لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف فقال اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال فوجد ريحه من مسيرة ثمان ليال حدثنا

ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخا يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان وقد أتى لذلك زمان طويل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى لأجد ريح يوسف قال بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخا وقال انى لاجد ريح يوسف وكان قد فارقه قبل ذلك سبعا وسبعين سنة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس فى قوله انى لاجد ريح يوسف قال وجد ريح القميص من مسيرة ثمانية أيام * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس قوله ولما فصلت العير قال فلما خرجت العير هبت ريح فذهبت بريح قميص يوسف الى يعقوب فقال انى لأجد ريح يوسف قال ووجد ريح قميصه من مسيرة ثمانية أيام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما فصلت العير من مصر استروح يعقوب ريح يوسف فقال لمن عنده من ولده انى لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون وأما قوله لولا أن تفندون فانه يعنى لولا أن تعنفونى وتعجزونى وتلومونى وتكذبونى ومنه قول الشاعر

يا صاحبى دعا لومى وتفنيدى * فليس ما فات من أمرى بمردود

ويقال أفند فلانا الدهر وذلك اذا أفسده ومنه قول ابن مقبل

دع الدهر يفعل ما أراد فانه * اذا كلف الافناد بالناس أفندا

واختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم معناه لولا أن تسفهونى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن ابن عباس لولا أن تفندون قال تسفهون حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل عن ابن عباس مثله * وبه قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن مجاهد لولا أن تفندون قال تسفهون حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لولا أن تفندون يقول تجهلون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل عن ابن عباس لولا أن تفندون قال لولا أن تسفهون حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد وحدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قالا جميعا ثنا سفيان عن خصيف عن مجاهد لولا أن تفندون قال لولا أن تسفهون حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى سنان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسالم عن سعيد لولا أن تفندون قال أحدهما تسفهون وقال الآخر تكذبون حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن أبى سليمن عن عطاء لولا أن تفندون قال لولا أن تكذبون لولا أن تسفهون حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن عبد الملك عن عطاء قال تسفهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لولا أن تفندون يقول لولا أن تسفهون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لولا أن تفندون يقول لولا أن تسفهون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذيل قال سمعت ابن عباس يقول لولا أن تفندون يقول تسفهون

اليوم ط لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا أو خبرا ودعاء لكم ط لاحتمال الاستئناف والحال أوضح الراحمين ٥ يأت بصيرا ج لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين أجمعين ٥ تفندون ٥ القديم ٥ بصيرا ج لاحتمال أن يكون ما بعده جواب لما وقوله ألقاه حالا باضمار قد ما لا تعلمون ٥ خاطئين ٥ ربى ط الرحيم ٥ آمنين ٥ سجدا ج من قبل ز لتمام الجملة لفظا دون المعنى حقا ط لتمام بيان الجملة الاولى وابتداء جملة عظمى اخوتى ط لما يشاء ط الحكيم ٥ الاحاديث ج لحق حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والآخرة ج لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء الصالحين ٥

۞ التفسير لما سمع يعقوب ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا (وتولى عنهم) أى أعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وفارقهم (وقال يا أسفى على يوسف) الاسف أشد الحزن والالف فيه بدل من ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر فى المائدة والتجانس بين لفظى الاسف ويوسف لا يخفى حسنه وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تأسف على يوسف دون أخيه الآخر الذى أقام بمصر والرزء الأحدث أشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان أصل تلك الرزايا فكان الاسف عليه أسفا على الكل ولانه كان عالما بحياة الآخرين دون حياة يوسف (وابيضت عيناه من الحزن) أى من البكاء الذى كان سببه الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستعبار أوجب كدورة فى سواد العين مائلة فيكون منها العمى لا يلام الطبقات ولا سيما القرنية وانصباب الفضول الردية اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف وقال آخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا أو المراد بالبياض غلبة البكاء كأن العين ابيضت من بياض ذلك الماء روى أنه لم تجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى

حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أن تفندون قال ذهب عقله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن نجيح عن مجاهد تفندون قال قد ذهب عقله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * وحدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا أن تفندون قال قد ذهب عقله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد لولا أن تفندون قال لولا أن تقولوا ذهب عقله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لولا أن تفندون يقول لولا أن تضعفوني حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا أن تفندون قال الذي ليس له عقل ذلك المفند يقولون لا يعقل * وقال آخرون معناه لولا أن تكذبون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو الكلبي عن شريك عن سالم عن سعيد لولا أن تفندون قال تكذبون * قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي قال لولا أن تهرمون وتكذبون * قال ثنا محمد ابن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال تكذبون * قال ثنا عبدة وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال لولا أن تكذبون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا أن تفندون تكذبون حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء في قوله لولا ان تفندون قال تسفهون أو تكذبون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا أن تفندون يقول تكذبون * وقال آخرون معناه تهرمون ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا أن تفندون قال لولا أن تهرمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال تهرمون حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو الاشهب عن الحسن لولا أن تفندون قال تهرمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي الاشهب وغيره عن الحسن مثله وقد بينا أن أصل التفنيد الافساد واذ كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل وكل معاني الافساد تدخل في التفنيد لان أصل ذلك كله الفساد والفساد في الجسم الهرم وذهاب العقل والضعف وفي الفعل الكذب واللوم بالباطل ولذلك قال جرير بن عطية

ياعاذلي دعا الملام وأقصرا * طال الهوى وأطلتما التفنيدا

يعني الملامة فقد تبين اذ كان الامر على ما وصفنا أن الاقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله لولا أن تفندون على اختلاف عباراتهم عن تأويله متقاربة المعاني محتمل جميعها ظاهر التنزيل اذ لم يكن في الآية دليل على أنه معني به بعض ذلك دون بعض ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين قال لهم يعقوب من ولده اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون تالله أيها الرجل انك من حب يوسف وذكره لفي خطئك وزللك القديم لا تنساه ولا تسلى عنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا

وقد روى يونس عن أبي عمرو قال اذا كان في موضع النصب فتحوا كقوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر أو الرفع ضموا كقوله من الحزن وقوله انما أشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ وأجيب بأن المنهي من الجزع هو الصياح والنياحة وضرب الخدوشق الثوب لا البكاء ونفثة المصدور فلقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون ومما يدل على أن يعقوب عليه السلام أمسك لسانه عن النياحة ومما لا ينبغي قوله (فهو كظيم) فعيل بمعنى مفعول أي مملوء من الغيظ على أولاده من غير اظهار ما يسوءهم أو مملوء من الحزن مع سد طريق نفثة المصدور من كظم السقاء اذا شده على ملئه أو بمعنى الفاعل أي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل أنه غرق ثلاثة أعضاء شريفة منه في بحر المحنة فاللسان كان مشغولا بذكر يا أسفا والعين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوأ من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب

يروى أن ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبض نفسي قبل أن أرى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك وأشجو لشجوك عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد ألا ترى الى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وانما قال يا أسفا وضعف هذه الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال أن لا تعرف أمة من الامم أن الكل من الله وأن الرجوع لا محالة اليه وأقول هذا نوع من المكابرة فان مسكرى المبدا والمعاد

عبد

أكثر من حصباء الوادى على أن المراد من الاعطاء الارشاد الى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد أخبر الصادق عليه السلام أن هذا مما خصت هذه الامة به والله أعلم (قالوا) الاظهر أنهم ليسوا أولاده الذين تولى عنهم وانما هم جماعة كانوا فى الدار من خدمه وأولاد أولاده (تالله تفتؤ) أراد لا تفتؤ فحذف حرف النفى لعدم الالباس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة أى لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتور والفتوء أخوين قال أبو زيد ما فتئت أذكره أى ما زلت لا يتكلم به الا مع الجحد (حتى تكون حرضا) وصف بالمصدر للمبالغة والحرض فساد فى الجسم والعقل للحزن والحب حتى لا يكون كالاحياء ولا كالأموات أرادوا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفى على الهلاك أو تهلك فأجابهم بقوله (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) قالت العلماء اذا أسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكر لغيره كان بثا فالبث أصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس فمعنى الآية انى لا أذكر الحزن الشديد ولا القليل الا مع الله ملتجئا اليه وداعيا له فخلونى وشكايتى وهذا مقام العارفين الصديقين كقول نبينا صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك ويحتمل أن يكون هذا معنى توليه عنهم أى تولى عنهم الى الله والشكاية اليه يحكى أنه دخل على يعقوب رجل وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذى بى الكثرة غمومى فأوحى الله اليه يا يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى فغفرله فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وروى أنه أوحى الى يعقوب انما وجدت أى غضبت عليكم لانكم

عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انك لفى ضلالك القديم يقول خطئك القديم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم أى من حب يوسف لا تنساه ولا تسلاه قالوا والدهم كامة غليظة لم يكن ينبغى لهم أن يقولوها والدهم ولا لنبى الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمر وعن أسباط عن السدى قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم قال فى شأن يوسف **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال قال سفيان تالله انك لفى ضلالك القديم قال من حبك ليوسف **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمر وعن سفيان نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم قال فى حبك القديم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم أى انك لمن ذكر يوسف فى الباطل الذى أنت عليه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تالله انك لفى ضلالك القديم قال يعنون حزنه القديم على يوسف وفى ضلالك القديم لفى خطئك القديم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فلما أن جاء يعقوب البشير من عند ابنه يوسف وهو المبشر برسالة يوسف وذلك بريد فيما ذكر كان يوسف برده اليه وكان البريد فيما ذكروا البشير يهوذا بن يعقوب أخا يوسف لابيه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه يقول البشير البريد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فلما أن جاء البشير قال البريد **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن يزيد الواسطى عن جويبر عن الضحاك فلما أن جاء البشير قال البريد * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فلما أن جاء البشير قال يهوذا بن يعقوب **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد البشير قال يهوذا بن يعقوب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يهوذا بن يعقوب * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هو يهوذا بن يعقوب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فلما أن جاء البشير قال يهوذا بن يعقوب كان البشير **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد فلما أن جاء البشير قال هو يهوذا بن يعقوب قال سفيان وكان ابن مسعود يقرأ وجاء البشير من بين يدى العير **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك فلما أن جاء البشير قال البريد هو يهوذا بن يعقوب * قال ثنا عمر وعن أسباط عن السدى قال قال يوسف اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين قال يهوذا أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب وأنا أذهب اليوم بالقميص وأخبره أنه حى فأفرحه كما أحزنته فهو كان البشير **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فلما ان جاء البشير قال البريد وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول أن فى قوله فلما أن جاء البشير وسقوطها بمعنى واحد

ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان أحب خلقى الى الانبياء ثم المساكين وصنع طعاما ودع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم أن حال يعقوب فى تلك الواقعة كانت مختلفة فتارة كان مستغرقا فى بحار معرفة الله وتارة كان يستولى عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه

كالقاء ابراهيم فى النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه بيوسف بغير اختيار منه وكذا تأسفه عليه وما روى أنه عوتب على ذلك فلان حسنات الابرار سيئات المقربين وبالحقيقة كانت واقعة يعقوب أمرا خارقا العادة أراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتعادى أحزانه والا فمع غاية شهرته وشدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفى حال يوسف ولم يبعث يوسف اليه رسولا بعد تملكه وقدرته ولم زاد فى حزن أبيه بحبس أخيه عنده أما قوله (وأعلم من الله مالا تعلمون) فمعناه أعلم من رحمته واحسانه مالا تعلمون فأرجو أن يأتينى الفرج من حيث لا أحتسب وقيل انه رأى ملك الموت فى المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابنى يوسف قال لا يا نبى الله ثم أشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد رأى أمارات الرشد والكمال فى يوسف فعلم أن رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدى أخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله فى أقواله وأفعاله فظن أنه ابنه أو علم أن بنيامين لا يسرق وسمع أن الملك ما آذاه فغلب على ظنه أن الملك هو يوسف وقيل أوحى الله تعالى اليه انه سيلقى ابنه ولكنه ما عين الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف) وهو طلب الشئ بالحاسة كالتسمع والتبصر ومثله التجسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب الخبر فى ضد الخير (ولا تيأسوا من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم أى من رحمته التى تحيا بها العباد قال الاصمعى الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما تهتز بوجوده وتلتذ به فهو روح (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) لان هذا اليأس دليل على أنه اعتقد أن الله تعالى غير قادر على كل المقدورات أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها اللهم انى لا أيأس من روحك فافعل بى ما أنت أهله ثم ههنا اضمار والتقدير فقبلوا وصية أبيهم وعادوا الى مصر (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) أى الملك

وكان يقول هذا فى لما وحتى خاصة ويذكر أن العرب تدخلها فيهما أحيانا وتسقطها أحيانا كما قال جل ثناؤه ولما أن جاءت رسلنا وقال فى موضع آخر ولما جاءت رسلنا وقال هى صلة لا موضع لها فى هذين الموضعين يقال حتى كان كذا وكذا وحتى أن كان كذا وكذا وقوله ألقاه على وجهه يقول ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما أن جاء البشير ألقى القميص على وجهه وقوله فارتد بصيرا يقول رجع وعاد مبصرا بعينيه بعد ما فقدهما قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون يقول عز وجل قال يعقوب لمن كان بحضرته حينئذ من ولده ألم أقل لكم يا بنى انى أعلم من الله أنه سيرد على يوسف ويجمع بينى وبينه وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه لان رؤيا يوسف كانت صادقة وكان الله قد قضى أن أخر أمرنا وأمرهم سجودا فكنت موقنا بقضائه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره قال ولد يعقوب لأبيهم لما كانوا فرقوا بينه وبين يوسف يا أبانا سل لنا ربك يعف عنا ويستر علينا ذنوبنا التى أذنبناها فى أمر يوسف فلا يعاقبنا بها فى القيامة انا كنا خاطئين فيما فعلنا به فقد اعترفنا بذنوبنا قال سوف أستغفر لكم ربى يقول جل ثناؤه قال يعقوب سوف أسأل ربى أن يعفو عنكم ذنوبكم التى أذنبتموها فى يوسف ثم اختلف أهل التأويل فى الوقت الذى أخر الدعاء اليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم فقال بعضهم أخر ذلك الى السحر ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الرحمن بن اسحق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عم لى يأتى المسجد فسمع انسانا يقول اللهم دعوتنى فأجبت وأمرتنى فأطعت وهذا سحر فاغفر لى قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال ان يعقوب أخر بنيه الى السحر فقال سوف أستغفر لكم ربى حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن محارب بن دثار عن عبد الله بن مسعود سوف أستغفر لكم ربى قال أخرهم الى السحر ۞ قال ثنا أبو سفيان الحميرى عن العوام عن ابراهيم التيمى فى قول يعقوب لبنيه سوف أستغفر لكم ربى قال أخرهم الى السحر ۞ قال ثنا عمرو عن خلاد الصفار عن عمرو بن قيس سوف أستغفر لكم ربى قال فى صلاة الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج سوف أستغفر لكم ربى قال أخر ذلك الى السحر ۞ وقال آخرون أخر ذلك الى ليلة الجمعة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن أبو أيوب الدمشقى قال ثنا الوليد قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف أستغفر لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة وهو قول أخى يعقوب لبنيه حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن الدمشقى قال ثنا الوليد بن مسلم قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال أخى يعقوب سوف أستغفر لكم ربى يقول حتى تأتى ليلة الجمعة وقوله انه هو الغفور الرحيم يقول ان ربى هو الساتر على ذنوب التائبين اليه من ذنوبهم الرحيم بهم أن يعذبهم بعد توبتهم منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله

آمنين

الغادر المنيع (مسنا وأهلنا الضر) الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا بأهلهم من خلفهم (وجئنا ببضاعة مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها من أزجيته اذا دفعته قال سبحانه ألم تر أن الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة العجم وقيل لغة القبط والاصح أنها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكانت دراهم مصر ينقش عليها صورته (فأوف لنا الكيل) الذي هو حقنا (وتصدق علينا) واعلم أنهم طلبوا المسامحة عما بين الثمنين وأن يسعر لهم بالردي كما يسعر بالجيد واختلف العلماء في أنه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا على الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون أرادوا بالصدقة التفضل بالامضاء عن رداءة البضاعة وبايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله (ان الله يجزي المتصدقين) يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك لا يضيع عنده والصدقة العطية التي ترجى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء أن يقال الله تعالى متصدق أو اللهم تصدق علي بل يجب أن يقال اللهم أعطني أو تفضل علي أو ارحمني كان يعقوب أمرهم بالتحسس من يوسف وأخيه والمتحسس يجب عليه أن يتوسل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شئ فبدؤا بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفضت عيناه فعند ذلك قال (هل علمتم ما فعلتم بيوسف) وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب

آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) يقول جل ثناؤه فلما دخل يعقوب وولده وأهلوهم على يوسف آوى اليه أبويه يقول ضم اليه أبويه فقال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فان قال قائل وكيف قال لهم يوسف ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين بعد ما دخلوها وقد أخبر الله عز وجل عنهم أنهم لما دخلوها على يوسف وضم اليه أبويه قال لهم هذا القول قيل قد اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم ان يعقوب انما دخل على يوسف هو وولده وآوى يوسف أبويه اليه قبل دخول مصر قالوا وذلك أن يوسف تلقى أباه تكرمة له قبل أن يدخل مصر فآواه اليه ثم قال له ولمن معه ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين بها قبل الدخول ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي فحملوا اليه أهلهم وعيالهم فلما بلغوا مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والملوك يتلقونهم فلما بلغوا مصر قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جعفر بن سليمن عن فرقد السبخي قال لما ألقي القميص على وجهه ارتد بصيرا وقال ائتوني بأهلكم أجمعين فحمل يعقوب واخوة يوسف فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه فخرج يتلقاه قال وركب معه أهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا قال فنظر يعقوب الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك قال فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه فذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب أحق بذلك منه وأفضل فقال السلام عليك يا ذاهب الاحزان عني «هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني» حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال قال حجاج بلغني أن يوسف والملك خرجا في أربعة آلاف يستقبلون يعقوب وبنيه * قال وحدثني من سمع جعفر بن سليمن يحكي عن فرقد السبخي قال خرج يوسف يتلقى يعقوب وركب أهل مصر مع يوسف ثم ذكر بقية الحديث نحو حديث الحرث عن عبد العزيز * وقال آخرون بل قوله ان شاء الله استثناء من قول يعقوب لبنيه أستغفر لكم ربي قال وهو من المؤخر الذي معناه التقديم قالوا وانما معنى الكلام قال أستغفر لكم ربي ان شاء الله انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ورفع أبويه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سوف أستغفر لكم ربي ان شاء الله آمنين وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن يعني ابن جريج وبين ذلك ما بينه من تقديم القرآن أنه قد دخل بين قوله سوف أستغفر لكم ربي وبين قوله ان شاء الله من الكلام ما قد دخل وموضعه عنده أن يكون عقيب قوله سوف أستغفر لكم ربي * والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله السدي وهو أن يوسف قال ذلك لابويه ومن معهما من أولادهما وأهاليهم قبل دخولهم مصر حين تلقاهم لان ذلك في ظاهر التنزيل كذلك فلا دلالة تدل على صحة ما قال ابن جريج ولا وجه لتقديم شئ من كتاب الله عن موضعه أو تأخيره عن مكانه الا بحجة واضحة وقيل عني بقوله آوى اليه أبويه أبوه وخالته وقال الذين قالوا هذا القول كانت أم يوسف

فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان أحاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لانك من أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروى أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبر وانتظر كما انتظروا وفوا

هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما أعظم الامر الذى ارتكبتم من يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه كما يقال للمذنب هل تدرى من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بأمرهم هذا وأما فعلهم بأخيه فتعريضهم اياه للتم بافراده عن أخيه لابيه وأمه وايذاؤهم له بالاحتقار والامتهان وقوله (اذ أنتم جاهلون) جار مجرى الاعتذار عنهم كأنه قال انما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم فى أوان الصبا وزمان الجهالة والغرة ازالة للجهالة عنهم فان مطية الجهل الشباب وتنصحا لهم فى الدين أى هل علمتم قبحه فتتبتم لان العلم بالقبح يدعو الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه فى المقام الذى يتشفى المغيظ وينفث المصدور ويدرك ثاره الموتور وقيل انما نفى العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك (قالوا أئنك لأنت يوسف) عرفوه بالخطاب الذى لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم أو تبسم عليه السلام فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم أو رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها (قال أنا يوسف) صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كأنه قال أنا الذى ظلمتمونى على أشنع الوجوه والله أوصلنى الى أعظم المناصب أنا ذلك الاخ الذى قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال (وهذا أخى) مع أنهم كانوا يعرفونه لان مقصوده الامة أن يقول وهذا أيضا كان مظلوما كما كنت صار منعما عليه من الله وذلك قوله (قد من الله علينا) أى بكل خير دنيوى وأخروى أو بالجمع بعد التفريق (انه) أى الشأن (من يتق) عقاب الله (ويصبر) عن معاصيه وعلى طاعته (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أراد أجرهم فاكتفى

قد ماتت قبل وانما كانت عند يعقوب يومئذ خالته أخت أمه كان نكحها بعد أمه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه قال أبوه وخالته * وقال آخرون بل كان أباه وأمه ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه قال أباه وأمه وأولى القولين فى ذلك بالصواب ما قاله ابن اسحق لان ذلك هو الاغلب فى استعمال الناس والمتعارف بينهم فى أن من الاأن يصح ما يقال من أن أم يوسف كانت قد ماتت قبل ذلك بحجة يجب التسليم لها فيسلم حينئذ لها وقوله وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين مما كنتم فيه فى بادیتكم من الجدب والقحط وقوله رفع أبويه على العرش يعنى على السرير كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى ورفع أبويه على العرش قال السرير **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا محمد ابن يزيد الواسطى عن جويبر عن الضحاك قال العرش السرير * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ورفع أبويه على العرش قال السرير **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * **وحدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ورفع أبويه على العرش قال سريره **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة على العرش قال على السرير **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ورفع أبويه على العرش يقول رفع أبويه على السرير **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال قال سفيان ورفع أبويه على العرش قال على السرير **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ورفع أبويه على العرش قال مجلسه **حدثنى** ابن عبد الرحيم البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ورفع أبويه على العرش فقلت أبلغك أنها خالته قال قال ذلك بعض أهل العلم يقولون ان أمه ماتت قبل ذلك وان هذه خالته وقوله وخروا له سجدا يقول وخر يعقوب وولده وأمه ليوسف سجدا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وخروا له سجدا يقول رفع أبويه على السرير وسجدله اخوته **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال تحمل يعنى يعقوب بأهله حتى قدموا على يوسف فلما اجتمع الى يعقوب بنوه دخلوا على يوسف فلما رأوه وقعوا له سجودا وكانت تلك تحية الملوك فى ذلك الزمان أبوه وأمه واخوته **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخروا له سجدا وكانت تحية من قبلكم كان بها يحيى بعضهم بعضا فأعطى الله هذه

من الربط بالعموم ومن قرأ يتقى بإثبات الياء فوجهه أن يجعل من بمعنى الذى ويجوز على هذا الوجه أن يكون قوله و يصبر فى موضع الرفع لأنه حذف الحركة للتخفيف أو المشاكلة وفى الآية دليل على براءة ساحة يوسف ونزاهة جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين

قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وصورة الاحسنين ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا أنبياء وان احتج به بعضهم لان الانبياء متفاوتون فى الدرجات تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (وان كنا) وان شأننا انا كنا خاطئين قال أبو عبيدة خطئ وأخطأ بمعنى واحد وقال الاموى المخطئ من أراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ و يصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغى قال أبو على الجبائى انهم لم يعتذروا عن ذلك الذى فعلوا بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم أخطؤا بعد ذلك حين لم يظهر والابهم ما فعلوه ليعلم أنه حى وأن الذئب لم يأكله واعترض عليه فخر الدين الرازى بأنه يبعد من مثل يعقوب أن يبعث جمعا من الصبيان من غير أن يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر أنه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم و بكونهم متعمدين للاثم (قال) يوسف (لا تثريب عليكم) لا تأنيب ولا توبيخ وقيل لا أذكر لكم ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندى على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه من الترب وهو التحم الذى هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الترب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد

الامة السلام تحية أهل الجنة كرامة من الله تبارك وتعالى عجلها لهم ونعمة منه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وخر واله سجدا قال وكانت تحية الناس يومئذ أن يسجد بعضهم لبعض حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو اسحق قال قال سفيان وخروا له سجدا قال كانت تحية فيهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وخروا له سجدا أبواه واخوته كانت تلك تحيتهم كما تصنع ناس اليوم حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وخروا له سجدا قال تحية بينهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخروا له سجدا قال قال ذلك السجود لشرفه كما سجدت الملائكة لآدم لشرفه ليس بسجود عبادة وانما عنى من ذكر بقوله ان السجود كان تحية بينهم أن ذلك كان منهم على الخلق لا على وجه العبادة من بعضهم لبعض ومما يدل على أن ذلك لم يزل من أخلاق الناس قديما قبل الاسلام على غير وجه العبادة من بعضهم لبعض قول أعشى بنى ثعلبة

فلما أتانا بعيد الكرى ٭ سجدنا له ورفعنا العمارا

وقوله يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا يقول جل ثناؤه قال يوسف لابيه يا أبت هذا السجود الذى سجدت أنت وأمى واخوتى لى تأويل رؤياى من قبل يقول ما آلت اليه رؤياى التى كنت رأيتها وهى رؤياه التى كان رآها قبل صنيع اخوته به ما صنعوا أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدون قد جعلها ربى حقا يقول قد حققها ربى لمجىء تأويلها على الصحة وقد اختلف أهل العلم فى قدر المدة التى كانت بين رؤيا يوسف و بين تأويلها فقال بعضهم كانت مدة ذلك أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا أبو عثمان عن سلمان الفارسى قال كان بين رؤيا يوسف الى أن رأى تأويلها أربعون سنة حدثنى يعقوب بن برهان و يعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا سليمن التيمى عن أبى عثمان النهدى قال قال عثمان كانت بين رؤيا يوسف و بين أن رأى تأويله قال فذكر أربعين سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية عن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن شداد قال رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما ٭ قال ثنا سفيان عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان مثله حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله بن شداد أنه سمع قوما يتنازعون فى رؤيا رآها بعضهم وهو يصلى فلما انصرف سألهم عنها فكتموه فقال أما انه جاء تأويل رؤيا يوسف بعد أربعين عاما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع و حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن ضرار بن مرة أبى سنان عن عبد الله بن شداد قال كان بين رؤيا يوسف وتأويلها أربعون سنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل وجرير عن أبى سنان قال سمع عبد الله بن شداد قوما يتنازعون فى رؤيا فذكر نحو حديث أبى السائب عن ابن فضيل حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن سليمان التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال رأى تأويل رؤياه بعد أربعين عاما حدثنا الحسن بن محمد قال أخبرنا ابن عيينة عن أبى

قال لانه اذا ذهب منه الترب كان فى غاية الهزال والنحف فصار مثلا للتقريع المدنف المضنى وقوله (اليوم) اما أن يتعلق بالتثريب أو بالاستقرار المقدر فى عليكم أى لا أثرب بكم اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الله بين مرأى منهم وأصل الدعاء أن يقع على لفظ المستقبل فاذا أوقعوه بلفظ الماضى فذلك للتفاؤل و يحتمل أن يكون اليوم متعلقا بالدعاء

فيكون فيه بشارة بعاجل غفران الله لتجدد توبتهم وحدوثها فى ذلك اليوم يروى أن اخوته لما عرفوه أرسلوا اليه انك تدعونا الى طعام بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان أهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الى شزرا و يقولون سيء من بلغ عبدا ابيع بعشرين درهما ما بلغ (٤٦) ولقد شرفت الآن بكم وعظمت فى العيون حيث علم الناس أنكم اخوتي

من حفدة ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخذ يوم الفتح بعضادتى باب الكعبة فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال صلى الله عليه وسلم أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراسانى طلب الحوائج الى الشباب أسهل منها الى الشيوخ ألا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) كقولك جاء البنيان محكما ومثله فارتد بصيرا أو المراد يأت الى وهو بصير دليله قوله وأتونى بأهلكم أجمعين قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أوحى الله اليه ان فيه عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم أن أباه ما كان أعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا ألقى عليه قميصه صار منشرح الصدر فتقوى روحه ويزول ضعفه روى أن يهوذا حمل القميص وقال أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فأفرحه كما أحزنته فحمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبى كان أهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق دخل قوم يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم نحو من ستمائة ألف (ولما فصلت العير) خرجت من عمران مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وفصل منى اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل (فقال

سنان عن عبد الله بن شداد قال وقعت رؤيا يوسف بعد أربعين سنة والبها تنتهى أيضا رؤيا * قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة * قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين عبارتها أربعون سنة * قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا هشيم عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة * قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا هشيم عن سليمن التيمى عن أبى عثمان عن سلمان قال كان بين رؤيا يوسف وبين أن رأى تأويلها أربعون سنة * قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا اسرائيل عن أبى سنان عن عبد الله بن شداد قال كان بين رؤيا يوسف وبين تعبيرها أربعون سنة * وقال آخرون كانت مدة ذلك ثمانين سنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا عبد الوهاب الثقفى قال ثنا هشام عن الحسن قال كان منذ فارق يوسف يعقوب الى أن التقيا ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجرى على خديه وما على وجه الارض يومئذ عبد أحب الى الله من يعقوب **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى جعفر حسن بن فرقد قال كان بين أن فقد يعقوب يوسف الى يوم رد عليه ثمانون سنة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حسن بن على عن فضيل بن عياض قال سمعت أنه كان بين فراق يوسف جر يعقوب الى أن التقيا ثمانون سنة **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا داود بن مهران قال ثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان بين ذلك و بين لقائه يعقوب ثمانون سنة وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة * قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن نحوه غير أنه قال ثلاث وثمانون سنة * قال ثنا داود بن مهران قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان فى العبودية وفى السجن وفى الملك ثمانين سنة ثم جمع الله عز وجل شمله وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة فغاب عن أبيه ثمانين سنة ثم عاش بعد ما جمع الله له شمله ورأى تأويل رؤياه ثلاثا وعشرين سنة فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة **حدثنا** مجاهد قال ثنا يزيد قال أخبرنا هشيم عن الحسن قال غاب يوسف عن أبيه فى الجب وفى السجن حتى التقيا ثمانين عاما فما جفت عينا يعقوب وما على الارض أحد أكرم على الله من يعقوب * وقال آخرون كانت مدة ذلك ثمان عشرة سنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر لى والله أعلم أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمان عشرة سنة قال وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها وأن يعقوب بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ثم قبضه الله اليه وقوله وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو يقول جل ثناؤه مخبرا عن قيل يوسف وقد أحسن الله بى فى اخراجه اياى من السجن الذى كنت فيه محبوسا وفى مجيئه بكم من البدو وذلك أن نسكن

يعقوب

أو هم (لمن حوله من قومه (انى لأجد) بحاسة الشم (ريح يوسف) قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة الجنة فى الدنيا فعلم يعقوب أنه ليس فى الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال أهل التحقيق ان الله تعالى أوصل اليه ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجىء أوان الروح والفرح من مسيرة ثمان ومنع من وصول خبره اليه مع قرب البلدين فى مدة ثمانين سنة أو أربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على أن كل سهل فهو فى زمان المحنة صعب وكل صعب فانه فى زمان الاقبال سهل وقوله (لولا أن تفندون) جوابه محذوف أى لولا تفنيدكم اياى لصدقتمونى والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأى فتفند فى الكبر (قالوا) يعنى الحاضرين عنده (تالله انك لفى ضلالك القديم) أى فيما كنت فيه قدما من البعد عن الصواب فى افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان أبانا لفى ضلال مبين وقيل لفى شقائك القديم مما تكابد على يوسف من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم أن يوسف قد مات (فلما أن جاء) أن صلة أى فلما جاء مثل فلما ذهب عن ابراهيم الروع وقيل هى مع الفعل فى محل الرفع بفعل مضمر أى فلما ظهر أن جاء البشير وهو يهوذا (ألقاه) طرحه البشير أو يعقوب على وجهه (فارتد بصيرا) أى انقلب من العمى الى البصر أو من الضعف الى القوة (قال ألم أقل لكم) جوز فى الكشاف أن يكون مفعوله محذوفا وهو قوله انى لاجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله ويكون قوله انى أعلم

يعقوب وولده فيما ذكر كان ببادية فلسطين كذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان منزل يعقوب وولده فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالعربيات من أرض فلسطين ثغور الشام وبعض يقول بالاولاج من ناحية الشعب وكان صاحب بادية له ابل وشاء **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو قال أخبرنا شيخ لنا أن يعقوب كان ببادية فلسطين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو وكان يعقوب وبنوه بارض كنعان أهل مواش وبرية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاء بكم من البدو قال كانوا أهل بادية وماشية والبدو مصدر من قول القائل بدا فلان اذا صار بالبادية يبدو بدوا وذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها وهم أقل من مائة وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم يزيدون على ستمائة ألف ذكر الرواية بذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب وعمرو ابن محمد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى عن عبد الله بن شداد قال اجتمع آل يعقوب الى يوسف بمصر وهم ستة وثمانون انسانا صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وخرجوا من مصر يوم أخرجهم فرعون وهم ستمائة ألف ونيف * قال ثنا عمرو عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال خرج أهل يوسف من مصر وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا فقال فرعون ان هؤلاء لشرذمة قليلون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل والمسعودى عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن ابن مسعود قال دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون انسانا وخرجوا منها وهم ستمائة ألف قال اسرائيل فى حديثه ستمائة ألف وسبعون ألفا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن اسرائيل عن أبى اسحق عن مسروق قال دخل أهل يوسف مصر وهم ثلثمائة وتسعون من بين رجل وامرأة وقوله من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى يعنى من بعد أن أفسد ما بينى وبينهم وجهل بعضنا على بعض يقال منه نزغ الشيطان بين فلان وفلان ينزغ نزغا ونزوغا وقوله ان ربى لطيف لما يشاء يقول ان ربى ذو لطف وصنع لما يشاء ومن لطفه وصنعه أنه أخرجنى من السجن وجاء بأهلى من البدو بعد الذى كان بينى وبينهم من بعد الدار وبعد ما كنت فيه من العبودة والرق والاسار كالذى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ربى لطيف لما يشاء لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن وجاء بأهله من البدو ونزع من قلبه نزغ الشيطان وتحريشه على اخوته وقوله انه هو العليم بمصالح خلقه وغير ذلك لا يخفى عليه مبادى الامور وعواقبها الحكيم فى تدبيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث﴾ يقول تعالى فاطر السموات والارض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ﴿يقول تعالى ذكره قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه واخوته وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة ومكنه فى الارض متشوقا الى لقاء آبائه الصالحين رب قد آتيتنى من الملك يعنى من ملك مصر وعلمتنى من تأويل الاحاديث يعنى من عبارة الرؤيا تعديدا لنعم الله عليه وشكرا له عليها فاطر السموات والارض يقول يا فاطر السموات والارض يا خالقها وبارئها أنت ولى فى الدنيا والآخرة يقول أنت

كلاما مستأنفا والظاهر أن مفعوله قوله (انى أعلم من الله ما لا تعلمون) وذلك أنه كان قال لهم انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون وى أنه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ثم ان أولاده أخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون أراد أن يستغفر لهم فى وقت السحر لانه

أرجى الاوقات اجابة وعن ابن عباس فى رواية أخرى أخر الى ليلة الجمعة تحر بالوقت الاجابة وقيل أخر لتعرف حالهم فى الاخلاص و استغفرلهم فى الحال و وعدهم دوام الاستغفار فى الاستقبال فقد روى أنه كان يستغفرلهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة أنه قام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفرلى خزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفرلولدى ما أتوا الى أخيهم فأوحى اليه ان الله قد غفرلك ولهم أجمعين و روى أنهم قالوا له وقد علمتهم الكآبة ما يغنى عنا عفو كما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبدا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا أنهم هلكوا نزل جبريل فقال ان الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة واختلاف الناس فى نبوتهم مشهور يحكى أنه وجه يوسف الى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى و يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما التقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فأجابه يوسف وقال يا أبت بكيت حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينى وبينك ومعنى (آوى اليه أبويه) ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت أمه باقية الى ذلك الوقت أو ماتت الا أن الله تعالى أحياها ونشرها من قبرها تحقيقا لرؤيا يوسف وقيل المراد بأبويه أبوه وخالته لان أمه ماتت فى النفاس بأخيه بنيامين حتى قيل ان بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت أمه تزوج أبوه بخالته فسماها الله تعالى أحد الابوين لان الخالة تدعى أما لقيامها مقام الام أولان الخالة أم كما أن العم أب فكيف وقد اجتمع هنا الامران قال السدى كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كأنه حين استقبلهم نزل لأجلهم فى خيمة أو بيت هنالك فدخلوا

ولى فى دنياى على من عادانى وأرادنى بسوء بنصرك وتغذونى فيها بنعمتك وتلينى فى الآخرة بفضلك ورحمتك توفنى مسلما يقول اقبضنى اليك مسلما وألحقنى بالصالحين يقول وألحقنى بصالح آبائى ابراهيم واسحق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك وقيل انه لم يتمن أحد من الانبياء الموت غير يوسف ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية قال ابن عباس يقول أول نبى سأل الله الموت يوسف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله رب قد آتيتنى من الملك الآية قال اشتاق الى لقاء ربه وأحب أن يلحق به و بآبائه فدعا الله أن يتوفاه ويلحقه بهم ولم يسأل نبى قط الموت غير يوسف فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث الآية قال ابن جريج فى بعض القرآن من الانبياء من قال توفنى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين لما جمع شمله وأقر عينه وهو يومئذ مغموس فى نعيم الدنيا وملكها وغضارتها فاشتاق الى الصالحين قبله وكان ابن عباس يقول ما تمنى نبى قط الموت قبل يوسف حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الله ابن الزبير عن سفيان عن ابن أبى عروبة عن قتادة قال لما جمع ليوسف شمله وتكاملت عليه النعم سأل لقاء ربه فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين قال قتادة ولم يتمن الموت أحد قبله ولا غيره الا يوسف حدثنى المثنى قال ثنا هشام قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى غير واحد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن يوسف النبى صلى الله عليه وسلم لما جمع بينه و بين أبيه واخوته وهو يومئذ ملك مصر اشتاق الى الله والى آبائه الصالحين ابراهيم واسحق قال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا هشام عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وعلمتنى من تأويل الاحاديث قال العبارة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين يقول توفنى على طاعتك واغفرلى اذا توفيتنى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال يوسف حين رأى ما رأى من كرامة الله وفضله عليه وعلى أهل بيته حين جمع الله له شمله ورده على والده وجمع بينه و بينه فيما هو فيه من الملك والبهجة يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا الى قوله انه هو العليم الحكيم ثم ارعوى يوسف وذكر أن ما هو فيه من الدنيا بائد وذاهب فقال رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين وذكر أن بنى يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا استغفرلهم أبوهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم وغفرلهم ذنبهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن صالح المرى عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال ان الله تبارك وتعالى

عليه وضم اليه أبويه (وقال ادخلوا مصر) فعلى هذا جاز أن يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصر أى أقيموا بها وقوله (ان شاء الله آمنين) تعلق بالدخول المكيف بالأمن فكأنه قيل اسلموا وأمنوا فى دخولكم واقامتكم ان شاء الله وجواب الشرط بحقيقة محذوف والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين أراد الأمن على أنفسهم وأموالهم وأهليهم بحيث لا يخافون أحدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر أو أراد الأمن من القحط والشدة أو من تعبيره اياهم بالجرم السالف (ورفع أبويه على العرش) السرير الرفيع الذى كان يجلس عليه (وخروا له سجدا) لسائل أن يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجدوا ليوسف وأيضا تعظيم الابوين تالى تعظيم الله سبحانه فمن أين جاز سجدة أبويه له والجواب عن ابن عباس فى رواية عطاء أن المراد خر والاجل وجدانه سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التأويل فى قوله والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين أى انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتى واعلاء منصبى وأحسن من هذا أن يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه أو يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم فى ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بأن لفظ الخرور يأباه وأجيب بأن الخرور قد يعنى به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا أى لم يمروا وقيل الضمير عائد الى اخوته فقط ورد بأن قوله هذا تأويل رؤياى من قبل ينبو عنه وأجيب بأن التعبير لا يلزم أن يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فيحتمل أن تكون السجدة فى حق الاخوة التواضع التام وفى حق أبويه مجرد ذها بهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام

(٤٩)

وتعالى لما جمع ليعقوب شمله وأقر عينه خلا ولده بحيا فقال بعضهم لبعض ألستم قد علمتم ما صنعتم ومالقى منكم الشيخ ومالقى منكم يوسف قالوا بلى قال فيغفر لكم عفوهما عنكم فكيف لكم ربكم فلما استقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد قالوا يا أبانا أبتلك فى أمر لم نأتك فى أمر مثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله حتى حركوه والانبياء أرحم البرية فقال مالكم يا بنى قالوا أأنت قد علمت ما كان منا اليك وما كان منا الى أخينا يوسف قال بلى قالوا أفلستما قد عفوتما قالا بلى قالوا فان عفو كما لا يغنى عنا شيأ ان كان الله لم يعف عنا قال فما تريدون يا بنى قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحى من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرة عين فى الدنيا لنا أبدا قال فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين قال فدعا وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة قال صالح المرى يخيفهم قال حتى اذا كان رأس العشرين نزل جبرئيل صلى الله عليه وسلم على يعقوب عليه السلام فقال ان الله تبارك وتعالى يعنى اليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك فى ولدك وأنه قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة **حدثنى** المثنى قال ثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى قال والله لو كان قتل يوسف عمدا لأدخلهم الله النار كلهم ولكن الله جل ثناؤه أمسك نفس يوسف ليبلغ فيه أمره ورحمة لهم ثم يقول والله ما قص الله نبأهم يعيرهم بذلك انهم لأنبياء من أهل الجنة ولكن الله قص علينا نبأهم لئلا يقنط عبده وذكر أن يعقوب توفى قبل يوسف وأوصى الى يوسف وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه اسحق ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال لما حضر اللون يعقوب أوصى الى يوسف أن يدفنه عند ابراهيم واسحق فلما مات نفخ فيه المر وحمله الى الشام قال فلما بلغوا الى ذلك المكان أقبل عيص أخو يعقوب فقال غلبنى على الدعوة فوالله لا يغلبنى على القبر فأبى أن يتركهم أن يدفنوه فلما احتبسوا قال هشام بن دارين يعقوب وكان هشام أصم لبعض اخوته ما لجذى لا يدفن قالوا هذا عمك يمنعه قال أرونيه أين هو فلما رآه رفع هشام يده فوجأ بها رأس العيص وجأة سقطت عيناه على خده فدفنا فى قبر واحد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الخبر الذى أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب واخوته وسائر ما فى هذه السورة من أنباء الغيب يقول من أخبار الغيب الذى لم تشاهده ولم تعاينه ولكنا نوحيه اليك ونعرفكه لتثبت به فؤادك ونشجع به قلبك وتصبر على ما نالك من الاذى من قومك فى ذات الله وتعلم أن من قبلك من رسل الله اذ صبروا على ما نالهم فيه وأخذوا بالعفو وأمروا بالعرف وأعرضوا عن الجاهلين فازوا بالظفر وأيدوا بالنصر ومكنوا فى البلاد وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله بقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبهم يا محمد فتأس وآثارهم فاقتص وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون يقول وما كنت حاضرا عند اخوة يوسف اذ أجمعوا واتفقت آراؤهم وصحت عزائمهم على أن يلقوا يوسف فى غيابة الجب وذلك كان مكرهم الذى قال الله عز وجل وهم يمكرون كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت لديهم

وقيل انما سجد الابوان لئلا تحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن أو لعله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها الا الله تعالى ورضى بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روى عن ابن عباس أن يوسف

لما رأى سجودهم له اقشعر جلده ولكن لم يقل شيأ وكأن الامر بتلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله أعلم (وقد أحسن به واليه بمعنى (اذ أخرجني من السجن) لم يذكر اخراجه من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم يكن نعمة لانه حينئذ صار عبدا وصار مبتلى بالمرأة ولان هذا الاخراج أقرب وأشمل (وجاء بكم من البدو أي البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مواش يتنقلون في المياه والصحارى قال ابن الانباري بدا موضع معروف هنالك روى عن ابن عباس أن يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده أهل الحضر والبدو وقصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى جاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى أخبر عن يوسف أنه أضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على أن الخير من الله دون الشر وأجيب بأنه انما راعى الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة وأما صرف الداعية الى الشر فلا يقدر عليه الا الله تعالى فان العاقل لا يريد ضرر نفسه (ان ربي لطيف لما يشاء) فاذا أراد حصول أمر هيأ أسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام (انه هو العليم) بالوجه الذي تسهل به الصعاب (الحكيم) في أفعاله حتى تجيء على الوجه الأصوب والنحو الاصلح يحكى أن يوسف أخذ بيد يعقوب وطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي والثياب والسلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على عن نعمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله قال أنت أبسط اليه مني فسأله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام الى جنب أبيه اسحق فمضى بنفسه

يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يقول ما كنت لديهم وهم يلقونه في غيابة الجب وهم يمكرون بيوسف **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون الآية قال هم بنو يعقوب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ يقول جل ثناؤه وما أكثر مشركي قومك يا محمد ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدقوك ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك بمصدقيك ولا متبعيك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم وما تسأل يا محمد هؤلاء الذين ينكرون نبوتك ويمتنعون من تصديقك والاقرار بما جئتهم به من عند ربك على ما تدعوهم اليه من اخلاص العمل لربك وهجر عبادة الاوثان وطاعة الرحمن من أجر يعني من ثواب وجزاء منهم بل انما ثوابك وأجر عملك على الله يقول ما تسألهم على ذلك ثوابا فيقولوا لك انما تريد بدعائك ايانا الى اتباعك لنزل لك من أموالنا اذا سألتنا ذلك واذ كنت لا تسألهم ذلك فقد كان حقا عليهم أن يعلموا أنك انما تدعوهم الى ما تدعوهم اليه اتباعا منك لأمر ربك ونصيحة منك لهم وأن لا يستغشوك وقوله ان هو الا ذكر للعالمين يقول تعالى ذكره ما هذا الذي أرسلتك به ربك يا محمد من النبوة والرسالة الا ذكر يعني الاعظة وتذكير للعالمين ليتعظوا ويتذكروا به ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ يقول جل وعز وكم من آية في السموات والارض لله وعبرة وحجة وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات وكالجبال والبحار والنبات والاشجار وغير ذلك من آيات الارض يمرون عليها يقول يعاينونها فيمرون بها معرضين عنها لا يعتبرون بها ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربها وأن الالوهة لا تنبغي الا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء قدرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهي في مصحف عبد الله يمشون عليها السماء والارض آيتان عظيمتان ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون﴾ يقول تعالى ذكره وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عز وجل صفتهم بقوله وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء الا وهم به مشركون في عبادتهم الاوثان والاصنام واتخاذهم من دونه أربابا وزعمهم أن له ولدا تعالى الله عما يقولون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال من ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السماء ومن خلق الارض ومن خلق الجبال قالوا الله وهم مشركون **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال تسألهم من خلقهم ومن خلق السموات والارض فيقولون الله فذلك ايمانهم بالله وهم يعبدون غيره **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعكرمة وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قالا يعلمون أنه ربهم وأنه خلقهم وهم مشركون به **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي

عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعكرمة بنحوه * قال ثنا ابن نمير عن نصر عن عكرمة وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال من ايمانهم اذا قيل لهم من خلق السموات قالوا الله واذا سئلوا من خلقهم قالوا الله وهم يشركون به بعد * قال ثنا أبو نعيم عن الفضيل بن يزيد الثمالي عن عكرمة قال هو قول الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاذا سئلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولدا وأشركوا به **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ايمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا وميتنا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ايمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا وميتنا **حدثني** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون ايمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا وميتنا فهذا ايمان مع شركهم غيره * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ايمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا وميتنا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد وأبو معاوية عن حجاج عن القاسم عن مجاهد قال يقولون الله ربنا وهو يرزقنا وهم يشركون به بعد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ايمانهم قولهم الله خالقنا ورازقنا وميتنا * قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا في هذه الآية وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال ليس أحد الا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والارض فهذا ايمانهم ويكفرون بما سوى ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون في ايمانهم هذا انك لست تلقى أحدا منهم الا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال لا تسأل أحدا من المشركين من ربك الا قال ربي الله وهو يشرك في ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون يعني النصارى يقول ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من يرزقكم من السماء والارض ليقولن الله وهم مع ذلك يشركون به ويعبدون غيره يسجدون للانداد دونه **حدثني** المثنى قال أخبرنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال كانوا يشركون به في تلبيتهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال يعلمون أن الله ربهم وهم يشركون به بعد **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء في قوله وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

وفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له قال (رب قد اتيتني من الملك) شيأ من ملك الدنيا أو من ملك مصر لانه كان دون ملك فوقه (وعلمتني من تأويل الاحاديث) بعضا من ذلك لانه لا يمكن أن يحصل للانسان في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحصور سوى المتناهي من السعادات الدنيوية والكمالات الاخروية (فاطر السموات والارض) منادى ثان أو صفة النداء الاول أي مبدعهما على النحو الافضل من مادة سابقة كالدخان أو من عدم محض (أنت ولي في الدنيا والآخرة) لا يتولى اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولما قدم النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن ذكر المسألة فقال (توفني مسلما) أراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون (وألحقني بالصالحين) من آبائي أو على العموم قيل الصلاح أول درجات المؤمنين الصالحين فالواصل الى الغاية وهي النبوة كيف يليق به أن يطلب البداية والجواب ان أراد الالحاق بالآباء فظاهر وان أراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير الالحاق بأهل الصلاح فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له أثر عظيم وفوائد جمة كالمرآة المستنيرة المتقابلة التي يتعاكس أضواؤها ويتكامل أنوارها الى حيث لا تطيقها العيون الضعيفة هذا مع أن الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو أن التوفي على الاسلام والالحاق بأهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا لو كان الفعل من الله فكيف يجوز أن يقول للمكلف افعل مع أنه ليس بفاعل أجاب الجبائي والكعبي بأن المراد الطف بي بالاقامة على الاسلام الى أن أموت فألحق بالصلحاء ورد بأنه عدول عن الظاهر مع أن كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله في حق الكل * سؤال آخر الانبياء يعلمون أنهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة في الطلب الجواب العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي ولا سيما في مقام

الخشية والرهبة وقال فى التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذى هو ضد الكفر وهى الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين أنه تمنى الموت والحق بدار البقاء فى زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبى قبله ولا بعده قال أهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله أن تعظم رغبته فى الموت لوجوه منها أن مراتب الموجودات ثلاثة الذى لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذى لا يؤثر وهو عالم الاجساد فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والأعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من العالم الالهى ثم اذا أقبلت على عالم الاجساد تصرفت فيه وأثرت وللنفوس فى التأثير والتأثر مراتب غير متناهية لان تأثيرها بحسب تأثرها مما فوقها والكمال الالهى غير متناه فاذن لا تنفك النفس من نقصان تما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وقد ذاق لذة الكمال بقى فى القلق وألم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والألم الا الموت فحينئذ يتمنى الموت ومنها أن سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على الفناء والألم الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها ثم انها مخلوطة بالمنغصات والارازل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما كانت حصة الارازل أكثر فلا جرم يتمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات ومنها أن اللذات الجسمانية لا حقيقة لها الان حاصلها يرجع الى دفع الآلام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها أن مداخل اللذات الدنيوية ثلاثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع أنها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع فى الفم ولاشك أنه شئ منفر ثم لما يصل الى المعدة يستحيل الى ما ذكره منفر فكيف به ومن هنا قالت العقلاء من كانت همته ما يدخل فى جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وأيضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة

سمعت ابن زيد يقول وما يؤمن أكثرهم بالله الآية قال ليس أحد يعبد مع الله غيره الا وهو مؤمن به ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به ألا ترى كيف قال ابراهيم أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون قال فليس أحد يشرك به الا وهو مؤمن به ألا ترى كيف كانت العرب تلبى تقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك المشركون كانوا يقولون هذا ﴿القول﴾ فى تأويل قوله تعالى ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول جل ثناؤه أفأمن هؤلاء الذين لا يقرون بأن الله ربهم الا وهم مشركون فى عبادتهم اياه غيره أن تأتيهم غاشية من عذاب الله تغشاهم من عقوبة الله وعذابه على شركهم بالله أو تأتيهم القيامة بجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم فيخلدهم الله عز وجل فى ناره وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تأتيهم غاشية من عذاب الله قال تغشاهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله غاشية من عذاب الله قال تغشاهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أى عقوبة من عذاب الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة غاشية من عذاب الله قال غاشية واقعة تغشاهم من عذاب الله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هذه الدعوة التى أدعو اليها والطريقة التى أنا عليها من الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والاوثان والانتهاء الى طاعته وترك معصيته سبيلى وطريقتى ودعوتى أدعو الى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين علم منى به أنا وبدعوالية على بصيرة أيضا من اتبعنى وصدقنى وآمن بى وسبحان الله يقول له تعالى ذكره وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك فى ملكه أو معبود سواه فى سلطانه وما أنا من المشركين يقول وأنا برئ ممن أهل الشرك به لست منهم ولا هم منى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة يقول هذه دعوتى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة قال هذه سبيلى هذا أمرى وسنتى ومنهاجى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى قال وحق والله على من اتبعه أن يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصى الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع

ابن

نقص وآفة وكذا الكلام فى لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقى المرء فى مهالك الاكتساب ومهاوى الانتجاع ولذة الرياسة أدنى عيوبها أن كل واحد يكره بالطبع أن يكون خادما مأمورا ويحب أن يكون مخدوما فسعى الانسان فى الرياسة سعى فى مخالفة كل من سواه ولا ريب أن هذا أمر صعب الحصول منيع المرام واذا ناله كان على شرف الزوال فى كل حين وأوان لان كثرة الاسباب توجب قوة حصول الاثر فيكون دائما فى الحزن والخوف فاذا تأمل العاقل فى هذه المعانى علم قطعا أنه لا صلاح فى اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فيكون دائما فى بحر الآفات وغمرات الحسرات فحينئذ يتمنى زوال هذه الحياة وقد سبق منا فى تمنى الموت كلام آخر فى سورة البقرة فى تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال أهل السير لما توفى يوسف تخاصم أهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب أن يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأى أن عملوا له صندوقا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ثم بقى يوسف هناك الى أن بعث الله موسى فأخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر أبيه والله تعالى أعلم بحقائق الامور ۞ التأويل ان يعقوب الروح لا يتأسف على فوات شئ من المخلوقات الا على يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه فى انتظارها فلامه على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤ تذكر يوسف وأين أهل السلوة من أهل العشق أين الخلى من الشجى ولا بد للمحب من ملامة الخلق فأول ملامتى آدم عليه السلام حين قالت الملائكة لاجله أتجعل فيها من يفسد فيها بل أول ملامتى هو الله تعالى حين قالوا له أتجعل فيها وذلك أنه أول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم وأعلم من الله ما لا تعلمون من جماله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه أن الواجب على كل مسلم أن يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وأن

ابن أنس قوله قل هذه سبيلى هذه دعوتى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع قل هذه سبيلى قال هذه دعوتى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره وما أرسلنا يا محمد من قبلك الا رجالا لا نساء ولا ملائكة نوحى اليهم آياتنا بالدعاء الى طاعتنا وافراد العبادة لنا من أهل القرى يعنى من أهل الامصار دون أهل البوادى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العمود وقوله أفلم يسيروا فى الارض يقول تعالى ذكره أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ويجحدون نبوتك وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله واخلاص الطاعة والعبادة له فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اذ كذبوا رسلنا ألم نحل بهم عقوبتنا فنهلكهم بها وننج منها رسلنا وأتباعنا فيتفكروا فى ذلك ويعتبروا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم قال انهم قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قال وقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر وقوله وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وقوله أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله وقوله أفلم يسيروا فى الارض فينظروا (١) من أهلكنا قال فكل ذلك قال لقريش أفلم يسيروا فى الارض فينظروا فى آثارهم فيعتبروا ويتفكروا وقوله ولدار الآخرة خير يقول تعالى ذكره هذا فعلنا فى الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا ان عقوبتنا اذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا أنجيناهم منها وما فى الدار الآخرة لهم خير وترك ذكر ما ذكرنا اكتفاء بدلالة قوله ولدار الآخرة خير للذين اتقوا عليه وأضيفت الدار الى الآخرة وهى الآخرة لاختلاف لفظهما كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وكما قيل أتيتك عام الاول وبارحة الاولى وليلة الاولى ويوم الخميس وكما قال الشاعر

أتمدح فقعسا وتذم عبسا * ألا لله أمك من هجين

ولو أفزت عليك ديار عبس * عرفت الذل عرفان اليقين

يعنى عرفانا به يقينا فتأويل الكلام وللدار الآخرة خير للذين اتقوا الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه وقوله أفلا تعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم ونخبرهم به من سوء عاقبة الكفر وغب ما يصير اليه حال أهله مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا مما حل بما قبلهم من الامم الكافرة المكذبة رسل ربها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ يقول تعالى ذكره وما أرسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من أهل القرى فدعوا من أرسلنا اليهم فكذبوهم وردوا ما أتوا به من عند الله حتى اذا استيأس الرسل الذين أرسلناهم اليهم منهم أن يؤمنوا بالله ويصدقوهم فيما أتوهم به من عند الله وظن الذين أرسلناهم اليهم من الامم المكذبة أن الرسل الذين أرسلناهم قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله من وعده اياهم نصرهم عليهم جاءهم نصرنا

(١) هذا خلاف نظم القرآن فتنبه كتبه مصححه

ترك لطف الله واليأس عن وجدانه كفر فلما رأت الاوصاف البشرية آثار العزة من رب العزة على صفحات أحوال يوسف القلب وصلوا بتيسير أحكام الشريعة وتدبير آداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا وهم القوى الانسانية البعد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فأوف لنا الكيل باواضة سجال العواطف واسباغ ظلال العواطف اذ أنتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد آثرك الله علينا بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا لخاطئين فى الاقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التى تضر القلب والسر والروح لاتثريب عليكم اليوم لانه صدر منها ما صدر بحكمة من الله تعالى وتربية القلب وان كان مضرا له ظاهرا (٣) كما أن صنيع اخوة يوسف فى البداية صار سببا لرفعة منزلته فى النهاية اذهبوا بقميصى وهو نور جمال الله ولما فصلت عير واردات القلب وهبت نفحات ألطاف الحق انك لفى ضلالك القديم شعر

ياعاذل العاشقين دع فئة
أضلها الله كيف ترشدها
فارتد بصيرا الأن الروح كان بصيرا فى بدو الفطرة ثم عمى لتعلقه بالدنيا وتصرفه فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب شعر

ورد البشير بما أقر الاعينا *
وشفى النفوس فنلن غايات المنى

والقلب فى بدو الامر كان محتاجا الى الروح فى الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول فيضان الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القربة فى النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستنارته بأنوار الحق وذلك أن القلب بمثابة المصباح فى قبول نار النور الالهى والروح كالزيت فيحتاج المصباح فى البداية الى الزيت فى قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح فى البداية وتزكيته فى النهاية

قال

لتقبل بواسطة النار ادخلوا مصر ان شاء الله لانه لايصل الى الحضرة الاحدية الا بجذبة المشيئة آمنين من الانقطاع والانفصال وخر وا له سجدا لما رأوه وعرفوه أنه عرش الحق تعالى فالسجدة كانت فى الحقيقة لرب العرش لا للعرش هذا تأويل رؤياى من قبل ان كنت ناما فى نو

وذلك قول جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن ابن عباس فى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال لما أيست الرسل أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم النصر على ذلك فنجى من نشاء حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الاعمش عن مسلم عن ابن عباس بنحوه غير أنه قال فى حديثه قال أيست الرسل ولم يقل لما أيست حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير حتى اذا استيأس الرسل أن يسلم قومهم وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن عمران السلمى عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أيس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا جرير عن حصين عن عمران بن الحرث السلمى عن عبد الله بن عباس فى قوله حتى اذا استيأس الرسل قال استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم وظنوا أنهم قد كذبوا قال ظن قومهم أنهم جاؤهم بالكذب حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت حصينا عن عمران بن الحرث عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل من أن يستجيب لهم قومهم وظن قومهم أن قد كذبوهم جاءهم نصرنا حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس فى هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل قال استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم فيما وعدوهم وكذبوا جاءهم نصرنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس قال حتى اذا استيأس الرسل من نصر قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا ظن قومهم أنهم قد كذبوهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن الصباح قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس فى قوله حتى اذا استيأس الرسل قال من قومهم أن يؤمنوا بهم وأن يستجيبوا لهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم جاءهم نصرنا يعنى الرسل حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس بمثله سواء حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن هرون عن عباد القرشى عن عبد الرحمن بن معاوية عن ابن عباس وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة وتأويلها عنده وظن القوم أن الرسل قد كذبوا حدثنا أبو بكر قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن الاعمش عن مسلم عن ابن عباس قال حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن قومهم أن قد كذبتهم رسلهم جاءهم نصرنا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح

قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا يعنى أيس الرسل من أن يتبعهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فينصر الله الرسل و يبعث العذاب **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يطيعوهم و يتبعوهم وظن قومهم أن رسلهم كذبوهم جاءهم نصرنا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا قال فما أبطأ عليهم الا من ظن أنهم قد كذبوا * قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال أخبرنا حصين بن عبد الرحمن عن عمران بن الحرث قال سمعت ابن عباس يقول وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة وقال ابن عباس ظن القوم أن الرسل قد كذبوهم خفيفة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير فى قوله حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم * قال ثنا محمد بن فضيل عن خصيف قال سألت سعيد بن جبير عن قوله حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن الكفار أنهم هم كذبوا **حدثنى** يعقوب والحسن بن محمد قالا ثنا اسمعيل بن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير قوله حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا وظن قومهم أن الرسل قد كذبتهم **حدثنى** المثنى قال ثنا عارم أبو النعمان قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا شعيب قال ثنى ابراهيم بن أبى حمزة الجزرى قال سأل فتى من قريش سعيد بن جبير فقال له يا أبا عبد الله كيف تقرأ هذا الحرف وانى اذا أتيت عليه تمنيت أن لا أقرأ هذه السورة حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال نعم حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يصدقوهم وظن المرسل اليهم أن الرسل كذبوا قال فقال النخعالة بن مزاحم ما رأيت كاليوم قط رجلا يدعى الى علم فيتلكأ ولو رحلت فى هذه الى اليمن كان قليلا **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير فقال يا أبا عبد الله آية بلغت منى كل مبلغ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا أو تظن أنهم قد كذبوا مخففة قال فقال سعيد بن جبير يا أبا عبد الرحمن حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم وظن قومهم أن الرسل كذبتهم جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين قال فقام مسلم الى سعيد فاعتنقه وقال فرج الله عنك كما فرجت عنى **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا وهيب قال ثنا أبو المعلى العطار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال استيأس الرسل من ايمان قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم ما كانوا يخبرونهم و يلقونهم * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله حتى اذا استيأس الرسل أن يصدقهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا **حدثنى** محمد بن

العدم اذ أخرجنى من السجن سجن الوجود ولم يقل من الجب لانه لا يخرج من جب البشرية مادام فى الدنيا من البدو بدو الطبيعة وبقيتى من الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وأرض البشرية توفنى مسلما أخرجنى من قيد الوجود المجازى وأبقنى بقائك مع الباقين بك بفضلك وكرمك ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ۞ القراآت سبيلى بفتح الياء أبو جعفر ونافع نوحى بالنون وكسر الحاء حفص الآخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام وابن كثير والاعشى والبرجمى والباقون بتاء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة وعلى

وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجى بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر وعاصم وسهل و يعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائى مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطأه على بن عيسى بناء على أنه فعل مستقبل من الانجاء والنون لا تدغم فى الجيم أو من التنجية والنون المتحركة لا تدغم فى الساكن وأقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية والنون المتحركة لا تدغم

كما فى القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم منه خطأ الآخرون قرؤا بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارع الانجاء على حكاية الحال الماضية ۞ الوقوف اليك ج لابتداء النفي مع واو العطف يمكرون ○ بمؤمنين ○ أجر ط للعالمين معرضون ○ مشركون ○ لا يشعرون ○ (٥٦) ومن اتبعن ط من المشركين ○ القرى ط من قبلهم ط اتقوا ط تعقلون

نصرنا ط لمن قرأ فننجي بالتخفيف ولا وقف على من نشاء ومن قرأ فنجي مشددة وصله بما قبله و وقف على من نشاء المجرمين ○ الالباب ط يؤمنون ○ ۞ التفسير (ذلك) الذي ذكر من نبأ يوسف هو من أخبار الغيب وقدم تفسير مثل هذا في آخر قصة زكريا في سورة آل عمران ومعنى اجماع الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح وأراد عزمهم على القاء يوسف في البئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من المجيء على قميصه بدم كذب ومن شراهم اياه بثمن بخس قال أهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله أنه اذا ذكرها فربما آمنوا فلما ذكرها لهم أصروا على كفرهم فنزل (وما أكثر الناس) أي أكثر خلق الله المكلفين أو أكثر أهل مكة قاله ابن عباس (ولو حرصت) جوابه مثل ما تقدم أي ولو حرصت فما هم (بمؤمنين) والحرص طلب الشئ بأقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الآية قوله انك لا تهدي من أحببت (وما تسألهم عليه) على ما تحدثهم به (من أجر) كما يسأل القاص (ان هو الا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة على لسان رسوله (وكأين من آية) الاكثرون على أنه لفظ مركب من كاف التشبيه وأي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن الكاف لاعن أي كما في مثلك رجلا والا كثر ادخال من في تمييزه وقدم مر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض وفي مواضع أخر

عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبت ○ قال ثنا حماد عن كثير عن ابن جبير قال قال لي سعيد بن جبير سألني سيد من سادات كم عن هذه الآية فقلت استيأس الرسل من قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال استيأس الرسل أن يؤمن قومهم وظن قومهم المشركون أن الرسل قد كذبوا ما وعدهم الله من نصره اياهم عليهم وأخلفوا وجاءهم نصرنا قال جاء الرسل النصر حينئذ قال وكان أبي يقرؤها كذبوا حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن أبي المتوكل عن أيوب بن أبي صفوان عن عبد الله بن الحرث أنه قال حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا وظن القوم أنهم قد كذبوهم فيما جاؤهم به حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن جويبر عن الضحاك قال ظن قومهم أن رسلهم قد كذبوهم فيما وعدوهم به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين بن زياد الضبي عن تميم بن حذلم قال سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ في هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال استيأس الرسل من ايمان قومهم أن يؤمنوا بهم وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا بالتخفيف حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير في قوله حتى اذا استيأس الرسل قال استيأس الرسل من نصر قومهم وظن قوم الرسل أن الرسل قد كذبوهم حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير حتى اذا استيأس الرسل أن يصدقوهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل أن يصدقهم قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم حدثت عن الحسين عن ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله حتى اذا استيأس الرسل يقول استيأسوا من قومهم أن يجيبوهم ويؤمنوا بهم وظنوا يقول وظن قومهم أن الرسل قد كذبوهم الموعد والقراءة على هذا التأويل الذي ذكرنا في قوله كذبوا بضم الكاف وتخفيف الذال وذلك أيضا قراءة بعض قراء أهل المدينة وعامة قراءة أهل الكوفة وانما اخترنا هذا التأويل وهذه القراءة لان ذلك عقيب قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فكان ذلك دليلا على أن اياس الرسل كان من ايمان قومهم الذين أهلكوا وأن المضمر في قوله وظنوا أنهم قد كذبوا انما هو من ذكر الذين من قبلهم من الامم الهالكة وزاد ذلك وضوحا أيضا اتباع الله ذلك سياق الخبر عن الرسل وأممهم قوله فننجي من نشاء اذ الذين أهلكوا هم الذين ظنوا أن الرسل قد كذبتهم فكذبوهم ظنا منهم أنهم قد كذبوهم وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة الى غير التأويل الذي

الذى اخترنا ووجهوا معناه الى حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنت الرسل أنهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عثمن بن عمر قال ثنا ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال قرأ ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال كانوا بشرا ضعفوا ويئسوا * قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى ابن أبى مليكة عن ابن عباس قرأ وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال ابن جريج أقول كما يقول أخلفوا قال عبد الله قال لى ابن عباس كانوا بشرا وتلا ابن عباس حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال ابن جريج قال ابن أبى مليكة ذهب بها الى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخلفوا حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قرأ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا مخففة قال عبد الله هو الذى تكره * قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن سليمن عن أبى الضحى عن مسروق أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال هو الذى تكره مخففة * قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قلت كذبوا قال نعم ألم يكونوا بشرا حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال كانوا بشرا قد ظنوا وهذا تأويل وقول غيره من أهل التأويل أولى عندى بالصواب وخلافه من القول أشبه بصفات الانبياء والرسل ان جاز أن يرتابوا بوعد الله اياهم ويشكوا فى حقيقة خبره مع معاينتهم من حجج الله وأدلته ما لا يعاينه المرسل اليهم فيعذروا فى ذلك ان المرسل اليهم لأولى فى ذلك منهم بالعذر وذلك قول ان قاله قائل لا يخفى أمره وقد ذكر هذا التأويل الذى ذكرناه أخيرا عن ابن عباس لعائشة فانكرته أشد النكرة فيما ذكر لنا ذكر الرواية بذلك عنها رضوان الله عليها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عثمن بن عمر قال ثنا ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال قرأ ابن عباس حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا فقال كانوا بشرا ضعفوا ويئسوا قال ابن أبى مليكة فذكرت ذلك لعروة فقال قالت عائشة معاذ الله ما حدث الله رسوله شيأ قط الا علم أنه سيكون قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى ظن الأنبياء أن من تبعهم قد كذبوهم فكانت تقرؤها قد كذبوا تثقلها * قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن أبى مليكة أن ابن عباس قرأ وظنوا أنهم قد كذبوا خفيفة قال عبد الله ثم قال لى ابن عباس كانوا بشرا وتلا ابن عباس حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قال ابن جريج قال ابن أبى مليكة يذهب بها الى أنهم ضعفوا فظنوا أنهم أخلفوا قال ابن جريج قال ابن أبى مليكة وأخبرنى عروة عن عائشة أنها خالفت ذلك وأبته وقالت ما وعد الله محمدا صلى الله عليه وسلم من شئ إلا وقد علم أنه سيكون حتى مات ولكنه لم يزل البلاء بالرسل حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كذبوهم قال ابن أبى مليكة فى حديث عروة كانت عائشة تقرؤها وظنوا أنهم قد كذبوا مثقلة للتكذيب * قال ثنا سليمن بن داود الهاشمى قال ثنا ابراهيم بن سعد قال ثنى صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن

تفصيل بعض الآيات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الآيات قصص الاولين وأحوال الاقدمين ومعنى (يمرون عليها) أشياء يشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء خبره يمرون والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل أن جملة العالم العلوى والعالم السفلى محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن الغافل يتعامى عن ذلك (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وذلك أنهم كانوا مقرين بالاله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا فى المعبودية هو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان أهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم أهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتجت الكرامية بالآية على أن الايمان عبارة عن مجرد الاقرار والجواب أن مجرد الاقرار لو كان كافيا لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم (قل) يا محمد لهم (هذه) السبيل التى هى الدعوة الى الايمان (سبيلى) وسيرتى وقوله (أدعو الى الله) تفسير لسبيلى و(على بصيرة) يتعلق بأدعو و(أنا) تأكيد للمستتر فى أدعو (ومن اتبعن) عطف عليه ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة فى أنا ومن اتبعن ويجوز أن يكون أنا مبتدأ معطوفا عليه ومن اتبعن وعلى بصيرة خبرا مقدما فيكون ابتداء اخبار بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشه (و) قل (سبحان الله) تنزيها له عما أشركوا (وما أنا من المشركين) لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال (وما أرسلنا من قبلك) وفى الانبياء قبلك بغير من لان قبلا اسم للزمان السابق على ما أضيف اليه ومن تفيد استيعاب الطرفين وفى هذه السورة أريد الاستيعاب قوله (الا رجالا) رد على من زعم أن الرسول ينبغى أن يكون ملكا أو يمكن أن يكون امرأة مثل سجاح المتنبئة وقوله (من أهل القرى) خصهم بالاستنباء لما فى أهل البادية من الغلظ

والجفاء فيمار حمة من الله لنت لهم قال صلى الله عليه وسلم من بداجفا ومن اتبع الصيد غفل (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا) الى مصا
الامم المكذبة انما قال أفلم يسيروا بالفاء بخلاف مافى الروم والملائكة لاتصاله بقوله وما أرسلنا من قبلك فكان الفاء أنسب
الواو (ولدار الآخرة) موصوفه محذوف أى ولدار الساعة والحال الآخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الآ

وبيان الخيرية قدمر فى الانعام وانما خصت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال فى الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام والتقدير فتراخى نصر أولئك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر أوعن ايمان القوم (وظنوا أنهم قد كذبوا) فيه وجوه لقراءتى التخفيف والتشديد ولامكان عود الضمير فى الفعلين الى الرسل أوالى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل أوالسابق ذكرهم فى أفلم يسيروا وأما وجوه التخفيف فمنها وظن الرسل أنهم قد كذبوا أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أوكذب رجاؤهم لقولهم رجاء صادق وكاذب والمراد أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى توهموا أن لانصر لهم فى الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا ألا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء جلوا قول ابن عباس على مايخطر بالبال شبه الوسواس وحديث النفس من عالم البشرية وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر فلا لأن الرسل أعرف الناس بالله وبأن ميعاده مبرأ عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر ومنها وظن المرسل اليهم أنهم قد كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وأما قراءة التشديد وباقى

فان كان الظن بمعنى اليقين فمعناه أيقن الرسل أن الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان بعد فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستئصال أوكذبوهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم

عروة عن عائشة قال قلت لها قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا قال قالت عائ
لقد استيقنوا أنهم قد كذبوا قلت كذبوا قالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن يوما انما هم أتباع الر
لما استأخر عنهم الوحى واشتد عليهم البلاء ظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصرنا حد
محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت حتى
اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم أن يصدقوهم وظنت الرسل أن من قد آمن من قومهم قد
كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك فهذا ما روى فى ذلك عن عائشة غير أنها كانت تقرأ كذبوا
بالتشديد وضم الكاف بمعنى ماذكرنا عنها من أن الرسل ظنت بأتباعها الذين قد آمنوا بهم أنهم قد
كذبوهم فارتدوا عن دينهم استبطاء منهم للنصر وقد بينا أن الذى نختار من القراءة فى ذلك والتأويل
غيره فى هذا الحرف خاصة * وقال آخرون ممن قرأ قوله كذبوا بضم الكاف وتشديد الذال معنى
ذلك حتى اذا استيأس الرسل من قومهم أن يؤمنوا بهم و يصدقوهم وظنت الرسل بمعنى واستيقنت
أنهم قد كذبهم أممهم جاءت الرسل نصرتنا وقالوا الظن فى هذا بمعنى العلم من قول الشاعر

فظنوا بألفى فارس متلبب * سراتهم فى الفارسى المسرد

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن وعن قتادة
قتادة حتى اذا استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا أى استيقنوا أنه لاخير عند
قومهم ولا ايمان جاءهم نصرنا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن
قتادة حتى اذا استيأس الرسل قال من قومهم وظنوا أنهم قد كذبوا قال وعلموا أنهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا و بهذه القراءة كانت تقرأ عامة قراء المدينة والبصرة والشام أعنى بتشديد الذال من كذبوا
وضم كافها وهذا التأويل الذى ذهب اليه الحسن وقتادة فى ذلك اذا قرئ بتشديد الذال وضم
الكاف خلاف لما ذكرنا من أقوال جميع من حكينا قوله من الصحابة لانه لم يوجه الظن فى هذا
الموضع منهم أحد الى معنى العلم واليقين مع أن الظن انما استعمله العرب فى موضع العلم فيما كان من
علم أدرك من جهة الخبر أومن غير وجه المشاهدة والمعاينة فأما ما كان من علم أدرك من وجه
المشاهدة والمعاينة فانها لا تستعمل فيه الظن لا تكاد تقول أظننى حيا وأظننى انسانا بمعنى أعلمنى
انسانا وأعلمنى حيا والرسل الذين كذبتهم أممهم لاشك أنها كانت لأممها شاهدة ولتكذيبها بالعاينة
سامعة فيقال فيها ظنت بأممها أنها كذبتها وروى عن مجاهد فى ذلك قول هو خلاف جميع
ماذكرنا من أقوال الماضين الذين سمينا أسماءهم وذكرنا أقوالهم وتأويل خلاف تأويلهم وقراءة
غير قراءة جميعهم وهو أنه فيما ذكر عنه كان يقرأ وظنوا أنهم قد كذبوا بفتح الكاف والذال
وتخفيف الذال ذكر الرواية عنه بذلك حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا أبو عبيد قال ثنا
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنه قرأها كذبوا بفتح الكاف بالتخفيف وكان يتأوله كما حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد استيأس الرسل أن تعذب
قومهم وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاءهم نصرنا قال جاء الرسل نصرنا قال مجاهد قال فى المؤمن
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم قال قولهم نحن أعلم منهم ولن نعذب وقوله

وهذا تأويل عائشة قالت ما وعد الله محمدا شيأ الا وعلم أنه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم (لقد كان فى قصصهم) قصص الرسل اضافة للمصدر الى الفاعل و يحسن أن يقال الضمير لاخوة يوسف وله لاختصاص هذه السورة بهم والعبرة نوع من الاعتبار وهى العبور من الطرف المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم أن يعلم أنه لا خير الا فى العمل الصالح والتزود بزاد التقوى فان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا العباد ثم لم يراعوا حق الله فى شئ من ذلك ماتوا وانقرضوا وبقى الوزر والوبال عليهم وعلى الخصوص أن الذى قدر على اعزاز يوسف بعد القائه فى الجب واعلاء شأنه بعد حبسه فى السجن واجتماعه بأهله بعد طول البعاد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشترك فى الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع من القصص الذى أعجز حملة الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على أنه بطريق الوحى والتنزيل وانما يكون دليلا واعتبارا (لاولى الالباب) وأصحاب العقول الذين يتأملون و يتفكرون لا الذين يمرون و يعرضون على أن الدليل دليل فى نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل قط كما أن الرئيس الحقيقى من له أهلية الرياسة وان كان فى نهاية الخمول (ما كان) مدلول القصص وهو المقصوص أو القرآن (حديثا يفترى) لظهور اعجازه (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) من الكتب السماوية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين لانه القانون الذى يستند اليه السنة والاجماع والقياس وقيل تفصيل كل شئ من واقعة يوسف مع أبيه واخوته قال الواحدى وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤل اليها (وهدى) فى الدنيا (ورحمة) فى الآخرة (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بذلك (التأويل) من أنباء الغيب لان هذا الترتيب فى السلوك لا يعلمه الا الواجدون ملكوت السماء الغواصون فى بحر بطن القرآن وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما أكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تسألهم عليه من أجر لان اللاهوتية غير محتاجة

وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قال حاق بهم ما جاءت به رسلهم من الحق وهذه القراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من قراء الامصار على خلافها ولو جازت القراءة بذلك لاحتمل وجها من التأويل وهو أحسن مما تأوله مجاهد وهو حتى اذا استيأس الرسل من عذاب الله قومها المكذبة بها وظنت الرسل أن قومها قد كذبوا وافتروا على الله بكفرهم بها و يكون الظن موجها حينئذ الى معنى العلم على ما تأوله الحسن وقتادة وأما قوله فنجى من نشاء فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأه عامة قراء أهل المدينة ومكة والعراق فننجى من نشاء بنونين بعدى فننجى نحن من نشاء من رسلنا والمؤمنين بنا دون الكافرين الذين كذبوا رسلنا اذا جاء الرسل نصرنا واعتل الذين قرؤا ذلك كذلك أنه انما كتب فى المصحف بنون واحدة وحكمه أن يكون بنونين لان احدى النونين حرف من أصل الكلمة من أنجى ينجى والاخرى النون التى تأتى لمعنى الدلالة على الاستقبال من فعل جماعة مخبرة عن أنفسها لانهما حرفان أعنى النونين من جنس واحد يخفى الثانى منهما عن الاظهار فى الكلام لحذفت من الخط واجتزئ بالمثبتة من المحذوفة كما يفعل ذلك فى الحرفين اللذين يدغم أحدهما فى صاحبه وقرأ ذلك بعض الكوفيين على هذا المعنى غير أنه ادغم النون الثانية وشدد الجيم وقرأه آخر منهم بتشديد الجيم ونصب الياء على معنى فعل ذلك به من نجيته أنجيه وقرأ ذلك بعض المكيين فنجا من نشاء بفتح النون والتخفيف من نجا من عذاب الله من نشاء ينجو والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه فننجى من نشاء بنونين لان ذلك هو القراءة التى عليها القرأة فى الامصار وما خالفه من قرأ ذلك ببعض الوجوه التى ذكرناها فمنفرد بقراءته عما عليه الحجة مجمعة من القراء وغير جائز خلاف ما كان مستفيضا بالقراءة فى قرأة الامصار وتأويل الكلام فننجى الرسل ومن نشاء من عبادنا المؤمنين اذا جاء نصرنا كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فننجى من نشاء فننجى الرسل ومن نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث الرسل فدعوا قومهم وأخبروهم أنه من أطاع نجا ومن عصاه عذب وغوى وقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين يقول ولا ترد عقوبتنا وبطشنا عن بطشنابه من أهل الكفر بنا وعن القوم الذين أجرموا فكفروا بالله وخالفوا رسله وما أتوهم به من عنده ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى و رحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان فى قصص يوسف واخوته عبرة لاهل الحجا والعقول يعتبرون بها وموعظة يتعظون بها وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف فى الجب ليهلك ثم بيع بيع العبيد بالخسيس من الثمن وبعد الاسار والحبس الطويل ملكه مصر ومكن له فى الارض وأعلاه على من بغاه سوأ من اخوته وجمع بينه و بين والديه واخوته بقدرته بعد المدة الطويلة وجاءبهم اليه من الشقة النائية البعيدة فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لقد كان لكم أيها القوم فى قصصهم عبرة لو اعتبرتم به ان الذى فعل ذلك بيوسف واخوته لا يتعذر عليه أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم فيخرجه من بين أظهركم ثم يظهره عليكم و يمكن له فى البلاد و يؤيده بالجند والرجال من الاتباع والاصحاب وان مرت به شدائد وأتت دونه الايام والليالى والدهور والازمان

الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة فى ذاتها مكملة لغيرها وكاين من آية فى سموات القلوب وأرض النفوس تمر الاوهام الانسانية عليها وهم عنها معرضون لاقبالها على الدنيا وشهواتها وما يؤمن أكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفاته الاوهم مشركون فى طلب الدنيا وشهواتها او طلب الآخرة ونعمها أو وما يؤمن أكثر الخلق بالله وطلبه الاوهم مشركون برؤية الايمان والطلب أنهامنهم لامن الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهوموحد كل شئ هالك فى نظر الموحد الاوجهه أو وما يؤمن أكثر الناس بالله وبقدرته وايجاده الاوهم مشركون فى طلب الحاجة من غير الله غاشية جذبة تقهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله أو تأتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلى لان طريق السير والسلوك مختص به وبأمته الارجال من أهل قرى الملكوت دون مدن الملك والاجساد والرجال من القرى ويشبه أن يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى أقل أجزاء من المدن أفلم يسيروا فى أرض البشرية على قدمى الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا أنهم قد كذبوا ففى ابطاء النصر ابتلاء للرسل الله حسبى ونعم الوكيل

﴿سورة الرعد مكية وقيل مدنية سوى آية نزلت بجحفة قوله (٣) وهم يكفرون حروفها ٣٥٠٦ كلمها ٨٥٥ آياتها ٤٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد

وكان مجاهد يقول معنى ذلك لقد كان فى قصصهم عبرة ليوسف واخوته ذكر الرواية حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لقد كان فى قصصهم عبرة ليوسف واخوته حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عبرة ليوسف واخوته حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب قال يوسف واخوته وهذا القول الذى قاله مجاهد وان كان له وجه يحتمله التأويل فان الذى قلنا فى ذلك أولى به لان ذلك عقيب الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن قومه من المشركين وعقيب تهديدهم ووعيدهم على الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ومنقطع عن خبر يوسف واخوته ومع ذلك انه خبر عام عن جميع ذوى الالباب أن فصصهم لهم عبرة وغير مخصوص بعض به دون بعض فاذا كان الامر على ما وصفت فى ذلك فهو بأن يكون خبرا عن أنه عبرة لغيرهم أشبه والرواية التى ذكرناها (١) عن مجاهد رواية ابن جريج أشبه به أن تكون من قوله لان ذلك موافق القول الذى قلناه فى ذلك وقوله ما كان حديثا يفترى يقول تعالى ذكره ما كان هذا القول حديثا يختلق ويتكذب ويتخرص كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان حديثا يفترى والفرية الكذب ولكن تصديق الذى بين يديه يقول ولكنه تصديق الذى بين يديه من كتب الله التى أنزلها قبله على أنبيائه كالتوراة والانجيل والزبور ويصدق ذلك كله ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن تصديق الذى بين يديه والفرقان تصديق الكتب التى قبله ويشهد عليها وقوله وتفصيل كل شئ يقول تعالى ذكره وهو أيضا تفصيل كل ما بالعباد اليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقوله وهدى ورحمة لقوم يؤمنون يقول تعالى ذكره وهو بيان أمره ورشاد من جهل سبيل الحق فعمى عنه اذا اتبعه فاهتدى به من ضلالة ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ويورثه فى الآخرة جنانه والخلود فى النعيم المقيم لقوم يؤمنون يقول لقوم يصدقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه فيعملون بما فيه من أمره وينتهون عما فيه من نهيه آخر تفسير سورة يوسف

﴿أول تفسير السورة التى يذكر فيها الرعد﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ قال أبو جعفر قد بينا القول فى تأويل قوله الر والمر ونظائرهما من حروف المعجم التى افتتح بها أوائل بعض سور القرآن فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادتها غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصا به كل سورة افتتح أولها بشئ منها فما جاء من الرواية فى ذلك فى هذه السورة عن ابن عباس من نقل أبى الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبير عنه التفريق بين معنى

(١) يتأمل فى هذا الموضع

ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴿ القرآت وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالجر فيهن عطفا على أعناب يسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كله أو للتغليب ابن عامر وعاصم ويزيد وروايس الباقون بتاء التأنيث لقوله جنات ويفضل على الغيبة حمزة وعلى وخلف الباقون بالنون على ونحن نفضل أئذا بهمزتين انا بهمزة واحدة على أيذا بقلب الثانية ياء والباقى كما مر نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد آئذا انا بالمد والباقى مثله زيد وقالون اذا بهمزة واحدة أئنا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة اذا بهمزة واحدة آينا بهمزة ممدودة ثم ياء يزيد أيذا أينا بهمزة ثم ياء فيهما ابن كثير مثله لكن بالمد أبو عمرو وأئذا أئنا بهمزتين فيهما عاصم وحمزة وخلف هادى وافى والى باقى فى الوقف يعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وابن شنبوذ عن قنبل بالياء فى الوقف وعن البزى بغير ياء المتعالى فى الحالين ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس فى الوصل

الوقوف المركوفى آيات الكتاب ط لا يؤمنون ٥ والقمر ط مسمى ط يوقنون ٥ وأنهارا ط النهار ط يتفكرون ٥

ما ابتدئ به أولها مع زيادة الميم التى فيها على سائر سور ذوات الراء ومعنى ما ابتدئ به أخواتها مع نقصان ذلك منها عنها ذكر الرواية بذلك عنه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن عن هشيم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس المر قال أنا الله أرى **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس قوله المر قال أنا الله أرى **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن مجاهد المر فواتح يفتتح بها كلامه وقوله تلك آيات الكتاب يقول تعالى ذكره تلك التى قصصت عليك خبرها آيات الكتاب الذى أنزلته قبل هذا الكتاب الذى أنزلته اليك الى من أنزلته اليه من رسلى قبلك وقيل عنى بذلك التوراة والانجيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله المر تلك آيات الكتاب التى كانت قبل القرآن **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد تلك آيات الكتاب قال التوراة والانجيل وقوله والذى أنزل اليك من ربك الحق فاعمل بما فيه واعتصم به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن مجاهد والذى أنزل اليك من ربك الحق قال القرآن **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذى أنزل اليك من ربك الحق أى هذا القرآن فى قوله والذى أنزل اليك وجهان من الاعراب أحدهما الرفع على أنه كلام مبتدأ فيكون مرفوعا بالحق والحق به وعلى هذا الوجه تأويل مجاهد وقتادة الذى ذكرنا قبل عنهما والآخر الخفض على العطف به على الكتاب فيكون معنى الكلام حينئذ تلك آيات التوراة والانجيل والقرآن ثم يبتدئ الخبر بمعنى ذلك الحق فيكون رفعه بمضمر من الكلام قد استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ولو قيل معنى تلك تلك آيات الكتاب الذى أنزل اليك من ربك الحق وانما أدخلت الواو فى والذى وهو نعت للكتاب كما أدخلها الشاعر فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

عطف بالواو وذلك كله من صفة واحد كان مذهبا من التأويل ولكن ذلك اذا تؤول كذلك فالصواب من القراءة فى الحق الخفض على أنه نعت للذى وقوله ولكن أكثر الناس من مشركى قومك لا يصدقون بالحق الذى أنزل اليك من ربك ولا يقرون بهذا القرآن وما فيه من محكم آيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ يقول تعالى ذكره الله يا محمد هو الذى رفع السموات السبع بغير عمد ترونها فجعلها للارض سقفا محفوظا والعمد جمع عمود وهى السوارى وما يعمد به البناء كما قال النابغة

وخيس الجن انى قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وجمع العمود عمد كما جمع الأديم أدم ولو جمع بالضم فقيل عمد جاز كما يجمع الرسول رسل والشكور شكر واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله رفع السموات بغير عمد ترونها فقال بعضهم تأويل

عاء واحد ز قف لمن قرأ ونفضل بالنون فى الاكل ط يعقلون ٥ جديد ط بربهم ط فى أعناقهم ج النار
خالدون ٥ المثلات ط على ظلمهم ج لتنافى الجملتين العقاب ٥ من ربه ط هاد ٥ وماتزداد ط بمقدار ٥ المتعال ٥ بالنهار
من أمر الله ط ما بأنفسهم ط فلا مرد له ج لاختلاف الجملتين وال ٥ ۞ التفسير (تلك) الآيات التى فى هذه

آيات السورة العجيبة الكاملة فى بابها (والذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن كله هو (الحق) الذى لامحيد عنه والمراد أنه لاتنحصر الحقية فى هذه السورة وحدها ثم أخذ فى تفصيل الحق فبدأ بالدلالة على صحة المبدا والمعاد فقال (الله) وهو مبتدأ خبره (الذى) أو الموصول صفة المبتدأ وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود وهو مايعمد به الشئ شبه الاسطوانة وقوله (ترونها) كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد أى وأنتم ترونها مرفوعة بلاعماد وقال الحسن فى الاية تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها مرفوعة بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم زعم من تمسك بالمفهوم ان للسموات عمدا لكنا لانراها وماتلك العمد قال بعض الظاهريين هى جبل من زبرجد محيط بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى سقوط هذا القول لان كل جسم لو كان يلزم أن يكون معتمدا على شئ فذلك الجبل أيضا كان معتمدا على شئ وتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض الصورة الى ذروة عالم المعقول ان تلك العمد هى قدرة الله تعالى وحفظه الذى أوقفها فى الجو العالى ونحن لانرى ذلك التدبير ولانعرف كيفية ذلك الامساك أما قوله (كل يجرى لاجل مسمى) فعن ابن عباس ان للشمس مائة وثمانين منزلا فى مائة وثمانين يوما ثم انها تعود مرة أخرى الى واحد واحد منها فى أمثال تلك الايام ومجموع تلك الايام سنة تامة أقول ان صح هذا عنه فلعله أراد تصاعدها فى دائرة نصف النهار وتنازلها عنها فى السنة أو أراد نزولها فى فلكها الخارج المركز من الاوج الى الحضيض ثم صعودها من الحضيض الى الاوج فان لها بحسب كل جزء من القمر

ذلك أنه الذى رفع السموات بعمد لاترونها ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن هشام قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة قال قلت لابن عباس ان فلانا يقول انهم عمد يعنى السماء قال فقال اقرأها بغير عمد ترونها أى لاترونها حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح قال ثنا معاذ بن معاذ عن عمران بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا حماد قال ثنا جميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد فى قوله بغير عمد ترونها قال بعمد لاترونها حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن جميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد فى قول الله بغير عمد ترونها قال هى لاترونها حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بغير عمد (١) يقول عمد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الحسن وقتادة قوله الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها قال قتادة قال ابن عباس بعمد ولكن لاترونها حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله رفع السموات بغير عمد ترونها قال مايدريك لعلها بعمد لاترونها ومن تأول ذلك كذلك قصد مذهب تقديم العرب الجملة آخر الكلام الى أوله كقول الشاعر

ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لى نكبة وتنكارها

يريد أراها لاتزال ظالمة فقدم الجحد عن موضعه من نزال وكما قال الآخر

اذا أعجبتك الدهر حال من امرئ * فدعه ووا كل حاله والليالي

يجئ على ما كان من صالح به * وان كان فيما لايرى الناس آليا

يعنى وان كان فيما يرى الناس لايألو * وقال آخرون بل هى مرفوعة بغير عمد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن خلف العسقلانى قال أخبرنا آدم قال ثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر عن ابن معاوية فى قوله رفع السموات بغير عمد ترونها قال السماء مقببة على الارض مثل القبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بغير عمد ترونها قال رفعها بغير عمد * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها فهى مرفوعة بغير عمد نراها كما قال ربنا جل ثناؤه ولا خبر بغير ذلك ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه وأما قوله ثم استوى على العرش فانه يعنى علا عليه وقد بينا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول فيما قالوا فيه بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وسخر الشمس والقمر يقول وأجرى الشمس والقمر فى السماء فسخرهما فيها لمصالح خلقه وذللهما لمنافعهم ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب وبفصل به بين الليل والنهار وقوله كل يجرى لأجل مسمى يقول جل ثناؤه كل ذلك يجرى فى السماء لأجل مسمى أى لوقت معلوم وذلك الى فناء الدنيا وقيام القيامة التى عندها تكور الشمس وتخسف

(١) لعله يقول عمد لاترونها وحرر

الاجزاء فى كل يوم من أيام السنة تعديلا خاصا زائدا أو ناقصا كما برهن عليه أهل النجوم وأما القمر فسيره فى منازله مشهور وقال سائر المفسرين المراد كونهما متحركين الى يوم القيامة وبعد ذلك تنقطع الحركات وتنتهى المسيرات كقوله وأجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما تقول كتبت لثلاث خلون وانما قال فى سورة لقمان الى أجل مسمى موافقة لقبيل ذلك ومن يسلم وجهه الى الله والقياس لله كما فى قوله أسلمت وجهى لله (يدبر الامر) اجمال بعد التفصيل أى أمر العالم العلوى والعالم السفلى من أعلى العرش الى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شأن عن شأن لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته أحوال شئ من ذلك فى الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتبديل الصور والاعراض وتغيير الاشكال والاوضاع (يفصل الآيات) الدالة على وحدانيته وقدرته ويحتمل أن يراد بتدبير الامر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الآيات انزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذى هو أثر ذلك العالم فى العالم السفلى ويجوز أن يكون تدبير الامر اشارة الى القضاء وتفصيل الآيات اشارة الى القدر وقوله (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) على كل التفاسير اشارة الى اثبات المعاد لان المقرر بتدبيره وتقديره على الأنهاج المذكورة لابد أن يعترف باقتداره على الاعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية أتبعها الدلائل الارضية فقال (وهو الذى مد الارض) قال الاصم أى بسطها الى ما لا يدرك منتهاه وهذا الامتداد الظاهر لحس البصر لا ينافى كريتها لتباعد أطرافها (وجعل فيها رواسى) أى جبالا ثوابت فى أحيازها غير منتقلة عن أماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الارض لا يعلم تفصيلها الا موجدها وزعمت الفلاسفة أنها من تأثير السموات فى الاجزاء الارضية القابلة لذلك الاثر بعد امتزاجها بالاجزاء المائية وغيرها وقد يعين على ذلك نزول الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالى وزعم بعضهم أن البحار كانت فى جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هنالك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذبت المياه الى ذلك الجانب لان الشمس تصير فى الحضيض أقرب

القمر وتنكدر النجوم وحذف ذلك من الكلام لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه وأن كل لابد لها من اضافة الى ما تحيط به * وبنحو الذى قلنا فى قوله لاجل مسمى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى قال الدنيا وقوله يدبر الأمر يقول تعالى ذكره يقضى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يدبر الامر يقضيه وحده * قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وقوله يفصل الآيات يقول يفصل لكم ربكم آيات كتابه وبينها لكم احتجاجا بها عليكم أيها الناس لعلكم بلقاء ربكم توقنون يقول لتوقنوا بلقاء الله والمعاد اليه فتصدقوا بوعده ووعيده وتنزجروا عن عبادة الآلهة والاوثان وتخلصوا له العبادة اذا تيقنتم ذلك * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلكم بلقاء ربكم توقنون وان الله تبارك وتعالى انما أنزل كتابه وأرسل رسله لتؤمن بوعده ونستيقن بلقائه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى مد الارض فبسطها طولا وعرضا وقوله وجعل فيها رواسى يقول جل ثناؤه وجعل فى الارض جبالا ثابتة والرواسى جمع راسية وهى الثابتة يقال منه أرسيت الوتد فى الارض اذا أثبته كما قال الشاعر

به خالدات ما يرمن وهامد * وأشعث أرسته الوليدة بالفهر

يعنى أثبته وقوله وأنهارا يقول وجعل فى الارض أنهارا من ماء وقوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فمن فى قوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين من صلة جعل الثانى لا الاول ومعنى الكلام وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات ومعنى زوجين اثنين من كل ذكر اثنان ومن كل أنثى اثنان فذلك أربعة من الذكور اثنان ومن الاناث اثنان فى قول بعضهم وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمى الاثنين زوجين والواحد من الذكور زوجا والأنثاه وكذلك الانثى الواحدة زوجا وجائز وجدة اذ كرها بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ويزيد ذلك ايضاحا قول الله عز وجل وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى فسمى الاثنين الذكر والانثى زوجين وانما عنى بقوله من كل زوجين اثنين نوعين وضربين وقوله يغشى الليل النهار يقول يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته والنهار الليل بضيائه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يغشى الليل النهار أى يلبس الليل النهار وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التى خلق بها هذه الاشياء لدلالات وحجاجا وعظات لقوم يتفكرون فيها فيستدلون ويعتبرون بها فيعلمون أن العبادة لا تصلح

الى الارض فتوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدثت الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة
وباعانة من السموات والآثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لامحالة الى مسبب لاسبب له وهو الله سبحانه ومن الدلائل الدالة على
وجود الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الكائنة فيها من احتباس الابخرة وأكثر ذلك

يتكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيرا كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر ومكامن الاجسام المائعة من النفط والقير والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قهار ثم يحدث على الارض بتربية المياه وتغذيتها أنواع النبات فلذلك قال (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) وللمفسرين فيه قولان الاول أنه حين مد الارض خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كآدم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني أنه أراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الاختلاف الصنفي ووصف الزوجين بالاثنين للتأكيد مثل نفخة واحدة أما قوله (يغشى الليل النهار) فقد مر تفسيره في الاعراف وانما ذكر هذا الانعام في أثناء الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسميه الحكماء كرة النسيم وكرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا ظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل أن يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة أخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله (وفي الارض قطع متجاورات) أي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى أخرى على خلافها وفي هذا دلالة ظاهرة على انها بجعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل

ولا تجوز الا لمن خلقها ودبرها دون غيره من الآلهة والاصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع ولا شيء غيرها الا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى وان القدرة التي أبدع بها ذلك هي القدرة التي لا يتعذر عليه احياء من هلك من خلقه واعادة ما فني منه وابتداع مثله بعد ابتداعه بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يقول تعالى ذكره وفي الارض قطع متجاورات وفي الارض قطع منها متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض بالجوار وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من بعض فمنها قطعة سبخة لا تنبت شيأ في جوار قطعة طيبة تنبت وتنمي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد وفي الارض قطع متجاورات قال السبخة والعذبة والمالح والطيب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله وفي الارض قطع متجاورات قال سباخ وعذوبة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبي سنان عن ابن عباس في قوله وفي الارض قطع متجاورات قال العذبة والسبخة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وفي الارض قطع متجاورات يعني الارض السبخة والارض العذبة يكونان جميعا متجاورات نفضل بعضها على بعض في الاكل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قطع متجاورات العذبة والسبخة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وفي الارض قطع متجاورات يعني الارض السبخة والارض العذبة يكونان جميعا متجاورات نفضل بعضها على بعض في الاكل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قطع متجاورات العذبة والسبخة متجاورات جميعا تنبت هذه وهذه الى جنبها لا تنبت **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قطع متجاورات طيبها عذبها وخبيثها السباخ **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفي الارض قطع متجاورات قرى قربت متجاورات بعضها من بعض **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وفي الارض قطع متجاورات قال قرى متجاورات **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي عن الضحاك في قوله قطع متجاورات قال الارض السبخة بينها الارض العذبة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا

ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وفى الارض قطع متجاورات يعنى الارض السبخة والارض العذبة متجاورات بعضها عند بعض حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وفى الارض قطع متجاورات قال الارض تنبت حلوا والارض تنبت حامضا وهى متجاورة تسقى بماء واحد حدثنا احمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفى الارض قطع متجاورات قال يكون هذا حلوا وهذا حامضا وهو يسقى بماء واحد وهن متجاورات حدثنى عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب فى قوله وفى الارض قطع متجاورات قال عذبة وماحة وقوله وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل يقول تعالى ذكره وفى الارض مع هذه القطع المختلفات المعانى منها بالملوحة والعذوبة والخبيث والطيب مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضا متقاربة فى الخلقة مختلفة فى الطعوم والألوان مع اجتماع جميعها على شرب واحد فمن طيب طعمه منها حسن منظره طيبة رائحته ومن حامض طعمه ولا رائحة له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان قال مجتمع وغير مجتمع تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الارض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الابيض والاسود وبعضها أكرم من بعض وبعضه حلو وبعضه حامض وبعضه أفضل من بعض حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجنات قال ومامعها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال المثنى وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * واختلفت القراء فى قراءة قوله وزرع ونخيل فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة وزرع ونخيل بالخفض عطفا بذلك على الاعناب بمعنى وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب ومن زرع ونخيل وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة وزرع ونخيل بالرفع عطفا بذلك على الجنات بمعنى وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وفيها أيضا زرع ونخيل والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان متقاربتا المعنى وقرأ بكل واحدة منهما قراء مشهورون غير أنهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الزرع والنخل اذا كانا فى البساتين فهما فى الارض واذا كانا فى الارض فالارض التى هما فيها جنة فسواء وصفا بأنهما فى بستان أو فى أرض وأما قوله ونخيل صنوان وغير صنوان فان الصنوان جمع صنو وهى النخلات يجمعهن أصل واحد لا يفرق فيه بين جميعه واثنيه الا بالاعراب فى النون وذلك أن تكون نونه فى اثنيه مكسورة بكل حال وفى جميعه منصرفة فى وجوه الاعراب ونظيره القنوان واحدها قنو وبنحو الذى قلنا فى معنى الصنوان قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى اسحق عن البراء صنوان قال المجتمع وغير صنوان المتفرق حدثنا ابن حميد قال ثنا

لها رأسان وأصلهما واحد وعن ابن الاعرابى الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو أبيه فمعنى الآية على هذا أن أشجار النخيل قد تكون متماثلة وقد لا تكون والاكل الثمر الذى يؤكل قاله الزجاج وعن غيره أنه عام فى جميع المطعومات وانما ختم الآية السابقة بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وهذه بقوله لقوم يعقلون لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الآباء الاثيرية والامهات العنصرية لكن العاقل اذا تفكر فى اختصاص كل ممتزج بحيز معين وشكل معين وطبيعة وخاصية مخالفتين لغيره علم ان بل هذه الاختلافات لا تستند الى أشعة كواكب معدودة ولا الى طبائع عناصر محصورة كما أشير الى ذلك بقوله (وفى الارض قطع) الآية ولئن سلم أن الاتصالات الفلكية واختلافات الفواعل والقوابل قد ترتقى الى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل سبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يجحده الا عادم عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر فى الآيات يوجب عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدى الى الثانى والله ولى التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال (وان تعجب) قال ابن

عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعدما كانوا حكموا أنك من الصادقين فهذا أعجب أو ان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد أو ان تعجب يا محمد فقد عجبت فى موضع العجب لانهم عرفوا أنه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد وأظهر الغرائب والعجائب فى عالم الخلق ثم أنكروا

الاعادة التى هى أهون وأسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذى لا يعرف سببه وذلك فى حقه تعالى محال فالمراد ان تعجب (فهو عندك) (قولهم) وان سلم أن المراد عجب عند الله كما قرئ فى الصافات بل عجبت بضم التاء فتأويله أنه محمول على النهاية لا على السبب أى منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شئ أنكره قال فى الكشاف (أئذا كنا) الى آخره يجوز أن يكون فى محل الرفع بدلا من قولهم وأن يكون منصوبا بالقول واذا نصب عادل عليه قوله (أئنا لفى خلق جديد) وهو نبعث أو نحشر ثم حكم عليهم بأمور ثلاثة الاول (أولئك الذين كفروا بربهم) يعنى أولئك الكاملون المتمادون فى كفرهم وذلك أن انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة أو عن انكار كمالها بأن يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الأبوين وتأثير الطبائع والافلاك أو انكار العلم بأن يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصى أو تمييز أجزاء بدن زيد عن أجزاء بدن عمرو أو انكار الصدق كما اذا قيل انه أخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب أحدنا بناء على مصلحة عامة أو خاصة وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها والثانى (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل فى عنقك للعمل الردىء اذا كان لازما له وهو مصر على فعله وقال آخرون هو من جملة الوعيد ولا بد من تجوز على القولين أما على الاول فظاهر وأما على الثانى فلان المراد أنه سيحصل هذا المعنى والظاهر أنه حاصل فى الحال ويؤيد القول الثانى قوله اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا والثالث (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وربما يستدل الاشاعرة به أن الصيغة للحصر فيدل على ان أهل الكبائر لا يخلدون فى النار ويمكن أن يناقش فى أفادته الحصر ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة أخرى بعذاب

يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن أبى اسحق عن البراء قال صنوان هى النخلة التى الجذع منها نخلات الى أصلها وغير صنوان النخلة وحدها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن البراء بن عازب صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلتان أصلهما واحد وغير صنوان النخلة والنخلتان المتفرقتان **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء يقول فى هذه الآية قال النخلة يكون لها النخلتان وغير صنوان النخل المتفرق **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ويحيى ابن عباد وعفان واللفظ لفظ أبى قطن قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن البراء فى قوله صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلة الى جنبها النخلات وغير صنوان المتفرق **حدثنا** الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء فى قوله صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلتان الثلاث والأربع والثنتان أصلهن واحد وغير صنوان المتفرق **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان وشريك عن أبى اسحق عن البراء فى قوله صنوان وغير صنوان قال النخلتان يكون أصلهما واحدا وغير صنوان المتفرق **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله صنوان يقول مجتمع **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونخيل صنوان وغير صنوان يعنى بالصنوان النخلة يخرج من أصلها النخلات فيحمل بعضه ولا يحمل بعضه فيكون أصلها واحدا ورؤسه متفرقة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله صنوان وغير صنوان النخيل فى أصل واحد وغير صنوان النخيل المتفرق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير ونخيل صنوان وغير صنوان قال مجتمع وغير مجتمع **حدثنى** المثنى قال ثنا النفيلى قال ثنا زهير قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال الصنوان ما كان أصله واحدا وهو متفرق وغير صنوان الذى ينبت وحده **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله صنوان النخلتان وأكثر فى أصل واحد وغير صنوان وحدها **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد صنوان النخلتان أو أكثر فى أصل واحد وغير صنوان واحدة * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سلمة بن نبيط عن الضحاك صنوان وغير صنوان قال الصنوان المجتمع أصله واحد وغير صنوان المتفرق أصله **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله صنوان وغير صنوان قال الصنوان المجتمع الذى أصله واحد وغير صنوان المتفرق **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونخيل صنوان وغير صنوان أما الصنوان فالنخلتان والثلاث أصولهن واحدة وفروعهن شتى وغير صنوان النخلة الواحدة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة صنوان وغير صنوان قال صنوان النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب

ينا فيستعجلونه به زعما منهم أنه كلام لا أصل له والى هذا أشير بقوله (ويستعجلونك بالسيئة) بالعذاب والعقوبة التى تسوءهم قبل) تمام (الحسنة) وهى العافية والاحسان اليهم بالامهال والتأخير (وقد خلت من قبلهم المثلات) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها وأصل هذا الحرف من المثل الذى هو الشبه لان العقاب مماثل للعاقب عليه ومنه

المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وذلك انه ليس تغييرا كليا لا يماثل الصورة الاولى وانما ذلك تغيير تبقى الصورة معه قبيحة (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قالت الاشاعرة فيه دلالة على جواز العفو عن صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم أن الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا لكن الآية دلت على أنه تعالى يغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ترك العمل بها فى حق الكافر فيبقى معمولا بها فى حق أهل الكبائر لا يقال ان المراد من هذه المغفرة تأخير العقاب الى الآخرة ليقع جوابا عن استعجالهم أو المراد غفران الصغائر لمجتنب الكبائر أو غفران الكبائر بشرط التوبة فان تاب والا فهو شديد العقاب لانا نقول تأخير العقاب الى الآخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافر للكفار وأيضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا بأداء الواجب وعندكم يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر وجواب الباقى مامر عن النبى صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد قال أهل النظم ان الكفار طعنوا فى نبوته بسبب الطعن فى الحشر والنشور ثم طعنوا

وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونخيل صنوان وغير صنوان قال الصنوان النخلتان أو الثلاث يكن فى أصل واحد فذلك يعده الناس صنوانا **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال حدثنى رجل أنه كان بين عمر بن الخطاب وبين العباس قول فأسرع اليه العباس فجاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ألم تر عباسا فعل بى وفعل فأردت أن أجيبه فذكرت مكانه منك فكففت فقال يرحمك الله ان عم الرجل صنو أبيه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة صنوان النخلة التى يكون فى أصلها نخلتان وثلاث أصلهن واحد قال فكان بين عمر بن الخطاب و بين العباس رضى الله عنهما قول فأسرع اليه العباس فجاء عمر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله ألم تر عباسا فعل بى وفعل فأردت أن أجيبه فذكرت مكانه منك فكففت عند ذلك فقال يرحمك الله ان عم الرجل صنو أبيه * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذونى فى العباس فانه بقية آبائى وان عم الرجل صنو أبيه **حدثنى** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ابن أبى مليكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر يا عمر أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى القاسم بن أبى بزة عن مجاهد صنوان قال فى أصل واحد ثلاث نخلات كمثل ثلاثة بنى أم وأب يتفاضلون فى العمل كما يتفاضل ثمر هذه النخلات الثلاث فى أصل واحد قال ابن جريج قال مجاهد كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرنى ابراهيم بن أبى بكر بن عبد الله عن مجاهد نحوه **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله عن الحسن قال هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى آدم كانت الارض فى يد الرحمن عجينة واحدة فسطحها وبطحها فصارت الارض قطعا متجاورات فينزل عليها الماء من السماء فتخرج نباتها وثمرها وشجرها وتخرج نباتها وتحيى مواتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها وكلتاهما تسقى بماء واحد فلو كان الماء ما الحاقيل انما استسبخت هذه من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب فتخشع وتخضع وتقسو قلوب فتلهو وتسهو ونحوه قال الحسن والله ما جالس القرآن أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله ونترل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله تسقى بماء واحد اختلفت القراء فى قوله تسقى فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والعراق من أهل الكوفة والبصرة تسقى بالتاء بمعنى تسقى الجنات والزرع والنخيل وقد كان بعضهم يقول انما قيل تسقى بالتاء لتأنيث الاعناب وقرأ ذلك بعض المكيين والكوفيين يسقى بالياء وقد اختلف أهل العربية فى وجه تذكيره اذا قرئ كذلك وانما ذلك خبر عن الجنات والاعناب والنخيل والزرع أنها تسقى بماء واحد فقال بعض نحويى البصرة اذا قرئ ذلك بالتاء فذلك على الاعناب كما ذكروا الانعام فى قوله مما فى بطونه وأنث بعد فقال وعليها وعلى الفلك تحملون فمن قال يسقى بالياء جعل الاعناب مما تذكر وتؤنث مثل الانعام وقال بعض نحويى الكوفة من قال تسقى ذهب الى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ومن ذكر ذهب الى أن

فى نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا فى نبوته بسبب عدم الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) وقد تقدم مثل هذا فى الانعام فى تفسير قوله وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ويجىء مثل هذه بعينها فى هذه السورة قيل وليس بتكرار محض لان المراد بالاول آية مما اقترحوا نحو ما فى قوله لن نؤمن لك حتى تفجر الآيات وبالثانى آية مما لا نهم لم يهتدوا الى أن القرآن

آية فوق كل آية وأنكر واسائر آياته صلى الله عليه وسلم أولعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فأجاب سبحانه
لرسوله (انما أنت منذر) ماعليك الا الاتيان بما يصح به دعوى انذارك ورسالتك (ولكل قوم هاد) من الانبياء يدعوهم الى الله
من الهداية والارشاد يليق بزمانه وبأمته ولم يجعل الانبياء شرعا فى المعجزات فعلى هذا التقدير

النبى والهادى نبى الا أن الاول محمد والثانى نبى كل زمان وقيل المنذر محمد والهادى هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والمعنى أنهم ان جحدوا كون القرآن معجزا فلا يضيقن قلبك بسببه فما عليك الا الانذار وأما الهداية فمن الله وقيل المنذر النبى والهادى هو على روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على صدره فقال أنا المنذر وأومأ الى منكب على فقال وأنت الهادى ياعلى بك يهتدى المهتدون بعدى قاله فى التفسير الكبير ثم أكد المعانى المذكورة فى الآيات السابقة بقوله (الله يعلم) لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قدر على تمييز أجزاء بدن كل مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله به وكذا انزال الآيات يكون موكولا الى تدبيره فان علم أن المكلفين اقترحوها لاجل الاسترشاد ومزيد البيان أظهرها الله تعالى لهم والا فلا وفيه أن اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول الثانى فيه أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم بأى طريق شاء وعلى هذا احتمل أن يكون الله خبر مبتدا محذوف والجملة مفسرة لهاد أى هو الله ثم ابتدأ فقيل يعلم (ما تحمل كل أنثى) قال فى الكشاف لفظة ما فى ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما أن تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الارحام وازديادها أو غيوض ما فيها وزيادته على أن الفعلين غير متعديين فأسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها والازدياد افتعال من زاد فأبدلت التاء دالا وانه يتعدى ولا يتعدى كثلاثيه أو موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورة وأنوثة

ذلك كله يسقى بماء واحد وأكله مختلف حامض وحلو ففى هذا آية وأعجب القراءتين الى أن أقرأ قراءة من قرأ ذلك بالتاء تسقى بماء واحد على أن معناه تسقى الجنات والنخل والزرع بماء واحد ثم تسقى بعد ما قد جرى ذكرها وهى جماع من غير بنى آدم وليس الوجه الآخر بممتنع على معنى يسقى ذلك بماء واحد أى جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب دون المالح وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تسقى بماء واحد ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن مجاهد تسقى بماء واحد قال ماء السماء **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن أبى اسحق الصوفى عن الضحاك تسقى بماء واحد قال ماء السماء **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قرأه ابن جريج عن مجاهد تسقى بماء واحد قال ماء السماء كمثل صالح بنى آدم وخبيثهم أبوهم واحد * قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل و **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه **حدثنا** عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب تسقى بماء واحد قال بماء السماء وقوله ونفضل بعضها على بعض فى الاكل اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء المكيين والمدنيين والبصريين وبعض الكوفيين ونفضل بالنون بمعنى ونفضل نحن بعضها على بعض فى الاكل وقرأته عامة قراء الكوفيين ويفضل بالياء ردا على قوله يغشى الليل النهار ويفضل بعضه على بعض وهما قراءتان مستفيضتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الياء أعجب الى فى القراءة لانه فى سياق كلام ابتدأه الله الذى رفع السموات فقراءته بالياء اذ كان كذلك أولى ومعنى الكلام أن الجنات من الاعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان تسقى بماء واحد عذب لا ملح ويخالف الله بين طعوم ذلك فيفضل بعضها على بعض فى الطعم فهذا حلو وهذا حامض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الفارسى والدقل والحلو والحامض **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الارض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى والعنب الابيض والاسود وبعضها أكثر حملا من بعض وبعضه حلو وبعضه حامض وبعضه أفضل من بعض **حدثنى** المثنى قال ثنا عارم أبو النعمان قال ثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال برنى وكذا وكذا وهذا بعضه أفضل من بعض **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال هذا حامض وهذا حلو وهذا مر **حدثنى** محمود بن خداش قال ثنا سيف بن محمد بن أحمد عن سفيان الثورى قال ثنا الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال

وتخاطيط أعضائه وسائر أحواله من السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك ويعلم ما تغيضه الارحام أى تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداده من العدد فقد يكون واحدا وأكثر ومن الخلقة فقد يكون تاما أو مخدجا ومن المدة فقد يكون أقل من تسعة أشهر أو أزيد الى سنتين عند أبى حنيفة والى أربع عند الشافعى والى خمس عند مالك ومن دم الحيض قال ابن عباس كلما سال الحيض يوما زاد فى مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر ثم بين كمال علمه ونفاذ أمره بقوله (وكل شئ عنده بمقدار) واحدا لا يتجاوزه فى طرفى التفريط والافراط والمراد بالعندية العلم كما يقال هذه المسألة عند الشافعى كذا وذلك أنه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة حسب مشيئته الازلية وارادته السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع أسبابا كلية وأودع فيها قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة أحوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم ولذلك ختم الآية بقوله (عالم الغيب والشهادة) أى هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له أو بما غاب عن الخلق وبما شهدوه أو بالمعدومات وبالموجودات (الكبير) فى ذاته لا بحسب الجسمية بل بالرتبة والشرف لانه أجل الموجودات (المتعال) المنزه عن كل ما لا يجوز عليه فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله ثم زاد فى التأكيد فقال (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أى مستو فى علمه هذان لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت فى علمه أحد الحالين (و) سواء عنده (من هو مستخف بالليل وسارب) على أن سارب معطوف على من لا على مستخف ليتناول معنى الاستواء شخصين أحدهما مستخف والآخر سارب والا فلم يتناول الا واحدا هو مستخف وسارب الا أن يكون من فى معنى الاثنين حتى كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب (بالنهار) وفى المستخفى والسارب قولان أحدهما أن المستخفى هو المستتر الطالب للخفاء فى ظلمة الليل والسارب من يضطرب فى الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل أحد يقال سرب فى الارض سروبا أى ذهب فى سربه بالفتح والسكون وهو الطريق ويؤيده قول مجاهد معناه

قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الدقل والفارسى والحلو والحامض حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ثنا سليمن بن عبد الله الرقى قال ثنا عبيد الله بن عمرو الرقى عن زيد بن أبى أنيسة عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ونفضل بعضها على بعض فى الاكل قال الدقل والفارسى والحلو والحامض وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره ان فى مخالفة الله عز وجل بين هذه القطع الارض المتجاورات ونمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبينا الدليلا واضحا وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك أن الذى خالف بينه على هذا النحو الذى خالف بينه هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان فوفق هذا وخذل هذا وهدى ذا وأضل ذا ولو شاء لسوى بين جميعهم كما ونا سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التى تشرب شربا واحدا وتسقى سقيا وهى متفاضلة فى الاكل القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يقول تعالى ذكره وان تعجب يا محمد من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها من دونى فعجب قولهم أئذا كنا ترابا وبلينا فعدمنا أئنا لفى خلق جديدا نا لمجددا نشأونا واعادتنا خلقا جديدا كما كنا قبل وفاتنا تكذيبا منهم بقدرة الله وجحودا للثواب والعقاب والبعث بعد الممات كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان تعجب فعجب ان عجبت يا محمد فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت حدثنى يونس قال أخبرنا ابراهيم قال قال ابن زيد فى قوله وان تعجب فعجب قولهم قال ان تعجب من تكذيبهم وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره وما ضرب لهم من الامثال فأراهم من حياة الموتى فى الارض الميتة ان تعجب من هذه فتعجب من قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولا يرون أنا خلقناهم من نطفة فالخلق من نطفة أشد أم الخلق من تراب وعظام واختلف فى وجه تكرير الاستفهام فى قوله أئنا لفى خلق جديد بعد الاستفهام الاول فى قوله أئذا كنا ترابا أهل العربية فقال بعض نحويى البصرة الاول ظرف والآخر هو الذى وقع عليه الاستفهام كما تقول أيوم الجمعة زيد منطلق قال ومن أوقع استفهاما آخر على قوله أئذا متنا وكنا ترابا جعله ظرفا للشئ مذكور قبله كأنهم قيل لهم تبعثون فقالوا أئذا كنا ترابا ثم جعل هذا استفهاما آخر قال وهذا بعيد قال وان شئت لم تجعل فى قولك أئذا استفهاما وجعلت الاستفهام فى اللفظ على أئنا كأنك قلت أيوم الجمعة أعبد الله منطلق وأضمر نفيه فهذا موضع قد ابتدأت فيه أئذا وليس بكبير فى الكلام لو قلت اليوم أإن عبد الله منطلق لم يحسن وهو جائز وقد قالت العرب ما علمت انه لصالح تريد انه لصالح ما علمت وقال غيره أئذا جزاء وليست بوقت وما بعدها جواب لها اذ لم يكن فى الثانى استفهام والمعنى له لانه هو المطلوب وقال ألا ترى أنك تقول أن تقم يقوم زيد ويقم من جزم فلانه وقع موقع جواب الجزاء ومن رفع فلان الاستفهام له واستشهد بقول الشاعر

حلفت له ان تدلج الليل لا يزل ٭ أمامك بيت من بيوتى سائر

فجزم جواب اليمين لانه وقع موقع جواب الجزاء والوجه الرفع قال فهكذا هذه الآية قال ومن أدخل

سواء من يقدم على القبائح فى ظلمات الليالى ومن يأتى بها فى النهار الظاهر على سبيل التوالى وثانيهما نقل الواحدى عن الاخفش وغيره المستخفى الظاهر من قولهم اختفيت الشئ أى استخرجته والسارب المتوارى الداخل سربا بفتحتين ومنه انسرب الوحش اذا دخل فى كناسه وهذا وان صح من حيث اللغة لكن قرينتى الليل والنهار انما تساعدان القول الاول ولهذا أطبق اكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجرى فى الظاهر مجرى السبب لاستواء علمه بحال المسر والمعلن فقال (له) أى لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعقب فى حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فأدغمت أو هو على أصله من عقبه بالتشديد اذا جاء على عقبه لان بعضهم يعقب بعضا أولانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتأنيث للمبالغة نحو نسابة وعلامة أولانه جمع معقبة أى ملائكة معقبة أو جماعة معقبة وقوله (من أمر الله) ليس من صلة الحفظ لانه لا قدرة للملك ولا لأحد من الخلق على أن يحفظوا أحدا من قضاء الله وانما هو صفة أخرى كأنه قيل له معقبات من أمر الله يحفظونه أو له معقبات يحفظونه ثم بين سبب الحفظ فقال من أمر الله أى من أجل أن الله أمرهم بحفظه فمن بمعنى الباء وقرأ به على وابن عباس وغيرهما ويجوز أن يكون صلة على معنى يحفظونه من بأس الله اذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين يكتب الحسنات والذى عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام فى نومه ويقظته وقيل المراد يحفظونه من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان كلا من المستخفى والسارب اذا سعى فى مهماته فانما يحذر من الجهتين وما

مصرا الفائدة فى تسلط هؤلاء على ابن آدم قال علماء الشريعة ان الشياطين يدعون الى المعاصى والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات الشريفة واذا علم ابن آدم أن معه ملائكة يحصون عليه أفعاله وأقواله استحيا منهم

الاستفهام ثانية فلانه المعتمد عليه وترك الجزاء الاول وقوله أولئك الذين كفروا بربهم يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين أنكروا البعث وجحدوا الثواب والعقاب وقالوا أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد هم الذين جحدوا قدرة ربهم وكذبوا رسوله وهم الذين فى أعناقهم الاغلال يوم القيامة وفى جهنم فأولئك أصحاب النار يقول هم سكان النار يوم القيامة هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون أبدا لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية فيقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وهم يعلمون ما حل بمن خلا قبلهم من الامم التى عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه فمن بين أمة مسخت قردة وأخرى خنازير ومن بين أمة أهلكت بالرجفة وأخرى بالخسف وذلك هو المثلات التى قال الله جل ثناؤه وقد خلت من قبلهم المثلات والمثلات العقوبات المنكلات والواحدة منها مثله بفتح الميم وضم الثاء ثم تجمع مثلات كما واحدة الصدقات صدقة ثم تجمع صدقات وذكر أن تميما من بين العرب تضم الميم والثاء جميعا من المثلات فالواحدة على لغتهم منها مثله ثم تجمع مثلات مثل غرفة وغرفات والفعل منه مثلت به أمثل مثلا بفتح الميم وتسكين الثاء فاذا أردت أنك أقصصته من غيره قلت أمثلته من صاحبه أمثله امثالا وذلك اذا أقصصته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقد خلت من قبلهم المثلات وقائع الله فى الأمم فيمن خلا قبلكم وقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وهم مشركو العرب استعجلوا بالشر قبل الخير وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة قال بالعقوبة قبل العافية وقد خلت من قبلهم المثلات قال العقوبات حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله المثلات قال الأمثال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقد خلت من قبلهم المثلات قال المثلات الذى مثل الله فى الأمم من العذاب الذى عذبهم تولت المثلات من العذاب قد خلت من قبلهم وعرفوا ذلك وانتهى اليهم ما مثل الله بهم حين عصوه وعصوا رسله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سليم قال سمعت الشعبى يقول فى قوله وقد خلت من قبلهم المثلات قال القردة والخنازير هى المثلات وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم يقول تعالى ذكره وان ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس فتارك فضيحته بها فى موقف القيامة وصافح له عن عقابه عليها عاجلا وآجلا على ظلمهم يقول على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير اذن لهم بفعله وان ربك لشديد العقاب لمن هلك

وكان ذلك له رادعا قويا وقدم فى هذا الباب كلام فى الانعام فى قوله ويرسل عليكم حفظة فليتذكر ولا يه تفسيرا آخر منقول عن ابن عباس واختاره أبو مسلم الاصفهانى قال المعقبات الحرس وأعوان الملوك والجملة وهى قوله له معقبات صفة للمستخفى والسارب أو حال منه لكونه نكرة موصوفة أى يستوى فى علم الله السر والجهر والمستخفى بظلمة الليل والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاونين والانصار والمقصود بعث الامراء والسلاطين على أن يطلبوا الخلاص عن المكاره بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الآية بقوله (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم قالت الاشاعرة فى هذا الكلام دلالة على أن العبد غير مستقل فى الفعل لانه اذا كفر العبد فلا شك أنه تعالى حكم بكونه مستحقا للذم فى الدنيا والعقاب فى الآخرة فلو كان العبد مستقلا لحصل الايمان وكان راد القضاء الله تعالى وقالت المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم لانه لو ابتدأ بالعبد أول ما يبلغ بالضلال والخذلان كان ذلك من أعظم العقاب مع أنه ما كان منه تغيير قالوا وفيه دليل على أنه لا يعاقب أطفال المشركين بذنوب آبائهم لانهم لم يغيروا ما بأنفسهم من نعمة فيغير الله ما بهم من النعمة الى العقاب أجابت الاشاعرة بأن هذا راجع الى قوله ويستعجلونك بالعذاب بين الله سبحانه بذلك أنه لا ينزل بهم عذاب الاستئصال الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم أن فيهم من يؤمن أو فى أعقابهم من يؤمن فانه لا يستأصلهم وردبأن هذا خلاف الظاهر وقد صرح بذلك فى سورة الانفال فى قوله ذلك بأن الله لم يك مغيرا الآية والحق أن ترتب النقمة على تغيير النعمة لا ينافى استناد تغيير النعمة اليه فانه مبدأ المبادى ومنتهاها الوسائط وسبب الاسباب ۞ التأويل المر الالف الله لا اله الا هو الحى القيوم اللام له مقاليد السموات والارض الميم مالك يوم الدين الراء رب العالمين من الازل الى الابد أقسم بهذه الامور أن الذى أنزل على عبده محمد هو الحق وأنه حبل الله الذى به يوصل المؤمن من

مصرا على معاصيه فى القيامة ان لم يعجل له ذلك فى الدنيا أو يجمعهما له فى الدنيا والآخرة وهذا الكلام وان كان ظاهره ظاهر خبر فانه وعيد من الله وتهديد للمشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حلول نقمة الله بهم **حدثنى** على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وان ربك لذو مغفرة للناس يقول ولكن ربك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا يا محمد من قومك لولا أنزل عليه آية من ربه هلا أنزل على محمد آية من ربه يعنون علامة وحجة له على نبوته وذلك قولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك يقول الله له يا محمد انما أنت منذر لهم تنذرهم بأس الله أن يحل بهم على شركهم ولكل قوم هاد يقول ولكل قوم امام يأتمون به وهاد يتقدمهم فيهديهم اما الى خير واما الى شر وأصله من هادى الفرس وهو عنقه الذى يهدى سائر جسده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنى بالهادى فى هذا الموضع فقال بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه هذا قول مشركى العرب قال الله انما أنت منذر ولكل قوم هاد لكل قوم داع يدعوهم الى الله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن السدى عن عكرمة ومنصور عن أبى الضحى انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال محمد هو المنذر وهو الهاد **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن عكرمة مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن أبيه عن عكرمة مثله * وقال آخرون عنى بالهادى فى هذا الموضع الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال محمد المنذر والله الهادى **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال محمد المنذر والله الهادى **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انما أنت منذر قال أنت يا محمد منذر والله الهادى **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال المنذر النبى صلى الله عليه وسلم ولكل قوم هاد قال الله هادى كل قوم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد يقول أنت يا محمد منذر وأنا هادى كل قوم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول انما أنت منذر ولكل قوم هاد المنذر محمد صلى الله عليه وسلم والهادى الله عز وجل * وقال آخرون الهادى فى هذا الموضع معناه نبى ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قال المنذر محمد صلى الله عليه وسلم ولكل قوم هاد قال نبى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى

هبوط عالم الطبيعة الى ذروة عالم الحقيقة لانه الله الذى رفع السموات المحسوسة بغير عمد فكما أنه رفع السموات بقدرته فكذلك رفع الدرجات برحمته أو كما أنه رفع السموات المحسوسة بعمد القدرة كذلك يرفع سموات القلوب بحذية العناية وسخر شمس الروح وقمر القلب أو النفس لتدبير مصالح العالم الصغير وانما تظهر هذه الغرائب والعجائب لحصول كمال الايقان بالرجوع الى الله والفناء فيه بل البقاء به ومن حسن تدبيره أنه مد أرض البشرية وجعل فيها رواسى من الاوصاف الروحانية وأنهارا من منابع العناية ومن كل الثمرات وهى الملكات والاخلاق جعل فيها زوجين اثنين ملكة روحانية حميدة وأخرى نفسانية ذميمة فالاولى نورانية كالنهار والاخرى ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك أخرى وهذا معنى قوله يغشى الليل النهار وفى أرض الانسانية قطع متجاورات هى النفس والقلب والروح والسر والخفى حيوانية وملكوتية روحانية وجبروتية وعظموتية وجنات هى هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من أعناب هى ثمرة النفس من الصفات التى هى أصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو واللهو وزرع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التى منها غذاء الروح ونخيل هو الروح ذو الاخلاق الحميدة كالكرم والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة صنوان هو السر الجبروتى الكاشف عن أسرار الجبروت بين الرب والعبد فانه اذا حكى السر للعبد كان المحكى مثالا لما عليه الوجود وغير صنوان هو الخفى الواقف على اسرار العظموت التى لا مثل لها ولا مثال ولا تحكى لعبده كما قال فأوحى الى عبده ما أوحى وكما قال * بين المحبين سر ليس يفشيه *

قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال نبى * قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال لكل قوم نبى والمنذر محمد صلى الله عليه وسلم * قال ثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنى عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قول الله ولكل قوم هاد قال نبى * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولكل قوم هاد يعنى لكل قوم نبى **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولكل قوم هاد قال نبى **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولكل قوم هاد قال نبى يدعوهم الى الله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولكل قوم هاد قال لكل قوم نبى الهادى النبى صلى الله عليه وسلم والمنذر أيضا النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ ان من أمة الا خلا فيها نذير وقال نذير من النذر الاولى قال نبى من الانبياء * وقال آخرون بل عنى به ولكل قوم قائد ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال انما أنت يا محمد منذر ولكل قوم قادة * قال ثنا الاشجعى قال ثنى اسمعيل أو سفيان عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح ولكل قوم هاد قال لكل قوم قائد **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال الهادى القائد والقائد الامام والامام العمل **حدثنى** الحسن قال ثنا محمد وهو ابن يزيد عن اسمعيل عن يحيى بن رافع فى قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد قال قائد * وقال آخرون هو على بن أبى طالب رضى الله عنه ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن يحيى الصوفى قال ثنا الحسن بن الحسين الانصارى قال ثنا معاذ بن مسلم قال ثنا الهروى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت انما أنت منذر ولكل قوم هاد وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال أنا المنذر ولكل قوم هاد وأومأ بيده الى منكب على فقال أنت الهادى يا على بك يهتدى المهتدون بعدى * وقال آخرون معناه لكل قوم داع ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولكل قوم هاد قال داع وقد بينت معنى الهداية وأنه الامام المتبع الذى يقتدى القوم فاذا كان ذلك كذلك فجائز أن يكون ذلك هو الله الذى يهدى خلقه ويتبع خلقه هداه ويأتمون بأمره ونهيه وجائز أن يكون نبى الله الذى تأتم به أمته وجائز أن يكون اماما من الائمة يؤتم به ويتبع منهاجه وطريقته أصحابه وجائز أن يكون داعيا من الدعاة الى خير أو شر واذا كان ذلك كذلك فلا قول أولى فى ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه ان محمدا هو المنذر من أرسل اليه بالانذار وان لكل قوم هاديا يهديهم فيتبعونه و يأتمون به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار ﴾ يقول تعالى ذكره وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد منكرين قدرة الله على اعادتهم خلقا جديدا بعد فنائهم و بلائهم ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم فى الارحام وتدبيرهم وتصريفهم فيها يشق بماء واحد وهو ماء القدرة والحكمة الله يعلم ما تحمل كل أنثى أى ما فى استعداد كل مستعد من الفضائل أو ما فى كل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبائع أو ما فى كل منها من الآيات الدالة على موجدها سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم وما تغيض الارحام وما تزداد أى ما يظهر من تلك الآيات الاستعدادات فى جانبى التفريط والافراط والمراد ما ينقص

من أرحام الموجودات أو المعدومات فهما أو جد شئ نقص من رحم العدم واحد وزاد فى رحم الوجود واحد وبالعكس فى جانب الاعدام
يخلف بليل العدم وظاهر بنهار الوجود له أى لله معقبات من العلم والقدرة من بين يدى المعلوم ومن خلفه أى فى حالتى عدمه
ووجوده من أزله الى أبده يحفظونه من أمر الله أى لاجل أمره حتى لا يخرج من قبضة تدبيره ان الله لا يغير

ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغير واما بأنفسهم من استدعاء الوجود أو العدم بلسان استحقاق الوجود أو العدم كما تقتضيه حكمته وتدبيره

﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ومادعاء الكافرين الا فى ضلال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض

لما بعد حال فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداء والمعنى فيه ما وصف فقال جل ثناؤه الله يعلم ما تحمل
كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد يقول وما تنقص الارحام من حملها فى الاشهر التسعة بارسالها
الحيض وما تزداد فى حملها على الاشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل فى الاشهر التسعة بارسالها
الحيض وكل شئ عنده بمقدار لا يجاوز شئ من قدره عن تقديره ولا يقصر أمر أراده فدبره عن
تدبيره كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل ولا يقصر عما حده له من القدر والمقدار مفعال من
قدر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ماهان قال
ثنا القاسم بن مالك عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يعلم ما تحمل كل أنثى
وما تغيض الارحام قال ما رأت المرأة من يوم دما على حملها زاد فى الحمل يوما حدثنى محمد بن سعد
قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما
تغيض الارحام يعنى السقط وما تزداد يقول ما زادت الرحم فى الحمل على ما غاضت حتى ولدته تماما
وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ومنهن من تحمل تسعة أشهر ومنهن من تزيد فى الحمل
ومنهن من تنقص فذلك الغيض والزيادة التى ذكر الله وكل ذلك بعلمه حدثنا سعيد بن يحيى الاموى
قال ثنا عبد السلام قال ثنا خصيف عن مجاهد أو سعيد بن جبير فى قول الله وما تغيض الارحام
قال نقصانها دون التسعة والزيادة فوق التسعة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو
بشر عن مجاهد أنه قال الغيض ما رأت الحامل من الدم فى حملها فهو نقصان من الولد والزيادة ما زاد
على التسعة أشهر فهو تمام للنقصان وهو زيادة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا
شعبة عن أبى بشر عن مجاهد فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال ما ترى من الدم وما تزداد على
التسعة أشهر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن مجاهد أنه
قال يعلم ما تغيض الارحام وما تزداد قال ما زاد على التسعة الاشهر وما تغيض الارحام قال الدم تراه
المرأة فى حملها حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون والحجاج بن المنهال قالا ثنا هشيم عن أبى
بشر عن مجاهد فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال الغيض الحامل ترى الدم فى حملها فهو
الغيض وهو نقصان من الولد وما زاد على تسعة أشهر فهو تمام ذلك النقصان وهى الزيادة حدثنا
محمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد وما تغيض الارحام
وما تزداد قال اذا رأت دون التسعة زاد على التسعة مثل أيام الحيض حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد
قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما تغيض الارحام قال خروج الدم وما تزداد قال
احتباس الدم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
وما تغيض الارحام اراقة المرأة حتى يحبس الولد وما تزداد قال ان لم تهرق المرأة تم الولد وعظم حدثنا
الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن جعفر عن مجاهد فى قوله وما تغيض الارحام وما
تزداد قال المرأة ترى الدم وتحمل أكثر من تسعة أشهر حدثنا الحسن قال ثنا محمد بن الصباح
قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله وما تغيض الارحام قال هى المرأة
ترى الدم فى حملها * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وما تغيض

جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم
أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به
أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن

بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا في الآخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ۞ القراآت كباسط مثل بسطة وقدر في البقرة أم هل يستوي بياء تحتانية حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بتاء التأنيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون على الخطاب اما للكفرة في قوله قل أفاتخذتم واما للمكلفين على العموم كما في القراءة الاخرى والضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام ۞ الوقوف الثقال ○ ج لاختلاف الفاعل مع اتفاق اللفظ من خيفته ج لذلك في الله ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف المحال ○ ط للآية وانقطاع النظم دعوة الحق ط ببالغه ط ضلال ○ والآصال ○ والارض ط قل الله ط ولا ضرا ط والبصير ○ ط للعطف والنور ج لاحتمال أن يكون هذا الاستفهام بدلا عن الاول عليهم ط القهار ○ ربا ط مثله ط والباطل ط جفاء ج لاتفاق الجملتين مع كون أما للتفصيل في الارض ط الامثال ○ ط الحسنى ط لافتدوا به ط الحساب ○ لا جهنم ج المهاد ○ هو أعمى ط الالباب ○ لا الميثاق ط للعطف سوء الحساب ○ ط ابن الدار ○ لا لان قوله جنات عدن بدل من عقبى من كل باب ○ ج لحق المحذوف أي قائلين عقبى الدار ط في الارض سوء الدار ○ ويقدر ط الدنيا ط متاع ز من ربه ط أناب ○ بذكر الله الاول ط القلوب ○ مآب ○ ۞ التفسير اخرج

الارحام وما تزداد اهراق الدم حتى يحبس الولد وتزداد ان لم تهرق المرأة تم الولد وعظم * قال الحكم بن موسى قال ثنا هقل عن عثمان بن الاسود قال قلت لمجاهد امرأتي رأت دما وأرى بها حبلا تكون حاملا « قال أبو جعفر هكذا هو في الكتاب » فقال مجاهد ذلك غيض الارحام يعلم ما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار الولد لا يزال يقع في النقصان ما رأت الدم فاذا انقطع وقع في الزيادة فلا يزال حتى يتم فذلك قوله وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * ثنا محمد بن الصباح قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن مجاهد في قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال الغيض الحامل ترى الدم في حملها وهو الغيض وهو نقصان من الولد فما ازدادت التسعة الاشهر فهي الزيادة وهو تمام للولادة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة في هذه الآية الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام قال كلما غاض بالدم زاد ذلك في الحمل * قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة نحوه حدثنا أبو أن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن عاصم عن عكرمة وما تغيض الارحام قال غيض الرحم الدم على الحمل كلما غاض الرحم من الدم يوما زاد في الحمل يوما حتى تستكمل وهي طاهرة * قال ثنا عباد عن سعيد عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن محمد قال ثنا الوليد بن صالح قال ثنا أبو يزيد عن عاصم عن عكرمة في هذه الآية وما تغيض الارحام قال هو الحيض على الحمل وما تزداد قال فلها بكل يوم حاضت على حملها يوما تزيد في طهرها حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا * قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا عمر بن حدير عن عكرمة في قوله وما تغيض الارحام وما تزداد قال ما رأت الدم في حملها زاد في حملها حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن جويبر عن الضحاك في قوله وما تغيض الارحام وما تزداد ما تغيض أقل من تسعة وما تزداد أكثر من تسعة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن الحسن بن يحيى قال سمعت الضحاك يقول في المولود لسنتين قد كان الضحاك ولد لسنتين والغيض ما دون التسعة وما تزداد فوق تسعة أشهر * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك وما تغيض الارحام وما تزداد دون التسعة وما تزداد قال فوق التسعة * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك قال ولدت لسنتين حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن الحسن بن يحيى قال ثنا الضحاك أن أمه حملته سنتين قال وما تغيض الارحام قال ما تنقص من التسعة وما تزداد قال ما فوق التسعة * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام قال كل أنثى من خلق الله * قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك ومنصور عن الحسن قالا الغيض ما دون التسعة الاشهر * قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن داود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت لا يكون الحمل أكثر من سنتين قدر ما يتحول ظل مغزل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي وما تغيض الارحام قال هو الحمل لتسعة أشهر وما دون التسعة وما تزداد قال على التسعة * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمر

ن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير وما تغيض الارحام قال حيض المرأة على ولدها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وما تغيض الارحام وما تزداد قال الغيض النقصان وما تزداد فوق التسعة الاشهر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن سعيد بن جبير اذا رأت المرأة الدم على الحمل فهو الغيض للولد يقول نقصان فى غذاء الولد وهو يزيد فى الحمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد قال كان الحسن يقول الغيض وضعة أن تضع المرأة لستة أشهر أو لسبعة أشهر أو لما دون الحد قال قتادة وأما الزيادة فما زاد على تسعة أشهر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال غيض الرحم أن ترى الدم على حبلها كل شئ رأت فيه الدم على حملها ازدادت على حملها مثل ذلك * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا حماد بن سلمة عن قيس بن سعد عن مجاهد قال اذا رأت الحامل الدم كان أعظم للولد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وما تغيض الارحام وما تزداد الغيض النقصان من الاجل والزيادة ما زاد على الاجل وذلك أن النساء لا يلدن لاقل عدة واحدة يولد المولود لستة أشهر فيعيش و يولد لسنتين فيعيش وفيما بين ذلك قال وسمعت الضحاك يقول ولدت لسنتين وقد نبتت ثنايا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال يزيد فى قوله وما تغيض الارحام قال غيض الارحام الاهراقة التى تأخذ النساء على الحمل واذا عاودتهن تلك الاهراقة لم يعتد بها من الحمل ونقص ذلك حملها حتى يرتفع ذلك واذا ارتفع استقبلت عدة مستقبلة تسعة أشهر وأما ما دامت ترى الدم فان الارحام تغيض وتنقص والولد فى بطنها واذا ارتفع ذلك الدم ربا الولد واعتدت حين يرتفع عنها ذلك الدم عدة الحمل تسعة اشهر وما كان من دم فلا تعتد به هو هراقة يبطل ذلك أجمع أكتع وقوله وكل شئ عنده بمقدار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل شئ عنده بمقدار إى والله لقد حفظ عليهم رزقهم وآجالهم وجعل لهم أجلا معلوما ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ يقول تعالى ذكره والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه وما شاهدتموه وعاينتم بأبصاركم لا يخفى عليه شئ لأنهم خلقه وتدبيره الكبير الذى كل شئ دونه المتعال المستعلى على كل شئ بقدرته وهو المتفاعل من العلو مثل المتقارب من القرب والمتدانى من الدنو ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ يقول تعالى ذكره معتدل عند الله منكم أيها الناس الذى أسر القول والذى جهر به والذى هو مستخف بالليل فى ظلمته بمعصية الله وسارب بالنهار يقول وظاهر بالنهار لعباد الله لا يخفى عليه شئ من ذلك سواء عنده سر خلقه وعلانيتهم لانه لا يستسر عنده شئ ولا يخفى عليه منه مستسر يسرب يسر و باذا ظهر كما قال قيس بن الخطيم

أنى سريت وكنت غير سروب * وتقرب الاحلام غير قريب

يقول كيف سريت بالليل بعد هذا الطريق ولم تكوني تبرزين وتظهرين وكان بعضهم يقول هو

تقدير حذف المضاف أى ارادة خوف وطمع وانما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل كما هو شرط نصب المفعول له ومعنى الخوف والطمع الخوف من وقوع الصواعق والطمع فى نزول الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضررا ما بحسب الزمان واما بحسب المكان فمن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر و يطمع فيه من له فيه نفع وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبى عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق و يضحك أحسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله وخصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا فى الحياة وقيل المضاف محذوف أى يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له أو متلبسين بسبحان الله والحمد لله وعن على رضى الله عنه سبحان من سبحت له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد أن هذا الصوت المخصوص لهوله ومهابته

دل على وجود الله قهار كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده قال فى الكشاف ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات غضبهم والمطر بكاؤهم أما قوله (والملائكة من خيفته) أى و يسبح الملائكة من هيبته وجلاله فقد ذكر جمع من المفسرين أنه عنى بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد فانه سبحانه جعل له أعوانا قال ابن عباس انهم خائفون من الله لا كخوف ابن آدم فان أحدهم لا يعرف من على

يمينه ومن على يساره ولم يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شئ وقالت الحكماء انما تتم الآثار العلوية بقوى روحانية فللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول فى الرياح وفى سائر الآثار فهذا هو المراد بالملائكة فى الآية قوله (يرسل الصواعق) قد عرفت أنها نار تتولد من السحاب وتنزل بقوة شديدة فربما عاصت فى البحر وأحرقت السفن ووجه الاستدلال بها على الصانع أن النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار وتسخيره ولما بين دلائل كمال العلم فى قوله والله يعلم ودلائل كمال القدرة فى هذه الآية قال (وهم يجادلون فى الله) لان انكار المدلول بعد وضوح الدليل جدال بالباطل وعناد محض ويحتمل أن تكون الواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم ويؤكده ما روى عن ابن عباس فى رواية أبى صالح وابن جريج وابن زيد أن عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد ابن ربيعة أقبلا يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من أصحابه يا رسول الله هذا عامر ابن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فأقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لى ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لى الامر بعدك قال لا ليس ذلك الى انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلنى على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فاذا تجعل لى قال أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها قال أوليس ذلك الى اليوم وكان أوصى الى أربد بن ربيعة اذا رأيتنى أكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل فى الله يقول أخبرنى عن ربك أمن نحاس هو أم من حديد فدار أربد خلف النبى صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على أربد صاعقة فى يوم صائف صاح فأحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد

السالك فى سربه أى فى مذهبه ومكانه واختلف أهل العلم بكلام العرب فى السرب فقال بعضهم هو آمن فى سربه بفتح السين وقال بعضهم هو آمن فى سربه بكسر السين وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار يقول هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار أرى الناس أنه برئ من الاثم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وسارب بالنهار ظاهر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن أبى رجاء فى قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قال ان الله أعلم بهم سواء من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن عوف عن أبى رجاء سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قال من هو مستخف فى بيته وسارب بالنهار ذاهب على وجهه علمه فيهم واحد **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سواء منكم من أسر القول ومن جهر به يقول السر والجهر عنده سواء ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أما المستخفى فى بيته والسارب الخارج بالنهار حيثما كان المستخفى غيبه الذى يغيب فيه والخارج عنده سواء * قال الحمانى قال ثنا شريك عن خصيف فى قوله مستخف بالليل قال راكب رأسه فى المعاصى وسارب بالنهار قال ظاهر بالنهار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به كل ذلك عنده تبارك وتعالى سواء السر عنده علانية قوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار أى فى ظلمة الليل وسارب أى ظاهر بالنهار **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد وعكرمة وسارب بالنهار قال ظاهر بالنهار ومن فى قوله من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل رفع الاولى بقوله سواء والثانية معطوفة على الاولى والثالثة على الثانية ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه لله تعالى ذكره معقبات قالوا الهاء فى قوله له من ذكر اسم الله والمعقبات التى تتعقب على العبد وذلك أن ملائكة الليل اذا صعدت بالنهار أعقبتها ملائكة النهار فاذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبتها ملائكة الليل وقالوا قيل معقبات والملائكة جمع مما ذكر غير مؤنث وواحد الملائكة معقب وجماعتها معقبة ثم جمع جمعه أعنى جمع معقب بعد ما جمع معقبة وقيل معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بنى فلان جمع رجال وقوله من بين يديه ومن خلفه يعنى بقوله من بين يديه من قدام هذا المستخفى بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه من ورائه ظهره ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور يعنى ابن زاذان عن الحسن فى هذه الآية له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال الملائكة **حدثنى** المثنى قال ثنا ابراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيرى قال ثنا على بن جرير عن

حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوى قال دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى عن العبد كم معه من ملك قال ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذى على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذى على الشمال للذى على اليمين اكتب قال لا لعله يستغفر الله ويتوب فاذا قال ثلاثا قال نعم اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا يقول الله مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله رفعك واذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك الا الصلاة على محمد وملك قائم على فيك لا يدع الجية تدخل فى فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمى ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل آدمى وابليس بالنهار وولده بالليل **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه الملائكة يحفظونه من أمر الله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه قال مع كل انسان حفظة يحفظونه من أمر الله * قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله فالمعقبات هن من أمر الله وهى للائكة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدره خلوا عنه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم فى هذه الآية قال الحفظة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال ملائكة **حدثنا** أحمد بن حازم قال ثنا يعلى قال ثنا اسمعيل ابن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله له معقبات قال ملائكة الليل يعقبون ملائكة النهار **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه هذه ملائكة الليل يتعاقبون فيكم بالليل والنهار وذكر لنا أنهم يجتمعون عند صلاة العصر وصلاة الصبح وفى قراءة أبى بن كعب له معقبات من بين يديه ورقيب من خلفه يحفظونه من أمر الله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله له معقبات من بين يديه قال ملائكة يتعاقبونه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال الملائكة قال ابن جريج معقبات قال الملائكة تعاقب الليل والنهار وبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجتمعون فيكم عند

أعدة كعدة البعير وموت فى بيت السلولية ثم مات على ظهر فرسه وأنزل الله الآية فى هذه القصة قوله (وهو شديد المحال) معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمماحلة شدة المماكرة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعله أى القرآن لنا شافعا مشفعا ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة أمرها وأما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة أبو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة عنه ثم أثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال (له دعوة الحق) فأضاف الدعوة الى الحق الذى هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة الى الحق والمراد أنه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا أراد فهو حقيق بان يوجه اليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف مالا فائدة فى دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذى يسمع فيجيب ولهذا أجاب النبى صلى الله عليه وسلم فى الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قوله لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هى الحق والصدق وقد سلف تحقيق الحق فى أول هذا الكتاب فى تفسير البسملة (والذين يدعون من دونه) أى الآلهة الذين يدعوهم أو يعبدهم الكفار من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر به والحاصل أن الكفار وذلك الطالب كلهما مشترك فى الخيبة لاشتراكهما فى دعاء الجماد وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء

بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا أصابعه فلاجرم لا يبلغ طلبته ثم أكد خيبتهم بقوله (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لا يجيبهم لحقارة أمرهم عنده وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم ثم زاد فى الثناء فقال (ولله يسجد من فى السموات والارض) فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر فى المؤمنين لانهم يسجدون له (طوعا) أى بسهولة ونشاط (وكرها) أى على تعب واصطبار ومجاهدة وأما فى حق الكفار فمشكل ووجهه أن يقال المراد حق له أن يسجد لاجله جميع المكلفين من الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالالهية وترك الامتناع عن نفوذ مشيئته فيهم فلا اشكال نظيره قوله (وله أسلم من فى السموات والارض) وقدم فى آل عمران أما قوله (وظلالهم) فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانبارى لا يبعد أن يخلق الله للظلال أفهاما تسجد بها لله وتخضع له كما جعل للجبال أفهاما حتى اشتغلت بتسبيحه فظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لغير الله كرها ويسجد لله طوعا وقال آخرون المراد من سجود الظلال تقلصها وامتدادها بحسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهى منقادة مستسلمة لما أتاح الله لها فى الاحوال وتخصيص الغدو والآصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها فى الوقتين ومعنى الغدو والآصال قدم فى آخر الاعراف * واعلم أنه سبحانه ذكر آية السجدة فى النحل بعبارة أخرى فقال ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الانس بالصريح فعمم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال فى الحج ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض بتكرير من لانه تقدم ذكر المؤمنين وسائر الاديان فقدم ذكر من فى السموات تعظيما لهم ولها وذكر من فى الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم وأما فى هذه السورة فقد تقدم ذكر العلويات من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة

صلاة العصر وصلاة الصبح وقوله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه قال ابن جريج مثل قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسنات من بين يديه والسيئات من خلفه الذى عن يمينه يكتب الحسنات والذى عن شماله يكتب السيئات **حدثنا** سوار بن عبد الله قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن مجاهد أنه قال ما من عبد الا له ملك موكل يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شئ يأتيه يريده الا قال وراءك الا شيأ يأذن الله فيه فيصيبه **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال يعنى الملائكة * وقال آخرون بل عنى بالمعقبات فى هذا الموضع الحرس الذى يتعاقب على الامير ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعنى ولى السلطان يكون عليه الحرس **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن شرقى أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال هؤلاء الامراء **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة يقول له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال المواكب من بين يديه ومن خلفه **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال هو السلطان المحروس من أمر الله وهم أهل الشرك * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول من قال الهاء فى قوله له معقبات من ذكر التى فى قوله ومن هو مستخف بالليل وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه هى حرسه وجلاوزته كما قال ذلك من ذكرنا قوله وانما قلنا ذلك أولى التاويلين بالصواب لان قوله له معقبات أقرب الى قوله ومن هو مستخف بالليل منه الى عالم الغيب فهى لقربها منه أولى بأن تكون من ذكره وأن يكون المعنى بذلك هذا مع دلالة قول الله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له على أنهم المعنيون بذلك وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوما أهل معصية له وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ومنعة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ثم أخبر أن الله تعالى ذكره اذا أراد بهم سوأ لم ينفعهم حرسهم ولا يدفع عنهم حفظهم وقوله يحفظونه من أمر الله اختلف أهل التأويل فى تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم فى تأويل قوله له معقبات فمن قال المعقبات هى الملائكة قال الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضا الملائكة ومن قال المعقبات هى الحرس والجلاوزة من بنى آدم قال الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئك الحرس واختلفوا أيضا فى معنى قوله من أمر الله فقال بعضهم حفظهم اياه من أمره وقال بعضهم يحفظونه من أمر الله بأمر الله ذكر من قال الذين يحفظونه هم الملائكة ووجه قوله بأمر الله الى معنى ان حفظها اياه من أمر الله **حدثنى**

المثنى

المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يحفظونه من أمر الله يقول باذن الله والمعقبات هى من أمر الله وهى الملائكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير يحفظونه من أمر الله قال الملائكة الحفظة وحفظهم اياه من أمر الله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنى عبد الملك عن ابن عبيد الله عن مجاهد فى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال الحفظة هم من أمر الله * قال ثنا على يعنى ابن عبد الله بن جعفر قال ثنا سفيان عن عمرو عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ورقباء ومن خلفه من أمر الله يحفظونه * قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الجارود عن ابن عباس له معقبات من بين يديه ورقيب ومن خلفه **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال الملائكة من أمر الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يحفظونه من أمر الله قال الملائكة من أمر الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله قال الحفظة ذكر من قال عنى بذلك يحفظونه بأمر الله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يحفظونه من أمر الله وفى بعض القراآت بأمر الله **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن قيس عن مجاهد فى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه قال مع كل انسان حفظة يحفظونه من أمر الله * ذكر من قال تحفظه الحرس من بنى آدم من أمر الله **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يحفظونه من أمر الله يعنى ولى السلطان يكون عليه الحرس يحفظونه من بين يديه ومن خلفه يقول الله عز وجل يحفظونه من أمرى فانى اذا أردت بقوم سوأ فلا مرد له ومالهم من دونه من وال **حدثنى** أبو هريرة الضبعى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا سعيد عن شرقى عن عكرمة يحفظونه من أمر الله قال الجلاوزة * وقال آخرون معنى ذلك يحفظونه من أمر الله وأمر الله الجن ومن يبغى أذاه ومكروهه قبل مجىء قضاء الله فاذا جاء قضاؤه خلوا بينه وبينه ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو هريرة الضبعى قال ثنا أبو داود قال ثنا ورقاء عن منصور عن طلحة عن ابراهيم يحفظونه من أمر الله قال من الجن **حدثنا** سوار ابن عبد الله قال ثنا المعتمر قال سمعت ليثا يحدث عن مجاهد أنه قال ما من عبد الا له ملك موكل يحفظه فى نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم شئ يأتيه يريده الا قال وراءك الا شيأ بأذن الله فيصيبه **حدثنا** الحسن بن عرفة قال ثنا اسمعيل بن عياش عن محمد بن زياد الالهانى عن يزيد بن شريح عن كعب الاحبار قال لو تجلى لابن آدم كل سهل وحزن لرأى على كل شئ من ذلك شياطين لولا أن الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم فى مطعمكم ومشربكم وعوراتكم اذا تخطفتم **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عمارة بن أبى حفصة عن أبى مجلز قال جاء رجل من

(قل من رب السموات والارض قل الله) وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بأنه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولى قال هذا قولك فيحكى اقراره استئنافا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله (قل أفاتخذتم) ويجوز أن يكون تلقينا للمبسوا منكرين له والهمزة فى أفاتخذتم للانكار والمعنى أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم (من دونه أولياء) جمادات عجزة عن تحصيل المنافع والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سبب الاشراك ثم جعلوا مع ذلك أخس الاشياء مكان أشرف الذوات وهذا جهل لامزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم بالظلمات وأنكر أن يكون شئ منهما مساويا للنقيضه فقال (قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور) جمع الظلمات ووحد النور لان السبل المنحرفة غير محصورة والصراط المستقيم واحد ثم أكد الانكار المذكور بقوله (أم جعلوا) والمراد بل جعلوا (لله شركاء) خالقين مثل خلقه (فتشابه الخلق) أى خلق الله وخلقهم (عليهم) أى ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق أصلا بل كل ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله (قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) المتوحد بالربوبية الذى لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول انه يخلق كخلق الله لان العبد يفعل لجلب منفعة أو دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك وأجيب بأن المخالفة من بعض الوجوه لا تقدح فى المماثلة من وجه آخر فلو كان فعل العبد كالتحريك مثلا واقعا بقدرته لكان مثلا للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى

وهذا الاشكال وارد أيضا على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب مثلا آخر للحق وذويه والباطل ومنتحليه فقال (أنزل من السماء ماء فسالت أودية) أي مياهها والوادي الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من ودى اذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسي لا نعلم فاعلا جمع على أفعلة الا هذا وكأنه حمل على فعيل فجمع على أفعلة كجريب وأجربة كما أن فعيلا حمل على فاعل فجمع على أفعال مثل يتيم وأيتام وشريف وأشراف كأصحاب وأنصار في صاحب وناصر وقال غيره نظير وادٍ وأودية نادٍ وأندية ومعنى التنكير في أودية أن المطر لا يأتي الاعلى طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض قال في الكشاف معنى بقدرها بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم بدليل قوله (وأما ما ينفع الناس) وقال الواحدي معناه سالت مياه الاودية بقدر الأودية فان صغر الوادي قل الماء وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه من ربا يربو اذا زاد ثم قال سبحانه اظهارا للكبرياء كما هو دين الملوك (ومما يوقدون عليه) من لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض يعني بعضه زبد مثله أراد به الاجسام المتطرقة المتفرقة الرابية والايقاد على الشيء قسمان أحدهما أن لا يكون ذلك الشيء في النار كالاجر في قوله أوقد لي يا هامان على الطين والثاني أن يكون في النار كأنواع الفلز ولهذا قال ههنا بزيادة لفظة (في النار) قال في الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية أو متاع مثل فائدة قوله بقدرها لانه جمع بين الماء والفلز في النفع في قوله وأما ما ينفع الناس أي وأما ما ينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة واتخاذ سائر أثاث البيت وأمتعته من الحديد والنحاس والرصاص والاسرب وما يتركب منها والمتاع كل ما يتمتع به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي يضرب الامثال

مرادا لي علي رضي الله عنه وهو يصلي فقال احترس فان ناسا من مرادٍ يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن الحسن بن ذكوان عن أبي غالب عن أبي أمامة قال ما من آدمي الا ومعه ملك موكل يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له * وقال آخرون معنى ذلك يحفظون عليه من الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يحفظونه من أمر الله قال يحفظون عليه من الله «قال أبو جعفر» يعني ابن جرير بقوله يحفظون عليه الملائكة الموكلة بابن آدم يحفظ حسناته وسيآته وهي المعقبات عندنا تحفظ على ابن آدم حسناته وسيآته من أمر الله وعلى هذا القول يجب أن يكون معنى قوله من أمر الله أن الحفظة من أمر الله أو تحفظ بأمر الله ويجب أن تكون الهاء التي في قوله يحفظونه وحدن وذكرت وهي مرادبها الحسنات والسيآت لانها كناية عن ذكر من الذي هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وأن يكون المستخفي بالليل أقيم ذكره مقام الخبر عن سيآته وحسناته كما قيل واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها * وكان عبد الرحمن بن زيد يقول في ذلك خلاف هذه الاقوال كلها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار قال أتى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر ما تجعل لي ان أنا اتبعتك قال أنت فارس أعطيك أعنة الخيل قال لا قال فما تبغي قال لي الشرق ولك الغرب قال لا قال فلي الوبر ولك المدر قال لا قال لأملأنها عليك اذا خيلا ورجالا قال يمنعك الله ذلك وأبناء قيلة يريد الاوس والخزرج قال فخرجا فقال عامر لأربد ان كان الرجل لنا لممكنا لو قتلناه ما انتطحت فيه عنزان ولرضوا بأن نعقله لهم وأحبوا السلم وكرهوا الحرب اذا رأوا أمرا قد وقع فقال الآخران شئت فتشاوروا وقال ارجع وأنا أشغله عنك بالمجادلة وكن وراءه فاضربه بالسيف ضربة واحدة فكانا كذلك واحد وراء النبي صلى الله عليه وسلم والآخر قال اقصص علينا قصصك قال ما يقول قرآنك فجعل يجادله و يستبطئه حتى قال مالك أجشمت قال وضعت يدي على قائم سيفي فبست فما قدرت على أن أحلي ولا أمر ولا أحركها قال فخرجا فلما كانا بالحرة سمع بذلك سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فخرجا اليهما على كل واحد منهما لأمته ورمحه بيده وهو متقلد سيفه فقالا لعامر بن الطفيل يا أعور يا خبيث يا أملخ أنت الذي تشترط على رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنك في أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مارمت المنزل حتى ضربت عنقك ولكن لا تستبقين وكان أشد الرجلين عليه أسيد بن الحضير فقال لو كان أبوه جبار يفعل بي هذا ثم قال لاربد أخرج أنت يا اربد الى ناحية عذبة وأخرج أنا الى نجد فنجمع الرجال فنلتقي عليه فخرج أربد حتى اذا كان بالرقم بعث الله سحابة من الصيف فيها صاعقة فاحرقته قال وخرج عامر حتى اذا كان بواد يقال له الجريز أرسل الله عليه الطاعون فجعل يصيح يا آل عامر أغدة كغدة البكر تقتلني يا آل عامر أغدة كغدة البكر تقتلني وموت أيضا في بيت سلولية وهي امرأة من قيس فذلك قول الله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به فقرأ حتى بلغ يحفظونه من أمر الله المعقبات من أمر الله هذا مقدم ومؤخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه

والباطل ومثله فى آخر الآية فاختصر الكلام بأن حذف الامثال من الاول والحق والباطل من الثانى تأكيدا للمقصود مع رعاية الاختصار ثم شرع فى تتميم المثل قائلا (فأما الزبد فيذهب جفاء) نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل يقال جفأ الوادى بالهمزة جفأ رمى بالقذر والزبد وكذلك القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان (وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) حاصل المثل أن الوادى اذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء النافع فى العيون والآبار والانهار وكذا الاجساد المتطرقة اذا أذيبت لاجل انتخاذ الحلى أو سائر الامتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويتلاشى ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به أزمنة متطاولة وتطبيق المثل على الحق والباطل أنه سبحانه أنزل من سماء الوحى ماء بيان القرآن فسالت أودية القلوب بقدرها فان كل قلب انما يحصل فيه من أنوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب على قدر استعداده ثم انه يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالآخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين فزبد السيل والفلز مثل للباطل فى سرعة اضمحلاله وانسلاخه من المنفعة والماء والفلز الصافى مثل للحق فى البقاء والانتفاع به ثم ذكر أحوال السعداء وتبعات الاشقياء فقال (للذين استجابوا لربهم) أى فيما دعاهم اليه من التوحيد والنبوة والتكاليف (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة (والذين لم يستجيبوا له) مبتدأ أخر خبره الجملة الشرطية بعده وقيل ان الكلام متصل بما قبله أى يضرب الله الامثال لهذين الفريقين وقوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا أى الاستجابة الحسنى وقوله (لو أن لهم) كلام مبتدأ فى ذكر ما أعد لغير المستجيبين ومن ذلك قوله (أولئك لهم سوء الحساب) قال الزجاج

عليه ومن خلفه تلك المعقبات من أمر الله وقال لهذين ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فقرأ حتى بلغ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الآية فقرأ حتى بلغ ومادعاء الكافرين الا فى ضلال قال وقال لبيد فى أخيه أربد وهو يبكيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

فجعنى الرعد والصواعق بالـ * ـفارس يوم الكريهة النجد

قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى تأويل هذه الآية قول بعيد من تأويل الآية مع دلالة أقوال من ذكرنا قوله من أهل التأويل وذلك أنه جعل الهاء فى قوله له معقبات من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجر له فى الآية التى قبلها ولا فى التى قبل الاخرى ذكرا الا أن يكون أراد أن يرد ها على قوله انما أنت منذر ولكل قوم هاد له معقبات فان كان أراد ذلك فذلك بعيد مما بينهما من الآيات بغير ذكر الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك فكونها عائدة على من التى فى قوله ومن هو مستخف بالليل أقرب لانه قبلها والخبر بعدها عنه فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام سواء منكم أيها الناس من أسر القول ومن جهر به عند ربكم ومن هو مستخف بفسقه وريبته فى ظلمة الليل وسارب يذهب ويجىء فى ضوء النهار ممتنعا بجنده وحرسه ممن يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتى من ذلك وأن يقيموا حدا لله عليه وكذلك قوله يحفظونه من أمر الله وقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يقول تعالى ذكره ان الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الظلم بعضهم بعضا واعتداء بعضهم على بعض فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره وقوله واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له يقول واذا أراد الله بهؤلاء الذين يستخفون بالليل ويسربون بالنهار من جنده ومنعته من بين أيديهم ومن خلفهم يحفظونهم من أمر الله هلاكا ونخزيا فى عاجل الدنيا فلا مرد له يقول فلا يقدر على رد ذلك عنهم أحد غير الله يقول تعالى ذكره ومالهم من دونه من وال يقول ومالهؤلاء القوم والهاء والميم فى لهم من ذكر القوم الذين فى قوله واذا أراد الله بقوم سوأ من دون الله من وال يعنى من وال يليهم ويلى أمرهم وعقوبتهم وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول السوء الهلكة ويقول كل جذام وبرص وعمى وبلاء عظيم فهو سوء مضموم الاول واذا فتح فهو مصدر سؤت ومنه قولهم رجل سوء واختلف أهل العربية فى معنى قوله ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فقال بعض نحويى أهل البصرة معنى قوله ومن هو مستخف بالليل ومن هو ظاهر بالليل من قولهم أخفيت الشئ اذا أظهرته وكما قال امرؤ القيس

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

قال وقد قرئ أكاد أخفيها بمعنى أظهرها وقال فى قوله وسارب بالنهار السارب هو المتوارى كأنه وجه الى أنه صار فى السرب بالنهار مستخفيا وقال بعض نحويى البصرة والكوفة انما معنى ذلك ومن هو مستخف أى مستتر بالليل من الاستخفاء وسارب بالنهار وذاهب بالنهار من قولهم سربت الابل الى المرعى وذلك ذهابها الى المراعى وخروجها اليها وقيل ان السروب بالعشى والسروح بالغداة ختلفوا أيضا فى تأنيث معقبات وهى صفة لغير الاناث فقال بعض نحويى البصرة انما أنثت لكثرة

لان كفرهم أحبط أعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعى أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شئ وقال الحكماء هو ظهور آثار الملكات الردية والهيئات الذميمة على النفس ولم يكن قبل ذلك مغمورا بها لاشتغاله بعالم الحس (ومأواهم جهنم) لانهم أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن المولى فلا جرم اذا ماتوا فارقوا معشوقهم فأورثهم

الحرمان والخسران والاحتراق بنار الفراق ثم أنكر بعد هذه البيانات أن يستوى بين الناقد والبصير والجاهل الضرير فقال (أفمن يعلم أنما) أى ان الذى (أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى) القلب (انما يتذكر) أى لا ينتفع بالامثال الا (أولوا الالباب) الذين يعبرون من القشر الى اللباب ثم وصفهم بقوله (الذين يوفون بعهد الله) ويجوز أن يكون نصبا على المدح وأن يكون مبتدأ خبره أولئك أما عهد الله فعن ابن عباس هو المذكور فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلى أو سمعى من الافعال والتروك ولا عهد أوكد من الحجة بدليل أن من حلف على الشئ فانما يلزمه الوفاء به اذا ثبت بالدليل جوازه (ولا ينقضون الميثاق) تأكيد للوفاء بالعهد بعبارة أخرى تلزم الاولى كقولك لما وجب وجوده لزم أن يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله اشارة الى ما كلف الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق أراد به ما التزمه العبد بالنذر وقيل الوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والميثاق أعم لشموله كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله ومن سائر المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد والوفاء بالعهد أمر مستحسن فى العقول والشرائع كلها قال صلى الله عليه وسلم من عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من النفاق (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) افراد لما بينه وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل هو مواساة النبى صلى الله عليه وسلم ومعاونته ونصرته فى الجهاد وقيل رعاية جميع حقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم فى كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم ومن يطيف به حتى الهرة والدجاجة (ويخشون ربهم) وان أتوا بكل ما قدروا عليه فى باب التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله خوفا من وعيده كله (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) ويلزم ذلك أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا وقيل الخشية نوعان خشية الجلال كالعبد اذا حضر بين يدى السلطان

ذلك منها نحو نسابة وعلامة ثم ذكر لأن المعنى مذكر فقال يحفظونه وقال بعض نحويى الكوفة انما هى ملائكة معقبة ثم جمعت معقبات فهو جمع جمع ثم قيل يحفظونه لانه للملائكة وقد تقدم قولنا فى معنى المستخفى بالليل والسارب بالنهار وأما الذى ذكرناه عن نحويى البصرة فى ذلك فمقول وان كان له فى كلام العرب وجه خلاف لقول أهل التأويل وحسبه من الدلالة على فساد خروجه عن قول جميعهم وأما المعقبات فان التعقيب فى كلام العرب العود بعد البدء والرجوع الى الشئ بعد الانصراف عنه من قول الله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب أى لم يرجع وكما قال سلامة بن جندل

وكررنا الخيل فى آثارها رجعا * كس السنابك من بدء وتعقيب

يعنى فى غزوتان عقبوا وكما قال طرفة

ولقد كنت عليكم عاتبا * فعقبتم بذنوب غير مر

يعنى بقوله عقبتم رجعتم وأتاها التأنيث عندنا وهى من صفة الحرس الذين يحرسون المستخفى بالليل والسارب بالنهار لانه عنى بها حرس معقبة ثم جمعت المعقبة فقيل معقبات فذلك جمع جمع المعقب والمعقب واحد المعقبة كما قال لبيد

حتى تهجر فى الرواح وهاجه * طلب المعقب حقه المظلوم

والمعقبات جمعها ثم قال يحفظونه فردا الخبر الى تذكير الحرس والجند وأما قوله يحفظونه من أمر الله فان أهل العربية اختلفوا فى معناه فقال بعض نحويى الكوفة معناه له معقبات من أمر الله يحفظونه وليس (١) من أمره انما هو تقديم وتأخير قال ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وباذنه كما تقول للرجل أجبتك من دعائك اياى وبدعائك اياى وقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك يحفظونه عن أمر الله كما قالوا أطعمنى من جوع وعن جوع وكسانى عن عرى وعن عرى وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله يحفظونه من أمر الله من صفة الحرس هذا المستخفى بالليل وهى تحرسه ظنا منها أنها تدفع عنه أمر الله فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغنى عنه شيأ اذا جاءه أمره فقال واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال﴾ يقول تعالى ذكره هو الذى يريكم البرق يعنى أن الرب هو الذى يرى عباده البرق فنون هو كناية اسمه جل ثناؤه وقد بينا معنى البرق فيما مضى وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه عما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله خوفا يقول خوفا للمسافر من أذاه وذلك أن البرق الماء فى هذا الموضع كما حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد قال أخبرنا موسى بن سالم أبو جهضم مولى ابن عباس قال كتب ابن عباس الى أبى الجلد يسأله عن البرق فقال البرق الماء وقوله وطمعا يقول وطمعا أن يمطر فينتفع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا يقول خوفا للمسافر فى أسفاره يخاف أذاه ومشقته وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته ويطمع فى رزق الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة

---

(١) أى وليس يحفظونه من أمره فتنبه

خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم والى هذا أشار بقوله ويخشون ربهم وخشية أن يقع فى العبادة خلل او نقص
يجب فسادها أو نقصان ثوابها والبه الاشارة بقوله ويخافون سوء الحساب (والذين صبروا) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى
المصائب (ابتغاء وجه ربهم) لالأجل أن يقال ما أورعه وما أزهده وما أصبره وغير ذلك من الاغراض
الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لأنها أحكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا لانها قسمة قسام متصرف فى ملكه كيف يشاء أولأنه مشغول بالمقدر والقاضى لا بالقدر والقضاء وقد يرضى العاشق بالضرب والايلام لالتذاذه بالنظر الى وجه معشوقه فهكذا العارف يصبر على البلايا والمحن لاستغراقه فى بحر العرفان وفيضان أنوار المعروف عليه (وأقاموا الصلاة) ولا يمتنع دخول النوافل فيها لقوله ما زال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحببته (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) يتناول النفل لانه فى السر أفضل والفرض لانه فى الجهر أفضل كما مر فى أواخر سورة البقرة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أى يدفعون بالتوبة وهى الخصلة الحسنة المعصية قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل لا يقابلون الشر بالشر وانما يقابلونه بالخير كما روى عن الحسن اذا حرموا أعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم يروى أن شقيق بن ابراهيم البلخى دخل على عبد الله بن المبارك متفكرا فقال من أين أتيت قال من بلخ فقال وهل عرف شقيقا فقال نعم فقال كيف طريقة أصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا أعطوا شكروا فقال عبد الله هكذا طريقة كلابنا وانما الكاملون الذين اذا منعوا شكروا واذا أعطوا آثروا وقيل مراد الآية أنهم اذا رأوا منكرا أمروا بتغييره (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة التى أرادها الله تعالى أن تكون مرجع أهلها والعقبى مصدر كالعاقبة ومثله البشرى والقربى ويجوز أن يكون

جوا وطمعا خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقوله وينشئ السحاب الثقال ويثير السحاب الثقال
المطر وبينه بقال منه أنشأ الله السحاب اذا أبدأه ونشأ السحاب اذا بدأ ينشأ نشأ والسحاب فى هذا
الموضع وان كان فى لفظ واحد فانها جمع واحدتها سحابة ولذلك قال الثقال فنعتها بنعت الجمع ولو
كان جاء السحاب الثقيل كان جائزا وكان توحيد اللفظ السحاب كما قيل جعل لكم من الشجر
الاخضر نارا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا
الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وينشئ
السحاب الثقال قال الذى فيه الماء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن
أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج عن مجاهد وينشئ السحاب الثقال قال الذى فيه الماء وقوله ويسبح الرعد بحمده قال أبو
جعفر وقد بينا معنى الرعد فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وذكر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد قال كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا كثير بن هشام
قال ثنا جعفر قال بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد الشديد قال اللهم
لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد
قال ثنا اسرائيل عن أبيه عن رجل عن أبى هريرة رفع الحديث أنه كان اذا سمع الرعد قال
سبحان من يسبح الرعد بحمده حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا مسعدة بن اليسع الباهلى
عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله عنه كان اذا سمع صوت الرعد قال سبحان من
سبحت له * قال ثنا اسمعيل بن علية عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان اذا
سمع الرعد قال سبحان الذى سبحت له حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا
يعلى بن الحرث قال سمعت أبا صخرة يحدث عن الاسود بن يزيد أنه كان اذا سمع الرعد قال سبحان
من سبحت له أو سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته * قال ثنا أبو أحمد
قال ثنا ابن علية عن ابن طاوس عن أبيه وعبد الكريم عن طاوس أنه كان اذا سمع الرعد قال
سبحان من سبحت له حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ميسرة عن
الأوزاعى قال كان ابن أبى زكريا يقول من قال حين يسمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه
صاعقة ومعنى قوله ويسبح الرعد بحمده ويعظم الله الرعد ويمجده فيثنى عليه بصفاته وينزهه مما
أضاف اليه أهل الشرك به ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد تعالى ربنا وتقدس وقوله من
خيفته يقول وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته وأما قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من
يشاء فقد بينا معنى الصاعقة فيما مضى بما أغنى عن اعادته بما فيه الكفاية من الشواهد وذكرنا
ما فيها من الرواية وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى كافر من الكفار ذكر الله
تعالى وتقدس بغير ما ينبغى ذكره به فأرسل عليه صاعقة أهلكته ذكر من قال ذلك حدثنا

مضافا الى الفاعل والمعنى أولئك لهم أن يعقب أعمالهم الدار التى هى الجنة ومعنى (جنات عدن) تقدم فى سورة براءة (ومن صلح) معطوف على فاعل يدخلونها و يجوز أن يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق بما صدق به وان لم يعمل مثل أعمالهم وقال الزجاج يجوز الانساب لا تنفع اذا لم يحصل معها أعمال صالحة قال الواحدى والأول أصح لأن الله تعالى جعل من المطيع سروره بحضور أهله معه فى الجنة فلو دخلوها بأعمالهم الصالحة لم يكن فى ذلك كرامة للمطيع و يمكن أن يوجه قول الزجاج بأن المقصود بشارة المؤمن بأن أهل الصلاح من أصوله وفصوله وأزواجه يجتمعون به فى دار الثواب فقد يمكن أن يكونوا جميعا فى الجنة ولا يجتمعون فى موضع ولقائل أن يقول الدخول أعم من الاجتماع ولا دلالة للعام على الخاص فصح اعتراض الواحدى والآباء جمع أبوى كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وليس فى الآية ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الاولى من مات عنها أو ماتت عنه و يؤيده ما روى عن سودة أنه لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعنى يا رسول الله أحشر فى زمرة نسائك قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها أبواب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على أمر الله وقال أبو بكر الاصم من كل باب من أبواب البر كباب الصلاة وباب الزكاة وباب الصبر و يقولون نعم ما أعقبكم الله بعد الدار الاولى وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمالات جوهرا قدسيا وروحا علويا يختص بتلك الصفة فبعد المفارقة يفيض على النفس الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كذلك وعلى هذا القياس وقد يستدل بالآية على أن الملك أفضل من البشر والا فلم يكن دخولهم على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم و يمكن أن يجاب بأن وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجىء والباء فى قوله بما صبرتم يتعلق بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم على الطاعات وأضربه

الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا أبان بن يزيد قال ثنا أبو عمران الجونى عن عبد الرحمن بن صحار العبدى أنه بلغه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث الى جبار يدعوه فقال أربكم أذهب هو أم فضة هو أم لؤلؤ هو قال فبينما هو يجادلهم اذ بعث الله سحابة فرعدت فأرسل الله عليه صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله هذه الآية و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن سليمن عن أبى بكر بن عياش عن ليث عن مجاهد قال جاء يهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنى عن ربك من أى شىء هو من لؤلؤ أو من ياقوت فجاءت صاعقة فأخذته فأنزل الله و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن ليث عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال ثنا سيف عن أبى روق عن أبى أيوب عن على قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى من هذا الذى تدعو اليه أياقوت هو أذهب هو أم ماذا قال فنزلت على السائل الصاعقة فأحرقته فأنزل الله و يرسل الصواعق الآية **حدثنا** محمد بن مرزوق قال ثنا عبد الله بن عبد الوهاب قال ثنى على بن أبى سارة الشيبانى قال ثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم مرة رجلا الى رجل من قراعة العرب أن ادعه لى فقال يا رسول الله انه أعتى من ذلك قال اذهب اليه فادعه قال فأتاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس قال فأتى الرجل النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ارجع اليه فادعه قال فأتاه فأعاد عليه وردد عليه مثل الجواب الاول فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ارجع اليه فادعه قال فرجع اليه فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما اذ بعث الله سحابة بحيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال * وقال آخرون نزلت فى رجل من الكفار أنكر القرآن وكذب النبى صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أنكر القرآن وكذب النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته فأنزل الله عز وجل فيه وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال * وقال آخرون نزلت فى أربد أخى لبيد بن ربيعة وكان هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعامر ابن الطفيل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعنى قوله و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فى أربد أخى لبيد بن ربيعة لأنه قدم أربد وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر يا محمد أأسلم وأكون الخليفة من بعدك قال لا قال فأكون على أهل الوبر وأنت على أهل المدر قال لا قال فما ذاك قال أعطيك أعنة الخيل تقاتل عليها فانك رجل فارس قال أوليست أعنة الخيل بيدى أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا من بنى عامر قال لأربد إما أن تكفينيه

وعن المحرمات وقيل يتعلق بمحذوف أى هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل صبركم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم أتبع أحوال السعداء أحوال الاشقياء وقدم تفسيره فى أول السورة على أن الضد قد يعلم من الضد بسهولة وقدم آنفا وقوله (سوء الدار) فى مقابلة عقبى الدار كأن العاقبة لا تطلق الا على العاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين لان غير الحميدة لا تستأهل لأن تكون عاقبة وقال فى الكشاف المراد سوء عاقبة الدنيا ولا حاجة الى هذا الاضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها ذكر أهل النظم أنه لما بين سوء حال الناقصين كان لقائل أن يقول فما بالهم قد فتح الله عليهم أبواب الرزق فى الدنيا فأجاب بقوله (الله يبسط الرزق) والمراد أن الدنيا دار امتحان لا دار جزاء فقد يتفق أن يكون الجاهل الكافر خلى البال والعالم المؤمن ردى الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والايمان والتركيب للحصر أى هو وحده يوسع الرزق على من يشاء كأهل مكة (ويقدر) أى يضيق ومعناه أنه يعطيه بقدر الضرورة وسد الرمق لا يفضل منه شئ (وفرحوا) يعنى أهل مكة وأضرابهم بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح تحدث بنعمة الله واظهار لفضله عليهم (وما الحياة الدنيا) ونعيمها فى جنب نعيم الآخرة (الا متاع) شئ نزر يتمتع به أياما قلائل ثم بعد ذلك حسرات لا نهاية لها ومثل هذا لا يوجب الفرح بل لا يجوزه ثم حكى نوعا آخر من قبائح الكفرة فقال (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) وقدم مثله فى هذه السورة وذكرنا أنه ليس بتكرار محض الا أن قوله فى جوابهم (قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب) أقبل على الحق وحقيقته دخل فى نوبة الخير فيه غموض وأجيب بأنه يجرى مجرى التعجب من قبل ما أعظم عناد كم بعد ما أنزلت من الآيات الباهرة أن الاضلال والهداية من الله أو المراد لا تشتغلوا بطلب الآيات ولكن ارجعوا الى الله فى طلب الهدايات فان الذى أضله الله يرى الآية سحرا والذى هداه يراها معجزة وقال الجبائى المعنى ان الله يضل من يشاء عن

وأضربه بالسيف واما أن أكفيكه وتضربه بالسيف قال أربد (١) أكفيكه واضربه فقال ابن الطفيل يا محمد ان لى اليك حاجة قال ادن فلم يزل يدنو ويقول النبى صلى الله عليه وسلم ادن حتى وضع يديه على ركبتيه وحنى عليه واستل أربد السيف فاستل منه قليلا فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم بريقه تعوذ بآية كان يتعوذ بها فيبست يد أربد على السيف فبعث الله عليه صاعقة فأحرقته فذلك قول أخيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

فجعنى البرق والصواعق بالـ * ـفارس يوم الكريهة النجد

وقد ذكرت قبل خبر عبد الرحمن بن زيد بنحو هذه القصة وقوله وهم يجادلون فى الله يقول وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق أصابهم بها فى حال خصومتهم فى الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وقوله وهو شديد المحال يقول تعالى ذكره والله شديدة مماحلته فى عقوبته من طغى عليه وعتى وتمادى فى كفره والمحال مصدر من قول القائل ماحلت فلانا فانا أماحله مماحلة ومحالا وقلت منه محلت أمحل محلا اذا عرض رجل رجلا لما يهلكه ومنه قوله وماحل مصدق ومنه قول أعشى بنى ثعلبة

فرع نبع يهتز فى غصن المجـ * ـد غزير الندى شديد المحال

هكذا كان ينشده معمر بن المثنى فيما حدث عن على بن المغيرة عنه وأما الرواة بعد فانهم ينشدونه

فرع فرع يهتز فى غصن المجـ * ـد كثير الندى عظيم المحال

وفسر ذلك معمر بن المثنى وزعم أنه عنى به العقوبة والمكر والنكال ومنه قول الآخر

ولبس بين أقوام فكل * أعد له الشغازب والمحالا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال ثنا سيف عن أبى روق عن أبى أيوب عن على رضى الله عنه وهو شديد المحال قال شديد الأخذ حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد وهو شديد المحال قال شديد القوة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو شديد المحال أى القوة والحيلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن شديد المحال يعنى الهلاك قال اذا محل فهو شديد وقال قتادة شديد الحيلة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا رجل من عكرمة وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال قال المحال جدال أربد وهو شديد المحال قال أصاب أربد من الصاعقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وهو شديد المحال قال قال ابن عباس شديد الحول حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهو شديد المحال قال شديد القوة المحال القوة والقول الذى ذكرناه عن قتادة فى تأويل المحال أنه الحيلة والقول الذى ذكره ابن جريج عن ابن عباس يدلان على أنهما كانا يقرآن وهو شديد المحال بفتح الميم لان الحيلة لا يأتى مصدرها محالا بكسر الميم ولكن قد يأتى على

---

(١) لعله اكفيه كما يدل عليه بقية القصة فتنبه كتبه مصححه

طريق الصواب ويهدى اليه أقواما آخرين فلولا أنكم تستحقون العقاب لهداكم الى الصواب بانزال ما اقترحتموه وقيل المراد انه لو أنزل آيات ظاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فلو شاء لهداكم فلا فائدة فى تكثير المعجزات (الذين آمنوا) بدل ممن أناب (وتطمئن قلوبهم) عن ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت والاطمئنان بآيات الوعد لا بآيات الوعيد حيث قال الوجل من آيات الوعيد حيث قال اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أو المراد أن علمهم بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمأنينة لهم بأنه سبحانه واحد لا شريك له صادق فى وعده ووعيده و بأن محمدا نبى حق (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) التحقيق فيه أن الانسان متوسط الرتبة بين عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجه الى عالم الجسد اشتاق الى التصرف فيه فيظهر له هناك أمور ضرورية فى التعيش أدونها ليس بأهون من خرط القتاد فيتوزع فكره وتضطرب أحواله أما اذا توجه الى عالم الروح فانه يزول الاضطراب و يتوحد المطلب و يحصل الاستغراق فى بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع فى لجة البحر لا يبالى أين وقع شعر

* أنا الغريق فما خوفى من البلل *

وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلب ذهبا صافيا باقيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع فى القلب السليم كيف لا يقلبه جوهرا صافيا نورانيا آمنا من التغير والزوال (الذين آمنوا) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وجوز فى الكشاف أن يكون بدلا على حذف المضاف أى قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب يطيب كبشرى ووادوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا لك والمعنى طيب لهم على الدعاء أو الخبر عن ابن عباس فرح وقرة عين الضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم الاصم خير وكرامة الزجاج عيش طيب والكل متقارب والعبارة الجامعة ان أطيب الاشياء فى كل الامور طيب لهم وقيل طوبى شجرة فى الجنة حكى الاصم أن أصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى دار كل مؤمن منها غصن روى عن رسول الله صلى الله

تقدير المفعلة منها فيكون محالة ومن ذلك قولهم المرء يعجز لا محالة والمحالة فى هذا الموضع المفعلة من الحيلة فأما بكسر الميم فلا تكون الا مصدرا من ماحلت فلانا أماحله محالا والمماحلة بعيدة الفهم من الحيلة ولا أعلم أحدا قرأه بفتح الميم فاذ كان ذلك كذلك فالذى هو أولى بتأويل ذلك ما قلنا من القول ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ﴾ يقول تعالى ذكره لله من خلقه الدعوة الحق والدعوة هى الحق كما أضيفت الدار الى الآخرة فى قوله ولدار الآخرة وقد بينا ذلك فيما مضى وانما عنى بالدعوة الحق توحيد الله وشهادة أن لا اله الا الله وبنحو الذى قلنا تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس دعوة الحق قال لا اله الا الله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله له دعوة الحق قال شهادة أن لا اله الا الله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال ثنا سفيان عن أبى روق عن أبى أيوب عن على رضى الله عنه له دعوة الحق قال التوحيد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله له دعوة الحق قال لا اله الا الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله له دعوة الحق قال لا اله الا الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله له دعوة الحق لا اله الا الله ليست تنبغى لاحد غيره لا ينبغى أن يقال فلان اله بنى فلان وقوله والذين يدعون من دونه يقول تعالى ذكره والآلهة التى يدعونها المشركون أربابا وآلهة وقوله من دونه يقول من دون الله وانما عنى بقوله من دونه الآلهة أنها مقصرة عنه وأنها لا تكون الها ولا يجوز أن يكون الها الا الله الواحد القهار ومنه قول الشاعر

أتوعدنى وراء بنى رياح * كذبت لتقصرن يداك دونى

يعنى لتقصرن يداك عنى وقوله لا يستجيبون لهم بشئ يقول لا تجيب هذه الآلهة التى يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضر الا كباسط كفيه الى الماء يقول لا ينفع داعى الآلهة دعاؤه اياها الا كما ينفع باسط كفيه الى الماء بسطهما اياهما اليه من غير أن يرفعه اليه اناء ولكن ليرتفع اليه بدعائه اياه واشارته اليه وقبضه عليه والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدرك مثلا بالقابض على الماء قال بعضهم

فانى واياكم وشوقا اليكم * كقابض ماء لم تسقه أنامله

يعنى بذلك أنه ليس فى يده من ذلك الا كما فى يد القابض على الماء لان القابض على الماء لا شئ فى يده وقال آخر

فأصبحت مما كان بينى وبينها * من الود مثل القابض الماء باليد

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا سيف عن أبى روق عن أبى أيوب عن على رضى الله عنه فى قوله الا كباسط كفيه

كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه قال كالرجل العطشان يمد يده الى البئر ليرتفع الماء اليه وماهو ببالغه **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله كباسط كفيه الى الماء يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده ولا يأتيه أبدا * قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرني الاعرج عن مجاهد ليبلغ فاه يدعوه ليأتيه وماهو بآتيه كذلك لا يستجيب من هو دونه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كباسط كفيه الى الماء يدعو الماء بلسانه ويشير اليه بيده ليأتيه أبدا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال وثنا اسحق قال ثنا عبدالله قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثل حديث الحسن عن حجاج قال ابن جريج وقال الاعرج عن مجاهد ليبلغ فاه قال يدعوه لأن يأتيه وماهو بآتيه فكذلك لا يستجيب من هو دونه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه وليس ببالغه حتى يتمزع عنقه ويهلك عطشا قال الله تعالى ومادعاء الكافرين الا في ضلال هذا مثل ضربه الله أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن وهذا الحجر لا يستجيب له بشئ أبدا ولا يسوق اليه خيرا ولا يدفع عنه سوأ حتى يأتيه الموت كمثل هذا الذي بسط ذراعيه الى الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل اليه ذلك حتى يموت عطشا * وقال آخرون معنى ذلك والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليتناول خياله فيه وماهو ببالغ ذلك ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه فقال هذا مثل المشرك مع الله غيره كمثل الرجل العطشان الذي ينظر الى خياله في الماء من بعيد فهو يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه * وقال آخرون في ذلك ما **حدثني** به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الى ومادعاء الكافرين الا في ضلال يقول مثل الأوثان الذين يعبدون من دون الله كمثل رجل قد بلغه العطش حتى كربه الموت وكفاه في الماء قد وضعهما لا يبلغان فاه يقول الله لا تستجيب الآلهة ولا تنفع الذين يعبدونها حتى يبلغ كفاها فاه وماهما ببالغتين فاه أبدا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه قال لا ينفعونهم بشئ الا كما ينفع هذا بكفيه يعني بسطهما الى ما لا ينال أبدا * وقال آخرون في ذلك ما **حدثنا** به محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وليس الماء ببالغ فاه ما قام باسطا كفيه لا يقبضهما وماهو ببالغه ومادعاء الكافرين الا في ضلال قال هذا مثل ضربه الله لمن اتخذ من دون الله الها أنه غير نافعه ولا يدفع عنه سوأ حتى يموت على ذلك وقوله ومادعاء الكافرين الا في ضلال يقول ومادعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة الا في ضلال يقول الا في غير استقامة ولا هدى لانه يشرك

كله وسلم أنه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم أن طوبى هي بالحبشية والمآب المرجع ۞ التأويل هو الذي يريكم برق أنوار الجلال فيغلب عليكم خوف الانقطاع واليأس ويريكم برق ضياء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستئناس وينشئ السحاب الثوال والافضال الثقال بمطر القبول والاقبال ويسبح الرعد وهو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فتقع الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملائكة فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق القهر فيصيب بها من يشاء من أهل الخذلان فيحرق حسن استعدادهم في قبول الايمان ومن نتائج ذلك أنهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين لا يتابعون الانبياء والشرائع وكبعض المتكلمين من أهل الاهواء والبدع له دعوة الحق أي دعوته حق لمن دعاه فيستجيبه كما قالت السموات والارض أتينا طائعين وأيضا له دعاة يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه أي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشئ اذ لا يؤثر في الخلق فيجيبهم كمن يبسط يده الى الماء اراءة الى الحق أنه يريد شربه وماهو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لأنهم استجابوا لهم على الهوى كما دعوا الى الحق بالهوى يدل عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وأرواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا ومن أرواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم في نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح وليس السجود من شأنها لانها أمارة بالسوء الا ما رحم الرب فانها تسجد بتبعية الروح * معنى آخر ولله يسجد من في سموات القلوب من صفات القلوب والارواح والعقول طوعا ومن في أرض النفوس من صفات النفس والقوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي آثارها ونتائجها * آخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة وظلالهم وهي

أجسادهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان آثار القدرة فيهما أكثر وان أريد الانقياد والتسخير
أن يراد بالوقتين وقتا الانتباه والنوم ففي الاول تطلع شمس الروح من أفق الجسد وفي الثاني تغرب فيه أنزل من سماء القلوب ماء

فسالت أودية النفوس فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية أو من سماء الارواح ماء مشاهدة أنوار الجمال فسالت أودية القلوب فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية أو أنزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فسالت أودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا من أنانية الروحانية أو أنزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت أودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبد الوجود المجازي ومما توقدون عليه من البقاء في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فلا تبقي ولا تذر وهي التذكية بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي أو متاع وهو التمتع به زبدا مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فأما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء وأما ما ينفع الناس من البقاء بالله فيمكث في أرض الوحدة المستعدة لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي الاستجابة من نتائجها كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في أرض البشرية من أنواع اللذات والحظوظ وأضعافها لجعلوه فداء ألم عذاب القطيعة وأنفقوا مما رزقناهم أي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا بالانقطاع عما يشغل بواطنهم وعلانية بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة الخلق من الوقائع والفترات والملائكة يدخلون عليهم تبركا وتيمنا بهم تبعا لهم من كل باب دخلوه بالاستقلال على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى صدق الطلب ألا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب أربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه

بالله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ يقول تعالى ذكره فان امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الاوثان والاصنام لله شركاء من افراد الطاعة والاخلاص بالعبادة له فلله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ومن في الارض من المؤمنين به طوعا فأما الكافرون به فانهم يسجدون له كرها حين يكرهون على السجود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فأما المؤمن فيسجد طائعا وأما الكافر فيسجد كارها حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال كان ربيع بن خيثم اذا تلا هذه الآية ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال بلى يا رباه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال من دخل طائعا دخل طوعا ومن كرها من لم يرد خل الا بالسيف وقوله وظلالهم بالغدو والآصال يقول ويسجد أيضا ظلال كل من سجد لله طوعا وكرها بالغدوات والعشايا وذلك أن ظل كل شخص فانه يفيء بالعشي كما قال جل ثناؤه أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وظلالهم بالغدو والآصال يعني حين يفيء ظل أحدهم عن يمينه أو شماله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان قال في تفسير مجاهد ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قال ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد(١) طوعا وهو كاره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وظلالهم بالغدو والآصال قال ذكر أن ظلال الاشياء كلها تسجد لله وقرأ سجدا لله وهم داخرون قال تتفيأ الظلال تسجد لله والآصال جمع أصل والاصل جمع أصيل والاصيل هو العشي وهو ما بين العصر الى مغرب الشمس قال أبو ذؤيب

لعمري لأنت البيت أكرم أهله * وأقعد في أفيائه بالأصائل

۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من رب السموات والارض ومدبرها فانهم سيقولون الله وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول الله فقال له قل يا محمد ربها الذي خلقها وأنشأها هو الذي لا تصلح العبادة الا له وهو الله ثم قال فاذا أجابوك بذلك فقل لهم أفاتخذتم من دون رب السموات والارض أولياء لا تملك لانفسها نفعا تجلبه الى نفسها ولا ضرا تدفعه عنها وهي اذا لم تملك ذلك لانفسها فمن ملكه لغيرها أبعد فعبدتموها وتركتم عبادة من بيده النفع والضر والحياة والموت وتدبير الاشياء كلها ثم ضرب لهم جل ثناؤه مثلا فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه

(١) الذي في الدر المنثور عن مجاهد يسجد كرها وهو كاره فليحرر كتبه مصححه

خلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا من دون الله الذى بيده نفعهم وضرهم مالا ينفع ولا يضر هل يستوى الاعمى الذى لا يبصر شيأ ولا يهتدى لمحجة يسلكها الا بأن يهدى والبصير الذى يهدى الاعمى لمحجة الطريق الذى لا يبصر انهما لا يشكل لغير مستويين يقول فكذلك لا يستوى المؤمن الذى يبصر الحق فيتبعه ويعرف الهدى فيسلكه وأنتم أيها المشركون الذين لا تعرفون حقا ولا تبصرون رشدا وقوله أم هل تستوى الظلمات والنور يقول تعالى ذكره وهل تستوى الظلمات التى لا ترى فيها لمحجة فتسلك ولا يرى فيها السبيل فيركب والنور الذى يبصر به الاشياء ويعلو ضوءه الظلام يقول ان هذين لا يشكل لغير مستويين فكذلك الكفر بالله انما صاحبه منه فى حيرة يضرب أبدا فى غمرة لا يرجع منه الى حقيقة والايمان بالله صاحبه منه فى ضياء يعمل على بصيرة ومعرفة منه بأن له مثيبا يثيبه على احسانه ومعاقبا يعاقبه على اساءته ورازقا يرزقه ونافعا ينفعه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أما الاعمى والبصير فالكافر والمؤمن وأما الظلمات والنور فالهدى والضلالة وقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين أخلق أوثانكم التى اتخذتموها أولياء من دون الله خلقا كخلق الله فاشتبه عليكم أمرها فيما خلقت وخلق الله فجعلتموها له شركاء من أجل ذلك أم انما بكم الجهل والذهاب عن الصواب فانه لا يشكل على ذى عقل أن عبادة ما لا يضر ولا ينفع من الفعل جهل وأن العبادة انما تصلح للذى يرجى نفعه ويخشى ضره كما أن ذلك غير مشكل على ذوى جهل فاعله كذلك لا يشكل جهل من أشرك فى عبادة من يرزقه ويكفله ويمونه من لا يقدر له على ضر ولا نفع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم خلقوا كخلقه فجعلهم ذلك على أن شكوا فى الاوثان حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم خلقوا كخلقه فجعلهم ذلك على أن شكوا فى الاوثان حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن كثير سمعت مجاهدا يقول أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ضربت مثلا وقوله قل الله خالق كل شئ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين اذا أقروا لك أن أوثانهم التى أشركوها فى عبادة الله لا تخلق شيأ فالله خالقكم وخالق أوثانكم وخلق كل شئ فما وجه اشراككم مالا تخلق ولا تضر ولا تنفع وهو الواحد القهار يقول وهو الفرد الذى لا ثانى له القهار الذى يستحق الالوهة

بتجلى صفات الاحياء واذا صار القلب مطمئنا انعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة أيضا فيستحق بجذبات العناية لخطاب ارجعى ثم أشار الى أن الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح فى أرض القلب فقال الذين آمنوا الآية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم وبتبعيته فى قلوب المؤمنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة أصلها فى دارى وفرعها على أهل الجنة فافهم ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق

مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب وكذلك

أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴿ القرآن آت متابي وعقابي وما بي بالياء في الحالين يعقوب والسرندبي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالادغام علي وهشام وصدوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الآخرون بالتشديد من التثبيت الكافرلمن على التوحيد أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير الباقون الكفار على الجمع ﴿ الوقوف بالرحمن ط الاهو ج لانقطاع النظم مع اتحاد القائل متاب ٥ الموتى ط لأن جواب لو محذوف أي لكان هذا القرآن جميعا ط في الموضعين وعد الله ط الميعاد ٥ أخذتهم ج للاستفهام مع الفاء عقاب ٥ عما كسبت ج لحق الخبر المحذوف التقدير كمن لا ينفع ولا يضر ولأن قوله وجعلوا يصلح استئنافا أو حالا باضمار قد شركاء ط سموهم ط لحق الاستفهام من القول ط عن السبيل ٥ هاد ٥ أشق ج لاتفاق الجملتين مع النفي في الثانية واق ٥ المتقون ٥ ط لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة وللوصل وجه يذكر في التفسير الانهار ط وظلها ط اتقوا ق قد قيل والوصل أجوز لان الجمع بين بيان الحالين أدل على الانتباه النار ٥ بعضه ط ولا أنثى ط مآب ٥ عربيا ط العلم لا لان ما بعده جواب واق ٥ وذرية ط باذن الله ط كتاب ٥ ويثبت ج والوصل أجوز

والعبادة لا الاصنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال ﴾ قال أبو جعفر وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل والايمان به والكفر يقول تعالى ذكره مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله ماء أنزله الله من السماء الى الأرض فسالت أودية بقدرها يقول فاحتملته الاودية على قلتها الكثير بكثرته والصغير بصغره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء زبدا عاليا فوق السيل فهذا أحد مثلي الحق والباطل فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل والمثل الآخر ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية يقول جل ثناؤه ومثل آخر للحق والباطل مثل فضة أو ذهب يوقد عليها النار في طلب حلية يتخذونها أو متاع وذلك من النحاس والرصاص والحديد يوقد عليه ليتخذ منه ما ينتفع به زبد مثله يقول تعالى ذكره ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله يعني مثل زبد السيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السيل ويذهب باطلا ورفع الزبد بقوله ومما يوقدون عليه في النار ومعنى الكلام ومما يوقدون عليه في النار زبد مثل زبد السيل في طوه زبده وبقاء خالص الذهب والفضة يقول الله تعالى كذلك يضرب الله الحق والباطل يقول كما أن الله الايمان والكفر في بطول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة كذلك يمثل الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء يقول فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها فيذهب بدفع الربد وقذف الماء به وتعلقه بالاشجار وجوانب الوادي وأما ما ينفع الناس من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس فالماء يمكث في الارض فتشربه والذهب والفضة تمكث للناس كذلك يضرب الله الامثال يقول كما مثل هذا المثل للايمان والكفر كذلك يمثل الأمثال * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فهذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الشك فلا ينفع معه العمل وأما اليقين فينفع الله به أهله وهو قوله فأما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول احتمل السيل ما في الوادي من عود ومنة ومما يوقدون عليه في النار فهو الذهب والفضة والحلية والمتاع والنحاس والحديد وللنحاس والحديد خبث فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة وأما ما ينفع الارض فما شربت من الماء فأنبتت فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله والعمل السيئ يضمحل عن أهله كما يذهب هذا الزبد فكذلك

الهدى والحق جاء من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقى كما يبقى ما ينفع الناس فى الارض وكذلك الحديد لا يستطاع أن تجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار فتأكل خبثه فيخرج جيده ينتفع به فكذلك يضمحل الباطل اذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الاعمال فيزيغ الباطل ويبهت وينتفع أهل الحق بالحق ثم قال ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله

حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية الى أو متاع زبد مثله فقال ابتغاء حلية الذهب والفضة أو متاع الصفر والحديد قال كما توقد على الذهب والفضة والصفر والحديد فخلص خالصه قال كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك بقاء الحق لاهله فانتفعوا به

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال ما أطاقت ملأها فاحتمل السيل زبدا رابيا قال انقضى الكلام ثم استقبل فقال ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال المتاع الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه زبد مثله قال خبث ذلك مثل زبد السيل قال وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وأما الزبد فيذهب جفاء قال فذلك مثل الحق والباطل

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد أنه سمعه يقول فذكر نحوه وزاد فيه قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله فأما الزبد فيذهب جفاء قال جودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى الماء وهما مثلان مثل الحق والباطل

حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله زبدا رابيا السيل مثل خبث الحديد والحلية فيذهب جفاء جودا فى الارض ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه وقوله فأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض انما هما مثلان للحق والباطل

حدثنى المثنى قال ثنا حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله فسالت أودية بقدرها قال علتها فاحتمل السيل زبدا رابيا قال الزبد (٣) السيل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال خبث الحديد والحلية فأما الزبد فيذهب جفاء قال جودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض قال الماء وهما مثلان للحق والباطل

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا أى عاليا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض هذه ثلاثة أمثال ضرب بها الله فى مثل واحد يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء فى الارض فأمرعت هذه الارض وأخرجت نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقى هذا الماء

(ثم) أى بعد ذلك (أنتم) يا (من) أى قوم (عمرو) أى عمرتم (والمشركون) ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون فأنزل الله الآية فعلى هاتين الروايتين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم أو اشراكهم روى أن أهل مكة قعدوا فى فناء الكعبة فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كأبى جهل وعبد الله

---

(٣) السيل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال خبث الحديد والحلية فأما الزبد فيذهب جفاء قال جودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض قال الماء وهما مثلان للحق والباطل

الهدى والحق جاء من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقى كما يبقى ما ينفع الناس فى الارض وكذلك الحديد لا يستطاع أن تجعل منه سكين ولا سيف حتى يدخل فى النار فتأكل خبثه فيخرج جيده ينتفع به فكذلك يضمحل الباطل اذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الاعمال فيزيغ الباطل ويبهت وينتفع أهل الحق بالحق ثم قال ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله

حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية الى أو متاع زبد مثله فقال ابتغاء حلية الذهب والفضة أو متاع الصفر والحديد قال كما توقد على الذهب والفضة والصفر والحديد فخلص خالصه قال كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك بقاء الحق لاهله فانتفعوا به

حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى قال ثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال ما أطاقت ملأها فاحتمل السيل زبدا رابيا قال انقضى الكلام ثم استقبل فقال ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال المتاع الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه زبد مثله قال خبث ذلك مثل زبد السيل قال وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وأما الزبد فيذهب جفاء قال فذلك مثل الحق والباطل

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد أنه سمعه يقول فذكر نحوه وزاد فيه قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله فأما الزبد فيذهب جفاء قال جودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض يعنى الماء وهما مثلان مثل الحق والباطل

حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله زبدا رابيا السيل مثل خبث الحديد والحلية فيذهب جفاء جودا فى الارض ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله الحديد والنحاس والرصاص وأشباهه وقوله فأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض انما هما مثلان للحق والباطل

حدثنى المثنى قال ثنا حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * قال و ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله فسالت أودية بقدرها قال علتها فاحتمل السيل زبدا رابيا قال الزبد (٣) السيل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال خبث الحديد والحلية فأما الزبد فيذهب جفاء قال جودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض قال الماء وهما مثلان للحق والباطل

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا أى عاليا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض هذه ثلاثة أمثال ضرب بها الله فى مثل واحد يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن أهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء فى الارض فأمرعت هذه الارض وأخرجت نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقى هذا الماء

---

(٣) السيل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال خبث الحديد والحلية فأما الزبد فيذهب جفاء قال جودا فى الارض وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض قال الماء وهما مثلان للحق والباطل

(ثم) أى بعد ذلك (أنتم) يا (من) أى قوم (عمرو) أى عمرتم (والمشركون) ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون فأنزل الله الآية فعلى هاتين الروايتين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم أو اشراكهم روى أن أهل مكة قعدوا فى فناء الكعبة فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كأبى جهل وعبد الله

ل به مقصود الكلام الكتاب ٥ الحساب ٥ أطرافها ط لحكمه ط الحساب ٥ جميعا ط كل نفس ط الدار ٥ مرسلا ط
نكم ط للعطف الكتاب ٥ ﴿ التفسير عن ابن عباس والحسن (أرسلناك) كما أرسلنا الانبياء قبلك (فى أمة قد خلت من قبلها أمم)
ل آخرون معنى التشبيه كما أرسلنا الى أمم وآتيناهم كتبا تتلى عليهم كذلك آتيناك هذا الكتاب وأنت تتلوه

علمهم فلم اقترحوا غيره وقال فى الكشاف معناه مثل ذلك الارسال أرسلناك يعنى أرسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف أرسله فقال فى أمة قد خلت من قبلها أمم كثيرة فهى آخر الامم وأنت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال (لتتلو) أى لتقرأ (عليهم) الكتاب العظيم (الذى أوحينا اليك وهم يكفرون) وحال هؤلاء أنهم يكفرون (بالرحمن) للمفسرين خلاف فى تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله المراد كفرهم بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شئ وما بهم من نعمة فمنه فكفر وا بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وانزال مثل هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس فى رواية الضحاك نزلت فى كفار قريش حين قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم (قل) لهم ان الرحمن الذى أنكرتم معرفته (هو ربى لا اله الا هو) الواحد القهار المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتى عليكم (واليه متاب) رجوعى فيثيبنى على مصابرتكم وقيل نزلت فى صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى عليه السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل

ابن أمية المخزومي سيرلنا جبال مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها أنهارا نزرع فيها وأحي لنا بعض أمواتنا نسألهم أحق ما تقول أم باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى أو سخر لنا الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست بأهون على ربك منه فنزل قوله (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) عن مقارها وأزيلت عن مراكزها (أو قطعت به الارض) أي وقع به السير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) بعد احيائهم به لكان هذا القرآن قال الراوي لما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفرتم يعذبكم عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى أي تنبيههم لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقال في الكشاف هذه الآية لبيان تعظيم شأن القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء أن الآية تتعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وبدليل هذا الكلام وهو قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال رد اعليهم (بل لله الامر جميعا) قال أهل السنة يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لأحد عليه وقالت المعتزلة له القدرة على الآيات التي اقترحوها الا أن علمه بأن اظهارها مفسدة يصرفه أوله أن يلجئهم الى الايمان الا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار قالوا ويعضده قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله) مشيئة الالجاء (لهدى الناس جميعا) أولو يشاء لهداهم الى الجنة أو المراد نفي العموم لا عموم النفي ونظائره ماشاء هداية الاطفال والمجانين أجاب أهل السنة بأن كل هذا خلاف الظاهر ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم وهذه لغة قوم من النخع وقال تقول

في الارض فأخرج الله به ما أخرج من النبات قوله ومما توقدون عليه في النار الآية كما يبقى خالص الذهب والفضة حين أدخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله قوله أو متاع زبد مثله يقول هذا الحديد والصفر الذي ينتفع به فيه منافع يقول كما يبقى خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين أدخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي خالصهما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسالت أودية بقدرها الكبير بقدره والصغير بقدره زبدا رابيا قال ربا فوق الماء الزبد ومما توقدون عليه في النار قال هو الذهب اذا أدخل النار بقي صفوه ونفي ما كان من كدره وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء يتعلق بالتيمر فلا يكون شيأ هذا مثل الباطل وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهذا يخرج النبات وهو مثل الحق أو متاع زبد مثله قال المتاع الصفر والحديد حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف قال بلغني في قوله أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال انما هو مثل ضربه الله للحق والباطل فسالت أودية بقدرها الصغير على قدره والكبير على قدره وما بينهما على قدره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول عظيما وحيث استقر الماء يذهب الزبد جفاء فتطيره الريح فلا يكون شيأ ويبقى صريح الماء الذي ينفع الناس منه شرابهم ونباتهم ومنفعتهم أو متاع زبد مثله ومثل الزبد كل شئ يوقد عليه في النار الذهب والفضة والنحاس والحديد فيذهب خبثه ويبقى ما ينفع في أيديهم والخبث والزبد مثل الباطل والذي ينفع الناس مما تحصل في أيديهم مما ينفعهم المال الذي في أيديهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله قال هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فقرأ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا هذا الزبد لا ينفع أو متاع زبد مثله هذا لا ينفع أيضا قال وبقي الماء في الارض فنفع الناس وبقي الحلي الذي صلح من هذا فانتفع الناس به فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال وقال هذا مثل ضربه الله للحق والباطل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أودية بقدرها قال الصغير بصغره والكبير بكبره حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء ضرب الله مثلا للحق والباطل فضرب مثل الحق كمثل السيل الذي يمكث في الارض وضرب مثل الباطل كمثل الزبد الذي لا ينفع الناس ومعنى بقوله رابيا عاليا منتفخا من قولهم ربا الشئ يربو ربوا فهو راب ومنه قيل للمنشز من الارض كهيئة الاكمة رابية ومنه قول الله تعالى اهتزت وربت وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع المتاع لانه يستمتع به وكل ما يتمتع به الناس فهو متاع كما قال الشاعر

تمتع يامشعث ان شيأ * سبقت به الممات هو المتاع

وأما الجفاء فانى حدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال قال أبو عمرو بن العلاء يقال قد أجفأ القدر وذلك اذا غلت فانصب زبدها أو سكنت فلا يبقى منه شئ وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله فيذهب جفاء تنشفه الارض وقال يقال جفا الوادي وأجفى (١) في معنى نشف وانجفى الوادي اذا جاء بذلك الغثاء وغثى الوادي فهو يغثى غثيا وغثيانا وذكر عن العرب أنها

(١) ليس هذا التصريف بهذا المعنى فيما بأيدينا من كتب اللغة فحرر كتبه مصححه

قول جفأت القدر أجفؤها اذا أخرجت جفاءها وهو الزبد الذى يعلوها وأجفأتها اجفاء لغة قال
ولو اجفأت الرجل جفأ صرعته وقيل فيذهب جفاء بمعنى جفأ لانه مصدر من قول القائل جفأ
ولدى غثاءة فخرج مخرج الاسم وهو مصدر كذلك تفعل العرب فى مصدر كل ما كان من فعل شئ
جمع بعضه الى بعض كالقماش والدقاق والحطام والغثاء تخرجه على مذهب الاسم كما فعلت ذلك
فى قولهم أعطيته عطاء بمعنى الاعطاء ولو أريد من القماش المصدر على الصحة لقيل قد قششته قشا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم
ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾
يقول تعالى ذكره أما الذين استجابوا لله فآمنوا به حين دعاهم الى الايمان به وأطاعوه فاتبعوا رسوله
وصدقوه فيما جاءهم به من عند الله فان لهم الحسنى وهى الجنة كذلك حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين استجابوا لربهم الحسنى وهى الجنة وقوله والذين لم
يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به يقول تعالى ذكره وأما الذين لم
يستجيبوا له حين دعاهم الى توحيده والاقرار بربوبيته ولم يطيعوه فيما أمرهم به ولم يتبعوا
رسوله فيصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم فلو أن لهم ما فى الارض جميعا من شئ ومثله معه
لكانهم ثم مثل ذلك منهم بدلا من العذاب الذى أعده الله لهم فى نار جهنم وعوضا لافتدوا
به أنفسهم منه يقول الله أولئك لهم سوء الحساب يقول هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب
يقول لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها فلا يغفر لهم منها شيأ ولكن يعذبهم على جميعها
كما حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا عون عن فرقد السبخى قال
قال لشهر بن حوشب سوء الحساب أن لا يتجاوز لهم عن شئ حدثنى يعقوب قال ثنا
ابن علية قال ثنى الحجاج بن أبى عثمان قال ثنى فرقد السبخى قال قال ابراهيم النخعى
لم أدر فما أدرى ما سوء الحساب قلت لا قال هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شئ وقوله
ومأواهم جهنم يقول ومسكنهم الذى يسكنونه يوم القيامة جهنم وبئس المهاد يقول وبئس
الفراش والوطاء جهنم التى هى مأواهم يوم القيامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفمن
يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ يقول تعالى ذكره
أفمن الذى يعلم أن الذى أنزله الله عليك يا محمد حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه كالذى هو
أعمى فلا يعرف موقع حجة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه وبنحو الذى قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد
عن قتادة فى قوله أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق قال هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب
الله وعقلوه ووعوه قال الله كمن هو أعمى قال عن الخير فلا يبصره وقوله انما يتذكر أولوا الالباب
يقول انما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذو والعقول وهى الالباب واحدها لب ﴿ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ يقول تعالى ذكره انما يتعظ ويعتبر بآيات الله
أولو الالباب الذين يوفون بوصية الله التى أوصاهم بها ولا ينقضون الميثاق ولا يخالفون العهد

قال فى الكشاف هذه والله فرية
ما فيها مرية وجوز أن يتعلق أن
لو يشاء بآمنوا معناه أفلم يقنط
من ايمان هؤلاء الكفرة الذين
آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا ثم أوعد الكافرين بقوله (ولا
يزال الذين كفروا) يعنى عامة
الكفار (تصيبهم بما صنعوا) من
كفرهم وسوء أعمالهم (قارعة)
داهية تقرعهم من السبى والقتل
(أو تحل) القارعة (قريبا من
دارهم) فيتطاير اليهم شررها (حتى
يأتى وعد الله) وهو اسلامهم أو
موتهم أو القيامة وقيل خاصة فى
أهل مكة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يزال يبعث السرايا
حول مكة فتغير عليهم وتختطف
منهم وعلى هذا احتمل أن يكون
قوله أو تحل خطابا أى تحل أنت
يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما
فى يوم الحديبية حتى يأتى وعد الله
وهو فتح مكة وكان قد وعده الله
الفتح عموما وخصوصا وكان كما
وعد وكان معجزا (ان الله لا يخلف
الميعاد) قدم البحث فى أول سورة
آل عمران ثم ازداد فى الوعيد فقال
(ولقد استهزئ) الآية والاملاء
الامهال وقدم هنالك والاستفهام
فى قوله (فكيف كان عقاب) للتقرير
والتهديد ثم أورد على المشركين
ما يجرى مجرى الحجاج والتوبيخ
والتعجب من عقولهم فقال (أفمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت)

معنى القائم الحفيظ والرقيب أى الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك وجوز فى الكشاف أن يقدر الخبر بحيث
يكون عطف وجعلوا عليه التقدير أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر
السيد صاحب حل العقد أنه يجوز أن يجعل الواو فى قوله (وجعلوا لله) للحال ويضمر للمبتدا خبر يكون المبتدا مع جملة مقررة لانكار

ما يقارنها من الحال والتقدير أفمن هو قائم على كل نفس موجود والحال أنهم جعلوا له (شركاء) فأقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا قبل للالهية وتصريحا بها وانه هو الذى يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطى الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلى ثم زاد فى الحال فقال (قل سموهم) أى جعلتم له شركاء فسموهم له من هم وأنبئوه بأسمائهم وانما يقال ذلك فى الشئ المستحق الذى لا يستحق أن يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت يعنى أنه أخس من أن يسمى ويذكر ولكنك ان شئت أن تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالآلهة على سبيل التهديد قال فى الكشاف أم فى قوله (أم تنبئونه) منقطعة كقولك للرجل قل لى من زيد أم هو أقل من أن يعرف أقول وذلك لانه لا شئ محض اذ لو كان الشريك موجودا وهو أرضى لتعلق به علم العالم بالذات المحيط بجميع السفليات ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم وقدم فى أول يونس ثم أكد هذا المعنى بقوله (أم بظاهر من القول) أى بل أتسمونهم شركاء بظاهر من الكلام من غير أن يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها وهذا الاحتجاج من أعاجيب الاساليب التى اختص بها القرآن الكريم المعجز فلله در شأن التنزيل ثم بين سوء طريقتهم فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال الواحدى معنى بل ههنا كما يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه انه كذا وكذا والكلام فى أن المزين هو الله تعالى أو غيره قدم فى أول سورة آل عمران وكذا البحث فيمن قرأ (وصدوا) بضم الصاد وأما من قرأ بالفتح فيحتمل أن يكون لازما أى أعرضوا عنه ويحتمل أن يكون متعديا أى صرفوا غيرهم والخلاف فى قوله (ومن يضلل الله) تقدم فى مواضع منها آخر الاعراف ثم عاد الى الايعاد فقال (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) من القتل والقتال واللعن والذم والامراض والمصائب وانما قدم تصيب المؤمنين أيضا ولانها مأمور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك (ولعذاب الآخرة أشق) لانه أشد وأدوم (ومالهم من الله) أى من عذابه (من واق) من حافظ أو مالهم من جهة الله واق أى دافع ومانع من ذلك

الذى عاهدوا الله عليه الى خلافه فيعملوا بغير ما أمرهم به ويخالفوا الى ما نهى عنه وقد بينا معنى العهد والميثاق فيما مضى بشواهده فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشيم عن عمرو عن سعيد عن قتادة قال انما يتذكر أولوا الالباب فبين من هم فقال الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فعليكم بوفاء العهد ولا تنقضوا هذا الميثاق فان الله تعالى قد نهى وقدم فيه أشد التقدمة فذكره فى بضع وعشرين موضعا نصيحة لكم وتقدمة اليكم وحجة عليكم وانما يعقل الامر بما عظمه الله به عند أهل الفهم والعقل فعظموا ما عظم الله قال قتادة وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته لا أمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقوله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل يقول تعالى ذكره والذين يصلون الرحم التى أمرهم الله بوصلها ولا يقطعونها ويخشون ربهم يقول ويخافون الله فى قطعها أن يقطعوها فيعاقبهم على قطعها ويخافون خلافهم أمره فيها وقوله ويخافون سوء الحساب يقول ويحذرون مناقشة الله اياهم فى الحساب ثم لا يصفح لهم عن ذنب فهم لرهبتهم ذلك جادون فى طاعته محافظون على حدوده كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء الحفنى فى قوله الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب قال المناقشة بالاعمال * قال ثنا عفان قال ثنا حماد عن فرقد عن ابراهيم قال سوء الحساب أن يحاسب من لا يغفر له حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويخافون سوء الحساب قال فقال وما سوء الحساب قال الذى لا جواز فيه حدثنى ابن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن الحجاج عن فرقد قال قال لى ابراهيم تدرى ما سوء الحساب قلت لا أدرى قال يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر له منه شئ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾ يقول تعالى ذكره والذين صبروا على الوفاء بعهد الله وترك نقض الميثاق وصلة الرحم ابتغاء وجه ربهم ويعنى بقوله ابتغاء وجه ربهم طلب تعظيم الله وتنزيهه أن يخالف فى أمر أو يأتى أمرا كرهه اتيانه فيعصيه به وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها فى أوقاتها وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يقول وأدوا من أموالهم زكاتها المفروضة وأنفقوا منها فى السبل التى أمرهم الله بالنفقة فيها سرا فى خفاء وعلانية فى الظاهر كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأقاموا الصلاة يعنى الصلوات الخمس وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يقول الزكاة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الصبر الاقامة قال وقال الصبر فى هاتين فصبر لله على ما أحب وان ثقل على الانفس والأبدان وصبر عما يكره وان نازعت اليه الاهواء فمن كان هكذا فهو من الصابرين وقرأ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة يقول ويدفعون اساءة من أساء اليهم من الناس بالاحسان اليهم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويدرؤن بالحسنة

السيئة قال يدفعون الشر بالخير لا يكافؤن الشر بالشر ولكن يدفعونه بالخير وقوله أولئك لهم عقبى الدار يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم هم الذين لهم عقبى الدار يقول هم الذين أعقبهم الله دار الجنان من دارهم التى لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم فى النار فأعقبهم الله من تلك هذه وقد قيل معنى ذلك أولئك الذين لهم عقيب طاعتهم ربهم فى الدنيا دار الجنان ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ يقول جنات عدن ترجمة عن عقبى الدار كما يقال نعم الرجل عبد الله فعبد الله هو الرجل المقول له نعم الرجل وتأويل الكلام أولئك لهم عقيب طاعتهم ربهم الدار التى هى جنات عدن وقد بينا معنى قوله عدن وأنه بمعنى الاقامة التى لا ظعن معها وقوله ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يقول تعالى ذكره جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم وهم الذين يوفون بعهد الله والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وفعلوا الأفعال التى ذكرها جل ثناؤه فى هذه الآيات الثلاث ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وهى نساؤهم وأهلوهم وذرياتهم وصلاحهم ايمانهم بالله واتباعهم أمره وأمر رسوله عليه السلام كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومن صلح من آبائهم قال من آمن فى الدنيا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد * وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومن صلح من آبائهم قال من آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم يقول تعالى ذكره وتدخل الملائكة على هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هذه الآيات الثلاث فى جنات عدن من كل باب منها يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على طاعة ربكم فى الدنيا فنعم عقبى الدار وذكر أن لجنات عدن خمسة آلاف باب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا على بن جرير قال ثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فى قوله جنات عدن قال مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعدد الجنات حولها وحذف من قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم يقولون اكتفاء بدلالة الكلام عليه كما حذف ذلك من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن بقية بن الوليد قال ثنى أرطاة بن المنذر قال سمعت رجلا من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج يقول جلست الى أبى أمامة فقال ان المؤمن ليكون متكئا على أريكته اذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم

بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمه ثم عقب الوعيد بالوعد فقال (مثل الجنة) وتقديره عند سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجرى كما تقول صفة زيد أسمر وقال الزجاج انه تمثيل للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله أكلها دائم كأنه قال مثل الجنة (التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار) كما تعلمون من حال جناتكم الا أن هذه (أكلها دائم) كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها) دائم أيضا والمراد أنه لا حر هناك ولا برد ولا شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث فى سورة النساء فى قوله وندخلهم ظلا ظليلا قيل فى الآية دلالة على أن حركات الجنة لا تنتهى الى سكون دائم كما يقوله أبو الهذيل وأتباعه قال القاضى وفيها دليل على أن الجنة لم تخلق بعد والا انقطع أكلها لقوله تعالى كل من عليها فان كل شئ هالك الا وجهه قال ولم ننكر أن تحصل الآن فى السموات جنات تتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الا أن جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة وأجيب بأنا نخصص عموم كل شئ هالك بالدليل الدال على أن الجنة مخلوقة وهو قوله أعدت للمتقين ثم ذكر عقائد الفرق فى شأن القرآن المتلو فقال (والذين آتيناهم الكتاب) قيل أراد بالكتاب القرآن يعنى أن المسلمين (يفرحون بما أنزل اليك) من الشرائع والعلوم (ومن الاحزاب) الجماعات من اليهود والنصارى وغيرهم (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما أنكروا ما يختص به الاسلام من نعت الرسول وغيره قاله الحسن وقتادة واعترض عليه بأن أهل الاسلام فرحهم بنزول القرآن معلوم فلا فائدة فى ذكره ويمكن أن يقال المراد زيادة الفرح والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد وأنهم يتلقون نزول الوحى بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التوراة والانجيل والمراد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن فرحوا بالقرآن لانهم آمنوا به وصدقوه والاحزاب بقية أهل الكتاب والمشركون

قاله ابن عباس وقال مجاهد أراد أن اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما أنزل اليك لانه مصدق لما معهم ومن سائر الكفر من بعضه واعترض بأنهم كلهم لا يفرحون بكل ما أنزل الى رسولنا وقوله بما أنزل يفيد العموم وأجيب بالمنع من أن ما يفيد العموم لصحة الاستثناء ولصحة ادخال كل عليه ولا تكرير وادخال بعض ولا نقص ثم لما بين عقائد الفرق أمر نبيه بأن يصرح بطريقته

(قل انما أمرت أن أعبد الله) ما أمرت الا بعبادته وعدم الاشراك به ويندرج فيه جميع وظائف العبودية ثم ذكر أنه مع كماله مكمل فقال (اليه أدعو) خصه بالدعاء الى عبوديته دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال (واليه مآب) لا مرجع لى الا اليه ومن تأمل فى هذه الالفاظ عرف أنها مع قلتها مشتملة على حاصل علوم المبدا والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن وأوعد على الاعراض عن اتباعه فقال (وكذلك أنزلناه) الضمير يعود الى ما فى قوله بما أنزل اليك أو الى القرآن فى قوله ولو أن قرآنا ووجه التشبيه كما أنزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك أنزلنا اليك هذا القرآن وقال فى الكشاف معناه ومثل ذلك الانزال أنزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء (حكما عربيا) نصب على الحال أى حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمى حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به أو لانه اشتمل على أصول الاحكام والشرائع فجعل نفس الحكم للمبالغة روى أن الكفار كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمور ليوافقهم فيها منها أن يصلى الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فأوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد أمته وقد مر الوجوه فى مثله فى أوائل سورة البقرة قال الكلبى عيرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى (ولقد أرسلنا الآية وفيه أن الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص من قبل الزواج والولاد فقد كان لسليمان ثلثمائة امرأة مسكوحة وسبعمائة

وعند طرف السماطين سور فيقبل الملك يستأذن فيقول للذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى يليه ملك يستأذن ويقول الذى يليه للذى يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا فيفتح أقربهم الى المؤمن ائذنوا ويقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا فكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذى على الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابراهيم بن محمد عن سهل بن أبى صالح عن محمد بن ابراهيم قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وأبو بكر وعمر وعثمان وأما قوله سلام عليكم بما صبرتم فان أهل التأويل قالوا فى ذلك نحو قولنا فيه ذكر من ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر بن سليمن عن أبى عمران الجونى أنه تلا هذه الآية سلام عليكم بما صبرتم قال على دينكم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سلام عليكم بما صبرتم قال حين صبر والله بما يحبه الله فقد موعود وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا حتى بلغ وكان سعيكم مشكورا وصبروا عما كره الله وحرم عليهم وصبروا على ما ثقل عليهم وأحبه الله فسلم عليهم بذلك وقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وأما قوله فنعم عقبى الدار فان معناه ان شاء الله كما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر عن أبى عمران الجونى فى قولهم فنعم عقبى الدار قال الجنة من النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين ينقضون عهد الله ونقضهم ذلك خلافهم أمر الله وعصيته من بعد ميثاقه يقول من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله أن يعملوا بما عهد اليهم ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يقول ويقطعون الرحم التى أمرهم الله بوصلها ويفسدون فى الارض فسادهم فيها عملهم فيها بمعاصى الله أولئك لهم اللعنة يقول فهؤلاء لهم اللعنة وهى البعد من رحمته والاقصاء من جنانه ولهم سوء الدار يقول ولهم ما يسوءهم فى الدار الآخرة **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الاشراك بالله لأن الله يقول ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله تعالى يقول أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار يعنى سوء العاقبة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل قال بلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا لم تمش الى ذى رحمك برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبى عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا أهم الحرورية قال لا ولكن الحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار فكان سعد يسميهم الفاسقين **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت مصعب بن سعد قال كنت أمسك على سعد المصحف فأتى على هذه الآية ثم ذكر نحو حديث محمد بن جعفر ۞ القول

في تأويل قوله تعالى ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع ﴾ يقول تعالى ذكره الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه فيبسط له منه وان منهم من لا يصلحه الا ذلك ويقدر يقول ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه فيضيقه عليه لانه لا يصلحه الا الاقتار وفرحوا بالحياة الدنيا يقول تعالى ذكره وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم اياه بما بسط لهم فيها وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والايمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم ثم أخبر جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما يلي الايمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته فقال وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع يقول جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة الا متاع قليل وشئ حقير ذاهب كما حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الا متاع قال قليل ذاهب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد * قال وثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع قال قليل ذاهب حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن بكير بن الأخنس عن عبد الرحمن بن سابط في قوله وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع قال كزاد الراعي يزوده أهله الكف من التمر أو الشئ من الدقيق أو الشئ يشربه عليه اللبن ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من أناب ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول لك يا محمد مشركو قومك هلا أنزل عليك آية من ربك مثل ما يكون معك نذيرا أو يلقى اليك كنز فقل ان الله يضل منكم من يشاء أيها القوم فيخذله عن تصديقي والايمان بما جئته به من عند ربي ويهدي اليه من أناب فرجع الى التوبة من كفره والايمان به فيوفقه لاتباعي وتصديقي على ما جئته به من عند ربه وليس ضلال من يضل منكم بما لم ينزل علي آية من ربي ولا هداية من يهتدي منكم بأنها أنزلت علي وانما ذلك بيد الله يوفق من يشاء منكم للايمان ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن وقد بينت معنى الانابة في غير موضع من كتابنا فاغنى بما أعدته في هذا الموضع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويهدي اليه من أناب أي من تاب وأقبل ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾ يقول تعالى ذكره ويهدي اليه من أناب بالتوبة الذين آمنوا والذين آمنوا في موضع نصب رد على من لأن الذين آمنوا هم من أناب ترجم بها عنها وقوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله يقول وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله يقول سكنت الى ذكر الله واستأنست به وقوله ألا بذكر الله تطمئن القلوب يقول ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين وقيل انه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن

ويستبطؤن موعده فأجيبوا بقوله (لكل أجل كتاب) أي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتأخر ذلك الحكم والحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا على القلب أي لكل مكتوب وقت معين والتحقيق أنه لا حاجة الى ارتكاب القلب لان المعية تقتضي التلازم وكانوا ينكرون النسخ في الشرائع وفي التكاليف فنزل (يمحو الله ما يشاء ويثبت) أي يثبته فاستغنى بالصريح عن الكناية والمحو ذهاب أثر الكتابة ونحوها وفي الآية قولان الاول أنها عامة وأنه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذاهبون اليه كانوا يدعون ويتضرعون الى الله في أن يجعلهم سعداء ان كانوا أشقياء وهذا لا ينافي قوله جف القلم لان المحو والاثبات أيضا من جملة ما قضي به الثاني أنها خاصة في بعض الاشياء فقيل أراد نسخ حكم واثبات آخر مكانه وقد مر تمام البحث في النسخ في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتب كل قول وفعل ويثبت غيره واعترض الاصم عليه بأنه ينافي قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة

ولا كبيرة الا أحصاها وأجاب القاضي بأن المراد صغائر الذنوب كثيرها ورد بأن هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوي أعم فيتناول المباحات أيضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في أول السنة أحكام تلك السنة فاذا مضت السنة محيت

ويثبت كتاب آخر للمستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس أو الآية يمحو الدنيا ويثبت خرة أما قوله (وعنده أم الكتاب) أي أم
فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ وأثبت فيه أحوال جميع الخلق الى يوم القيا
فعلى هذا عند الله كتابان أحدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي تكتبه الملائكة على الخلق
محل المحو والاثبات روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه في ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغيير المتزمنات وتبدلها وقدم تحقيقه في مواضع ولما بين كيفية انطباق الحوادث على أوقاتها قال (وامانرينك) يعني كيفما دارت الحال أرينالك مصارعهم وما وعدناهم من العذاب أو نتوفينالك قبل ذلك فليس يجب عليك الا التبليغ وما حسابهم وما جزاؤهم الا علينا والبلاغ بمعنى التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر أن آثار حصول تلك المواعيد وأماراتها قد ظهرت وقربت وأن تباشير الظفر قد طلعت ولاحت فقال (أولم يروا أنا نأتي الارض) يعني اتيان القهر والغلبة بدليل (ننقصها من أطرافها) والارض أرض مكة كان المسلمون ينالون من أهاليها ونواحيها في البعوث والسرايا والجيوش والآن صارت الارض أعم وأشمل ولله الحمد على اعلاء شأن المسلمين زاده الله علوا فلا يزال ينقص شيء من ديار الكفر ويزيد في بلاد الاسلام ونقل عن ابن عباس أن المراد بنقص أطراف الارض موت أشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال

مجاهد قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب لمحمد وأصحابه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة
قال ثنا شبل (١) وحدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل وحدثني المثنى
قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ألا بذكر الله تطمئن
القلوب قال لمحمد وأصحابه * قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا سفيان بن
عيينة في قوله وتطمئن قلوبهم بذكر الله قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقوله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات الصالحات من الاعمال وذلك العمل بما أمرهم ربهم طوبى لهم وطوبى في موضع ربى
بلهم وكان بعض أهل البصرة والكوفة يقول ذلك رفع كما يقال في الكلام ويل لعمرو وانما أتى
الرفع في طوبى لحسن الاضافة فيه بغير لام وذلك أنه يقال فيه طوبا لك كما يقال ويلك وويبلك ولو
حسن الاضافة فيه بغير لام لكان النصب فيه أحسن وأفصح كما النصب في قولهم تعسا لزيد وبعدا
وسحقا أحسن اذ كانت الاضافة فيها بغير لام لا تحسن وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله
طوبى لهم فقال بعضهم معناه نعم مالهم ذكر من قال ذلك حدثني جعفر بن محمد البوري
من أهل الكوفة قال ثنا أبو زكريا الكلبي عن عمرو بن نافع قال سئل عكرمة عن طوبى لهم
قال نعم مالهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو بن نافع عن عكرمة
في قوله طوبى لهم قال نعم مالهم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثني عمرو
نافع قال سمعت عكرمة في قوله طوبى لهم قال نعم مالهم * وقال آخرون معناه غبطة لهم ذكر من
قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك طوبى لهم قال
غبطة لهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن
الضحاك مثله * قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله * وقال
آخرون معناه فرح وقرة عين ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود والمثنى بن ابراهيم قالا
ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله طوبى لهم يقول فرح وقرة عين
* وقال آخرون معناه حسنى لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله طوبى لهم يقول حسنى لهم وهي كلمة من كلام العرب حدثنا محمد بن
عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة طوبى لهم هذه كلمة عربية يقول الرجل طوبى
لك أي أصبت خيرا * وقال آخرون معناه خير لهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا
ابن يمان قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال خير لهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير
عن منصور عن ابراهيم في قوله طوبى لهم قال الخير والكرامة التي أعطاهم الله * وقال آخرون
طوبى لهم اسم من أسماء الجنة ومعنى الكلام الجنة لهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس طوبى لهم قال اسم
الجنة بالحبشية حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس طوبى لهم قال اسم أرض الجنة بالحبشية حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب
عن جعفر عن سعيد بن مشجوع في قوله طوبى لهم قال طوبى اسم الجنة بالهندية حدثنا

(١) كذا في النسخ بهذا التكرار فانظره

الحسن الواحدي الأليق بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بأنه أراد أنهم اذا شاهدوا هذه التغيرات
فالذي يؤمنهم أن يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم أذلة مغلوبين بعد أن كانوا أعزة غالبين ثم أكد هذا المعنى بقوله (والله يحكم) و
(لا معقب لحكمه) نصب على الحال والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وذلك أنه يعقبه بالرد والابطال فكأنه قيل والله يحكم نافذ احك

(وهو سريع الحساب) عن ابن عباس هو سريع الانتقام فيعاقبهم فى الدنيا ثم فى الآخرة ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (وقد مكر الذين من قبلهم) برسلهم كنمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى (فلله المكر جميعا) قال الواحدى لان مكر جميع الماكرين مخلوقه وارادته ولانه لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقالت المعتزلة انه جعل مكرهم كلا مكرا بالاضافة الى مكره وقيل أراد فلله جزاء مكر الماكرين قال الواحدى والقول الاول أظهر بدليل قوله (يعلم ما تكسب كل نفس) يريد أن أكسابها باسرها معلومة لله تعالى وخلاف معلومه ممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه وناقضت المعتزلة بأنه أثبت لكل نفس كسبا فدل على أنه مقدور العبد وأجيب بأن المقتضى للفعل عندنا هو مجموع القدرة والداعى وهذا معنى قولهم الكسب حاصل للعبد ثم ختم الآية بوعيد آخر اجمالى فقال (وسيعلم الكفار) من قرأ على الجمع فظاهر ومن قرأ على الوحدة فالمراد الجنس وعن ابن عباس أن المراد أبو جهل وعن عطاء أراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب القاطع فقال (ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا) والمراد من هذه الشهادة أنه أظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة أعلى من هذه لأن الشهادة القولية مثالا تفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بصحة نبوته ثم عطف على اسم الله قوله (ومن عنده علم الكتاب) أى الذى حصل عنده علم القرآن وفهم معانيه واشتماله على دلائل الاعجاز من النظم الانيق والاسلوب العجيب الفائت لقوى البشر فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بأنه معجز قاهر وأن الذى ظهر هذا المعجز

الحسن بن محمد قال ثنا داود بن مهران قال ثنا يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن مشجوع قال اسم الجنة بالهندية طوبى **حدثنا** أبو هشام قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن السدى عن عكرمة طوبى لهم قال الجنة * قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله طوبى لهم قال الجنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب قال لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب وذلك حين أعجبته **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد طوبى لهم قال الجنة * وقال آخرون طوبى لهم شجرة فى الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن موسى بن سالم قال قال ابن عباس طوبى لهم شجرة فى الجنة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الاشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة طوبى لهم شجرة فى الجنة يقول لها تفتق لعبدى عما شاء فتنفتق له عن الخيل بسروجها ولجمها وعن الابل بأزمتها وعما شاء من الكسوة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن شهر بن حوشب قال طوبى شجرة فى الجنة كل شجر الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن الاشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبى هريرة قال فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقى فذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى عن ابن ثور **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عبد الجبار قال ثنا مروان قال أخبرنا العلاء عن شمر بن عطية فى قوله طوبى لهم قال هى شجرة فى الجنة يقال لها طوبى **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن حسان أبى الاشرس عن مغيث بن سمى قال طوبى شجرة فى الجنة ليس فى الجنة دار الا فيها غصن منها فيجىء الطائر فيقع بين يدى ولى فيأكل من أحد جنبيه قديدا ومن الآخر شواء ثم يقول طر فيطير * قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن بعض أهل الشام قال ان ربك أخذ لؤلؤة فوضعها على راحته ثم دملجها بين كفيه ثم غرسها وسط أهل الجنة ثم قال لها امتدى حتى تبلغى مرضاتى ففعلت فلما استوت تفجرت من أصولها أنهار الجنة وهى طوبى **حدثنا** الفضل بن الصباح قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم الصنعانى قال ثنى عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا يقول ان فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها زهر رياط وورقها بر ودوقضبانها عنبر وطحاؤها ياقوت وترابها كافور وحلها مسك يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل وهى مجلس لأهل الجنة فبينا هم فى مجلسهم اذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون نجبا مزمومة بسلاسل من ذهب وجوهها كالمصابيح من حسنها وبرها كخز المرعزى من لينه عليها رحال ألواحها من ياقوت ودفوفها من ذهب وثيابها من سندس واستبرق فينيخونها ويقولون ان ربنا أرسلنا اليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال فيركبونها قال فهى أسرع من الطائر وأوطأ من الفراش نجبا من غير

عليه نبى حق ورسول صدق وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج أن الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما فى اللوح المحفوظ الا هو يعنى الله جل وعلا شهيدا ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بأن عطف الصفة على الموصوف بعيد لا يقال شهد بهذا زيد والفقيه وانما يقال زيد الفقيه وقيل المراد شهادة أهل

الكتاب من الذين آمنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض بان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على أمثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز وقال الزجاج الاشبه أن الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله وعن سعيد بن جبير أن السورة مكية وابن سلام وأصحابه آمنوا بالمدينة بعد الهجرة والله أعلم بمراده ۞ التأويل وهم يكفرون بالرحمن يعني أن الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما أن صفة القهارية كانت مقتضية للوحدة بأن لا يكون معه شئ ولا نعمة أجل من بعث الرسل ففيه صلاح حال الدارين لهم فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا ولذلك أمر بأن يقول في الجواب هو ربي الذي رباني لا اله الا هو لا يستحق العبادة الا هو ولا أفوض أمري الا اليه واليه مرجعي كما كان منه مبدئي سيرت به جبال النفوس أو قطعت به أرض البشرية أو كلم به القلوب الميتة بتلاوته عليهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم في أنواع المعاملات التي تصدر عنهم موجبة للشقاوة أو تحل قريبا من دارهم قالبهم بأن تصدر تلك المعاملة ممن يصحبهم

* عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *

حتى يأتي وعد الله يدرك الشقاء الازلي ومن أمارات الشقاوة الاستهزاء بالانبياء والاولياء ثم أخذتهم أي أمسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة لهم عذاب في الحياة الدنيا بالبعد والحجاب وعبودية النفس والهوى ولعذاب الآخرة بأنواع الحسرات والشعور بالهيئات والملكات الموجبة للدركات أكلها دائم هي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها أي انهم في ظل معاملاتهم وأحوالهم التابعة لشمس وجودهم على الدوام والذين آتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا أسرار القرآن ومن الاحزاب النفس والهوى والقوى من ينكر بعضها

مهنة يسير الرجل الى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه لا تصيب اذن راحلة منها اذن صاحبتها ولا برك راحلة برك صاحبتها حتى ان الشجرة لتتنحى عن طرقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه قال فيأتون الى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا اليه فاذا رأوه قالوا اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والاكرام قال فيقول تبارك وتعالى عند ذلك أنا السلام ومني السلام وعليكم حقت رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادي الذين خشوني بغيب وأطاعوا أمري قال فيقولون ربنا انا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك فأذن لنا بالسجود قدامك قال فيقول الله انها ليست بدار نصب ولا عبادة ولكنها دار ملك ونعيم واني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم فان لكل رجل منكم أمنيته فيسألونه حتى ان أقصرهم أمنية ليقول رب تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها رب فآتني كل شئ كانوا فيه من يوم خلقتها الى أن انتهت الدنيا فيقول الله لقد قصرت بك اليوم أمنيتك ولقد سألت دون منزلتك هذا لك مني وسأتحفك بمنزلتي لانه ليس في عطائي نكد ولا قصر يد قال ثم يقول اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم ولم يخطر لهم على بال قال فيعرضون عليهم حتى يقضوهم أمانيهم التي في أنفسهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة في كل قبة منها جاريتان من الحور العين على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة ليس في الجنة لون الا وهو فيهما ولا ريح طيبة الا قد عبقتا به ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما من دون القبة يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الابيض من ياقوتة حمراء يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ويرى هو لهما مثل ذلك ثم يدخل اليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان له والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم الى منزلته التي أعدت له حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا علي ابن جرير عن حماد قال شجرة في الجنة في دار كل مؤمن غصن منها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن حسان بن أبي الاشرس عن مغيث بن سمي قال طوبى شجرة في الجنة لو أن رجلا ركب قلوصا جذعا أو جذعة ثم دار بها لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه حتى يموت هرما وما من أهل الجنة منزل الا فيه غصن من أغصان تلك الشجرة متدل عليهم فاذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلى اليهم فيأكلون منه ما شاؤا ويجيء الطير فيأكلون منه قديدا وشواء ما شاؤا ثم يطير وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بنحو ما قال من قال هي شجرة ذكر الرواية بذلك حدثني سليمن بن داود القومسي قال ثنا أبو توبة الربيع بن نافع قال ثنا معاوية ابن سلام عن زيد أنه سمع أبا سلام قال ثنا عامر بن زيد البكالي انه سمع عتبة بن عبد السلام يقول جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان في الجنة فاكهة قال نعم فيها شجرة تدعى طوبى هي تطابق الفردوس قال أي شجر أرضنا تشبه قال ليست تشبه شيئا من شجر أرضك ولكن أتيت الشام فقال لا يا رسول الله فقال فانها تشبه شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة ثم ينتشر أعلاها قال ما عظم أصلها قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحاطت بأصلها

لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت أهواء المخالفين بالشرك في الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدانية بمثل الاثنانية وجعلنا لهم أزواجا وذرية فيه أن الرسل جذبتهم العناية في البداية فترقوا من حضيض الحيوانية الى أوج الروحانية ثم الى معارج النبوة والرسالة في النهاية فلم يبق فيهم من دواعي البشرية ما يزعجهم الى طلب الازواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل رغبهم الله سبحانه في ذلك على وفق الشريعة بخصوصية الخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام يحو الله ما يشاء لاهل السعادة من أفاعيل أهل الشقاوة ويثبت لهم من خصال أهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده أم الكتاب الذي قدر فيه خاتمة كل من الفريقين واما نريك بالكشف بعض مقاماتهم كما أخبر عن العشرة المبشرة بأنهم في الجنة وعن غيرهم بأنه في النار أنا نأتي الارض أرض البشرية فننقص منها بالازدياد في الاوصاف الروحانية

أصلها حتى تنكسر ترقوتاها هاهنا ما حدثنا الحسن بن شبيب قال ثنا محمد بن زياد الجزري عن فرات بن أبي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لهم وحسن مآب شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه بالحلي والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث ان دراجا حدثه ان أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له يا رسول الله ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها على هذا التأويل الذي ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرواية به يجب أن يكون القول في رفع قوله طوبى لهم خلاف القول الذي حكيناه عن أهل العربية فيه وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن طوبى اسم شجرة في الجنة فاذا كان كذلك فهو اسم لمعرفة كزيد وعمرو واذا كان كذلك لم يكن في قوله وحسن مآب الا الرفع عطفا به على طوبى وأما قوله وحسن مآب فانه يقول وحسن منقلب كما حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وحسن مآب قال حسن منقلب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب﴾ يقول تعالى ذكره هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس يعني الى جماعة قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذي هم عليه فمضت لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك يقول لتبلغهم ما أرسلتك به اليهم من وحيي الذي أوحيته اليك وهم يكفرون بالرحمن يقول وهم يجحدون وحدانية الله ويكذبون بها قل هو ربي يقول ان كفر هؤلاء الذين أرسلتك اليهم يا محمد بالرحمن فقل أنت الله ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب يقول واليه مرجعي وأوبتي وهو مصدر من قول القائل تبت متابا وتوبة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم يكفرون بالرحمن ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حين صالح قريشا كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دعنا يا رسول الله نقاتلهم فقال لا ولكن اكتبوا كما يريدون انى محمد بن عبد الله اذا كتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم قالت قريش أما الرحمن فلا نعرفه وكان أهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم فقال أصحابه يا رسول الله دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قوله كذلك أرسلناك في أمة قد خلت الآية قال هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا في الحديبية كتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا تكتب الرحمن وما ندري ما الرحمن ولا تكتب الا باسمك اللهم قال الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر

---

*(سورة ابراهيم عليه السلام مكية غير آيتين نزلتا في بدر ألم تر الى الذين بدلوا الآيتان حروفها ٣٤٣٤ كلمها ٨٥٥ آياتها اثنتان وخمسون) *

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله

ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من

ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله
لغنى حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم
وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى (١٠٣) شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم
الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر
مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان
يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر
مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده وما كان لنا أن نأتيكم
بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد
هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا
وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال
الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم
من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا
فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من بعدهم
ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد
من ورائه جهنم ويسقى من ماء
صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه
ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن ورائه عذاب غليظ)
۞ القراآت الله الذى بالرفع على
الابتداء فى الحالين أبو جعفر ونافع
وابن عامر والمفضل وقرأ يعقوب
والخزاعى عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ
وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر
مطلقا وعيدى بالياء فى الحالين
يعقوب وافق ورش وسهل وعباس
فى الوصل ۞ الوقوف الرقف
كوفى الحميد ٥ ط لمن قرأ الله بالرفع
وما فى الارض ط شديد ٥ لا بناء
على أن الذين صفة الكافرين عوجا
ط بناء على ما قلنا أو على أن الذين منصوب أو مرفوع على الذم أى أعنى الذين أو هم الذين وان جعل الذين
مبتدأ خبره أولئك فى ضلال فلا وقف على عوجا ولك أن تقف على شديد للآية بعيد ٥ ليبين لهم ط لان قوله فيضل حكم مبتدأ
خارج عن تعليل الارسال ويهدى من يشاء ط الحكيم ٥ بأيام الله ط شكور ٥ ط نساءكم ط عظيم ٥ لشديد ٥ جميعا

جميعا) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه وهم يكفرون بالرحمن ولو أن
قرآنا سيرت به الجبال أى يكفرون بالله ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن وقالوا هو من المؤخر الذى
معناه التقديم وجعلوا جواب لو مقدما قبلها وذلك أن الكلام على معنى قيلهم ولو أن هذا القرآن
سيرت به الجبال أو قطعت به الارض لكفروا بالرحمن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو أن
قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى قال هم المشركون من قريش قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو وسعت لنا أودية مكة وسيرت جبالها فاحترثناها وأحييت
من مات منا أو قطع به الارض أو كلم به الموتى فقال الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو
قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة
قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به
الارض أو كلم به الموتى قول كفار قريش لمحمد سير جبالنا تتسع لنا أرضنا فانها ضيقة أو قرب
لنا الشأم فانا نتجر اليها أو أخرج لنا آباءنا من القبور نكلمهم فقال الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت
به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال
ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير قالوا لو فسحت
عنا الجبال أو أجريت لنا الانهار أو كلمت به الموتى فنزل ذلك قال ابن جريج وقال ابن عباس قالوا
سير بالقرآن الجبال قطع بالقرآن الارض أخرج به موتانا حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا
حجاج عن ابن جريج قال قال ابن كثير قالوا لو فسحت عنا الجبال أو أجريت لنا الانهار أو كلمت
به الموتى فنزل أفلم ييأس الذين آمنوا * وقال آخرون بل معناه ولو أن قرآنا سيرت به الجبال
كلام مبتدأ منقطع عن قوله وهم يكفرون بالرحمن قال وجواب لو محذوف استغنى بمعرفة
السامعين المراد من الكلام عن ذكر جوابها قالوا والعرب تفعل ذلك كثيرا ومنه قول
امرئ القيس فلو أنها نفس تموت (١) سريحة * ولكنها نفس تقطع أنفسا
وهو آخر بيت فى القصيدة فترك الجواب اكتفاء بمعرفة سامعه مراده وكما قال الآخر
فأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا
ذكر من قال نحو معنى ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى ذكر لنا أن قريشا قالوا ان
سرك يا محمد اتباعك أو أن نتبعك فسير لنا جبال تهامة أو زد لنا فى حرمنا حتى نتخذ قطائع نخترق
فيها أو أحى لنا فلانا وفلانا ناسا ماتوا فى الجاهلية فأنزل الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال
أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى يقول لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم حدثنا
محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله

(١) المروى فى الديوان جميعة وفى بعض الروايات سوية ولعل ما هنا تصحيف فحرر كتبه مصححه

لان مابعده جزاء جميد ٥ وثمود ط لمن لم يعطف وجعله مستأنفا ومن عطف فوقفه على من بعدهم ط الا الله ط مريب ٥ والارض ط فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى ط لتقدير همزة الاستفهام فى تريدون مبين ٥ من عباده ط باذن الله ط المؤمنون ٥ سبلنا ط آذيتمونا ط المتوكلون ٥ فى ملتنا ط من بعدهم ط وعيد ٥ عنيد ٥ لا لأن مابعده

عليه وسلم أذهب عنا جبال تهامة حتى نتخذها زرعا فتكون لنا أرضين أو أحى لنا فلانا وفلانا يخبرونا حتى ما تقول فقال الله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا يقول لو كان فعل ذلك بشئ من الكتب فيما مضى كان ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية قال قال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم سير لنا الجبال كما سخرت لداود أو قطع لنا الارض كما قطعت لسليمن فاغتدى بها شهرا وراح بها شهرا أو كلم لنا الموتى كما كان عيسى يكلمهم يقول لم أنزل بهذا كتابا ولكن كان شيأ أعطيته أنبيائى ورسلى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال الآية قال قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فسير عنا هذه الجبال واجعلها حرونا كهيئة أرض الشام ومصر والبلدان أو ابعث موتانا فأخبرهم فانهم قد ماتوا على الذى نحن عليه فقال الله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى لم يصنع ذلك بقرآن قط ولا كتاب فيصنع ذلك بهذا القرآن ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾ اختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله أفلم ييأس فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه ألم يعلم ويتبين ويستشهد لقيله ذلك ببيت سحيم بن وثيل الرياحى

أقول لهم بالشعب اذ يأسرونني * ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

ويروى ييسرونني فمن رواه ييسرونني فانه أراد يقتسمونني من الميسر كما يقسم الجزور ومن رواه يأسرونني فانه أراد الأسر وقال عنى بقوله ألم تيأسوا ألم تعلموا وأنشدوا أيضا فى ذلك

ألم ييأس الاقوام أنى أنا ابنه * وان كنت عن أرض العشيرة نائيا

وفسروا قوله ألم ييأس ألم يعلم ويتبين وذكر عن ابن الكلبى أن ذلك لغة لحى من النخع يقال لهم هبيل تقول ألم تيأس كذا بمعنى ألم تعلمه وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن وانهم يقولون يئست كذا علمت وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك ويزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول يئست بمعنى علمت ويقول هو فى المعنى وان لم يكن مسموعا يئست بمعنى علمت يتوجه الذلك ان الله قد أوقع الى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعا فقال أفلم ييأسوا علما بقول ليوسهم العلم فكان فيه العلم مضمرا كما يقال قد يئست منك أن لا تفلح علما كأنه قيل علمته علما قال وقول الشاعر

حتى اذا يئس الرماة وأرسلوا * غضفا دواجن قافلا أعصامها

معناه حتى اذا يئسوا من كل شئ مما يمكن الا الذى ظهر لهم أرسلوا فهو فى معنى حتى اذا علموا أن ليس وجه الا الذى رأوا وانتهى علمهم فكان ما سواه يأسا وأما أهل التأويل فانهم تأولوا ذلك بمعنى ألم يعلم ويتبين ذكر من قال ذلك منهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن أبى اسحق

وصف صديد ٥ لا لذلك بميت ط غليظ ٥ ۞ التفسير كون السورة مكية أو مدنية انما يفيد فى الاحكام لتعرف المنسوخ من الناسخ وفى غير ذلك المكية والمدنية سيان قوله (الر كتاب) أى السورة المسماة بالر كتاب (أنزلناه اليك) لغرض كذا وان كان الرمز كورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف أى هذا القرآن أو هذه السورة كتاب والظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام فى (لتخرج) للغرض عند المعتزلة وللغاية عند الحكيم وان شئت فقل للعاقبة واللام فى (الناس) للجنس المستغرق ظاهرا ففيه دليل على أن دعوته صلى الله عليه وسلم عامة ومعنى اخراج النبى صلى الله عليه وسلم اياهم (من الظلمات الى النور) أنه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه ودعوته صلى الله عليه وسلم اياهم به الى الحق واسطة لهدايتهم لا مطلقا ولكن (باذن ربهم) أى بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل أن المراد من الاذن معنى يقتضى ترجيح جانب الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك أن تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالآية من قال ان معرفة الله تعالى

لا تمكن الا بالتعليم الذى عبر عنه بالاخراج من الظلمة الى النور وأجيب بأن معنى الاخراج التنبيه وأما المعرفة فانما تحصل من الدليل وقوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز فى الكشاف أن يكون على جهة الاستئناف كانه قيل الى أى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفى ذكر الوصفين تأكيد لحقية الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل

فى خصائص الحمد من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذى نهج لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دينا
اذ لا حاجة به الى ارتكاب عبث أو قبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح أن أول العلم بالله العلم بكونه قادرا
وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه عالما والعلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهذا معنى الحميد ثم أتى

بنفسه تحقيقا لحقية صراطه وبيانا لتنزهه عن العبث فقال (الله الذى) مبتدأ وخبر أو المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى أنه عطف بيان للوصفين بناء على أن لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق هذا البحث مشبعا فى تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الآية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله (وويل للكافرين) وهو دعاء عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء قال فى الكشاف وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل أنهم يولولون من العذاب ويقولون يا ويلاه (الذين يستحبون) أى يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشئ على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون ذلك الشئ عنده أحب من الآخر وذلك أن الانسان قد يحب الشئ ولكنه يكره كونه محبا له أما اذا أحب الشئ وطلب كونه محبا له وأحب تلك المحبة فتلك نهاية المحبة وهذا شأن محبة أهل الدنيا للدنيا ولكنها أدنى مراتب الضلال وقوله (ويصدون عن سبيل الله) اشارة الى الضلال وقوله (ويبغونها عوجا) أراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال نهاية الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لانه وقع عنه فى الطرف الآخر فبينهما غاية الخلاف ويمكن أن يكون اسنادا مجازيا باعتبار أن صاحبه بعيد عن طريق الحق ثم لما من على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر أن من كمال تلك النعمة أن يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم احتج أصحاب أبى هاشم بالآية على أن اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال قالوا ان كانت توقيفية

الكوفى عن مولى يخبر أن عليا رضى الله عنه كان يقول أفلم يتبين الذين آمنوا حدثنا الحسن
ابن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن هرون عن حنظلة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس
يأس يقول أفلم يتبين حدثنا احمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن
ابن حازم عن الزبير بن الحرث أو يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرؤها
يتبين الذين آمنوا قال كتب الكاتب الاخرى وهو ناعس حدثنا الحسن بن محمد قال
حجاج بن محمد عن ابن جريج قال فى القراءة الاولى زعم ابن كثير وغيره أفلم يتبين حدثنى محمد
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أفلم ييأس الذين آمنوا
يقول ألم يتبين حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن
عن على عن ابن عباس قوله أفلم ييأس الذين آمنوا يقول يعلم حدثنا عمران بن موسى قال
عبد الوارث قال ثنا ليث عن مجاهد فى قوله أفلم ييأس الذين آمنوا قال أفلم يتبين حدثنا
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أفلم ييأس الذين آمنوا قال ألم يتبين الذين آمنوا
حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أفلم ييأس الذين آمنوا
قال ألم يعلم الذين آمنوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أفلم
ييأس الذين آمنوا قال ألم يعلم الذين آمنوا والصواب من القول فى ذلك ما قاله أهل التأويل
تأويل ذلك أفلم يتبين ويعلم لاجماع أهل التأويل على ذلك والابيات التى أنشدناها فيه فتأويل
الكلام اذا ولو أن قرآنا سوى هذا القرآن كان سيرت به الجبال لسير بهذا القرآن أو قطعت
الارض لقطعت بهذا أو كلم به الموتى لكلم بهذا ولو يفعل بقرآن قبل هذا القرآن لفعل بهذا بل
الامر جميعا يقول ذلك كله اليه وبيده يهدى من يشاء الى الايمان فيوفقه له ويضل من يشاء
فيخذله أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله اذ طمعوا فى اجابتى من سأل نبيهم من تسيير الجبال
عنهم وتقريب أرض الشام عليهم واحياء موتاهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا الى الايمان
من غير ايجاد آية ولا احداث شئ مما سألوا احداثه يقول تعالى ذكره فما معنى محبتهم ذلك مع علمهم
بأن الهداية والاهلاك الى وبيدى أنزلت آية أو لم أنزلها أهدى من أشاء بغير انزال آية وأضل من
أردت مع انزالها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد﴾ يقول تعالى ذكره ولا يزال
يا محمد الذين كفروا من قومك تصيبهم بما صنعوا من كفرهم بالله وتكذيبهم اياك واخراجهم
من بين أظهرهم قارعة وهى ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنقم بالقتل أحيانا وبالحروب أحيانا
والقحط أحيانا أو تحل أنت يا محمد يقول أو تنزل أنت قريبا من دارهم بجيشك وأصحابك حتى
يأتى وعد الله الذى وعدك فيهم وذلك ظهورك عليهم وفتحك أرضهم وقهرك اياهم بالسيف
الله لا يخلف الميعاد يقول ان الله منجز لك يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم لانه لا يخلف وعده
* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو داود قال
المسعودى عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم

تصنعوا قارعة قال سرية أو تحل قريبا من دارهم قال محمد حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنحوه غير أنه لم يذكر سرية حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا المسعودي عن قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال القارعة السرية أو تحل قريبا من دارهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة حدثني المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا زهير أن خصيفا حدثهم عن عكرمة في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم قال نزلت بالمدينة في سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر ابن عربي عن عكرمة ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية أو تحل قريبا من دارهم قال أنت يا محمد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة يقول عذاب من السماء ينزل عليهم أو تحل قريبا من دارهم يعني نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله إياهم حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تصيبهم بما صنعوا قارعة تصاب منهم سرية أو تصاب منهم مصيبة أو يحل محمد قريبا من دارهم وقوله حتى يأتي وعد الله قال الفتح حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن زيد عن عبد الله بن أبي نجيح أو تحل قريبا من دارهم يعني النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث الحسن عن شبابة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال قارعة قال السرايا * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار عن منصور عن مجاهد قارعة قال مصيبة من محمد أو تحل قريبا من دارهم قال أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله قال الفتح * قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قارعة قال كتيبة * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية أو تحل قريبا من دارهم قال أنت يا محمد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أي بأعمالهم أعمال السوء وقوله أو تحل قريبا من دارهم أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله ووعد الله فتح مكة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قارعة قال وقيعة أو تحل قريبا من دارهم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول أو تحل أنت قريبا من دارهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن طلحة عن طلحة عن مجاهد تصيبهم بما صنعوا قارعة قال سرية حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

قوله فيضل بالرفع على الاستئناف كأنه قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم تلك الشرائع بلغة ألفوها واعتادوها وبع نقل فان المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا لما بين أن المقصود من بعثة نبينا صلى

التوقيف انما يكون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أي بلغتهم لزم الدور أجيب بأن الآية تختص برسول له قوم ولا قوم لآدم فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية في ان محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا أن قومه هم العرب ولكن قوم النبي أخص من أهل دعوته فقد يكون أهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا صلى الله عليه وسلم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن وانما يكون أولى الألسنة لسان قوم الرسول لانهم أقرب اليه فيرسل الرسول أولا اليهم ليبين لهم فيفقهوا عنه ما يدعوهم اليه ثم ينوب التراجم في كل أمة من أمم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس والتخليط ويوجب للمفسرين الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقالت المعتزلة ان مقدمة هذه الآيات وهي قوله لتخرج الناس ووسطها وهو قوله ليبين لهم فان فائدة التبيين انما تظهر اذا كان للمكلف قدرة واختيار وآخرها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبائح تدل على صحة مذهب الاعتزال وقالت الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز فان العزة لا تجامع أن يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد مذهبنا أقول نحن قد حققنا مسألة الجبر مرارا فتذكر ومما يخص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستئناف هو الوجه كقوله لنبين لكم ونقر بالرفع نظيره في الآية

الله عليه وسلم هو اخراج الناس من الظلمات الى النور أراد أن يبين أن الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر ذلك وخص موسى بالذكر لان أمته أكثر الامم سوى أمة محمد كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته الباهرة ومعنى (أن أخرج) أي أخرج لان ان فيه معنى القول ويجوز أن تكون ناصبة والتقدير بأن أخرج ومعنى التذكير بأيام الله الانذار بوقائع الله التي وقعت على الامم قبلهم ويقال أيام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس أيام الله نعماؤه من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون أو الايام التي كانوا فيها تحت تسخير فرعون أو المراد عظيم بالترغيب والترهيب (ان في ذلك) التذكير والتنبيه دلائل (لكل صبار) على الضراء (شكور) على السراء وذلك أن فائدة الآيات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما أمر الله موسى بالتذكير حكى عنه أنه ذكرهم ولم يقل ههنا يا قوم كما ذكر في المائدة اقتصارا على ما ذكره هناك وقوله (عليكم) ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله (اذ أنجاكم) ظرف للانعام أيضا وان كان مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز أن ينتصب اذ أنجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز أن يكون اذ بدلا من النعمة أي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل الاشتمال وباقي الآية قدم مرارا في أول البقرة ومن جملتها لنعم قوله (واذ تأذن) أي واذكروا حين آذن (ربكم) ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح معه الشبهات وقد تقدم في أواخر الاعراف أن فيه معنى القسم ولذلك دخلت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب أن الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع أقسام ما أنعم الله تعالى به عليه فيما أعطاه لاجله ولا شك أن المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة أقسام نعم الله وفي ملاحظة دقائق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في الأعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات الجميلة وتنقية النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم ويصير تخيري

سفيان عن ليث عن مجاهد تصيبهم بما صنعوا قارعة قال السرايا كان يبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم أو تحل قريبا من دارهم أنت يا محمد حتى يأتي وعد الله قال فتح مكة * قال ثنا أبو قال ثنا اسرائيل عن بعض أصحابه عن مجاهد تصيبهم بما صنعوا قارعة قال كتيبة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة قال قارعة من العذاب * وقال آخرون معنى قوله أو تحل قريبا من دارهم تحل القارعة قريبا من دارهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال الحسن أو تحل قريبا من دارهم قال أو تحل القارعة قريبا من دارهم حدثنا ابن قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال أو تحل قريبا من دارهم قال أو تحل القارعة * وقال آخرون في قوله حتى يأتي وعد الله هو يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا اسمعيل بن حكيم عن رجل قد سماه عن الحسن في قوله حتى يأتي وعد الله قال يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبا منهم بما جئتهم به فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في اعذارهم والاعذار اليهم فلقد استهزأ من قبلك قد خلت مضت برسل فأطلت لهم في المهل ومددت لهم في الاجل ثم أحللت بهم عقابي ونقمتي حين تمادوا في غيهم وضلالهم فانظر كيف كان عقابي اياهم حين عاقبتهم ألم أذقهم أليم العذاب وأجعلهم عبرة لأولي الالباب والاملاء في كلام العرب الاطالة يقال منه أمليت لفلان أطلت له في المهل ومنه الملاوة من الدهر ومنه قولهم تمليت حينا ولذلك قيل لليل والنهار الملوان لطولهما كما قال ابن مقبل

ألا يا ديار الحي بالسبعان * ألح عليها بالبلى الملوان

وقيل للخرق الواسع من الارض ملا كما قال الشاعر

فاخضل منها كل بال وعين * وجف الروايا بالملا المتباطن

لطول ما بين طرفيه وامتداده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ يقول تعالى ذكره أفالرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك قائم يحفظ أرزاق جميع الخلق متضمن لها عالم بهم وبما يكسبونه من الاعمال رقيب عليهم لا يعزب عنه شئ أيما كانوا كمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيأ ولا يدفع عن نفسه ولا عمن يعبده ضرا ولا يجلب اليهما نفعا كلا هما سواء وحذف الجواب في ذلك فلم يقل وقد قيل أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ككذا وكذا اكتفاء بعلم السامع بما ذكر عما ترك ذكره وذلك أنه لما قال جل ثناؤه وجعلوا لله شركاء علم أن معنى الكلام كشركائهم التي اتخذوها آلهة كما قال الشاعر

تخبرى خبرت أم عال * بين قصير شره تنبال
أذالك أم منخرق السربال * ولا يزال آخر الليال
* متلف مال ومفيد مال *

يقل وقد قال شره تنبال وبين كذا وكذا اكتفاء منه بقوله أذالك أم منخرق السربال ودلالة
خبر عن المنخرق السربال على مراده فى ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ذلكم ربكم تبارك وتعالى قائم على بنى آدم بأرزاقهم
وآجالهم وحفظ عليهم والله أعمالهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن
معمر عن قتادة أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت(١) حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى
قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما
كسبت يعنى بذلك نفسه يقول هو معكم أينما كنتم فلا يعمل عامل الا وهو حاضر ويقال هم
الملائكة الذين وكلوا ببنى آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن
ابن جريج أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وعلى رزقهم وعلى طعامهم فأنا على ذلك قائم
وهم عبيدى ثم جعلوا لى شركاء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن
سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو الله قائم على
كل نفس بر وفاجر يرزقهم ويكلؤهم ثم يشركون به منهم من أشرك وقوله وجعلوا لله شركاء
قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القول يقول تعالى ذكره أنا القائم بأرزاق
هؤلاء المشركين والمدبر أمورهم والحافظ عليهم أعمالهم وجعلوا لى شركاء من خلقى يعبدونهم
دونى قل لهم يا محمد سموا هؤلاء الذين أشركتموهم فى عبادة الله فانهم ان قالوا آلهة فقد كذبوا
لانه لا اله الا الواحد القهار لا شريك له أم تنبئونه بما لا يعلم فى الارض يقول أتخبرونه بأن فى
الأرض إلها ولا اله غيره فى الأرض ولا فى السماء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد
قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجعلوا لله شركاء قل سموهم ولو سموهم آلهة لكذبوا وقالوا
فى ذلك غير الحق لان الله واحد ليس له شريك قال الله أم تنبئونه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر
من القول يقول لا يعلم الله فى الارض الها غيره حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح
قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلوا لله شركاء قل سموهم والله خلقهم
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجعلوا لله شركاء قل
سموهم ولو سموهم كذبوا وقالوا فى ذلك ما لا يعلم الله من اله غير الله فذلك قوله أم تنبئونه بما لا يعلم
فى الارض أم بظاهر من القول مسموع وهو فى الحقيقة باطل لا صحة له وبنحو ما قلنا فى ذلك
قال أهل التأويل غير أنهم قالوا أم بظاهر معناه أم بباطل فأتوا بالمعنى الذى تدل عليه الكلمة دون
البيان عن حقيقة تأويلها ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة

(١) أى الى آخر ما رواه عنه بشر

ويفتح عليه باب التصرف فى
الخلق بالحق للحق وان كان حال
المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه
أضداد تلك الآثار لاستحالة وذلك قوله
(ولئن كفرتم) يعنى كفران النعم (ان
عذابى لشديد) ثم بين أن منافع الشكر
ومضار الكفران لا تعود الا الى
صاحبه أو عليه والله تعالى غنى عن
ذلك كله فقال (ان تكفروا أنتم) الآية
وذلك أن واجب الوجود فى ذاته
واجب الوجود فى جميع صفاته ولن
يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن
الحاجات متصفا بكل الكمالات أهلا
للحمد وان لم يكن حامدا قوله (ألم
يأتكم) يحتمل أن يكون خطابا من
موسى لقومه والغرض تخويفهم
بمثل هلاك من تقدم من القرون
فيكون داخلا تحت التذكير بأيام
الله واحتمل أن يكون مخاطبة من الله
على لسان موسى لقومه يذكرهم
أمر القرون الاولى قاله أبو مسلم
والاكثرون على أنه ابتداء مخاطبة
لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم
تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله
(والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله)
ان كان جملة من مبتدا وخبره
فالمجموع اعتراض وان كان قوله
والذين من بعدهم معطوفا على قوم
نوح فقوله لا يعلمهم الا الله وحده
اعتراض ثم ان عدم العلم اما أن
يكون راجعا الى صفاتهم بأن تكون
أحوالهم وأخلاقهم ومدد أعمارهم
غير معلومة واما أن يكون عائدا الى
ذواتهم بأن يكون فيما بين القرون أقوام ما بلغنا أخبارهم كما روى عن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وكان ابن
مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعنى أنهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد ونظير الآية قوله وقرونا بين ذلك
كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضى وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين من لدن آدم عليه السلام الى

هذا الوقت لانه لو أمكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام أنهم لما (جاءتهم رسلهم بالبينات بأمور أحدها (فردوا أيديهم فى أفواههم) وفيه قولان أحدهما أن المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالان الاول الكفار ردوا أيديهم فى أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من

قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر أو وضعوا الأيدى على الافواه ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك أو وضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن قفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبى أو أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم والى ما تكلموا به من قولهم (انا كفرنا بما أرسلتم به) أى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول قوى لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا * الاحتمال الثانى أن تكون الضمائر راجعة الى الرسل والمراد أن الرسل لما أيسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدى أنفسهم على أفواه أنفسهم أرادوا أنهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة أو يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى أن الكفار أخذوا أيدى الرسل ووضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم أو يكون الضمير الأخير فقط عائدا الى الرسل والمراد أن الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء ونصائحهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم أو وضعوا أيديهم على أفواه الانبياء منعا لهم من الكلام فهذه جملة الاحتمالات على القول الاول * القول الثانى أن ذكر اليد والفم توسع ومجاز عن أبى مسلم أن المراد باليد ما نطقت به الرسل بافواههم من الحجج لان دلائل الوحى من أجل النعم لانهم اذا كذبوا الآيات ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث

قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بظاهر من القول بظن حدثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حد القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن قتادة قوله أم بظاهر من الق والظاهر من القول هو الباطل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أم بظاهر من القول يقول أم بباطل من الق وكذب ولو قالوا قالوا الباطل والكذب وقوله بل زين للذين كفروا مكرهم يقول تعالى ذكره من شريك فى السموات ولا فى الارض ولكن زين للمشركين الذين يدعون من دونه الها مكرهم وذلك افتراؤهم وكذبهم على الله وكان مجاهد يقول معنى المكر ههنا القول كأنه قال قولهم الشر بالله حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بل زين للذين كفروا مكرهم قال قولهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عا قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله وصدوا عن السبيل فان القر اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء الكوفيين وصدوا عن السبيل بضم الصاد بمعنى وصدهم عن سبيله لكفرهم به ثم جعلت الصاد مضمومة اذ لم يسم فاعله وأما عامة قراء الحجاز والبص فقرؤه بفتح الصاد على معنى أن المشركين هم الذين صدوا الناس عن سبيل الله والصوا من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القر متقاربتا المعنى وذلك أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الايمان به وهم مع ذلك كانوا يصد غيرهم كما وصفهم الله به بقوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وق ومن يضلل الله فما له من هاد يقول تعالى ذكره ومن أضله الله عن اصابة الحق والهد بخذلانه اياه فما له أحد يهديه لاصابتهما لان ذلك لا ينال الا بتوفيق الله ومعونته وذلك بيد واليه دون كل أحد سواه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لهم عذاب فى الحياة الدن ولعذاب الآخرة أشق ومالهم من الله من واق ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الكفار الذين وص صفتهم فى هذه السورة عذاب فى الحياة الدنيا بالقتل والاسار والآفات التى يصيبهم الله بها ولعذ الآخرة أشق يقول ولتعذيب الله اياهم فى الدار الآخرة أشد من تعذيبه اياهم فى الدنيا وأشق هو أفعل من المشقة وقوله ومالهم من الله من واق يقول تعالى ذكره ومالهؤلاء الكفار أحد يقيهم من عذاب الله اذا عذبهم لاحيم ولا ولى ولا نصير لانه جل جلاله لا يعانده أحد فيقد فيخلصه من عذابه بالقهر ولا يشفع عنده أحد الا باذنه وليس يأذن لأحد فى الشفاعة لمن كفر فمات على كفره قبل التوبة منه * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ مثل الجنة التى وعد المتق تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار اختلف أهل العلم بكلام العرب فى رافع المثل فقال بعض نحويى الكوفيين الرافع للمثل قوله تجرى من تحتها الانهار فى المعنى وقال هو كما تقول حلية فلان أسمر كذا وكذا فليس الاسمر بمرفوع بالحلية انما هو ابتداء أى هو أسمر هو كذا قال ولو دخل أن فى مثل هذا كان صوابا قال ومثله فى الكلا

مثل

جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم أنه يقال للرجل اذا أمسك عن الجواب ردديده فى فيه فمعنى الآية أنهم سكتوا الجواب وزيف بأنهم قد أجابوا بالتكذيب وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به والمراد بما زعمتم أن الله أرسلكم به وكأنهم فى أول الامر

كن الانبياء وفى المرتبة الثانية صرحوا بتكذيبهم وفى الثالثة قالوا (وانا لفى شك) وقد مر مثله فى سورة هود فان قلت كيف صرحوا بالكفر
وا أمرهم على الشك قلنا أرادوا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا أقل من أنا نشك فى صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع
عراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم أفى الله شك فاطر السموات والارض)

ن أنك كذا وأنك كذا وقوله فلينظر الانسان الى طعامه أنا من وجه مثل الجنة التى وعد
ون فيها ومن قال اناصبينا الماء أظهر الاسم لانه مردود على الطعام بالخفض ومستأنف أى
ه اناصبينا ثم فعلنا وقال معنى قوله مثل الجنة صفات الجنة وقال بعض نحويى البصريين
ى ذلك صفة الجنة قال ومنه قول الله تعالى وله المثل الأعلى معناه ولله الصفة العليا قال
ى الكلام فى قوله مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار أوفيها أنهار كأنه قال
ف الجنة صفة تجرى من تحتها الانهار أوصفة فيها أنهار والله أعلم قال ووجه آخر كأنه اذا قيل
ى الجنة قيل الجنة التى وعد المتقون قال وكذلك قوله وانه بسم الله الرحمن الرحيم كأنه قال بالله
حمن الرحيم والله أعلم قال وقوله على مافرطت فى جنب الله فى ذات الله كأنه عندنا قيل فى الله
ل وكذلك قوله ليس كمثله شئ انما المعنى ليس كشئ وليس مثله شئ لانه لا مثل له قال وليس
نا كقولك للرجل ليس كمثلك أحد لانه يجوز أن يكون له مثل والله لا يجوز ذلك عليه قال
له قول لبيد

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما *

ل وفسر لنا أنه أراد السلام عليكما قال أوس بن حجر

وقتلى كرام كمثل الجذوع * تغشاهم سيل منهمر

ل والمعنى عندنا كالجذوع لانه لم يرد أن يجعل للجذوع مثلا ثم يشبه القتلى به قال ومثله
ابغة

زحل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للأخرى وليث مرصد

ل فقال تحت رجل يمينه كأنه قال تحت رجله أو تحت رجله اليمنى قال وقول لبيد

أضل صواره وتضيفته (١) * نطوف أمرها بيد الشمال

كأنه قال أمرها بالشمال والى الشمال وقول لبيد أيضا

* حتى اذا ألقت يدا فى كافر *

كأنه قال حتى وقعت فى كافر وقال آخر منهم هو من المكفوف عن خبره قال والعرب تفعل
ل قال وله معنى آخر للذين استجابوا لربهم الحسنى مثل الجنة موصول صفة لها على الكلام
ول * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ذكر المثل فقال مثل
ة والمراد الجنة ثم وصفت الجنة بصفتها وذلك أن مثلها انما هو صفتها وليست صفتها شيأ غيرها
كان ذلك كذلك ثم ذكر المثل فقيل مثل الجنة ومثلها صفتها وصفة الجنة فكان وصفها
وصف المثل وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة فقيل الجنة تجرى من تحتها الانهار كما
الشاعر

أرى مر السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

كر المرور جمع فى الخبر الى السنين وقوله أكلها دائم وظلها يعنى مايؤكل فيها يقول هو دائم
ظلها لا ينقطع عنهم ولا يزول ولا يبيد ولكنه ثابت الى غير نهاية وظلها يقول وظلها أيضا دائم
لا شمس فيها تلك عقبى الذين اتقوا يقول هذه الجنة التى وصف جل ثناؤه عاقبة الذين اتقوا الله

أدخل همزة الانكار على الظرف
لان الكلام ليس فى الشك انما هو
فى المشكوك فيه وأن وجود الله
لا يحتمل الشك (قال الضعيف
المذنب المفتقر الى عفو ربه الكريم
مؤلف الكتاب الحسن بن محمد
المشتهر بنظام النيسابورى نظم الله
أحواله فى الدارين) انه كان من
عقيدتى أن العلم بوجود الواجب فى
الخارج من جملة البديهيات وكان
يستبعد ذلك كثير من أقرانى
وأصحابى لما رأوا أن الاقدمين
ما زالوا يبرهنون على ذلك فى الكتب
الكلامية والحكمية فكنت قد
كتبت لأجلهم رسالة فى الالهيات
مشتملة على دلائل تجرى مجرى
المنبهات على ذلك المعنى فان
الضروريات قد ينبه عليها وان لم
تحتج فى الاقتناص الى البراهين والآن
أرى أن أذكر بعض تلك المنبهات
فى هذا المقام لانها مقررة لقوله
سبحانه أفى الله شك فأقول وبالله
التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته
والى الخارج اما أن يكون واجب
الوجود فقط أو واجب العدم فقط
أو ممكن الوجود والعدم معا أو
واجب الوجود والعدم معا أو
واجب الوجود وممكن الوجود
والعدم معا أو واجب العدم وممكن
الوجود والعدم معا أو واجب الوجود
وواجب العدم وممكن الوجود والعدم
جميعا فهذه أقسام سبعة والعقل
الصريح لا يشك فى استحالة خمسة
منها فى الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثانى واجب الوجود لذاته و واجب العدم فى ذاته معا الثالث واجب الوجود لذاته وممكن
الوجود والعدم لذاته والرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الخامس واجب الوجود لذاته وواجب العدم لذاته وممكن الوجود

(١) الذى فى اللسان تبعا للازهرى نطاف أى جمع نطفة والصواب قطيع البقر كتبه مصححه

والعدم فى ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك فى استحالة الوجود الخارجى لهذه الاقسام الخمسة ينبغى أن لا يشك فى وجود الواجب فقط فى الخارج لانه لو لم يكن موجودا فى الخارج كان معدوما فى الخارج فان كان عدمه لذاته كان من القسم الثانى من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا فى الخارج بالضرورة وهو المطلوب فهذه طريقة عذراء تيسرت لنا من غير احتياج الى دور وتسلسل يرد عليها الممنوع المشهور * وجه ثان الموجود فى الخارج اما واجب أو ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضروريتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر فى وجوده الخارجى فواجب والا فممكن فنقول ان كانت القسمة قسمة تنويع حتى يكون المعنى أن الموجود فى الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب فى الخارج بالضرورة وهو المطلوب وان كانت القسمة قسمة انفصال ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط أما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا فى الخارج ضرورة ثبوت موجود ما فى الخارج بالضرورة وأما انها ليست بمانعة الجمع فلأن الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والالم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب بل يستدلون منه على نفيه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا فى الوجود والممكن موجود بالضرورة مع أنه مفتقر فى وجوده الى مؤثر موجود فلأن يكون الواجب موجودا يكون أولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية فى ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تأمل فى مفهوم واجب الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا أنه وجود يوجد البتة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى أنه فى الواجب أولى وأولى منه فى الممكن * وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتاهما يشتركان فى صحة وجودهما الخارجى

فاجتنبوا معاصيه وأدوا فرائضه وقوله وعقبى الكافرين النار يقول وعاقبة الكافرين بالله النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب﴾ يقول تعالى ذكره والذين أنزلنا اليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك يا محمد يفرحون بما أنزل اليك منه ومن الاحزاب من ينكر بعضه يقول ومن أهل الملل المتحزبين عليك وهم أهل أديان شتى من ينكر بعض ما أنزل اليك فقل لهم انما أمرت أيها القوم أن أعبد الله وحده دون ما سواه ولا أشرك به فأجعل له شريكا فى عبادتى فأعبد معه الآلهة والاصنام بل أخلص له الدين حنيفا مسلما اليه أدعو يقول الى طاعته وا خلاص العبادة له أدعو الناس واليه مآب يقول واليه مصيرى ومرجعى مفعل من قول القائل آب يئوب أوبا ومآبا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فرحوا بكتاب الله ورسوله وصدقوا به قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه يعنى اليهود والنصارى حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه قال من أهل الكتاب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه من أهل الكتاب والاحزاب أهل الكتب تفريقهم لحربهم قوله وان يأت الاحزاب يأتكم قال لتحزبهم على النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن جريج وقال عن مجاهد ينكر بعضه قال بعض القرآن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واليه مآب واليه مصير كل عبد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك قال هذا من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فيفرحون بذلك وقرأ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وفى قوله ومن الاحزاب من ينكر بعضه قال الاحزاب الامم اليهود والنصارى والمجوس منهم من آمن به ومنهم من أنكره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا واق﴾ يقول تعالى ذكره وكما أنزلنا عليك الكتاب يا محمد فأنزلنا عليك أيضا أنزلنا الحكم والدين حكما عربيا وجعل ذلك عربيا ووصفه به لان بعض الاحزاب كذلك أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربى فنسب الدين اليه اذ كان عليه أنزل فكذبت به الاحزاب ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل اليه واتباع الاحزاب وتهدده على ذلك ان فعله فقال ولئن اتبعت يا محمد أهواءهم أهواء هؤلاء الأحزاب ورضاهم ومحبتهم وانتقلت من دينك الى دينهم مالك من يقيك عذاب الله ان عذبك على اتباعك أهواءهم ومالك من ناصر ينصرك فيستنقذك من الله ان هو عاقبك يقول فاحذر أن تتبع أهواءهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد

ضرورة ويفترقان فى أن الواجب ذاته كافية فى ايجاب الوجود له والممكن لا يكفى فيه ذلك بل يحتاج فى ايجاب وجوده الخارجى الى الغير
ريب أن الاول أقرب الى طبيعة الوجود من الثانى لان الموقوف على مقدمات أكثر أعسر وجودا والثانى واقع بالضرورة فالاول أولى
ه ضرورى الوقوع * وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا تخلو فى نفس الامر من أن تكون بالوجوب
أو بالامكان أو بالامتناع فنسبة
الوجود الخارجى الى الماهيات
الخارجية من حيث ذواتها لا تخلو
من أحد الامور الثلاثة لكن نسبته
اليها بالامتناع ظاهرة الاستحالة
فهى اما بالامكان أو بالوجوب ولا
شك أن نسبة الوجود الى ذات
الموجود أولى من نسبته الى غيره
اذ الاصل عدم الغير فكل ما دل
البرهان على أن وجوده من غيره
لتغير فيه أو نقص يحكم عليه بأنه
ممكن الوجود وما لم يدل البرهان فيه
على ذلك بل يدل على وجوب وجوده
بجميع صفاته الكمالية فهو
واجب الوجود ومن شك فى وجود
ما وجوده من تلقاء نفسه ويكون
متصفا بجميع الكمالات بعد
مشاهدة ما وجوده من غيره وهو
عرضة للنقائص والرذائل كان
أهلا لأن يهجر الحكمة * وجه خامس
نفس الامكان نقص لا نقص
فوقه لاستتباعه العجز والافتقار
وصحة العدم عليه الذى لا ضعف
مثله والوجود المتصف به متحقق
بالضرورة فالوجود الذى يجوزه
العقل الصريح متصفا بصفة
الوجوب كيف لا يكون متحققا
ومن استبهم عليه مثل هذا الجلى
فلا يلوم الا نفسه * وجه سادس
مقتضى ذات الشئ أقرب ايجابا له
عند العقل من مقتضى كل ما يغايره
لكن الوجود الذى مقتضاه الامكان
ثابت فى الخارج مع أن ثبوته فى

لقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله
كل أجل كتاب ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا يا محمد رسلا من قبلك الى أمم قد خلت من قبل
ن جعلناهم بشرا مثلك لهم أزواج ينكحون وذرية أنسلوهم ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون
ا يشربون ولا ينكحون فنجعل الرسول الى قومك من الملائكة مثلهم ولكن أرسلنا اليهم بشرا
ثلهم كما أرسلنا الى من قبلهم من سائر الامم بشرا مثلهم وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله
قول تعالى ذكره وما يقدر رسول أرسله الله الى خلقه أن يأتى أمته بآية وعلامة من تسيير
جبال ونقل بلدة من مكان الى مكان آخر واحياء الموتى ونحوها من الآيات الا باذن الله يقول
ا أمر الله الجبال بالسير والارض بالانتقال والميت بأن يحيا لكل أجل كتاب يقول لكل أجل
رضاه الله كتاب قد كتبه فهو عنده وقد قيل معناه لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل
كر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن يوسف عن جويبر عن الضحاك
ى قوله لكل أجل كتاب يقول لكل كتاب ينزل من السماء أجل فيمحو الله من ذلك ما يشاء ويثبت
عنده أم الكتاب « قال أبو جعفر » وهذا على هذا القول نظير قول الله وجاءت سكرة الموت بالحق وكان
ويكر رضى الله عنه يقول وجاءت سكرة الحق بالموت وذلك أن سكرة الموت تأتى بالحق والحق
تى بها فكذلك الاجل له كتاب وللكتاب أجل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم يمحو الله ما يشاء
من أمور عباده فيغيره الا الشقاء والسعادة فانهما لا يغيران ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب
قال ثنا بحر بن عيسى عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يمحو الله
ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال يدبر الله أمر العباد فيمحو ما يشاء الا الشقاء والسعادة والموت
حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله
يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال كل شئ غير السعادة والشقاء فانهما قد فرغ منهما
حدثنى على بن سهل قال ثنا يزيد وحدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد عن سفيان عن ابن
ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يقول يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم
كتاب قال الا الشقاء والسعادة والموت والحياة حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن
كين وقبيصة قالا ثنا سفيان عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن
باس مثله حدثنا عمرو بن على قال ثنا وكيع قال ثنا ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال قال ابن عباس
الحياة والموت والشقاء والسعادة حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم
عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب قال يقدر الله أمر السنة فى ليلة القدر الا الشقاء والسعادة والموت والحياة حدثنا
عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله يمحو الله
ما يشاء ويثبت قال الا الحياة والموت والسعادة والشقاوة فانهما لا يتغيران حدثنا عمرو قال

مفيد الوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب الغنى بل نسبتهما الى الثانى أولى نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح * وجه ثامن كون الشئ موجودا فى نفسه أقرب وأقبل عند العقل من كونه موجدا لغيره اذ ليس كل من له وجود فى نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود فى نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه بأبعد الامرين عن القبول واقعا فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته بأقربهما من القبول واقعا * وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء والحكماء وسائر العقلاء من اخوان الصفاء وأخدان الوفاء وأرباب البدع والاهواء الى وجود واجب متى رجعوا الى أنفسهم وطالعوا ملكوت السموات والارض وتأملوا فى الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب أو هجوم نعمة أجلى دليل على وجود رب جليل منزه عن سمات النقص والأفول فى حيز الامكان مفيض للخيرات مدبر للممكنات ولهذا قال رب السموات والارض عن الظلمة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم أخبر أنهم يعتذرون عن أصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اذ لم يكن بجحدهم وعنادهم عن تحقيق وصدق وانما كانوا مكابرين فى الظاهر ابتلاء من الله وشقاء منهم فالحاصل أن المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سيان فى أنه تشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب فى ذاته وصفاته ولا أدل من ذلك على أنه ضرورى الوجود * وجه عاشر وهو الاستدلال بالآفاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور فى الخارج لكنه اذا اعتبر فى نفسه لم يكن له ذلك من تلقاء نفسه فكان فقيرا فى نفسه وذلك أفول له فى أفق الامكان واذا كان مامقتضى ذاته الافول طالعا فمقتضى ذاته الطلوع أولى بأن يكون طالعا * وجه حادى عشر وهو الاستدلال بالأنفس من تأمل فى ذاته وفرض شخصه فى هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد وأغفل الحواس عن أفعالها وجد شيأ هو به هو وبذلك يعبر

ثنا عبد الرحمن قال ثنا معاذ بن عقبة عن منصور عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور قال قلت لمجاهد ان كنت كتبتنى سعيدا فأثبتنى وان كنت كتبتنى شقيا فامحنى فان الشقاء والسعادة قد فرغ منهما **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد * قال ثنا سعيد بن سليمان قال ثنا شريك عن منصور عن مجاهد يحول مايشاء ويثبت قال ينزل الله كل شئ فى السنة فى ليلة القدر فيمحو مايشاء من الآجال والارزاق والمقادير الا الشقاء والسعادة فانهما ثابتان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال سألت مجاهدا فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول اللهم ان كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم وان كان فى الاشقياء فامحه منهم واجعله فى السعداء فقال حسن ثم أتيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك فسألته عن ذلك فقال انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال يقضى فى ليلة القدر مايكون فى السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم مايشاء ويؤخر مايشاء فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابت لا يغير * وقال آخرون معنى ذلك أن الله يمحو مايشاء ويثبت من الكتب سوى أم الكتاب الذى لا يغير منه شئ ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن سليمن التيمى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال كتابان كتاب يمحو منه مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا سهل بن يوسف قال ثنا سليمن التيمى عن عكرمة فى قوله يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال الكتاب كتابان كتاب يمحو الله منه مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * قال ثنا أبو عامر قال ثنا حماد بن سلمة عن سليمن التيمى عن عكرمة عن ابن عباس بمثله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه عن عكرمة قال الكتاب كتابان يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب * وقال آخرون بل معنى ذلك أنه يمحو كل مايشاء ويثبت كل مالم يذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثام عن الاعمش عن شقيق أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب **حدثنا** عمرو قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن أبى وائل قال كان مما يكثر أن يدعو بهؤلاء الكلمات اللهم ان كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب * قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن أبى حكيمة عن أبى عثمان النهدى أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويبكى اللهم ان كنت كتبت على شقوة أو ذنبا فامحه فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة * قال ثنا معتمر عن أبيه عن أبى حكيمة عن أبى عثمان قال وأحسبنى قد سمعته من أبى عثمان بمثله * قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة بن خالد عن عصمة بن أبى حكيمة عن أبى عثمان النهدى عن عمر رضى الله عنه بمثله **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد قال ثنا أبو حكيمة قال سمعت أبا عثمان النهدى قال

سمعت

عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وهو يطوف بالكعبة اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها وان كنت كتبت على الذنب والشقوة فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب * قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل الشقاء فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب يقول هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذى يمحو والذى يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو فى طاعة الله فهو الذى يثبت حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن حكيم عن عبد الله أنه كان يقول اللهم ان كنت كتبتنى فى السعداء فأثبتنى فى السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أبى حمزة عن ابراهيم أن كعبا قال لعمر رضى الله عنه يا أمير المؤمنين لولا آية فى كتاب الله لانبأتك ما هو كائن الى يوم القيامة قال وما هى قال قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لكل أجل كتاب الآية يقول يمحو الله ما يشاء يقول أنسخ ما شئت وأصنع من الافعال ما شئت ان شئت زدت فيها وان شئت نقصت حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا همام قال ثنا الكلبى قال يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحى من الرزق ويزيد فيه ويمحى من الاجل ويزيد فيه قلت من حدثك أبو صالح عن جابر بن عبد الله بن رئاب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم فقدم الكلبى بعد فسئل عن هذه الآية يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يكتب القول كله حتى اذا كان يوم القيامة طرح منه كل شئ ليس فيه ثواب ولا عليه عقاب مثل قولك أكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق ويثبت ما كان فيه الثواب وعليه العقاب حدثنا الحسن قال ثنا عبد الوهاب قال سمعت الكلبى عن أبى صالح نحوه ولم يجاوز أبا صالح * وقال آخرون بل معنى قول الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس يمحو الله ما يشاء قال من القرآن يقول يبدل الله ما يشاء فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدله وعنده أم الكتاب يقول وجملة ذلك عنده فى أم الكتاب الناسخ والمنسوخ وما يبدل وما يثبت كل ذلك فى كتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت هى مثل قوله ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وقوله وعنده أم الكتاب أى أصل الكتاب وأصله حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يشاء وهو الحكيم وعنده أم الكتاب وأصله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يمحو الله ما يشاء مما ينزل على الانبياء ويثبت ما يشاء مما

وهو نفسه الناطقة التى نسبتها الى بدنه نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف يشاء ومهما انقطعت علاقته عن البدن مات جسمه وانخرط فى سلك الجمادات فكما أن البدن لضعفه وخسته مفتقر فى قوامه وقيامه الى مدبر يديمه ويقيمه فجميع العالم الجسمانى الكائنات بأسرها لخستها وفقرها تستند لا محالة الى ما هو أشرف منها وذلك ما وجوده من تلقاء نفسه وهو الواجب الحق تعالى شأنه ولولاه لتبدد نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا أثر * وجه ثانى عشر وهو أنور الوجوه وأظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك أنه نور ونعنى به ما هو ظاهر فى نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان ظهوره فى نفسه بنفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن أن لا يكون ظاهرا فى نفسه لان ما لا يكون له ظهور فى نفسه لا يفيد ظهور الغير فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بأن نقول ان كان ظهوره فى نفسه بنفسه فذاك والا احتاج الى ما يظهره ولا بد أن ينتهى فى طرف الصعود الى ما يكون ظهوره فى نفسه بنفسه والا لم ينته الامر فى طرف النزول الى الظاهر المفروض أولا فنهاية ما لا نهاية له محال من أى جانب فرض ولا تنتهض العودة اليومية نقضا علينا بناء على أنها مسبوقة بعودات ما لا تتناهى فان لا تناهيها فى جانب الازل محال عندنا وكنا قد كتبنا فى بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الى فيض الواجب وقلت الفيض الواقع فى زمان الحال مسبوق بافاضات غير متناهية لاستحالة ذلك قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل فى الواجب لان وجوده وأوصافه المعتبرة كلها مقتضيات ذاته ومقتضى ذات الشئ يدوم بدوام الشئ ومستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية فيضانه تابعة للامسبوقية بغيره وكون وجوده من لوازم كون مطلق الفيض أزليا أن يكون الفيض المخصوص أزليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر بنفسه ثبت المطلوب وهو وجود نور الانوار تعالى شأنه وبهر برهانه وهو نهاية الممكنات فى جانب الازل وبدايتها فى جانب

الابد فهو قديم أزلى ولان وجوده مقتضى ذاته وما بالذات لا يزول فهو الباقى الدائم هذا ما سنح من المنبهات لهذا الضعيف أثبتها فى هذا الكتاب الشريف ليبقى ان شاء الله على وجه الدهر وينظر فيها من هو من أهلها فى كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبى فتلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى نبوة

بعثة النبى أما الاول فلان الصبى يصيح ويقول من الذى ضربنى وما ذاك الا بشهادة فطرته على أن هذه اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب أن يكون حدوثها لأجل فاعل مختار أدخلها فى الوجود واذا كان حال هذا الحادث مع حقارته هكذا فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة فى العالم العلوى والعالم السفلى وأما دلالتها على وجوب التكليف فلأن ذلك الصبى ينادى ويصيح ويقول لم ضربنى ذلك الضارب وفيه دلالة على أن الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وأن الانسان ما خلق حتى يفعل أى شئ اشتهى وأما دلالتها على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على تلك اللطمة ولا يتركه ما أمكنه واذا كان الحال فى هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال فى جميع الاعمال وأما وجوب النبوة فلأنهم يحتاجون الى انسان يبين لهم أن العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هى ولا فائدة فى بعثة النبى الا تبيين الشرائع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدا والمعاد أنه لو أقر بهما ثم بان أن الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة أما اذا أنكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور فى الخارج ثابتة حقة ففى انكارها أعظم المضار فيلزم على العاقل أن يعترف بهذه الامور أخذا بالأحوط

ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك تثنان الاولى قوله (يدعوكم) أى الى الايمان (ليغفر لكم من ذنوبكم) استدل بالآية من جوز زيادة من فى الاثبات وذلك لقوله تعالى فى موضع آخر ان الله يغفر الذنوب جميعا وأجيب بأنه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه أن تكون من التبعيض

ينزل على الانبياء قال وعنده أم الكتاب لا يغير ولا يبدل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج يمحو الله ما يشاء قال ينسخ قال وعنده أم الكتاب قال لا ينسخ * وقال آخرون معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله ويثبت من لم يجئ أجله الى أجله ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب يقول يمحو من جاء أجله فذهب والمثبت الذى هو حى يجرى الى أجله **حدثنا** عمرو بن على قال ثنا يحيى قال ثنا عوف قال سمعت الحسن يقول يمحو الله ما يشاء قال من جاء أجله ويثبت قال من لم يجئ أجله الى أجله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا عوف عن الحسن نحو حديث ابن بشار * قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء قال أخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله لكل أجل كتاب قال آجال بنى آدم فى كتاب يمحو الله ما يشاء من أجله ويثبت وعنده أم الكتاب * قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قول الله يمحو الله ما يشاء ويثبت قالت قريش حين أنزل وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله ما نرى الا يا محمد تملك من شئ ولقد فرغ من الامر فأنزلت هذه الآية تخويفا ووعيدا لهم ان شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا ونحدث فى كل رمضان فنمحو ونثبت ما نشاء من أرزاق العباد ومصائبهم وما نعطيهم وما نقسم لهم **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * وقال آخرون معنى ذلك ويغفر ما يشاء من ذنوب عباده ويترك ما يشاء فلا يغفر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد فى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يثبت فى البطن الشقاء والسعادة وكل شئ فيغفر منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء * وأولى الاقوال التى ذكرت فى ذلك بتأويل الآية وأشبهها بالصواب القول الذى ذكرناه عن الحسن ومجاهد وذلك أن الله تعالى ذكره توعد المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بالعقوبة وتهددهم بها وقال لهم وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مثبتا فى كتاب هم مؤخرون الى وقت مجىء ذلك الاجل ثم قال لهم فاذا جاء ذلك الاجل يجئ الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه أو ممن هلاكه أو انقضاعه من رفعة أو هلاك مال فيقضى ذلك فى خلقه فذلك محوه ويثبت ما شاء ممن لم يجئ أجله ورزقه وأكله فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه وبهذا المعنى جاء الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما **حدثنى** محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا الليث بن سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل فى الساعة الاولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ذكر ما فى الساعتين الآخرتين **حدثنا** موسى بن سهل الرملى قال ثنا آدم قال ثنا الليث قال ثنا زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

والفريقين ويؤيد ماذكرنا استقراء الآيات فانها ماجاءت فى خطاب الكافرين الا مقرونة بمن كما فى هذه الآية وفى سورة نوح وسورة الاحقاف وقال فى خطاب المؤمنين فى سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل أراد أنه يغفر لهم مابينهم وبين الله من مابينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل أى لتكون المغفرة بدلا من الذنوب وضعف بأنه لم يوجد له فى اللغة نظير وعن الاصم أنه أراد اذا تبتم يغفر لكم بعض الذنوب التى هى الكبائر فأما الصغائر فلا حاجة الى غفرانها لأنها فى أنفسها مغفورة وزيفه القاضى بأن الصغيرة انما تكون مغفورة من الموحدين حيث يزيدثوابهم على عقابهم فأما من لاثواب له أصلا فلا يكون شئ من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل المراد أن الكافر قد ينسى بعض ذنوبه فى حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ماذكره وتاب منه وقال الامام فخر الدين الرازى فى الآية دلالة على أنه تعالى قد يغفر ذنب أهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على أنه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول فى الايمان فوجب أن يكون ذلك البعض هو ماعدا الكفر من الذنوب ولقائل أن يقول لانسلم أنه لم يشترط التوبة فى الآية لان قوله يدعوكم أى الى الايمان معناه آمنوا ليغفر لكم فكأنه قيل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز أن يكون ذلك البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله (ويؤخركم الى أجل مسمى) عن ابن عباس أى يمتعكم فى الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعى والا عاجلكم بعذاب الاستئصال وقد يحقق الاجل فى أول الانعام ثم شرع فى حكاية شبه الكفار وأنها ثلاث الاولى قولهم (ان أنتم الا بشر مثلنا) وذلك لاعتقادهم أن الاشخاص الانسانية متساوية فى تمام الماهية فيمتنع أن يبلغ التفاوت بينهم الى هذا الحد مع اشتراك الكل فى الضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) الثالثة انكارهم دلالة

فى ثلاث ساعات يبقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الاولى الذى لم يره أحد غيره يمحو مايشاء ويثبت مايشاء **حدثنى** محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء لها دفتان من ياقوت والدفتان لوحان لله كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال حدثنى رجل عن أبيه عن قيس بن عباد أنه قال العاشر من رجب هو يوم يمحو الله فيه مايشاء **القول** فى تأويل قوله تعالى ﴿وعنده أم الكتاب﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله وعنده أم الكتاب فقال بعضهم معناه وعنده الحلال والحرام ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا سليمن بن ابراهيم قال ثنا محمد بن عقبة قال ثنا مالك بن دينار قال سألت الحسن عن أم الكتاب قال الحلال والحرام قال قلت له فما الحمد لله رب العالمين قال هذه أم القرآن وقال آخرون معناه وعنده جملة الكتاب وأصله ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعنده أم الكتاب قال جملة الكتاب وأصله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وعنده أم الكتاب قال كتاب عند رب العالمين **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن يوسف عن جويبر عن الضحاك وعنده أم الكتاب قال جملة الكتاب وعلمه يعنى بذلك ما ينسخ منه وما يثبت **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وعنده أم الكتاب يقول وجملة ذلك عنده فى أم الكتاب الناسخ والمنسوخ والمبدل وما يثبت كل ذلك فى كتاب * وقال آخرون فى ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه عن شيبان عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أم الكتاب قال علم الله ماهو خالق وما خلقه عاملون فقال لعامه كن كتابا فكان كتابا * وقال آخرون هو الذكر ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج «قال أبو جعفر» لا أدرى فيه ابن جريج أم لا قال قال ابن عباس وعنده أم الكتاب قال الذكر * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال وعنده أصل الكتاب وجملته وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو مايشاء ويثبت مايشاء ثم عقب ذلك بقوله وعنده أم الكتاب فكان بينا أن معناه وعنده أصل مايمحو منه والممحو وجملته فى كتاب لديه واختلفت القراء فى قراءة قوله ويثبت فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ويثبت بتشديد الباء بمعنى ويتركه ويقره على حاله فلا يمحوه وقرأه بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين ويثبت بالتخفيف بمعنى يكتب وقد بينا قبل أن معنى ذلك عندنا اقراره مكتوبا وترك محوه على ماقد بينا فاذا كان ذلك كذلك فالتثبيت به أولى بالتشديد أصوب من التخفيف وان كان التخفيف قد يحتمل توجيهه فى المعنى الى التشديد والتشديد الى التخفيف لتقارب معنييهما وأما المحوفان للعرب فيه لغتين فأما مضر فانها تقول محوت الكتاب أمحوه محوا وبه التنزيل ومحوته أمحاه محوا وذكر عن بعض قبائل ربيعة أنها

المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا أنهم ما أتوا بحجة أصلا لاعتقادهم أن معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فانهم سلطانا مبينا أى برهانا باهرا وحجة قاهرة ثم ان الانبياء سلموا أنهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا أنفسهم بمزية من عند الله بطريق المنة والعطاء من الله أجاب المخالف بأنهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسمانية تواضعا منهم ولانه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم أهل لها لخصائص فيهم وأما الشبهة الثانية فانما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم قاعدة التقليد وأما الشبهة الثالثة فجوابها (وما كان لنا) أى ما صح منا (أن نأتى بآية) اقترحتموها من تلقاء أنفسنا وانما ذلك أمر يتعلق بمشيئة الله والظاهر أن الانبياء لما أجابوا عن شبهاتهم بما أجابوا فالقوم أخذوا فى السفاهة والتخويف وعند ذلك قالت الانبياء (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الى قوله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) قال علماء المعانى الاول لاستحداث التوكل والثانى للسعى فى ابقائه وادامته وقيل معنى الاول أن الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم أن يتوكلوا فى حصولها على الله لا علينا فان شاء أظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثانى ابداء التوكل على الله فى دفع شر الكفار وسفاهتهم وفى قولهم (وقد هدانا سبلنا) اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل أعباء الرسالة والصبر على متاعبها فان تأثير نفوسهم فى عالم الارواح كتأثير الشمس فى عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة والانوار الالهية أو بالوحى الصريح أنه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفى قولهم (ولنصبرن على ما آذيتمونا) دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومثمر السعادات أما قول الكفار للرسل (أو لتعودن فى ملتنا) فقد مر البحث عليه فى سورة الاعراف فى قصة شعيب وقال صاحب الكشاف العود ههنا بمعنى الصيرورة حلفوا أن يخرجوهم البتة الا أن يصيروا كافرين مثلهم (فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) أجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب

تقول محيت أمحى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وامانرينك بعض الذى نعدهم أونتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وامانرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم أونتوفينك قبل أن نريك ذلك فانما عليك أن تنتهى الى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته لا طلب صلاحهم ولا فسادهم وعلينا محاسبتهم فجازاتهم بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أولم يروا هؤلاء المشركون من أهل مكة الذين يسألون محمدا الآيات أنا نأتى الارض فنفتحها له أرضا بعد أرض حوالى أرضهم أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم كما فتحناه غيرها ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن الصباح قال ثنا هشيم عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال أولم يروا أنا نفتح لمحمد الارض بعد الارض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى بذلك ما فتح الله على محمد يقول فنقصانها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال ما تغلبت عليه من أرض العدو حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال كان الحسن يقول فى قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها فهو ظهور المسلمين على المشركين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان ينتقص له ما حوله من الارضين ينظرون الى ذلك فلا يعتبرون قال الله فى سورة الانبياء نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون بل نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الغالبون * وقال آخرون بل معناه أولم يروا أنا نأتى الارض فنخربها أولا يخافون أن نفعل بهم وبأرضهم مثل ذلك فنهلكهم ونخرب أرضهم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا على بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال أولم يروا الى القرية تخرب حتى يكون العمران فى ناحية * قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن الاعرج أنه سمع مجاهدا يقول نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال خرابها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الاعرج عن مجاهد مثله قال وقال ابن جريج خرابها وهلاك الناس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى جعفر الفراء عن عكرمة قوله أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال نخرب من أطرافها * وقال آخرون بل معناه ننقص من بركتها وثمرتها وأهلها بالموت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ننقصها من أطرافها يقول نقصان أهلها وبركتها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد فى قوله ننقصها من أطرافها قال فى الانفس وفى الثمرات وفى خراب الارض حدثنا ابن وكيع

ثنا أبى عن طلحة القناد عمن سمع الشعبى قال لو كانت الارض تنقص لضاق عليك حشك
لكن تنقص الانفس والثمرات * وقال آخرون معناه أنا نأتى الارض ننقصها من أهلها فنتطرفهم
بأخذهم بالموت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ننقصها من أطرافها قال موت أهلها حدثنا ابن بشار قال ثنا
يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال الموت
حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا هرون النحوى قال ثنا الزبير بن الحرث
عن عكرمة فى قوله ننقصها من أطرافها قال هو الموت ثم قال لو كانت الارض تنقص لم نجد
مكانا نجلس فيه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نأتى
الارض ننقصها من أطرافها قال كان عكرمة يقول هو قبض الناس حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال سئل عكرمة عن نقص الارض قال قبض الناس حدثنى
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة فى قوله أولم
يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال لو كان كما يقولون لما وجد أحدكم جبا يخرأ فيه
حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا اسمعيل بن علية عن أبى رجاء قال سئل عكرمة وأنا أسمع
عن هذه الآية أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قال الموت * وقال آخرون ننقصها من
أطرافها بذهاب فقهائها وخيارها ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا
أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال ذهاب علمائها وفقهائها وخيار
أهلها * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال موت العلماء * وأولى الاقوال
فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها بظهور المسلمين
من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عليها وقهرهم أهلها أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على
أرضهم وقهرهم اياهم وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركى قومه بقوله واما
نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ثم وبخهم تعالى ذكره
بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فعل الله بضربائهم من الكفار وهم مع ذلك يسألون الآيات فقال
أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها وهم
لا يعتبرون بما يرون من ذلك وأما قوله والله يحكم لا معقب لحكمه يقول والله هو الذى يحكم
فينفذ حكمه ويقضى فيمضى قضاؤه واذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه
لم يستطيعوا رده ويعنى بقوله لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب فى كلام العرب هو الذى
يكر على الشئ وقوله وهو سريع الحساب يقول والله سريع الحساب يحصى أعمال هؤلاء
المشركين لا يخفى عليه شئ وهو من وراء جزائهم عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقد مكر
الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ يقول
تعالى ذكره قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الامم التى سلفت بأنبياء الله
ورسله فلله المكر جميعا يقول فلله أسباب المكر جميعا وبيده واليه لا يضر مكر من مكر منهم أحدا

أو أضمر القول عن النبى صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره (ذلك) الذى قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان
المؤمنين ديارهم حق (لمن خاف مقامى) يريد موقف الله الذى يقف به عباده يوم القيامة وهو موقف الحساب او المقام مصدر أى خاف قيامى
عليه بالحفظ والمراقبة كقوله أفمن هو قائم على كل نفس أو قيامى بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط أو
المقام مقحم أى خافنى مثل سلام
الله على المجلس العالى (وخاف
وعيد) قال الواحدى هو اسم من
الايعاد وهو التهديد قال المحققون ان
الخوف من الله مغاير للخوف من
وعيد الله كما أن حب الله مغاير
لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف
أحد الخوفين على الآخر قوله
(واستفتحوا) الضمير اما للرسل
والمعنى استنصروا الله على
أعدائهم أو استحكموا الله وسألوه
القضاء بينهم من الفتاحة وهى
الحكومة واما للكفرة بناء على
ظنهم أنهم على الحق والرسل على
الباطل وعلى الاول يكون فى
الكلام اضمار التقدير فنصروا
وفازوا بالمقصود (وخاب كل جبار
عنيد) معاند وأصل العنود الميل
من العند الناحية والجانب كأن
كلا من المتعاندين فى جانب آخر
قيل الجبار وهو المتكبر اشارة الى
أن فيه خلق الاستكبار والعنيد
اشارة الى الأثر الصادر عن ذلك
الخلق وهو كونه مجانبا للحق
منحرفا عنه وأصل الكلام على
الاول واستفتح الرسل وخاب
الكفرة وعلى الثانى استفتحوا
وخابوا فوضع الاعم موضع
الاخص والظاهر مقام الضمير
تنصيصا على الكفرة بأن سبب
خيبتهم عن السعادة الحقيقية
تجبرهم وعنادهم (من ورائه) أى
من بين يديه يقال الموت وراء كل
أحد وذلك أن قدام وخلف كلاهما متوار عن الشخص فصح اطلاق لفظ وراء على كل واحد منهما وقال أبو عبيدة هو من
الاضداد لان أحدهما ينقلب الى الآخر وهذا وصف حاله فى الدنيا أو فى الآخرة حين يبعث ويوقف قال جار الله قوله (ويسقى) معطوف
على محذوف تقديره يلقى فى جهنم ما يلقى (ويسقى من ماء صديد) أى من ماء بيانه أو صفته هذا والصديد ما يسيل من جلود أهل النار

واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته أو تناوله وقيل يخلق الله فى جهنم مايشبه الصديد فى الثخن والغلظ والنتن (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولايكاد يسيغه) أى لم يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب فى الحوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به مافى بطونهم وانما المراد حصول المشروب فى الحلق فى الاستطابة وقبول النفس لا بالكراهية والتأذى قلت يحتمل أن يراد بالاساغة مجرد الحصول والآية أعنى قوله يصهر لاتدل على الحصول لقوله قبله يصب من فوق رؤسهم الحميم (ويأتيه الموت من كل مكان) من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من أصل كل شعرة وقيل المراد أن موجبات الموت أحاطت به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لايموت فيها ولايحيا ثم أخبر والعياذ بالله أن العذاب فى كل وقت يفرض من الاوقات المستقبلة يكون أشد وأنكى مما قبله فقال (ومن ورائه عذاب غليظ) عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها فى الاجساد قال فى الكشاف يحتمل أن يكون أهل مكة استفتحوا أى استمطروا والفتح المطر فى سنى القحط التى سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى فى جهنم بدل سقياه ماء أحر وهو صديد أهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستأنفا منقطعا عن حديث الرسل وأممهم

﴿ التأويل بسم الله أى باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابتدأت بخلق عالم الدنيا اظهار الصفات الرحمانية التى هى للمبالغة لاشتمال الحيوان والجماد والمؤمن والكافر فى الرحمة وبخلق عالم الآخرة اظهار الصفة الرحيمة لاختصاصها بالمؤمنين خاصة قوله الرأى بالآلائى وبلطفى ان القرآن أنزلناه اليك لتخرج الناس بدلالة نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذى يربيهم هو لا أنت وفى قوله الى صر

الامن أراد ضره به يقول فلم يضر الماكرون بمكرهم الامن شاء الله أن يضره ذلك وانما ضروا أنفسهم لانهم أسخطوا ربهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم ونجى رسله يقول فكذلك فافعل بالمشركون من قريش يمكرون بك يا محمد والله منجيك من مكرهم وملحق ضر مكرهم بهم دونك وقوله يعلم ما تكسب كل نفس يقول يعلم ربك يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك وما يسعون فيه من المكر بك ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم لايخفى عليه شئ منها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار يقول وسيعلمون اذا قد موا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون بالله ورسوله الجنة واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء المدينة وبعض أهل البصرة وسيعلم الكافر على التوحيد وأما قراء الكوفة فانهم قرؤه وسيعلم الكفار على الجمع والصواب من القراءة فى ذلك القراءة على الجمع وسيعلم الكفار لان الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم وأتبع بعده الخبر عنهم وذلك قوله وامانز ينك بعض الذى نعدهم أونتوفينك وبعده قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا وقد ذكرأنها فى قراءة ابن مسعود وسيعلم الكافرون وفى قراءة أبى وسيعلم الذين كفروا وذلك كله دليل على صحة ماأخترنا من القراءة فى ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا بالله من قومك يا محمد لست مرسلا تكذيبا منهم لك وجحودا لنبوتك فقل لهم اذا قالوا ذلك كفى بالله يقول الله حسبى الله شهيدا يعنى شاهدا بينى وبينكم على وعليكم بصدقى وكذبكم ومن عنده علم الكتاب فمن اذا قرئ كذلك فى موضع خفض عطفا به على اسم الله وكذلك قرأه قراء الامصار بمعنى والذين عندهم علم الكتاب أى الكتب التى نزلت قبل القرآن كالتوراة والانجيل وبنحو هذه القراءة فسر ذلك المفسرون ذكر الرواية بذلك حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا أبو الحياة يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن ابن أخى عبد الله بن سلام قال قال عبد الله بن سلام نزلت فى كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب حدثنا الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبو داود الطيالسى قال ثنا شعيب بن صفوان قال ثنا عبد الملك بن عمير عن ابن يوسف بن عبد الله بن سلام قال قال عبد الله بن سلام أنزل فى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال هم عنده علم الكتاب هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن ليث عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب قال هو عبد الله بن سلام حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله ومن عنده علم الكتاب قال رجل من الانس ولم يسمه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومن عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام * قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا قال قول

شارة الى أن القرآن هو طريق الوصول الى من احتجب بحجب العزة والمحمدة واستتر بأستار مظاهر القهر واللطف وفى الاختتام
سوله الله الذى له ما فى السموات وما الارض اشارة الى أن من بقى فى أفعاله وهى المكونات لم يصل الى صفاته ومن بقى فى
صفاته لم يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته بالخروج عن أنانيته الى هويته انتفع بصفاته وأفعاله وويل

شركى قريش قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب أناس من أهل الكتاب كانوا
شهدون بالحق ويقرون به ويعلمون أن محمدا رسول الله كما يحدث أن منهم عبد الله بن سلام
حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن قتادة ومن عنده علم الكتاب قال كان منهم
عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى وتميم الدارى حدثنا الحسن قال ثنا عبد الوهاب عن
سعيد عن قتادة ومن عنده علم الكتاب قال هو عبد الله بن سلام * وقد ذكر عن جماعة من
المفسرين أنهم كانوا يقرؤنه ومن عنده علم الكتاب بمعنى من عند الله علم الكتاب ذكر من
ذكر ذلك عنه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن هرون عن جعفر
ابن أبى وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله علم
الكتاب حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده
علم الكتاب قال من عند الله * قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده
علم الكتاب قال من عند الله علم الكتاب وقد حدثنا هذا الحديث الحسن بن محمد قال ثنا شبابة
قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد ومن عنده علم الكتاب قال هو الله هكذا قرأ الحسن ومن عنده
علم الكتاب * قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن مثله * قال ثنا على يعنى
ابن الجعد قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن ومن عنده علم الكتاب قال الله قال شعبة
فذكرت ذلك للحكم فقال قال مجاهد مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا
شعبة قال سمعت منصور بن زاذان يحدث عن الحسن أنه قال فى هذه الآية ومن عنده علم الكتاب
قال من عند الله * قال ثنا الحسن بن محمد قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن ومن عنده
علم الكتاب قال من عند الله علم الكتاب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر
عن الحسن ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله علم الكتاب هكذا قال ابن عبد الاعلى حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقرؤها قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم
ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله علم الكتاب وجلته هكذا حدثنا به بشر علم الكتاب وانا
أحسبه وهم فيه وأنه ومن عنده علم الكتاب لان قوله وجلته اسم لا يعطف باسم على فعل ماض
حدثنا الحسن قال ثنا عبد الوهاب عن هرون ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله علم
الكتاب حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر قال قلت لسعيد
ابن جبير ومن عنده علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام قال هذه السورة مكية فكيف يكون عبد الله
ابن سلام قال وكان يقرؤها ومن عنده علم الكتاب يقول من عند الله حدثنا الحسن قال ثنا
سعيد بن منصور قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر قال سألت سعيد بن جبير عن قول الله ومن عنده
علم الكتاب أهو عبد الله بن سلام قال فكيف وهذه السورة مكية وكان سعيد يقرؤها ومن عنده
علم الكتاب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عباد عن عوف عن الحسن
وعن جويبر عن الضحاك بن مزاحم قالا ومن عنده علم الكتاب قال من عند الله وقد روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبر بتصحيح هذه القراءة وهذا التأويل غير أن فى اسناده نظرا وذلك ما
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عباد بن العوام عن هرون الاعور عن الزهرى

للكافرين من شدة ألم الانقطاع عن الله ثم أخبر أن الكافر الحقيقى هو الذى قنع بالايمان التقليدى فأقبل على الدنيا وأعرض عن المولى فضل وأضل الابلسان قومه أى يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد أرسلنا بواسطة جبريل الجذبة موسى القلب بآيات عصا الذكر واليد البيضاء من الصدق والاخلاص أن أخرج قومك وهم الروح والسر والخفى من ظلمات الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيقى وذكرهم بأيام الله التى كان الله ولم يكن معه شئ وهو بحجبهم بلاهم ان فى ذلك التذكير لآيات فى نفى الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقى ببذل الوجود المجازى ولئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم فى تقربى اليكم لأزيدنكم فى محبتى لكم ولئن شكرتم فى محبتى لكم لأزيدنكم فى الخدمة ولئن شكرتم فى الخدمة لأزيدنكم فى الوصول ولئن شكرتم فى الوصول لأزيدنكم فى التجلى ولئن شكرتم فى التجلى لأزيدنكم فى الفناء عنكم ولئن شكرتم فى الفناء لأزيدنكم فى البقاء ولئن شكرتم فى البقاء لازيدنكم فى الوحدة ولئن كفرتم نعمتى فى المعاملات كلها ان عذابى قطيعتى لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا أنتم أيها الروح والسر والخفى بالاعراض عن الحق والاقبال على الدنيا بتبعية النفس ومن فى أرض البشرية من النفس والهوى والطبيعة يدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم صفة الغفارية من ذنوبكم التى أصابتكم من حجب عالم الخلق ويؤخركم فى التخلق بأخلاقه الى أجل مسمى هو وقت الفناء فى الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون للتوكل مقامات فتوكل المبتدئ قطع النظر عن الاسباب فى طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المتوسط

قطع تعلق الاسباب بالمسبب وتوكل المنتهى قطع تعلق ماسوى الله والاعتصام ببابه لمن خاف مقامى وهو مقام الوصول الى الله فان هذا الأخص وأما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام عن مقام النار وخاف وعيد القطيعة واستنصر القلب والروح من أمر على النفس والهوى من ورائه أى قدام النفس فى متابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة ويسقى من ماء صديد هو مايسيل من الصفات والاخلاق من الافعال الرذيلة يسقى منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه لانه ليس من شربه ويأتيه أسباب الموت من كل مكان من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله أعلم بالصواب ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة

الخفض

كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أندادا ليضلوا

عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ومن عنده علم الكتاب عند علم الكتاب وهذا خبر ليس له أصل عند الثقات من أصحاب الزهرى فاذا كان ذلك كذلك وكانت قراء الامصار من أهل الحجاز والشام والعراق على القراءة الاخرى وهى ومن عنده الكتاب كان التأويل الذى على المعنى الذى عليه قراء الامصار أولى بالصواب ممن خالفه اذ كان القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصواب * آخر تفسير سورة الرعد والحمد لله صادق الوعد

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تفسير سورة ابراهيم عليه السلام﴾

﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد﴾ «قال أبو جعفر الطبرى» قد تقدم منا البيان عن معنى قوله الر فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله كتاب أنزلناه اليك فان معناه هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد يعنى القرآن لتخرج الناس من الظلمات الى النور يقول لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر الى نور الايمان وضيائه وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى وقوله باذن ربهم يعنى بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم الى صراط العزيز الحميد يعنى الى طريق الله المستقيم وهو دينه الذى ارتضاه وشرعه لخلقه والحميد فعيل صرف من مفعول الى فعيل ومعناه المحمود بآلائه وأضاف تعالى ذكره اخراج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم لهم بذلك الى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الهادى خلقه والموفق من أحب منهم للايمان اذ كان منه دعاؤهم اليه وتعريفهم مالهم فيه وعليهم فبين بذلك صحة قول أهل الاثبات الذين أضافوا أفعال العباد اليهم كسبا والى الله جل ثناؤه انشاء وتدبيرا وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله فى ذلك صنع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور أى من الضلالة الى الهدى

﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والشام الله الذى له ما فى السموات برفع اسم الله على الابتداء وتصيير قوله الذى له ما فى السموات خبره وقرأته عامة قراء أهل العراق والكوفة والبصرة الله الذى بخفض اسم الله على اتباع ذلك العزيز الحميد وهما خفضان وقد اختلف أهل العربية فى تأويله اذا قرئ كذلك فذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه كان يقرؤه بالخفض ويقول معناه باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الذى له ما فى السموات ويقول هو من المؤخر الذى معناه التقديم ومثله بقول القائل مررت بالظريف عبد الله والكلام الذى يوضع مكان الاسم النعت ثم يجعل الاسم مكان النعت فيتبع اعرابه اعراب النعت الذى وضع موضع الاسم كما قال بعض الشعراء

لو كنت ذا نبل وذا شزيب * ما خفت شدات الخبيث الذيب

وأما الكسائى فانه كان يقول فيما ذكر عنه من خفض أراد أن يجعله كلاما واحدا وأتبع الخفض

عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع
فيه ولا خلال الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر
بأمره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) ۞ القراآت الرياح على الجمع أبو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلى وخلف الباقون بلفظ الفعل سبلنا باسكان الباء حيث كان أبو عمرو لى عليكم بفتح الياء حفص بمصرخى بكسر الياء حمزة الآخرون بالفتح أشركتمونى بالياء فى الحالين سهل و يعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو و يزيد وقتيبة واسمعيل فى الوصل البوار ممالة أبو عمرو وعلى ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل و يعقوب الباقون بضمها لعبادى الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلى و يعقوب والاعشى الباقون بالفتح من كل بالتنوين يزيد وعباس الباقون بالاضافة ۞ الوقوف عاصف ط بناء على أن ما بعده مستأنف كأن سائلا سأل هل يقدرون من أعمالهم على شئ ط البعيد ٥ بالحق ط جديد ٥ لا لأن ما بعده يتم معنى الكلام بعزيز ٥ من شئ ط لهديناكم ط محيص ٥ فأخلفتكم ط فاستجبتم لى ج لاختلاف الجملتين أنفسكم ط لابتداء النفى بمصرخى ط لحق ان من قال ان الابتداء بقوله انى كفرت قبيح فجوابه ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل ط أليم ٥ باذن ربهم ط سلام

الخفض وبالخفض كان يقرأ والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء معناهما واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد يجوز أن يكون الذى قرأه بالرفع أراد معنى من خفض فى اتباع الكلام بعضه بعضا ولكنه رفع لانفصاله من الآية التى قبله كما قال جل ثناؤه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الى آخر الآية ثم قال التائبون العابدون ومعنى قوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الله الذى يملك جميع ما فى السموات وما فى الارض يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنزلنا اليك هذا الكتاب لتدعو عبادى الى عبادة من هذه صفته و يدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضرا ولا نفعا من الآلهة والاوثان ثم توعد جل ثناؤه من كفر به ولم يستجب لدعاء رسوله الى ما دعاه اليه من اخلاص التوحيد له فقال وويل للكافرين من عذاب شديد يقول الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم لمن جحد وحدانيته وعبد معه غيره من عذاب الله الشديد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة و يصدون عن سبيل الله و يبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد) يعنى جل ثناؤه بقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصى الله فيها على طاعة الله وما يقربهم الى رضاه من الاعمال النافعة فى الآخرة و يصدون عن سبيل الله يقول و يمنعون من أراد الايمان بالله واتباع رسوله على ما جاء به من عند الله من الايمان به واتباعه و يبغونها عوجا يقول و يلتمسون سبيل الله وهى دينه الذى ابتعث به رسوله عوجا تحريفا وتبديلا بالكذب والزور والعوج بكسر العين وفتح الواو فى الدين والارض وكل ما لم يكن قائما فاما فى كل ما كان قائما كالحائط والرمح والسن فانه يقال بفتح العين والواو جميعا عوج يقول الله عز ذكره أولئك فى ضلال بعيد يعنى هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يقول هم فى ذهاب عن الحق بعيد وأخذ على غير هدى وجور عن قصد السبيل وقد اختلف أهل العربية فى وجه دخول على فى قوله على الآخرة فكان بعض نحويى البصرة يقول أوصل الفعل بعلى كما قيل ضربوه فى السيف يريد بالسيف وذلك أن هذه الحروف يوصل بها كلها وتحذف نحو قول العرب نزلت زيدا ومررت زيدا يريدون مررت به ونزلت عليه وقال بعضهم انما أدخل ذلك لان الفعل يؤدى (١) عن معناه من الافعال ففى قوله يستحبون الحياة الدنيا معناه يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ولذلك أدخلت على وقد بينت هذا ونظائره فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن الاعادة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء و يهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم) يقول تعالى ذكره وما أرسلنا الى أمة من الامم يا محمد من قبلك ومن قبل قومك رسولا الا بلسان الامة التى أرسلناه اليها ولغتهم ليبين لهم يقول ليفهمهم ما أرسله الله به اليهم من أمره ونهيه ليثبت حجة الله عليهم ثم التوفيق والخذلان بيد الله فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم و يوفق لقبوله من شاء ولذلك رفع فيضل لانه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله كما قيل لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء وهو العزيز الذى لا يمتنع مما أراده من ضلال أو هداية من أراد ذلك به والحكيم فى توفيقه للايمان من وفقه له وهدايته له من هداه اليه وفى اضلاله من أضل عنه

(١) لعله يؤدى غير معناه الخ والأمر واضح كتبه مصححه

٥ فى السماء ٥ لا ربها ط يتذكرون ٥ من قرار ط وفى الآخرة ج لتكرار اسم الله تعالى فى الفعلين مع أن كليهما مستقل بخلاف قوله و يفعل الله لانه فى المعنى بيان قوله و يضل الله ما يشاء ٥ البوار لا جهنم لان ما بعده يصلح استئنافا أو حالا من فاعل أحلوا أو من مفعوله أو من كليهما يصلونها ط القرار ٥ عن سبيله ط الى النار ٥

ولاخلال ٥ رزقالكم ط بأمره ج الانهار ج دائبين ج والنهار ج لحسن هذه الوقوف مع العطف لتفصيل النعم تنبيها على الشكر سألتموه ط لابتداء الشرط مع تمام الكلام لانحصوها ط كفار ٥ ۞ التفسير لما ذكر في الآيات المتقدمة أنواع عذاب الكفار أراد أن يبين غاية حسرتهم ونهاية خيبتهم فقال (مثل الذين) وارتفاعه عند سيبويه على الابتداء والخبر محذوف أي فيما يتلى أو يقص عليكم مثلهم وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف أي مثل أعمال الذين كفروا وانما جاز حذفه استغناء بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فأخبر عنها بالجملة المراد صفة الذين كفروا (أعمالهم كرماد) كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله غير مخزون ويجوز أن يكون أعمالهم بدلا والخبر كرماد وحده والمراد بأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين واعانة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير أساس التوحيد والايمان برماد طيرته الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي عصوف أو في يوم عاصف الريح فحذف لذكره مرة وقيل المراد من أعمالهم عباداتهم للاصنام ووجه حسرتهم أنهم أتعبوا أبدانهم فيها دهرا طويلا ثم لم ينتفعوا بذلك بل استضروا به وقوله (مما كسبوا على شئ) القياس عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة ولأن مما كسبوا صفة لشئ ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب أعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر ولهذا أشار اليه بقوله (ذلك هو الضلال البعيد) أي عن الحق والثواب ثم كان لسائل أن يسأل كيف يليق بحكمته اضاعة أفعال المكلفين فقال (ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق) مستشهدا للفوائد والحكم دالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان والاخلاص

وفي غير ذلك من تدبيره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أي بلغة قومه ما كانت قال الله عز وجل ليبين لهم الذي أرسل اليهم ليتخذ بذلك الحجة قال الله عز وجل فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا قبلك يا محمد كما أرسلنا اليك الى قومك بمثلها من الادلة والحجج كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن الأشيب قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ح وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا قال بالبينات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد أرسلنا موسى بآياتنا قال التسع الآيات الطوفان ومامعه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أرسلنا موسى بآياتنا قال التسع البينات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله أن أخرج قومك من الظلمات الى النور كما أنزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم ويعني بقوله أن أخرج قومك من الظلمات الى النور أي ادعهم من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور يقول من الضلالة الى الهدى حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة مثله وقوله وذكرهم بأيام الله يقول عز وجل وعظهم بما سلف من نعمي عليهم في الايام التي خلت فاجترئ بذكر الايام من ذكر النعم التي عناها لانها أيام كانت معلومة عندهم أنعم الله عليهم فيها نعما جليلة أنقذهم فيها من آل فرعون بعدما كانوا فيما كانوا من العذاب المهين وغرق عدوهم فرعون وقومه وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وكان بعض أهل العربية يقول معناه خوفهم بما نزل بعاد وثمود وأشباههم من العذاب وبالعفو عن الآخرين قال وهو في المعنى كقولك خذهم بالشدة واللين وقال آخرون منهم قد وجدنا التسمية النعم بالايام شاهدا في كلامهم ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم

وأيام لنا غر طوال ٭ عصينا الملك فيها أن ندينا

وقال فقد يكون انما جعلها غرا طوالا لانعامهم على الناس فيها وقال فهذا شاهد لمن قال وذكرهم بأيام الله بنعم الله ثم قال وقد يكون تسميتها غرا لعلوهم على الملك وامتناعهم منه فأيامهم غر لهم وطوال على أعدائهم «قال أبو جعفر» وليس للذي قال هذا القول من أن في هذا البيت دليلا على

أن

من أنه سبحانه يمكن أن يوجد فى أفعاله عبث أو خلل أو سهو ثم بين كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبائح وعن عمل كل عامل فقال (إن يشأ يذهبكم) وقدم مثله فى سورة النساء (وما ذلك على الله بعزيز) متعذر لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فان قيل غرض من الآية اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد وهل فيه دليل على أن الفياض لا يوجد بدون الفيض قلنا على تقدير تسليمه لا تنحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هى تأكيد التخويف فان التألم من تصور العدم المجرد ليس كالتألم من تصور عدمه مع اقامة غيره مقامه على أن الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص ونصب غيره مقامه وللحكيم أن يستدل بقوله يذهبكم على أن مادة الجوهر لا تعدم وانما تعدم الصور والأعراض والجواب أن الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام ههنا امتناعه فى جميع الصور وفيه أنه الحقيق بأن يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك أتبعه أحوال الآخرة قال (وبرزوا) بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع مثل وسيق ونادى والتركيب يدل على الظهور بعد الخفاء ومنه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان على أقرانه اذا فاقهم ومعنى برزوا لله وهو سبحانه لا يخفى عليه شئ أنهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشف لهم عند أنفسهم وعلموا أن الله لا يخفى عليه خافية أو المضاف محذوف أى برزوا لحساب الله وحكمه قال أبو بكر الاصم قوله وبرزوا لله هو المراد من قوله ومن

أن الايام معناها النعم وجه لأن عمرو بن كلثوم انما وصف ما وصف من الايام بأنها غر لعز عشيرته وبهارا متناعهم على الملك من الاذعان له بالطاعة وذلك كقول الناس ما كان لفلان قط يوم أبيض يعنون بذلك أنه لم يكن له يوم مذكور بخير وأما وصفه اياها بالطول فانها لا توصف بالطول الا فى حال شدة كما قال النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وانما وصفها عمرو بالطول لشدة مكروهها على أعداء قومه ولا وجه لذلك غير ما قلت وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بأنعم الله **حدثنى** اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عبيد المكتب عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبيد المكتب عن مجاهد مثله **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عنبر عن حصين عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بأيام الله قال بنعم الله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال أخبرنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بالنعم التى أنعم بها عليهم أنجاهم من آل فرعون وفلق لهم البحر وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن سعيد بن جبير وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكرهم بأيام الله يقول ذكرهم بنعم الله عليهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وذكرهم بأيام الله قال أيامه التى انتقم فيها من أهل معاصيه من الامم خوفهم بها وحذرهم اياها وذكرهم أن يصيبهم ما أصاب الذين من قبلهم **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا محمد بن أبان عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى عن النبى صلى الله عليه وسلم وذكرهم بأيام الله قال نعم الله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثورى عن عبيد الله أو غيره عن مجاهد وذكرهم بأيام الله قال بنعم الله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان فى الايام التى سلفت بنعمى عليهم يعنى على قوم موسى لآيات يعنى لعبرا ومواعظ لكل صبار شكور يقول لكل ذى صبر على طاعة الله وشكر له على ما أنعم عليه من نعمه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قول الله عز وجل ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور قال نعم العبد عبد اذا ابتلى صبر واذا أعطى شكر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله

ورأته عذاب غليظ وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهرت عليه آثار الملكات والهيآت التى كان تنعمها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا الموقف الحال بصفاتهم الحسنة وهيآتهم النورية فما أجل تلك الاحوال وياطوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا الموقف الجلال بأوصافهم

الذمية وهيآتهم المظلمة فما أعظم تلك الفضيحة وما أشنع تلك المهانة كتب الضعفواء بواو وقبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ومثله علماء بنى اسرائيل والضعفاء العوام والاراذل والذين استكبروا سادتهم وأشرافهم الذين استنكفوا عن عبادة ربهم فضلوا وأضلوا قال الفراء أكثر أهل اللغة على أن التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس وجاز الزجاج أن يكون التبع مصدرا أى ذوى اتباع اما فى الكفر أو فى الامور الدنيوية (فهل أنتم مغنون) هل يمكنكم دفع عذاب الله (عنا) ومن فى (من عذاب الله) للتبيين وفى (من شئ) للتبعيض والمعنى هل تدفعون عنا بعض الشئ الذى هو عذاب الله أو كلاهما للتبعيض بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) عن ابن عباس لو أرشدنا الله لأرشدناكم قال الواحدى معناه أنهم اعتمادا عوهم الى الضلال لان الله أضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال فى الكشاف لعلهم قالوا ذلك مع أنهم كذبوا فيه كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بأن هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوزون صدور الكذب عن أهل القيامة كما مر فى أوائل الانعام فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز أيضا أن يكون المراد لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهدينا كم الى الايمان وزيف بأن كل ما فى مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله وقيل لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة ويؤكد هذا التفسير قوله (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) واعرابه كقوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم أرادوا اقناطهم من دفع العذاب بالكلية أو أرادوا أن عتاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع من الجزع ولا فائدة فيه ولا فى الصبر وجوز فى الكشاف أن يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره فى وصل كلام انسان بكلام انسان آخر قوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض أو مكان كالمبيت والمضيف ولما ذكر مناظرة شياطين الانس

عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد لقومك قول موسى بن عمران لقومه من بنى اسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم التى أنعم بها عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يقول حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته يسومونكم سوء العذاب أى يذيقونكم شديد العذاب ويذبحون أبناءكم وأدخلت الواو فى هذا الموضع لانه أريد بقوله ويذبحون أبناءكم الخبر عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بنى اسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح وأما فى موضع آخر من القرآن فانه جاء بغير الواو يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم فى موضع وفى موضع يقتلون أبناءكم ولم تدخل الواو فى المواضع التى لم تدخل فيها لانه أريد بقوله يذبحون وبقوله يقتلون تبيينه صفات العذاب الذى كانوا يسومونهم وكذلك العمل فى كل جملة أريد تفصيلها فبغير الواو تفصيلها واذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فالواو **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن الزبير عن ابن عيينة فى قوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم أيادى الله عندكم وأياديه وقوله ويستحيون نساءكم يقول ويبقون نساءكم فيتركون قتلهن وذلك استحياؤهم كان اياهن وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ومعناه يتركونهم والحياة هى الترك ومنه الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم يعنى استبقوهم فلا تقتلوهم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم يقول تعالى وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب بلاء لكم من ربكم عظيم أى ابتلاء واختبار لكم من ربكم عظيم وقد يكون البلاء فى هذا الموضع نعماء وقد يكون معناه من البلاء الذى قد يصيب الناس فى الشدائد وغيرها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد﴾ يقول جل ثناؤه واذكروا أيضا حين آذنكم ربكم وتأذن تفعل من آذن والعرب ربما وضعت تفعل موضع أفعل كما قالوا أوعدته وتوعدته بمعنى واحد وآذن أعلم كما قال الحرث بن حلزة

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

يعنى بقوله آذنتنا أعلمتنا وذكر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه كان يقرأ واذ تأذن ربكم واذ قال ربكم **حدثنى** بذلك الحرث قال ثنى عبدالعزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عنه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذ تأذن ربكم واذ قال ربكم ذلك التأذن وقوله لئن شكرتم لأزيدنكم يقول لئن شكرتم ربكم بطاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم لأزيدنكم فى أياديه عندكم ونعمه عليكم على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص من عذابهم وقيل فى ذلك قول غيره وهو ما **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا الحسين بن الحسن قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت على بن صالح يقول فى قول الله عز وجل لئن شكرتم لأزيدنكم قال أى من طاعتى **حدثنى** المثنى قال ثنا يزيد قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت على بن صالح فذكر نحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان لئن شكرتم لأزيدنكم

أزيدنكم قال من طاعتى **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مالك بن مغول
عن أبان بن أبى عياش عن الحسن فى قوله لئن شكرتم لأزيدنكم قال من طاعتى ولا وجه لهذا
القول يفهم لانه لم يجر للطاعة فى هذا الموضع ذكر فيقال ان شكرتمونى عليها زدتكم منها وانما
جرى ذكر الخبر عن انعام الله على قوم موسى بقوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم ثم
اخبرهم أن الله أعلمهم ان شكروه على هذه النعمة زادهم فالواجب فى المفهوم أن يكون معنى
الكلام زادهم من نعمه لا مما يجر له ذكر من الطاعة الا أن يكون أريد به لئن شكرتم فأطعتمونى
لأزيدنكم من أسباب الشكر ما يعينكم عليه فيكون ذلك وجها وقوله ولئن كفرتم ان
عذابى لشديد يقول ولئن كفرتم أيها القوم نعمة الله فجحدتموها بترك شكره عليها وخلافه فى
أمره ونهيه وركوبكم معاصيه ان عذابى لشديد أعذب بكم كما أعذب من كفر بى من خلقى وكان
بعض البصريين يقول فى معنى قوله واذ تأذن ربكم وتأذن ربكم ويقول اذن من حروف الزوائد
ودللنا على فساد ذلك فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال موسى ان تكفروا
أنتم ومن فى الارض جميعا فان الله لغنى حميد﴾ يقول تعالى ذكره وقال موسى لقومه ان
تكفروا أيها القوم فتجحدوا نعمة الله التى أنعمها عليكم أنتم ويفعل فى ذلك مثل فعلكم من فى
الارض جميعا فان الله لغنى عنكم وعنهم من جميع خلقه لا حاجة به الى شكركم اياه على نعمه عند
جميعكم حميد ذو حمد الى خلقه بما أنعم به عليهم كما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال
ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف عن أبى روق عن أبى أيوب عن على فان الله لغنى قال
غنى عن خلقه حميد قال مستحمد اليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم يأتكم نبأ الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا
أيديهم فى أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب﴾ يقول
تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لقومه ياقوم ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم يقول خبر الذين من
قبلكم من الامم التى مضت قبلكم قوم نوح وعاد وثمود (١) وقوم عاد فبين بهم عن الذين وعاد معطوف
بها على قوم نوح والذين من بعدهم يعنى من بعد قوم نوح وعاد وثمود لا يعلمهم الا الله يقول لا يحصى
عددهم ولا يعلم مبلغهم الا الله كما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان
عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن
ميمون عن عبد الله بن مسعود بمثل ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا
اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون قال ثنا ابن مسعود أنه كان يقرؤها وعادا وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ثم يقول كذب النسابون **حدثنى** ابن المثنى قال ثنا
ابن أبى عدى قال ثنا عيسى بن جعفر عن سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله مثله
وقوله جاءتهم رسلهم بالبينات يقول جاءت هؤلاء الامم رسلهم الذين أرسلهم الله اليهم بدعائهم الى
اخلاص العبادة له بالبينات يعنى بالحجج الواضحات والدلالات البينات الظاهرات على حقيقة

(١) قوله وقوم عاد لعله زائد من قلم الناسخ تأمل كتبه مصححه

صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق
وقضى بينهم يقول الكافرون قد
وجد المسلمون من يشفع لهم فمن
يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذى
أضلنا فيأتونه ويسألونه فعند ذلك
يقول هذا القول ووعد الحق من
اضافة الموصوف الى صفته مثل
مسجد الجامع أو تأويله ووعد اليوم
الحق أو الامر الحق وهو البعث
والجزاء على الاعمال وفى الآية
اضماران الاول وعدكم وعد الحق
فوفى لكم بما وعدكم الثانى ووعدتكم
خلاف ذلك فأخلفتكم الوعد ووجه
الاضمار الاول دلالة الحال عليه
لانهم كانوا يشاهدون وليس وراء
العيان بيان ولان ذكر نقيضه وهو
اخلاف الوعد من الشيطان يغنى
عنه ووجه الثانى أيضا مثل ذلك ثم
ذكر طريق وسوسته اعتذارا منهم
فقال (وما كان لى عليكم من سلطان)
من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر
والمعاصى (الا أن دعوتكم) قال
النحويون هذا الاستثناء منقطع
لان الدعاء ليس من جنس السلطان
فالمراد لكن دعائى اياكم الى الضلالة
بوسوسة ويمكن أن يوجه الاستثناء
بالاتصال لان قدرة الانسان على
حمل الغير على عمل من الاعمال تارة
تكون بالقسر وتارة بتقوية
الداعية فى قلبه بالقاء الوساوس اليه
فهذا نوع من أنواع التسلط (فلا
تلومونى ولوموا أنفسكم) لانكم
ما سمعتم منى الا الدعاء والتزيين
وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم

أنبيائه فكان من الواجب عليكم أن لا تغتروا بقولى ولا تلتفتوا الى قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن الانسان هو الذى يختار الشقاوة
والسعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلومونى ولا أنفسكم فان الله قضى
عليكم الكفر وأجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا أن عدم انكار الله تعالى عليه حجة هذا مع أن أول كلام اللعين مبنى على

الانصاف والصدق فكذا ينبغي أن يكون آخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك أن الانسان اذا أحس بشئ أو أدرك شيئا عليه شعوره بكونه ملائما له أو بكونه منافرا له ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل أو الى الترك وكل هذه الاشياء من النفس ولا مدخل للشيطان في شئ من هذه المقامات الا بأن يذكره شيأ مثل أن الانسان كان غافلا عن صورة فيلقي الشيطان حديثها في خاطره وكيف يعقل تمكن الشيطان من النفوذ في داخل أعضاء الانسان والقاء الوسوسة اليه جوابه أن الشيطان اذا كان جسما لطيفا والله سبحانه ركبه تركيبا عجيبا لا يقبل التفرق والتمزق مع لطافته فلا يستبعد نفوذه في الاجرام الكثيفة كالنار تسري في الفحم وكالدهن في السمسم وان كان جوهرا نورانيا مجبولا على الشر والنفس الانسانية أيضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد وصول أثر أحدهما الى الآخر وذهب بعض الحكماء الى أن كل روح من الارواح البشرية فانه ينتسب الى روح معين من الارواح السماوية وأنها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحسنة في حالتي النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرة واما ان كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والقدماء كانوا يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء احتمالا آخر وهو أن النفوس البشرية اذا فارقت أبدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة في بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن وتعضدها على أحوالها وأفعالها فاذا كان هذا المعنى في أبواب الخير كان الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى سبحانه عن الشيطان أنه قال (ما أنا بمصرخكم) قال ابن عباس بمغيثكم ولا منقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ المستغيث والمصرخ

مادعوهم اليه معجزات . وقوله فردوا أيديهم في أفواههم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فعضوا على أصابعهم تغيظا عليهم في دعائهم اياهم الى مادعوهم اليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا عليها تغيظا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله فردوا أيديهم في أفواههم قال غيظا هكذا وعض يده **حدثني** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوها **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قول الله عز وجل فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا على أصابعهم **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا على أطراف أصابعهم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن هبيرة عن عبد الله قال في هذه الآية فردوا أيديهم في أفواههم قال أن يجعل اصبعه في فيه **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن هبيرة عن عبد الله في قول الله عز وجل فردوا أيديهم في أفواههم ووضع شعبة أطراف أنامله اليسرى على فيه **حدثنا** الحسن قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا شعبة قال أخبرنا أبو اسحق عن هبيرة قال قال عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال هكذا وأدخل أصابعه في فيه **حدثنا** الحسن قال ثنا عفان قال ثنا شعبة قال أبو اسحق أنبأنا عن هبيرة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية فردوا أيديهم في أفواههم قال أبو علي وأرانا عفان وأدخل أطراف أصابع كفه مبسوطة في فيه وذكر أن شعبة أراه كذلك **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله فردوا أيديهم في أفواههم قال عضوا على أناملهم وقال سفيان عضوا غيظا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فردوا أيديهم في أفواههم فقرأ عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال ومعنى ردوا أيديهم في أفواههم قال أدخلوا أصابعهم في أفواههم وقال اذا اغتاظ الانسان عض يده * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم لما سمعوا كتاب الله عجبوا منه ووضعوا أيديهم على أفواههم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فردوا أيديهم في أفواههم قال لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم الى أفواههم * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم كذبوهم بأفواههم ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ح **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فردوا أيديهم في أفواههم قال ردوا عليهم قولهم وكذبوهم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح

حيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه وأصرخته أى أغثته وعاب النحويون على حمزة أنه قرأ وما أنتم بمصرخى لان ياء الاضافة تكون الا مفتوحة حيث قبلها ألف فى نحو عصاى فما بالها وقبلها ياء وحاصل ما عابوا عليه أنه لم يوجد له نظير فى استعمال العرب لكنك تعلم ان القرآن حجة على غيره قوله (انى كفرت بما أشركتمونى) ان كانت مامصدرية فالمعنى انى كفرت أى أنا جاحد

صبح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم يقول قومهم كذبوا رسلهم وردوا عليهم ما جاؤا به من البينات وردوا عليهم بأفواههم وقالوا انا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فردوا أيديهم فى أفواههم قال ردوا على الرسل ما جاءت به وكأن مجاهدا وجه قوله فردوا أيديهم فى أفواههم الى معنى ردوا أيادى الله التى لو قبلوها كانت أيادى ونعما عندهم فلم يقبلوها ووجه قوله فى أفواههم الى معنى بأفواههم يعنى بألسنتهم التى فى أفواههم وقد ذكر عن بعض العرب سماعا أدخلك الله بالجنة يعنون فى الجنة وينشد هذا البيت

وأرغب فيها عن لقيط ورهطه * ولكننى عن سنبس لست أرغب

يريد وأرغب فيها يعنى أرغب بها عن لقيط ولا أرغب بها عن قبيلتى * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم كانوا يضعون أيديهم على أفواه الرسل ردا عليهم قولهم وتكذيبا لهم * وقال آخرون هذا مثل وانما أريد أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا وقال يقال للرجل اذا أسئل عن الجواب فلم يجب رديده فى فيه وذكر بعضهم أن العرب تقول كلمت فلانا فى حاجة فرديده فى فيه اذا سكت عنه فلم يجب وهذا أيضا قول لا وجه له لان الله عز وجل ذكره قد أخبر عنهم أنهم قالوا انا كفرنا بما أرسلتم به فقد أجابوا بالتكذيب وأشبه هذه الاقوال عندى بالصواب فى تأويل هذه الآية القول الذى ذكرناه عن عبد الله بن مسعود أنهم ردوا أيديهم فى أفواههم فعضوا عليها غيظا على الرسل كما وصف الله عز وجل به اخوانهم من المنافقين فقال واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من رد اليد الى الفم وقوله وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به يقول عز وجل وقالوا لرسلهم انا كفرنا بما أرسلكم به من أرسلكم من الدعاء الى ترك عبادة الاوثان والاصنام وانا لفى شك من حقيقة ما تدعوننا اليه من توحيد الله مريب يقول يريبنا ذلك الشك أى يوجب لنا الريبة والتهمة فيه يقال منه أراب الرجل اذا أتى بريبة يريب ارابة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين﴾ يقول تعالى ذكره قالت رسل الامم التى أتتها رسلها أفى الله أنه المستحق عليكم أيها الناس الالوهة والعبادة دون جميع خلقه شك وقوله فاطر السموات والارض يقول خالق السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يقول يدعوكم الى توحيده وطاعته ليغفر لكم من ذنوبكم يقول فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعفو عنها فلا يعاقبكم عليها ويؤخركم يقول ويبقى فى آجالكم فلا يعاقبكم فى العاجل فيهلككم ولكن يؤخركم الى الوقت الذى كتب فى أم الكتاب أنه يقبضكم فيه وهو الاجل الذى سمى لكم فقالت الامم لهم ان أنتم أيها القوم الا بشر مثلنا فى الصورة والهيئة ولستم ملائكة وانما تريدون بقولكم هذا الذى تقولون لنا أن تصدونا

وما كان لى رضا بائسرا كم لى فى الدنيا مع الله فى الطاعة وفى أن لى تدبيرا وتصرفا فى هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من أن ما فى معنى من كقوله سبحان ما سخركن لنا فالمراد انى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالله الذى أشركتمونيه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير أن ابليس كأنه يقول لا تأثير لوسوستى فى كفركم بدليل انى كفرت بالله قبل أن كفرتم وما كان كفرى بسبب وسوسة أخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا أن سبب الوقوع فى الكفر شئ آخر سوى الوسوسة وهذا التقرير يناسب أصول الاشاعرة أما قوله (ان الظالمين لهم عذاب أليم) فالأظهر أنه كلام الله ويشمل ابليس ومن تابعه من الثقلين وليس ببعيد أن يكون من بقية كلام ابليس قطعا لأطماع أولئك الكفار عن اغاثته ثم شرع فى أحوال السعداء وقال (وأدخل) على لفظ الماضى تحقيقا للوقوع وقوله (باذن ربهم) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وأمره وقرأ الحسن وأدخل على لفظ المتكلم قال فى الكشاف فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعنى ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله (تحيتهم فيها سلام) فى أول سورة يونس ثم لما بين أحوال السعداء وكان قد ذكر أحوال

أضدادهم أراد أن يذكر لكل من الفريقين مثلا قال فى الكشاف (كلمة طيبة) نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا أو ضرب بمعنى جعل أى جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة وقال صاحب حل العقد أظن أن الوجه أن يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعول ثان عن ابن عباس الكلمة الطيبة هى قول لا اله الا الله

محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد أن الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل أن يسعى في تحصيلها واذخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن أما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة ويشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب الفاكهة المتولدة منها وطيب منافعها والثانية (أصلها ثابت) راسخ آمن من الانقطاع ولاشك أن الشيء الطيب انما يكمل الفرح بحصوله اذا أمن انقراضه وزواله والثالثة (وفرعها في السماء) أي في جهة العلو وهذا تأكيد لرسوخ أصله فان الاصل كلما كان أقوى وأرسخ كان الفرع أعلى وأشمخ ومن فوائد ارتفاع الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاوتها عن القاذورات قال في الكشاف فرعها أعلاها ورأسها ويجوز أن يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس الصفة الرابعة (تؤتي أكلها كل حين) أي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة أشهر لان من حملها الى صرامها ستة أشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولاسيما النخلة اذا تركوا عليها التمر بقي من السنة الى السنة وقال الزجاج الحين الوقت طال أم قصر والمراد أنه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وطاعته هي الشجرة الطيبة بل لا طيب ولا لذيذ الا هي لان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة للاقا شيء من المحسوس شيأ من الحاس أما نور معرفة الله واشراقها فانما ينفذ ويسري في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يتحدبه ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا تكاد تنتهي الى حد دون عروق هذه الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب وأغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني يجمعها التعظيم لامر الله

عما كان يعبد آباؤنا يقول انما تريدون أن تصرفونا بقولكم عن عبادة ما كان يعبده من الاوثان آباؤنا فأتونا بسلطان مبين يقول فأتونا بحجة على ما تقولون تبين لنا حقيقته وصحته فنعلم أنكم فيما تقولون محقون ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره (١) قال الامم التي أتتهم الرسل لرسلهم ان نحن الا بشر مثلكم صدقتم في قولكم ان أنتم الا بشر مثلنا فما نحن الا بشر من بني آدم انس مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده يقول ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه فهديه ويوفقه للحق ويفضله على كثير من خلقه وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان يقول وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما تدعونا اليه الا باذن الله يقول الا بأمر الله لنا بذلك وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه فانابه نثق وعليه نتوكل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فأتونا بسلطان مبين قال السلطان المبين البرهان والبينة وقوله ما لم ينزل به سلطانا قال بينة وبرهانا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الرسل لأممها ومالنا أن لا نتوكل على الله فنثق به وبكفايته ودفاعه اياكم عنا وقد هدانا سبلنا بقول وقد بصرنا طريق النجاة من عذابه فبين لنا ولنصبرن على ما آذيتمونا في الله وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دعائنا لكم الى ما تدعوكم اليه من البراءة من الاوثان والاصنام واخلاص العبادة له وعلى الله فليتوكل المتوكلون يقول وعلى الله فليتوكل من كان به واثقا من خلقه فأما من كان به كافرا فان وليه الشيطان ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ يقول عز ذكره وقال الذين كفروا بالله لرسلهم الذين أرسلوا اليهم حين دعوهم الى توحيد الله واخلاص العبادة له وفراق عبادة الآلهة والاوثان لنخرجنكم من أرضنا يعنون من بلادنا فنطردكم عنها أو لتعودن في ملتنا يعنون الا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الاصنام وأدخلت في قوله لتعودن لام وهو في معنى شرط كأنه جواب لليمين وانما معنى الكلام لنخرجنكم من أرضنا أو تعودن في ملتنا ومعنى أو ههنا معنى الا أو معنى حتى كما يقال في الكلام لأضربنك أو تقر لي فمن العرب من يجعل ما بعد أو في مثل هذا الموضع عطفا على ما قبله ان كان ما قبله جزما جزموه وان كان نصبا نصبوه وان كان فيه لاما جعلوا فيه لاما اذ كانت أو حرف نسق ومنهم من ينصب ما بعد أو بكل حال ليعلم بنصبه أنه عن الاول منقطع عما قبله كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

فنصب نموت فنعذرا وقد رفع نحاول لانه أراد معنى الا أن نموت أو حتى نموت ومنه قول الآخر

لأستطيعن زوعا عن مودتها * أو يصنع الحب بي غير الذي صنعا

(١) كذا في النسخ ولعل الأصل قالت الرسل لأممهم التي أرسلوا اليهم ان نحن الخ فتأمل. مصححه

وقوله

ومنشؤها القوة النظرية وغايتها الحكمة العملية بأقسامها وأصولها وفروعها وأغصان نابتة فى فضاء العالم الجسمانى ومنبتها القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التى يجمعها الشفقة على خلق الله عموما وخصوصا وأثر رسوخ شجرة المعرفة فى القلب أن يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا أولى الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ونطقه بالصدق والصواب وقولوا قولا سديدا وكذا الكلام فى سائر القوى والاعضاء وهنالك مراتب لا تكاد تنحصر بحسب مراتب الاستعدادات واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل فقد يكون مكملا لغيره وذلك قوله تؤتى أكلها كل حين وفى قوله (باذن ربها) اشارة الى أن النظر فى جميع هذه المراتب يجب أن يكون على المفيض لا على الفيض وعلى المنع لا على النعمة

قوله فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين الذين ظلموا أنفسهم فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم وقد يجوز أن يكون قيل لهم الظالمون لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة فيكون بوضعهم العبادة فى غير موضعها اذ كان ظلما سموا بذلك ظالمين وقوله ولنسكننكم الارض من بعدهم هذا وعد من الله من وعد من أنبيائه النصر على الكفرة به من قومه يقول لما تمادت أمم الرسل فى الكفر وتوعدوا رسلهم بالوقوع بهم أوحى الله اليهم باهلاك من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر وكل ذلك كان من الله وعيدا وتهديدا للمشركى قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على كفرهم به وجرأتهم على نبيه وتنبيتا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمره له بالصبر على ما لقى من المكروه فيه من المشركى قومه كما صبر من كان قبله من أولى العزم من رسله ومعرفه أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك وقد سنة النصر عليهم سنة الله فى الذين خلوا من قبل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولنسكننكم الارض من بعدهم قال وعدهم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة وقوله ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد يقول جل ثناؤه هكذا فعلى لمن خاف مقامه بين يدى وخاف وعيدى فاتقانى بطاعته وتجنب سخطى أنصره على من أراده سوأ وبغاه مكروها من أعدائى أهلك عدوه وأخزيه وأورثه أرضه ودياره وقال لمن خاف مقامى ومعناه ما قلت من أنه خاف مقامه بين يدى بحيث أقيمه هنالك للحساب كما قال وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون معناه وتجعلون رزقى اياكم أنكم تكذبون وذلك أن العرب تضيف أفعالها الى أنفسها والى ما أوقعت عليه فتقول قد سررت برؤيتك وبرؤيتى اياك فكذلك ذلك القول فى تأويل قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد يقول تعالى ذكره واستفتحت الرسل على قومها أى استنصرت عليها وخاب كل جبار عنيد يقول هلك كل متكبر جائر حائد عن الاقرار بتوحيد الله واخلاص عبادته والعنيد والعاند والعنود بمعنى واحد ومن الجبار تقول هو جبار بين الجبرية والجبروتية والجبروت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واستفتحوا قال الرسل كلها يقول استنصروا على أممهم ومعانديهم أى على من عاند عن اتباع الحق وتجنبه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عائذة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ح وحدثنى الحرث قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واستفتحوا قال الرسل كلها استنصروا وخاب كل جبار عنيد قال معاند للحق مجانبه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال ابن جريج استفتحوا على قومهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد قال كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ويكذبونهم ويدعونهم الى أن يعودوا فى ملتهم فأبى الله عز وجل على رسله والمؤمنين أن يعودوا فى ملة الكفر وأمرهم أن يتوكلوا على الله وأمرهم أن يستفتحوا على الجبارين ووعدهم أن يسكنهم الارض من بعدهم فأنجز الله لهم ما وعدهم واستفتحوا كما أمرهم واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن المغيرة عن ابراهيم فى قوله وخاب كل جبار عنيد قال هو الناكب عن الحق أى الحائد

عن اتباع طريق الحق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا مطرف عن بشر عن
عن مغيرة عن سماك عن ابراهيم وخاب كل جبار عنيد قال الناكب عن الحق حدثنا
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واستفتحوا يقول استنصرت الرسل على قومها
قوله وخاب كل جبار عنيد والجبار العنيد الذى أبى أن يقول لا اله الا الله حدثنا محمد بن عبد الأعلى
قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واستفتحوا قال استنصرت الرسل على قومها وخاب كل
جبار عنيد يقول بعيد عن الحق معرض عنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وزاد فيه معرض عنه أبى أن يقول لا اله الا الله حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخاب كل جبار عنيد قال العنيد عن الحق الذى يعدل
عن الطريق قال والعرب تقول شر الابل العنيد الذى يخرج عن الطريق حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد قال الجبار هو المتجبر
وكان ابن زيد يقول فى معنى قوله واستفتحوا خلاف قول هؤلاء ويقول انما استفتحت الامم
فأجيبت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واستفتحوا قال
استفتاحهم بالبلاء قالوا اللهم ان كان هذا الذى أتى به محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم قال كان استفتاحهم بالبلاء كما استفتح قوم
هود ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال فالاستفتاح العذاب قال قيل لهم ان لهذا أجلا
حين سألوا الله أن ينزل عليهم فقال بل نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار فقالوا لا نريد أن نؤخر الى
يوم القيامة ربنا عجل لنا قطنا عذابنا قبل يوم الحساب وقرأ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل
مسمى لجاءهم العذاب حتى بلغ ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴿ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ يقول عز ذكره من ورائه من أمامه
كل جبار جهنم يردونها وورا فى هذا الموضع يعنى أمام كما يقال ان الموت من ورائك أى قدامك
وكما قال الشاعر

أتوعدنى وراء بنى رياح ٭ كذبت لتقصرن يداك دونى

يعنى وراء بنى رياح قدام بنى رياح وأمامهم وكان بعض نحويى أهل البصرة يقول انما يعنى
بقوله من ورائه أى من أمامه لانه وراء ما هو فيه كما يقول لك وكل هذا من ورائك أى سيأتى عليك
وهو من وراء ما أنت فيه لان ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه وقال وراءهم ملك
يأخذ كل سفينة غصبا من هذا المعنى أى كان وراء ما هم فيه أمامهم وكان بعض نحويى أهل
الكوفة يقول أكثر ما يجوز هذا فى الاوقات لان الوقت يمر عليك فيصير خلفك اذا جزته وكذلك
كان وراءهم ملك لانهم يجوزونه فيصير وراءهم وكان بعضهم يقول هو من حروف الاضداد يعنى
وراء يكون قداما وخلفا وقوله ويسقى من ماء صديد يقول ويسقى من ماء ثم بين ذلك الماء ما هو
ثناؤه وما هو فقال هو صديد ولذلك رد الصديد فى اعرابه على الماء لانه بيان عنه والصديد هو
القيح والدم وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء ح وحدثنا
الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من ماء
صديد قال قيح ودم حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح

(ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) المبدأ وعرفانه والمعاد وايانه فيختار الكمال على النقصان وأثر العرفان للمعروف لا للعرفان فيكون حينئذ جوهر النفس كلمة طيبة كما قال فى حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضديهما فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك أو كل كلمة قبيحة أو كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل أو كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها (مالها من قرار) أى من استقرار مصدر كالثبات والنبات وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء ما تقول فى كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها فى الارض مستقرا ولا فى السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها القيامة قلت وذلك أن الباطل لا قائل به ولا يوافقه فيه من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل

مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويسقى من ماء
يد والصديد ما يسيل من دمه ولحمه وجلده حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ويسقى من ماء صديد قال ما يسيل من بين لحمه وجلده حدثنى
ى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عمن ذكره عن الضحاك ويسقى من ماء صديد
يعنى بالصديد ما يخرج من جوف الكافر قد خالط القيح والدم وقوله يتجرعه يتحساه
يكاد يسيغه يقول ولا يكاد يزدرده من شدة كراهته وهو يسيغه من شدة العطش والعرب
ول لا يكاد فيما قد فعل وفيما لم يفعل فأما ما قد فعل فمنه هذا الآن الله جل ثناؤه جعل لهم ذلك
ا وأما ما لم يفعل وقد دخلت فيه كاد فقوله حتى اذا أخرج يده لم يكد يراها فهو لا يراها
وبنحو ما قلنا من أن معنى قوله ولا يكاد يسيغه وهو يسيغه جاء الخبر عن رسول الله صلى
يه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا ابراهيم أبو اسحق
لقانى قال ثنا ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبى أمامة عن
ى صلى الله عليه وسلم فى قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى
رج من دبره يقول الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا
كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب حدثنا ابن المثنى قال ثنا معمر عن ابن المبارك
ثنا صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم
وله ويسقى من ماء صديد فذكر مثله الا أنه قال سقوا ماء حميما حدثنى محمد بن خلف
لانى قال ثنا حيوة بن شريح الحمصى قال ثنا بقية عن صفوان بن عمرو قال ثنى
د الله بن بسر عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله سواء وقوله ويأتيه الموت من
كل مكان وما هو بميت فانه يقول ويأتيه الموت من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله ومن
كل موضع من أعضاء جسده وما هو بميت لانه لا تخرج نفسه فيموت فيستريح ولا يحيا لتعلق
نفسه بالحناجر فلا ترجع الى مكانها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
ج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو
قال تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فيجد
راحة فتنفعه الحياة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا العوام
حوشب عن ابراهيم التيمى قوله ويأتيه الموت من كل مكان قال من تحت كل شعرة فى جسده
ومن ورائه عذاب غليظ يقول ومن وراء ما هو فيه من العذاب يعنى أمامه وقدامه عذاب
القول فى قوله تعالى ﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
وصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد ﴾ اختلف أهل العربية
ع مثل فقال بعض نحويى البصرة انما هو كأنه قال ومما نقص عليكم مثل الذين كفروا
مثل يفسر كما قال مثل الجنة وهذا كثير وقال بعض نحويى الكوفيين انما المثل للاعمال
كن العرب تقدم الاسماء لأنها أعرف ثم تأتى بالخبر الذى تخبر عنه مع صاحبه ومعنى الكلام
ى أعمال الذين كفروا بربهم كرماد كما قيل ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
سودة ومعنى الكلام ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة قال ولو خفض
ل جاز كما قال يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون
ى من تحتها الانهار قال فتجرى هو فى موضع الخبر كأنه قال أن تجرى وأن يكون كذا وكذا
دخل أن جاز قال ومنه قول الشاعر

زائل والحق نقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه ولا يحصل له منه برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا تكون لها طمأنينة ولا وقار تراها أبدا تسعى فى الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران ولما شبه حال الفريقين عما شبه بين مآل حالهما فقال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) أى الذى ثبت بالحجة والبرهان وتمكن فى قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال هذا فى الحياة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا فى دينهم لم يزالوا كأصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وتثبيتهم فى الآخرة أنهم اذا سئلوا فى القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدى الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس من داوم على الشهادة فى الحياة الدنيا يثبته الله عليها فى قبره ويلقنها اياها وقد ورد فى حديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العقلى فيه أن المواظبة

ذريني ان أمرك لن يطاعا * وما ألفيتني حلمي مضاعا

قال فالحلم منصوب بألفيت على التكرير قال ولو رفعه كان صوابا قال وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار فقال مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمون أنهم يريدون الله بها مثل رماد عصفت الريح عليه في يوم ريح عاصف فنسفته وذهبت به فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة لا يجدون منها شيأ ينفعهم عند الله فينجيهم من عذابه لانهم لم يكونوا يعملونها لله خالصا بل كانوا يشركون فيها الاوثان والاصنام يقول الله عز وجل ذلك هو الضلال البعيد يعني أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا التي يشركون فيها مع الله شركاء هي أعمال عملت على غير هدى واستقامة بل على جور عن الهدى بعيد وأخذ على غير استقامة شديد وقيل في يوم عاصف فوصف بالعصوف وهو من صفة الريح لأن الريح تكون فيه كما يقال يوم بارد وبارح لان البرد والحرارة يكونان فيه وكما قال الشاعر * يومين غيمين ويوما شمسا * فوصف اليومين بالغيمين وانما يكون الغيم فيهما وقد يجوز أن يكون أريد به في يوم عاصف الريح فحذفت الريح لانها قد ذكرت قبل ذلك فيكون ذلك نظير قول الشاعر

* اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف * يريد كاسف الشمس وقيل هو من نعت الريح خاصة غير أنه لما جاء بعد اليوم أتبع اعرابه وذلك أن العرب تتبع الخفض الخفض في النعوت كما قال الشاعر

تريك سنة وجه غير مقرفة * ملساء ليس بها خال ولا ندب

فخفض غيرا اتباعا لاعراب الوجه وانما هي من نعت السنة والمعنى سنة وجه غير مقرفة وكما قالوا هذا جحر ضب خرب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله كرماد اشتدت به الريح قال حملته الريح في يوم عاصف حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف يقول الذين كفروا بربهم وعبدوا غيره فأعمالهم يوم القيامة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شئ من أعمالهم ينفعهم كما لا يقدر على الرماد اذا أرسل عليه الريح في يوم عاصف وقوله ذلك هو الضلال البعيد أي الخطأ البين البعيد عن طريق الحق ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن الله أنشأ السموات والارض بالحق منفردا بانشائها بغير ظهير ولا معين ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يقول ان الذي تفرد بخلق ذلك وانشائه من غير معين ولا شريك ان هو شاء أن يذهبكم فيفنيكم أذهبكم وأفناكم ويأت بخلق آخر سواكم مكانكم فيجدد خلقهم وما ذلك على الله بعزيز يقول وما اذهابكم وافنائكم وانشاء خلق آخر سواكم مكانكم على الله بممتنع ولا متعذر لانه القادر على ما يشاء واختلفت القراء في قراءة قوله ألم تر أن الله خلق فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين خلق على فعل وقرأته عامة قراء أهل الكوفة خالق على فاعل وهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا

على الفعل توجب رسوخ الملكة بحيث لا تزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسرت الآخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن أحكام الدنيا ويدخل في أحكام الآخرة فمعنى الآية يثبت الله الذين آمنوا بالله وبما يجب الايمان به على ما آمنوا به في الدارين أو يثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت على القول الثابت وقيل معنى الآية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحياة الدنيا ويصدر عنهم حال ما يكونون في الآخرة ويرد عليه أن الآخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحياة الدنيا متعلقا بقوله يثبت أي يثبتهم على الثواب في الدارين بسبب القول ورد عليه أن الدنيا ليست دار ثواب ويمكن أن يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة (ويضل الله الظالمين) الذين وضعوا الباطل

لهدينا كم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وبرزوا لله
جميعا وظهر هؤلاء الذين كفروا به يوم القيامة من قبورهم فصاروا بالبراز من الارض جميعا يعنى
بهم فقال الضعفاء للذين استكبروا يقول فقال التباع منهم للمتبوعين وهم الذين كانوا يستكبرون
الدنيا عن اخلاص العبادة لله واتباع الرسل الذين أرسلوا اليهم انا كنا لكم تبعا فى الدنيا والتبع
جمع تابع كما الغيب جمع غائب وانما عنوا بقولهم انا كنا لكم تبعا أنهم كانوا أتباعهم فى الدنيا
يأمرون لما يأمرونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله وينتهون عما نهوهم عنه من اتباع رسل
الله فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ يعنون فهل أنتم دافعون عنا اليوم من عذاب الله
من شئ وكان ابن جريج يقول نحو ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج
عن ابن جريج قوله وقال الضعفاء قال الاتباع للذين استكبروا قال للقادة وقوله لو هدانا الله
لهديناكم يقول عز ذكره قالت القادة على الكفر بالله لتباعها لو هدانا الله يعنون لو بين الله
لنا شيأ ندفع به عذابه عنا اليوم لهديناكم لبينا ذلك لكم حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ولكنا
جزعنا من العذاب فلم ينفعنا جزعنا منه وصبرنا عليه سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من
محيص يعنون مالهم من مزاغ يزوغون عنه يقال منه حاص عن كذا اذا زاغ عنه يحيص
حيصا وحيوصا وحيصانا حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك
عن الحكم عن عمرو بن أبى ليلى أحد بنى عامر قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول بلغنى
وذكر لى أن أهل النار قال بعضهم لبعض يا هؤلاء انه قد نزل بكم من العذاب والبلاء ما قد ترون فهلم
فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا قال فيجمعون
أنفسهم على الصبر قال فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا
من محيص أى من منجى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال ان أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا فانما أدرك أهل الجنة
الجنة ببكائهم وتضرعهم الى الله فتعالوا نبكى ونتضرع الى الله قال فبكوا فلما رأوا ذلك لا ينفعهم
قالوا تعالوا فما أدرك أهل الجنة الجنة الا بالصبر تعالوا نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله فلم ينفعهم ذلك فعند
ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال
الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان
الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى
كفرت بما أشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره وقال ابليس لما قضى
الامر يعنى لما أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واستقر بكل فريق منهم قرارهم ان الله
وعدكم أيها الأتباع النار ووعدتكم النصرة فأخلفتكم وعدى ووفى الله لكم بوعده وما كان لى
عليكم من سلطان يقول وما كان لى عليكم فيما وعدتكم من النصرة من حجة تثبت لى عليكم بصدق
قولى الا أن دعوتكم وهذا من الاستثناء المنقطع عن الاول كما تقول ما ضربته الا أنه أحمق ومعناه
لكن دعوتكم فاستجبتم لى يقول الا أن دعوتكم الى طاعتى ومعصية الله فاستجبتم لدعائى فلا
تلومونى على اجابتكم اياى ولوموا أنفسكم عليها ما أنا بمصرخكم يقول ما أنا بمغيثكم وما أنتم
بمصرخى ولا أنتم بمغيثى من عذاب الله فمنجى منه انى كفرت بما أشركتمونى من قبل يقول انى
جحدت أن أكون شريكا لله فيما أشركتمونى فيه من عبادتكم من قبل فى الدنيا ان الظالمين لهم
عذاب أليم يقول ان الكافرين بالله لهم عذاب أليم من الله موجع يقال أصرخت الرجل اذا اغثته
صراخا وقد صرخ الصارخ يصرخ ويصرخ قليلة وهو الصريخ والصراخ * وبنحو الذى قلنا

موضع الحق والشرك بدل التوحيد فى الدارين فلا جرم اذا سئلوا فى قبورهم قالوا لا ندرى (ويفعل الله ما يشاء) من التثبيت والاضلال ولا اعتراض لاحد عليه أو من منح الالطاف ومنعها كما تقتضيه الحكمة ثم عجب من ظالمى مكة بقوله (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله) أى شكر نعمته (كفرا) أى وضعوا مكان الشكر الكفر أو بدلوا نفس النعمة كفرا أى سلبوا النعمة فلم يبق معهم الا الكفر وذلك أنه تعالى أسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم يقوموا بشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين وقتلوا يوم بدر وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وأعناق من تابعهم وذلك قوله (وأحلوا قومهم دار البوار) أى الهلاك وقوله (جهنم) عطف بيان (وبئس القرار) أى المقر مصدر سمى به قوله (ليضلوا) من قرأ بضم الياء فاللام للغرض أو للعاقبة ومن قرأ بفتحها

فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال
داود عن عامر فى هذه الآية ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من
قال خطيبان يقومان يوم القيامة ابليس وعيسى بن مريم فأما ابليس فيقوم فى حزبه فيقول
القول وأما عيسى عليه السلام فيقول ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكن
عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد حد
يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال يقوم خطيبان يوم القيامة أحد
عيسى والآخر ابليس فأما ابليس فيقوم فى حزبه فيقول ان الله وعدكم وعد الحق فتلاد اود حتى
بما أشركتمونى من قبل فلا أدرى أتم الآية أم لا وأما عيسى عليه السلام فيقال له أأنت قلت لهم
اتخذونى وأمى الهين من دون الله فتلا حتى بلغ انك أنت العزيز الحكيم حدثنا الحسن بن
قال ثنا على بن عاصم عن داود بن أبى هند عن عامر قال يقوم خطيبان يوم القيامة على
الناس يقول الله عز وجل يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله
قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قال ويقوم ابليس فيقول وما كان لى عليكم من سلطان الا
دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ما أنا بمغيثكم
وما أنتم بمغيثى حدثنا الحسين قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنى خالد عن داود عن الشعبى
فى قوله ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى قال خطيبان يقومان يوم القيامة فأما ابليس فيقول
وأما عيسى فيقول ما قلت لهم الا ما أمرتنى به حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا
ابن المبارك عن رشدين بن سعد قال أخبرنى عبد الرحمن بن زياد عن دخين الحجرى عن عقبة بن عامر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الحديث قال يقول عيسى ذلكم النبى الامى فيأتونى فيأذن
لى أن أقوم فيثور من مجلسى من أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من
من شعر رأسى الى ظفر قدمى ثم يقول الكافرون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت وأبوك
لنا فانك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحد ثم يعظم نحيبهم ويقول عند ذلك
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان
عن رجل عن الحسن فى قوله وما كان لى عليكم من سلطان قال اذا كان يوم القيامة قام ابليس
خطيبا على منبر من نار فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الى قوله وما أنتم
بمصرخى قال بناصرى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل قال بطاعتكم اياى فى الدنيا حدثنى
المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عمن ذكره قال سمعت محمد بن كعب القرظى قال
فى قوله وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق قال قام ابليس يخطبهم فقال ان الله
وعدكم وعد الحق الى قوله ما أنا بمصرخكم يقول بمغن عنكم شيأ وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما
أشركتمونى من قبل قال فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم
أنفسكم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما أنا بمصرخكم وما
أنتم بمصرخى ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثى قوله انى كفرت بما أشركتمونى من قبل يقول عصيت
الله قبلكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن
ابن عباس قوله ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل قال هذا قول
ابليس يوم القيامة يقول ما أنتم بنافعى وما أنا بنافعكم انى كفرت بما أشركتمونى من قبل قال شركه
عبادته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال

فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد
ضلال نفسه ولكنه قد يريد اضلال
الغير لمصلحة دنيوية وانما حسن
استعمال اللام لاجل العاقبة من
حيث انها تشبه الغاية والغرض من
قبل حصولها فى آخر المراتب
والمشابهة أحد الامور المصححة للمجاز
(قل تمتعوا) أمر وعيد وتهديد قال جار
الله فيه ايذان بأنهم لانعماسهم فى
التمتع بالحاضر مأمورون به قد
أمرهم آمر مطاع هو آمر الشهوة
والمعنى ان دمتم على ما أنتم عليه من
الامتثال لامر الشهوة (فان مصيركم
الى النار) وانما سمى عيش
الكفار تمتعا لان امهالهم فى الدنيا
على أى وجه يفرض يكون أسهل
مما أعد لهم فى الآخرة من العقاب
ومن الذى نزل فيهم روى عن عمر أنه
قال هم الأخسران من قريش بنو
المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة
فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية
فتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة
العرب جبلة بن الأيهم وأصحابه ولما

أمر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا تهديدا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بحث المؤمنين على خلاف ذلك وهو الاقبال على ما ينفعهم فى الآخرة فقال (قل لعبادى الذين) المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة و ينفقوا وجوز بعضهم أن يكون المذكور هو المقول بناء على أنه أمر غائب محذوف اللام وانما حسن الحذف لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة أراد أنفقوا أموالكم فى الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق فى هذا اليوم الذى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة وانما ينتفع بالانفاق لوجه الله ونفى المخالة فى هذه الآية وفى قوله فى البقرة لا بيع فيه ولا خلة لا ينافى اثباتها فى قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المنفية هى التى سببها ميل الطبيعة

الحسين قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بمصرخى قال
حدثنى الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر الرازى عن
الربيع بن أنس قال ما أنا بمنجيكم وما أنتم بمنجىّ حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد قال خطيب السوء ابليس الصادق أفرأيتم صادقا لم ينفعه صدقه ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان أقهركم به الا أن دعوتكم فاستجبتم لى قال
فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حين أطعتموني ما أنا بمصرخكم ما أنا بناصركم ولا مغيثكم
وما أنتم بمصرخىّ وما أنتم بناصرىّ ولا مغيثىّ لما بى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل ان الظالمين
لهم عذاب أليم حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن الحكم عن
عمرو بن أبى ليلى أحد بنى عامر قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول وقال الشيطان لما قضى
الامر قال قام ابليس عند ذلك يعنى حين قال أهل جهنم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص
خطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الى قوله ما أنا بمصرخكم يقول بمغن
عنكم شيأ وما أنتم بمصرخى انى كفرت بما أشركتمونى من قبل قال فلما سمعوا مقالته مقتوا
أنفسهم قال فنودوا لمقت الله أكبر من مقتكم الآية ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام
ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها
كل حين باذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ يقول عز ذكره وأدخل الذين
صدقوا الله ورسوله فأقروا بوحدانية الله وبرسالة رسله وأن ما جاءت به من عند الله حق وعملوا
الصالحات يقول وعملوا بطاعة الله فانتهوا الى أمر الله ونهيه جنات تجرى من تحتها الانهار بساتين
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم يقول أدخلوها بأمر الله لهم بالدخول تحيتهم فيها
سلام وذلك ان شاء الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله
تحيتهم فيها سلام قال الملائكة يسلمون عليهم فى الجنة وقوله ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم كيف مثل
الله مثلا وشبه شبها كلمة طيبة و يعنى بالطيبة الايمان به جل ثناؤه كشجرة طيبة الثمرة وترك ذكر الثمرة
اكتفاء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة وقوله أصلها ثابت وفرعها فى السماء يقول عز
ذكره أصل هذه الشجرة ثابت فى الارض وفرعها وهو أعلاها فى السماء يقول مرتفع علوا نحو
السماء وقوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها يقول تطعم ما يؤكل منها من ثمرها كل حين بأمر
ربها ويضرب الله الامثال للناس يقول و يمثل الله الامثال للناس و يشبه لهم الاشباه لعلهم
يتذكرون يقول ليتذكروا حجة الله عليهم فيعتبروا بها و يتعظوا فينزجروا عما هم عليه من
الكفر به الى الايمان وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بالكلمة الطيبة فقال بعضهم عنى بها
بنيان المؤمن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى
معاوية عن على عن ابن عباس قوله كلمة طيبة شهادة أن لا اله الا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن
أصلها ثابت يقول لا اله الا الله ثابت فى قلب المؤمن وفرعها فى السماء يقول يرفع بها عمل المؤمن

الى السماء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس كلمة طيبة قال هذا مثل الايمان فالايمان الشجرة الطيبة وأصله الثابت الذي لا يزول الاخلاص لله وفرعه في السماء فرعه خشية الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة قال كنخلة * قال ابن جريج وقال آخرون الكلمة الطيبة أصلها ثابت في ذات أصل القلب وفرعها في السماء تعرج فلا تحجب حتى تنتهي الى الله * وقال آخرون بل عنى بها المؤمن نفسه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها يعني بالشجرة الطيبة المؤمن ويعني بالاصل الثابت في الارض وبالفرع في السماء يكون المؤمن يعمل في الارض ويتكلم فيبلغ عمله وقوله السماء وهو في الارض حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي في قوله ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة قال ذلك مثل المؤمن لا يزال يخرج منه كلام طيب وعمل صالح يصعد اليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال أصلها ثابت في الارض وكذلك كان يقرؤها قال ذلك المؤمن ضرب مثله قال الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له قال أصلها ثابت قال أصل عمله ثابت في الارض وفرعها في السماء قال ذكره في السماء * واختلفوا في هذه الشجرة التي جعلت للكلمة الطيبة مثلا فقال بعضهم هي النخلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك في هذا الحرف كشجرة طيبة قال هي النخلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس مثله حدثنا الحسن قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك يقول كلمة طيبة كشجرة طيبة قال النخل حدثني يعقوب والحسن بن محمد قالا ثنا ابن علية قال ثنا شعيب قال قال خرجت مع أبي العالية نريد أنس بن مالك قال فأتيناه فدعا لنا بقنو عليه رطب فقال كلوا من هذه الشجرة التي قال الله عز وجل ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وقال الحسن في حديثه بقناع حدثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا حماد بن سلمة قال أخبرنا شعيب بن الحبحاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بقناع بسر فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة حدثنا سوار بن عبدالله قال ثنا أبي قال ثنا حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بقناع فيه بسر فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هي النخلة قال شعيب فأخبرت بذلك أبا العالية فقال كذلك كانوا يقولون حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب قال كنا عند أنس فأتينا بطبق أو قنع عليه رطب فقال كل يا أبا العالية فان هذا من الشجرة التي ذكر الله عز وجل في كتابه ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا مهدي بن ميمون عن شعيب بن الحبحاب قال كان أبو العالية يأتيني فأتاني يوما في منزلي بعد ما صليت الفجر فانطلقت معه الى أنس بن مالك فدخلنا معه الى أنس ابن مالك فجيء بطبق عليه رطب فقال أنس لابي العالية كل يا أبا العالية فان هذه من الشجرة التي

ورغبة النفس والمثبتة هي التي يوجبها الاشتراك في الايمان والعمل الصالح ولما ختم أحوال المعاد عاد الى المبدا فقال (الله) وهو مبتدأ خبره (الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقدم في أول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بأن الانسان ربما كان واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم أسفل منه واذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه (وسخر لكم الفلك) كقوله في أواسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقدم ومعنى (بأمره) بتيسيره وتسييره لانه خلق موادها وألهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل على وجهه جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بأنه فعل وانما يقال انه أمر بكذا ومنهم من حمل الأمر على الظاهر أي بقوله كن (وسخر لكم الانهار) وجه المنة فيها أن البحر قلما ينتفع به في العمارة

ل الله فى كتابه ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ثابت أصلها قال هكذا قرأها
ثنا أنس حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق قال ثنا شريك عن السدى عن مرة عن
عبد الله مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار بن القاسم عن جامع
أبى راشد عن مرة بن شراحيل الهمدانى عن مسروق كشجرة طيبة قال النخلة حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن
قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء ح وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا
إسرائيل عن السدى عن مرة عن عبد الله مثله حدثنى المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا
عبد الله قال أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله كشجرة طيبة قال هى النخلة لا تزال فيها منفعة حدثنى
المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن جويبر عن الضحاك فى قوله
كشجرة طيبة قال ضرب الله مثل المؤمن كمثل النخلة تؤتى أكلها كل حين حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة كنا نحدث أنها
النخلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كشجرة طيبة
كانوا يرون أنها النخلة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تؤتى
أكلها كل حين قال هى النخلة حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا
الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله وفرعها فى السماء قال النخلة
* قال ثنا الحسن قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا خالد عن الشيبانى عن عكرمة تؤتى
أكلها كل حين قال هى النخلة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال
قال شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك الشجرة الطيبة النخلة * وقال آخرون بل هى شجرة
فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا أبو كدينة
قال ثنا قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس فى قول الله عز وجل ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هى شجرة
فى الجنة * وأولى القولين بالصواب فى ذلك قول من قال هى النخلة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما حدثنا به الحسن بن محمد قال ثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد قال صحبت ابن عمر الى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثا
واحدا قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بجمار فقال من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل
المسلم فأردت أن أقول هى النخلة فاذا أنا أصغر القوم فسكت حدثنا الحسن قال ثنا يزيد بن
هرون قال أخبرنا سليمان عن يوسف بن سرح عن رجل عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال هل تدرون ما الشجرة الطيبة قال ابن عمر فأردت أن أقول هى النخلة فمنعنى مكان عمر
فقالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة حدثنا الحسن قال ثنا
يحيى بن حماد قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه ان شجرة من الشجر لا يطرح ورقها مثل المؤمن قال فوقع
الناس فى شجر البدو ووقع فى قلبى أنها النخلة فاستحييت حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هى النخلة حدثنا الحسن قال ثنا عاصم بن على قال ثنا عبد العزيز بن مسلم
القسملى قال ثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من

والزراعة لعمقه ولما وحته ففجر الله الانهار والعيون والآبار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى (وسخر لكم الشمس والقمر) أى صيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والاضاءة والانارة لانهما مذللان للانس وقوله (دائبين) نصب على الحال والدؤب مرور الشئ فى العمل على عادة مطردة أى يدأبان فى مسيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما وهكذا معنى التسخير فى قوله (وسخر لكم الليل والنهار) أى قدر هذين العرضين المتعاقبين لراحة الانسان ولمعاشه ولما فصل طرفا من النعم أجمل الباقية منها بقوله (وآتاكم من كل ما سألتموه) أى بعض جميع ما سألتموه ومن قرأ بالتنوين فما نافية والجملة نصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أو موصولة بمعنى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين أن نعم الله على

الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهى مثل المؤمن فحدثونى ماهى فذكر نحوه حدثنا الحلو
قال ثنا على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا عبيد الله قال ثنى نافع عن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرونى بشجرة كمثل الرجل المسلم تؤتى أكلها كل حين
لا يتحات ورقها قال فوقع فى نفسى أنها النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر وعمر فلما لم
يتكلموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى النخلة حدثنا الحسن قال ثنا محمد بن الصلت
قال ثنا اسمعيل عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه
* واختلف أهل التأويل فى معنى الحين الذى ذكر الله عز وجل فى هذا الموضع فقال تؤتى أكلها
كل حين باذن ربها فقال بعضهم معناه تؤتى أكلها كل غداة وعشية ذكر من قال ذلك
حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن
عباس قال الحين قد يكون غدوة وعشية حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا محمد بن عبيد
قال ثنا الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال
غدوة وعشية حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى
ظبيان عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن أبى عدى عن شعبة عن
سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق عن زائدة عن
الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس مثله حدثنا الحسن قال ثنا على بن الجعد
قال ثنا شعبة عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس فى قوله تؤتى أكلها كل حين باذن
ربها قال بكرة وعشيا حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن الأعمش
عن أبى ظبيان عن ابن عباس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال بكرة وعشية حدثنى محمد
ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس تؤتى أكلها
كل حين باذن ربها قال يذكر الله كل ساعة من الليل والنهار حدثنا الحسن قال ثنا عفان
قال ثنا أبو كدينة قال ثنا قابوس عن أبيه عن ابن عباس تؤتى أكلها كل حين باذن
ربها قال غدوة وعشية حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء
عن جويبر عن الضحاك فى قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال المؤمن يطيع الله بالليل والنهار
وفى كل حين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه
عن الربيع بن أنس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها يصعد عمله أول النهار وآخره حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس تؤتى أكلها كل حين
باذن ربها قال يصعد عمله غدوة وعشية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا
عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال تخرج
ثمرتها كل حين وهذا مثل المؤمن يعمل كل حين كل ساعة من النهار وكل ساعة من الليل وبالشتاء
والصيف بطاعة الله * وقال آخرون معنى ذلك تؤتى أكلها كل ستة أشهر من بين صرامها
الى حملها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن
طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الحين ستة أشهر حدثنى يعقوب
قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب قال قال عكرمة سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا
وكذا الى حين فقلت ان من الحين حينا يدرك ومن الحين حينا لا يدرك فالحين الذى لا يدرك قوله
ولتعلمن نبأه بعد حين والحين الذى يدرك تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال وذلك من حين

عبيده غير متناهية فقال (وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها) أى لا تقدرون
على تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها
قال الواحدى النعمة ههنا اسم أقيم
مقام المصدر كالنفقة بمعنى الانفاق
ولهذا لم تجمع ومن تأمل فى تشريح
الابدان وفى أعضاء الحيوان
وأجزائها من العروق الدقاق
والأوردة والشرايين وفى كل واحد
من الاعضاء البسيطة والمركبة
ووقف على منافعها عرف بعض
دقائق نعم الله تعالى على عباده واذا
جاوز النفس الى الآفاق وسير فكره
فى أحوال الاجسام السفلية والعلوية
وقف من بديع صنعتها وعظيم
منفعتها على ما يقضى منه العجب
واذا عبر الملك الى الملكوت تاه فى
أودية الحيرة والدهشة وتلاشى
عقله عند أدنى سرادقات العزة
والهيبة قال الحكيم اذا أخذت
اللقمة الواحدة لتضعها فى الفم فانظر
الى ما قبلها والى ما بعدها أما الذى
قبلها فكالخبز والطحن والزرع وغير

تصرم النخلة الى حين تطلع وذلك ستة أشهر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن الاصبهانى عن عكرمة قال الحين ستة أشهر حدثنا الحسن قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا خالد عن الشيبانى عن عكرمة فى قوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة والحين ستة أشهر حدثنا أبو كريب قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر قال ثنا عكرمة تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هو ما بين حمل النخلة الى أن تحرز حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان قال قال عكرمة الحين ستة أشهر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن رجل حلف أن لا يكلم أخاه حينا قال الحين ستة أشهر ثم ذكر النخلة ما بين حملها الى صرامها ستة أشهر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن طارق عن سعيد بن جبير تؤتى أكلها كل حين قال ستة أشهر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال تؤتى أكلها كل حين باذن ربها والحين ما بين السبعة والستة وهى تؤكل شتاء وصيفا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن ما بين الستة الأشهر والسبعة يعنى الحين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن عكرمة قال الحين ستة أشهر

* وقال آخرون بل الحين ههنا سنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبى مكين عن عكرمة إن نذر أن يقطع يد غلامه أو يحبسه حينا قال فسألنى عمر بن عبد العزيز قال فقلت لا تقطع يده ويحبسه سنة والحين سنة ثم قرأ ليسجننه حتى حين وقرأ تؤتى أكلها كل حين باذن ربها حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال وزاد أبو بكر الهذلى عن عكرمة قال قال ابن عباس الحين حينان حين يعرف وحين لا يعرف فأما الحين الذى لا يعرف فلتعلمن نبأه بعد حين وأما الحين الذى يعرف فقوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سألت حمادا والحكم عن رجل حلف أن لا يكلم رجلا الى حين قالا الحين سنة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء ح وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنى ورقاء ح وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كل حين قال كل سنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تؤتى أكلها كل حين قال كل سنة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلام عن عطاء بن السائب عن رجل منهم أنه سأل ابن عباس فقال حلفت أن لا أكلم رجلا حينا فقرأ ابن عباس تؤتى أكلها كل حين فالحين سنة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عسيل عن عكرمة قال أرسل الى عمر بن عبد العزيز فقال يا مولى ابن عباس انى حلفت أن لا أفعل كذا وكذا حينا فما الحين الذى يعرف به قلت ان من الحين حينا لا يدرك ومن الحين حين يدرك فأما الحين الذى لا يدرك فقول الله هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا والله ما يدرى كم أتى له الى أن خلق وأما الذى يدرك فقوله تؤتى أكلها كل حين باذن ربها فهو ما بين العام الى العام المقبل فقال أصبت يا مولى ابن عباس ما أحسن ما قلت حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال أتى رجل ابن عباس فقال انى نذرت أن لا أكلم رجلا حينا فقال ابن عباس تؤتى أكلها كل حين فالحين سنة * وقال آخرون

ذلك من الآلات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى تنتهى الى الأفلاك والعناصر وأما الذى بعده فكالقوى المعينة على الجذب والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء الحاملة لتلك القوى وكسائر الامور النافعة فى ذلك الباب خارجة من البدن أو داخلة فيه فانها لا تكاد تنحصر واذا كانت نعم الله تعالى فى تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت فى عالم الاجساد فاذا تخطيت الى عالم الارواح وأجلت طرف عقلك فى ميادين القدس وحظائر الانس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تغرق فى لجة المنة أو تغرف من نهر المنحة والنعم هنالك على وفق الاستعداد وادراك النعم بمقدار الفهم والرشاد فان كنت أهلا لها فذاك والا فلا تلم الا نفسك (ان الانسان)

بل الحين فى هذا الموضع شهران ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن مسلم الطائفى عن ابراهيم بن ميسرة قال جاء رجل الى سعيد بن المسيب فقال انى حلفت أن لا أكلم فلانا حينا فقال قال الله تعالى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال هى النخلة لا يكون منها أكلها الا شهرين فالحين شهران * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بالحين فى هذا الموضع غدوة وعشية وكل ساعة لان الله تعالى ذكره ضرب ما تؤتى هذه الشجرة كل حين من الاكل لعمل المؤمن وكلامه مثلا ولا شك أن المؤمن يرفع له الى الله فى كل يوم صالح من العمل والقول لا فى كل سنة أو فى كل ستة أشهر أو فى كل شهرين فاذا كان ذلك كذلك فلا شك أن المثل لا يكون خلافا للممثل به فى المعنى واذا كان ذلك كذلك كان بينا صحة ما قلنا فان قال قائل فأى نخلة تؤتى فى كل وقت أكلا صيفا وشتاء قيل أما فى الشتاء فان الطلع من أكلها وأما فى الصيف فالبلح والبسر والرطب والتمر وذلك كله من أكلها وقوله تؤتى أكلها فانه كما **حدثنا** به محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة تؤتى أكلها كل حين باذن ربها قال يؤكل ثمرها فى الشتاء والصيف **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تؤتى أكلها كل حين قال هى تؤكل شتاء وصيفا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس تؤتى أكلها كل حين باذن ربها يصعد عمله يعنى عمل المؤمن من أول النهار وآخره ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار﴾ يقول تعالى ذكره ومثل الشرك بالله وهى الكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اختلف أهل التأويل فيها أى شجرة هى فقال أكثرهم هى الحنظل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك قال فى هذا الحرف ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال الشريان فقلت ما الشريان قال رجل عنده الحنظل فأقربه معاوية **حدثنا** الحسن ابن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت أنس بن مالك يقول ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال الحنظل **حدثنا** الحسن قال ثنا عمرو بن الهيثم قال ثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال الشريان يعنى الحنظل **حدثنا** أحمد ابن منصور قال ثنا نعيم بن حماد قال ثنا محمد بن ثور عن ابن جريج عن الاعمش عن حبان بن شعبة عن أنس بن مالك فى قوله كشجرة خبيثة قال الشريان قلت لأنس ما الشريان قال الحنظل **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا شعيب قال خرجت مع أبى العالية نريد أنس بن مالك فأتيناه فقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة تلكم الحنظل **حدثنا** الحسن قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن شعيب بن الحبحاب عن أنس مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة قال ثنا أبو اياس عن أنس بن مالك قال الشجرة الخبيثة الشريان فقلت وما الشريان قال الحنظل **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن شعيب عن أنس قال تلكم الحنظل **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا مهدى بن ميمون عن شعيب قال قال أنس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الآية قال تلكم الحنظل ألم تروا الى الرياح كيف تصفقها يمينا وشمالا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كشجرة خبيثة الحنظلة * وقال آخرون هذه الشجرة لم تخلق على الارض ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد الزعفرانى

قال

أى هذا الجنس (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وذلك أنه مجبول على النسيان والملالة فلا بد أن يقع فى اغفال شكر النعمة ان نسيها أو فى كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم فى الشدائد بالشكاية والجزع كفار فى السعة بالمنع واعلم أنه ختم الآية فى هذه السورة بما ختم وختمها فى النحل بقوله ان الله لغفور رحيم وكأنه قال ان كنت ظلوما فأنا غفور وان كنت كفارا فأنا رحيم فلا أقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا أجازى جفاك الا بالوفاء تلك صفتك فى الاخذ وهذه صفتى فى الاعطاء ﴿التأويل وبرزوا من القشور الفانية لله جميعا من القوى والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدة للذين استكبروا من المبتدعين انى كفرت بما أشركتمونى آمن اللعين حين لا ينفع نفسا ايمانها وأدخل

قال ثنا عفان قال ثنا أبو كدينة قال ثنا قابوس عن أبيه عن ابن عباس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هذا مثل ضربه الله ولم تخلق هذه الشجرة على وجه الارض وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح قول من قال هي الحنظلة خبر فان صح فلا قول يجوز أن يقال غيره والا فانها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها ذكر الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** سوار بن عبد الله قال ثنا أبي قال ثنا حماد بن سلمة عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال هي الحنظلة قال شعيب وأخبرت بذلك أبا العالية فقال كذلك كانوا يقولون وقوله اجتثت من فوق الارض يقول استؤصلت يقال منه اجتثثت الشيء أجتثه اجتثاثا اذا استأصلته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اجتثت من فوق الارض قال استؤصلت من فوق الارض مالها من قرار يقول مالها من هذه الشجرة من قرار ولا أصل في الارض تنبت عليه وتقوم وانما ضربت هذه الشجرة التي وصفها الله بهذه الصفة لكفر الكافر وشركه به مثلا يقول ليس لكفر الكافر وعمله الذي هو معصية الله في الارض ثبات ولا له في السماء مصعد لانه لا يصعد الى الله منه شيء * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ضرب الله مثل الشجرة الخبيثة كمثل الكافر يقول ان الشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يقول الكافر لا يقبل عمله ولا يصعد الى الله فليس له أصل ثابت في الارض ولا فرع في السماء يقول ليس له عمل صالح في الدنيا ولا في الآخرة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال قتادة ان رجلا لقي رجلا من أهل العلم فقال ما تقول في الكلمة الخبيثة فقال ما أعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها يوم القيامة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية أن رجلا خالجت الريح رداءه فلعنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنها فانها مأمورة وانه من لعن شيأ ليس له بأهل رجعت اللعنة على صاحبها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جعفر عن الربيع بن أنس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هذا الكافر ليس له عمل في الارض ولا ذكر في السماء اجتثت من فوق الارض مالها من قرار قال لا يصعد عمله الى السماء ولا يقوم على الارض فقيل فأين تكون أعمالهم قال يحملون أوزارهم على ظهورهم **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض قال مثل الكافر لا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الكافر قال اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يقول الشرك ليس له أصل يأخذ به الكافر ولا برهان ولا يقبل الله مع الشرك عملا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي

فيه اشارة الى أن الانسان اذا خلى وطباعه لا يدخل الجنة لانه خلق ظلوما جهولا سفلي الطبع وانما يدخله الله بفضله وعنايته جنات القلوب تجري من تحتها أنهار الحكمة خالدين فيها باذن ربهم أي بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق آدم تحية أهل القلوب على أهل القلوب لسلامة قلوبهم وتحيتهم على أهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا من شر نفوسهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ألم تر أي ألم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلا للاستعداد الانساني القابل للفيض الالهي دون سائر مخلوقاته كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث مثمرة انمار شواهد أنوار القدم أصلها ثابت في الحضرة الالهية فانها صفة قائمة بذاتها وفرعها في سماء القلوب تؤتي أكلها من أنوار المشاهدات والمكاشفات

جعفر عن أبيه عن الربيع ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع ولا قوله ولا عمله يستقر على الارض ولا يصعد الى السماء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول ضرب الله مثل الكافر كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يقول ليس لها أصل ولا فرع وليست لها ثمرة وليست فيها منفعة كذلك الكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ولم يجعل الله فيه بركة ولا منفعة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله يثبت الله الذين آمنوا يحقق الله أعمالهم وايمانهم بالقول الثابت يقول بالقول الحق وهو فيما قيل شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأما قوله فى الحياة الدنيا فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم عنى بذلك أن الله ينبتهم فى قبورهم قبل قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن سعد ابن عبيدة عن البراء بن عازب فى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال التثبيت فى الحياة الدنيا اذا أتاه الملكان فى القبر فقالا له من ربك فقال ربى الله فقالا له ما دينك قال دينى الاسلام فقالا له من نبيك قال نبيى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك التثبيت فى الحياة الدنيا حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن البراء ابن عازب بنحو منه فى المعنى حدثنى عبد الله بن اسحق الناقد الواسطى قال ثنا وهب ابن جرير قال ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن والكافر فقال ان المؤمن اذا سئل فى قبره قال ربى الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا هشام بن عبد الملك قال ثنا شعبة قال أخبرنى علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة ومحمد بن معمر البحرانى واللفظ لحديث ابن أبى كبشة قالا ثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو قال ثنا عباد بن راشد عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فقال يا أيها الناس ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعده فقال ما تقول فى هذا الرجل فان كان مؤمنا قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب الى النار فيقال هذا منزلك لو كفرت بربك فأما اذ آمنت به فان الله أبدلك به هذا ثم يفتح له باب الى الجنة فيريد أن ينهض له فيقال له أسكن ثم يفسح له فى قبره وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما تقول فى هذا الرجل فيقول ما أدرى فيقال له لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له هذا كان منزلك لو آمنت بربك فأما اذ كفرت فان الله أبدلك هذا ثم يفتح له باب الى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين قال بعض أصحابه يا رسول الله ما منا أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق الا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء حدثنا أبو كريب قال ثنا

كل حين يتقرب العبد الى ربه يتقرب الرب تعالى اليه ويضرب الله الامثال للناس لمن نسى العهد الاول لعلهم يتذكرون الحالة الاولى فيسعون فى ادراكها ومثل كلمة تتولد من خبائة النفس اجتثت من فوق أرض البشرية مالها من قرار لانها من الاعمال الفانيات لا من الباقيات الصالحات يثبت الله الذين آمنوا يمكنهم فى مقام الايمان بلازمة كلمة لا اله الا الله والسير فى حقائقها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لان سير أصحاب الاعمال ينقطع بالموت وسير أرباب الاحوال لا ينقطع أبدا وأحلوا قومهم أرواحهم وقلوبهم ونفوسهم وأبدانهم أنزلوا أبدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وأرواحهم العلوية أسفل سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفرا لاوصاف الذميمة أنله

بكر بن عياش عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كر قبض روح المؤمن فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه يعنى فى قبره فيقولان من
ل فيقول ربى الله فيقولان مادينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث
كم فيقول هو رسول الله فيقولان له مايدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى
ماء أن صدق عبدى قال فذلك قول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
الحياة الدنيا وفى الآخرة حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن
نهال عن زاذان عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا
جرير عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا
ن وكيع قال ثنا ابن نمير قال ثنا الاعمش قال ثنا المنهال بن عمرو عن زاذان عن
براء عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا
مرو بن قيس عن يونس بن خباب عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب عن النبى صلى الله
ليه وسلم نحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر و حدثنا الحسن
ن محمد قال ثنا سعيد بن منصور قال ثنا مهدى بن ميمون جميعا عن يونس بن خباب
عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض
روح المؤمن قال فيأتيه آت فى قبره فيقول من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى
الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينتهره فيقول من ربك ومادينك فهى آخر فتنة تعرض على
المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة
فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيقال له صدقت واللفظ لحديث ابن
عبد الاعلى حدثنا محمد بن خلف العسقلانى قال ثنا آدم قال ثنا حماد بن سلمة عن محمد
ابن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال ذاك اذا قيل فى القبر من ربك ومادينك فيقول ربى الله ودينى
الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت فيقال له صدقت
على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا ثنا
يزيد قال أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال ان الميت ليسمع خفق نعالهم
حين يولون عنه مدبرين فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه وكان الصيام
عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيؤتى
من عند رأسه فتقول الصلاة ماقبلى مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ماقبلى مدخل فيؤتى
عن يساره فيقول الصيام ماقبلى مدخل فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة
والصلة والمعروف والاحسان الى الناس ماقبلى مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس
قد دنت للغروب فيقال له أخبرنا عما نسألك فيقول دعونى حتى أصلى فيقول انك ستفعل فأخبرنا
عما نسألك عنه فيقول وعم تسألون فيقال أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا
تشهد به عليه فيقول أى محمد فيقال له نعم فيقول أشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالبينات من عند الله
فصدقناه فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفسح له فى قبره
سبعون ذراعا وينور له فيه ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له انظر الى ما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة
وسرورا ثم يفتح له باب الى النار فيقال له انظر ما صرف الله عنك لو عصيته فيزداد غبطة وسرورا ثم

الذى خلق سموات القلوب وأرض
النفوس وأنزل من سماء القلوب ماء
الحكمة فأخرج به ثمرات الطاعات
رزقا لارواحكم وسخر لكم فلك الشريعة
لتجرى فى بحر الطريقة بأمر الحق
لا بالهوى والطبع وكم لأرباب
الطلب من سفن انكسرت بتكباء
الهوى وسخر لكم أنهار العلوم
الدينية وشمس الكشوف وقمر
المشاهدات وليل البشرية ونهار
الروحانية ومعنى التسخير فى الكل
جعلها أسبابا لاستكمال النفس
الانسانية وآتاكم من كل ماسألتموه
من سائر الاسباب المعينة على ذلك
فجميع العالم بالحقيقة تبع لوجود
الانسان وسبب لكماليته وهو ثمرة
شجرة المكونات فلذلك قال وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان
مخلوقاته غير منحصرة وكلها مخلوق
لاستكماله ان الانسان لظلوم بافساد
استعداده كفار لا يعرف قدر نعمة

يجعل نسمه فى النسم الطيب وهى طير خضر تعلق بشجر الجنة و يعاد جسده الى ما بدئ منه
التراب وذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة حد
الحسن بن محمد قال ثنا أبو قطن قال ثنا المسعودى عن عبد الله بن مخارق عن أبيه
عبد الله قال ان المؤمن اذا مات أجلس فى قبره فيقال له من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت الله
فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد قال فقر أعبد الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
الحياة الدنيا وفى الآخرة **حدثنا** الحسن قال ثنا أبو خالد القرشى عن سفيان عن أ
وحدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن خيثمة عن البراء فى قوله يث
الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال عذاب القبر **حدثنا** الحسن قال ثنا عفا
قال ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء عن النبى صلى الله عليه وس
فى قول الله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال شعبة
أحفظه قال فى القبر **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أ
عن ابن عباس قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الى قوله و يضل الله الظالمين قال ان المؤم
اذا حضره الموت شهدته الملائكة فسلموا عليه و بشروه بالجنة فاذا مات مشوا فى جنازته ثم صلوا عل
مع الناس فاذا دفن أجلس فى قبره فيقال له من ربك فيقول ربى الله و يقال له من رسولك فيقو
محمد فيقال له ما شهادتك فيقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فيوسع له فى قبره
بصره **حدثنا** الحسن قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج سمعت ابن طاوس يخبر عن أبيه قال
لا أعلمه الا قال هى فى فتنة القبر فى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت **حدثنا** ابن حميد قال ث
جرير عن العلاء بن المسيب عن أبيه أنه كان يقول فى هذه الآية يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
فى الحياة الدنيا وفى الآخرة هى فى صاحب القبر **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هش
عن العوام عن المسيب بن رافع يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال
نزلت فى صاحب القبر **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن العلا
ابن المسيب عن أبيه المسيب بن رافع نحوه **حدثنى** المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الرحم
ابن سعد قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع فى قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال بلغنا أن هذه الامة تسئل فى قبورها فيثبت الله المؤمن فى قبره
حين يسئل **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا أبو عوانة عن الأعمش
عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض
روح المؤمن قال فترجع روحه فى جسده و يبعث الله اليه ملكين شديدى الانتهار فيجلسانه
و ينتهرانه يقولان من ربك قال فيقول الله وما دينك قال الاسلام قال فيقولان له ما هذا الرجل أو
النبى الذى بعث فيكم فيقول محمد رسول الله قال فيقولان له وما يدريك قال فيقول قرأت كتاب الله
فآمنت به وصدقت فذلك قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة
حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال نزلت فى الميت الذى يسئل فى قبره عن النبى صلى الله عليه وسلم **حدثنا**
محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قول الله يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال بلغنا أن هذه الامة تسئل فى قبورها فيثبت الله المؤمن
حيث يسئل **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن ابراهيم بن مهاجر

الله فى حقه والله يقول الحق وهو
يهدى السبيل قوله تعالى ﴿ واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا
واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام رب
انهن أضللن كثيرا من الناس فمن
تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك
غفور رحيم ربنا انى أسكنت من
ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك
المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل
أفئدة من الناس تهوى اليهم
وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون
ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما
يخفى على الله من شئ فى الارض
ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى
على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى
لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم
الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل
دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين
مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم

عن مجاهد يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال هذا فى القبر مخاطبته وفى الآخرة مثل ذلك * وقال آخرون معنى ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالايمان فى الحياة الدنيا وهو القول الثابت وفى الآخرة المسألة فى القبر ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قال لا اله الا الله وفى الآخرة المسألة فى القبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح وقوله وفى الآخرة أى فى القبر * والصواب من القول فى ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وهو أن معناه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وذلك تثبيته اياهم فى الحياة الدنيا وذلك بالايمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفى الآخرة مثل الذى يثبتهم به فى الحياة الدنيا وذلك فى قبورهم حين يسئلون عن الذى هم عليه من التوحيد والايمان برسوله صلى الله عليه وسلم وأما قوله ويضل الله الظالمين فانه يعنى أن الله لا يوفق المنافق والكافر فى الحياة الدنيا وفى الآخرة عند المسألة فى القبر لما هدى له من الايمان المؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال أما الكافر فتنزل الملائكة اذا حضره الموت فيبسطون أيديهم والبسط هو الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت فاذا أدخل قبره أقعد فقيل له من ربك فلم يرجع اليهم شيأ وأنساه الله ذكر ذلك واذا قيل له من الرسول الذى بعث اليك لم يهتد له ولم يرجع اليه شيأ يقول ويضل الله الظالمين حدثنى المثنى قال ثنا فهد بن عوف أبو ربيعة قال ثنا أبو عوانة عن الاعمش عن المنهال ابن عمرو عن زاذان عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الكافر حين تقبض روحه قال فتعاد روحه فى جسده قال فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه فينتهرانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدرى قال فيقولان له ما دينك فيقول لا أدرى قال فيقال له ما هذا النبى الذى بعث فيكم قال فيقول سمعت الناس يقولون ذلك لا أدرى قال فيقولان لا دريت قال ويلقى قول الله ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقوله ويفعل الله ما يشاء يعنى تعالى ذكره بذلك وبيد الله الهداية والاضلال فلا تنكروا أيها الناس قدرته ولا اهتداء من كان منكم ضلالا ولا اضلال من كان منكم مهتديا فان بيده تصريف خلقه وتقليب قلوبهم يفعل فيهم ما يشاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار﴾ يقول تعالى ذكره ألم تنظر يا محمد الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا يقول غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه فجعلوها كفرا به وكان تبديلهم نعمة الله كفرا فى نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم الله به على قريش فأخرجه منهم وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم ونعمة منه عليهم فكفروا به وكذبوه فبدلوا نعمة الله عليهم به كفرا وقوله وأحلوا قومهم دار البوار يقول وأنزلوا قومهم من مشركى قريش دار البوار وهى دار الهلاك يقال منه بار الشئ يبور بورا اذا هلك وبطل ومنه قول ابن الزبعرى وقد قيل انه لابى سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب

يا رسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور

ثم ترجم عن دار البوار وما هى فقيل جهنم يصلونها وبئس القرار يقول وبئس المستقر هى جهنم

وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب ﴿ القرآت ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان الى أسكنت بفتح الياء

لمن صلاها وقيل ان الذين بدلوا نعمة الله كفرا بنو أمية و بنو مخزوم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن عمر بن الخطاب في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم قال هما الأخسران من قريش بنو المغيرة و بنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا الى حين حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال أخبرنا حمزة الزيات عن عمرو ابن مرة قال قال ابن عباس لعمر رضي الله عنهما يا أمير المؤمنين هذه الآية الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم الأخسران من قريش أخوالي وأعمامك فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر وأما أعمامك فأملى الله لهم الى حين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق(١) عن عمرو ذي مر عن علي وأحلوا قومهم دار البوار قال الأخسران من قريش حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن عمرو ذي مر عن علي مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان وشعبة عن أبي اسحق عن عمرو ذي مر عن علي قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال بنو المغيرة و بنو أمية فأما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا الى حين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت عمرا ذا مر قال سمعت عليا يقول في هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال الأخسران من بني أسد وبني مخزوم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي قال هم كفار قريش يعني في قوله وأحلوا قومهم دار البوار جهنم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أنه سمع علي بن أبي طالب وسأله ابن الكواء عن هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار قريش يوم بدر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو النضر هاشم بن القاسم عن شعبة عن القاسم بن أبي بزة قال سمعت أبا الطفيل قال سمعت عليا فذكر نحوه حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل ابن سميع عن مسلم البطين عن أبي أرطاة عن علي في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش هكذا قال أبو السائب مسلم البطين عن أبي أرطاة حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا اسمعيل بن سميع عن مسلم بن أرطاة عن علي في قوله تعالى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال كفار قريش حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا يعقوب بن اسحق قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل عن علي قال في قوله الله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار قريش حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبي بزة قال سمعت أبا الطفيل يحدث قال سمعت عليا يقول في هذه الآية ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال كفار قريش يوم بدر حدثنا الحسن قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا بسام الصيرفي قال ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة ذكر أن عليا قام على المنبر فقال سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال منافقو قريش حدثنا الحسن قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا بسام عن رجل قد سماه الطنافسي قال جاء رجل الى علي فقال يا أمير المؤمنين من الذين بدلوا نعمة الله

(١) لعله هو عمرو بن مرة كما في ابن كثير في هذا الأثر فتنبه كتبه مصححه

أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ومن عصاني بالامالة على دعائي بالياء في الحالين ابن كثير ويعقوب وقرأ أبو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمي والخزاز عن هبيرة وأحمد ابن فرج عن أبي عمرو عن اسمعيل بالياء في الوصل والباقون والهاشمي عن ابن فليح بغير ياء في الحالين نؤخرهم بالنون عباس والمفضل في رواية أبي زيد الآخرون بالياء لتزول بفتح الاول ورفع الآخر على الباقون بكسر الاول ونصب الآخر القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء مكسورة منونة آن على أنه اسم فاعل يزيد عن يعقوب والوقف على قراءته آني بالياء ۞ الوقوف الأصنام ط من الناس ج منى ج فصلا بين النقيضين مع اتحاد الكلام رحيم ○ المحرم لا لأن قوله ليقيموا يتعلق بقوله أسكنت وكلمة ربنا تكرار يشكرون ○ وما نعلن ط ولا في السماء ○ لا

واسحق ط الدعاء ○ ومن ذريتي ز قد قيل والوصل أولى للعطف وربنا تكرار دعاء ○ الحساب ط الظالمون ○ ط الابصار ○ لا لأن ما بعده حال طرفهم ج لاحتمال أن قوله وأفئدتهم يكون من صفات أهل المحشر وأن يكون من صفة الكفار في الدنيا هواء ○ ط قريب لا لأن قوله يجب جواب أخرنا الرسل ط زوال ○ لا للعطف على أقسمتم الامثال ○ وعند الله مكرهم ط الجبال ○ رسله ط انتقام ○ ط فان انتقامه لا يختص بوقت والتقدير اذكر يوم القهار ○ في الاصفاد ○ ج للآية ولان الجملة بعد من صفات المجرمين النار ○ لا لتعلق لام كي ما كسبت ط الحساب ○ الالباب ○ ۞ التفسيران قصة ابراهيم صلى الله عليه وسلم يحتمل أن تكون مثالا للكلمة الطيبة وأن تكون دعاء الى التوحيد وانكارا

أحلوا قومهم دار البوار قال في قريش **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال
سام الصيرفي عن أبي الطفيل عن علي أنه سئل عن هذه الآية الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال
قريش **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا حماد قال ثنا عمرو
دينار أن ابن عباس قال في قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال هم المشركون من أهل بدر **حدثنا**
سن بن محمد قال ثنا عبد الجبار قال ثنا سفيان عن عمرو قال سمعت عطاء يقول
عت ابن عباس يقول هم والله أهل مكة الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار
ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا صالح بن عمر عن مطرف بن طريف عن أبي
حنى قال سمعت عمر اذا مر يقول سمعت عليا يقول على المنبر وتلا هذه الآية ألم تر الى الذين
نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هما الأفجران من قريش فأما أحدهما فقطع الله
هم يوم بدر وأما الآخر فمتعوا الى حين **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن قال
نبأة قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بدلوا نعمة الله كفرا قال
قريش **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن
قال كفار قريش **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد بدلوا نعمة الله كفرا كفار قريش **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال
مجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء قال سمعت ابن عباس يقول هم والله الذين بدلوا نعمة
كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قريش أو قال أهل مكة **حدثنا** ابن وكيع وابن بشار قالا ثنا
در عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا
هم دار البوار قال قتلى يوم بدر **حدثنا** ابن المثنى قال ثني عبد الصمد قال ثنا شعبة عن
بشر عن سعيد بن جبير الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال هم كفار قريش
ثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن حصين
أبي مالك وسعيد بن جبير قالا هم قتلى بدر من المشركين **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن
شة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس في الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار قال
هم أهل مكة قال أبو كريب قال سفيان يعني كفارهم **حدثني** المثنى قال ثنا الحجاج
ثنا حماد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال هم
شركون من أهل بدر **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل
أبي خالد عن أبي اسحق عن بعض أصحاب علي عن علي في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله
كفرا قال هم الأفجران من قريش من بني مخزوم وبني أمية أما بنو مخزوم فان الله قطع دابرهم يوم
بدر وأما بنو أمية فمتعوا الى حين **حدثني** المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال أخبرنا خالد عن
حصين عن أبي مالك في قول الله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم القادة من المشركين يوم
بدر **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن أبي مالك وسعيد
ابن جبير قالا هم كفار قريش من قتل ببدر **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا
هشيم عن جويبر عن الضحاك قال هم كفار قريش من قتل ببدر **حدثت** عن الحسين قال سمعت
معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة

الله كفرا الآية قال هم مشركو أهل مكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل
أخبرني محمد بن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هذه الآية في الذين قتلوا
قريش ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار الآية حدثنا بشر
قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا
قومهم دار البوار كنا نحدث أنهم أهل مكة أبو جهل وأصحابه الذين قتلهم الله يوم بدر قال انهم
يصلونها وبئس القرار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة
في قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال هم قادة المشركين يوم بدر أحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها
حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا
قومهم دار البوار قال هؤلاء المشركون من أهل بدر * وقال آخرون في ذلك بما حدثني
ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ألم تر الى الذين
بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها فهو جبلة بن الايهم والذين اتبعوه من
العرب فلحقوا بالروم وبنحو الذي قلنا في معنى قوله وأحلوا قومهم دار البوار قال أهل التأويل
من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك
وأحلوا قومهم دار البوار قال أحلوا من أطاعهم من قومهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابن عباس دار البوار قال الهلاك قال ابن جريج قال مجاهد
وأحلوا قومهم دار البوار قال أصحاب بدر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد
في قوله دار البوار النار قال وقد بين الله ذلك وأخبر به فقال جهنم يصلونها وبئس القرار
حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دار البوار جهنم يصلونها
دارهم في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله
تمتعوا فان مصيركم الى النار﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا لربهم أندادا
وهي جماع ند وقد بينت معنى الند فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته وانما أراد أنهم جعلوا
لله شركاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله أندادا
والانداد الشركاء وقوله ليضلوا عن سبيله اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة
يضلوا بمعنى كي يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك وقرأته عامة قراء أهل البصرة ليضلوا
بمعنى كي يضل جاعلوا الانداد لله عن سبيل الله وقوله قل تمتعوا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم قل يا محمد لهم تمتعوا في الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم لا اباحة لهم التمتع بها ولا أمرا على وجه
العبادة ولكن توبيخا وتهددا ووعيدا وقد بين ذلك بقوله فان مصيركم الى النار يقول استمتعوا في
الحياة الدنيا فانها سريعة الزوال عنكم والى النار تصيرون عن قريب فتعلمون هنالك غب تمتعكم
في الدنيا بمعاصي الله وكفركم فيها به ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لعبادي الذين آمنوا
يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لعبادي الذين آمنوا بك وصدقوا
ما جئتهم به من عندي يقيموا الصلاة يقول قل لهم فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم
بحدودها ولينفقوا مما رزقناهم نقولنا هم من فضلنا سرا وعلانية فليؤدوا ما أوجبت عليهم من
الحقوق فيها سرا واعلانا من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه يقول لا يقبل فيه فدية ولا عوض عن
نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا فيقبل منها الفدية وتترك

لعبادة الاصنام وأن تكون تعديدا
لبعض نعمه على عبيده فان وجود
الصالحين ولاسيما الانبياء والمرسلين
رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من
الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
وذلك بدعاء ابراهيم ومن نسله صلى
الله عليه وسلم نبينا صلى الله عليه وسلم
حكى الله سبحانه عنه طلب أمور منها
قوله (رب اجعل هذا البلد آمنا) وقد
مر في البقرة الفرق بين هذه العبارة
وبين ما هنالك ولا ريب أن في مكة
مزيد أمن ببركة دعائه حتى ان
الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا
يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم
بعضا وكان الخائف اذا التجأ بمكة
أمن والوحوش هنالك استئناس
ليس في غيرها وانما قدم طلب الأمن
على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ
الانسان لشئ آخر من مهمات الدين
والدنيا ومن هنا جاز التلفظ بكلمة
الكفر عند الاكراه وسئل بعض
الحكماء أن الأمن أفضل أم الصحة

فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضا اذ كان أخذ عوض من معتاض منه وقوله ولا خلال
ل وليس هنالك مخالة خليل فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته بل هنالك
دل والقسط فالخلال مصدر من قول القائل خاللت فلانا فأنا أخاله مخالة وخلالا ومنه قول
ى القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى * ولست بمقلى الخلال ولا قالى

وقوله يقيموا الصلاة بتأويل الجزاء ومعناه الامر يراد قل لهم ليقيموا الصلاة حدثنى المثنى
ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا
لاة يعنى الصلوات الخمس وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يقول زكاة أموالهم حدثنى
ى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة فى قوله من قبل أن يأتى
لا بيع فيه ولا خلال قال قتادة ان الله تبارك وتعالى قد علم أن فى الدنيا بيوعا وخلالا يتخالون بها فى
فينظر رجل من يخالل وعلام يصاحب فان كان لله فليداوم وان كان لغير الله فانها ستنقطع
القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج
من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الانهار﴾ يقول
ذكره الله الذى أنشأ السموات والارض من غير شئ أيها الناس وأنزل من السماء غيثا أحيا
شجر والزرع فأثمرت رزقا لكم تأكلونه وسخر لكم الفلك وهى السفن لتجرى فى البحر بأمره
تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد الى بلد وسخر لكم الانهار ماؤها شراب لكم يقول
ذكره الذى يستحق عليكم العبادة واخلاص الطاعة له من هذه صفته لا من لا يقدر على
ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وآلهتكم حدثنى محمد بن عمرو قال
أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء
ثنا الحسن بن محمد يعنى الزعفرانى قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى
ى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال
ثنا شبل جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وسخر لكم الانهار قال بكل بلدة ۞ القول
تأويل قوله تعالى ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ يقول
ذكره الله الذى خلق السموات والارض وفعل الافعال التى وصف وسخر لكم الشمس والقمر
معاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار لصلاح أنفسكم ومعاشكم دائبين فى اختلافهما عليكم
ل معناه أنهما دائبان فى طاعة الله حدثنا خلف بن واصل عن رجل عن مقاتل بن حيان
عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين قال دؤبهما فى طاعة الله وقوله
سخر لكم الليل والنهار يختلفان عليكم باعتقاب اذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح
بكم فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم وهذا لكم للسكن تسكنون فيه ورحمة منه بكم ۞ القول
تأويل قوله تعالى ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ يقول تعالى ذكره وأعطاكم مع انعامه عليكم
أنعم به عليكم من تسخيره هذه الاشياء التى سخرها لكم والرزق الذى رزقكم من نبات الارض
وغيرها من كل شئ سألتموه ورغبتم اليه شيأ وحذف الشئ الثانى اكتفاء بما التى أضيفت اليها كل
ما جاز حذفه لان من تبعض ما بعدها فكفت بدلالتها على التبعيض من المفعول فلذلك جاز
حذفه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شئ يعنى به وأوتيت من كل شئ فى زمانها شيأ وقد قيل ان
ما انما قيل على التكثير نحو قول القائل فلان يعلم كل شئ وأتاه كل الناس وهو يعنى بعضهم

فقال الأمن دليله أن شاة لو انكسرت
رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها
تقبل على الرعى والاكل وانها لو
ربطت فى موضع وربط بالقرب منها
ذئب فانها تمسك عن العلف ولا
تتناول شيأ الى أن تموت فدل ذلك
على أن الضرر الحاصل من الخوف
أشد من الألم الحاصل للجسد ومنها
قوله (واجنبنى وبنى أن نعبد
الاصنام) قال جار الله أهل الحجاز
يقولون جنبنى شره بالتشديد وأهل
نجد جنبنى وأجنبنى وفائدة الطلب
والاجتناب حاصل التثبت والادامة
ولا أقل من هضم النفس واظهار
الفقر والحاجة والتماس العصمة
من الشرك الخفى أما قوله وبنى
فقيل أراد بنيه من صلبه وأنهم
ما عبدوا صنما ببركة دعائه وقيل
أولاده وأولاد أولاده ممن كانوا
موجودين حال دعوته وقال مجاهد
وابن عيينة لم يعبد أحد من ولد
ابراهيم صنما وهو التمثال المصور وانما

وكذلك قوله فتحنا عليهم أبواب كل شئ وقيل أيضا انه ليس شئ الا وقد سأله بعض الناس فقيل
وآتاكم من كل ما سألتموه أى قد آتى بعضكم منه شيأ وآتى آخر شيأ مما قد سأله وهذا قول بعض
نحويى أهل البصرة وكان بعض نحويى أهل الكوفة يقول معناه وآتاكم من كل ما تمنيتم أن
سألتموه كأنه قيل وآتاكم من كل سؤلكم وقال ألا ترى أنك تقول للرجل لم يسألك شيأ والله لاعطينك
سؤلك ما بلغت مسألتك وان لم يسأل فأما أهل التأويل فانهم اختلفوا فى تأويل ذلك فقال بعضهم
معناه وآتاكم من كل ما رغبتم اليه فيه ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو
عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنى** المثنى قال ثنا
الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآتاكم من كل
ما سألتموه ورغبتم اليه فيه **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد **وحدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد **وحدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
مثله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وآتاكم من
كل ما سألتموه قال من كل الذى سألتموه * وقال آخرون بل معنى ذلك وآتاكم من كل الذى
سألتموه والذى لم تسألوه ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا خلف يعنى ابن
هشام قال ثنا محبوب عن داود بن أبى هند عن ركانة بن هاشم من كل ما سألتموه قال ما سألتموه
تسألوه وقرأ ذلك آخرون وآتاكم من كل ما سألتموه بتنوين كل وترك اضافتها الى ما بعدها وآتاكم
من كل شئ لم تسألوه ولم تطلبوه منه وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر والليل والنهار ونحو
ذلك لهم من غير أن يسألوه ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال
ثنا بزيع عن الضحاك بن مزاحم فى هذه الآية وآتاكم من كل ما سألتموه قال ما لم تسألوه **حدثنا**
ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد عن الضحاك أنه كان يقرأ من كل ما سألتموه
ويفسره أعطاكم أشياء ما سألتموها ولم تلتمسوها ولكن أعطيتكم برحمتى وسعنى قال الضحاك
فكم من شئ أعطانا الله ما سألناه ولا طلبناه **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ
يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآتاكم من كل ما سألتموه يقول
أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها صدق الله كم من شئ أعطانا الله ما سألناه اياه ولا خطر
على بال **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وآتاكم من كل
ما سألتموه قال لم تسألوه من كل الذى آتاكم * والصواب من القول فى ذلك عندنا القراءة التى عليها
قراء الامصار وذلك اضافة كل الى ما بعدها وآتاكم من سؤلكم شيئا على ما قد بينا قبل لاجماع الحجة
من القراء عليها ورفضهم القراءة الاخرى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ﴾ يقول تعالى ذكره وان تعدوا أيها الناس نعمة الله التى
أنعمها عليكم لا تطيقوا احصاء عددها والقيام بشكرها الا بعون الله لكم عليها ان الانسان لظلوم
كفار يقول ان الانسان الذى بدل نعمة الله كفرا لظلوم يقول لشاكر غير من أنعم عليه فهو بذلك من
فعله واضع الشكر فى غير موضعه وذلك أن الله هو الذى أنعم عليه بما أنعم واستحق عليه اخلاص
العبادة له فعبد غيره وجعل له أندادا ليضل عن سبيله وذلك هو ظلمه وقوله كفار يقول هو جحود
نعمة الله التى أنعم بها عليه لصرفه العبادة الى غير من أنعم عليه وتركه طاعة من أنعم عليه **حدثنى**
الحسن بن محمد قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا مسعر عن سعد بن ابراهيم عن طلق بن

عبدت العرب الاوثان يعنى أحجارا
مخصوصة كانت لكل قوم زعموا أن
البيت حجر فيثما نصبنا حجرا فهو
بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك
الحجر ويسمونه الدوار ولذلك استحب
أن يقال طاف بالبيت ولا يقال دار
بالبيت وضعف هذا الجواب بأنه
اذا عبد غير الله فالوثن والصنم سيان
على أنه سبحانه وصف آلهتهم بما
ينبئ عن كونهم مصورين كقوله
ان الذين تدعون من دون الله عباد
أمثالكم الآيات الى قوله وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون
وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين
من أولاده بدليل قوله فمن تبعنى فانه
منى أى من أهلى فانه يفهم منه أن
من لم يتبعه فى دينه فانه ليس من
أهله كقوله لابن نوح انه ليس من
أهلك وقيل انه وان عم الدعاء الا أنه
أجيب فى البعض كقوله ومن
ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين
قالت الاشاعرة لو لم يكن الايمان

حبيب قال ان حق الله أثقل من أن تقوم به العباد وان نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنىّ أن نعبد الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا يعنى الحرم بلدا آمنا أهله وسكانه واجنبنى وبنىّ أن نعبد الاصنام يقال منه جنبته الشر فانا أجنبه جنبا وجنبته الشر فانا أجنبه تجنيبا وأجنبته ذلك فانا أجنبه اجنابا ومن جنبت قول الشاعر

وتنفض مهده شفقا عليه * وتجنبه فلا يصئى الصعابا

ومعنى ذلك أبعدنى وبنىّ من عبادة الاصنام والاصنام جمع صنم والصنم هو التمثال المصور كما قال رؤبة بن العجاج فى صفة امرأة

وهنانة كالزون يجلى صنمه * تنحل عن أشنب عذب ملثمه

وكذلك كان مجاهد يقول حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام قال فاستجاب الله لابراهيم دعوته فى ولده قال فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته والصنم التمثال المصور ما لم يكن صنما فهو وثن قال واستجاب الله له وجعل هذا البلد آمنا ورزق أهله من الثمرات وجعله اماما وجعل من ذريته من يقيم الصلاة وتقبل دعاءه فأراه مناسكه وتاب عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة قال كان ابراهيم التيمى يقص ويقول فى قصصه من يأمن من البلاء بعد خليل الله ابراهيم حين يقول رب اجنبنى وبنىّ أن نعبد الاصنام وقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس يقول يا رب ان الاصنام أضللن يقول أزللن كثيرا من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهن وكفروا بك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهن أضللن كثيرا من الناس يعنى الأوثان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة انهن أضللن كثيرا من الناس قال الاصنام وقوله فمن تبعنى فانه منى يقول فمن تبعنى على ما أنا عليه من الايمان بك واخلاص العبادة لك وفراق عبادة الاوثان فانه منى يقول فانه مستن بسنتى وعامل بمثل عملى ومن عصانى فانك غفور رحيم يقول ومن خالف أمرى فلم يقبل منى ما دعوته اليه وأشرك بك فانك غفور لذنوب المذنبين الخطائين بفضلك رحيم بعبادك تعفو عمن تشاء منهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم اسمعوا الى قول خليل الله ابراهيم لا والله ما كانوا طعانين ولا لعانين وكان يقال ان من أشر عباد الله كل طعان لعان قال نبى الله ابن مريم عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم حدثنى المثنى قال ثنا أصبغ بن الفرج قال أخبرنى ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث أن بكر ابن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه ثم قال اللهم أمتى اللهم امتى وبكى فقال الله تعالى يا جبرئيل اذهب الى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيه فأتاه جبرئيل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال فقال الله يا جبرئيل

والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لالتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على منع الالطاف أما قوله (رب انهن أضللن كثيرا) فاتفقوا على أن نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم أى صارت سببا للفتنة والاغترار بها (فمن تبعنى) بقى على الملة الحنيفية (فانه منى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى (ومن عصانى فانك غفور رحيم) قال السدى معناه ومن عصانى ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك وقيل المراد أنك قادر على أن تغفر له وترجمه بأن تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل أراد أن يمهلهم حتى يتوبوا وقيل ومن عصانى فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة باطلاقه من غير اشتراط التوبة على أنه شفاعة فى اسقاط العقاب عن أهل الكبائر واذا ثبت هذا فى حق ابراهيم صلى الله عليه

اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ وقال ابراهيم خليل الرحمن هذا القول حين أسكن اسمعيل وأمه هاجر فيما ذكر بمكة كما حدثنى يعقوب بن ابراهيم والحسن بن محمد قالا ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب قال نبئت عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس قال ان أول من سعى بين الصفا والمروة لأم اسمعيل وان أول ما أحدث نساء العرب جر الذيول لمن أم اسمعيل قال لما فرت من سارة أرخت من ذيلها لتعفى أثرها بفناء بها ابراهيم ومعها اسمعيل حتى انتهى بهما الى موضع البيت فوضعهما ثم رجع فاتبعته فقالت الى أى شئ تكلنا الى طعام تكلنا الى شراب تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا قال فرجعت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادى فدعا فقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون قال ومع الانسانة شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وانقطع لبنها فعطش الصبى فنظرت أى الجبال أدنى من الارض فصعدت بالصفاء فتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا فلم تسمع فانحدرت فلما أتت على الوادى سعت وما تريد السعى كالانسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى فنظرت أى الجبال أدنى من الارض فصعدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا فسمعت صوتا فقالت كالانسان الذى يكذب سمعه صه حتى استيقنت فقالت قد أسمعتنى صوتك فأغثنى فقد هلكت وهلك من معى بفناء الملك فجاء بها حتى انتهى بها الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عينا فجعلت الانسانة تجعلت فى شنتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أم اسمعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها الملك لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد فانما هى عين لشرب ضيفان الله وقال ان أباها هذا الغلام سيجىء فيبنيان الله بيتا هذا موضعه قال ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لعائف على ماء فهل علمتم بهذا الوادى من ماء فقالوا لا فأشرفوا فاذا هم بالانسانة فأتوها فطلبوا اليها أن ينزلوا معها فأذنت لهم قال وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت فماتت وتزوج اسمعيل امرأة منهم فجاء ابراهيم فسأل عن منزل اسمعيل حتى دل عليه فلم يجده ووجد امرأته فقال لها اذا جاء زوجك فقولى له جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا وانه يقول لك انى لا أرضى لك عتبة بابك فخولها وانطلق فلما جاء اسمعيل أخبرته فقال ذاك أبى وأنت عتبة بابى فطلقها وتزوج امرأة أخرى منهم وجاء ابراهيم حتى انتهى الى منزل اسمعيل فلم يجده ووجد امرأته سهلة طليقة فقال لها أين انطلق زوجك فقالت انطلق الى الصيد قال فما طعامكم قالت اللحم والماء قال اللهم بارك لهم فى لحمهم ومائهم اللهم بارك لهم فى لحمهم ومائهم ثلاثا وقال لها اذا جاء زوجك فأخبريه قولى جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا وانه يقول لك قد رضيت لك عتبة بابك فأثبتها فلما جاء اسمعيل أخبرته قال ثم جاء الثالثة فرفعا القواعد من البيت حدثنا الحسن بن محمد قال ثنى يحيى بن عباد قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء نبى الله ابراهيم باسمعيل وهاجر فوضعهما بمكة فى موضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم انما أسألك ثلاث مرات من أمرك أن تضعنى بأرض ليس فيها ضرع ولا زرع ولا أنيس ولا زاد ولا ماء قال ربى أمرنى قالت فانه لن يضيعنا قال فلما قفا ابراهيم قال ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن يعنى من الحزن وما

وسلم ثبت فى حق نبينا بالطريق الاولى ثم أراد أن يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم أو جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة وأن يرزقهم من الثمرات فهد لذلك مقدمة فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى) أى بعضهم (بواد غير ذى زرع) أى لم يكن فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج أى لا اعوجاج فيه أصلا ولم يوجد ذلك فيه فى زمن من الازمان وقد سبق فى سورة البقرة قصة مجىء ابراهيم صلى عليه وسلم باسمعيل وأمه هاجر الى هنالك وفى قوله (عند بيتك المحرم) دليل على أنه دعا هذه الدعوة بعد بناء البيت لا فى حين مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما أن الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لاجل حرمته وأنه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه أن يجتنب وقيل سمى محرما لانه حرم

على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء فلما ظمئ اسمعيل جعل يدحض الارض بعقبه
هاجر حتى علت الصفا والوادى يومئذ لاخ يعنى عميق فصعدت الصفا فأشرفت لتنظر هل
شيأ فلم تر شيأ فانحدرت فبلغت الوادى فسعت فيه حتى خرجت منه فأتت المروة فصعدت
تشرفت هل ترى شيأ فلم تر شيأ ففعلت ذلك سبع مرات ثم جاءت من المروة الى اسمعيل وهو
حض الارض بقعبه وقد نبعت العين وهى زمزم فجعلت تفحص الارض بيدها عن الماء فكلما
ماء أخذته بقدحها وأفرغته فى سقائها قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم يرحمها الله
كتها لكانت عينا سائحة تجرى الى يوم القيامة قال وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة قال
الطير الوادى حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى قالوا ما لزمته الا وفيه ماء
الى هاجر فقالوا ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتى شب
عيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة منهم قال فاستأذن ابراهيم سارة أن يأتى هاجر فأذنت
شرطت عليه أن لا ينزل فقدم ابراهيم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته
صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع فقال
هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندى وما عندى أحد فقال
اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه وذهب ابراهيم وجاء اسمعيل فوجد
أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءنى شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال
قالت قال لى أقرئى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم
الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فجاء ابراهيم
انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يصيد وهو يجىء الآن ان شاء
فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم قال هل عندك خبز أو بر أو تمر أو شعير قالت
جاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت أكثر أرض
بر أو شعير أو تمر فقالت له انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن
وضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر
غسلت شقه الأيسر فقال لها اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك
جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت نعم شيخ أحسن الناس وجها
طيبه ريحا فقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه على
المقام قال وما قال لك قالت قال لى اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولى له قد استقامت عتبة
بابك قال ذاك ابراهيم فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره الله ببناء البيت فبناه هو واسمعيل فلما بنياه
أذن فى الناس بالحج فجعل لا يمر بقوم الا قال أيها الناس انه قد بنى لكم بيت فحجوه فجعل لا يسمعه
أحد صخرة ولا شجرة ولا شئ الا قال لبيك اللهم لبيك قال وكان بين قوله ربنا انى أسكنت من
ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم وبين قوله الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل
وإسحق كذا وكذا عاما لم يحفظ عطاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم وانه بيت طهره الله من السوء وجعله
وجعله حرمه اختاره نبى الله ابراهيم لولده حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن
عن قتادة غير ذى زرع قال مكة لم يكن بها زرع يومئذ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير قال القاسم فى حديثه قال أخبرنى عمرو بن كثير

على الطوفان أى منع منه كما سمى
عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول
عليه أو حرم على المكلفين أن يقربوه
بالدماء والاقذار أو لانه أمر الصائرون
اليه أن يحرموا على أنفسهم أشياء
كانت تحل لهم من قبل (ربنا ليقيموا
الصلاة) أى ما أسكنتهم بهذا الوادى
القفر الا لاقامة الصلاة عند البيت
وعمارته بالذكر والطواف (فاجعل
أفئدة من الناس) من للتبعيض أى
أفئدة من أفئدة الناس قال مجاهد
لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه
فارس والروم والترك والهند وعن
سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس
لحجه اليهود والنصارى والمجوس
ولكنه أراد أفئدة المسلمين وجوز فى
الكشاف أن يكون من للابتداء
كقولك القلب منى سقيم وعلى هذا
فانما يحصل التبعيض من تنكير
أفئدة فكأنه قيل أفئدة ناس ومعنى
(تهوى) تسرع (اليهم) وتطير نحوهم
شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر

«قال أبو جعفر» فغيرته أنا فجعلته قال أخبرني ابن كثير وأسقطت عمرا لاني لا أعرف انسانا
عمرو بن كثير حدث عنه ابن جريج وقد حدث به معمر عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي
وأخشى أن يكون حديث ابن جريج أيضا عن كثير بن كثير قال كنت أنا وعثمان بن أبي سليمن في
مع سعيد بن جبير ليلا فقال سعيد بن جبير للقوم سلوني قبل أن لا تسألوني فسأله القوم فأكثروا
فيما سئل عنه أن قيل له أحق ما سمعنا في المقام فقال سعيد ماذا سمعتم قالوا سمعنا أن ابراهيم رسول
حين جاء من الشام كان حلف لامرأته أن لا ينزل مكة حتى يرجع فقرب له المقام فنزل عليه
سعيد ليس كذا حدثنا ابن عباس ولكنه حدثنا حين كان بين أم اسمعيل وسارة ما كان أن
باسمعيل ثم ذكر مثل حديث أيوب غير أنه زاد في حديثه قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم
طاف الناس بين الصفا والمروة ثم حدث وقال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم طلوا
معها وقد أحبت أم اسمعيل الانس فنزلوا وبعثوا الى أهلهم فقدموا وطعامهم الصيد يخرجون
الحرم ويخرج اسمعيل معهم يتصيد فلما بلغ أنكحوه وقد توفيت أمه قبل ذلك قال وقال رسول
صلى الله عليه وسلم لما دعا لهما أن يبارك لهم في اللحم والماء قال لها هل من حب أو غيره من
قالت لا ولو وجد يومئذ لها حبا دعا لها بالبركة فيه قال ابن عباس ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ثم
فوجد اسمعيل قاعدا تحت دوحة الى ناحية البئر يبري نبلا له فسلم عليه ونزل اليه فقعد معه و
يا اسمعيل ان الله قد أمرني بأمر قال اسمعيل فأطع ربك فيما أمرك قال ابراهيم أمرني أن أبني
بيتا قال اسمعيل ابن قال ابن عباس فأشار له ابراهيم الى أكمة بين يديه مرتفعة على ما حولها با
السيل من نواحيها ولا يركبها قال فقاما يحفران عن القواعد يرفعانها ويقولان ربنا تقبل منا
أنت السميع العليم ربنا تقبل منا انك سميع الدعاء واسمعيل يحمل الحجارة على رقبته والشيخ ابراهيم
يبني فلما ارتفع البنيان وشق على الشيخ تناوله قرب اليه اسمعيل هذا الحجر فجعل يقوم عليه ويبني
ويحوله في نواحي البيت حتى انتهى يقول ابن عباس فذلك مقام ابراهيم وقيامه عليه حدثنا
وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ربنا
أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع قال أسكن اسمعيل وأمه بمكة حدثنا أحمد بن اسحق قال
ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير انى أسكنت من ذريتي بواد غير
ذي زرع قال حين وضع اسمعيل «قال أبو جعفر» فتأويل الكلام اذا ربنا انى أسكنت بعض ولدي
بواد غير ذي زرع وفي قوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء لانه لو كان هنالك
ما علم يصفه بأنه غير ذي زرع عند بيتك الذي حرمته على جميع خلقك أن يستحلوه وكان تحريمه
اياه فيما ذكر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب
قال في خطبته ان هذا البيت أول من وليه أناس من طسم فعصوا ربهم واستحلوا حرمته واستخفوا
بحقه فأهلكهم الله ثم وليه أناس من جرهم فعصوا ربهم واستحلوا حرمته واستخفوا بحقه فأهلكهم
الله ثم وليتموه معاشر قريش فلا تعصوا ربه ولا تستحلوا حرمته ولا تستخفوا بحقه فوالله لصلاة فيه
أحب الي من مائة صلاة بغيره واعلموا أن المعاصي فيه على نحو من ذلك وقال انى أسكنت من
ذريتي بواد غير ذي زرع ولم يأت بما وقع عليه الفعل وذلك أن حظ الكلام أن يقال انى أسكنت من
ذريتي جماعة أو رجلا أو قوما (١) وذلك غير جائز مع من لدلالتها على المراد من الكلام والعرب تفعل
ذلك معها كثيرا فتقول قتلنا من بني فلان وطعمنا من الكلا وشربنا من الماء ومنه قول الله تعالى
أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فان قال قائل وكيف قال ابراهيم حين أسكن ابنه مكة
انى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقد روي في الاخبار التي ذكرتها أن

(١) لعله وذلك جائز باسقاط لفظ غير تأمل كتبه مصححه

الاصمعي هوى يهوى هو يا بفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا الدعاء فائدتان احداهما ميل الناس الى تلك البلدة للنسك والطاعة والاخرى نقل الافئدة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك تتسع معايشهم وتكثر أرزاقهم ومع ذلك قد صرح بها فقال (وارزقهم من الثمرات) فلا جرم أجاب الله دعاءه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ وقيل أراد أن يحصل حواليها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الآية بقوله (لعلهم يشكرون) ليعلم أن المقصود الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق هو التفرغ لاداء العبادات واقامة الوظائف الشرعية ثم أثنى على الله سبحانه تمهيدا لدعوة أخرى وتعريضا ببقية الحاجات فقال (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم بالذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب

ابراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة قيل قد قيل فى ذلك أقوال قد ذكرتها فى سورة البقرة منها أن معناه عند بيتك المحرم الذى كان قبل أن ترفعه من الارض حين رفعته أيام الطوفان ومنها عند بيتك المحرم الذى قد مضى فى سابق علمك أنه يحدث فى هذا البلد وقوله المحرم على ما قاله قتادة معناه المحرم من استحلال حرمات الله فيه والاستخفاف بحقه وقوله ربنا ليقيموا الصلاة يقول فعلت ذلك يا ربنا كى تؤدى فرائض من الصلاة التى أوجبتها عليهم فى بيتك المحرم وقوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله ابراهيم أنه سأله فى دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع الى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذى زرع عند بيته المحرم وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حج بيته الحرام كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عمرو بن أبى قيس عن عطاء عن سعيد بن جبير أفئدة من الناس تهوى اليهم ولو قال أفئدة الناس تهوى اليهم لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس تهوى اليهم فهم المسلمون **حدثنا** محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال لو كانت أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ولكنه أفئدة من الناس **حدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال لو قال أفئدة الناس تهوى اليهم لازدحمت عليه فارس والروم **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا على يعنى ابن الجعد قال أخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد مثله **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم قال سألت عكرمة عن هذه الآية فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فقال لو بهم تهوى الى البيت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن عكرمة وعطاء وطاوس فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم البيت تهوى اليه لو بهم يأتونه **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا سعيد عن الحكم قال سألت عطاء وطاوسا وعكرمة عن قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قالوا الحج **حدثنا** الحسن قال ثنا شبابة وعلى بن الجعد قالا أخبرنا سعيد عن الحكم عن عطاء وطاوس وعكرمة فى قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال هواهم الى مكة أن يحجوا **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن الحكم قال سألت طاوسا وعكرمة وعطاء بن أبى رباح عن قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم فقالوا اجعل هواهم الحج **حدثنا** الحسن قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لو كان ابراهيم قال فاجعل أفئدة الناس تهوى اليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم ولكنه قال أفئدة من الناس تهوى اليهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال تنزع اليهم **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن قتادة مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون انما دعا لهم أن يهووا السكنى بمكة ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم قال ان ابراهيم خليل الرحمن سأل الله أن يجعل أناسا من الناس يهوون سكنى أو سكن مكة وقوله وارزقهم من الثمرات يقول تعالى ذكره وارزقهم من ثمرات النبات والاشجار مما رزقت سكان الارياف والقرى التى هى ذوات المياه والانهار وان كنت أسكنتهم واديا غير ذى زرع ولا ماء فرزقهم جل ثناؤه ذلك كما **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال قرأت على محمد بن مسلم الطائفى أن ابراهيم لما

الفرقة بينى وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء والدعاء أو أراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قال المفسرون (وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم ويحتمل أن يكون من كلام ابراهيم ومن للاستغراق أى لا يخفى على الذى يستحق العبادة لذاته شئ تافى أى مكان يفرض (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر) أى مع كبر السن وفى حال الشيخوخة (اسمعيل واسحق) ذكر أولا كونه تعالى عالما بالضمائر والسرائر ثم حمده على هذه الموهبة لان المنة بهبة الولد فى حال وقوع اليأس من الولادة أعظم لانها تنتهى الى حد الخوارق فكأنه رمز الى أنه يطلب من الله سبحانه أن يبقيهما بعده ولهذا ختم الآية بقوله (ان ربى لسميع الدعاء) وهو من اضافة

دعا لمحرم وارزق أهله من الثمرات نقل الله الطائف من فلسطين وقوله لعلهم يشكرون يقول ليشكروك على ما رزقتهم وتنعم به عليهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله ابراهيم اياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام الآية وأنه انما قصد بذلك رضا الله عنه فى محبته أن يكون ولده من اهل الطاعة له واخلاص العبادة له على مثل الذى هو له فقال ربنا انك تعلم ما نخفى قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك وفى غير ذلك من أحوالنا وما نعلن من دعائنا فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا وما يخفى عليك يا ربنا من شئ يكون فى الارض ولا فى السماء لأن ذلك كله ظاهر لك متجل بادلا نك مدبره وخالقه فكيف يخفى عليك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء ﴾ يقول الحمد لله الذى رزقنى على كبر من السن ولد اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء يقول ان ربى لسميع دعائى الذى أدعوه به وقولى اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام وغير ذلك من دعائى ودعاء غيرى وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شئ حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن ضرار بن مرة قال سمعت شيخا يحدث سعيد بن جبير قال بشر ابراهيم بعد سبع عشرة ومائة سنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ﴾ يقول رب اجعلنى مؤديا ما ألزمتنى من فريضتك التى فرضتها على من الصلاة ومن ذريتى يقول واجعل أيضا من ذريتى مقيمى الصلاة لك ربنا وتقبل دعاء يقول ربنا وتقبل عملى الذى أعمله لك وعبادتى اياك وهذا الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴾ وهذا دعاء من ابراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة واستغفار منه لهما وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم وقد بينا وقت تبرئه منه فيما مضى مما أغنى عن اعادته وقوله وللمؤمنين يقول وللمؤمنين بك ممن تبعنى على الدين الذى أنا عليه فأطاعك فى أمرك ونهيك وقوله يوم يقوم الحساب يعنى يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس اذ كان مفهوما معناه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الله يا محمد غافلا ساهيا عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيها عليهم ليجزيهم جزاءهم فى الحين الذى قد سبق فى علمه أنه يجزيهم فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن ثابت عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران فى قوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قال هى وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ يقول تعالى ذكره انما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك ليوم تشخص فيه الابصار يقول انما يؤخر عقابهم وانزال العذاب بهم الى يوم تشخص فيه أبصار الخلق وذلك يوم القيامة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليوم تشخص فيه الابصار شخصت فيه والله أبصارهم فلا ترتد اليهم وأما قوله مهطعين فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم معناه مسرعين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبى سعيد المؤدب عن

الصفة الى مفعولها أى مجيب الدعاء أوالى فاعلها بأن يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازى والمراد سماع الله تعالى ويحتمل أن يكون قوله ان ربى لسميع الدعاء رمزا الى ما كان قد دعا به وسأله الولد بقوله رب هب لى من الصالحين روى أن اسمعيل ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الأدعية بقوله (رب اجعلنى مقيم الصلاة) أى مديمها (ومن ذريتى) أى واجعل بعض ذريتى كذلك لم يدع للكل لانه علم باعلام الله تعالى أنه يكون فى ذريته كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدى الظالمين (ربنا وتقبل دعائى) عن ابن عباس أى عبادتى وحمله على تقبله الأدعية السابقة فى الآية غير بعيد (ربنا

سالم عن سعيد بن جبير مهطعين قال النسلان وهو الخبب أو مادون الخبب شك أبو سعيد يخبون وهم ينظرون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مهطعين قال مسرعين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مهطعين يقول منطلقين عامدين الى الداعى * وقال آخرون معنى ذلك مديمى النظر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله مهطعين يعنى بالاهطاع النظر من غير أن يطرف حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن أبى الضحى مهطعين قال الاهطاع التصميح الدائم الذى لا يطرف حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن أبى الخير بن تميم بن حذلم عن أبيه فى قوله مهطعين قال الاهطاع التصميح حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك مهطعين قال شدة النظر الذى لا يطرف حدثنى المثنى قال أخبرنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله مهطعين قال شدة النظر فى غير طرف حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله مهطعين الاهطاع شدة النظر فى غير طرف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مهطعين قال مديمى النظر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك لا يرفع رأسه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مهطعين قال المهطع الذى لا يرفع رأسه والاهطاع فى كلام العرب بمعنى الاسراع أشهر منه بمعنى ادامة النظر ومن الاهطاع بمعنى الاسراع قول الشاعر

وعهطع سرج كأن زمامه * فى رأس جذع من أراك مشذب

وقول الآخر

بمستهطع رسلا كأن جديله * بقدوم رعن من صوام ممنع

وقوله مقنعى رؤسهم يعنى رافعى رؤسهم واقناع الرأس رفعه ومنه قول الشماخ

يباكرن العضاه بمقنعات * نواجذهن كالحدإ الوقيع

يعنى أنهن يباكرن العضاه برؤسهن مرفوعات اليها لتناول منها ومنه أيضا قول الراجز

أنغض نحوى رأسه وأقنعا * كأنما أبصر شيأ أطمعا

ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله مقنعى رؤسهم قال الاقناع رفع رؤسهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا(٣) ورقاء وقال الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مقنعى رؤسهم قال رافعيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن أبى سعد قال قال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عثمان بن الاسود أنه سمع مجاهدا يقول

اغفر لى) طلب المغفرة لا يوجب سابقة الذنب لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء فى مقام الخوف والدهشة على أن ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين أما قوله (ولوالدى) فاعترض عليه بأنه كيف استغفر لابويه وهما كافران وأجيب بأنه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بأن قوله تعالى الاقول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك مستثنى من الاشياء التى يؤتسى فيها بابراهيم ولو كان استغفاره مشروطا باسلام أبيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل أراد بوالديه آدم وحواء والصحيح فى الجواب أنه استغفر له بناء على الجواز العقلى والمنع التوقيفى بعد ذلك لا ينافيه (يوم يقوم الحساب) أى يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها أو أسند الى الحساب قيام

أهله اسنادا مجازيا أو المضاف محذوف مثل واسأل القرية ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لأن دعاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد انجر الى ذكر الحساب فقال (ولا تحسبن الله غافلا) ان كان الخطاب لكل مكلف أو للنبي والمراد أمته فلا اشكال وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فمعناه التثبت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات أو المراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يقولون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم أن يكون غافلا عن الظلم أو عاجزا عن الانتقام أو راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات (انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) أي أبصارهم كقوله واشتعل الرأس شخص

في قوله مهطعين مقنعي رؤسهم قال رافع رأسه هكذا لا يرتد اليهم طرفهم **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله مقنعي رؤسهم قال رافعي رؤسهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مقنعي رؤسهم قال الاقناع رفع رؤسهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مقنعي رؤسهم قال المقنع الذي يرفع رأسه شاخصا بصره لا يطرف **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله مقنعي رؤسهم قال رافعيها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مقنعي رؤسهم قال المقنع الذي يرفع رأسه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك مقنعي رؤسهم قال رافعي رؤسهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبي سعيد عن سالم عن سعيد مقنعي رؤسهم قال رافعي رؤسهم وقوله لا يرتد اليهم طرفهم يقول لا ترجع اليهم لشدة النظر أبصارهم كما **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء قال شاخصة أبصارهم وقوله وأفئدتهم هواء اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه متخرقة لا تعي من الخير شيأ ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن مرة في قوله وأفئدتهم هواء قال متخرقة لا تعي شيأ **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا مالك بن مغول عن أبي اسحق عن مرة بمثل ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مرة مثله **حدثنا** محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك واسرائيل عن أبي اسحق عن مرة مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن مرة وأفئدتهم هواء قال متخرقة لا تعي شيأ من الخير **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد قال ثنا مالك يعني ابن مغول قال سمعت أبا اسحق عن مرة الا أنه قال لا تعي شيأ ولم يقل من الخير **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مرة مثله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مالك بن مغول واسرائيل عن أبي اسحق عن مرة وأفئدتهم هواء قال أحدهما خربة وقال الآخر متخرقة لا تعي شيأ **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأفئدتهم هواء قال ليس فيها شئ من الخير فهي كالخربة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ليس من الخير شئ في أفئدتهم كقولك للبيت الذي ليس فيه شئ انما هو هواء **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأفئدتهم هواء قال الا أفئدة القلوب هواء كما قال الله ليس فيها عقل ولا منفعة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبي بكرة عن أبي صالح وأفئدتهم هواء قال ليس فيها شئ من الخير * وقال آخرون انها لا تستقر في مكان تردد في أجوافهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد وأفئدتهم هواء قال تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم عن أبي سعيد عن سالم عن سعيد بنحوه * وقال آخرون معنى ذلك أنها خرجت من أماكنها فثبتت بالحلوق ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد الزبيري عن اسرائيل عن سعيد عن مسروق عن أبي الضحى وأفئدتهم هواء قال قد بلغت حناجرهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وأفئدتهم هواء قال هواء ليس فيها شئ خرجت من

صدورهم تشبث فى حلوقهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
﴿أفئدتهم هواء﴾ انتزعت حتى صارت فى حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود الى أمكنتها وأولى
هذه الاقوال عندى بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال معناه انها خالية ليس فيها شئ من الخير ولا
عقل شيأ وذلك أن العرب تسمى كل أجوف خاو هواء ومنه قول حسان بن ثابت

ألا أبلغ أبا سفيان عنى * فأنت مجوف نخب هواء

ومنه قول الآخر

ولا تلق من أحداث كل براعة * هواء كسقب البان جوف مكاسره

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى
أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ يقول تعالى ذكره وأنذر يا محمد الناس الذين أرسلتك
اليهم داعيا الى الاسلام ما هو نازل بهم يوم يأتيهم عذاب الله فى القيامة فيقول الذين ظلموا يقول
الله الذين كفروا بربهم فظلموا بذلك أنفسهم ربنا أخرنا أى أخر عنا عذابك وأمهلنا الى أجل
قريب نجب دعوتك الحق فنؤمن بك ولا نشرك بك شيأ ونتبع الرسل يقولون ونصدق رسلك
ونعمل بما دعوتنا اليه من طاعتك واتباع أمرك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد
﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ قال يوم القيامة فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب
مدة نعملون فيها من الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ﴿وأنذر
الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ يقول أنذرهم فى الدنيا قبل أن يأتيهم العذاب وقوله فيقول الذين ظلموا
معطوف على قوله يأتيهم فى قوله يوم يأتيهم العذاب وليس بجواب للامر ولو كان جوابا للقوله
﴿أنذر الناس﴾ جاز فيه الرفع والنصب أما النصب فكما قال الشاعر

يا ناق سيرى عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

رفع على الاستئناف وذكر عن العلاء بن سامة أنه كان ينكر النصب فى جواب الامر بالفاء قال الفراء
وكان العلاء هو الذى علم معاذا وأصحابه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل
مالكم من زوال﴾ وهذا تقريع من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش بعد أن دخلوا النار بانكارهم
فى الدنيا البعث بعد الموت يقول لهم اذ سألوه رفع العذاب عنهم وتأخيرهم لينيبوا ويتوبوا
أولم تكونوا فى الدنيا أقسمتم من قبل مالكم من زوال يقول مالكم من انتقال من الدنيا الى الآخرة
مالكم انما تموتون ثم لا تبعثون كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد قال أولم تكونوا أقسمتم من قبل كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت
ثم قال مالكم من زوال قال الانتقال من الدنيا الى الآخرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو
عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء وحدثنا
الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء وحدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
شبل وحدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قوله مالكم من زوال قال لا تموتون لقريش حدثنى القاسم قال ثنا سويد قال
أخبرنا ابن المبارك عن الحكم عن عمرو بن أبى ليلى أحد بنى عامر قال سمعت محمد بن كعب القرظى
يقول بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار ينادون ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل
فيقال لهم أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم

بصر الرجل اذا بقيت عينه مفتوحة لا تطرف وذلك انما يكون عند غاية الحيرة وسقوط القوة (مهطعين) مسرعين قاله أبو عبيدة والغالب من حال من يبقى بصره شاخصا من شدة الخوف أن يبقى واقفا فبين الله تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد لأنهم مع شخوص أبصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال أحمد بن يحيى المهطع الذى ينظر فى ذل وخضوع وقيل هو الساكت (مقنعى رؤسهم) رافعيها وهذا أيضا بخلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه لكيلا يراه (لا يرتد اليهم طرفهم) الطرف تحريك الاجفان على الوجه الذى خلق وجبل عليه وسمى العين بالطرف تسمية بفعلها أى لا يرجع اليهم أن يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل أى لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم (وأفئدتهم

هواء) والهواء الخلاء الذى يشغله
الاجرام وصف قلب الجبان به
لأنه لاقوة فيه ويقال للاحمق
أيضا قلبه هواء والمعنى أن قلوب
الكفار خالية يوم القيامة عن جميع
الخواطر والافكار لعظم مانالهم
وعن كل رجاء وأمل لما تحققوه
من العذاب والاظهر أن هذه الحالة
لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم
يقوم الحساب وقيل هى عند مايتميز
السعداء من الاشقياء وقيل عند
اجابة الداعى والقيام من القبور
وعن ابن جريج أراد أن أفئدة
الكفار فى الدنيا صغر من الخير
خاوية منه قال أبو عبيدة جوف
لاعقول لهم (وأنذر الناس يوم يأتيهم
العذاب) مفعول ثان لانذر واليوم
يوم القيامة واللام فى العذاب
للمعهود السابق من شخوص الابصار
وغيره أو للمعلوم وهو عذاب النار
ومعنى (أخرنا) أمهلنا (الى) أمد
وحد من الزمان (قريب) أو يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم
موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملائكة بلا بشرى (أولم
تكونوا) على اضمار القول أى
فيقال لهم ذلك واقسامهم إما
بلسان الحال حيث بنوا شديدا
وأملوا بعيدا وإما بلسان المقال
اشرا وبطرا وجهلا وسفها و(مالكم
من زوال) جواب القسم ولو قيل
مالنا من زوال على حكاية لفظ
المقسمين لجاز من حيث العربية
والمعنى أقسمتم أنكم باقون فى الدنيا
لاتزالون بالموت والفناء أولا تنتقلون
الى دار أخرى هى دار الجزاء كقوله

الى قوله لتزول منه الجبال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وسكنتم فى مساكن الذين
أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال﴾ يقول تعالى ذكره وسكنتم
فى مساكن الذين كفروا بالله فظلموا بذلك أنفسهم من الامم التى كانت قبلكم وتبين لكم
فعلنا بهم يقول وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم وتمادوا فى طغيانهم
وضربنا لكم الامثال يقول ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين الأشباه
ولم تتوبوا من كفركم فالآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم ماقد نزل بكم من العذاب
لغير كائن ۞ وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم يقول
الناس فى مساكن قوم نوح وعاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرة ممن هلك من الامم وتبين لكم
فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال قد والله بعث رسله وأنزل كتبه ضرب لكم الامثال فلا يصم
الا أصم ولا يخيب فيها الا الخائب فاعقلوا عن الله أمره حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد فى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لهم كيف فعلنا بهم
سكنوا فى قراهم مدين والحجر والقرى التى عذب الله أهلها وتبين لكم كيف فعل الله بهم وضرب
لهم الامثال حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد قوله الامثال قال الاشباه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن
جريج عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ يقول تعالى ذكره قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم
فسكنتم من بعدهم فى مساكنهم مكرهم وكان مكرهم الذى مكروا ما حدثنا محمد بن بشار قال
يحيى قال ثنا سفيان قال ثنا أبو اسحق عن عبد الرحمن بن أبان قال سمعت عليا يقرأ
كان مكرهم لتزول منه الجبال قال كان ملك فره أخذ فروخ النسور فعلفها اللحم حتى
واستعلجت واستغلظت فقعد هو وصاحبه فى التابوت وربطوا التابوت بأرجل النسور وعلفوا
فوق التابوت فكانت كلما نظرت الى اللحم صعدت وصعدت فقال لصاحبه ماترى قال أرى الجبال
مثل الدخان قال ماترى قال ما أرى شيأ قال ويحك صوب صوب قال فذلك قوله وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق
عن عبد الرحمن بن واصل عن على بن أبى طالب مثل حديث يحيى بن سعيد وزاد فيه وكان عبد الله
ابن مسعود يقرؤها وان كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا
ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن واصل أن عليا قال فى هذه الآية
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال أخذ ذلك الذى حاج ابراهيم فى ربه نسرين صغيرين فربياهما
ثم استغلظا واستعلجا وشبا قال فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد الى تابوت وجوعهما وقعد هو ورجل
آخر فى التابوت قال ورفع فى التابوت عصا على رأسه اللحم قال فطارا وجعل يقول لصاحبه انظر ما
ترى قال أرى كذا وكذا حتى قال أرى الدنيا كأنها ذباب فقال صوب العصا فصوبها فهبطا قال فهو
قول الله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال أبو اسحق وكذلك هى فى قراءة عبد الله
وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن
ابن أبى نجيح عن مجاهد وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مكر فارس وزعم أن بختنصر خر
بنسور وجعل له تابوتا يدخله وجعل رماحا فى أطرافها واللحم فوقها أراه قال فعلت تذهب

م حتى انقطع بصره من الارض وأهلها فنودى أيها الطاغية أين تريد ففزع ثم سمع الصوت فوقه
صوب الرماح فتصوبت النسور ففزعت الجبال من هدتها وكادت الجبال أن تزول منه من حس
ذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال
ي حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كاد مكرهم كذا
أ مجاهد كاد مكرهم لتزول منه الجبال وقال ان بعض من مضى جوع نسورا ثم جعل عليها
وأدخله ثم جعل رماحا فى أطرافها لحم فجعلت ترى اللحم فتذهب حتى انتهى بصره فنودى أيها
طاغية أين تريد فصوبت الرماح فتصوبت النسور ففزعت الجبال وظنت أن الساعة قد قامت
كادت أن تزول فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال ابن جريج أخبرنى عمرو
دينار عن عكرمة عن عمر بن الخطاب أنه كان يقرأ وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال
حدثنى هذا الحديث أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد أنه كان يقرأ على نحو لتزول بفتح اللام الأولى ورفع الثانية حدثنا ابن وكيع قال ثنا
أبى عن سفيان عن أبى اسحق عن عبد الرحمن (١) بن دانيل قال سمعت عليا يقول وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن عبد الرحمن بن
دانيل قال سمعت عليا يقول وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال ثم أنشأ على يحدث فقال نزلت
على جبار من الجبابرة قال لا أنتهى حتى أعلم ما فى السماء ثم اتخذ نسورا فجعل يطعمها اللحم حتى
سمنت واستعلجت واشتدت وذكر مثل حديث شعبة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود
الحضرمى عن يعقوب عن حفص بن حميد أو جعفر عن سعيد بن جبير وان كان مكرهم لتزول منه
الجبال قال نمرود صاحب النسور أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا ثم أمر بالنسور فاحتمل فلما
صعد قال لصاحبه أى شئ ترى قال أرى الماء وجزيرة يعنى الدنيا ثم صعد فقال لصاحبه أى شئ
ترى قال ما ازداد من السماء الا بعدا قال اهبط وقال غيره نودى أيها الطاغية أين تريد قال فسمعت
الجبال حفيف النسور فكانت ترى أنها أمر من السماء فكادت تزول فهو قوله وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس أن أنسا
كان يقرأ وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال * وقال آخرون كان مكرهم شركهم بالله وافتراءهم
عليه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن
ابن عباس وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يقول شركهم كقوله تكاد السموات يتفطرن
منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال قال هو كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ إدا تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال
أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله وان كان مكرهم ثم ذكر مثله حدثنا بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن الحسن كان يقول كان أهون على الله وأصغر من أن تزول
منه الجبال يصفهم بذلك قال قتادة وفى مصحف عبد الله بن مسعود وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال
وكان قتادة يقول عند ذلك تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أى
كلامهم ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى
قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال ذلك حين دعوا لله ولدا وقال فى آية أخرى تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا حدثت عن

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله (وسكنتم) استقررتم (فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصى وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم) بالاخبار والمشاهدة والبيان والعيان (كيف فعلنا بهم) من أصناف العقوبات (وضربنا لكم الامثال) قال جار الله أراد صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما أورد فى القرآن من دلائل القدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكرا ولئك الظلمة فقال (وقد مكروا مكرهم) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد صلى الله عليه وسلم كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل أراد ما نقل أن نمروذ حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع بأربع نسور وكان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا أربعا وعلق على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحبه فى ذلك التابوت فلما أبصرت النسور ذلك اللحم تصاعدت فى جو الهواء ثلاثة أيام وغابت الارض عن عين نمروذ ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصى التى عليها اللحوم فهبطت النسور الى الارض وضعفت هذه الرواية لانه لا يكاد يقدم عاقل

(١) تقدم مرة ابن أبان ومرة ابن واصل وفى هذا الموضع ابن دانيل ولم نعثر على الأخيرين فى أسماء الرواة فحرر كتبه مصححه

على مثل هذا الخطر (وعند الله مكرهم) ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه بأعظم من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يستحقونه فيأتيهم به من حيث لا يشعرون أما قوله (وان كان مكرهم لتزول) من قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان أحدهما أن تكون ان مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته أى وان الشأن كان مكرهم معد الذلك وثانيهما أن تكون ان نافية واللام المكسورة لتأكيد النفى كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه الثابتة على حالها أبد الدهر ومن قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه أكد كونه مجازيا لاهل المكر على مكرهم بقوله (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) قال جار الله قدم المفعول الثانى وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم أنه غير مخلف الوعد على الاطلاق ثم قال رسله تنبيها على أنه اذا لم يكن من شأنه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ونحوهما من الآيات قوله (ان الله عزيز ذو انتقام) قد مر فى أول آل عمران (يوم تبدل الارض) قال الزجاج انتصاب يوم على البدل من يوم يأتيهم أو على الظرف للانتقام

الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فى حرف ابن مسعود وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال هو مثل قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واختلفت القراء فى قراءته لتزول منه الجبال فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى وفتح الثانية بمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ الكسائى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بفتح اللام الاولى ورفع الثانية على تأويل من قرأ ذلك وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال من المتقدمين الذين ذكرت أقوالهم بمعنى تعظيم مكرهم حتى زالت منه الجبال أو كادت تزول منه وكان الكسائى يحدث عن حمزة عن ليث عن مجاهد أنه كان يقرأ ذلك على مثل قراءته وان كان مكرهم لتزول منه الجبال برفع تزول حدثنى بذلك الحرث عن القاسم عنه * والصواب من القراءة عندنا قراءة من قرأ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام الأولى وفتح الثانية بمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وانما قلنا ذلك هو الصواب لان اللام الاولى اذا فتحت فمعنى الكلام وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ولو كانت زالت لم تكن ثابتة وفى ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزل وأخرى اجماع الحجة من القراء على ذلك وفى ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره فأما ظن ظان أن ذلك ليس باجماع من الحجة اذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك كذلك فان الامر بخلاف ما ظن فى ذلك وذلك أن الذين قرؤا ذلك بفتح اللام الاولى ورفع الثانية قرؤا وان كان مكرهم بالدال وهى اذا قرئت كذلك فالصحيح من القراءة مع وان كاد فتح اللام الاولى ورفع الثانية على ما قرؤا وغير جائز عندنا القراءة كذلك لان مصاحفنا بخلاف ذلك وانما خط مصاحفنا وان كان بالنون لا بالدال واذ كانت كذلك فغير جائز لاحد تغيير رسم مصاحف المسلمين ولا يجز ذلك لم يكن الصحاح من القراءة الا ما عليه قراء الامصار دون من شذ بقراءته عنهم * وبنحو ما قلنا فى معنى وان كان مكرهم قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال يقول ما كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن فى قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ما كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن قال ما كان مكرهم لتزول منه الجبال حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن يونس وعمرو عن الحسن وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قالا وكان الحسن يقول وان كان مكرهم لأوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال * قال قال هرون وأخبرنى يونس عن الحسن قال أربع فى القرآن وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ما كان مكرهم لتزول منه الجبال وقوله لا تخذناه من لدنا ان كنا فاعلين ما كنا فاعلين وقوله ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ما كان للرحمن ولد وقوله ولقد مكناهم فيما ان مكنا كم ما مكنا كم فيه * قال هرون وحدثنى بهن عمرو بن أسباط عن الحسن وزاد فيهن واحدة فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فالاولى من القول بالصواب فى تأويل الآية اذ كانت القراءة التى ذكرت هى الصواب لما بينا من الدلالة فى قوله وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقد أنزل

ين ظلموا أنفسهم بربهم وافتروا عليه فريتهم عليه وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه وهو
ه قبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال
ي باضر وا بذلك الا أنفسهم ولا عادت بغية مكروهه الا عليهم حدثنا الحسن بن محمد
ل ثنا وكيع بن الجراح قال ثنا الأعمش عن شمر عن على قال الغدر مكر والمكر
فر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز
انتقام ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا تحسبن الله مخلف وعده الذى
عدهم من كذبهم وجحدما أتوهم به من عنده وانما قاله تعالى ذكره لنبيه تثبيتا وتشديدا
فريته ومعرفه أنه منزل من سخطه بمن كذبه وجحد نبوته وردّ عليه ما أتاه به من عند الله مثال
ه نزل بمن سلكوا سبيلهم من الامم الذين كانوا قبلهم على مثل منهاجهم من تكذيب رسلهم وجحود
نوتهم وردّ ما جاؤهم به من عند الله عليهم وقوله ان الله عزيز ذو انتقام يعنى بقوله ان الله عزيز
متنع منه شئ أراد عقوبته قادر على كل من طلبه لا يفوته بالهرب منه ذو انتقام ممن كفر برسله
وكذبهم وجحد نبوتهم وأشرك به واتخذ معه الها غيره وأضيف قوله مخلف الى الوعد وهو مصدر
وقد وقع موقع الاسم ونصب قوله رسله بالمعنى وذلك أن المعنى فلا تحسبن الله مخلف رسله وعده
ووعدوان كان مخفوضا باضافة مخلف اليه ففى معنى النصب وذلك أن الاخلاف يقع على
منصوبين مختلفين كقول القائل كسوت عبد الله ثوبا وأدخلته دارا واذا كان الفعل كذلك يقع
على منصوبين مختلفين جاز تقديم أيهما قدم وخفض ما ولى الفعل الذى هو فى صورة الأسماء
نصب الثانى فيقال أنا مدخل عبد الله الدار وأنا مدخل الدار عبد الله ان قدمت الدار الى المدخل
وان قدمت عبد الله خفضت الدار اذ أضيف مدخل اليها ونصب عبد الله وان قدم عبد الله اليه وأخرت
الدار خفض عبد الله باضافة مدخل اليه ونصب الدار وانما فعل ذلك كذلك لان الفعل أعنى
المدخل يعمل فى كل واحد منهما نصبا نحو عمله فى الآخر ومنه قول الشاعر

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه * وسائره بادالى الشمس أجمع

فالثانى مدخل الى الظل ونصب الرأس وانما معنى الكلام مدخل رأسه الظل ومنه قول الآخر

فرشنى بخير لا أكون ومدحتى * كناحت يوم صخرة بعسيل

والعسيل الريشة جمع بها الطيب وانما معنى الكلام كناحت صخرة يوما بعسيل وكذلك
قول الآخر

رب ابن عم لسليمى مشمعل * طباخ ساعات الكرى زاد الكسل

وانما معنى الكلام طباخ زاد الكسل ساعات الكرى فأما من قرأ ذلك فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله فقد بينا وجه بعده من الصحة فى كلام العرب فى سورة الانعام عند قوله وكذلك زين لكثير من
المشركين قتل أولادهم شركاؤهم بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله
تعالى ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ﴾ يقول تعالى ذكره
والله ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات من مشركى قومك يا محمد من قريش
وغيرهم من كفر بالله وجحد نبوتك ونبوة رسله من قبلك فيوم من صلة الانتقام واختلف فى معنى
قوله يوم تبدل الارض غير الارض فقال بعضهم معنى ذلك يوم تبدل الارض التى عليها الناس اليوم
تبدل الدنيا غير هذه الارض فتصير أرضا بيضاء كالفضة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى
قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله

والأظهر انتصابه باذكر كما مر فى
الوقوف ومعنى قوله (والسموات) أى
وتبدل السموات قال أهل اللغة
التبديل التغيير وقد يكون فى
الذوات كقولك بدلت الدراهم
دنانير وفى الأوصاف كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها
خاتما فنقلتها من شكل الى شكل
وتفسير ابن عباس يناسب الوجه
الثانى قال هى تلك الارض وانما
تغير تفسيرعنها جبالها وتفجر
بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج
ولا أمت وتبدل السماء بانتثار
كواكبها وكسوف شمسها وخسوف
قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وعن
أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال يبدل الله الارض غير الارض
فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظى
فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وهذا القول
يناسب مذهب الحكماء فى أن
الذوات لا يتطرق اليها العدم
وانما تعدم صفاتها وأحوالها
نعم جوزوا انعدام الصور مع أنها
جواهر عندهم وتفسير ابن
مسعود يناسب الوجه الأول قال
يحشر الناس على أرض بيضاء لم
يخطئ عليها أحد خطيئة وعن
على كرم الله وجهه تبدل أرضا
من فضة وسموات من ذهب وعن
الضحاك أرضا من فضة بيضاء
كالصحائف وقيل لا يبعد أن يجعل
الله الارض جهنم والسموات الجنة
(وبرزوا لله) قد ذكرناه فى أول
السورة وتخصيص (الواحد القهار)
بالموضع تعظيم وتهويل وأنه لا
مستغاث وقتئذ الى غيره ولا حكم

يومئذ لأحد الاله يتفرد فى حكمه
ويقهر ماسواه ومن نتائج قهره
قوله (وترى المجرمين يومئذ مقرنين)
قرن بعضهم مع بعض لان
الجنسية علة الضم أو مع الشياطين
الذين أضلوهم قالت الحكماء هى
الملكات الذميمة والعقائد الفاسدة
التى اكتسبوها فى تعلق الابدان
وقوله (فى الاصفاد) أى القيود اما
أن يتعلق بمقرنين واما أن يكون
وصفا مستقلا أى مقرنين
مصفدين وقيل الاصفاد الاغلال
والمعنى قرنت أيديهم وأرجلهم
الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل
فيه أن الملكات الحاصلة فى
جوهر النفس انما تحصل بتكرير
الافعال الصادرة من الجوارح
والاعضاء (سرابيلهم) جمع سربال
وهو القميص (من قطران) هو ما
يتحلب أى يسيل من شجر يسمى
الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل
الجربى فيحرق الجرب بحره
وحدته وقد تبلغ حرارته الجوف
ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال
النار وقد يستسرج به وهو أسود
اللون منتن الريح فيطلى به جلود
أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم
كالسرابيل فيجمع عليهم اللذع
والحرقة والاشتعال والسواد
والنتن على أن التفاوت بين
القطرانين كالتفاوت بين النارين
والوجه العقلى فيه أن البدن بمنزلة
القميص للنفس وكل ما يحصل
للنفس من الآلام والغموم فانما

أنه قال فى هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال أرض كالفضة نقية لم
فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة قياما أحسب قال كما خلقوا
حتى يلجمهم العرق قياما وحده * قال شعبة ثم سمعته يقول سمعت عمرو بن ميمون ولم يذكر عبد الله
ثم عاودته فيه قال حدثنيه هبيرة عن عبد الله **حدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا يحيى بن عباد
أخبرنا شعبة قال أخبرنا أبو اسحق قال سمعت عمرو بن ميمون وربما قال قال عبد الله وربما
فقلت له عن عبد الله قال سمعت عمرو بن ميمون يقول يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض
كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة فينفذهم البصر ويسمعهم الداعى حفاة
عراة كما خلقوا قال أراه قال قياما حتى يلجمهم العرق **حدثنا** الحسن قال ثنا شبابة قال
ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود فى قوله يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات قال تبدل أرضا بيضاء نقية كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة
حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال أخبرنا شعبة عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون
عن عبد الله فى قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض الجنة بيضاء نقية لم يعمل فيها خطيئة
يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراة قياما يلجمهم العرق **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون يوم تبدل الارض غير الارض
قال أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة **حدثنا** الحسن بن محمد قال
ثنا يحيى بن عباد قال ثنا حماد بن زيد قال أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن
عبد الله بن مسعود أنه تلا هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار قال يجاء بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة قال فأتى
ما يحكم بين الناس فيه فى الدماء **حدثنا** أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان
عن جابر الجعفى عن أبى جبيرة عن زيد قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليهود
فقال هل تدرون لم أرسلت اليهم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانى أرسلت اليهم أسألهم عن قول الله
يوم تبدل الارض غير الارض انها تكون يومئذ بيضاء مثل الفضة فلما جاؤا سألهم فقالوا تكون
بيضاء مثل النقى **حدثنا** أبو اسمعيل الترمذى قال ثنا أبو صالح قال ثنى ابن لهيعة
عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك أنه تلا هذه الآية يوم تبدل الارض غير
الارض قال يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ينزلها الجبار تبارك وتعالى
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال
ثنا الحسن قال ثنا ورقاء **وحدثنا** الحسن بن محمد قال ثنا شبابة قال ثنا ورقاء
جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال أرض كأنها الفضة
زاد الحسن فى حديثه عن شبابة والسموات كذلك أيضا كأنها الفضة **حدثنا** القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم تبدل الارض غير الارض قال
أرض كأنها الفضة والسموات كذلك أيضا **حدثنا** ابن البرقى قال ثنا ابن أبى مريم قال
أخبرنا محمد بن جعفر قال ثنى أبو حازم قال سمعت سهل بن سعد يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى قال سهل أو
غيره ليس فيها معلم لغيره * وقال آخرون تبدل نارا ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب
قال ثنا ابن فضيل عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن قال قال عبد الله الارض

كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها ترى أكوابها وكواعبها والذى نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى يرشح فى الارض قدمه ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب فقالوا مم ذاك يا أبا عبد الرحمن قال مما يرى الناس ويلقون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو سفيان عن الاعمش عن خيثمة قال قال عبد الله الارض كلها يوم القيامة نار والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها ويلجم الناس العرق أو يبلغ منهم العرق ولم يبلغوا الحساب * وقال آخرون بل تبدل الارض أرضا من فضة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت المغيرة بن مالك يحدث عن المجاشع أو المجاشعى شك أبو موسى عمن سمع عليا يقول فى هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض قال الارض من فضة والجنة من ذهب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن شعبة عن المغيرة بن مالك قال ثنى رجل من بنى مجاشع يقال له عبد الكريم أو ابن عبد الكريم قال ثنى هذا الرجل أراه بسمرقند أنه سمع على بن أبى طالب قرأ هذه الآية يوم تبدل الارض غير الارض قال الارض من فضة والجنة من ذهب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن مغيرة بن مالك عن رجل من بنى مجاشع يقال له عبد الكريم أو يكنى أبا عبد الكريم قال أقامنى على رجل بخراسان فقال حدثنى هذا أنه سمع على بن أبى طالب فذكر نحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم تبدل الارض غير الارض الآية فزعم أنها تكون فضة حدثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا أبو صالح قال ثنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة * وقال آخرون يبدلها خبزة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو سعد سعيد بن دل من صغانيان قال ثنا الجارود بن معاذ الترمذى قال ثنا وكيع بن الجراح عن عمر بن بشر الهمدانى عن سعيد بن جبير فى قوله يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا وكيع عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى أو عن محمد بن قيس يوم تبدل الارض غير الارض قال خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم * وقال آخرون تبدل الارض غير الارض ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج بن محمد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن كعب فى قوله يوم تبدل الارض غير الأرض والسموات قال تصير السموات جنانا ويصير مكان البحر النار قال وتبدل الارض غيرها حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد عن رجل من الانصار عن محمد ابن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبدل الله الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم فى هذه المبدلة فى مثل مواضعهم من الاولى ما كان فى بطنها فى بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها وذلك حين يطوى السموات كطى السجل للكتاب ثم يدحوهما ثم تبدل الارض غير الارض والسموات حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون الاودى قال يجمع الناس يوم القيامة فى أرض بيضاء لم يعمل فيها خطيئة مقدار أربعين سنة يلجمهم العرق * وقالت عائشة فى ذلك ما حدثنا ابن أبى الشوارب وحميد بن مسعدة وابن بزيع قالوا ثنا يزيد بن

يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة فى جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر آثار الملكات الردية فيه ومن قر أمن قطر آن فالقطر النحاس والصفر المذاب والآنى المتناهى حره قال ابن الانبارى وتلك النار لا تبطل ذلك السربال ولا تفنيه كما لا تهلك النار أجسادهم والاغلال التى كانت عليهم (وتغشى وجوههم النار) خص الوجه بالذكر لانه أعز موضع فى ظاهر البدن وأشرفه فعبر به عن الكل قوله (ليجزى) اللام متعلقة بتغشى أو بجميع ماذكر كأنه قيل يفعل بالمجرمين مايفعل ليجزى (الله كل نفس ما كسبت) قال الواحدى أراد نفوس الكفار لأن ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل أن يراد كل نفس مجرمة ومطيعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم ثم أشار الى القرآن أو الى ما فى السورة أو الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال (هذا بلاغ) كفاية (للناس) فى التذكير والموعظة لينصحوا (ولينذروا به) بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله (وليعلموا أنما هو اله واحد) والى استكمال القوة العملية بقوله (وليذكر أولو الالباب) لانهم اذا خافوا ما أنذر وابه دعتهم المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولى التوفيق

زريع عن داود عن عامر عن عائشة قالت قلت يارسول الله اذا بدلت الارض غير الارض وبرزوا لله الواحد القهار أين الناس يومئذ قال على الصراط حدثنا حميد بن مسعدة ثنا يزيد قالا ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة ياأم المؤمنين أرأيت قول الله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار أين الناس يومئذ فقالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال على الصراط حدثنا ابن المثنى قال ثنا الحسن بن عنبسة الوراق قال ثنا عبد الرحيم يعني ابن سليمان الرازي عن داود بن أبي هند عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله يوم تبدل الارض غير الارض قلت يارسول الله اذا بدلت الارض غير الارض أين يكون الناس قال على الصراط حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عاصم بن علي قال ثنا اسمعيل بن زكريا عن داود عن عامر عن مسروق عن عائشة بنحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن عائشة أم المؤمنين قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ثم ذكر نحوه حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا ربعي بن ابراهيم الاسدي أخو اسمعيل ابن ابراهيم عن داود بن أبي هند عن عامر قال قالت عائشة يارسول الله أرأيت اذا بدلت الارض غير الارض أين الناس يومئذ قال على الصراط حدثنا الحسن قال ثنا علي بن الجعد قال أخبرني القاسم قال سمعت الحسن قال قالت عائشة يارسول الله يوم تبدل الارض غير الارض فأين الناس يومئذ قال ان هذا الشئ ماسألني عنه أحد قال على الصراط ياعائشة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم قال ثنى الوليد عن سعيد عن قتادة عن حسان بن بلال المزني عن عائشة انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله يوم تبدل الارض غير الأرض والسموات قال قالت يارسول الله فأين الناس يومئذ قال لقد سألتني عن شئ ماسألني عنه أحد من أمتي ذاك اذا الناس على جسر جهنم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ذكر لنا أن عائشة قالت يارسول الله فأين الناس يومئذ فقال لقد سألت عن شئ ماسألني عنه أحد من أمتي فبالصراط هم يومئذ على جسر جهنم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال على الصراط حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن أسماء عن ثوبان قال سأل حبر من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر حدثني محمد بن عون قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الانصاري قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود وقال أرأيت اذ يقول الله في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فأين الخلق عند ذلك قال أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه ٭ وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه يوم تبدل الارض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها وكذلك السموات اليوم تبدل غيرها كما قال جل ثناؤه وجائز أن تكون المبدلة أرضا أخرى من فضة وجائز أن تكون نارا وجائز أن تكون خبزا وجائز أن تكون غير ذلك ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون فلا قول في ذلك يصح الا ما دل عليه ظاهر التنزيل

﴿التأويل﴾ واذ قال ابراهيم الروح رب اجعل بلد القلب آمنا من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي أن نعبد الاصنام وهو كل ماسوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم القلب العقبي وصنم الروح الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وأنواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور فيه نكتتان احداهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى أن عصيان الله لايستحق المغفرة والرحمة والثانية لم يقل فأنا أغفره وأرحم عليه لأن عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافأة وانما المغفرة والرحمة من شأن الغني المطلق أسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع وهو وادي النفس عند بيتك المحرم على ما سواك وهو كعبة القلب حرام أن يكون بيتا لغير الله لايسعني أرضي ولاسمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وفيه أنه توسل في اجابة الدعاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وكأنه قال ان ضيعت هاجر واسمعيل فقد ضيعت محمدا وفي قوله ليقيموا الصلاة اشارة الى أنه لولا تعلق الروح بالجسد وحلوله

* وبنحو ما قلنا فى معنى قوله والسموات قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم تبدل الارض غير الارض قال أرضا كأنها الفضة والسموات كذلك أيضا وقوله وبرزوا لله الواحد القهار يقول وظهروا لله المنفرد بالربوبية الذى يقهر كل شئ فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء فيحيى خلقه اذا شاء ويميتهم اذا شاء لا يغلبه شئ ولا يقهره من قبورهم أحياء لموقف القيامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب﴾ يقول تعالى ذكره وتعاين الذين كفروا بالله فاجترموا فى الدنيا الشرك يومئذ يعنى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مقرنين فى الاصفاد يقول مقرنة أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهى الوثاق من غل وسلسلة واحدها صفد يقال منه صفدته فى الصفد صفدا وصفادا والصفاد القيد ومنه قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

ومن جعل الواحد من ذلك صفادا جمعه صفدا الأصفادا وأما من العطاء فانه يقال منه أصفدته اصفادا كما قال الاعشى

تضيفته يوما فأكرم مجلسى * وأصفدنى عند الزمانة قائدا

وقد قيل فى العطاء أيضا صفدنى صفدا كما قال النابغة الذبيانى

هذا الثناء فان تسمع لقائله * فما عرضت أبيت اللعن بالصفد

* وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله مقرنين فى الاصفاد قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مقرنين فى الاصفاد يقول فى وثاق حدثنى محمد بن عيسى الدامغانى قال ثنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك قال الاصفاد السلاسل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مقرنين فى الاصفاد قال مقرنين فى القيود والاغلال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا على بن هاشم بن البريد قال سمعت الاعمش يقول الصفد القيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مقرنين فى الاصفاد قال صفدت فيها أيديهم وأرجلهم ورقابهم والأصفاد الاغلال وقوله سرابيلهم من قطران يقول قمصهم التى يلبسونها واحدها سربال كما قال امرؤ القيس

* لعرب تلبسنى اذا قمت سربالى *

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سرابيلهم من قطران قال السرابيل القمص وقوله من قطران يقول من القطران الذى يهنأ به الابل وفيه لغات ثلاث يقال قطران وقطران بفتح القاف وتسكين الطاء منه وقيل ان عيسى بن عمر كان يقرأ من قطران بكسر القاف وتسكين الطاء ومنه قول أبى النجم

جون كأن العرق المنتوحا * لبسه القطران والمسوحا

بكسر القاف وقال أيضا

كأن قطرانا اذا تلاها * ترمى به الريح الى مجراها

بالكسر * وبنحو ما قلنا فى ذلك يقول من قرأ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا

بأرض القالب لم يمكن استكمال الروح بالأعمال البدنية وأنه لولا غرض هذا الاستكمال لم يحصل ذلك التعلق فاجعل أفئدة الصفات الناسوتية تهوى الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون هذه النعمة الجسيمة التى ليس ينالها الملائكة المقربون وفى هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفى من حقائق الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شئ فى أرض المعاملات الصورية ولا فى سماء القلوب من الغيوب على الكبر أى بعد تعلق الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفى مقيم الصلاة دائم العروج فان الصلاة معراج المؤمن ربنا اغفر لى استرنى وامحنى بصفة معرفتك ولوالدى من الآباء العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبونى عن رؤيتك يوم يقوم حساب بكمالية كل نفس ونقصانها لأكون فى حساب الكاملين لا فى حساب الناقصين ولا تحسبن أى لم يكن الله غافلا فى الازل بل الكل بقضائه وقدره وانما يؤخرهم

الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن من قطران يعني الخضخاض هناء الابل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن من قطران قال قطران الابل * وقال بعضهم القطران النحاس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قطران نحاس قال ابن جريج قال ابن عباس من قطران نحاس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة من قطران قال هى نحاس وبهذه القراءة أعنى بفتح القاف وكسر الطاء وتصيير ذلك كله كلمة واحدة قرأ ذلك جميع قراء الامصار وبها نقرأ لاجماع الحجة من القراء عليه وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك من قطرآن بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيير آن من نعته وتوجيه معنى القطر الى أنه النحاس ومعنى الآن الى أنه الذى قد انتهى حره فى الشدة وممن كان يقرأ ذلك كذلك فيما ذكر لنا عكرمة مولى ابن عباس حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عنه * ذكر من تأول ذلك على هذه القراءة التأويل الذى ذكرت فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله سرابيلهم من قطرآن قال قطر والآن الذى قد انتهى حره حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا داود بن مهران عن يعقوب عن جعفر عن سعيد ابن جبير نحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن ابن أبى حماد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ سرابيلهم من قطرآن حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان قال ثنا المبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول كانت العرب تقول للشئ اذا انتهى حره قد أنى حره هذا قد أوقدت عليه جهنم منذ خلقت فأنى حرها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعيد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله سرابيلهم من قطرآن قال القطر النحاس والآن يقول قد أنى حره وذلك أنه يقول حميم آن حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عفان بن مسلم قال ثنا ثابت بن يزيد قال ثنا هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية سرابيلهم من قطرآن قال من نحاس قال آن أنى لهم أن يعذبوا به حدثنى المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن عكرمة فى قوله من قطرآن قال الآنى الذى قد انتهى حره حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من قطرآن قال هو النحاس المذاب حدثنا الحسن بن محمد قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن قتادة من قطرآن يعنى الصفر المذاب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن قتادة سرابيلهم من قطرآن قال من نحاس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام قال ثنا أبو حفص عن هرون عن قتادة أنه كان يقرأ من قطرآن قال من صفر قد انتهى حره وكان الحسن يقرؤها من قطران وقوله وتغشى وجوههم النار يقول وتلفح وجوههم النار فتحرقها ليجزى الله كل نفس ما كسبت يقول فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا من الآثام فى الدنيا كيما يثيب كل نفس بما كسبت من خير وشر فيجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته ان الله سريع الحساب يقول ان الله عالم بعمل كل عامل فلا يحتاج فى احصاء أعمالهم الى عقد كف ولا معاناة وهو سريع حسابه لأعمالهم قد أحاط بها علما لا يعزب عنه منها شئ وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هذا بلاغ

لبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة فى الاعمار وبذلك يصل كل من أهل السعادة والشقاوة الى منازلهم مالكم من زوال فيه من ابطال مذهب التناسخية زعموا أن نفوسهم لا تزال تتعلق بالابدان وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا تعلقتم بأبدان مثل أبدانهم منهمكين فى ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مقدار مكرهم وان كان مكرهم بحيث يؤثر فى ازالة الجبال عن أماكنها ولكنه لا تحرك شعرة الا باذن الله بقضائه يوم تبدل أرض البشرية بأرض القلوب فتضمحل ظلماتها بأنوار القلوب وتبدل سموات الاسرار بسموات الارواح فان شموس الارواح اذا تجلت لكواكب الاسرار انمحت أنوار كواكبها بسطوة أشعة شموسها بل تبدل أرض الوجود المجازى عند اشراق تجلى أنوار هويته بحقائق أنوار الوجود الحقيقى كما قال وأشرقت الارض بنور ربها وحينئذ برزوا

الناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الالباب ﴾ يقول تعالى ذكره هذا القرآن بلاغ للناس أبلغ الله به اليهم فى الحجة عليهم وأعذر اليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره ولينذروا به يقول ولينذروا عقاب الله ويحذروا به نقماته أنزله الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليعلموا أنما هو اله واحد يقول وليعلموا بما احتج به عليهم من الحجج فيه أنما هو اله واحد لا آلهة شتى كما يقوله المشركون بالله وأن لا اله الا هو الذى له ما فى السموات وما فى الارض الذى سخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم وسخر لهم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لهم الانهار وليذكر أولو الالباب يقول وليتذكر فيتعظ بما احتج الله به عليه من حججه التى فى هذا القرآن فينزجر عن أن يجعل معه الها غيره ويشرك فى عبادته شيأ سواه أهل الحجى والعقول فانهم أهل الاعتبار والاذكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام فانهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا بلاغ للناس قال القرآن ولينذروا به قال بالقرآن وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولو الالباب ﴿ آخر تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم والحمد لله رب العالمين

﴿ تم الجزء الثالث عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الرابع عشر أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾

لله الواحد القهار فان شموس الارواح تصير مقهورة فى تجلى نور الالوهية وترى المجرمين يوم التجلى مقرنين فى قيود الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران المعاصى وظلمات النفوس فهم محجوبون بهما عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرة والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين نسوا عالم الوحدة ولينذروا به قبل المفارقة فان الانتباه بالموت لا ينفع وليعلموا أنما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا والهوى والشيطان وليتذكر أولو الالباب عالم الشهود فيخرجوا من قشر الوجود والله أعلم

﴿ فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٤	تأويل قوله تعالى وما أبرئ نفسى الآية وذكر سبب قول يوسف لها
٩	ذكر منزلة يوسف عند الملك وأنه سلم اليه أموره
١٠	ذكر الاسباب التى دعت اخوة يوسف لدخول مصر حتى عرفهم ولم يعرفوه
١٦	ذكر ما فعله يوسف باخوته من الاكرام ليحملهم على العود اليه ثانيا
١٩	ذكر ما كان يخشاه يعقوب على بنيه ولأجله أمرهم بالتفرق فى الدخول
١٠	ذكر ما أكرم به يوسف أخاه عند مجيئه
١٢	ذكر جزاء السارق فى شريعة يعقوب
٢٠	ذكر ما فعله يوسف وسماه اخوته به سارقا
٢٣	ذكر كبير اخوة يوسف وبيان أن كبيرهم فى العقل غير كبيرهم فى السن
٢٥	ذكر فضيلة الاسترجاع
٣٠	ذكر ما بلغه حزن يعقوب وماله عليه من الاجر
٣٢	تأويل قوله تعالى فلما دخلوا عليه الآية وبيان معنى مزجاة وشئ مما يتعلق بأمر الصدقة
٣٨	ذكر المسافة التى شم منها يعقوب ريح يوسف
٤٢	بيان الوقت الذى أخر يعقوب الاستغفار اليه
٤٥	ذكر ما كان بين الرؤيا وتحققها من الأزمنة
٤٨	ذكر ما جمعه الله ليوسف من العلم والملك وما سأله ربه من تعجيل موته
٥٢	تأويل قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل الآية وبيان ما كان عليه الرسل وأتباعهم
٥٩	بيان العبرة التى فى قصص يوسف واخوته
٦٠	﴿ تفسير سورة الرعد ﴾
٦١	تأويل قوله تعالى الله الذى رفع السموات الآية وبيان أن السموات لا عمد لها ترى
٦٥	تأويل قوله تعالى وفى الارض قطع الآية وبيان ما فى ذلك من الدلالة على واجب الوجود
٧٠	بيان ما كانت تطلبه قريش من نزول العذاب
٧٢	تأويل قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل أنثى الآية وبيان السبب فى زيادة الحمل ونقصه

صحيفة	
٧٦	بيان الملائكة التى تتعاقب على الانسان
٨٠	بيان ما تم لعامر وأربد مع رسول الله
٨٣	بيان ما ينبغى أن يقال عند سماع الرعد
٩٠	تأويل قوله تعالى أنزل من السماء ماء الآية وبيان ما فيها من الأمثال
٩٦	بيان أكبر الكبائر وأن منها قطيعة الرحم
٩٨	ذكر ما ورد فى شجرة طوبى
١٠٤	تأويل قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا الآية وبيان أن وعد الله هو فتح مكة
١١١	تأويل قوله تعالى يمحو الله ما يشاء الآية وذكر الاختلاف فى المحو والاثبات
١١٩	بيان أن بعض اليهود والنصارى كانوا مقرين برسالته
١٢٠	﴿ تفسير سورة ابراهيم عليه السلام ﴾
١٢٢	بيان أن الايام يعبر بها عن النعم وذكر الشواهد
١٢٥	بيان أنه مضت أمم لا يعلمها الا الله وقول النبى كذب النسابون
١٣٠	تأويل قوله تعالى من ورائه جهنم الآية وبيان حال أهل النار
١٤٣	بيان أن ابليس وعيسى يقومان خطيبين يوم القيامة وذكر شفاعة النبى عليه السلام
١٣٥	تأويل قوله تعالى وأدخل الذين آمنوا الآية وبيان الكلمة الطيبة وضدها
١٤٢	بيان تثبيت المؤمن فى القبر وتزلزل الكافر
١٥٤	بيان أن الذين بدلوا نعمة الله من قريش من هم
١٥٢	بيان أن أول من سعى بين الصفا والمروة أم اسمعيل وذكر ما تم لها هى وابنها حين تركهما ابراهيم عليه السلام بمكة
١٥٦	تأويل قوله تعالى انما يؤخرهم ليوم الآية وبيان معنى كون الأفئدة هواء وذكر الشواهد فى ذلك
١٦٠	ذكر قصة الذى حاج ابراهيم فى ربه
١٦٣	بيان معنى تبدل الارض يوم القيامة
١٦٧	تأويل قوله تعالى وترى المجرمين الآية وبيان معنى الأصفاد الخ وذكر الشواهد على ذلك

﴿فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثالث عشر من تفسير ابن جرير﴾

صحيفة	
٢	تفسير قوله وما أبرئ نفسي الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٤	ذكر ما كان يفعله يوسف عليه السلام مع أهل السجن
٨	ذكر كيفية رؤيا الروح للمنامات واحتياجها الى التعبير
١٤	تأويل تلك الآيات
١٦	تفسير قوله تعالى وقال الملك ائتوني به الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٢٠	ذكر ما فعله الملك مع يوسف عليه السلام من الاكرام
٢٥	بيان أن العين حق وكيفية تأثيرها في المصاب
٢٦	تأويل تلك الآيات
٢٧	تفسير قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٣٣	ذكر ما كان عليه أولاد يعقوب جميعا من القوة والبطش
٣٥	تأويل تلك الآيات
٣٧	تفسير قوله تعالى وتولى عنهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٤٠	بيان فضل الحوقلة وما قيل في الحديث الوارد فيها
٤٤	بيان ما كتبه يعقوب عليه السلام الى ولده يوسف
٤٨	ذكر ما دعا به يعقوب لبنيه وبيان المدة التي مكث يدعو فيها
٥٢	ذكر فائدة الدخول في أهل الصلاح وان العاقل لا يبعد منه طلب الموت لوجوه
٥٣	تأويل تلك الآيات
٥٥	تفسير قوله تعالى ذلك من أنباء الغيب الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٧	بيان ما احتجت به الكرامية على أن مجرد الاقرار بالايمان كاف ورده
٥٩	تأويل تلك الآيات
٦٠	(تفسير سورة الرعد)

صحيفة	
٦٢	بيان ما قيل من أن للسموات عمدا وبيان حقيقة تلك العمد
٦٥	بيان مذهب الفلاسفة في اسناد الحوادث السفلية الى الآباء الأثيرية والأمهات العنصرية
٧١	تأويل تلك الآيات
٧٣	تفسير قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٧٦	بيان ما قالته الحكماء في الملائكة
٧٩	بيان ما يرد على مذهب المعتزلة في قولهم بخلق الانسان أفعال نفسه
٨٧	تأويل تلك الآيات
٨٩	تفسير قوله تعالى كذلك أرسلناك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٩٢	بيان ما سألته قريش رسول الله من المعجزات تعنتا
٩٧	بيان المذاهب في المحو والاثبات
١٠٠	تأويل تلك الآيات
١٠١	(تفسير سورة ابراهيم عليه السلام)
١٠٤	بيان دليل من قال ان اللغات اصطلاحية
١٠٩	بيان ما ساقه المؤلف من الدلائل على أن العالم بوجود الواجب في الخارج من البديهيات
١١٤	بيان شبه الكفار في انكار النبوة وردها
١١٨	تأويل تلك الآيات
١٢٠	تفسير قوله تعالى مثل الذين كفروا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٢٦	بيان أن الشيطان الاصلي هو النفس
١٢٨	بيان أن معرفة الله ومحبته هي الشجرة الطيبة
١٤٠	تأويل تلك الآيات
١٤٤	تفسير قوله تعالى واذ قال ابراهيم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٥١	بيان ما استدلت به الاشاعرة على ثبوت الشفاعة
١٦٦	تأويل تلك الآيات

﴿تم فهرست الجزء الثالث عشر من تفسير النيسابوري﴾

M.O
2993-1-10

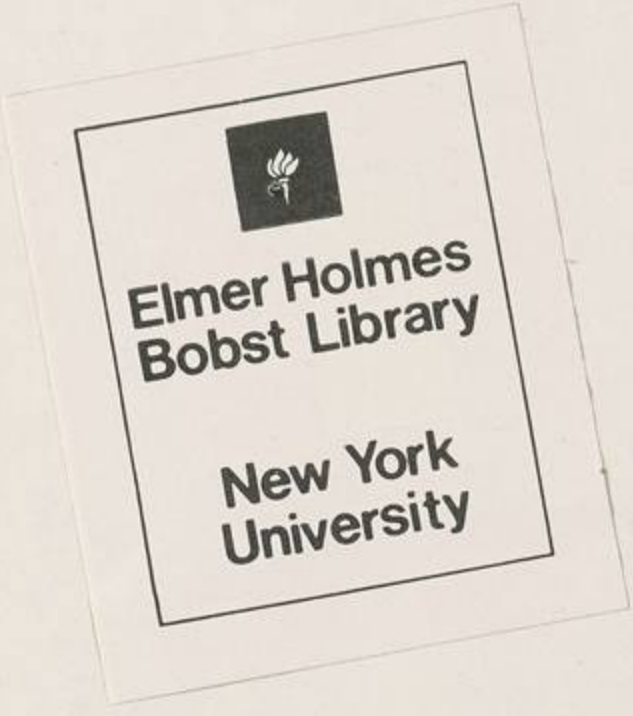
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University